

مَا قَبْلَ نَهَايَةِ التَّارِيخِ
ظَهْرُورٌ
الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ (عج)

ما قبل نهاية التاريخ

ظهور

المهدي المنتظر (عج)

الشيخ جعفر عتريسي

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَخَلِّ فَرَجَهُمْ

مَا قَبْلَ نَهَايَةِ التَّارِيخِ
ظَهْرُورٌ
الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ (عج)

دار المحجة البيضاء دار الرسول الأكرم صلوات

الشيخ جعفر حسن عتريسي

ما قبل نهاية التاريخ
ظهور قائم آل محمد المهدي المنتظر (ع)

دارُ المَجْمَعَةِ البِيضَاءِ

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٢٨٧١٧٩ / ٠٣ - تليفاكس: ٥٥٢٨٤٧ / ٠١

E-mail: almahajja@terra.net.lb

إهداء :

هي ذاتي تحبو بشوقٍ إليه ، تردّدُ أنّ فقه الوجودِ مأخوذٌ على نحوِ سلطنةِ الله ، تقرّ أنّ أحرفِ النورِ هي سماويّةٌ ، تشهدُ أنّ الوجودَ كلّهُ إعجازٌ بإعجازٍ ، هي ذاتي تدعنُ في ظلّ مشهدِ الوجودِ الأوحيدِ قائلةً أنّ كلّ خَلْقٍ حرٌّ ساجداً في محرابِ التكوينِ وهو يقرّ بالعبوديّةِ والفقرِ إلى الله ..

وعلى مسافةٍ متأصّلةٍ بين النطقِ الأوّلِ وتجلّي المادّةِ وهيئتها في نفسي ككيانٍ بشريٍّ مخلوقٍ في أرضِ الله ، ها أنا ذا في زمنِ الختامِ أجرُّ نفسي على أعوادها ، وهي تحبو نحو سلطانِ الزمانِ ، المهديّ المنتظرِ ، في معدنِ الحقيقةِ المحمولة هناك ، والمحفورةِ في أصلِ التكوينِ ،

ها أنا ذا بين يدي أعمقِ فكرةٍ ، وأدقّها ، وأكثرها صلةً بما سيكون عليه مصير العالم ... أرتجف ، وقلمي يضطرب وأنا في حضرة المولى المعظم المهديّ ، ها أنا ذا ، نحجول أمام مقامِ أهلِ البيتِ ، وأنا أنا ، مادّةٌ من ترابِ مِئنةِ أحيائها . الله .. يا سيدي ، هي هديّتي إليك ، وأنا أشكو ضعفاً وهواناً وخجلاً من حضرة السلطانِ المستخلفِ في عالمِ الوجودِ بأمرِ الله ..

إلى أولئك العظام ، علماء آلِ محمّد ، الذين حفظوا الأثرَ رغم العذابِ الهائل الذي انصبَّ على ظهورهم وأموالهم وأرواحهم من التيجانِ وأصحابِ المُلكِ ..

إلى البكّاءين في محرابِ الوجودِ الأوّلِ ، شوقاً إلى نورِ الإستخلافِ ، إلى
عظمةِ الظهورِ ، إلى الإشراقِ الكبرى ، إلى اليومِ المأمولِ .. إلى الكبارِ الكبارِ
الذين جرّوا أجسادهم على أعوادِ مجدِ الحقيقةِ في عالمٍ مظلمٍ ، بالغِ الخطورةِ ،
زعامتهُ منقادةٌ بأجسادِ غريزيّةٍ وقلوبٍ متوحّشةٍ ونياتٍ قاتلةٍ ..

إلى المهديّ المنتظرِ محمّد بن الحسن وآبائه عليهم السلام ، إلى كلّ عالمٍ
وفقيه ، إلى كلّ مؤمنٍ ومنتظرٍ ، إلى السيّد الهاشميّ من آلِ محمّد ، باعثِ الأملِ
فينا ، وقائدِ قيامِ دولةِ خراسان ، إلى من أنارَ خيمةَ المجدِ السماويّ بعزمِهِ المتّصلِ
بأفقِ الوجودِ ، إلى روحِ الله الموسويّ الخمينيّ ، الذي لفّ العالمَ بمواثيقِ قائمِ آلِ
محمّد ، وأعلنَ الإسلامَ وثيقةً وجودٍ في قيادةِ الشعوبِ ، وحدّدَ الإطارَ المواثيقي
على نسقٍ من صلةِ السماءِ ، فبدأ كلّ شَيْءٍ خاشعاً أمامَ صرخةِ الحقِّ في وادي
الأممِ الضالّةِ ، وعلى خطى الإمامِ الخمينيّ صلّت جموعُ أهلِ الحقِّ ، تنتظرُ يومَ
المهديّ كمحطّةٍ ضروريّةٍ لما قبلَ نهايةِ التاريخِ ... إلى كلّ شهيدٍ في الله ، إلى كلّ
مرابطٍ على الثغورِ ، إلى كلّ مجاهدٍ تحتَ رايةِ الحقِّ .. إلى مَنْ عانى الأمرينَ بشدّةٍ
وقسوةٍ وبلاءٍ هائلٍ في ظلِّ خطورةٍ بالغةٍ ومشقّةٍ كبرى لتهيئةِ أسبابِ معيشتي
وطلبي للعلمِ إلى من مزقوا أجسادهم وحرّموا أنفسهم من أجلي إلى أبي وأمي
وخالتي الحاجةَ علويّةِ الذين هم رمزُ انتمائي وشرطُ حبيّ لآلِ بيتِ رسولِ الله ،
إلى أخي الحاجِ يوسف الذي قدّمَ لي كلّ ما يملكُ رغمَ خطورةِ ما كان عليه
الدهرُ من مرارةٍ وصعوبةٍ وعنْفٍ ودمارٍ وقتلٍ واضطرابٍ لأكونَ على منصّةِ آلِ
محمّد وولائهم عليهم السلام ، إلى صديقِ عمري ورفيقِ دربي الشيخِ محمّد
منصور ، إلى كلّ أرحامي وأسبابي والمؤمنينَ والمؤمناتِ أهدي أعظمَ كتابٍ في
حياتي ..
جعفر حسن عتريسي

نصيحة :

إلى كلّ الأمم .. إلى كلّ كائنٍ بشريٍّ عاقلٍ يريد أن يكون فوق متنِ الوجودِ الآمنِ في عالمٍ متكاملٍ خاشعٍ تحت ظلِّ العرشِ وعمقِ الصلةِ الوجوديّةِ بواجبِ الوجودِ ،

إلى قياداتِ أهلِ الدنيا ،

إلى كلّ من لديهم القدرة على اتخاذ قرارٍ مصيريٍّ ،

هو ذا منطق الكون والسُّنن ، هي متون الصحفِ الأولى ، من التوراة والإنجيل ، وبحرفها الموجود الآن ، وصولاً إلى القرآن الكريم والنصوصِ المتواترة ، كلّها متّفقة على الإثني عشر من آلِ محمّد ، كلّها تعلن المهديّ (محمّد بن الحسن عليه السلام) كعنوانٍ محتومٍ هائلٍ في تغيير مجرى التاريخ ، يقيم العالم الجديد ويؤسّس وجهة الأرض على نحوٍ من كونه الحقيقة وصلتها الوجوديّة .. تعلنه كلّ المواثيقِ المتواصلة الوصيِّ الخاتم بعد النبيِّ الخاتم ، إكليلاً على هامة الكون ، يعيدُ إلى الأرض حقيقتها وضرورتها ، ويقود البشر في الحقبة الأخيرة في طولِ مسيرتهم كعنوانٍ ثوريٍّ كبرويٍّ من أجل العدالة الإلهيّة في الزمن الأخير من عصر الإنسان ما قبل البرزخ والقيامة والمشهد الأعظم ..

هي الحقيقة النهائيّة والحقّ اليقين .. هي الصورة المشهديّة المحتومة في ظلِّ

إعجازٍ يتلو إعجاز ، حتى لا يكون للناس على الله حجة ..

أفلا تتدبّرون ... !

مقدمة :

ككل إعلان كبروي في زمن الإستخلاف المتواصل ، يفتح العالم قادة عظماء من نوع إستثنائي جداً ، يكون لهم أثر مذهل في كتابة وجه المسيرة الأعمق وحفر أهدافها الكونية في الوثيقة الوجودية الإجتماعية الأطول ، كعنوان مركزي في توصيف ضرورات البشر ، نحو أهداف نهائية لازمة ذات صلة بالخلق والخالق ومنظومة التكامل ..

كانت المحطة الأولى في قصة تحتضن كل العبر وأسرارها مع أب البشر آدم ، واستمرت في أفق الإنسان ، تتصل بمحطات مفصلية في كل الأزمان ، فكان نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .. ومع كل محطة كان كل نبي يؤكد قيمومة الله المطلقة وروح الصلة بين الحياة والموت والمعاد كعنوان نهائي في دفتر الكون ومسيرة الإنسان ، وبذلك كان الأنبياء يُضمّنون فقه الوجود مبدأ الضرورة الحتمية لنهاية الكون البشري ، والدخول بعالم آخر هو عالم الله الأوسع والأشدّ اشعاعاً ، حيث القيامة تكون جسراً مفصلياً في تلك المسيرة التي يقف على ضفتيها أهل الخير وأهل الشرّ ، بعد تجربة كبرى في عالم الدنيا تحت نظر الله وبين يدي رُسُلِهِ ، وهناك يمتاز الذين آمنوا من الذين كفروا ،

هناك تتجلى الحكمة بأروع معانيها ، هناك يخسر المبطلون ، ويقول الذين كفروا يا ليتنا كنا تُراباً .. ولا يفصلنا عن هذه المحطة العظمى كعنوانٍ ضخمٍ إلا ما بقي من مرحلة ذات أهمية كبرى ، هي فترة المهديّ (ع) غيبةً وظهوراً فضلاً عن إقامة دولة الحقّ وقيادة العالم على هذا الهدي ، ثم الرجعة ثم الإذن للكون بمتابعة شيخوخة التهرّم والفناء ، في حين تكون رحلة الوجود متتابعة في ظلّ مشهدٍ آخر من مشاهد الوجود الأكثر إشراقاً على طول البرزخ وصولاً إلى يوم القيامة ومحطة الجنة أو النار ..

وبنظرة وجودية واسعة ، في أفق تاريخنا الدنيويّ ، تبدو الدنيا بين دفعتي وجود آدم وخاتم النبيين محمد (ص) وتمرّ بمرحلة مفصلية دقيقة بعد خروج المهديّ (ع) وهو الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، بمعنى أن مرحلة القائم المهديّ تكون المفصل الأهم في الزمن الجديد من عهد العالم بفتريّ الغيبة والظهور ، ومنذ تلك اللحظة تكون مرحلة كتابة التاريخ على نحوٍ مختلفٍ ، في ظلّ عالمٍ نازفٍ غير مستقرّ ، وكيانات جهويّة وصراع عنيف ، وقيم فاسدة ، وانحدار غريب في التعامل مع الوجود وإصرار على المزيد من الانجراف في تلك الهاوية السحيقة ، بحيث يكون من أشرط ذلك الزمن ، زمن غربة الدين وقيام سلطنة الهوى ، مجموعة وعناوين كبرى مخيفة ، تدلّ على مدى الإهيار الذي أصاب البشرية وحطّم غاياتها ، من إضاعة الصلوات ، واتباع الشهوات ، والميل مع الأهواء ، وتعظيم أصحاب المال ، وبيع الدين بالدنيا ، وتولّي الحكم أمراء جورّة ، ووزراء فسقة ، وعرفاء ظلمة ، وأمناء خونة ..

بمعنى أن محيط العالم الحقوقي في مجراه آنذاك يكون على نحوٍ من انهيارٍ يلتوه إهيار ، بحيث يصبح المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، فتتغيّر القيم ،

وتتحول الأهداف وتتهاوى الغايات ، ويمكث أهل الخير — وهم قلة — في عالم من الضلالة الحاكمة ، والجور المستفحل ، في ظل طباعٍ وقيم وأعراف ومواثيق ومحفزات تقود بشدة نحو الباطل والإنجرار إلى آثامه ، فيؤتمن الخائن ، ويخون الأمين ، ويصدق الكاذب ويكذب الصادق .. وتبدو على الكون آثار شيخوخة مفاهيمية ، جرّاء ما كسبت يدُ الإنسان من سوء استغلالٍ بباطلٍ هو أشدّ معاداة للوجود ، في زمنٍ يكثر فيه الفساد ، وتقلّ فيه الطاعة ، ويتمرد فيه البشر على خالقهم ، فيكون من إذا حكم ضلّ وأضلّ ، وتكون إمارة النساء ، ومشاورة الإماء ، وقعود الصبيان على المنابر ، ويكون الكذب ظرفاً والزكاة مغرماً ، والفيء مغنماً ، ويحتقر الرجل المعسر ، وتتقارب الأسواق ، إذا قال هذا ألم أبع شيئاً وقال هذا لم اربح شيئاً فلا ترى عندئذٍ إلا ذاماً لله ...

ويكون الأثر الأسوأ لتلك السلسلة عبر قيادة حُكمٍ متهورة لا يرى أهلها إلا المزيد من التنكّر لمعالم الوجود ومنطق الغايات وسلسلة الصلة مع الله تعالى ، فيكتبون مواثيقهم معطوفة على الهوى ، ويعتمدونها كتاباً في فقه الإشتراع الإجتماعي السياسي لقيادة الأمم ، إن على نحوٍ من تعدد الكيان ، أو على نحوٍ من أثر نافذ في دفتر الإجتماع العالمي المضطرب والمنهار ، فيلي الأمم أقوام منحرفون ، لا يرون في التعرّي والإدمان والإهيار والشذوذ سوءاً أو بؤساً أو إنذاراً ، فيتابعون مسيرة الإنجراف نحو الباطل ويستأثرون بالفيء ، ويشنون الحرب ويجتاحون العالم من أجل الثروة والمال والمعقل السياسي المالي الجيو استراتيجي على نحوٍ عنيفٍ مع الجماعات والكيانات الأممية وفق نتيجة مفادها : إن تكلموا قتلوهم وإن سكتوا استباحوهم واستأثروا بفيئهم ، فلا ترى أبناء ذلك الزمن إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين .. كلّ صلةٍ لهم بأدنى شروط الوجودية

الضرورية مهتزة ، مضطربة ، يحكمها الوهم والهزيمة والسراب .. ! (وما قيمة كل نفع وصناعة وتطورٍ ماديٍّ ووصولٍ إلى الأفقِ وداخلِ الفردِ ميت ، منهار ، معدوم ، مبتور من أي صلةٍ بمن خلق وكونَ وأخرج من العدم .. !) ..

وتظلّ مسيرة الإهيارِ محكومة بمجموعةٍ وثيقةٍ من الفتنِ ، فتنِ الثقافةِ والأيدولوجياتِ المفسّرة لطريقة الوجودِ على نحوٍ من نفعٍ ماديٍّ ، وقداسةٍ حسيةٍ نهائيةٍ ، وإشباعاتٍ غريزيةٍ رائدةٍ ، في ظل حروبٍ وتصادمٍ وقتلٍ ونهبٍ وجحودٍ يجتاح العالم من طرفه إلى طرفه ، فإذا كان ذلك كذلك ، عندها يُؤتى بشيءٍ من المشرقِ وشيءٍ من المغربِ ، يُلون الناس ، فلا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً ، ولا يتحافون عن مسيءٍ ، جثتهم جثة الآدميين ، وقلوبهم قلوب الشياطين ... همهم الثروة ، والإكثار منها ، وتراكمها ، وتجميعها حتى وإن مات كل عام عشرات الملايين جوعاً .. لا يرون الحقيقة إلا على ما هم فيه من عبادةٍ " صنمِ المالِ " كعنوانٍ محرّكٍ للتاريخِ والانتماء ، يصرون على أنّ المال مفتاح الوجودِ والاستفادة من المواثيق وضمائنها ، يعكفون في الأسواقِ على أساسِ الرمزِ الأهمّ في آخرِ الزمانِ كبنية ومرشدٍ ومشرّعٍ ومحددٍ لأطر الكونِ والإنسان ..

فإذا كان ذلك كذلك سقط الإنسان في أتونِ الغريزة العمياء كمشرعٍ ومحددٍ للأهدافِ ، عندها تصبح الغريزة المحرّك الأهمّ والناظم الأكبر لأيّ نمطٍ أو قيمةٍ أو ظاهرةٍ في ذلك الزمن .. وعليه : يشهد البشر أنواعاً من شدوذٍ خطيرٍ وقاتلٍ ، يراه أهلُ ذلك الزمنِ صفةً حضاريةً ومدخلاً إلى عوالمهم تلك ، فيكتفي الرجالُ بالرجالِ والنساءُ بالنساء ، ويُغار على الغلمان كما يُغار على الجارية في بيتِ أهلها (الإستغلال الجنسي للأطفال) ويتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، ويركبن ذات الفروج السروج ..

ولأنَّ أصلَ النظريةِ الحقيقيَّةِ في تفسير الوجود تهاوى حجراً حجراً ، فإنَّ العالمَ سيشهد نوعاً من إهياراتٍ قاسيةٍ في الجانبِ السياسيِّ والإقتصاديِّ والعقائديِّ وغيره ، يكون لها الأثرُ الأسوأُ على البشرِ وحاجاتهم ، فيظهر الربا ويتعاملون بالغيبة والرشى ، ويوضع الدين ، وترفع الدنيا ، ويكثر أولادُ الزنا ، ويتغنَّون بالقرآن ، ويتهافتون على الدنيا ، فيميتون الحقَّ ويحقِّقون الباطل ، ويفترسون بعضهم ، ويرفعون بطونهم وغرائزهم آلهةً ، حين تنتهكُ المحارم ، وتكتسبُ المآثم ، ويتسلَّط الأشرار على الأخيار ، ويفشو الكذب ، وتظهر اللجاجة ، وتفشو الفاقة ، ويتباهون في اللباس ، ويمطرون في غير أوان المطر ، فيصحرون في زمنٍ ماطر ، ويُمطرون في زمنِ الصحو ، وتتغيَّر المعالم ، وتبدلُ مجموعة من النظم ، وتبدو الدنيا على نحوٍ من شيخوخةٍ مخيفةٍ جراء سوء الإنسان فيكثر الباطل في البقاع ، ويعادي الناسُ الحقَّ ، ويروثه سبباً للتهمةِ والخذلانِ وقلةِ النفع والإنتماء إلى عالمِ السوق وغريزة الإشباع المادِّي ..

فإذا كان ذلك كذلك ، تبدلت العناوين ، وحكم أهلُ الجور ، وطبَّع العالمُ على الفساد ، وقاموا على معارفِهِ ، وضربوا وغنَّوا ، وهزؤوا وضلُّوا وأضلُّوا ، همَّهم الكوبة والمعازف ، ينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلَّ من الأمة .. وأهلُ الباطلِ على صهوةِ عزِّهم يتقاتلون على الدنيا ، يتغنَّون بمرتعِها ، كلُّ يُنشدُ ثمارها ، في حين يُظهر العلماءُ والعبادُ فيما بينهم التلاوم ، ويتعمَّدون التشكيك ، ويغامرون في صيدِ المنافع ، أولئك يدعون في ملكوت السموات الأرجاس الأنجاس .

كلُّ ذلك يكون في زمنٍ مات فيه الحقُّ ، وحكَّم الباطل ، ورُفِعَ على أعواد السلطنةِ مَنْ إذا قادَ أضلَّ ، وإذا تمكَّنَ أضرَّ ، فتبعه الناسُ حباً بالدنيا ،

وبعداً عن الله وموathيق النبيين ، فيتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم .. فإذا كان ذلك كذلك ، لم يلبث أهل ذلك الزمان إلا قليلاً حتى تخور الأرض حورة ، فلا يظن كل قوم إلا أنها خارت في ناحيتهم ، فيمكنون ما شاء الله ، ثم يمكنون في مكثهم ، إلى أن يأذن الله للمهدي بالخروج ، عندها تكون الإشراقة الكبرى ، وبداية الساعة الأهم في تاريخ تحرير البشر مما هم فيه ، حيث يكون الظلم والجور في كل قاع وبقاع ، وعلى نحو غالب ومنتكّن ، فإذا نُودي بالمهديّ تجمّعت في وجهه رايات أهل الباطل ، في ظلّ عالم متعدّد ، وكيانات مختلفة ، وغايات هابطة ، فيأتي كل قوم براياتٍ مقاتلة في عالم فاسدٍ وأدواتٍ مختلفة ، لها من النفوذ والقدرة في البرّ والبحرّ والجوِّ ما يؤثّر بطبيعة الصراع على نحوٍ مذهل كما سمرى ذلك عند مناقشتنا لهذا الموضوع ، فيحاول أهل الباطل إعدام جبهة الإمام المهدي بطريقة متعدّدة مرّة عبر جبهة الروم (وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى كيانٍ سياسيٍّ مسيحيٍّ غربي) ومرّة عبر الترك (وهو تعبير تاريخيُّ يُراد منه الإشارة إلى هذا العرق وهو كبير اليوم ومنتكّن في أكثر من دولة ذات كيان) ومرّة عبر السفياي (وهو إشارة إلى ملكٍ وحكمٍ وسلطنة لها إتصال بفكر وعقيدة آل أبي سفياي كفكر واعتقاد وتراث وعرق) وصولاً إلى الدجال (الراهية اليهودية) إلى غيرها من الكيانات المتعدّدة في العالم السياسي ، التي تشكّل سمة رئيسية في معالم النظام الدولي آنذاك ، وتكتب وجه التاريخ بأثر الأحداث والنفوذ التي تمتلكه ... إلا أن ثورة المهديّ عليه السلام تستطيع بإذن الله أن تغير وجه العالم بعد مرحلةٍ كبرى من صراعٍ واسعٍ يطال العالم ، في ظلّ فتنٍ وراياتٍ تجوب بقاع الدنيا ، ويظهر أنها تتمحور في أزمانٍ محدّدة ، ضدّ راية المهديّ ، بهدف إجتثاث أصلها أو الحؤول دون نفوذها المتعظيم ، لكنّها تنهار واحدةً تلو الأخرى ، وتتهاوى حجراً حجراً ، أمام ثورة الإمام المهديّ عليه السلام ، حتى

ترتكز راية المهديّ في غرب هذه الأرض وشرقها ... فإذا كان ذلك كذلك نادى المنادي بأن حكم الله في الأرض وقّع ، وأنّ العدالة تمّت ، فتمطر السماء بركتها ، وتخرج الأرض ثروتها ، فلا ترى إلا مستغني حامد لله ، مقرّ بعظمته ينظر إلى أفق الوجود بشوقٍ وحبٍّ وحنانٍ وعبوديّةٍ متعاضمة ، فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها ذهباً وفضّة ، ويقوم العدل ، فتعلن الأرض بكلّ مساحتها وإنسانها أمةً واحدةً ، وتعود كما بدأت ، بوحدةٍ نوعها ، وأصالةٍ غاياتها ، وضرورةٍ مسيرتها المتصلة بالله تعالى ، وتبدأ منذ تلك اللحظة معالم دولة الوجود الرباني بقيادةٍ ومباركة القائم المهديّ الحجّة محمد ابن الحسن عليه السلام ..

ومنذ أول لحظات تلك المحطة النورانيّة الأهمّ تبدأ صورة المعالم المتكاملة للتاريخ والعالم الجديد ، في ظلّ أهمّ مفصلٍ ، ومرحلةٍ وجوديةٍ أخرى ، في ظلّ سلسلة الوصيّ الأخير من أهل بيت النبي الخاتم ، ومنذ تلك اللحظات يأذن الله بمتابعة شوط الوجود وفق مُرادِه تعالى ، وفق ما بقي له ، فإذا حانت ساعة الختام الكوني أذن الله للكون أن يُعلن عبوديّة الطاعة وإعلان الفناء ، فتهاوى معالم الكون ، ويخشع الوجود ، ويقرّ كلُّ شيءٍ بالربوبيّة في شقّ التكوين .. وتبدأ أولى ساعات العالم الآخر ، في طول سفر البرزخ على قارعة القيامة واليوم الجديد .. لا شكّ أنّه التاريخ اليقين الذي لا بدّ منه . من هنا فإنّه من الحريّ بكلّ قادة هذا الكون السياسي وعقلاءه أن يقفوا على متونه ليقرأوا ما فيه حيث كلّ معدودٍ منقوص وكلّ منقوصٍ آتٍ ، وكلّ حقيقةٍ لا بدّ أن تتجسّد بعظيم خصائصها ..

لذلك فقد حاولت جاهداً في هذا الكتاب أن أقف على دفتر هذا الحدث الأهمّ في مفصل العالم الجديد ، من خلال التركيز على زمن الإمام المهديّ (ع) منذ الولادة إلى الغيبة الصغرى ، إلى الغيبة الكبرى ، إلى يوم الظهور العظيم ، في

شرحٍ وفيرٍ ودقيقٍ ، عبّرتُ منه نحو الأفق ، نحو الكيانات السياسيّة والتكتّلات
الجهويّة ، نحو أسس النظم القائمة ، نحو القيم والمفاهيم ، والخلل العنيف الذي
أصاب روح المسيرة البشريّة ، وصولاً إلى يوم الإذن الأكبر في ساعة ظهور القائم
المهديّ محمّد بن الحسن عجل الله فرجه الشريف ، وجعلنا من أنصاره وأعوانه
والذابّين عنه والمستشّهدين بين يديه ، وعرّف الله بيننا وبينهم يوم القيامة ،
بمحمّدٍ وآلٍ محمّدٍ ..

جعفر حسن عتريسي ١٠ أيلول ٢٠٠٢

تمهيد عام

" تعريف بالإمام المهدي عليه السلام "

مما اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين جميعاً دون أدنى خلاف أن الله كما بعث رسوله محمداً (ص) فإنه استخلف من نسله في آخر الزمان المهدي المنتظر وهو سبط من أسباط رسول الله ، اسمه كاسمه ، يملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. وأن أمر المهدي (ع) من المحتوم ، ومما تواترت فيه النصوص في كتب الفريقين ، وقد أولى النبي أمر المهدي الكثير من الإهتمام والتأكيد ، مشيراً إلى أنه الموعود لإقامة حكم العدل الإلهي في الأرض ..

وعليه : فإن موضوع الإمام المهدي (ع) أمر إتفاقي نهائي بين المسلمين جميعاً ، أخبر به النبي منذ أكثر من ١٤٠٠ عام منذ اليوم الذي كان فيه بالمدينة المنورة ، حيث كان يشير على مسمع المسلمين جميعاً أنه قبل ختام مسيرة أهل الأرض ، لا بد من خروج المهدي ، لا بد من الثاني عشر من الأئمة ، وقد ثبت عن النبي عند السنة والشيعه أن قال : الأئمة من قريش إثنا عشر ..

من هنا فقد امتلكت كتب الحديث عند أهل السنة وصحاحها ، فضلاً عن كتب الحديث عند أهل الشيعه عن الإمام المهدي الموعود ، بل في الحديث

الصحيح الوارد في صحيح الترمذي قال قال رسول الله (ص) : لا تذهب الدنيا ، حتى يملك العرب ، رجلٌ من " أهل بيتي " يواطئُ اسمه إسمي ..^١ وفي الحديث عن سفيان بن عُيينة عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي (ص) قال :

... يلي رجلٌ من " أهل بيتي " يواطئُ اسمه إسمي .. وأضاف عنه (ص) : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي ..^٢

ولقد أولى المسلمون أمرَ المهديِّ الكثير من الإهتمام ، ومع أن المهديِّ في النصوصِ المتواترة هو الثاني عشر من الأئمة ، ما يعني أنه زمنياً بعيد عن زمنِ السائلِ والجيب ، وأضافت النصوصُ أن للمهديِّ غيبتين ، وأن الغيبة الثانية هي كبرى ، ومع كلِّ هذا اهتمَّ المسلمون الأوائل وفي طولِ سلسلةِ علماءهم وقادتهم ومكلفيهم بأمرِ المهديِّ الموعود من آلِ محمد وبشكلٍ دقيقٍ ولافتٍ وتفصيلي .. وفي أكثر من مقامٍ وموقع كان المسلمون يقفون أمام رسولِ الله (ص) فيسألونه عما بعده .. ؟ لمن يصير الأمر .. ؟ ماذا عن فقهِ الوجودِ والتشريع ، ماذا عن ضماناتِ الشريعة ؟ ماذا عن أولي الأمر ؟ من هم ؟ من له سلطة قيادة الاجتماع العام ، من له سلطة الإستنباط والتفسير والبيان ؟ من له سلطة الولاية والأمر .. ؟ إلى الكثير من الأسئلة ذات الصلة الدقيقة بضرورات التعبدِ والشريعة والخروج من عهدِ التكليفِ الرباني .. ؟ وبطبيعة الحال سجّل التاريخ المتفق عليه بين أهلِ السنّة والشيعة الكثير الكثير من هذه المواقف والمقامات العالية ، سجّل الإعلان الأهمّ في غديرِ نخم ، حول الولاية وشرعيتها ، ولمن تؤول ، وبالخرفِ الواحدِ

^١ صحيح الترمذي رقم الحديث ٢١٥٧

^٢ صحيح الترمذي ٢١٥٨

قال : من كنتُ مولاهُ فهذا عليٌّ مولاهُ ، اللهم والِ من والاهُ ، وعادِ من عاداهُ ، وانصر من نصره واخذل من خذلهُ ، وأدر الحقَّ معهُ كيفما دار .. وهو حديث متواتر صحيح ، متفق عليه بين الفريقين وبشكلٍ نهائيٍّ .. بالإضافة إلى حديث المنزلة والكساء في أهل البيت عليهم السلام وغيره كثير ، إلى ما يصعبُ علينا حصره من النصوص الواردة في حقِّ أهل البيت والمبينة لمعنى قوله (ص) : الأئمة من قريش اثنا عشر ..

وعليه : كان المسلمون في أكثر من موقفٍ وموعدٍ في مقام السؤال .. وكان النبي (ص) بما يمثل من مقامٍ يُوحى إليه يجيب على أسئلتهم مرّةً ويحدّثهم قبل أن يسألوه مرّةً أخرى في ظلِّ عصمة كاملة وقد قال الله تعالى : (وما ينطقُ عن الهوى ، إن هو إلا وحيُّ يُوحى ، علّمهُ شديدُ القوى ..) ..

وكان من تلك الأسئلة المهمة في طولِ فهم الوجود والشرعية ومفاصل الأثر لمسيرة النوع البشريِّ ومحطّة آخر الزمان ومعالمه ، ما يتوقّف بشكلٍ أساسيٍّ وكبير عند موضوع المهديِّ عليه السلام حتى قال أبو سعيد الخدري : خشينا أن يكون بعد نبينا حدثٌ ، فسألنا نبيَّ الله (ص) عن ذلك فقال :

إن في أمّتي " المهديّ " يخرج ، يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً ، زيد الشاك . قال قلنا : وما ذاك ؟ قال سنين . قال : فيجئ إليه رجل فيقول : يا مهدي أعطني أعطني ، قال فيحشي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله ..^١

^١ صحيح الترمذي ٢١٥٨

أما النصوص التي أشارت إلى أن المهديّ يمكث خمساً أو سبعاً أو تسعاً ،
إنّما هي تشير بشكلٍ رمزيٍّ إلى ذلك جمعاً بين الطوائف والمرويات الخاصّة بهذه
الجهة ، في اختلاف عددها ، وهذا ما سنشيرُ إليه فيما بعد ، بل في بعضها إشارة
إلى أن اليوم والشهر والسنة تختلف عن يومكم وستكم ..

وعلى كلّ حال ، في النصّ إفادة واضحة : المسلمون يسألون .. والنبيّ
يجيب .. وكما خبرنا النبيّ ، في مواضيع ذا صلة بالقيادة الشرعيّة بعده ، يجب
مرّةً بطريقة الولاية الشخصية المباشرة فيشيرُ إلى الإمام عليّ (ع) كما في
الأحاديث المتواترة الكثيرة والتي منها حديث غدیر خمّ ، ومرّةً يشيرُ إلى أهلِ
البيت : عليّ والحسن والحسين وفاطمة .. كما في حديث أهلِ الكساء الثابت
عن الفريقين وبشكلٍ نهائيٍّ وكامل ، وغيره كثير ، كما في حديث إني تارك
فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وهما لا يفترقان حتى يرث عليّ
الحوض ، ما إن تمسّكنم بما لن تضلّوا بعدي أبداً .. وهو نصّ متفق عليه وثابت
بين الطرفين من أهل السنة والشيعة ..^١

ومرّةً يجب عن باقي السلسلة من أهل البيت مفروضي الطاعة والملازمين
للقرآن الذين لا يفترقون عنه ولا يفترق عنهم ، بشكلٍ تفصيليٍّ كما في أكثر من
نصٍّ ورواية نقلها أهل السنة والشيعة في أسماء الأئمة إماماً إماماً من بعد النبيّ

^١ تجدر الإشارة إلى أن حديث : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وستين أهل بيتي ، حديث باعتراف كلّ علماء أهل السنة ضعيف .. بل الإمام مالك الذي نقله في كتابه الموطأ وضعه في حاشية المراسيل ، وقد قال بالحرف الصريح أن المراسيل لا يُحتج بها ، وهي أحاديث ضعيفة .. ولم ينقله في الكتب بعد الإمام مالك إلا ابن هشام في سيرته ، وبشكلٍ مرسلٍ أيضاً ، ونقلاً عن كتاب الموطأ .. وعليه اتفقت الكلمة على ضعف هذا الحديث ، في حين كلّ أئمة التوثيق عند أهل السنة والشيعة اتفقوا على صحّة الحديث عن النبيّ أنّه قال : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يرث عليّ الحوض ، ما إن تمسّكنم بما لن تضلّوا بعدي أبداً .. وهذا الحديث صريح وبشكلٍ نهائيٍّ على أن كتاب الله لا بدّ فيه من أهل البيت ، على اعتبار أنّهم هم من أولي الأمر الذين يرجع إليهم ويطاع الله عزهم ، وهم الولاية الثابتة في القرآن ونصّ النبيّ (ص) ..

صلى الله عليه وآله ولا حاجة في الإشارة إلى أن حديث الأئمة من قريش إثنا عشر ، هو حديث متواتر صحيح باعتراف الفريقين من السنة والشيعة .. وسنرى في طيات هذا الكتاب ما يذهل القارئ من تأكيد النبي على المهدي المنتظر المحتوم كعنوان أساسي ونهائي لولايته ، من باب أنه واحد من أهل البيت (ع) والأئمة الإثني عشر ..

وكما في النصّ الوارد أعلاه ، أبو سعيد الخدري يسأل النبي (ص) عن مصير العالم ... ؟ وما يؤول إليه الأمر ... ؟ فيجيب النبي (ص) أن ذلك لا يعدو خروج المهدي (ع) الذي يقيم موثيق الله وحكم السماء .. وأنه من أهل البيت من ولد علي وفاطمة كما سنرى ذلك في النصوص الكثيرة .. ثم يبشّر المسلمين أن عهد المهدي متبوع بالخيرات والنعمة والعطاء ، وأنه لو لم يبق من الدهر إلا يوم لطوّله الله حتى يخرج المهدي وهو من أهل بيت النبي فيطهر الأرض من الفساد والجور ، وفي الحديث عن أبي الطفيل عن علي (ع) عن رسول الله (ص) قال :

لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ..¹

وكما ترى ، الإشارة دقيقة في حديث النبي إلى أن المهدي من أهل بيته ، وفي نصوص واضحة ثابتة يقول : إنه من ولد علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وقد اتفق أهل السنة والشيعة على أن المهدي (ع) من ولد فاطمة الزهراء والإمام

¹ صحيح أبو داود ٣٧٢٤

عليّ بن أبي طالب (ع) وفي الحديث عن سعيد بن المسيّب عن أمّ سلمة قالتُ
سمعتُ رسولَ الله (ص) يقول : الْمَهْدِيُّ مِنْ عِثْرَتِي ، من وُلدِ فَاطِمَةَ .^١

أما من حيث الوظيفة ، فالمهديّ الذي يخرج في آخر الزمان معدّاً لإقامة
حكم الله في الأرض فيملئها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وفي الحديث
عن أبي سعيدٍ الخدريّ قال قال رسولُ الله (ص) :

المهديُّ مني .. يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما
ملئت جوراً وظلماً ، يملك سبع سنين ..^٢

وتتفق النصوص على أنّ خروج المهديّ (ظهور المبايعة والإعلان)
يكون في مكة المكرمة ، حيث يُبايع هناك ، وفي بعضها إشارة إلى أنّ الزمن ذاك
يكون زمن اختلافٍ على كرسيّ الحكم بعد موت خليفة فيأتي مكة من المدينة
وفي الحديث عن أمّ سلمة عن النبيّ (ص) قال :

يَكُونُ اخْتِلافٌ عند موتِ خليفة ، فيخرج رجلٌ من
أهل المدينة ، هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة ،
فيخرجونه وهو كارهٌ ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعثُ إليه
بعثٌ من أهل الشام ، فيخسفُ بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ،
فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدالُ الشام ، وعصائبُ أهل العراق ،
فيبايعونه بين الركن والمقام ، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله
كلبٌ ، فيبعث إليهم فيظهرون عليهم .. فيقسمُ المالَ ، ويعمل

^١ صحيح أبو داود ٢٧٢٥

^٢ صحيح أبي داود ٢٧٢٦

في الناس بسنة نبئهم (ص) ويُلقَى الإسلامُ بِجِرَانِهِ فِي الْأَرْضِ ،
فيلبث سبع سنين ، ثمَّ يُتَوَفَّى ، وَيُصَلَّى عَلَيْهِ المسلمون .. قَالَ
أَبُو دَاوُدَ : قَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ هِشَامِ تِسْعَ سِنِينَ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ سَبْعَ
سِنِينَ ..^١

ويخوض الإمام المهديّ (ع) في سبيلِ إعادة الطُّهرِ والعدلِ إلى الأرض
وإقامة موثيقِ الله فيها ، الكثيرَ من الصراع ، في ظلِّ تعدّد جبهويّ عنيف ، كلٌّ
يريد أن يقضي على جبهة المهدي في مهدها .. وقد أشار النبيّ إلى الكثير من
معاني هذه الجبهات ، وبتعابير تاريخيّة ذات مغزى مُعَصَّرَن ، أي تعابير لها معنى
دقيق زمنَ صدورِ النصِّ ، لكنّها ناظرة إلى عصرِ ظهورِ المهديّ (ع) في الأفقِ
الآخرِ من الزمنِ الذي تتجلّى فيه حقيقة وقائع المستقبل .. من تلك الجبهات
الروم . بما تعنيه هذه العبارة من تسمية تاريخيّة هادفة ، يُرادُ منها التعبير عن جبهة
سياسيّة عسكريّة مسيحيّة غربيّة .. وهذا تعبير دقيق وعالي الإتزان في الإشارة ..
إنّه يشير إلى أنّ واحدةً من معالمِ الصراعِ في عصرِ الإمام المهديّ تكون جبهة
الروم (النصارى السياسيّة) لكن ضمن تسمية سياسيّة كيانيّة ، ذات مدلول
دولي سياسي أكثر منها رعائي لاهوتي ديني .. وهذا ما سنراه في حديثنا عن
الجبهات التي تكون في عصرِ المهديّ (ع) وفي الحديثِ عن النبيّ (ص) قَالَ :

لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمَ لَطَوَّلَهُ اللهُ عِزًّا وَجَلًّا
حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، يَمْلِكُ جَبَلِ الدَّيْلَمِ
وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ..^٢ في الحديثِ عنه (ص) : تقوم الساعةُ

^١ صحيح أبو داود ٣٧٣٧

^٢ صحيح ابن ماجه ٢٧٦٩

والروم أكثر الناس ..^١ وفي لفظ آخر قال (ص) : أشدّ
الناس عليكم الروم ، وإنما هلكتهم مع الساعة ..^٢

إنّ هذه النصوص تشير إلى عنوانين أساسيين :

١. إنّ جبهة الصراع تكون ممتدة إلى أكثر من مدلول سياسي كياني ، منه
جبهة الغرب المسيحي ..

٢. إنّ المهديّ يملك وينتصر ، ويحتلّ تلك البلاد ، ويقوم بحكم الله بالعدل
وبشكلٍ نهائيّ ..

ويشير النبيّ إلى أنّ الزمنَ يكون زمناً مخيفاً على مستوى العدالة ، حيث
الظلم يكون أوسع من موثيق الحكم ، وممتداً إلى كثيرٍ من قيم العلاقة وطبيعة
مفاهيم الوجود ، وفي الحديث عن أنس بن مالك أنّ رسول الله (ص) قال :

لَا يَزِدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَاراً ،
وَلَا النَّاسَ إِلَّا شُجْحاً ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ
النَّاسِ ..^٣

وعلى نحوٍ مختلفٍ من جهةِ الزمنِ واهله ، يشير النبيّ في كثيرٍ من أحاديثه
إلى أمورٍ أخرى ، كتلك التي سيؤول إليها أمرُ أهلِ بيته على طولِ سلسلةِ الزمنِ
بعده ، فيشير إلى مجموعة من عناوين بارزة ، منها :

^١ صحيح مسلم ٢٢٢٢/٤

^٢ مجمع الزوائد ٢١٢/٦

^٣ صحيح ابن ماجه ٤٠٢٩

١ . أن أهل البيت سيلقون بعده أصناف البلاء والتشريد والطرده وغيره من أنواع التنكيل ..

٢ . يشير إلى أن الله بهم ختم النبوة (بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم) وبهم يختم الولاية (بالمهدي) ، محمد بن الحسن من ولد فاطمة وعليّ عليهما السلام ..) .

٣ . أن من معالم دولتهم في آخر الزمان التي تملئ الأرض قسطاً وعدلاً خروج قوم من المشرق ، من أهل خراسان ، رايات سود ، يطلبون الحق فلا يعطونه ، فيقاتلون حتى يعطوه فلا يقبلوه حتى يدفعوه إلى المهدي من ولد فاطمة وعليّ ..

ففي الحديث عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ أقبل فتية من بني هاشم ، فلما رأهم النبي (ص) اغرورقت عيناه وتغير لونه . قال فقلت : ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه ... ؟ فقال (ص) :

إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ ، اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَإِنَّا " أَهْلُ بَيْتِي " سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيداً وَتَطْرِيداً ، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتُ سُودٍ ، فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ ، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ ، فَيُعْطُونَ مَا سَأَلُوا ، فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَيَّ " رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي " فَيَمْلُؤُهَا قِسْطًا كَمَا

مَلُّوْهَا جَوْرًا ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِيهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَيَّ
الثلج ..^١

لا شك أن هذا النصّ بالغ الدلالة ، بيانه ومفاده عالٍ جدًا ، منذ أكثر من ١٤٠٠ عام .. إنه يؤرّخ لمجموعة دقيقة من تاريخ الأمم وحركة الكيانات وعملية المهجمة على دولة الحقّ وأئمّته ، يشير إلى حكومة الجور العالميّة ، إلى الفساد وفق مفاهيم خطيرة تحتاج العالم وتسيطر عليه .. لكن بالمقابل يشير إلى حركة مختلفة في موقع الحقّ ، والأهمّ فيها أن الله ينتصر للحقّ في آخر الزمان براياتٍ سود توطئ للمهديّ ظهوره ، على يدٍ جبهة مؤمنة عبر قومٍ يرفعون الرايات السود من المشرق من خراسان ، لهم قدرة وممانعة ، أي أنّهم مسلّحون بأدوات ممانعة ونفوذ وفق أدوات عصرهم ، تسمح لهم بخوض حرب الحقّ لتعديل مفهوم القيم الحاكمة والتأسيس لخروج المهديّ المنتظر ، كما في كثير من النصوص الصريحة بهذا العنوان .. بل في النصّ الوارد أعلاه أن هؤلاء القوم على قدرة عالية من خوض الصراع ، إلى درجة أنّهم يقاتلون فينتصرون إلى أن يُعطوا الحقّ ، وهذا من حيث الزمن يكون على مسافة متّصلة نسبيًا بظهور الإمام المهديّ (ع) فيدفعون الراية إليه (ع) وينخرطون تحت رايته ويستمرّون تحت لوائه لتحقيق العدالة الإلهية في الأرض ..

والملفت في هذه النصوص أن النبيّ كان في مقام الإشارة إلى أن إقامة الحكم بالعدل في طول الكون السياسي لا يتمّ بشكلٍ نهائيّ إلا على يد المهديّ من ولده من أبناء عليّ وفاطمة ، وعلى الأقلّ في ذلك الزمن المتّصل بظهوره (ع)

^١ صحيح ابن ماجة ٤٠٧٢

مع تأكيدِه على المآسي التي تقع على عاتقِ أهلِ هذا البيتِ (على اعتبارِ أنهم القادة المنصوص عليهم من الله الذين يقودون جمعَ البشرية إلى كمالِها الممكنة) وبطبيعة الحال من تلك المآسي ما جرى عليهم في السقيفة وغيرها ، وعلى رأسِ تلك المعالم الصعبة ما جرى على أميرِ المؤمنين والحسن والحسين ، وهكذا إلى أن يقوم المهديّ ، فيؤسس لحكمِ الله الذي تنتعم به الأمة العالمية كلّها ، على أساسِ ونوع مختلف من موثيق الحكم وتطبيق الأنظمة ، قوامه حكم الشريعة الإسلامية بمعانيها العادلة على طولِ الكون السياسي وبشكلٍ نهائيّ إلى يومِ الساعة ، وقد أشارت النصوص إلى كثيرٍ من الخصائص والنعم التي تكون على عهدِ الإمام المهديّ وفي الحديثِ عن أبي سعيد الخدري أن النبيّ (ص) قال :

يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ .. تَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً
لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ ، تُؤْتَى أَكْلَهَا ، وَلَا تَدَّخِرُ مِنْهُمْ
شَيْئًا وَالْمَالُ يَوْمئِذٍ كُدُوسٌ فَيَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ يَا
مَهْدِيُّ أَعْطِنِي فَيَقُولُ خُذْ ..^١

ويؤكدُ النصّ أنّ المهديّ إنّما هو منصوب من أجل إقامة حكم العدل ودولة الحقّ ، إلا أنّ خروج المهديّ لا يكون مطلقاً من دون أيّ عناوين ، بل هناك مجموعة دقيقة من عناوين وجبهات وفتن وبلاءاتٍ كبرى ، دلّت عليها النصوص بشكلٍ دقيقٍ ومثيرٍ ، بل بنوعٍ من تفصيلٍ فيه تعدّد طبقي في الرواية والزمان بشكلٍ موثّق .. من تلك الأحاديث ما عن أبي أسماء الرّحبيّ عن ثوبان قال قال رسولُ الله (ص) :

^١ صحيح ابن ماجه ٤٠٧٣

يَقْتُلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةً ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ
لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَطَّلَعُ " الرَّأْيَاتُ السُّودُ " مِنْ
قَبْلِ الْمَشْرِقِ ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ ... ثُمَّ قَالَ :
فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلَجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ
الْمَهْدِيُّ .. ١

وتحت هذا العنوان أحب أن أشير إلى أن هذا النص وغيره من مرويات
العنف والحرب والفتن التي تحتاج العالم دائماً تتضمن تأكيداً ثرياً وبامتياز عالٍ
لمجموعة من عناوين منها :

١. قبل ظهور الإمام المهدي (ع) يكون هناك صراع ، وصراع من نوع
عسكري (هذا بعد النظر عن الفتن والحروب التي تحتاج العالم)
ويكون بعض موضوعه سلطانياً ، وبعضه الآخر إمتيازاً مالياً (ثروة)
وتعبير " كنز " فيه إشارة إلى ثروة باطنية لها من الأهمية ما يؤدي إلى
قيام حرب ، كالمعادن من ذهب ونفط وغيره من القيم المالية المهمة ،
وما استعمال لفظ ذهب في النص إلا إشارة إلى معدن ثمين .. وما أكثر
مثل هذه العناوين في النصوص لكن الإثارة تكمن في دقة الإشارة من
النبي (ص) ومنذ أكثر من ١٤٠٠ عام ..

٢. يكون الصراع بين أبناء خليفة (أبناء حكم وسلطان) وتعبير " كلهم
ابن خليفة " فيه دقة عالية ، وهو يشير إلى معنى رمزي بطبيعة الحال ،
مهما اختلفت التسميات من إمارة إلى ملكية إلى نظام جمهوري ، ومن

١ صحيح ابن ماجه ٤٠٧٤

نظام رئاسي إلى برلماني ومجلسي أو غير ذلك .. ويكون موضوع الصراع في خصوص هذه الواقعة المشهورة ثروة باطنية هي عبارة مال معدني جوفي كالذهب (وهو تعبير تاريخي للإشارة إلى القيم المالية الباطنية الثمينة) وسرى ذلك فيما بعد وسيكون بسببه صراع مريري للغاية ..

٣. تؤكد النصوص الكثيرة أن تعدد الجبهات سمة عالمية ، وحروبها تحتاج العالم ، وتكون الأمور على نحو من فتن وبلاء وقتل وعنف كبير .. من ضمنها خلاف على ملك مرة ، ومال سطحي مرة أخرى وثروة باطنية مرة ثالثة ، كما هي الحال في الخلاف المعدني في منطقة قرقيسيا حيث تختلف الأولوية ، وتشتد حرب من نوع عنيف .. وقرقيسيا تاريخياً هي منقطة في المثلث التركي السوري العراقي ...

٤. سرى فيما بعد أن الخلاف العسكري بين أهل الحكم سواء بين أولوية متعددة الجبهات ، أو على أثر موت خليفة ، أو على أثر اكتشاف جوف باطني معدني أو على منطقة ذات أثر في النفوذ العالمي من الناحية الجيو سياسية وشبه ذلك ، هو خلاف متعدد العناوين والأزمان ، كما أن ولادة الجبهات كذلك أيضاً ..

٥. إن الحروب العسكرية التي تحدث تكون متنوعة من الناحية الجغرافية فبعضها يكون في الشرق وبعضها الآخر في الغرب ، وهذا لا يعني على الإطلاق أن أطراف الصراع سيكونون من جهة واحدة ، بل سرى أن مجموعة من حروب خطيرة تقع في الشرق ، تكون الروم مشاركة فيها ، خاصة تلك التي تقع على أثر زحف الخراسانيين نحو إيلياء (القدس)

وكما هي الحالُ أيضاً في الصراع العنيف الدموي على ثروة قرقيسيا التي سنتحدّث عنها فيما بعد ، حيث تكون الألوية والجبهات متعدّدة ومختلفة الجهة ..

٦. قبل خروج المهدي يخرج جيشٌ من الشرق وهو يحمل الرايات السود ، فيطالب بما هو له وهو بذلك يوطئ لخروج المهديّ ، فيطالب بالحقّ فلا يُعطى (إشارة إلى نزاع ما) عند ذلك يخوض صراعاً عسكرياً من أجلِ الحقّ فيعطاهُ ، فلا يسلمُ الراية إلا للمهديّ (ع) — والراية تعبير عن قيادة الحكم والعسكر المنتصر والولاء — .. وفي الحديث عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال قال رسولُ الله (ص) : **يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِئُونَ لِلْمَهْدِيِّ ، يَعْنِي سُلْطَانَهُ ..**^١

وسترى في طيّاتِ هذه الدراسة أنّ الصراع والحروب والفتن والإبتلاءات تكون على نحوٍ توسّعي ، على طولِ الإجماع السياسي ، نعم بنسبٍ متفاوتة ، وأنّ الجبهات ستكون متعدّدة (تعدديّة الحكم والإعتقاد والتناقض في مفاهيم الإجماع العالمي) ما يعني إختلافاً في الرؤية السياسية والصراع على حيويّة مناطق العالم ، وقد اشارات النصوص إلى حروبٍ وفتنٍ كبرى تدبّ بينها ، والتي منها جبهة السفيناني والدجال ، وجبهة الروم التي يكون لها نحوٌ بارز وكبير من القوّة والبطش (كيان سياسي مسيحي نافذ جداً) وجبهة يأجوج ومأجوج والعباسي والأتراك والمغربي ، وهي تعابير تاريخيّة لها مدلول بارز في المستقبل الآتي وذلك للإشارة بلسانٍ تاريخيٍّ إلى جبهاتٍ أشرنا إليها في مضامين هذه الدراسة

^١ صحيح ابن ماجه ٤٠٧٨

وستراها .. ولا يمكنني إلا أن أقف خاشعاً أمام مجموعة مذهلة من النصوصِ المروية عن لسانِ النبيِّ والأئمة عليهم السلام حول المهديِّ وجبهات العالم ومناطق النفوذ ، وتكوّن الجبهات وموازن القوى .. وهذا ما سأشرحه بشكلٍ مفصّلٍ إن شاء الله ..

وتجدُّ الإشارةُ إلى أنّ موضوع المهديِّ كان الأبرز في طولِ سلسلةِ المسلمين واهتماماتهم المتصلة بأمرِ الله ومسيرة الوجود .. بل في كثيرٍ من النصوصِ نقرأ متانة هذا الإهتمام العميق بأمرِ المهديِّ ، لجهة أنّه يمثّل المفصل في تاريخ البشرية والوعد الإلهيِّ وعلى نحوٍ مركزٍ وعالٍ .. بما في ذلك ظهوره الشريف ودولته المباركة ، وما يكون بعدها قبل قيام الساعة .. من هنا فإنّ ظهورَ المهديِّ يعتبر محطة كبرى لقربه من العالم الآخر ، من مسيرة الوجود الأوسع ، في السير النهائيِّ نحو القيامة والمنزلة الهائلة من عالمِ الله تعالى ..

من هنا فقد كان السؤال عن أمرِ المهديِّ من العناوين المتواترة في لسانِ النبيِّ والأئمة والأصحاب .. إنّ الناس يومئذٍ كانت تسأل عنه ؟ عن الرجل الذي يخرج في آخر الزمان ، فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .. ؟ كان القوم يتذكرون أخبار المهديِّ ، اسمه ونسبه ، وظيفته ، كما نحن اليوم نتداول أخبارَ النبيِّ محمّد (ص) وفي الحديث عن سعيد بن المسيّب قال : كُنّا عند أم سلمة ، فتذكّرنا المهديِّ (ع) أي كُنّا نستوضح اسمه ونسبه .. (إشارة إلى قوّة ونفوذ هذه النصوص وضرورتها في ذلك الزمن الأهم .. كانوا يسألون أم

سلمة عن نسيه ، عن أهله ، عن آباءه .. ؟) فقالت أم سلمة : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) يَقُولُ : الْمَهْدِيُّ مِنْ وَكْدِ فَاطِمَةَ ..^١

كان سعيد ابن المسيب يشير إلى أن أمر المهدي هو على نارٍ حامية ، كلَّ مسلمٍ يسأل عنه ؟ عن نسيه ؟ عن عالمه .. ؟ عن مواعده ، وهو الذي يخرجُ في آخرِ الزمان ، عن المهدي الذي يحلُّ ثاني عشر بعد إحدى عشر إماماً قال النبي إنهم من قريش ، من أهل بيته ، كما في كثيرٍ من النصوص .. ومعلوم أن حديث " الأئمة من قريش إثني عشر .. " حديث متواتر ، بل ألف فيه أحمد بن حنبل كتاباً دلَّ على تواتره وحقانيته وضرورته في الصدور عن لسان النبي ، ولا شك بين المسلمين في ذلك أبداً ، بل إن أبا بكر يوم السقيفة لم يقوَ في الإحتجاج على الأنصار أبداً بعد أن سلَّ كلَّ فريق السيفَ من أجل الحصول على حصّة الحكم وقيادة أمر المسلمين إلا بعد أن تلا هذا الحديث عن النبي (ص) الذي يؤكّد فيه أن الحكم بعد النبي رباني ، أي بتوصيفٍ خاص من النبي ، ومن الله تعالى ، أي ليس متروكاً للمسلمين في تحديد شكل الخليفة وخصائصه وإسمه ..

وقد خاض الأنصار أنفسهم جدالاً آخر بعد التسليم بحديث النبي (ص) من أن الأئمة من قريش إثنا عشر ... مؤكّدين أن الذي ثبت من النبي إنما هو في حقّ عليّ وبنيه ، وعلى رأس تلك النصوص حديث غدير خمّ الثابت بالتواتر وبشكلٍ نهائيّ في حقانيّة عليّ من قبل الله تعالى ، وبطرقٍ لا يقوى أيُّ من الفريقين على المناقشة فيها ، أو المناقشة في متنها .. إن النبي في كلِّ تلك النصوص قال : من أولى بكم من أنفسكم .. ؟ (أي من له الولاية عليكم في

^١ صحيح ابن ماجه ٤٠٥٦

أنفسكم وأموالكم ودماءكم ، وما يتصل بكم وبالمجتمع من ولاية قيادة وتنظيم
وتطبيق وبيان) قالوا : (وبشكلٍ جليٍّ موافقٍ لما اشرتُ إليه) : اللهُ ورسولُهُ ..
فقال (ص) :

من كنتُ مولاهُ ، فهذا عليٌّ مولاهُ ،
اللهم والٍ من والآه ، وعادٍ من عاداهُ ، وانصر
من نصره ، واخذل من خذله ، وأدرِ الحقَّ معه
كيفما دار ..

فبايعهُ المسلمون على الولاية والإمارة الربانيّة تلك ، بشقيها التكليفي
والولائي ، والنصوص في هذا المجال كثيرة ومتواترة ، باعتراف الفريقين من السنّة
والشيعة .. وهذا وغيره بطبيعة الحال يدين ما جرى في السقيفة من انقلابٍ خطيرٍ
على أصلِ الشرعيّة وعنوانها الضروري .. من هنا عبّرنا عن أنّ الإنتصار في
السقيفة كان دنيويّاً وليس دينيّاً ، كان سلطانيّاً ولم يكن شرعيّاً .. ومن يقرأ
النصوص الواردة عن النبيّ (ص) في الصحاح يدرك النتيجة النهائيّة في أنّ تسمية
الأئمة كان أمراً ربانيّاً ، وأنّ أمر الوصي بعد النبيّ هو كالنبيّ بالتسمية الربانيّة ،
وهذا الأمر حسب النصوص لا يحتاج إلى نقاش ، لأنّه ثابت بشكلٍ نهائيٍّ .. أمّا
الأعداءُ الهزيلة من مثل أنّ عليّاً كان شاباً أو أنّ قريشاً كانت ناقمة على عليّ ،
أو أنّ الأمر كان على وشك الإغتيال السياسي من الأنصار الذين حاولوا ذلك ..
فكلُّ هذا وهمٌّ على وهمٍ باعتراف أكبر المحقّقين ورواة التاريخ .. وعلى كلّ حال
فالمفصل النهائي في الشرعيّة وتقرير الأمور هو اللهُ ورسولُهُ .. ومن ينقلب على
عقبه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ..

لذلك : لا يمكن أن يتسلل الشك إلى أن الولاية بعد النبي (ص) يُقال إنها للبشر .. ها هم علماء المسلمين جميعاً ، يقرّون باتفاق نهائي أن النبي سمي المهدي منذ اليوم الأول ، وأكد عليه ، وقرّر أنه الثاني عشر وآته من أهل بيته ، من ولد علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء ..

والجدير بالانتباه في مجموعة النصوص الكثيرة المروية من قبل العامة أن المسلمين يومئذ كانوا يسألون عن نسب الإمام المهدي ، عن بطاقته ، عن هويته النسبية ، فكان النبي في كل نصوصه يؤكد أن المهدي هو ابن فاطمة الزهراء التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها ، هو ابن علي بن أبي طالب صاحب غدير خم والمنزلة والكساء ... مؤكداً أن المهدي هو من أهل بيته الذين يذوقون ألوان العذاب والقتل والتشريد والطرده والإقصاء من دون أي وجه حق ، كالذي حصل في السقيفة ، ومع الحسن ، وفي كربلاء مع الحسين وكالذي حصل في طول زمن الأئمة عليهم السلام .. وهو واحد من العلامات الغيبية المحتومة التي أخبر بها (ص) لما سيجري على أهل بيته إلى أن يقوم الإمام المهدي .. وأن الله تعالى يكون عونته وعماده في تغيير وجه التاريخ وإعادة وحدة النوع إلى أصلاتها الأولى .. وأن أمر المهدي بيد الله ، يصلحه في ليلة ، (إشارة إلى تهيئة الأسباب والأدوات التي تكون تحت يدي المهدي في عملية إعادة الأمل ، أمل العبودية والطهر إلى الأرض ..) وفي الحديث عن محمد ابن الحنفية عن أبيه علي (ع) قال قال رسول الله (ص) : **المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة ..**¹

¹ صحيح أحمد ٦١٠

وفي الحديثِ عن أبي الطفيل قال حجّاجٌ : سمعتُ عليّاً (ع) يقولُ : قالَ رسولُ اللهِ (ص) :

لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يومٌ لبعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ
" رَجُلًا مِنَّا " مِنَّا ، يَمَلُؤُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا ..
قالَ أبو نُعَيْمٍ " رَجُلًا مِنَّا " ...^١

وفي جملة متواترة من النصوصِ ، يشيرُ النبيُّ إلى أن المهديَّ اسمه إسم النبيِّ
وأنه من ولدهِ ، من وُلدِ فاطمةَ ، من وُلدِ عليٍّ ، وأنه لا تقوم الساعة حتى يخرج
(ع) فيملي الأرض قسطاً وعدلاً .. ومن تلك الأحاديث ما عن عبدِ اللهِ عن
النبيِّ (ص) :

- لا تقومُ الساعةُ حتى يلي رجلٌ من أهل بيتي
يُواطئُ اسمه اسمي ..^٢

- عن عبدِ اللهِ أن النبيَّ (ص) قال : لا تنقضي
الأيامُ ، ولا يذهبُ الدهرُ ، حتى يملكَ العَرَبَ رجلٌ من
أهل بيتي اسمه يُواطئُ اسمي ..^٣

- عن أبي سعيد الخدريِّ قال : قالَ رسولُ
اللهِ (ص) : لا تقومُ الساعةُ حتى يملكَ رجلٌ من أهلِ

^١ صحيح أحمد ٧٣٤

^٢ صحيح أحمد ٣٣٩٠

^٣ صحيح أحمد ٣٣٩١

بَيْتِي ، أَجَلِّي أَقْنَى ، يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ قَبْلَهُ
ظُلْمًا يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ ..^١

وعن التفاصيل ؟ سأل المسلمون في كل حقبة عن أمر المهديّ ، وعلى طول سلسلة بعثة النبيّ (ص) وما بعدها إلى يومنا هذا .. وفي الكثير من الأسئلة كان النبيّ يشير إلى نواحٍ محدّدة ، مثل نعمة الثروة والغنى وإعادة توزيع الأموال ، وبركة الأرض والسماوات حيث تخرج الأرض ثروتها والسماوات تمطر بركاتها .. ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال قال النبيّ (ص) :

يَكُونُ مِنْ أُمَّتِي الْمَهْدِيِّ .. يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا
وَعَدْلًا وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا ..^٢

وعليه : عبر مجموعة واسعة من النصوص الواردة عن النبيّ (ص) وعن طريق الفريقين من السنة والشيعية وبشكلٍ تام وصحيح ونهائيّ تظهر العناوين التالية :

١. يخرج المهديّ (ع) في آخر الزمان .
٢. المهديّ هو من وُلِدَ رسولِ اللهِ وأهلِ بيته عبر فاطمة وعليّ ، وبإتفاق السنة والشيعية .
٣. في ذلك الزمان تكون الحكومة والمواثيق على نحوٍ خطيرٍ من الباطل والفساد والجور والظلم العالمي ، وعلى نحوٍ من شدوذٍ بعيدٍ كلّ البعد عن عالم النواميس الكليّة المشتركة في طبيعة الخلق ..

^١ صحيح أحمد ١٠٧٠٦

^٢ صحيح أحمد ١٠٧٨٠

٤. قبل خروج المهديّ (ع) تخرج الرايات السود من قِبَلِ المشرقِ فتطالبُ بالحقِّ (إشارة إلى حادثِ ما) فيُمنعُ عليها ، فتقاتلُ من أجلِهِ وتُحصلُ عليه ، وهذا يدلُّ على نفوذِ هذهِ الفئةِ من أهلِ الحقِّ ، التي لا تسلّمُ الرايةَ إلا للمهديّ .. والمثيرُ أنَّ مجموعةً من الرواياتِ الدقيقةِ تشيرُ إلى أنَّ رايةَ أهلِ المشرقِ إنما هي خراسانيةٌ . من تلكِ النصوصِ ما عن أبي قلابَةَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمُهَدِيَّ ..^١

٥. يخرج المهديّ عليه السلام في ظلِّ ظروفٍ عالميةٍ صعبةٍ وقاسيةٍ (اضطرابِ أمنيِّ عالميِّ) منها الحروبُ والفتنُ ، والإختلافُ على الحكمِ وإقتتالِ بينِ الناسِ ، فيملئُ المهديّ (ع) الأرضَ قسطاً وعدلاً كما ملئتُ ظلماً وجوراً ..

٦. حينَ يحكمُ المهديّ (ع) يعلنُ الأرضَ وحدةً نوعيةً في ظلِّ حكمٍ نوعيٍّ عالميٍّ واحدٍ تحتَ ظلِّ مركزيةٍ قياديةٍ سياسيةٍ واحدةٍ ، فتعطيُ الأرضُ بركاتها والسماةُ نعمتها ويعمُّ الخيرُ كلَّ الربوعِ في العالمِ ..

٧. يُبعثُ المهديّ على حينِ اختلافِ من الناسِ ، وزلازلٍ ، في ظلِّ نوعينِ من الإبتلاءاتِ : بشريةٍ وطبيعيةٍ .. وفي ظلِّ نوعينِ من الآياتِ عاديةٍ واستثنائيةٍ .. فيملئُ الأرضَ قسطاً وعدلاً .. الأحاديثُ التي تدلُّ على ذلكِ عديدةٌ منها ما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسولُ الله (ص) : أُبشِّرُكم بالمهديّ ، يُبعثُ في أمتي على اختلافِ من الناسِ وزلازلٍ ، فيملأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً ، كما ملئتُ جوراً وظلماً ، يرضى عنه

^١ صحيح أحمد ٢١٢٥٣

ساكن السماء وساكن الأرض ، يقسم المال صحاحاً ، فقال له رجل ما صحاحاً ؟ فقال (ص) : بالسوية بين الناس . قال (ص) ويملاً الله قلوب أمة محمد (ص) غنى ، ويسعهم عدله ، حتى يأمر منادياً فينادي : فيقول من له في مال حاجة ، فما يقوم من الناس إلا رجل فيقول أنت السدان ، يعني الخازن ، فقل له إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً ، فيقول له : احث ، حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم فيقول كنت أجشع أمة محمد نفساً ، أو عجز عني ما وسعهم ، قال فيرده فلا يقبل منه ، فيقال له : إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناك ، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ، ثم لا خير في العيش بعده أو قال ثم لا خير في الحياة بعده ..^١ وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال : يكون بعدي خليفة ، يحثي المال حثياً ولا يعده عدداً ..^٢ في ذيل هذا الحديث يشير النبي إلى أن النعم المتصلة بعصر الإمام المهدي (ع) تكون على قدر عالٍ ، وبركة كبرى ، ولا شك أن في ذلك إشارة عالية إلى وفادة خير الأرض والسماء ، بالإضافة إلى مجموعة المواثيق التي يعتمدها الإمام في إعادة توزيع جزء من الثروة العالمية وفق مذهب إقتصادي عادل نابع من الشريعة الإسلامية السمحاء ..

٨. تختلف النصوص في مدة حكم المهدي (ع) بين ٧ أو ٩ سنوات أو أكثر من ذلك ، بل في بعضها أنه يبقى مدة أهل الكهف وغير ذلك مما يتضمن الإشارة إلى مدة طويلة في عمر المهدي (ع) بعد ظهوره ، نعم ثبت أن هناك إشارة رمزية في كثير من النصوص إلى نحو أن يومه وشهره

^١ صحيح أحمد ١٠٨٩٨

^٢ صحيح أحمد ١١٠٣٠

وسنته غير سنتكم وأنها أطول ، بمعنى أن عمره يطول ، ودولته تتعاضد
في حياته وتحت رعايته (ع) ، والثابت في النصوص أن المهدي هو الذي
يطهر الأرض من الفساد ، وقيم دولة العدل ، ويؤسس مشروع الحكم
الإلهي ، ويرعاه ، ويحكم الناس في كل أرجاء العالم بعد بسط العدالة في
ربوعه ..

لقد كان النبي (ص) ومنذ اليوم الأول يشير بكثير من النصوص إلى
المهدي الموعود (محمد بن الحسن) الذي يخرج في آخر الزمان ، مؤكداً أنه من
أهل بيته ، وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام ، وأن الله يعدّه لنشر القسط
والعدل ، وأن قوماً من خراسان يكونون على دينه وملته ، يطلبون الحق في ظل
عالم مضطرب ، وقيم جائرة ، وفساد مستشر فلا يعطونه ، فيقاتلون على الحق
فينفذ أمرهم ، فيعطى لهم ما ارادوا ، فلا يسلمون الراية إلا للمهدي (ع) ..
ويتفق العلماء على أن النبي كان دوماً يردّد على أسماع المسلمين مجموعة واسعة
من النصوص التي تتعلّق بالمهدي مثل قوله (ص) :

- لا تخلو الأرض من قائمٍ بحجة ، إمّا ظاهرٍ مشهورٍ ، أو خائفٍ مستورٍ
لئلا تبطل حجج الله وبيئاته .^١
- القائم المهدي من ولدي ، اسمه إسمي ، وكنيته كنيتي ، أشبه الناس بي
خلقاً وخلقاً ..^٢

^١ ورد في كثير من الكتب منها منتخب الأثر ص : ٢٧٠ كما ورد في الغيبة للنعمان والغيبة للطوسي والبحار في الجزء ٥٢ وفي
بنايع النودة وغيره .

^٢ ورد في البحار ج ٥١ ص ٧٢ وفي غيره ..

- لا تقوم الساعة حتى يقوم قائم للحقّ منّا ، وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له ، ومن تبعه نجح ، ومن تخلف عنه هلك . الله الله عباد الله ، فاتوه ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله عزّ وجلّ وخليفتي ..^١

- المهديّ من عترتي ، من ولدِ فاطمة ، يقاتل على سنّتي ، كما قاتلتُ أنا على الوحي ..^٢

- كما أشار إلى الإمامِ الحسنِ والحسينِ (ع) وقال : منهما مهديّ هذه الأمة — لأنّ فاطمة بنت الحسن هي أمّ الإمام الباقر ، فالباقر ومن بعده من الأئمّة حسنيّون حسينيّون ..

- والذي بعثني بالحقّ أنّ منهما (الحسن والحسين) مهديّ هذه الأمة ، إذا صارت الدنيا هرجاً مرجاً ، وتظاهرت الفتن ، وتقطّعت السبل ، وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيراً ، ولا صغير يوقر كبيراً ، يبعثُ الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غُلُفاً ، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمتُ في أوّل الزمان ..^٣

الجدير بالنظر أنّ النبيّ (ص) كان يحدّد مجموعة من عناوين ذات أثر بالغ وهو ينظر إلى سلسلة الزمن والأُمم على طول مسافات الموت والحياة وما يتّصل بالدعوة والدولة والحكم والبيئة العالميّة من بعده .. كان النبيّ يكرّر على أسماع الأئمّة كلّها أنّ الأئمّة ، بكلّ ما تعنيه الإمامة من معنى في الدين والدنيا هم من قريش من أهل بيتي ، حتى أنّ أهل السنّة سلّموا بالكثير من الأحاديث المتّصلة بهذا

^١ ورد في عيون أخبار الرضا ج ٢ وفي منتخب الأثر وغيره من كتب الحديث .

^٢ البيان ص ٦٣ وأيضاً في عيون الرضا وكشف الغمّة ومنتخب الأثر وإسعاف الراغبين والخواوي للفتاوي والغيبة للطوسي والملاحم والفتن وغيرها من الكتب ..

^٣ منتخب الأثر ص ٨٥ والبحار ج ٥١ ص ٧٨ وأيضاً ورد في ذخائر العقبى وبشارة الإسلام ونبأيع المودّة ..

المعنى ، منها هذا الحديث الذي وصفوه بأنه متواتر ، واسع الإنتشار ، وأنه صادر بحق عن النبي (ص) وفي كثير من المقامات والمواقع ، حيث كان النبي في مقام بيان من هو لي الأمر ، من هو الحجة ، من هو الخليفة الشرعي .. ومع أن كثيراً من تلك النصوص ورد بحرف " أهل بيتي " إلا أن النقل في كتب الحديث إقتصر في قسم منه على أنهم من قريش ، وهذا يفى بالعرض مع جمعنا لمجموعة واسعة من النصوص الواردة بحق أهل البيت بل بحق الأئمة من أهل بيته واحداً واحداً حتى المهدي (ع) .. من تلك النصوص التي أشارت إلى أن الأئمة من قريش إثني عشر ما رواه جابر بن سمرة حيث قال : سمعت النبي (ص) يقول :

يكون اثنا عشر أميراً . فقال كلمة لم أسمعها

فقال أبي : إنه قال " كلهم من قريش " ..^١

وفي حديث آخر قال جابر بن سمرة دخلت مع أبي علي النبي (ص)

فسمعتة يقول :

إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا

عشر خليفة . قال ثم تكلم بكلام خفي عليّ قال فقلت

لأبي ما قال فقال كلهم من قريش ...^٢

وفي الحديث عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال كتبت إلى جابر بن

سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله (ص) قال فكتب إليّ

سمعت رسول الله (ص) يوم الجمعة عشية رجم الأسلمي يقول :

^١ صحيح البخاري ٦٦٨٢

^٢ صحيح مسلم ٣٣٩٣

لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، أو
يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ، وسمعت
يقول : عصبة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض بيت
كسرى أو آل كسرى . وسمعت يقول : إن بين يدي
الساعة كذابين فاحذروهم ، وسمعت يقول إذا أعطى الله
أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته ، وسمعت يقول أنا
الفرط على الحوض ..^١

وفي الحديث عن مسروق قال كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو
يقرئنا القرآن فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كم تملك هذه الأمة من خليفة .. ؟ فقال عبد الله بن مسعود ما سألتني
عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال : نعم ولقد سألتنا رسول الله (ص)
فقال اثنا عشر كعدة نقيب بني إسرائيل ...^٢

إلى الكثير من هذه النصوص التي رويت في كتب أهل السنة بتعدد رواياتها
وطبقاتها ، وهي تشير إلى أن رسول الله كان في مقام بيان أن هناك إثني عشر
نقيباً أو خليفة أو وليّ أمر أو حجة ، وهم حجج الله على الخلق ، وأن هذا البيان
هو من رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى ، بل هو وحي من الله تعالى علمه
شديداً القوي .. ومعنى هذا أن من يقوم بعد رسول الله أمره من الله لا من الناس
أي أن الوصي مسمى كالنبي .. وهذا لا يمكن على الإطلاق إنكاره في النصوص
والروايات الثابتة والمتواترة عن النبي .. أمّا ماذا عن أحوال الدنيا ؟ عن الصراع

^١ صحيح مسلم ٣٣٩٨

^٢ مسند أحمد ٣٥٩٣

على الكرسيّ ؟ عن الحقد والحسد ؟ عن الإتفاق على تنحية الإمام علي ولو بجد
السيف .. ؟ فهذا لا دخل لنا فيه ، لأنّ المعيار الشرعي هو قول الله تعالى والنبّي
محمد (ص) ..

ولقد تجلّت المسيرة الإنحرافية الأخطر بعد وفاة النبيّ (ص) بسقيفة " بني
ساعدة " مع كلّ ما شابها من أسيّ وخطورة على واقع وصيّة رسول الله التي
بيّنت أمر الله في خلافة الرسول .. لقد وصل الأمر إلى حدّ أنّ عمر بن الخطّاب
وباتفاق أهل السنّة والشيعّة اعترف أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة ، وقى الله
المسلمين شرّها .. لقد ورد هذا التعبير في صحاح أهل السنّة وتوارخهم ، وعلى
رأس هذه الصحاح ما رواه البخاريّ بحديثه عن ابن عباس حيث قال :

كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، فبينما
أنا في منزله بمعي ، وهو عند عمر بن الخطّاب في آخر حجة حجها ، إذ رجع
إليّ عبد الرحمن فقال : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم ، فقال يا أمير
المؤمنين ، هل لك في فلان ، يقول لو قد مات عمر ، لقد بايعت فلانا . فوالله ما
كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمّت . فغضب عمر ، ثم قال : إني إن شاء الله
لقائم العشية في الناس فمحذّره هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم ،
قال عبد الرحمن : فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاك الناس
وغوغاءهم ، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى
أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها
على مواضعها فأمهل حتى تقدم المدينة ، فإنها دار الهجرة والسنّة ، فتخلص بأهل
الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت متمكناً ، فيعي أهل العلم مقاتلك ،

ويضعونها على مواضعها ، فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومنَّ بذلك أول
مقام أقومه بالمدينة .

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة ، فلما كان يوم
الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس ، حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو
بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر ، فجلست حوله ، تمسّ ركبتى ركبته ، فلم أنشب
أن أخرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن
نفيل : ليقولن العشية مقالةً لم يقلها منذ استخلف . فأنكر عليّ ذلك وقال : ما
عسيت أن يقول ما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون
قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال :

أما بعد فإنني قائل لكم مقالة ، قد قدر لي أن
أقولها ، لا أدري لعلها بين يدي أجلي ، فمن عقلها
ووعاها فليحدّث بها ، حيث انتهت به راحلته ، ومن
خشى أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ . إن
الله بعث محمداً (ص) بالحق وأنزل عليه الكتاب ، فكان
مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ،
رجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال
بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في
كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم في
كتاب الله حقٌّ على من زنى إذا أحصن من الرجال
والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف ..
ألا ثم إن رسول الله (ص) قال لا تطروني كما أطري

عيسى ابن مريم ، وقلوا عبد الله ورسوله ، ثم إنه بلغني
أن قائلاً منكم يقول : والله لو قد مات عمر بايعت
فلانا ، فلا يغترن امرؤ أن يقول " إنما كانت بيعة أبي
بكر فلتة وتمت " ، ألا وإنما قد كانت كذلك ، ولكن
الله وقى شرها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه
مثل أبي بكر ...¹

لا شك أن هذا الإقرار تاريخي ومفصلي ، وله أهمية كبرى في إعادة نقد
التاريخ من جديد ، وهو متصل كل الإتصال بما جرى في السقيفة ، ومهما جملنا
من أمر ما جرى في السقيفة ، فلا يمكن على الإطلاق أن يصمد أمام الحجج
الشرعية ، أعني بتلك على الأقل ما ورد بكثرة في شرعية الإمام علي وأهل بيته
عليهم السلام .. ومهما قلنا ، فإنه الإنحراف الأخطر الذي طرأ على مقربة من
جنة النبي في حين كان النبي مسحى وعلي يغسله ، والقوم في سقيفة بني ساعدة
يتجادلون مرة بالقول ومرة بالإرث الجاهلي على قاعدة " منّا أمير ومنكم أمير ..
نحن الأمراء وأنتم الوزراء .. " إلى أن قال أبو بكر : إن رسول الله يقول : الأئمة
من قريش إثنا عشر .. فشهد الأنصار بذلك .. وتمت بيعة أبي بكر .. التي
وصفها عمر بالفلتة .. في أكثر من مقام ورواية .. وعلى كل حال ، فقد ورد
من النصوص الكثير الكثير الذي يدل بشكل نهائي على وجوه وهوية واسماء
الأئمة الإثني عشر .. بل أخرج الجوني الشافعي في فرائد السمطين أن رسول الله
(ص) قال :

¹ صحيح البخاري ٦٣٢٨

أنا سيّد النبيّن ، وعليّ بن أبي طالب سيّد
الوصيّن ، وإنّ أوصيائي بعدي إثنا عشر ، أولهم عليّ
بن أبي طالب وآخرهم المهديّ ..^١

وفي ينابيع المودّة أخرج سليمان القندوزي الحنفي عن ابن عبّاس أنّ النبيّ
(ص) قال :

إنّ خلفائي وأوصيائي وحججُ الله على الخلق
بعدي لإثنا عشر ، أولهم عليّ وآخرهم ولدي المهديّ ،
فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلف المهديّ
وتشرق الأرض بنور ربّها ويبلغ سلطانه المشرق
والمغرب .^٢

وروى أيضاً عن ابن عبّاس أنّ يهودياً قدم إلى النبيّ (ص) يُقال له نعثل
فقال : يا محمّد أسألك عن اشياء تلجلج في صدري منذ حين .. إلى أن قال :
فأخبرني عن وصيّك ، من هو ؟ فما من نبيّ إلا له وصيّ .. ؟ وإنّ نبينا موسى بن
عمران أوصى إلى يوشع بن نون .. فقال (ص) :

إنّ وصيّ عليّ بن أبي طالب ، وبعده سبطاي
الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين ..
فقال يا محمد فسمّمهم لي : فقال (ص) : إذا مضى
الحسين فإبنه عليّ ، فإذا مضى عليّ فإبنته محمّد ، فإذا

^١ فرائد السمطين للحوي الشافعي ج ٢ ص ٣١٣ كما رواه القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودّة ص ٤٤٥ .

^٢ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص ٤٤٧

مضى محمد فإبنة جعفر ، فإذا مضى جعفر فإبنة موسى
فإذا مضى موسى فإبنة عليّ ، فإذا مضى عليّ فإبنة
محمد ، فإذا مضى محمد فإبنة عليّ ، فإذا مضى عليّ
فإبنة الحسن ، فإذا مضى الحسن فإبنة الحجة محمد
المهدي ، فهؤلاء اثنا عشر ..^١

أمّا النصوص المفردة في حقّ كلّ واحدٍ منهم فهي كثيرة ، وعلى رأسها
النصوص الواردة في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وصولاً إلى الإمام
المهديّ (ع) .. وبيعد النظر عن النصّ عليهم ، فقد إتفقت كلمة المسلمين ،
وعلى رأسهم علماء أهل السنّة ورموزهم ، على أنّ هؤلاء الأئمّة في كلّ جيلٍ
وزمانٍ كانوا أعلم أهلِ المصّرِ على الإطلاق ، وأنّهم رغم كلّ المحاولات
السلطانيّة للحطّ من مقامهم العلميّ ، كانوا على قدرٍ من العلم لا يُقاوم على
الإطلاق وفي كلّ وقعةٍ تاريخيّة للنيلِ العلميّ منهم كان يخرجُ أهمّ علماءِ أزمانهم
وهم يقولون (الله أعلم حيث يجعل رسالته ..) ومن أراد معرفة ذلك ما عليه إلا
أن يراجع تاريخ هؤلاء الأئمّة في كتبِ أهلِ السنّة وتواريخهم ، بل يراجع حياة
الإمام الصادق (ع) وما يعنيه مقامه في عصر بروز أئمّة أهلِ السنّة ، من الإمام
أبي حنيفة وغيره ، ليقرأ أنّه لولا السنتان لهلك العمان .. ليقرأ تلمذة رموزهم
على يديه مباشرة وغير مباشرة ..

ولقد ثبت بالنصّ النبوي وبشكلٍ جليٍّ وبتعدّدٍ روائيٍّ ثابت ، منذ زمن
النبيّ الأعظم (ص) أنّ المهديّ هو محمد بن الحسن العسكريّ ، ابن الإمام عليّ

^١ ينابيع المودة ص ٤٤١

الهادي ، ابن الإمام محمد الجواد ، ابن الإمام علي الرضا ، ابن الإمام موسى الكاظم ، ابن الإمام جعفر الصادق ، ابن الإمام محمد الباقر ، ابن الإمام علي بن الحسين زين العابدين ، ابن الإمام الحسين بن علي ، ابن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله .. وهو هو الذي قال به النبي : المهدي من ولدي ، ، اسمه إسمي ، وكنيته كنيتي ، يخرج في آخر الزمان ، فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً .. وهو الإمام الثاني عشر من الأئمة في قول النبي (ص) : يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش .. بالحديث المروي بلفظه ومعناه متواتراً في كتب الحديث عند الفريقين ، بل ألف فيه أحمد بن حنبل كتاباً مستقلاً ، وهو المروي في صحيحي الترمذي والمستدرک علی الصحیحین والبخاري ومسلم ومنتخب كنز العمال ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول ، وفي تاريخ بغداد ، وتاريخ الخلفاء ، وينايع المودة ، وغيرهم من الكتب الكثيرة ، وهو متفق عليه بين كل علماء المسلمين جميعاً دون ناكِرٍ أو مانعٍ أو رافضٍ ..

وتجدرُ الإشارةُ إلى أن أهل السنة لم يجدوا ما يتمموا به هذا العدد من الأئمة ، سوى محاولة ترتيب أربعة هم الخلفاء ، وزادوا عليهم خامساً هو عمر بن عبد العزيز .. ! كل ذلك في نفس الوقت الذي يقول فيه عمر بن الخطاب مقالته المشهورة : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها .. (وفي أكثر من رواية زاد فيها : ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه ..) كما في تاريخ شرح النهج والصحاح والطبري وغيره ..

كل الرواة أثبتوا في تأريخهم أن أبا بكر لم يستطع أن يمنع الأنصار في سقيفة بني ساعدة من المطالبة بالخلافة إلا حين استشهد عليهم بقول النبي : إن الأئمة من قريش اثني عشر .. وحين قصد أبو بكر وعمر بن الخطاب عم النبي

العبّاس في داره لإقناعه ببيعة أبي بكر على أن يكون لعقبه من الأمر ما لهم ،
وذلك بعدما جرى في السقيفة من بيعة أبي بكر فما كان من العباس (عمّ النبي)
إلا أن احتجّ عليهم بنفس هذا الحديث ، وبالكثير من أحاديث النبي (ص) في حق
عليّ وأهل بيته ، فما كان منهم إلا أن عرضوا عليه نصيباً في الأمر ، فرفض ،
فخرجوا من عنده مذعورين .. هكذا وردت القصة بتفصيل دقيق في التواريخ
والروايات عند أهل السنة والشيعة ..

أمّا بخصوص الإمام المهديّ (ع) وهو موضوع دراستنا الآن فكل علماء
المسلمين مطلقاً متفقون على أن المهديّ هو من أهل بيت النبيّ ، من ولد عليّ
فاطمة الزهراء ، يخرج في آخر الزمان ، يملئ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت
ظلماً وجوراً ، وهذه النصوص متواترة ، لا يجوز إنكارها أبداً ، وأنّ الأمر فيها
إلى الله الذي أمر النبيّ (ص) أن يخبر المسلمين وغيرهم مضامينها .. وبذلك
تكتمل سلسلة الأئمة عليهم السلام ، بضرورة هائلة ، وإعجازٍ عظيم ، وصدقٍ
وفيرٍ في نصّ النبيّ وبشارة الله تعالى ، وها هو عصر المهديّ بما يعنيه من زمنٍ هو
الأهمّ في مرحلة ما قبل نهاية التاريخ ، في ظلّ عالمٍ مضطربٍ وفسادٍ مستشرٍ
وانحرافٍ يمثّل البنية الثقافية ذات المصدر الرافد للمواثيق والطباع الإجتماعية في
العالم ..

وعليه : فإنّ أمر المهديّ من أهمّ ما ينتظره أهل الأرض ، وبشكلٍ ثابتٍ
ونهاييّ ، وهو الحقّ اليقين ، بل هو المستقبل الذي لا بدّ منه .. هو التاريخ الذي
سيجئني ، هو المحطة الكبرى الضرورية في مسيرة التاريخ وذلك بعد ظلمٍ وحيفٍ

وانحرافٍ خطيرٍ ينال البشرية .. أبا الله تعالى إلا أن تكون موثيقُ علماء المسلمين
كلّها متفقةً عليه ، وقد قال في حقِّه رسول الله : المهديّ يواطئ اسمه إسمي ..^١

أبا الله تعالى إلا أن يؤرّخ مجموعة بارزة من معانٍ كبرى في أكثر من
رسالةٍ وكتابٍ سماويٍّ ، رغم التزوير الذي طال التوراة والإنجيل .. فقد ورد في
سفر الرؤيا مجموعة من خصائص كبرى تتعلّق بـ " الأمين الصادق .. " ^٢ في
أكثر من بيانٍ ومعنىٍ وجهةٍ وكناية .. جاء النصّ بأشكالٍ مختلفةٍ منها الإشارة إلى
أورشاليم الجديدة : (أورشاليم " الجديدة .. ! " التي تنزل من السماء ، من
عند إلهي ، واكتب عليها إسمي الجديد ! من له أذنان فليسمع ما يقوله الروح
للكنائس ، واكتب إلى ملاك الكنيسة في لاودكية إليك ما يقوله الحقّ ، الشاهد
" الأمين الصادق " رئيس خليفة الله ..) . أورشاليم الجديدة هي تلك التي ورد
في حقّها (.. وأخذني الروح إلى قمة جبلٍ ضخمٍ عالٍ ، وأراني المدينة المقدّسة ،
أورشاليم ..) ^٣ (أرضاً جديدة لا بحر فيها ..) ^٤ صفات لا تنطبق على موسى
ولا عيسى عليهم السلام ، بل تنطبق بالضرورة التاريخية واللاهوتية وبشكلٍ لا
يقبل أيّ جدلٍ على رسول الله محمّد ، بمعنى أنّها صفات فعلية في حقّ النبيّ محمّد
والجبل الذي كان يصعد إليه " غار حراء " الذي لا يرى منه سوى الكعبة وبيت
الله الحرام .. ثمّ يضيف النصّ : (بيت الأشرارٍ يخرب وخيمة المستقيمين تزهر)

^١ رواد ابن عساكر وغيره ..

^٢ سفر الرؤيا ١١/١٩ كتاب الحياة ط ٨٢

^٣ سفر الرؤيا ١١/٢١

^٤ الرؤيا ١/٢١

(.. لذا أقول لكم ، إن ملكوت الله سينزع من أيديكم ، ويسلم إلى شعبٍ يؤدّي ثمره)^١ . (.. خيام أدوم (والإسماعيليين) وموآب .. (والمهاجريون)^٢

كلّ من يتصفح هذه النصوص تأخذُه العظمة (وقد أشرت بشكلٍ تفصيليٍّ إلى مجموعةٍ واسعةٍ من تلك الصفات بحقّ رسولِ الله وأهلِ بيته في دراسةٍ خاصّةٍ وكتابٍ متخصّصٍ في التوراة والإنجيل والقرآن) ... وعليه : أمام هذه المعاني الكبرى التي يشهد لها كلُّ التاريخ المخبري والتوصيفي وبشكلٍ حصريٍّ يدرك القارئ أنّ هذه المجموعة الدقيقة هي صفاتٌ ضروريّة وبشارةٍ كبرى بحقّ النبيّ محمّد (ص) بالإضافة إلى ما فيها في أكثر من إشارةٍ وكنايةٍ وبيان في حقّ آله وعلى رأسهم المهديّ (ع) .. فالمهديّ وفق فقه الرواية المتواترة هو الذي يخرج في آخر الزمان ، فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً في كتبِ الفريقين والأحاديث الواردة في ذلك لا حصر لها لكثرتها .. أمّا في سفر الرؤيا هو (.. الذي يقضي ويحارب بالعدل ..)^٣ وفي النصوص الإسلامية الصادرة عن النبيّ بالتواتر هو من ولدِ عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء ، والأهمّ أنّه هو الإمام الثاني عشر ، الذي يقيم العدل ويحارب كلّ القوى الظالمة في العالم من أجله ، وفي الحديث : المهديّ من عترتي ، من ولدِ فاطمةٍ وعليّ .. يقابله في سفر الرؤيا فقرات مذهلة ، مذهشة ، تأخذ بمجامع القلوب حيث ورد فيها :

(امرأةٌ متسرّبة بالشمس والقمر ،

تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من إثني

^١ متى ٢١/٤٣

^٢ مزامير ٨٣

^٣ سفر الرؤيا ١٢/١٩ كتاب الحياة ط ١٢

عشر كوكباً .. ولدت ابناً ذكراً عتيداً ، أن
يرعى جميع الأممِ بعضاً من حديد ..^١

لا يمكن على الإطلاق إلا الخشوع أمام هذه الفقرة .. ! فقرة تنقل عن
علم الله تعالى أنه سيكون هناك امرأة لها جلال وقدر وقيمة كبيرة من الله تعالى ،
هذه المرأة تكون متسرّبة بالشمس والقمر ، إشارة إلى رجلين عظيمين ، أي إلى
نبي ووصي ، وأن هذه المرأة على رأسها ١٢ إكليل من إثني عشر كوكب ..
إشارة واضحة إلى أن هؤلاء الكواكب يلاقون بلاءً وعذاباً ، في حين يكونون
على نحو مذهل من العظمة والمجد في موثيق الله .. الأهم هو الإشارة إلى أنه من
بين كل أولادها هناك ولد ذكر عتيد ، أعدّه الله ، ليرعى جميع الأمم بعضاً من
حديد ، وهذه إشارة إلى بسطه العدل ودين الله في العالم ، وبمعنى آخر : يعيد
كتابة تاريخ العالم الميداني والموثيقي بنحو هائل من المجد والقداسة والقوة .. لقد
علّق اللاهوتيون على هذه الفقرة فقالوا : إن هذه المرأة لا شك أنها تكون على
جلال كبير ، على عظمة عالية ، على قداسة كبرى ، أبوها وزوجها ، رمزا المجد
والقداسة ، رمزا العظمة مع الله ، أبناؤها عظماء في الأرض ، قادة أبرار ،
مقدّسون ، ومن بين أولادها واحد يحكم العالم ، يغيّر مجرى التاريخ ، يرعى جميع
الأمم بسلطة كبرى ، وسيطرة جبارة .. إكليلها الذي على رأسها من إثني عشر
كوكباً يشير إلى عظمة إثني عشر قادة أبرار عظماء يلقون من البلاء ما يلقون ،
في حين يقود واحد منهم كل الأمم بعضاً من حديد فيسقط دين الله والعدل في
كل أرجاء العالم ..

^١ سفر الرؤيا ١٢/٥ ، الكتاب المقدس ط ٨٣

وبكلّ صراحة ووضوح وبيان وجدّ علميّ بل وحقّة لاهوتية ، إنّ المرأة هذه هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد وزوجة الإمام علي ، أمّا الشمس فهي كناية عن أبيها رسول الله محمد (ص) والقمر كناية عن بعلمها وصي الرسول الإمام علي بن أبي طالب .. ! أمّا الإثنا عشر كوكباً ، الذين يشكّلون إكليل العظمة الكبرى على رأس هذه الصديقة الكبرى هم الأئمة الإثني عشر ، بدءاً من عليّ بن أبي طالب وصولاً إلى ولدها المهديّ (ع) الذي يسوق الدنيا كلّ الدنيا بعضاً من حديد إلى دولة العدل الإلهيّ التي تشمل جميع أنحاء العالم ..

ومن يتدبر مجموعة دقيقة وردت في شقيّ التوراة والإنجيل ، يدرك حقيقة ما أقول .. بدءاً من التوقّف عند شيلوه والبركليت وجبال فاران وصولاً إلى الصولجان ووصية يعقوب وغير ذلك ... فقد وردت مجموعة من نصوص مذهلة منها : (لا يزول صولجان من يهوذا ومشرع من صلبه حتى يأتي شيلوه وتطيعه الشعوب)^١

إشارة لا يمكن أن يقف أمامها أيّ سدّ علميّ إلا بالإعتراف أنّها وردت في حقّ رسول الله . وفي نصّ آخر جاء (... ومتى جاء ذلك البركليت (أحمد) فإنّه سيبتك العالم على خطيئة وعلى برّ وعلى دينونة ..)^٢

لا شكّ أنّه معنى متمم ومذهل في إشارته الترابطية مع المعنى الأوّل .. ومنها أنّ نبيّ الله يحيى (ع) كان قد دعا بني إسرائيل وهو يعمّدهم بأن يتوبوا إلى الله ويعدّوا أنفسهم لملاقاته قائلاً : (توبوا ، لأنّه قد اقترب ملكوت السموات

^١ سفر التكوين ٤٩ : ١٠ العهد العتيق ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ..

^٢ إنجيل يوحنا ١٦ : ٨

فإنّ هذا هو الذي تكلم عنه النبيّ أشعيا قائلاً : صوت صارخ في الصحراء ،
أعدّوا طريق الربّ ، اصنعوا سبيله مستقيمة ..^١

وفي رأس تلك النصوص نصّ عظيم ، نهائيّ البيان والحجّة في الدلالة على
عظمة رسول الله محمد حيث ورد فيه : (جاء الربّ من سيناء ، وأشرق عليهم
من سعير ، وتلألأ من جبال فاران ، حيث خرج وسط عشرة آلاف قدّيس ،
تشعّ لهم من يمينه أنوار الشريعة .. إنّه يحبّ أيضاً جميع الشعوب ، جميع هؤلاء
القدّيسين هم في يدك ، وهم جالسون عند قدميك ، يتلقّون أقوالك) .^٢

قال اللاهوتيون في ذلك : جبال فاران هي جبال مكة إشارة من الله إلى
مواضع ثلاثة : إلى موضع بعثة موسى (سيناء) وموضع بعثة عيسى (سعير)
وموضع بعثة محمد (فاران ، وهي جبال مكّة) .. لا شك أنّ هذا النصّ مذهل
بكلّ عنوانه وإشارته ودلالته .. بالأحرى ، إنّه شيلوه ورمز الصولجان ، وقد جاء
في سفر التكوين من الإصحاح التاسع والأربعين أنّ نبيّ الله يعقوب (ع) قال
لأبنائه وهو يوصيهم : (لا يزول صولجان من يهوذا ومشرع من صلبه حتى يأتي
شيلوه وتطبعه الشعوب)^٣

وأمام كلّ هذا ألا يحقّ لنا أن نسأل مجدداً :

من هو البركليت .. ؟

من هو شيلوه .. ؟

من هو صاحب نبوة جبال فاران .. ؟

^١ إنجيل متى ٣ : ٢-٣

^٢ سفر التثنية ٣٣ : ٢-٣

^٣ سفر التكوين ٤٩ : ١٠ العهد العتيق ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ..

من هو المقصود في وصية يعقوب .. ؟

على من تنطبق مواصفات كتاب أشعيا .. ؟

وستجد بكل مقاييس الحجّة والعلم أنّ الأمر لا يعدو رسول الله محمد وبشكل نهائي واضح ، لا يحتاج إلى إعادة تأمل أو تأويل أو شبه ذلك .. وأن من ولد هذا ، عبر تلك المرأة الجليلة العظيمة ، التي تتسربل بالشمس والقمر ، والتي على رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً ، سيكون ولد ذكر عتيد ، يقود الأمم بعضا من حديد .. وقد قال رسول الله (ص) : المهديّ من عترتي ، من ولد عليّ وفاطمة ، يخرج في آخر الزمان ، فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ..

لا شكّ أنّه الإعجاز والإعجاز المذهل ، الذي يخشع أمامه كلّ شيء ويقرّ بحقانيته كلّ عاقل .. لا شكّ أنّ هذا واحد من أمثلة نور الله التي لا تُطفئ .. والتي تظلّ متصلة بكلّ العوالم ، حجّة بعد حجّة ، وصلة بعد صلة ، قمراً وشمساً وكواكب من إثني عشر ..

لا شكّ أنّ موضوع النبيّ والأئمة من أهمّ المواضيع ، وهي ذات صلة متعدّدة في أكثر من عنوانٍ مركزيّ متّصل بضرورات البشر ومسيرتهم الجبّارة وها هو عصر المهديّ (ع) في ظلّ الغيبة الكبرى في موعد نهائيّ محتوم للخروج الشريف ، حيث البشرية تستقبل نوعاً آخر من نعم الله وبركاته ، في عالمٍ مختلفٍ تسيطر عليه حكومة أهل الجور والانحراف العالمي بمواثيق وقيم ومظاهر مختلفة ومخيفة .. من هنا كانت الضرورة وبشكل نهائيّ لبيان مجموعة من عناوين أساسية تتصل بما عليه عصر الغيبة والظهور الشريف وجبهات العالم وبيئته ، وما سيؤول

إليه أمرُ المهديِّ محمد بن الحسنِ (ع) .. جعلنا الله من أنصاره وأعوانه والذابين
عنه والمستشهدين بين يديه .. وحشرنا الله معهم ، في زمريتهم ، وشفّعهم بنا يوم
لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، بحق محمد وآله الطيبين
الطاهرين ..

ولادة الإمام المهدي (ع) ..

- (نموذج حركة التاريخ) ...

- ظرف الولادة .

- الجاوسوسية والحكم العباسي ومحاولة القضاء على الإمام

المهدي (ع) ..

- الإرادة الإلهية في حفظ الإمام ، عجل الله فرجه

الشريف ..

ولادة الإمام المهدي المباركة وحركة التاريخ

قيل في ولادة العظماء أنّها ولادة ذات بُعدٍ تاريخيٍّ متّصلٍ بنوع الأحداثِ التي ينحزونها في طولِ مسيرتهم ..

إذاً كيف هي الحالُ مع الإمامِ المهديّ (ع) الذي يغيّر وجهَ الدنيا من جورٍ وفجورٍ وانحرافٍ وانحدارٍ إلى عدلٍ وقسطٍ عالميٍّ من نوعٍ إستثنائيٍّ في ظلِّ مسيرةٍ جبّارةٍ يخوض في سبيلِ تحقيقها مجموعةٌ كبرى من قراراتٍ فكريّةٍ وحرّيّةٍ وسياسيّةٍ وجبهويّةٍ ذاتِ بُعدٍ عقائديٍّ كبيرٍ من أجلِ إقامةِ أمرِ العدالةِ الإلهيّةِ .. من هنا فإنَّ ولادةَ الإمامِ المهديّ هي واحدةٌ من نماذجِ ولادةِ العظماءِ الروحيين ذوي الإتّصالِ بعالمِ السماءِ وأفقِ الوجودِ .. فولادةُ النبيِّ محمدٍ (ص) أرنخت في السماءِ بمجموعةٍ من علاماتٍ كبرى ، خمدت أمامَ وهجها نارُ الجحوس ، وتداعت حينها أعمدةُ الهيكل ، واهتزّت عندها كرسي كسرى وقيصر .. وحين وُلد الإمام علي (ع) شقَّ اللهُ حائطَ الكعبةِ لتحتضنَ أشرفَ وليِّ سيغبر وجهَ العالمِ تحت مظلةِ الرسولِ الأكرم (ص) .. لذلك ، فإنَّ نموذجِ الحالِ في ولادةِ الإمامِ المهديّ محمّد بن الحسن (ع) المعدّ من قِبَلِ اللهِ لأكبر مشروعٍ وتغييرٍ عالميٍّ على الإطلاق

سيكون على نحو متصل بنوع من ذلك الإعجاز .. وإليك واحدة من تلك المعالم والوقفات في ولادة المهديّ (ع) ..

فقد روى الشيخ الصدوق في إكمال العدة عن حكيمة بنت الإمام الجواد أنّها قالت : بعث إليّ أبو محمّد الحسن بن عليّ (العسكري) فقال : يا عمّة ، اجعلي إفطارك الليلة عندنا ، فإنّها ليلة النصف من شعبان ، وإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجّة ، وهو حجّته في أرضه ، وأنّه المولود الذي يحيي الله عزّ وجلّ به الأرض بعد موتها ..

قالت حكيمة : فقلت : ومن أمّة ؟ قال لي (ع) : نرجس . قلتُ له : جعلني الله فداك ، ما بها أثر (أثر الحمل) .. ؟ فقال : هو ما أقولُ لك . قالت : فجئتُ ، فلما سلّمتُ وجلستُ جاءت نرجس وقالت لي : يا سيّدي وسيّدة أهلي كيف أمسيّتي ؟ فقلتُ لها : بل أنتِ سيّدي وسيّدة أهلي . فأنكرت قولي وقالت ما هذا يا عمّة .. ! — تكريماً لحكيمة من قبل نرجس سلام الله عليها — قالت حكيمة : فقلتُ لها : يا بنيّة إنّ الله سيهب لك — في ليلتك هذه — غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة ، فجلست نرجس واستحييت ..

فلما أن فرغتُ من صلاة العشاء أفطرتُ وأخذتُ مضجعي فرقدتُ ، فلما كان في جوف الليل قمتُ إلى الصلاة ، ثمّ جلستُ معقّبة ، ثمّ اضجعتُ ثمّ انتبهتُ فرعةً وهي راقدة ، ثمّ قامت فصلّت ، فقمت لأنظر فإذا بالفجر الأوّل قد طلع ، فدخلتني الشكوك ، فصاح بي أبو محمّد من المجلس (من الحجرة التي كان جالساً فيها) : لا تعجلي يا عمّة ، فإنّ الأمر قد قرّب .. فخرجتُ من أبي محمّد ومما وقع في قلبي ، فرجعتُ إلى الحجرة التي نرجس فيها ، وإذا بنرجس قد

قطعت الصلاة وخرجت فزعةً فلقيتها على باب البيت ، فقلت لها هل تحسّين شيئاً مما قلتُ لك .. ؟ قالت : نعم يا عمّة ، إني أجدُ أمراً شديداً . قلتُ : اسمُ الله عليك ، إجمعي نفسك ، واجمعي قلبك فهو ما قلتُ لك ، لا خوفَ عليكِ إنشاءً اللهُ ، فأخذتُ وسادةً فألقيتها وسط البيت وأجلستها عليها ، وجلستُ منها حيث تقعد المرأةُ من المرأةِ للولادةِ فقبضتُ على كفي وغمزتُ غمزاً شديداً ثم أنتِ آنّةً وتشهدتِ ..

فصاح بي أبو محمّد وقال : إقرئي عليها (إنّنا أنزلناه في ليلةِ القدر) فأقبلتُ أقرأُ عليها كما أمرني ، فأجابني الجنينُ من بطنها يقرأُ كما أقرأُ ، ففرعتُ لما سمعتُ ، فصاح بي أبو محمّد : لا تعجبي من أمرِ الله عزّ وجلّ إنّ الله يُنطقنا بالحكمةِ صغاراً ، ويجعلنا حجةً في أرضه كباراً ، فلم يستتمّ الكلام حتى غيّبت عني نرجس ، فلم أرها ، وأخذتها فترة ، فعدوت نحو أبي محمّد وأنا صارخة ، فقال لي : إرجعي يا عمّة ، فإنك ستجدينها في مكانها ، فرجعتُ فلم ألبث أن كشفَ الحجابُ الذي كان بيني وبينها ، وإذ أنا بها وعليها من أثرِ التورِ ما غشي بصري ، وإذ أنا بوليّ الله (المهديّ) متلقياً الأرض بمساجدهِ وعلى ذراعهِ الأيمن مكتوبٌ :

(جاء الحقّ وزهقَ الباطل ، إنّ الباطلَ كان زهوقاً) وهو يقول : أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله ، وحدهُ لا شريكَ له ، وإنّ جدّي محمّداً رسولُ الله ، وأنّ أبي أميرَ المؤمنين وليّ الله) ثمّ عدّ الأئمّة إماماً إماماً إلى أن بلغَ إلى نفسه ، ثمّ قال : (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، وأتمم لي

أمري ، وثبت وطأني ، واملأ الأرض بي عدلاً
وقسماً (ثم رفع رأسه وهو يقول (شهد الله
أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً
بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن
الدين عند الله الإسلام ..) ثم عطس فقال :
(الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد
 وآله ، زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة)
لو أذن لنا في الكلام لزال الشك ..

قالت حكيمة : فأخذت بكتفيه فضممته إلي وأجلسته في حجري ، فإذا
هو نظيف منظف ، فصاح بي أبو محمد (ع) : هلمني إلي يا بني يا عمّة ، فجئت
به إليه ، ثم أدخل الإمام العسكري لسانه في فيه ، وأمر يده على رأسه وعينيه
وسمعه ومفاصله ثم قال له : تكلم يا بني ، يا بني انطق بقدره الله ، تكلم يا حجة
الله وبقية الأنبياء ، وخاتم الأوصياء ، تكلم يا خليفة الأتقياء .. فتشهد حجة الله
بالشهادتين وصلى على النبي والأئمة الطاهرين واحداً واحداً ثم سكت بعد
وصوله إلى اسم أبيه ، ثم استعاذ من الشيطان الرجيم وتلى هذه الآية :

(وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا
فِي الْأَرْضِ ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ، وَنَجْعَلَهُمُ
الْوَارِثِينَ (٥) وَنُفِخَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ

فَرَعُونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
يَحْذَرُونَ (٦) ^١

تقول حكيمة : ثم ناولني أبو محمد (ع) وقال : يا عمه رديه إلى أمه كي
تقر عينها ولا تحزن ، إن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون .. تقول
حكيمة فرددته إلى أمه وقد انفجر الفجر الثاني فصلت الفريضة ثم ودعت أبا
محمد وانصرفت ..

لا شك أن هذا النوع الرائع من الإعجاز مأخوذ فيه الدور الوظيفي
الأكبر ، المعد له هذا الإمام العظيم ، الذي به يتم الله دار الدنيا على نوع شامل
من القسط والعدل بحيث تتحول إلى دار سلام .. وهذا الإعجاز مع أوصياء الله
وأنبياؤه نموذج متكرر بشكل وثيق ، وصورة مستمرة مع كبار أهل العظمة الذين
يعدون لأدق المراحل وأهمها في رحلة الوجود وحمل الرسالة وتبليغها سواء في
ذلك موقعا النبوة والإمامة .. الأمثلة كثيرة جداً ، منها ولادة عيسى الإعجازية
ونطقه في المهدي . يقول الله تعالى (فأنت به قومها تحمله ، قالوا : يا مريم لقد
جئت شيئاً فرياً ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً !
فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبياً ! قال : إني عبد الله ..) .

وهكذا مع النبي إبراهيم وقصة النار ونوح والطوفان وموسى والعصا
وغيرهم من الأنبياء والأولياء عرض الله لنا نموذجاً استثنائياً لمهمة استثنائية في عالم
استثنائي .. وعليه : من بديهى الأمور أن تكون ولادة المهدي مميزة وإستثنائية
وهو المكلف بمهمة هي من أدق المهمات على الإطلاق ، أي أنه المعد من قبل الله

^١ سورة القصص .

لمرحلة ما قبل نهاية التاريخ ، لإقامة القسط والعدل في عالم غارق بالجوهر والفساد في ظلّ جبهاتٍ هائلةٍ وأدواتٍ ثوريةٍ .. ومنذ تلك اللحظات التاريخية الأهمّ التي أشرق فيها وجهُ المهديّ (ع) بدأ الإمام الحسن العسكريّ بنشر خبر ولادة الإمام المهديّ حجّة الله من بعده على خواص أصحابه في ظلّ رقابة عباسيّة عالية جدّاً ، تداولتها كلّ كتب التاريخ ، وهي مجمعة على قتل أيّ مولود للإمام العسكريّ حثّولاً دون ولادة المهديّ الثاني عشر الذي يملئ الأرض قسطاً وعدلاً .. بل في كتب التاريخ بكلا القسمين العام والخاص ما يشير بشكلٍ متواترٍ وعالٍ وتعدّدي في النقل إلى أنّ العباسيين كانوا قد وضعوا الإمام العسكريّ تحت رقابة واسعة في ظلّ سجنٍ جبريّ (إقامة جبريّة) وكانت النساء العباسيات التابعات للنظام السلطوي في كلّ فصلٍ وموسمٍ وعامٍ تقوم بمهمّة التحريّ لوضع زوجة الإمام المهديّ ، لترى هل هي حامل أم لا .. ! حتى وصل الأمر في بعض الفترات إلى أن يُوضع الإمام العسكريّ في المعسكر بين الجيش والعسكر حثّولاً دون ولادة الإمام الثاني عشر بحيث إذا تمّ الأمر كان العباسيون يخطّطون لقتله مباشرةً ..

في المقابل ، كان المسلمون بكلّ روايتهم وعلماءهم ، بل عبر سلسلة السلاطين العباسيين يردّدون مقولة النبي الواسعة الانتشار من أنّ الإمام الثاني المهديّ هو المعدّ لحزيمة الجبابرة ، ولمنع الظلم ، وإسقاط العروش الباطلة .. إلا أنّ حكمة الله وإرادته أكبر من أيّ مخطّطٍ بشريّ على الإطلاق .. هي تلك قصّة النبي موسى (ع) حيث أمر فرعون بقتل كلّ وليدٍ ، إلا أنّ الله نجّاه وجعله نبياً ، بل عصمه في بيت فرعون نفسه ، في ظلّ العبدّة الصالحة آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون .. ! يقول الله تعالى في سورة طه :

(قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦) وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ
مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنْ اقْذِفِيهِ فِي
التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي
وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) إِذْ
تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ
أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ
وَفَتْنَاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ
يَا مُوسَى (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي
وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي (٤٢) أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ
قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ
عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
(٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا
تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ
(٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ
(٤٨) قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ
شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ
عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ (٥٢) الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُّوا وَارْعَوْا
أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ
وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥)

ومن موسى إلى عيسى إلى إبراهيم إلى إسماعيل إلى آدم وحواء والخلق الأول ، إلى المنطق الأول بين الملائكة والله تعالى متساءلين هل ستخلق بشراً يفسدون في الأرض ، ويسفكون الدماء ، فكان الجواب من الله (إني أعلم ما لا تعلمون ..) إن الحكمة التي احتضنتها سورة البقرة وهي تقصّ على مسامعنا سلسلة المسيرة البشرية بدءاً من الخطاب الأول بين الملائكة والله تعالى مروراً بالشجرة والجنة الأولى المعهودة وصولاً إلى الأرض وما فيها من نظم الاختيار والبلاء والإمتحان ، في ظلّ فاتحة ربّانية كبرى مفادها : بدء الأرض بنبوّة آدم وختامها بنبوّة محمد ووصيه المهدي المنتظر الثاني عشر من الأئمة .. هي تلك القصة البشرية بكلّ معانيها الإعجازية الكبرى حيث يقول الله تعالى :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)

ومن يراقب تعامل النبي محمد (ص) مع الإستحقاق الرباني المتعلق بالإمام المهدي فإنه يجد الرسول (ص) كثير الإهتمام وبشكلٍ مشيرٍ وعالٍ واستثنائيٍ بالمهدي حتى زرع في أسماع العالم وعلى طول مساحة الزمن أن الله وعد الأرض بالمهدي وهو من عترتي ، من ولد فاطمة وعلي ، ولا بد أن يخرج في آخر الزمان فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. طبيعة هذا الإستحقاق كان لها وقع غريب زمن الإمام العسكري ، من هنا كانت الأجهزة العباسية بدءاً من البلاط ، وصولاً إلى الجواسيس والعيون على وضع حامي ، وحساسية غريبة ، تراقب واقع الحال وتتهياً أمنياً لمنع تسلل المهدي إلى الوجود الخارجي ، وتصر على ضرورة إبطال أي إمكان عملي لإستمراره على قيد الحياة ، لكن حساب الناس القاصر لا معنى له أمام إرادة الله تعالى .. لقد كانت قصة نرجس كقصة أم موسى كما في الكثير من الأحاديث الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام حيث أخفى الله حملها وحفظ مولودها حتى في بيت فرعون نفسه ، وهي الحال تتكرر مع المهدي عليه السلام ، حيث أنه مع كل نمطية الطوارئ الإستثنائية والإقامة الجبرية التي وصلت إلى حد إسكان الإمام العسكري بالمعسكر ، بل بالقيام بفحصٍ دوريٍ مستمر ، لكشف حالة زوجة الإمام العسكري (ع) وحملها ، إلى

حدّ يأسِ العباسيين ، شاء الله أن يولد المهديّ ، وينطق صغيراً ، معلناً أنّه المعدّ لقطع دابر الظلمة ، وآته الذي يملئ الأرض قسطاً وعدلاً ..

ولأنّ الوضع دقيق جداً بخصوص الإمام المهدي (ع) كان لا بدّ من حيطةٍ عاليةٍ لحفظه ، من هنا لم يطلع الإمام العسكريّ إلا الخواصّ جداً على ولادته ، مع تفاوتٍ في الإشارة والبيان إلى أن توسّع الأمر نسبياً قبيل وفاته ، وعلى رأس من اطّلع على ولادته مجموعة من الخواصّ مثل عثمان بن سعيد وهو من أخصّ أصحابه وهو فقيهٌ عالمٌ عارف ، حيث أمره أن يشتري بعشرة آلاف رطل من الخبز وعشرة آلاف رطل من اللحم ويوزّعها على بني هاشم بعد أن بشره بولادة الإمام الحجّة المهديّ محمّد بن الحسن (ع) .. وعلى نفس هذه الخطى يبعث الإمام العسكريّ إلى خواصه يخبرهم أنّ المهديّ الموعود ولد بأمر الله تعالى ، منها رسالة بعثها إلى الشيخ أحمد بن اسحاق القميّ ، وهو من أجلاء أصحابه يبشره فيها بولادة الحجّة المهديّ ..

ولقد كان الإمام العسكريّ يجتمع بالثقات من شيعته وبشكلٍ حثيثٍ ودقيقٍ فيعرفهم على الإمام المهديّ ، المهديّ الموعود بنصّ النبيّ ، الذي أعدّه الله لإقامة العدل والقسط في آخر الزمان ، ومن هؤلاء الشيعة والخواصّ علي بن بلال وأحمد بن هلال والحسن بن أيوب وغيرهم ، وفي خبرٍ طويلٍ مشهور قالوا فيه جميعاً :

اجتمعنا إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ (ع) نسأله عن الحجّة من بعده ؟ وفي مجلسه أربعون رجلاً فقام إليه عثمان بن سعيد العمريّ فقال له : يا بن رسول الله ، أريد أن أسألك عن أمرٍ أنت أعلم به منّي .. ؟

فقال الإمام العسكريّ (ع) : أحبركم بما جئتم ؟

قالوا : نعم يا بن رسول الله .

قال (ع) : جئتم تسألوني عن الحجّة من بعدي .

قالوا : نعم .. وبينما هم كذلك وإذا بغلامٍ كأنه قطعةُ قمر ، أشبهُ النَّاسِ

بأبي محمّد العسكريّ ، فقال (ع) : هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ،

أطيعوه ، ولا تفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم . ألا وإنكم لا ترونه بعد

يومكم هذا حتى يتمّ له عمر ، فاقبلوا من عثمان ما يقوله ، وانتبهوا إلى أمره ،

واقبلوا قوله ..¹

وعمل الإمام العسكري على خطّةٍ دقيقة فلم ينشر خبر ولادة الإمام

المهديّ بشكلٍ واسعٍ وأحاطه بنوعٍ من التكتّم الشديد من قبل أصحاب الإمام

العسكريّ عليه السلام ، لكنّ طبيعة الأمور دلّت على شيءٍ ما ، وهذا ما راود

العيون والجواسيس ، بحيث كانت طبيعة الحركة تشير إلى أنّ شيئاً حدث في بيت

العسكريّ (ع) ..

لقد كانت ولادةُ المهديّ المفصل الأهمّ بالنسبة إلى الزمن القادم والعالم

الآخر لما لهذه الولادة من أثرٍ ووظيفةٍ وغايةٍ كبرى .. لقد كان الإمام العسكريّ

يرعاهُ بشكلٍ غريب ، لقد وصل الأمر إلى حدّ مذهل من الرعاية ، بل حين دبّ

به السّم ، الذي اغتاله عبره العباسيين كان الإمام العسكري يضمّ المهديّ إلى

صدره ، ويذكره بمجموعة أهل بيته ، وسلسلة الأَطهار كحلقاتٍ كبرى في عالم

البشريّة ومشارك الأرض .. ففي الرواية عن أبي سليمان داود بن عنان البحراني

¹ كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٧

قال : قرأت علي أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي ، دخلت علي أبي محمد (الحسن العسكري) في المرضة التي مات فيها وأنا عنده إذ قال لخادمه عقيد - وكان الخادم أسود ، نوبياً قد خدم من قبله علي بن محمد ، وهو ربي الحسن عليه السلام — :

قال : يا عقيد أغل لي ماء بمصطكى ، فأغلى له .. فلما صار القدح في يديه فجعلت يده ترتعد ، حتى ضرب القدح ثنايا الحسن (ع) فتركه من يده ، وقال لعقيد : ادخل البيت ، فإنك ترى صبياً ساجداً فأتني به ، قال أبو سهل : قال عقيد فدخلت أتحرى ، فإذا أنا بصبي ساجد ، رافع سبابته نحو السماء فسلمت عليه ، فأوجز في صلاته فقلت : إن سيدي يأمرك بالخروج إليه ، فجاءت أمه فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن عليه السلام ، قال أبو سهل فلما مثل الصبي بين يديه سلّم وإذا هو دري اللون ، وفي شعر رأسه قطط ، مفلج الاسنان فلما رآه الحسن عليه السلام بكى وقال : يا سيد أهل بيته اسقني الماء ، فإني ذاهب إلى ربي ، وأخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكى بيده ثم حرك شفثيه ثم سقاه ، فلما شربه قال : هيتوني للصلاة ، فطرح في حجره منديلاً فوضّاه الصبي واحدة واحدة ، ومسح علي رأسه وقدميه ، فقال له أبو محمد عليه السلام :

أبشر يا بني ، فأنت صاحب الزمان ، وأنت المهدي ، وأنت حجة الله على أرضه ، وأنت ولدي ووصيي ، وأنا ولدتك ، وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولدك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنت خاتم الائمة الطاهرين ،

وبشّر بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسماك وكنّاك
بذلك عهد إلى أبي عن آبائك الطاهرين ، صلى الله على
أهل البيت ، ربنا إنه حميد مجيد ، ومات الحسن بن علي
من وقته صلوات الله عليهم أجمعين ...^١

لا شك أنّ هذه واحدة من اللحظات الكبرى الأكثر إيلاماً ، في ظلّ
حصارٍ مخيفٍ وهائلٍ يصرّ على ضرورة التخلّص من الإمام المهديّ .. لكنّ إرادة
الله أكبر ..

لقد انتشرت ولادة الإمام المهديّ (ع) شيئاً فشيئاً ، إلى أن تمّ ظهوره
بشكلٍ علنيٍّ حسب كلّ التواريخ والرواة ، وذلك حين توفيّ أبوه الإمام الحسن
العسكريّ (ع) ، وكان عمره آنذاك ٥ سنوات ، مع التأكيد على أنّ الروايات
الناظرة إلى هذا الحدث كثيرة ومتعدّدة ، وسأعرض عليك رواية موثّقة واحدة
منها كشاهد ناظر إلى الأمور بعين الواقع التاريخيّ آنذاك .. وتجدر الإشارة إلى أنّ
الإمام العسكريّ قُتل مسموماً من قبل العباسيين .. إلى هذا المستوى وصل الأمر
بالعباسيين ظناً منهم أنّ قتل الإمام العسكريّ يحول دون ولادة الإمام المهديّ (ع)
ومن يقرأ هوامش التاريخ العام في هذه المحطّة من قبل العباسيين يدرك قيمة الأثر
الذي كان يضرب بعنف في صدورهم خوفاً من ولادة المهديّ ..

ولأنّ موضوع الإمام المهدي هو الحدث الأهمّ على الإطلاق منذ تلك
اللحظة وإلى قيام الساعة كان من الضروريّ جدّاً تسجيل مجموعة واسعة

^١ غيبة الطوسي : ص ١٦٥ - أحمد بن علي الرازي ، عن محمد بن علي ، عن عبد الله بن محمد بن خاقان الدهقان : * : منتخب
الانوار المضيئة : ص ١٤٢ و ١٠ - كما في غيبة الطوسي ، بتفاوت وقال وبالطريق المذكور يرفعه إلى إسماعيل بن علي ...

وعناوين كبرى في مقام الإمام بالمهديّ من قبل أبيه الإمام العسكري ضمن نسيج أصحابه وحاشيته وأتباعه وغيرهم ، فكانت حوادث كثيرة مذكورة بالتفصيل في كتب التاريخ العام والخاص ، منها أنه قبيل وفاة الإمام العسكري بخمسة عشر يوماً كتَبَ الإمام العسكري رسائل عدّة لشيعة من أهل المدائن ، وهو أسم كان يطلق على مجموعة مدن موجودة في العراق غير بعيدة عن بغداد وسلّم الرسائل إلى خادمه الثقة والعالم الكبير " أبو الأديان " وقال له :

إمضِ بها (أي الرسائل) إلى المدائن ، فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل — بعد عودتك من سفرك — إلى " سرّ من رأى " — أي إلى مدينة سامراء التي يسكنها الإمام العسكري (ع) — يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجديني على المغتسل ..

لقد كان الأمر مفاجئاً لأبي الأديان الذي بكى ، ثمّ سأل الإمام (ع) : يا سيّدي ، فإذا كان ذلك فمن الإمام بعدك .. ؟

قال الإمام العسكري : مَنْ طالَبَكَ بجوابات كُتِبِي فهو القائمُ بعدي ... (لاحظ أيّ تركيز ، تركيز على صفة ما ، للتأكيد والبيان .. !)

قال أبو الأديان : زدني . أي أذكر لي المزيد من العلامات ..

قال (ع) : من يُصَلِّي عليَّ فهو القائمُ

بعدي .

قلت : زدني .

قال : مَنْ أَخْبَرَ بِنَا فِي الْهَمِيَانِ (الْكَيْسِ)

فَهُوَ الْقَائِمُ بَعْدِي .

يقول أبو الأديان : منعتني هيئته أن

أسأله عمّا في الهميان .. ثمّ امتثلتُ أمره ..

يقول أبو الأديان : ... وخرجتُ بالكُتُبِ إلى المدائنِ وأخذتُ جواباتها ،

ودخلتُ (سرّاً من رأى) يوم الخامس عشر — كما أخبرني سيدي الإمام

العسكري — فإذا أنا بالواعية في داره ، وإذا به على المغتسل ، وإذا أنا بجعفر بن

عليّ أخيه (جعفر ابن الإمام الهادي) بباب الدار ، والشيعه من حوله يعزّونه

ويهنئونه (أي بالإمامة بعد الإمام العسكري) .. قلتُ في نفسي : إن يكن هذا

الإمام فقد بطلت الإمامة ، لأنّي كنتُ أعرفه يشرب النبيذ ويقامر في الجوسق

ويلعب بالطنبور .. فتقدّمت فعزيت وهنّأت فلم يسألني عن شيء ثمّ خرج عقيد

(خادم الإمام العسكري) فقال له : يا سيدي قد كُفّن أخوك ، فقم وصلّ عليه

فدخل جعفرٌ والشيعه من حوله — يقدمهم السمان والحسن بن عليّ قتيل

المعتصم المعروف بسلمة — فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن عليّ (ع)

على نعشه مكفناً ، فتقدّم جعفر بن عليّ ليصليّ على أخيه الإمام ، فلما همّ

بالتكبير خرج صبيٌّ بوجهه سُمره ، فحذّب برداء جعفر بن عليّ وقال : تأخر يا

عمّ ، فأنا أحقُّ بالصلاة على أبي .

فتأخَّر جعفر ، وقد إرْبَدَ وجهُهُ واصْفَرَ ، فتقدَّم الصبيَّ وصلى عليه ودُفِنَ إلى جانب قبر أبيه الإمام الهادي .. يقول أبو الأديان ثم التفت إلى الصبي وقال : يا بصريُّ هاتِ جواباتِ الكُتُبِ التي معك . فدفعْتُها إليه ، وقلتُ في نفسي : هذه بينتانِ (أي علامتانِ) بقي الهميان .. ثم خرجتُ إلى جعفر بن علي وهو يزفُرُ (أي يتنفسُ شهيقاً وزفيراً ..) فقال له حاجزُ الوشاء : يا سيدي ، مَنْ الصبيُّ .. ؟ لُقيمَ الحجَّةِ عليه ..

فقال : والله ما رأيتُهُ قطُّ ولا أعرفُهُ ..

وإذ نحنُ جلوس ، إذ قدِمَ نفرٌ من قُم ، فسألوا عن الحسنِ بن عليِّ (ع) فعرفوا موتهُ ، فقالوا : فمن بعد الإمامِ هو الوصيُّ .. ؟ فأشار الناسُ إلى جعفر فسلموا عليه ، وعزَّوه بالإمامِ الحسنِ العسكريِّ ، ثم هتَّئوه بالإمامةِ ، وقالوا : إنَّ معنا كُتُباً ومالاً ، فهل تقول ممَّن الكُتُبِ ، وكم المال .. ؟ وكانت هذه كغيرها من العلاماتِ المودعةِ عند بعضِ أصحابِ الإمامِ العسكريِّ من قبلِ الإمامِ نفسه للتعرفِ على الإمامِ المهدي من بعده ..

فلما سمع جعفر بن عليٌّ بذلك قام ينفضُ ثوبه ويقول : تريدون منا أن نعلمَ الغيب .. فخرجَ خادمُ الإمامِ وعرفهم على نفسه فقال : معكم كُتُبُ فلان وفلان ، وهميان فيه ألفُ دينار ، عشرة دنانير منها مطلية بالذهب . فصدَّقوه ودفعوا إليه الكُتُبَ والمال ، وقالوا : الذي وجَّه بك لأخذِ ذلك هو الإمام ..¹

إلى الكثير من الحقائق التاريخية الدقيقة في هذا المجال ، التي استطاعت أن تحطِّم سياسة العباسيين وتمنعهم من الاستيلاء على الإمامة ، خاصة إذا علمنا أن

¹ الرواية بتفاصيلها مروية في : إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٤٧٥

الظرف الأصعب تجلّى بتسُّر الإمام المهديّ (ع) الذي غابَ عن الأنظارِ بعد الصلاةِ على أبيه ، وأخذ يدير شؤون الإمامة عبر مجموعة من وسطاء كالحُدام وغيره من الأصحاب ، في ظلّ ظرفٍ مخيفٍ وعنيفٍ من قبلِ السلطة العباسيّة التي أصرتْ بشكلٍ حادٍّ على ضرورة مصادرة الإمامة الشيعيّة من أهل البيت ، ولو لشخصٍ سكرانٍ مثل جعفر ابن الإمام الهادي لصلته وقربه من الإمام ، بهدف حرق الواقع الإمامي إلى مجرد ملةٍ لدعم السلطان العباسي ، مع معرفتنا التاريخيّة لحقيقة ما تعنيه الإمامة الشيعيّة من قبلِ أهل البيت المعصومين عليهم السلام من عظمةٍ وقداسةٍ وقدرةٍ وممانعةٍ مذهلة ..

التاريخُ يحدث عن عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وزين العابدين ومحمّد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعليّ الرضا ومحمد الجواد وعليّ الهادي والحسن العسكري بشيئٍ مذهلٍ ، بشيئٍ فوق المقاييس ، بشيئٍ من العظمة والقوّة والممانعة والإستثناء الغريب .. من تلك النماذج ما حصل بُعيد إغتيال الإمام الرضا ومحاولة البلاط العباسي (زمن المأمون) السيطرة على الإمام الجواد الصغير في العمر عبر إسقاط إمامته بواسطة أكثر من طريق ، فجمع أهم علماء الأمصار وفقهائهم ومن دون معرفة الإمام الجواد (ع) لحشره في مجلس السلطان وطرح الأسئلة عليه إسقاطاً لما هو يقينيّ من أهل البيت أنّهم يحيطون بالعلم بشكلٍ مطلق وبهذه الطريقة تسقط الإمامة بشكلٍ مريعٍ أمام أعين الناس ..

يقول الشهيد المحدث النيسابوري : اتفق المأمون مع علماء زمانه على مساءلة الامام الجواد (ع) وكان قد اتفق رأيهم على أنّ المتكلم باسمهم هو أعلم أهل عصره بالنسبة لهم " يحيى بن أكثم " وكان عمر الامام محمد الجواد وقتئذٍ

تسع سنوات ، وذلك في محضر مجلس المأمون والعلماء .. استأذن يحيى بن أكثم من المأمون بالسؤال ، فأذن له .

فقال له الامام محمد الجواد : سل إن شئت .

فقال يحيى بن أكثم : ما تقول في محرم قتل صيداً . ثم سكت .

فقال الامام الجواد (ع) : قتله في حل أم في حرم .. ؟ علماً كان المحرم أو جاهلاً .. ؟ عمداً كان أو خطأ ... ؟ حراً كان أو عبداً .. ؟ صغيراً كان أم كبيراً .. ؟ مبتدئاً كان أم معيداً .. ؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها ؟ من صغار الصيد أم من كبارها .. ؟ مصرّاً على ما فعل أم نادماً .. ؟ أبالليل كان قتل صيده أم نهاراً .. ؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً .. ؟ .. إلى كثير من التفصيل والتفريع ، الذي هزّ أركان العلماء والمأمون معهم آنذاك .. ! حيث كلّ إجابة على هذه الأسئلة تحتاج إلى دليل وفقه وعالم عند ذلك تحيّر يحيى بن أكثم ، وبان في وجهه العجز ، وتلجلج ، ونظر بعضهم الى بعض فلم يجدوا جواباً ... بل انتظروا جواب الإمام على ذلك ، في ظل طاعة كبرى أبدوها في مجلس الإمام ، بل في ظلّ ذهولٍ خيّم على المأمون .. وبطبيعة الحال خرجوا وهم يهمسون (الله أعلم حيث يجعل رسالته ..) ... وكان قبل ذلك قد حاول المأمون إغتيال الإمامة عبر طريق مفاده عزل الإمام الجواد عن الناس وبالأخصّ عن الشيعة وإعلان أنّ الإمام الجواد يتعلّم من ابن الجنيد ... يقول أحد اصحاب الامام الرضا كنت يوماً أمشي في السوق وإذا بي أرى ابن الجنيد معلم الامام الجواد ، وكنت قد ضقت ذرعاً من تغييب الامام الجواد عن انظار الشيعة ، فالتفتُ الى ابن الجنيد وقلت له : السلام عليك أيها المعلم ، فردّ السلام عليّ ، قلت له : كيف دراية الجواد بن الرضا معك وأنت تعلمه .. ؟ فقال ابن الجنيد : الله أكبر ، أتزعمون اني اعلم ابن الرضا .. ! فوالله ما فتحتُ

عليه باباً من القرآن إلا فتح عليّ ألف باب ، ولا فتحت عليه باباً من الأدب إلا فتح عليّ ألف باب .. والله انه عالم بغير علم ، ولا تحيطه الانظار ...

إلى الكثير من هذه النماذج الغير عادية والتي تؤكدُ بشكلٍ نهائيٍّ إمامة هؤلاء من قبلِ الله تعالى .. ومن يراجع تاريخ الأئمة (ع) وتأثيرهم في واقع الحياة وضيق صدر الحكام منهم يدرك كم كانت الظروف صعبة عليهم في كلِّ عصرٍ وزمان .. لقد وصل الأمر بالمأمون إلى حدٍّ أرغم فيه الإمام الرضا على القبول بولاية العهد أو القتل فقط لتغطية حكمه ومنع تسلُّل الإهتبار إليه بعد أن انقطعت أنظارُ الناسِ إلى الإمام الرضا ، ثم بعد ذلك قتله بالسِّمِّ ..

إذاً كيف ستكون الحال مع الإمام المهديّ (ع) الذي يخرج في آخر الزمان ، وهو الإمام الثاني عشر الذي يحطّم العروش الجائرة .. ؟ لقد أقرَّ كلُّ المؤرِّخين بأنَّ ظرف الإمام العسكريّ والمهديّ كان صعباً للغاية ..

من هنا فقد أحاط الإمام العسكريّ بعضَ شيعته بمجموعة من علاماتٍ بيناتٍ من شأنها تثبيت الإمامة من جهة ، ومنع تسلُّل غير أهلها من مقامها ، وبهذا يحفظ إمامة المهديّ ويضمن له نوعاً من إستقرارٍ ضروريٍّ .. خاصةً أنّ جعفر بن عليّ هو شقيق الإمام العسكريّ والعباسيّون يصرون على أن يكون بعد الحسن العسكريّ ويدعمونه بكلِّ أداة .. لقد وصل الأمر مع جعفر الكذاب إلى حدٍّ أنّه ذهب إلى المعتمد العباسي الذي دسَّ السِّمَّ لأخيه الإمام العسكريّ وقتله فأخبره أنّ الإمام المهديّ المنتظر موجود ، وحيّ ، وهو الذي صلّى على أبيه ، وأنَّ لبعضٍ شيعته معه صلةً ، كما أنّ قسماً من أصحابه وشيعته يملكون مجموعة من علاماتٍ وبيناتٍ صعبة ، لا يقوى عليها هو ولا غيره ..

في هذه الأثناء من فشل العباسيين كلُّ شيءٍ تغيّر وتبدّلت مجموعة واسعة من الأوضاع في ظلّ سلوك سلطاني مصرّ على إغتيال الإمامة من جهة والقبض على الإمام المهديّ تمهيداً لتصفيته من جهةٍ أخرى .. ومع كلِّ العناوين التي تحدّثت عنها كتبُ التاريخ والتي لجأ إليها العباسيون من محاولة إغتيال المهديّ ، إلا أنّهم لم يستطيعوا ذلك أبداً ، فكان أن لجؤوا إلى محاولة تكريس إمامة جعفر الكذاب عبر مجلسٍ عليّ أقاموه فيه ، فما كان من أعيان الشيعة وغيرهم من أصحاب الإمام وأتباعه ، إلا أن قصدوا ذلك المجلس وبشكلٍ مستمرّ ، لإبطال إمامة جعفر الكذاب أمام أعين الملأ ..

ولقد احتضن التاريخ الكثير من تلك الصفعات العنيفة التي أصابت جعفر الكذاب ، واسقطت إمامته بوقتٍ قصيرٍ وقياسي . من تلك الوقائع التاريخية روى علي بن سنان الموصلي عن أبيه أنّه لما توفّي الإمام أبو محمّد العسكريّ قصد سامراء وفد من قمّ والجبال ومعهم وفودٌ بالأموال التي كانت تُحمل على الرسم والعادة ، ولم يكن عندهم خبرُ وفاة الإمام العسكري ، فلما وصلوا إلى سرّ من رأى ، سألوا عن سيّدنا الحسن بن عليّ .. ؟ فقيل لهم : إنّه قد فُقد .. (أي توفّي) .

قالوا : بقي بعده أخوه جعفر بن عليّ . (إشارة إلى مجلس علي بن جعفر وإمامته ..) .

فسألوا عنه ، فقيل لهم : إنّه قد خرج متنزّهاً ، وركب زورقاً في دجلة يشرب ومعه المغنّون .. ! (كان الأمر عبارة عن كارثة .. !)

وعبر هذه الطريقة الخطيرة جدّاً حاول العباسيون نسف الإمامة ، من خلال الإشارة إلى أنّ الإمام يشرب الخمر ، ويغني ويصاحب الراقصات ، ولا

يتورع عن الزنا ، وهو ماجن ، ما يدلّ بشكلٍ صريحٍ على بطلان صلة الإمامة بالله تعالى .. لقد استهجن الوفد القادم ذلك ودُعِرُوا منه عندها تشاوروا فقالوا : هذه ليست من صفة الإمام . وقال بعضهم : إمضوا بنا حتى نردّ هذه الأموال على أصحابها .. فقال أبو العباس محمد بن جعفر الحميريّ القميّ ، قفوا بنا حتى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره بالصحة .. مشيراً عليهم الإنتظار حتى عودته للتبيّن ..

فلما عاد جعفر ، دخلوا عليه فسلموا ، وقالوا : يا سيّدنا نحن من أهل قم ، ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها ، وكنا نحملُ إلى سيّدنا الحسن بن عليّ الأموال .. فقال : وأين هي .. ؟

قالوا : معنا .

قال : إحملوها إليّ .

قالوا : لا .. إنّ لهذه الأموال خبراً ظريفاً ..

قال : وما هو .

قالوا : إنّ هذه الأموال تُجمعُ ، ويكون فيها من عامّة الشيعة الدينار والديناران ، ثمّ يجعلونها في كيسٍ ويختمون عليه ، وكنا إذا وردنا بالمالِ على سيّدنا أبي محمد (ع) يقول : جملة المالِ كذا وكذا دينار ، من عند فلان كذا ، ومن عند فلان كذا ، حتى يأتي على أسماءِ الناس كلّهم ، ويقول : ما على الخواتيم من نقش .

فقال جعفر : كذبتُم .. ! تقولون على أخي ما لا يفعله ، هذا علم الغيب ، ولا يعلمه إلا الله .. ثم قال لهم : إحملوا المالِ إليّ .. قالوا : إنّنا قوم مستأجرون ، وكلاء لأرباب المال ، ولا نُسلمُ المالِ إلا بالعلامات التي كنا نعرفها

من سيّدنا الحسن بن عليّ ، فإن كنتَ الإمامَ فبرهن لنا ، وإلا رددناها إلى أصحابها ، يرون فيها رأيهم ..

فدخل جعفر على المعتمد العباسي وكان بس " سرّ من رأى " فاستعدى عليهم فلما حضروا قال المعتمد : إحملوا هذا المال إلى جعفر . فأخبروه أنّهم مستأجرون ووكلاء وقد جرت العادةُ من الإمام العسكريّ على بيان الصفات وهذا لم يفعل ... فقال جعفر : يا امير المؤمنين هؤلاء كذّابون يكذبون على أخي ، وهذا علمُ الغيب ..

عند هذه الصفة احتار كلُّ من المعتمد العباسي وجعفر الكذاب في مجلسٍ عموميّ فقال المعتمد العباسي : القوم رُسلٌ وما على الرسولِ إلا البلاغ المبين .. فطلب القوم من المعتمد العباسي أن يصحب معهم حارساً يحرسهم حتى يخرجوا من المدينة ، ففعل ، فلما أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام أحسن الناس وجهاً كأنه خادم ، فنادى : يا فلان ، ويا فلان أجيئوا مولاكم .. فقالوا : أنت مولانا .. فقال : معاذ الله .. أنا عبدُ مولاكم ، فسيروا إليه ..

قال فسرنا إليه معه حتى دخلنا دار الإمام الحسن بن عليّ فإذا ولده القائم سيّدنا قاعد على سرير ، كأنه فلقة قمر ، عليه ثياب خضر ، فسلمنا عليه ، فردّ علينا السلام ثم قال : جملة المال كذا وكذا دينار ، حمل فلان كذا وفلان كذا ، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع .. يقول : ظلّ الإمام يصف حتى وصف ثيابنا ورحلنا وما كان معنا من دواب فخررنا لله سجّداً شكراً لما عرفنا ، وقبلنا الأرض بين يديه ، وسألناه عمّا أردنا فأجاب فحملنا إليه الأموال ، وأمرنا القائم (المهديّ) أن لا نحمل إلى " سر من رأى " بعدها شيئاً من المال ، فإنه ينصب

لنا ببغداد رجلاً تُحمل إليه الأموال وتخرج من عنده التوقيعات .. قالوا :
فانصرفنا من عنده ، ودفع الإمام إلى أبي العباس محمد بن جعفر القمي الحميري
شيئاً من الخنوط والكفن ، فقال له : اعظم الله أجرك في نفسك .. قالوا : ...
فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفي رحمه الله .. وهكذا في كثيرٍ من
نصوص التاريخ إشارات كبرى إلى أدقّ مرحلة من الإعجاز الهائل الذي حطّم
أمل العباسيين في اغتيال الإمامة .. وكيف يكون ذلك والمهديّ هو من المحتوم
الذي سيغيّر وجه التاريخ و يقيم العالم على نحوٍ مختلفٍ ، ويسوق الأمم بعضها من
حديد ، فييسط العدل والقسط في كلّ أرجاء الدنيا ، على أن يكون الثاني عشر
والوصي الخاتم للرسول الخاتم في الأرض .. وقد اعترف الخليفة المعتمد يوم وفاة
الإمام العسكري بما عليه إمامة الإمام العسكري حين حمل إليه جعفر الكذاب
عشرين ألف دينار قائلاً : تجعل لي رتبة أخي الحسن .. فقال له :

إعلم أنّ منزلة أخيك لم تكن بنا ، إنّما
كانت بالله عزّ وجلّ ، ونحن مجتهدون في حطّ
منزله والوضع منه وكان الله عزّ وجلّ يأبى إلا أن
يزيده كلّ يومٍ رفعةً ، لما كان فيه من الصيانة وحُسن
السمت والعلم والعبادة .. فإذا كنت عند شيعة أخيك
بمنزلة فلا حاجة بك إلينا ، وإن لم تكن عندهم
بمنزلة ولم يكن فيك ما كان في أخيك ، لم نغن عنك
شيئاً ..^١

^١ إكمال الدين .

إنَّ من يراجع مجموعة من وقائع ذلك الظرف الأصعب يدرك عمق
الخطورة التي كانت تحيط بالإمام المهديّ ، من هنا كان لا بدّ من الإحاطة
بمجموعة من تدابير ضروريّة في مقام الإحتجاج ووصول الأحكام ، فكان منها
إقامة النواب الأربعة ، الذين إذا مات واحد قام الآخر بعده وهم :

١ . عثمان بن سعيد العمري .

٢ . محمّد بن عثمان العمري .

٣ . الحسين بن روح النوبختي .

٤ . علي بن محمّد السمري .

عثمان بن سعيد العمري (كنيته أبو عمرو) وهو عالم فقيه بارع ذائع
الصيت ، مشهود له عند الشيعة والعامّة ، وكان يتاجر بالسمن والزيت ، ولقد
كان له شرف خدمة الإمام الهادي (ع) يوم كان عمره ١١ سنة ، وقد بلغ رتبة
من الثقة عالية حتى أنّ أحمد بن إسحاق قال : سألتُ الإمام الهادي (ع) وقلت :
من أعمل ؟ وعمّن آخذ ؟ وقول من أقبل ؟ فقال الإمام (ع) :

العمريّ ثقّي ، فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّي
وما قال لك عنّي فعنّي يقول ، فاسمع له وأطع ، فإنّه
الثقة المأمون ..^١

وبعد وفاة الإمام الهادي أصبح وكيلاً للإمام العسكريّ (ع) وقد قال
الإمام العسكريّ في حقّه وحقّ ابنه لأحمد بن إسحاق : العمريّ وإبنه ثقتان ، فما

^١ الأصول من الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٣٠ وأيضاً كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٩

أديا إليك عني فعتي يؤديان ، وما قالوا لك فعتي يقولان ، فاسمع لهما وأطعهما ،
فإنهما الثقتان المأمونان ..^١

وكتب الإمام الحسن العسكري كتاباً مفصلاً إلى اسحاق بن إسماعيل
النيسابوري جاء في بعضه (... فلا تخرجن من البلدة حتى تلقى العمري وتسلم
عليه ، وتعرفه ويعرفك ، فإنه الطاهر الأمين العفيف ، القريب منا وإلينا ..) .^٢

وعن محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله السجستاني قالوا : دخلنا على
أبي محمد الحسن بـ " سر من رأى " وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته ، حتى
دخل بدر خادمه فقال : يا مولاي .. بالباب قوم شعثٌ غير ، فقال لهم (أي
للحاضرين) هؤلاء نفرٌ من شيعتنا باليمن .. إلى أن قال الإمام امض فاتنا بعثمان
بن سعيد العمري ، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان ، فقال له سيّدنا أبو
محمد : امض يا عثمان فإنك الوكيل ، والثقة المأمون على مال الله واقبض من
هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال .. فقلنا بأجمعنا : يا سيّدنا .. والله إن
عثمان بن سعيد لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وإنه
وكيلك وثقتك على مال الله ، فقال : نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد
العمري وكيلى وإن ابنه محمداً وكيلى ابني مهديكم ..^٣

وكان العمري يسكن في بغداد ، ويكثر السفر إلى سامراء ليلتقي
بالإمامين الهادي والحسن العسكري ، بل يستفاد من عدّة روايات أن العمري
حضر تغسيل الإمام العسكري وتحنيطه وتكفينه ودفنه ، وبعد وفاة الإمام

^١ الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٣٠ وكتاب الغيبة للطوسي ص ٢١٩

^٢ كتاب إختبار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ج ٦ ص ٥٨٠

^٣ كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٦ وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٥١ ص ٣٤٥

العسكريّ أبقى الإمام المهديّ العمريّ على وِكالته ، وهو النائب الأوّل للإمام المهديّ (ع) ، وقد عمل العمريّ كصلة وصل بين الشيعة والإمام المهديّ عبر مجموعة من مراسلات وشبه ذلك ، في ظلّ تكتمٍ شديدٍ وانتشارٍ أمنيّ عالٍ وواسعٍ من قبلِ العباسيين الذين أصرّوا على معرفة مكان الإمام المهديّ للقبض عليه واغتياله .. ويسجّل التاريخ في هذه الفترة أنّ العباسيين فرضوا وضعاً إستثنائياً خطيراً لإسقاط دور الإمامة وقتل المهديّ ، خاصّة بعد الفشلِ الذريع الذي أصيبوا به بعد السقوط المريع لما سوّقوا له من إمامة جعفر الكذاب الذي هُشمَ أمام مجموعة من علامات وبيّناتٍ كان الإمام العسكريّ قد زوّد بها أصحابه في الأقطارِ والأمصار ، ما أدّى إلى تداعي خطير في خطة العباسيين الذين انتقموا بشكلٍ لثيمٍ من شيعة الإمام المهديّ وعملوا على إسقاط حقوقهم وسجنهم وتعذيبهم وشبه ذلك ..

وكان العمريّ يلتقي بالإمام المهديّ عليه السلام سرّاً ، ويحمل إليه الرسائل من الشيعة في ظلّ تكتمٍ وحيطةٍ واسعةٍ فيجيب الإمام على رسائلهم وأسئلتهم .. ولما حانت وفاة العمريّ أمره الإمام المهديّ أن ينصّب ولده محمد بن عثمان من بعده ليكون صلة الوصل بينه وبين شيعته ، وهذا ما حصل ، وكان ابنه من علماء ذلك العصر ، ومن مشهورينهم ، وذاع صيته بالفقه والعلم والتقى بشكلٍ كبير .. فقد بعث الإمام المهديّ رسائل عدّة إلى زعماء الشيعة وأعيانهم يخبرهم فيها أنّه قد عين محمد بن عثمان نائباً له مكان أبيه . من تلك الرسائل الرسالة التي بعثها إلى محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي وقد جاء فيها : (... والإبن وفاة الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونصره

وجهه ، يجري عندنا مجراه ، ويسد مسدّه ، وعن أمرنا يأمرُ الإبنُ وبه يعمل ،
تولاهُ الله ، فانتَه إلى قوله ..)^١

وفي رسالة من الإمام المهديّ إلى محمّد بن عثمان قال فيها : إنّنا لله وإنا
إليه راجعون ، تسليمًا لأمره ، ورضاءً بقضائه ، عاشَ أبوك سعيداً ، وماتَ حميداً
فرحمه اللهُ ، وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام ، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ،
ساعياً فيما يقربه إلى الله عزّ وجلّ وإليهم ، نصرَ اللهُ وجهه وأقاله عشرته .. أجزل
الله لك الثواب ، وأحسن لك العزاء ، رُزئتَ ورُزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا ،
فسرّه اللهُ في منقلبه ، كان من كمالِ سعادته أن رزقه اللهُ تعالى ولداً مثلك ،
يخلفه من بعده ، ويقوم مقامه بأمره ، ويترحّم عليه ... كان وليّاً وحافظاً وراعياً
وكافياً ومعيناً ..)^٢ وقد وصل إلى الشيعة من الإمام المهديّ مجموعة من الرسائل
التي تخبرهم أن الوكيل الثاني هو محمّد بن عثمان .

في هذه الأثناء كان الإمام المهديّ مستتراً في ظلّ عسكرةٍ خطيرةٍ من قبل
العبّاسيين الذين لم يتركوا مكاناً إلا رصدوه للقبضِ على الإمام المهديّ وإفشال
أيّ عمليّة تواصل بينه وبين شيعته ..

وعندما حانت وفاة النائب الثاني محمّد بن عثمان العمري ، أشار عليه
الإمام المهديّ تسليم الأمر إلى الحسين بن روح النوبختي ، وهو من علماء الشيعة
وأعيانهم ومشهورهم ، بل من كبار فقهاءهم ، وله احترام واسع في صفوفِ كلِّ
علماء الإسلام آنذاك ، وقد كان من قبل ذلك وكيلاً للنائب الثاني محمّد بن

^١ الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٠

^٢ إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٥١٠ وأيضاً في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي .

عثمان ، يقوم بدور الوساطة بينه وبين الشيعة في نقل ما يريدُه الإمام من شيعته وما يستفسرون عنه من قبله (ع) . وعليه : قبل وفاة النائب الثاني أمره الإمام المهدي أن يقيم الحسين بن روح مقامه في النيابة الخاصة ، وأن يخبر الشيعة بذلك فكان أن جمع محمد بن عثمان العمري عيون الشيعة وخواصهم وبشكلٍ سري أيضاً فأخبرهم قائلاً : إن حدث عليّ حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي ، فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي ، فارجعوا إليه ، وعولوا في أموركم عليه ..)^١

وقبل وفاة محمد بن عثمان حضر عليه جمع كبير من أعيان الشيعة لعيادته وتوديعه فقال لهم (هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي ، القائم مقامي ، والسفير بينكم وبين صاحب الأمر (ع) والوكيل والثقة الأمين ، فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم بذلك أمرت وقد بلغت ..)^٢

ولقد قام الحسين بن روح بمهمته بشكلٍ عالٍ ، في ظل ظروفٍ صعبةٍ جداً ، وانتشارٍ واسعٍ للجواسيس بعد أن انتشر خبر أن شيعة المهدي يرأسلونه ويرأسلهم ، وله عيون ووسائط ، فكان العباسيون في هذه الفترة يعتمدون وسائل الإكراه والسجن والعنف بشكلٍ واسعٍ كطريقة للإنتقام من المهدي وشيعته ..

وما تجدرُ الإشارةُ له هو أن بعض رموز الشيعة كانوا يتوقعون أن يكون جعفر بن أحمد بن متيل النائب بعد محمد بن عثمان لشدة العلاقة بينهما بل بلغ الأمر بمحمد بن عثمان في أواخر حياته أنه كان لا يتناول الطعام بشكلٍ إعتياديّ

^١ كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٧

^٢ كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٧

إلا في بيت جعفر بن أحمد .. إلا أن التوقيع صدر من الإمام المهدي عليه السلام بتنصيب الحسين بن روح ، بخلاف أي توقع ، فما كان من جعفر بن أحمد بن متيل إلا أن وضع نفسه بشكل مقدس ومتفان بين يدي الحسين بن روح .. (هذا سرّ عظيم من أسرار العظمة وروح الإيمان ، ودليل على حكمة الله وربانية التسمية للسفراء ..) .

وإلى أن حانت وفاة الحسين بن روح سنة ٣٢٦ هجرية ، وكانت مدة سفارته ٢١ إلى ٢٢ سنة .. في ظلّ شهرة وصيت وفقه وعلم وورع شهد به كلّ أهل الزمان وعلماءهم آنذاك ، هنا اختار الإمام المهدي (ع) عليّ بن محمّد السمرّي (أبو الحسن) ليكون النائب الرابع ، فكان مثال النيابة ، عظيماً في وظيفته ، دقيقاً في مهمته ، سجّل له التاريخ أنه كان من مشاهير علماء آل محمّد وبوفاته انقطعت النيابة الخاصة وبدأت الغيبة الكبرى للمهديّ عجل الله فرجه الشريف بمحمّد وآل محمّد وجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهادين بين يديه ..

لقد كان محمّد بن عليّ السمرّي من الأعيان الأعيان والعلماء العلماء والثققات الثققات ، بل كان عيناً في طول ذلك المجتمع الإسلاميّ ، من كراماته أنّه أخبر وهو في بغداد ، بموت عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ (والد الشيخ الصدوق) وهو في الريّ ساعة وفاته ، أمام جماعة من الشيعة كانوا يحضرون مجلسه .. كلّ التواريخ تحدّثت عنه ، حتى تواريخ أهل السنّة ، لما كان عليه من علم وفقه واعتقاد وورع ، وفهم وزهد .. حتى العباسيين كانوا يهابون مجلسه ..

قام السمرّي بمهمّة السفارة بشكل عال ومميّز ، في ظلّ أسوأ الأزمات التي كانت تلاحق الشيعة ، إلى أن توفيّ رحمه الله تعالى ، وبوفاته انقطعت الغيبة

الصغرى ، لتبتدأ الغيبة الكبرى ، والتي هي ممتدة إلى يومنا هذا ، ليقطعها الظهور العالمي المشرق للإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف .. وقد صدر التوقيع من الإمام المهديّ إلى السمرى قبيل وفاته بستة أيام وجاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، يا عليّ بن محمد السمرى ، أعظم الله اجرَ إخوانك فيك ، فأنتك ميتٌ ما بينك وبين ستة ايام ، فاجمع أمرك ، ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت " الغيبة التامة " ، فلا ظهور ، إلا بعد إذن الله تعالى ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً ...)^١

وقد توفي عليّ بن محمد السمرى سنة ٣٢٩ هجرية ..

وما تجدر الإشارة له هو أنّ وكلاء الإمام المهديّ الأربعة أقاموا سلسلة من وكلاء لهم عبر تنظيم دقيق في المناطق والأمصاّر ، من أجل تبليغ الشيعة ما يصدر عن الإمام المهديّ (ع) فكان من هؤلاء الوكلاء المعيّنين من قبل النواب الأربعة :

- حاجز بن يزيد الوشاء .
- إبراهيم بن مهزيار .
- محمد بن إبراهيم بن مهزيار .

^١ الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٤٢ ، وإكمال الدين للصدوق ج ٢ ص ٥١٦

- أحمد بن إسحاق الأشعري القمي .

- محمد بن جعفر الأسدي .

- القاسم بن العلاء .

- الحسن بن القاسم بن العلاء .

- محمد بن شاذان ..

وآخرون آخرون أكثر من الذين احتلوا موقع تبليغ الوظيفة الشرعية الصادرة من الإمام المهدي (ع) .. في ظل سلطة وضعت على رأس القائمة في نظامها التنكيل بالشيعة ، وزجهم بالسجون ، وقتلهم ، ومنعهم من الحقوق المالية والاجتماعية والقضائية والمدنية وشبه ذلك .. ومن يراجع التفاصيل هذه في كتب التاريخ يرى ما يثيره من شدة ما تعرض له الشيعة ، من بلد إلى بلد ، ويكفي أن نشير إلى أنه لم يمض أي واحد من الأئمة موتاً ، بل قتل إما بسيف أو بسم ..

يُشار إلى أن الإمام المهدي بعد وفاة أبيه سكن في سامراء متخفياً ، وقد تشرف شيعة أكثر بلقائه في الفترة الأولى ، وسلموا إليه الأموال ، إلا أن ظروف الطلب على الإمام منعه من الإتصال المباشر بهم ، فكان لا بد من إقامة النواب الأربعة الذين قاموا بمهمة التواصل مع الشيعة وبشكل سري بعيد عن أنظار السلطة العباسية ..

وقد حاول العباسيون مرات عديدة إلقاء القبض على الإمام المهدي إلا أنهم فشلوا بذلك ، بل إن العباسيين قبضوا على السيدة نرجس أم الإمام المهدي في محاولة منهم للقبض على الإمام المهدي والضغط عليه .. وبعد مرور ١٩ سنة أصبحت بغداد عاصمة العباسيين بعد أن كانت سامراء العاصمة ، فانتقل إليها

البلاط الحاكم ، وكان وقتها على رأس الحكم العباسي المعتضد ، فقرر المعتضد اغتيال الإمام المهديّ بأيّ وسيلة ، فأرسل إلى ثلاثة من المقرّبين لديه ، وأمرهم بالخروج إلى سامراء ، وبطريقة لا توحى أنّ في صدرهم شيء ، وذلك عبر نموذج جاسوسيّ بحيث يدخلها كلّ واحدٍ بشكلٍ منفرد ، فلا يصحبوا معهم متاعاً ، ووصف لهم منزلاً في سامراء وقال لهم : إذا أتيتم الدار تلك ، فإنّكم تجدون على الباب خادماً أسوداً فاكبسوا الدار ، ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه .. وقد روى أحد هؤلاء الثلاثة واسمه رشيق مجموعة من محاولاتٍ لإغتيال الإمام المهديّ كانت تفشل بشكلٍ يدلّ على الإعجاز الربانيّ العالي الذي حفظ به وصيّته المهديّ محمد بن الحسن عليه السلام ..

وأحبّ هنا أن أشير إلى أنّ الله حفظ أنبياءه وأولياءه المعدّين لنشر معالم الشريعة وتطبيقها بمجموعةٍ كبرى من العناوين الخارجة عن إطار الناموس الأوّلي إنّ من يراجع قصص النبيين مثل قصّة النبي موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام يجد فيها المعجزات المذهلة للحيطة والحفظ والكرامة .. وبطبيعة الحال أمر المهديّ من نفس هذه المشكاة .. وكيف لا يكون كذلك وهو المعدّ لإقامة العدل الإلهي كخاتمة وجوديّة طاهرة على أرض الله تعالى ..

من هنا فإنّ ما أشرت إليه من حفظ الإعجاز إنّما هو صورة نموذجيّة عن الحيطة التي وضعها الله لحماية الإمام المهديّ (ع) الذي أعدّه الله أصلاً لإقامة العدل والقسط ونشره في العالم مطلقاً لتكون خاتمة الأرض العادلة على يديه .. والأمثلة التاريخيّة التي لا تفسير لها إلا وفق معنى الإعجاز كثيرة في طول مسيرة أئمة أهل البيت ، باعتراف كلّ الكتب التاريخيّة العامّة والخاصّة ، وهي أوسع من أن تُحصّر في خانة ، بل من يراجع تاريخ النبيين يدرك أنّ يد الله هي الوحيدة

القادرة على حماية أنبيائه وأوصيائه وأوليائه .. لقد حدثنا التاريخ عن كثير من محاولات إغتيال المهدي وقتله ، مرةً بالسرّ ومرةً بالعلن ، منها كُثرة المحاولات التي قام بها المعتضد العباسي عبر العسكر بعد الفشل الذريع للجواسيس والعيون في قتل الإمام بحيث بعث عسكره وبجهار النهار للقبض على الإمام المهدي بعد أن أخبره عيونه وجواسيسه بضرورة الأمر ، فلمّا دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة قرآن فاجتمعوا على الباب حتى لا يخرج الإمام ، وأميرهم قائم ، فخرج الإمام من السكة التي هي على باب السرداب ، ومرّ عليهم من دون أن يحرّكوا ساكناً ، عاينوه وعابنهم وهم صامتون هامدون ، ثم باءت محاولتهم بالفشل ..

على الأقلّ الكلّ متفق على أنّ كلّ شيءٍ كان يشيرُ إلى أنّ أمرَ الله في المهديّ ماضٍ بشكلٍ نهائيّ ولا رادّ لأمرِ الله تعالى ، سواء كان ذلك عبر الحماية الإعجازيّة أو عبر إخفائه وستر شخصه عن الناس ..

والأمثلة في هذا المجال كثيرة ، واللافت فيها أنّ أعلى مقام السلطة في الدولة العباسيّة كان يصرّ على ضرورة التخلّص من الإمام المهديّ ، ما يعني أنّ ظاهرة الإمام المهديّ فرضت نفسها بقوة على السلطان آنذاك وبشكلٍ متسلسلٍ لما تعنيه من محورٍ تاريخيٍّ مُسقِطٍ لحكم الجبابرة وشبه ذلك ..

المهمّ أن ندرك أنّ الظرف التاريخيّ آنذاك كان عسيراً وصعباً جدّاً ، لكنّ ذلك لم يكن ليتجاوز أمرَ الله تعالى في حفظ المهديّ (ع) .. وقد جند العباسيون مجموعة دقيقة وواسعة من طاقاتهم ، لإجهاض ظاهرة الإمام المهديّ لكنّ كلّ محاولاتِهِم تلك باءت بالفشل ... لقد حاولوا جاهدين القبض على الإمام المهديّ ومن يتصل به ، لكنهم كانوا يفشلون ، نعم نالوا من مجموعة واسعة من شيعة

الإمام تحت شعار منعه من حقوق بيت المال بل وسجنهم ، وقُتل البعض منهم
وعُذب آخرون بشكلٍ شرسٍ بهدف إجبارهم على الإقرار . يمكن وشخص الإمام
المهدي : أين يتواجد .. ؟ ومتى .. ؟ لكن إرادة الله التي هيئت هذا الإمام لنشر
العدل في العالم كانت تحفظه لإتمام المفصل التاريخي الأهم في مسيرة البشرية
والعالم الجديد ..

وفي تاريخ الأنبياء الكثير من المعاني المتصلة بضرورة الإحاطة الناموسية
الإعجازية للمعصوم ، خاصة على قدر الوظيفة المُعد لها .. لقد أنطق الله عيسى
في المهدي وخلقه من غير أب ، ونجا موسى من فرعون وهو في داره وبيته وبين
قبضتيه ، وأمر رسوله محمد بالخروج من داره في مكة وفوارس مكة يحيطون به
من كل جانبٍ وصوب وعلى عواتقهم السيوف .. وهو الذي حرّك العصا بيد
موسى فإذا بما ثعبان يلقف ما صنع السحرة .. وهو من شق حائط الكعبة لعليّ
بن أبي طالب حيث وُلد فيها .. وهو الذي أنطق الإمامين محمد الجواد وعليّ
الهادي بعمر ٧ سنوات بما عجز عنه كل علماء الإسلام من حكمٍ وبيانٍ مذهليّ
وهائلٍ ومعجز .. كل التاريخ يشهد بذلك في ظل إعجازٍ يتلو إعجاز ، وفي
كتب الفريقين من العامة والشيعة الكثير مما يشهد لذلك وهو صحيح ومعتبر
وموثق .. وعليه : إن المهديّ (ع) هو واحد من سلسلة هؤلاء العظماء العظماء
الذين مضى أمر الله فيهم ، ليكون المفصل الأهم في نشر القسط والعدل العالمي
في ظلّ نصره كبرى من الناموس وآيات الله تعالى ..

وُلد القائم الإمام المهديّ (محمد بن الحسن عليه السلام) فكانت
الإشراق الضرورية لهذا العالم في قافلة الوجود البشري ، وها هو يحتضن العالم
بنوره المبارك ، وها نحن الآن في ظلّ الغيبة الكبرى ، إلى أن يأذن الله له بالخروج

المحتوم ، فإذا خرج أقام القسط والعدل في كلِّ نواحي العالم ، ومنَّ اللهُ على
البشريَّة بالخير والرضوان ، فتُخرج الأرض خيراتها ، وتُهبطُ السماء بركاتها ،
ويشرق الكونُ بنورِ اللهِ تعالى ..

آخر الزمان :

- (نموذج المفاهيم والقيم) .
- الفساد الموثيقي .
- الإنحراف المجتمعي .
- إعلان العلمنة كميثاق ضروري للحركة الكيانية في العالم ..
- وقفة حية مع عالم ما قبل الظهور ...

معالم آخر الزمان (صورة أولية تمهيدية)

تعبير " آخر الزمان " كان العنوان الأبرز في كثيرٍ من نصوصِ النبيِّ والأئمةِ المعصومين عليهم السلام ، لما اقترنَ به من ضرورةٍ مع ظهور المهديِّ في فترةٍ من انحرافِ كبرويِّ مركزي يضرب بقيم العالمِ ومواريثه ومسالكه .. وفي كثيرٍ من العناوين كان النبيُّ يشيرُ إلى أنَّه في ذلك الزمن تتغيَّر المعالم في القيمِ والمفاهيم ، وتتبدَّل المسالكُ ، وتحوَّل محرِّكات الهدف في عالمٍ ينوء من الانحرافِ بفقهِ الوجودِ ومعالم الغاية ... من تلك النصوص ما جاء في إكمال الدين بالنصِّ عن ابن عباس عن النبيِّ (ص) أنه كان يتحدَّث عن الليلة التي عرج بها نحو السماء وما خاطبه به اللهُ تعالى إلى أن قال عزَّ وجلَّ :

.. وأعطيتك عهداً ، أُخْرِجُ من صلبه (أي من صلب الإمام علي بن أبي طالب) أحد عشر مهدياً ، كلهم من ذرِّيَتِكَ ، من البكرِ البتول ، وآخر رجل منهم يصلِّي خلفه عيسى بن مريم ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، وأنجي به من الهلكةِ وأهدي به من الضلالةِ .. فقلتُ سيدي ومتى يكون ذلك ، فأوحى إليَّ عزَّ وجلَّ :

يكون ذلك إذا رُفِعَ العلم ، وظهر الجهل ،
وكثر الفساد ، وقلَّ العمل ، وكثر القتل ، وقلَّ الفقهاء
المهادين ، وكثر فقهاء الضلالة ، وكثر الشعراء واتخذ
قبل قبورهم مساجد ، وحلَّت المصاحف ، وزخرفت
المساجد ، وكثر الجور والفساد ، وظهر المنكر ، وأمروا
أمتك به ونهوا عن المعروف ، واكتفى الرجال بالرجال
والنساء بالنساء ، وصارت الأمراء كفرة ، وأولياؤهم
فجرة ، وأعوأتهم ظلمة ، وذوو الرأي منهم فسقة ،
فعند ذلك ثلاثة خسوف^١ : خسفٌ بالمشرق ، وخسفٌ
بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرة العرب ، وخرابُ البصرة
على يد رجلٍ من ذريتك يتبعهُ الزوج وخروج رجل
من ولدِ الحسين بن عليٍّ ، وخروج الدجال ، يخرج
بالمشرق من سجستان ، وظهور السفياي . فقلتُ يا
إلهي ، ومتى يكون بعدي من الفتن ؟ فأوحى الله إليَّ
وأخبرني ببلاء بني أمية ، وفتنة ولد العباس عمي ، وما
يكون وما هو كائن إلى يومِ القيامة ...^١

لا شكَّ أن في هذا الحديث مجموعة دقيقة لما يجري في آخر الزمان ،
أهمها : ترك العلم والعمل بكتاب الله وفق الشريعة التي بعث الله فيها محمداً (ص)
فيبطل ذلك بنسبةٍ كبرى وواسعة ومخيفة ، بحيث يبدو العالم وهو يعيش زمنَ
الجور والفساد ، وقد أشار الحديثُ إلى أن من عناوين ذلك الزمن أن اللواط

^١ بشارة الإسلام للسيد الكاظمي ص ٨ .

والسحاق والزنا يكونان ظاهرة واسعة ، وبصورة أوسع ، يكون المنكر مسيطراً على القيم والسلوك والمواثيق ، فتحتاج العالم . وفي هذا الحديث إشارة دقيقة إلى أن هذه القيم من المنكر تصبح بمثابة قانون ، بمثابة إزام ، بمثابة انطباق إجتماعي معولم ، لا يجوز الخروج عنها ، سواء كانت تلك الجبرية وفق معنى المواثيق القانونية التي تصدرها المؤسسات الدستورية ، وهي بطبيعة الحال ركيزة أكيدة في هذا المجال أو أنها تستفيد أيضاً من " الجبرية الإجتماعية " ذات المدلول السلوكي لما عليه الأعراف والشارع والمؤسسات التجارية السوقية الدعائية التي تعمل على صناعة قيم السوق والشارع ذات التقاطع التجاري المسلكي ، فتغزو الأسواق وتضرب في القيم بوسائط عدة ، وعلى سبيل التقريب والمثال أشير إلى ما عليه عالم مملكة هوليدود الإعلامية اليوم التي تقود العالم بقيم سوقية المخدرات والدعارة والقتل والعنف والعشية ونسف أي قيمة أخلاقية ذات بعد إنساني مع ما تسيطر فيه على معاقل العالم .. بمعنى أن العالم يُقاد بطريقة واسعة من قيم منحرفة تؤثر في الجوانب الوجودية فينعكس أثرها في الجهات الأخرى من أدبية وأخلاقية وإجتماعية ومدنية وسياسية وسوقية ، فضلاً عن الجهة العقائدية حول فلسفة الوجود وغاياته الضرورية ..

ويشير النص الصادر عن النبي بظرف زمني مختلف جداً عن عصر الإنطباق والتحقق الفعلي إلى أن زمن الظهور سيكون على نوع مختلف جداً عما عليه عصر النبي ، لصالح حكومة الجور وإبطال المعروف وتأسيس حكم منكر واسع ومتمكن ، يعاند بقوة مواثيق الشريعة ، وأن أمة محمد (ص) لا تكون لديها الممانعة بصورة عامة ، بل تسقط أمام هذا الواقع وينسب مختلفة ، وهذا ما سنتوقف عنده بتفصيل مهم فيما بعد إن شاء الله تعالى .. ولجهة العلامات التي

تشيرُ إلى ظهورِ المهديِّ (ع) فقد كثرت رواياتُها ، منها ما رواه الشيخ الطوسي في غيبته عن عامر بن وائلة عن أمرِ المؤمنين (ع) أنه قال : قال رسولُ الله (ص) :

عشرة قبل قيام الساعة لا بدَّ منها :

السفياي ، والدجال ، والدخان ، والدابة ،

وخروج القائم ، وطلوع الشمس من مغربها

ونزول عيسى (ع) وحسف بالشرق وحسف

بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن

تسوق الناس إلى المحشر ..

في هذا الحديث يشير الإمام عليّ إلى آخر الزمان وما يحلّ فيه ، ولقد ثبت بالروايات الصادرة عن النبيّ وبتوافق الفريقين السنّة والشيعّة وبتواتر حقيقيّ أنّه في ذلك الزمن يخرج السفياي والدجال ، ويخرج المهديّ ، وينزل عيسى بن مريم .. لكن في ظلّ بيئةٍ عالميّة جبهويّة وصراعٍ واسعٍ بما يعنيه من تضاد القيم وسجلات التاريخ ضمن سلسلة من أحداثٍ يكون معلّمها الرئيسيّ الصراع مع الحقّ ، أي مع راية أهل الحقّ أولاً قبل ظهورِ المهديّ ، ثمّ مع المهديّ (ع) بعد خروجه المبارك .. والجدير بالملاحظة أنّ النبيّ والإمام عليّ كانا في مقام الإشارة إلى أنّ ختام الأرض لا بدّ فيه من ظهورِ المهديّ المحتوم ، وأنّه لو بقيت ليلة واحدة لطوّل الله تلك الليلة حتى يخرج المهديّ ، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. إشارة دقيقة إلى حتميّة نهائيّة لخروج المهديّ (ع) .. وفي تلك النصوص تأكيد على أنّ هناك شخصيّتين : السفياي والدجال ، يخرجان ويكوّنان نواة معسكر في وجه الإمام المهديّ ، بل يقودان معسكر حرب واسع ضدّ الإمام .. هذا بالإضافة إلى جهاتٍ أخرى ، منها جبهة الروم التي تمثل

معسكراً واسعهاً ونافذاً جداً .. وما أحبُّ أن أشير له هنا هو أن النصوصَ في
واردِ الإشارةِ إلى نوعين من الحوادث :

- حادث مردهُ للبشرِ بشكلٍ مباشرٍ ، أي أن البشر مصدرهُ ضمن حدود
وكيانات وجبهات محدّدة ، مثل قيادة الحروب وأدوات القتال بأنواعها
المختلفة وشنّ المعارك وشبه ذلك ..

- حادث كوني أو طبيعي ، سببه الخسف والزلازل والرعب والأمراض في
مناطق متعدّدة من العالم .. كمثالٍ عن ظاهرة كونية في طبيعتها متّصلة
بذلك الزمن وما يجري فيه ..

واللافت في ذلك الزمن هو كثرة من يدّعي النبوة والإمامة أيضاً ، وقد
نقلت إلينا مرويات متعدّدة عن النبيّ (ص) أنّه قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج
نحو من ستين كذاباً كلّهم يقول أنا نبيّ ... ولعلّ ذلك بسبب مجموعة من
علامات غير طبيعيّة ، يؤدّ البعض أن يستفيد منها ويستثمرها ، وبرأبي تفسيرها
يكمن في أن مجموعة من تلك العلامات الشاذة إذا صحّ التعبير بهذا الإصطلاح
تضغط في إعادة قراءة الأمور الكونية من منظارٍ شريعة كلّ قوم ، فاليهود مثلاً ما
زالوا يصرون على أن الصولجان هو من يخلّصهم ويخرج في آخر الزمان ليحكم
بهم ولهم ، والمسيحيّون يقولون إن المسيح ينزل إلى الأرض ليخلّص أهلها من
الفساد وشبه ذلك .. أمّا المسلمون فكّلهم يعتقد وبشكلٍ نهائيّ أن نهاية المطاف
في آخر الزمان هي لخروج المهديّ المنتظر (ع) المبشر به من النبيّ ، منذ الزمن
الأوّل الذي بُعث فيه وبشكلٍ نهائيّ وتام ومتواتر .. من هنا يكثُر دعاة النبوة
الكذبة لاستثمار هذه المعاني ، نعم منهم من يستثمر ذلك من نفس الدين والملة
إلا أن للمهديّ علاماتٍ هي أجلى من الشمس في منتصفِ النهار ..

وتفويض علينا النصوص في أكثر من عنوان وجهة فتشيراً إلى أن من ضمن تلك المحطات أن القليل هو الذي يثبت على القول بالمهدي بعد طول زمن .. حتى قال النبي (ص) في إكمال الدين بالحديث المروي عن ابن عباس :

علي بن أبي طالب إمام أمّتي ، وخليفتي عليهم بعدي ، ومن ولده القائم المنتظر ، الذي يملاً الله عزّ وجلّ به الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملئت جوراً وظلماً . والذي بعثني بالحقّ بشيراً إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر . فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله ، وللقائم ولدك غيبة ؟ قال (ص) : إي وربّي (ولیمحصن الله الذين آمنوا ويحقّ الكافرين) .. يا جابر إنّ هذا الأمر أمر الله وسرّ من سرّ الله مطوي عن عباده فإياك والشك في أمر الله فهو كفر ..

والملفت جداً أن المهديّ كان ظاهرة سؤال متكرّر في لسان المسلمين ، ولقد أكثر أصحاب النبي في السؤال عنه وعن آخر الزمان وعن جبهات العالم وأئمة أهل الكفر وقيم العام آنذاك .. وذلك بسبب الزمن والظرف والبيئة التي يخرج فيها ، إضافة إلى مجموعة كبرى من عناوين كانت شبه مستحيلة وفق التصور العربي آنذاك ، من مثل أهل الشرق يرون أهل الغرب ، وأهل الغرب يرون أهل الشرق ، والسير فوق الغيم ، وطوي الأرض والمسافات ، وغيرها من عناوين مذهلة حقاً ...

من هنا نجد الكثير من الأسئلة المسجّلة تاريخياً على هذا النحو من قبل أصحاب النبي (ص) لمعرفة المزيد والمزيد عن ذلك الزمن وشخصه وراياته وما يتصل به من صراعٍ ومعاركٍ ونماذجٍ معقّدة جداً .. ولا أخفي أن في هذه

النصوص إعجازاً مثيراً في كشف غيبي مذهل .. فقد كان النبي يشير إلى مجموعة من معانٍ مذهلة ، ولولا أنه نبي لاتهمه الناس بالكذب والسحر والشعوذة لشدة استحالة ما أشار إليه في زمنهم .. لكنّه النبي محمد (ص) الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ... ينطق بالحقيقة بشكلٍ دقيقٍ ويضع صورة نموذجية عن العالم بعد قرونٍ وقرونٍ ليرى أهلُ العالم فيما بعد أن ما قاله (ص) لصادق ، وأن ما وعد به لواقع ..

لقد سجّل النبي (ص) أوّل فكرة كبرى واسعة ومتنوّعة في ذاكرة التاريخ الأوّل الذي يستشرف العالم القادم ، ليؤكد أن العالم سيمرّ بمجموعةٍ عاليةٍ من إكتشاف القوانين الطبيعيّة إلى حدّ أن أهل المشرق يرون أهل المغرب ويسمعون صوتهم ، وأنهم سيصلون إلى مستوى عالٍ من تطويع المادّة والحديد والناموس ، ليعبروا عبر سلطان هذا الإستثمار الطبيعي من أقطار الأرض نحو الفضاء .. إلى العديد من العناوين المثيرة جدّاً ، التي لا يستطيع أيّ عاقلٍ إلا أن يقف أمامها مذهولاً .. والأكثر دقّة أنّ النبي كان يشير إلى أنّ في عصر المهديّ العام مجموعة متطورة من أدوات طيّعة قبل وبعد ظهوره ... كما أنّ القرآن الكريم أوضح أنّه قبل قيام أمر الساعة — ولا شك أنّ المهديّ يخرج قبلها ، ويقم أمر الله بالحقّ والعدل ، حيث تشير النصوص إلى أنّ حكم القسط والعدل الإلهي يطول ويباركه الله — يصل الإنسان إلى مستوى من تطويع الناموس الطبيعي يظنّ معه أنّه قادر على الدنيا .. يقول الله تعالى :

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ
السَّمَاءِ فَانْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ

أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)

في هذه الآية القرآنية إشارة مذهلة ودقيقة وإعجازية بكل ما للكلمة من
معنى ، وهي متممة لنصوص النبي محمد في هذا المجال أي في خصوص عصر
ظهور المهدي (ع) : إن هذه الآية القرآنية تشير إلى المعاني التالية :

١. إن الإنسان في آخر الزمان يصل إلى مستوى عالٍ وجبار من إستغلال
الأنظمة الطبيعية ، وعليه : يكون زخرفها متصلاً بما توصلت إليه البشرية
من إنجازات على مستوى الطبيعة والإنسان والأدوات المتصلة بمنفعة
وحاجات وخدمة الإنسان ولو من حيث الإمكان : إعماراً ومواصلات
وإتصالات وطباً وغير ذلك ..

٢. الإشارة الثانية هي أن الإنسان وبسبب القدرة العالية في تطويع الناموس
التي وصل إليها عبر فك الرموز والألغاز الطبيعية واستغلالها يظن أنه قادر
عليها ، أي متحكم بها (السلطنة البشرية النسبية المتقدمة على الأنظمة
الكونية في مجال الإستغلال) .

٣. ضمن زمنٍ معيّنٍ — غير مُشارٍ إليه في الآية أو في النصوص — من
حكومة الإنسان على ناموس الكون ووصوله إلى مستوى عالٍ من
الإستغلال الطبيعي يأتي أمرُ الله تعالى بنهاية الأرض وما يتصل بها من
معالم الكون (ومن مصاديق أمر الله تعالى مثلاً شيخوخة الكون وفناءه
وتماويه) .. والمثير هنا هو التعبير الدقيق في الآية القرآنية التي تشير إلى

أن أمر الله يأتي لهذه الأرض في الليل أو النهار ، تعبير دقيق للغاية ، لأنه يشير إلى أن فناء الأرض يكون في الليل لمن عندهم ليل ، وفي النهار لمن عندهم نهار ، لأن الأرض لا تخلو من هذين العنوانين .. وبطبيعة الحال هذه الإشارة مذهلة في زمن كانت فيه المعرفة الكونية في هذا المجال وغيره عاجزة جداً وقاصرة سوى مما انطوى عليه القرآن الكريم من آيات كونية فريدة ما زالت تؤرخ مدى الإعجاز وعظمة ما جاء به رسول الله محمد من عند ربه تعالى ..

وعليه : في ذلك الزمن من عصر ظهور المهدي (ع) وما بعده يكون التطور الإكتشافي وتطوير الأنظمة الطبيعية قد وصل إلى مستوى عالٍ ومنتاه من نفوذ حكومة البشر النفعية عبر استغلال هذه الأنظمة .. ولقد سجل كبار علماء الطب خشوعاً مذهلاً في المؤتمر العلمي العاشر للإعجاز القرآني ، لما ورد في القرآن من إشارات مذهلة في مراحل تكوّن الجنين وغيرها من المواضيع الطبية بزمن كانت الإستحالة فيه كاملة أمام أي مدّ معرفي وتصويرٍ إمكاني قريب من هذه المعاني .. كما وقفوا مذهولين أمام مجموعة من آيات قرآنية واضحة في بيانها النهائي إلى أن الإنسان يصل إلى مستوى معرفي ، تطويعي ، ثوري ، في الإستفادة من الأنظمة الطبيعية وبشكلٍ متقدّم جداً ، مقرّرةً بذلك شكلاً نهائياً للواقع المشهود للعالم القادم ، وذلك في إشارة قرآنية كبرى منذ أولى بعثة النبي محمد (ص) ..

وعلى مستوى المأثور عن النبي فإن هذا الكلام الوارد أعلاه قد قاله النبي (ص) منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ، في زمن كان الإنسان فيه يعتمد على الأنعام لقطع المسافات ، ولم تكن فيه طائرة أو أقمار صناعية أو تلفون خلوي أو إنترنت

أو غير ذلك من وسائل الإتصالات والمواصلات الثورية .. ! أليست هذه الأحاديث جديرة جداً بالتأمل والوقوف عند شخصيّة صاحبها بشكل عالٍ من التقدير والتسليم .. ! ألا تعتبر هذه النصوص وغيرها في خانة الإعجاز العلمي ؟ ألا يجب علينا أن نقف بشكلٍ دقيقٍ أمام شخصيّة صاحبها وصلته بالسماء .. ؟ هل يجوز أن نقف أمام تنبؤات " نوسترا داموس " بشكلٍ مثيرٍ من الغرابة والتقديس ، مع أنّها مجرد كتابة خياليّة عموميّة ، يستطيع أيّ منّا على الإطلاق كتابة العشرات من أمثالها ، في حين يحتوي القرآن وأحاديث النبي والمعصوم على أهمّ العناوين الكونيّة المذهلة ، التي لم يستطع العلم أن يكتشف حقيقتها إلا في أواخر القرن العشرين .. ! وكنتُ قد أشرت إلى مجموعةٍ مهمّةٍ منها في دراستنا حول التوراة والإنجيل والقرآن ..

إذن : لعصر الظهور عناوين كبرى ، كان النبيّ يشير إليها بشكلٍ عالٍ من الدقّة ، وهي في بعضها ذات نوع متّصل بما سيؤول إليه حال البشريّة من تقدّم وتطوّر وكشفٍ علميٍّ وشبه ذلك ، في زمنٍ كانت فيه أمثال هذه المعاني أشبه بكتابة إنشائيّة أو تصوير خيالي ، بحيث لم يكن العقل آنذاك يتصوّر أنّ الإنسان سيصل إلى مستوى من العمليّة على صعيد الناموس الطبيعي والأنظمة الكونيّة ، حتى أنّه جعل من الكرة الأرضيّة مجرد قرية كونيّة ، بفضل وسائل الإتصال والمواصلات وأدواتها العملاقة التي تحتضن في ركبها الكثير من معاني التطويع للنظام في كثيرٍ من الجهات والمواقع ، على الأقلّ ، ذاك الذي يتّصل باختصار الزمان والمكان ، ومن أمثله أدوات النقل السمعي البصري من أقمار صناعيّة وشاشات وهواتف وغيرها ، بحيث يرى أهل المشرق أهل المغرب ويسمعون أصواتهم والعكس صحيح ، إلى الكثير من معاني هذه الإشارات التي

ركّز عليها النبيّ وفق نموذج بياني لمجموعة كبرى من معانٍ تتصل بعصر المهديّ
غيبيةً وظهوراً ..

أمّا ما تتضمنه النصوص من تعبير كالجور والفساد فهو مأخوذ على نحوٍ
يخالف قيم الشريعة الإسلاميّة وروح الناموس الكلّي ، إلى مستوى يصبح معه
المنكر معروفاً والمعروف منكراً .. وفي قرب الإسناد وغيره من كتب الحديث
إشارات متكرّرة لوصف هذا الواقع بأكثر من تصويرٍ وبيان ، منها أن النبيّ (ص)
قال :

كيف بكم إذا فسدت نساءكم وفسق شبابكم ولم
تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر .. ؟ فقليل له : ويكون
ذلك يا رسول الله ! قال (ص) : نعم وشرّ من ذلك . كيف
بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قيل : يا رسول الله
ويكون ذلك ! قال (ص) : نعم وشرّ من ذلك . كيف بكم إذا
رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ! قالوا : أيكون ذلك يا
رسول الله ؟ قال إذا كان ذلك كذلك سلّط الله عليكم شرار
قومكم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم ..

أقول : بزمن صدور النصّ كانت حكومة النبيّ (ص) تقيم حكم العدل
والقسط بكلّ المجالات الممكنة التي تستوعبها وتستهلكها مواقع الحياة وفق شريعة
الوحي الإلهيّ وكان المسلمون يظنون أن الأمر من هذا الثبات دخل في الدنيا
كذلك إلى يوم القيامة ، أو على الأقلّ لوقتٍ طويلٍ جداً ، إلا أن النبيّ (ص) كان
يشير إلى أن مسافة الطاعة البشريّة من الله ستختلف جداً ، وستتغير كثيراً ، إلى

مستوى مخيف ومنكر ومذهل وهائل في الأثر والظاهرة ، وأن من مظاهر ذلك العنوان الربط الرائع في العلاقة المؤثرة جداً التي أشار لها النبي وهي أن النساء تفسد ويفسق الشبان .. ! تعبير بالغ الدقة .. ! (دعائية المرأة وسوقيتها الجنسية وما يتصل بها) وتظل سلسلة الانقلاب على قيم الشريعة والنوع مستمرة ، إلى درجة يأمر فيها أهل الحكم والإجتماع السياسي بالمنكر وينهون عن المعروف عبر الإمرة والسلطنة وعبر الحكم والمواثيق ، بحيث يصلون إلى مستوى خطير ، يتجاوزون فيه كل شيء من قيود المنظومة الأولية النوعية على الأقل ، فيصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً .. (إنقلاب القيم بشكلٍ نوعيٍ وانحرافها انحرافاً شديداً) وبهذا تتم أسوأ مرحلة يمكن أن تصل إليها شيخوخة قيم البشرية في سقوطها المريع ..

ومن يتتبع مراحل السلوك البشري منذ زمنٍ طويلٍ ، يدرك أن مسيرة البشرية في أكثر من لونٍ وعنوانٍ بدأت الدخول بنفقٍ إنقلابيٍ على القيم وظواهر ما أشار إليه النبي منذ ذلك الزمن ، ومن باب المصداق والتقريب فإننا نجد العالم اليوم وبمفاتيح محرّكة يتخبّط في قاعٍ من الإهيار بالقيم والآداب والغايات الوجودية .. وعليه : يتبدى على الأقل في مجال نظرية الأخلاق والآداب كعالم واسع ، يحتاجه اللواط والسحاق وبيع الأطفال والإستغلال الجنسي لهم والمافيا والإدمان على المخدرات والكحول ومُدن الدعارة وغيرها من العناوين الخطيرة التي تحتاج الدنيا ، وهي تعتبر من أهمّ سمات العالم الذي نعيشه اليوم ، وهي تؤرّخ واحدة من معالم الزمن الذي سنصل إليه " تأثراً وانحداراً " بالإضافة إلى مجموعة خطيرة من القيم التربوية والاجتماعية والفكرية والتفسيرية للوجود والغاية منه ..

وهذا بالضرورة يفرض مجموعة أسئلة لا بدّ منها على النحو التالي : ماذا عن عالم ما قبل الظهور .. ؟ ما هو الإطار الذي ينتمي إليه الفرد والجماعة والمجمع الكياني السياسي على مستوى العالم .. ؟ ما هي القيم المؤثرة والدافعة ؟ ما هي العناوين البارزة .. ؟ ماذا عن الغايات الكبرى في المعالم التربويّة .. ؟ ماذا عن برمجة الفرد والجماعة في منطق الغايات الوجوديّة .. ؟ لا شك أنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تحتاجُ إلى الكثير من البيان ، ولذا فإتني سأركّز من الآن فصاعداً على سلسلةٍ ضروريّةٍ من العناوين البارزة راجياً من الله تعالى أن تكون كافيةً للإجابة عن العالم الجديد المتّصل بعالم الغيبة والظهور ..

ما قبل الظهور

يستفاد من مجموعة واسعة من النصوص المروية عن النبي واهل بيته أنه قبل ظهور الإمام المهدي (ع) يكون العالم منتظماً على نحو مختلف من القيم التي تبدو وللوهلة الأولى شاذة جداً وفق كل المقاييس ، وبالأخص عن تلك التي يأمر وينهى عنها الإسلام ، إلى درجة يبدو فيها الإسلام في ذلك العالم غريباً من جهته كميثاق وجودي وشريعة ومفاهيم ، أما أتباعه فيكونون في غربة أشد ... لكن هذا الواقع لا يمنع من وجود أمة تتمسك بالإسلام لها من القوة ما يمنع سقوطها ، لها من الممانعة ما تحفظ به صلتها المسلكية بالإسلام ، وهذا ما تشير إليه النصوص والروايات من أن هناك أمة تظل ظاهرة على الحق إلى يوم ظهور المهدي ...

وبصورة عامة ، يكون العالم في نظامه الجديد مختلفاً جداً ، ومظاهره تكون على مستوى معاند وبشكلٍ حادّ لما عليه مفاهيم الإسلام ، إلى درجة تكون فيه سمة الإضطهاد للإنسان مظهراً معروفاً ، وصفة شائعة .. وبطبيعة الحال يكون المؤمن في مثل هذا العالم أكثر غربة ، وأشدّ حيرة ، وأكثر عذاباً ، وبعداً عن واقع الإنتماء إلى مفاصل ما عليه قيم الإجتماع العام الباطلة ، بل في جملة من

النصوص عن النبيّ أنّ القابضُ على دينه كالقابضِ على الجمرة أو على الشوك (إشارة واضحة إلى غربة الإسلامِ وعناءِ أتباعه في ذلك الزمن) لأنّ ما في ذلك العالم يكونُ مختلفاً ومناقضاً لما عليه الإسلام ، بل لحقيقة النوع والفطرة الأولى التي يشترك في الاعتقاد بها كلُّ البشر والأمثلة كثيرة على هذا النوع من الانحراف والإنحدار .. لقد كان النبيُّ (ص) في ذلك الزمن ، زمن حكم الإسلام ، يشير إلى أنّ هذا الدين الذي عليه المسلمون اليوم ، سيتلقّى مجموعة من ضرباتٍ عنيفةٍ تجعله أشدَّ غربةً ، وسيكون الأمر كذلك أيضاً ما قبل ظهور المهديّ (ع) .. ففي مسند أحمد عن ابن فيروز الديلمي عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) :

لينقضنّ الاسلام عروة عروة ، كما
ينقض الحبل قوة قوة ..

أمّا مظهر ذلك العالم الذي يكون الإسلام فيه غريباً بطبيعة الحال تجيب عنه النصوص الكثيرة المروية عن الطرفين من السنة والشيعية ، بأنّ كتاب الله وسنة النبيّ تُهجر في ظلّ صراعٍ عنيد بين القيم ومظاهرها تكون لصالح موثيق النظام الدولي الفاسدة والمعارضة لفقهِ الوجود الضروري الذي جاء به نبي الله محمد (ص) .. وهذا يوسّع من دائرة نفوذ الشريعة المخالفة للحكم الإلهي في أكثر من وجهٍ وصورةٍ وظاهرةٍ وموقعٍ وسلطان ... ففي الحديث عن النبيّ (ص) قال :

أعاذك الله يا " كعب بن عجرة " من إمارة السفهاء قال كعب : وما إمارة السفهاء ؟ قال (ص) :
أمرء يكونون بعدي ، لا يهدون بهدي ، ولا يستنون بسنتي ، فمن صدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ،

فأولئك ليسوا مني ولست منهم ، ولا يردون عليّ
حوضي ، ومن لم يصدقهم على كذبهم ، ولم يعنهم
على ظلمهم ، فأولئك مني وأنا منهم ، وسيردون عليّ
حوضي ، يا كعب بن عجرة : الصوم جنة ، والصدقة
تطفئ الخطيئة ، والصلاة قربان ، أو قال : إنه لا يدخل
الجنة لحم نبت من سحت أبدا ، النار أولى به . يا
كعب بن عجرة : الناس غاديان ، فمبتاع نفسه
فمعتقها ، أو بائعها فموبقها ..^١

النصّ دقيق المغزى ، وهو يشير إلى عنوانٍ على قدرٍ عالٍ من الأهميّة ،
النبّيّ يشير إلى منظومة حكم ، إلى قيم مباحة ، إلى عناوين غير ممنوعة ، إلى
حكّام يستبدلون حكم الله بما يخالفه ، يقرّون سلطنةً هي ليست لله تعالى ،
يعملون بشريعةٍ لكنّها مخالفة لما عليه شرعُ الله والشرط الضروري لصحة الوجود
ومسيرته .. من هنا أشار إلى أنّ الإمارة تلك يكون على رأسها أمراء لا يهتدون
بهدي النبيّ ولا يستنون بسنته ، وبتعبيرٍ آخر : هم صنّاع القرار ، الذين لا
يتخذون من كتاب الله وسنته مرجعاً في إقامة منظومة الاجتماع العام بكلّ ما
تعنيه هذه العبارة وتشمله من أخلاقٍ وسياسةٍ واقتصادٍ وتجارةٍ وسوقٍ وتربيةٍ
وتفسيرٍ حقيقيٍّ لمعالم المسيرة الوجوديّة .. من هنا شدّد النبيّ تركيزه على عنوانٍ
ذي أهميّة ، في مثل هذه الحال ، وهو حرمة مساعدتهم في الظلم ، والإنصياح
لأمرهم ، وتقوية حكمهم وشبه ذلك ..

ولقد ثبت في الشريعة وبشكل نهائي أن الحكم هو لله تعالى ، وأن غير شريعة الله غير مبررة للذمة ، وهي من السبل الضالة المضلة .. بل أكد القرآن الكريم في كثير من آياته وجوب إقامة حكم الله تعالى ، والمحافظة على موثيق الكتاب والسنة ، كأساس للحكم وكبنية للمسيرة البشرية ، في نسج العلاقات الإجتماعية والأدبية والسوقية والسياسية وغيرها .. وقد كرر النبي في كثير من نصوصه الإشارة إلى هذه المواضيع الحساسة من الفساد الأخطر ، ففي الحديث عن حذيفة عن النبي (ص) قال :

إنما ستكون أمراء ، يكذبون ويظلمون ، فمن صدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليس مني ولست منهم ، ولا يرد عليّ الحوض ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ، ولم يعنهم على ظلمهم ، فهو مني وأنا منه ، وسيرد عليّ الحوض . ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم ، يحدثونكم فيكذبونكم ، ويعملون ويسيتون العمل ، لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم ، وتصدقوا كذبهم ، فأعطوهم الحق ما رضوا به ، فإذا تجاوزوا فمن قتل علي ذلك فهو شهيد . خذوا العطاء ما دام عطاء ، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ، ولستم بتاركيه ، يمنعكم الفقر والحاجة ، ألا إن رحا بني مرخ قد دارت (أي أهل اللهو والفرح وهي إشارة مهمة للغاية في بيان هذه الظاهرة وأثرها كمصدر وقيمة ثقافية للإشتراع والأعراف في ذلك الزمن ..) ، وقد قتل بنو مرخ . ألا إن رحا الاسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار . ألا إن الكتاب والسلطان

سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب . ألا إنه سيكون أمراء يقضون لكم فإن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم . فقال : يا رسول الله فكيف نصنع .. ؟ قال (ص) كما صنع أصحاب عيسى بن مريم ، نُشِرُوا بالمناشير ، وحملوا على الخشب . موتٌ في طاعة الله خيرٌ من حياة في معصية الله عز وجل ..¹

في هذا الحديث عرض النبي (ص) مجموعةً متعدّدة لما يكون عليه آخرُ الزمان قبل ظهور الإمام المهديّ (ع) من الكذبِ والظلمِ ، وهجرِ الكتابِ والسنةِ واحتكارِ الأموالِ والأرزاقِ ، بل تزويرِ النصِّ والروايةِ عن النبيّ فيحدثون عنه ويكذبون ، وهم فوق ذلك سيئو العمل ، ضالّو الغاية ، منقادون للشهوة ، عبّاد للدرهم ، منصاعون للبطنِ والفرجِ .. وفي تعبيرٍ دقيقٍ ومذهلٍ أشارَ النبيُّ إلى أنّ عصرَ هؤلاءِ سيكون نموذجاً عن " رحا بني مرخ " وهو بذلك يقصد أهل اللهو والفرح كتعبير منظومي ، كصيغة أقرّها الحكام لنسخ القيم ، كمصدر للثقافة الغريزيّة في عمليّة صياغة مفاصل الوجود عبر مفاهيم عبثيّة لا غاية فيها سوى الإشباع الحسّي غير العاقل ، بل كتفسير مفاهيمي يرى في اللهو والفرح ميزاناً للنّظْمِ ومعياراً لقياسِ الأمور ، وهو تعبير عالي الدقّة في هجرِ الكتابِ لصالح الهوى اعتماداً على موازين الذات والغريزة ، مؤكّداً أنّ الكتابَ والسلطان سيفترقان ، أي أنّ السلطان (الحاكم) سيهجر القرآن ، وهو واحد من معاني الإنحراف والإنقلاب والتبدّل الخطير الذي سيطراً على واقع الشريعة كميثاق وجودي فاعل ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أنّ التعبير بالسلطان والكتاب إشارة إلى موقعين ممّيزين مفاده أنّه لا بدّ من سلطانٍ شرعيّ ، والشرعيّة لها ميّزات وخصائص وشروط في

الشخص ، حتى يمكن العمل بالكتاب ، من هنا فإن المهجر للكتاب يكون في زمن تبدد فيه الصلة بين خصائص السلطان ومضامين القرآن .. ولسنا بحاجة إلى التذكير بأن النبي كثيراً ما كان يردد وصيته الشهيرة التي نقلها أهل السنة والشيعه بأسانيد صحيحة وموثقة وشهيرة حيث قال : إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، ولن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض .. كما أنه (ص) كثيراً ما أشار إلى أن السلطان يكون بخير ما دام أنه يعمل بكتاب الله ، وأن الحكم وقيادة أمور المجتمع والتنظيم والتطبيق للمواثيق لا يمكن أن يفترق عن كتاب الله تعالى ، فإن فعل السلطان وخرج عن كتاب الله فالموقف الشرعي الرباني هو أن نكون مع كتاب الله لا مع السلطان .. وفي التعبير النبوي : (ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان ، فلا تفارقوا الكتاب . ألا إنه سيكون أمراء يقضون لكم فإن أطعموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم) .

لا شك أن في هذا النص الكثير من المعاني الضرورية التي تشير إلى غلبة الباطل والانحراف عن شرعة الله تعالى وبتعبير آخر : سيكون ذلك وفق مستوى من الإلزام على يد الحاكم أو السلطان ، مؤكداً أن الخروج على الكتاب إثم كبير ومعصية عظيمة ، له أثر هائل على الجماعة وصيغة الاجتماع العام ، من هنا فإن الواجب الضروري هو في اتباع الكتاب لا السلطان ، بل رفض ما عليه السلطان ومجاهدته . وفي نفس الوقت يشير النبي إلى أن حكم القرآن سيكون في آخر الزمن ضعيفاً ، يبدو فيه الإسلام غريباً ، لكن مع كل هذا تبقى أمة على الدين ظاهرة ، في حين يكون الوجه العام للعالم آنذاك على غير القرآن ومنظومة الإسلام ، بل على مستوى من الانحراف والشذوذ الخطير .. وفي الحديث عن عبد الله بن (نجي) عن علي (ع) قال :

كنا عند النبي (ص) جلوسا ، وهو نائم ، فذكرنا الدجال فاستيقظ محمراً وجهه فقال : غير الدجال أخوفُ عليكم عندي من الدجال . أئمة مضلون ..^١

إنَّ تعبير " أئمة مضلون " يعني أنَّ هناك مَنْ يقود زمام الأمر للجماعة والمجتمع ، هناك من يحكم ، من يصنع القيم ويؤثرُ بها ، من يقرر العناوين على شكلٍ لازمٍ ، من يحدّد الإطار والغاية في مقام السلوك والإلزام ، إلاَّ أنَّه ضال عن هديِّ الله ، مخالف لكتاب الله ، لا يعبئ بما عليه شريعة الإسلام .. وباستعمال لفظ " مضلّ " يعني أنَّ لهم نحواً من سلطنة لازمة مؤثّرة ، وهذا يوافق معنى السلطنة والحكم والولاية السياسيّة ، وبطبيعة الحال من مصاديق ذلك الولاية الاجتماعيّة كشرطٍ تابعٍ ، بحيث تستوعب السلطنة المشار إليها كلّ من يملك أدوات تأثير ونفوذ أو تسويق للقيم ... لكنَّ التعبير الأجلّي والبارز هو في من يملك أدوات النفوذ والإلزام والفرض بحيث تكون باقي الأصناف من باب المصاديق المتفاوتة في هذه الصيغة التي عناها النبي (ص) ..

وفي صيغة الهيئة التاريخيّة آنذاك ، كان المسلمون يتحدّثون عن آخر الزمان ، عن الدجال ، عن واحدٍ أساسيٍّ من قيادتي ذلك الزمن ، كعنوانٍ كبرويٍّ بارزٍ في جبهات الباطل والفساد والانحراف ، وسيمر عليك أنَّ الدجال عنوان كبير من مصاديق الإمرة الظالمّة الفاسدة ، الذي يقود موثيق مضادّة وعنيفة في وجه الإسلام ، بل يعمل على تأسيس وجه أساسي من العالم على نحوٍ

^١ ابن أبي شيبة : ج ١٥ ص ١٤٢ - ١٩٣٣٢

خطير من الإنحراف .. وبينما المسلمون يتحدثون عن الدجال ، الذي سيخرجُ
آخر الزمان ، وإذا بالنبِيِّ (ص) يقاطعهم مشيراً إلى أن الأكثر خطورة عليهم هم
الأئمة المزلون ..

وببديهيّة الحال ، الأئمة المزلون هم الذين يؤسسون بصورة عامة لبنية
الباطل سواء في شقّ المواثيق أو الأعراف وفي أكثر من موقعٍ وجغرافيا ، إضافة إلى
غيرهم من رموز أهل الباطل ، بل في حديث النبيّ إشارة رمزية هامة إلى أن
هؤلاء هم من يؤسس لبنية الدجال الإنحرافيّة ، الذين يعملون على توطئة العالم
لقبول قيمه وقيم غيره من أهل الضلالة ، من هنا ، لا يكون الدجال غريباً عن
قيمهم ومفاهيمهم ، بل الإسلام بمواثيقه وقيمته هو الذي يكون غريباً بل أشدّ
غربة .. وهؤلاء الأئمة ، يريد منهم النبيّ الإشارة إلى بعض السلاطين من أهل
الباطل الذين يكونون على رأس الحكم في كيانات إسلامية ..

والذي أحبُّ أن أشير إليه هو أن الدجال ليس ساحراً ، ليس خارقاً
للنواميس ، ليس أسطورة ، إنما يستفيد من قيم الجماعة وسنن الاجتماع ، من
أدوات النفوذ ومن هجر القرآن ... وأولى معالم هذه الدعامة أن يكون على رأس
الاجتماع السياسي أئمة يصرون على الحؤول أن يكون القرآن المرجع النهائي في
السلوك والقيم سواء في ذلك القيم الفرديّة أو الاجتماعيّة أو الغايات الوجوديّة
بكلّ ما تتسع له من معنى ..

وعليه : كان النبيّ (ص) في مقام بيان صيغة مختلفة آنذاك عن مسمع
المسلمين ، فالمسلمون كانوا في ظلّ الحكم الإسلامي النافذ وفق الهدى القرآني
وقد ثبت بالدليل النهائي لكلّ المسلمين أن شرعيّة الحكم لا بدّ أن تقوم على

أساس التمسك بالقرآن والسنة وأن على السلطان أن يحتكم إليها وكلاهما أمر ضروري ونهائي في الإقتران والصلة الضرورية للإلتزام الشرعي الإجتماعي السياسي الأعم ، وفي شتى المعاني المتصلة بالسلوك الذهني أو الجسدي أو المجتمعي أو الأُمِّي ، بما في ذلك تلك التي تتعلّق بصياغة القيم الوجودية المفسّرة للإطار النوعي لوجود الفرد والجماعة والمسيرة الكونية والمواثيق الإعتبارية ..

وليس خافياً أن الشريعة الإسلامية قررها الله تعالى على نسقٍ من ثباتٍ في الأصول ومجموعة واسعة من العناوين المتصلة بقيم الفرد والجماعة وجبهوية القطاعات السلوكية ، بمعنى أن هذه القيم أصلاً خارجة عن أثر الزمان والمكان وهي قيم ذات ارتباط ضروري ونهائي بحاجة ونفع الفرد والجماعة والإجتماع الأُمِّي على نحو كلي عالمي (المواثيق العالمية) أمّا ما يتعلّق بزمنٍ ما ، أو ما هو ضرورة مكانية أو ما يتصل بشأن إداري أو تنظيمي وشبه ذلك ، فهذا موكولٌ إلى الفقيه العالم العارف بالأحكام والكليات الضابطة لبيان الصفة الشرعية على هدي المبادئ المقررة في مواثيق الشريعة والناظرة في مقررات أهل الخبرة لحفظ مصلحة الزمان والمكان والإعتبار .. إن من يقرأ الشريعة في الفقه الدستوري والفقه المدني والإلتزامات المالية ذات الصلة التجارية وغيرها والفقه الجنائي والفقه الإجتماعي السياسي أو تلك المقررة لأصل نظرية الآداب والأخلاق يدرك أن الشريعة أقامت هيكلًا نوعيًا ثوريًا مذهلاً لم تكن أيّ نظرية قانونية في العالم تعرف عنه أيّ شيءٍ على الإطلاق ..

من هنا ، فإنّ النبيّ وهو في مقام الناظرٍ إلى عالم ما قبل وبعد الظهور كان يشيرُ إلى أنّ عالم فعلية المواثيق ذات الوصف الإجتماعي السياسي سيصل إلى مرحلة خطيرة ، يهجرُ فيها الكتاب والسنة ، وأحبُّ أن ألفت الإنتباه هنا إلى

أنّ تعبير الهجر للكتاب والسنة مأخوذ فيه معنيان حسب النصوص الصادرة عن النبي محمد (ص) فهناك معنى متّصل بالأمرء المسلمين ، بما يعنون من مركز صناعة القرار ، وهناك معنى آخر موجه نحو العالم ، نحو الجماعات التي تنتمي إلى أديان أخرى وفلسفات أخرى مخالفة لما عليه الإسلام ، لكن هناك تركيز دقيق موجه نحو أمرء الحكم ، نحو صنّاع القرار ، نحو مراكز الإمرة في الجغرافيا الإسلاميّة ، مؤكّداً أنّهم يهجرون الكتاب والسنة ، ويعملون بخلاف ما عليه الشريعة من هذه الجهة ، وأنّ طاعتهم تؤدّي إلى الضلال ، وأنّ معاونتهم على الظلم محرّمة ، وأنّ هؤلاء يمثّلون المفصل الأصعب في تغريب شريعة الله تعالى ، وأنّهم أخطر من الدجال ...

ومن يقرأ النصوص المتّصلة بخاصية النقاش المستقبلي لعالم ما قبل وبعد الظهور عند أصحاب النبي (ص) والمسلمين آنذاك يدرك أنّهم كانوا يعيشون حقيقة التوقّف عند شخصيّة لها الكثير من المعاني القاسية والتأثير الخطير على الإسلام ، أعني بذلك الدجال لما لها من أثرٍ عنيف على الإسلام ومحاربتة .. من هنا نجد أنّهم كانوا يكرّرون خوفهم من الدجال ومن ذلك اليوم ، لكنّ النبي حذرهم مشيراً عليهم أنّ الأخطر من الدجال هم الأئمة المضلّون ، وتعبير مضلّ حسب الصيغة العربيّة مشبّع بالدلالة على السلطنة في الجبر والإلزام بشقيّ الإلزام بالمواثيق والإلزام بالأعراف .. بطبيعة الحال هذه المرحلة هي الأخطر في سلسلة تلك المحطات التي تصل بنا إلى جبروت آخر هو الدجال .. ففي الحديث عن أبي إمامة قال سمعتُ رسول الله (ص) يقول :

لست أخاف على أمّي جوعاً يقتلهم
ولا عدواً يجتاحهم ، ولكنني أخاف على أمّي

أئمة مضلّين ، إن أطاعوهم فتنوهم ، وإن
عصوهم قتلوهم ..^١

لا شك أن التعبير موجّه وعميق في دلالتِهِ على أن هؤلاء الأئمة هم من
ولاية الحكم المسلمين ، وأن الخطورة كلّها تكمن في قيام الحكم على نسقٍ من
هيكلٍ ميثاقِيٍّ غير شرعيٍّ ، أو على الأقل هو عدمُ الإلتزام بموازينِ الشريعةِ في
كتابة المواثيق الإجتماعيةِ السياسية وحاشيتها من قيم وأعراف بما تعنيه من ترسيخ
مفاهيم دافعة ، وغايات وجودية مؤثرة في حركة الأفراد والجماعات .. من هنا
فقد أشار النبيُّ إلى أن المسلمين آنذاك إن أطاعوهم فتنوهم . دلالةُ منه (ص) على
انحرافهم عن قيمِ الشريعةِ ومفاهيمها وضروراتها ، وللتأكيد على معنى الإمرة
أشارَ (ص) إلى أن العلاقةِ هؤلاءِ الأئمةِ المضلّين هي علاقةُ إلتزام وإمرة وجبر حيث
قال (ص) : وإن عصوهم قتلوهم .. كتعبير تطبيقي لعناوين عدّة ، منها السجن
والغرامة والضغط الجسدي والعنف وبطبيعة الحال من مصاديقها الإعدام وما هو
متّصل به من عقابٍ مدني وتجارِي وسوقي ومفاهيمي وحقوقِي وغيره ..

وبإشارةٍ دقيقةٍ إلى ما يصلُ إليه أمرُ الأمةِ بعد النبيِّ (ص) فإنّه أكّد على
أن هجر الكتاب وترك الشريعة ، لا يكون من خلال هزيمة عدوٍّ ، أو ما هو
متّصل بهذه المعاني في زمنٍ ما ، وجهةٍ محدّدة على الأقل ، بل هو متّصل بسلوكٍ
وقيم الحكماء ، أي بالأمراء أهل الحكم ، وهذا ما وقع فعلاً في تاريخ الدولة
الإسلامية كإشارة ومثال وتعبير توضيحي وذلك بعد وفاة النبيِّ (ص) وقد قال
قال (ص) :

^١ الطبراني الكبير : ٨ ص ١٧٦ - ٧٦٥٣

إن الله عزَّ وجلَّ زوى لي الارض حتى رأيت
مشاركها ومغارها ، وإن ملك أمي سيلغ ما زوي لي
منها ، وإني أعطيت الكنزين الابيض والاحمر ، وإني
سئلت ربي عزَّ وجلَّ أن لا يهلك أمي بسنة بعامة ، وأن
لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم بعامة ، وأن لا يلبسهم
شيعا ، ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، وقال : يا محمد
إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يُرد ، وإني قد أعطيتك
لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ، ولا أسلط عليهم
عدوا ممن سواهم فيهلكوهم بعامة ، حتى يكون بعضهم
يهلك بعضا ، وبعضهم يقتل بعضا ، وبعضهم يسبي
بعضا ، قال : وقال النبي (ص) : وإني لا أخاف على
أمي إلا الائمة المضلين ، فإذا وضع السيف في أمي لم
يرفع عنهم إلى يوم القيامة ..^١

وبتعبير أكثر دلالة على عالم الترهل في التعامل مع الشريعة والإنقلاب
على قيمها ومفاهيمها وتبني ثقافة الانحراف والهجر والفساد والفسق فقد جاء في
ارشاد القلوب أن النبي (ص) صلى من غلس ، فلما فرغ نادى رجل : متى
الساعة يا رسول الله .. ؟ فزجره (ص) حتى إذا أسفرنا ، رفع طرفه إلى السماء
فقال : تبارك خالقها ، وواضعها ، وممهدا ، ثم قال :

أيها السائل عن الساعة ،

^١ إرشاد القلوب : ج ١ ص ٦٧

تكون عند خبث الامراء ،
ومداهنة القراء ،
ونفاق العلماء ،
وإذا صدقت أمتي بالنجوم ،
وكذبت بالقدر ،
ذلك حين يتخذون الامانة مغنما والصدقة مغرما ،
والفاحشة إباحة ،
والعبادة تكبُّراً ، واستطالة على الناس ..

وتجدُرُ الإشارةُ هنا إلى أن التصديق بالنجوم مأخوذ فيه القصد الذي كان على أيامهم من الاعتقاد بسببيتها ومصدريتها للقيم وأثرها في الأرزاق وحاكميتها في بيان شقي الفضائل والسوء ، وربتها في العلل والتأثير بالوجود والصفات ذات الإتصال بواقع البشر ، وهذا غير خفيّ فهاثياً وهو المراد هنا وبطبيعة الحال منه اليوم ما يجري من دعاية الأبراج والضرب بالرمال وقراءة النجوم على نحوٍ من عِللٍ وحكمٍ سببي وبيانٍ للسعادة والشقاء ، وهذا من أسوأ ما وصلت إليه قيم الإنحدار في العقل البشري .. أمّا التعرف على الناموس المتصل بطبيعة هذه النجوم واكتشافه فهو غير مراد من هذا النصّ لا من قريب ولا بعيد بل المأخوذ فيه تلك العناوين التي كان يرتكز عليها علماء النجوم الذين يعتقدون فاعليتها وتأثيرها على نحوٍ مستقلٍّ في سلوكٍ وقيمٍ ومنافعٍ وأضرارٍ البشر .. واليوم يعيش العالم عبر الشاشة والإنترنت والقمر الصناعي الوسيط في نقل الصورة للشاشة والهاتف المحمول والمجلات وغيرها من وسائل الإتصالات على برامج واسعة من دعاية الأبراج بأشكالٍ متنوّعةٍ غريبةٍ كمركزٍ مفسّرٍ لأثر النجوم في

الحظوظِ والأموالِ والفرحِ والترحِ والمستقبلِ وغير ذلك وعلى نحوٍ سببي وإشارةٍ عاقلة .. ! فضلاً عن الكثير الكثير من عناوين أخرى متصلة بالنجوم مثل التبصير والضرب بالرمل والمدنيل وقراءة الكفّ وورق الشدّة وغيره ، إلى درجة أنّ أضخم الإمبراطوريات الإعلامية اليوم تستضيف الكثير من رموزٍ ومشاهير الأبراج في ظلّ تفاهةٍ هائلةٍ لما عليه ذهن أهل هذا الزمن من الترهّل والسقوطِ والانحراف عن مسافة الحقائق الوجوديّة .. والغريب أنّ إنسان اليوم يتعامل مع هذه الأمور من باب أنّها اليقين الثابت والحقيقة المدهشة ، يأتي ذلك بعد أن بلغ العالم مرحلة مؤذية جدّاً من سيطرة الدعاية لهذه الظواهر على وسائل الترويج كنموذج معلومٍ وجبّار مانعٍ للعقل من محاكمة القيم .. لا شكّ أنّ هذا واحد من المعاني التي أشار إليها النبيّ (ص) وربّما لم يكن أحد يظنّ أو يخطر على باله أنّ العالم الذي يصل — كما أشار النبيّ — إلى مرحلة يرى فيها أهل الشرق أهل الغرب ويسمعون حديثهم ويطيرون فوق الغيم وتطوى بهم الأرض ويركبون السماء وغير ذلك من عناوين أنّه يمكن ان يقبل بخرافات وأساطير عبثية مثل هذه وغيرها ...

الغريب أنّ العالم الماديّ سواء كان في معناه الرأسمالي الحرّ أو الشيوعي الإشتراكي أو في معنى الملل الأخرى التي تحتكر بعض المواقع في العالم تصرّ على ضرورة اعتماد الحسّ كميزانٍ وظيفي وحصري للكشف عن الحقائق ومع كلّ هذا لا يرى مشكلة أبداً في الاعتماد على أقوال المبصرين والأبراج .. ! خاصّة أن سوق الدعاية اليوم لهذه الأشكال تربح كلّ عام مئات ملايين الدولارات وتعتبر من ضمن العوامل العشرة لجذب الزبائن للمحطّات الإعلامية ...

أمّا بالنسبة إلى الشقّ الآخر من النصّ فهو واضح في الإشارة إلى خروج الأمراء عن الشريعة ، انحراف القراء ، ونفاق العلماء ، الذي يكون منه أكل المال بالباطل ، وتشبه النساء بالرجال ، والرجال بالنساء ، واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال .. وصولاً إلى الإبحار بالفرج (بيع الهوى والإستثمار الجنسي) والقتل وأكل السحت وشبه ذلك .. وبطبيعة الحال سيكون هناك مذاهب وأمم مع ما يلازمها من عناوين وقيم مختلفة ، كلُّ يقودها أمير وحاكم ، وهو تعبير عن التعددية في الدول والإجتماع السياسي ، وحسب الصيغ القرآنية : الطريق إلى الله تعالى هو واحد (الصراط المستقيم) أمّا المذاهب الخارجة على شرع الله فهي كثيرة ، وفي تعبير القرآن هي السُّبُل ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١٥٣) ^١

وعليه : يكون التعدد في الإنحراف والباطل ، في الخروج عن شرعة الله تعالى ، التي تتجلى في الكتاب والسنة ، بما تعنيه السنة من قول المعصوم بما في ذلك المهديّ (عج) وبطبيعة الحال تكون الفرقة المستقيمة واحدة ، وفي الحديث عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله (ص) :

كيف أنت يا عوف ، إذا افتقرت هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وسائرهن في النار ، قلت : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا

^١ سورة الأنعام .

كثرت الشرط ، وملكت الاماء ، وقعدت الحملان
على المنابر (أي حَكَمَ المسلمين أطفال) واتخذ القرآن
مزامير ، وزخرفت المساجد ، ورفعت المنابر ، واتخذ
الفئ دولا (اي احتكرت ثروات المسلمين بين فئة
خاصة) ، والزكاة مغرما ، والامانة مغنما ، وتفقه في
الدين لغير الله ، وأطاع الرجل امرأته ، وعقّ أمه
وأقصى أباه ، ولعن آخر هذه الامة أولها ، وساد القبيلة
فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل
اتقاء شره ، فيومئذ يكون ذلك ، ويفزع الناس يومئذ
إلى الشام يعصمهم من عدوهم ، قلت : وهل يفتح
الشام ؟ قال : نعم وشيكا ، ثم تقع الفتن بعد فتحها ،
ثم تجيء فتنة غبراء مظلمة ، ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً ،
حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي فإن
أدرckte فاتبعه وكن من المهتدين ..¹

أقول : ما أشار إليه الحديثُ من الفتنِ والباطلِ واحتكارِ الثروةِ وحكمِ
الحملانِ (الأطفال .. ! تعبير يُرادُ منه الإشارةُ إلى حكمٍ من ليس بأهلٍ لذلك مع
صفةٍ في صغر السنِّ ..) وهو تعبير دقيق في مغزاهُ لبيانِ الوظيفةِ الوصفيةِ وكلّه
موجود في كثيرٍ من النصوصِ الصادرةِ عن النبيِّ والمتفقِ عليها بين السنةِ والشيعةِ
أمّا ما خصّ تعبير أن يطيع الرجلُ امرأتهُ فالثابتُ وبنصوصِ النبيِّ وأهلِ البيتِ (ع)
أنّ طاعةَ المرأةِ في غيرِ باطلٍ أو حرامٍ هي جائزةٌ ولا محذورٍ فيها ، نعم المحرّم في

¹ الطبراني : ١٨٠ ص ٥١ ، ٩١

الطاعة تلك هو النزول عند رغبتها في محرّم أو تركها فيه وهو تعبير في غاية الدقة — ولو من ناحية التقريب والمثال — لما عليه عصرنا اليوم من فتاة أو زوجة أو أخت أو ذي رحم ، حيث نموذج التعرّي والثياب الرقاق والضيق والمثير للغريزة أصبح عنواناً معولماً مؤذٍ بشكلٍ مثيرٍ وغريبٍ وهو عبارة عن حرب صدامية مع موثيق الله تعالى ورسالة النبي (ص) .. كلّ هذا فضلاً عن الزنا وتوابعه ، وفي تعبيرٍ توضيحي عن إشارتنا هذه ما ورد في وسائل الشيعة عن النبي (ص) أنّه قال :

من أطاع امرأته أكبه الله على وجهه في جهنم . قيل ،
وما تلك الطاعة ؟ قال (ص) : أن تذهب إلى الحمامات ،
والثياب الرقاق فيحبيها .^١

أقول : يكفي للدلالة على معنى الطاعة في محرّم ما أشار إليه النبي (ص) من موافقة الرجل امرأته في لبس الثياب الرقاق ، وهو تعبير عن اللباس الذي يظهر مفاتن المرأة ، ويحرّك الشهوات ، ولا يستر من المرأة زينتها .. ولا نحتاج اليوم إلى شرح كثير لتفسير المراد ، ففي عالمنا اليوم يعتبر التعرّي النموذج الجمالي للمرأة والصفة المعولمة بشكلٍ فحائيّ ، وفي عصرنا يحتفل العالم كلّ عام من ٨ آذار بيوم المرأة العالميّ حيث أبيع لها أن تمارس الدعارة المأجورة ، وأن تعمل كمومس من باب استثمار الجسد ، وأن تبني مدناً للدعارة والتعرّي .. لقد وصل الأمر إلى حدّ يُباع فيه كلّ عام ٥ ملايين امرأة للإستثمار في قطاعاتٍ جنسيّة عبر الدعارة السريّة ، في ظلّ اعترافٍ مكسورٍ من أن سوق النخاسة الجنسيّ الحديد بدأ قوياً

^١ وسائل الشيعة ج ٢ ص : ٥٠

ومدفعاً بقوى جبّارة .. كلّ ذلك في ظلّ رقمٍ مخيفٍ من ضحايا الإيدز وصل إلى ٦٠ مليون نسمة بين حيٍّ وميّتٍ ، بقي منهم على قيد الحياة ٤٠ مليون ، وأنّ الرقم ما بعد العام ٢٠٠٢ سيصل إلى نسبةٍ مخيفةٍ ومذهلة ، وباعترافٍ صريحٍ من دول العالم أنّ ٩٩ من نسبة هذا الرقم نتيجة العلاقات الجنسية القائمة على قاعدة الحرّية الشخصية في ممارسة الجنس دون أيّ قيد ..

والذي أحبُّ أن أوكد عليه هنا أنّ النصوص الصادرة عن النبيّ والأئمّة عليهم السلام في خصوص العلاقة بين الرجل والمرأة لا تمنع من قريب أو بعيد طاعة المرأة في حلٍّ أو معروفٍ ، إنّما تنهى عن حصّةٍ خاصّة هي تلك المحرّمة . وقد كان النبيّ في النصّ الوارد أعلاه يشير علينا بما سيقع فعلاً في ذلك الزمن ، من انهزام الرجل أمام دعاية التعرّي ، من التسليم بالتعري كقيمة جماليّة ، من الإقرار بالتعري كقيمة سوقية إجتماعية ذات مدلول يتمّ تدويله ليكون قيمةً هائيّةً لا تقبل أيّ جدلٍ أو محاكمة ، قيمة تصرّ على حقانيتها تحت عنوان التحرّر وغير ذلك ، وهذا ما سقط فيه المسلمون بشكلٍ عنيفٍ ، فلم يمارس الرجل على إمراة أو بنته أو أخته أيّ دورٍ مانعٍ من ذلك ، وأحبّ أن أشير هنا إلى أنّ الثابت بنصّ النبيّ والأئمّة عليهم السلام أنّ التعرّي أو السفور أو ترك لباس العفة وفق الإطار الشرعي الإسلامي هو من الكبائر الكبائر التي تهنّز لها السماء ، وتغضب الله تعالى وأن كلّ فتاة كذلك مسؤولة بشكلٍ دقيقٍ عن مساهمتها بإشاعة الفساد الأخلاقي وتضعيف عرى التمسك بالإيمان وفضائله وشروطه ، فضلاً عن سفورها وتعريتها حيث يشكّل بذاته معصيةً كبرى .. فضلاً عن مسؤوليّة كلّ من يقدر على منعها فلم يساهم في ذلك ، من أبٍ أو أخٍ أو أمٍّ أو أختٍ أو صديقةٍ أو أيّ شخصٍ آخر حتى الحاكم نفسه .. وتتوسّع المسؤوليّة على الوالدين إلى ما هو ضروريّ

من تطبيع الفتاة على الإلتزام بقيم الشريعة السلوكية إلى ما قبل البلوغ في المجتمعات المنحرفة والبيئة الفاسدة .. ولا يمكن حسب نصوص أهل البيت عليهم السلام أن يحلّ الإلتزام بفريضة الصلاة والصيام محلّ هذه المعصية الكبرى والخطيرة من التعرّي وترك الحجاب والعفة ، بل تؤكد النصوص على أنّ ستر جسد الفتاة وفق المعنى الشرعي الإسلامي مفصل كبير وفريضة أساسية ، تركها عظيم ، وتوبتها لها معنى خصوصي ، على قاعدة أنّ التوبة من كلّ شيء إنّما تكون بحسبه ..

وعليه : أمام هذا الواقع من نفوذ الباطل وانتشار الفساد السياسي الإجتماعي الإقتصادي الأدبي والأخلاقي وبنسب مختلفة ومتصلة بنية وأصل النظرية الوجودية فإنّ الإلتزام الديني في مناطق كبرى من العالم بل في وجهه العام سيتأثر سلباً في ظلّ صراع لا سقف له وتصادم مرير بين تناقض القيم وفلسفة الكيانات فضلاً عن محاولة إبتلاع الحضارات لبعضها البعض ضمن هيكل لا ربّ فيه ولا قيمة لتعاليم السماء ، الأمثلة كثيرة ، لكنها في الأزمنة الأخيرة هي غير طبيعية ، وتدلّ على نحو متهاور من انحدار القيم وتوحشها بدءاً من الإعتقاد الواسع على أدوات الحرب وصولاً إلى شنّ أعنف دعايات الإسقاط الإعلامية عبر الشاشة والصحف والكتب والإنترنت والإذاعة في ظلّ قيادة سوقية غريزية عنيفة تُستعمل فيها كلّ الأدوات الاقتصادية النافذة التي منها إمبراطوريات المال والنقد والتكنولوجيا والخدمات وصولاً إلى كلّ ما له أثر في إعادة إنتاج القناعات الغريزية وتسويقها ومن دون أيّ ضمانات ذات بُعد ميثاقي حقوقي قائم على كفالات نابعة من الإعلانات الحقوقية العالمية ، وبهذه القوة أصبحت على رتبة نافذة ، ما أحالها إلى وظيفة خطيرة بعد أن اجتاحت الدنيا ، وغيّرت القيم ، وها

هي اليوم تساهم في صناعة أذواق العالم وطبيعة تحرّكه نحو الغايات بشكلٍ قويّ ونافذ جداً إلا من يملك مجموعة من قوى ممانعة حقيقيّة ، وقد ثبت فعلاً أنّ التربية الأسريّة والمجتمعيّة الدينيّة أقوى بكثير من أيّ دعايةٍ مهما كانت شرط أن تكون التربية موجّهة ودقيقة .. وقد اعترفت أوسع الدراسات الأمريكيّة في العام ٢٠٠٢ بحقيقة ما عليه نظام التربية مؤكّدة أنّ ذلك أقوى من أيّ مؤثّرٍ آخر في البرمجة المدنيّة للفرد والجماعة ..

ولأنّ الباطل بما يعنيه من قيم وموائق يصل إلى مستوى الشذوذ ، كما يخالف بقوة مفاهيم الشريعة الإسلاميّة ومفاهيمها (شريعة الفقه الوجودي) وفضلاً عن كلّ هذا هو يحكم المجتمعات السياسيّة بشكلٍ نافذٍ فإنّه بطبيعة الحال سيؤثّر بشكلٍ كبيرٍ في الإلتزام الديني ، إلى درجةٍ أقنع فيها قطاعاً واسعاً من المسلمين بقبول مُدجّنٍ للسفور والتعرّي وممارسة الزنا وبيع الهوى والقبول الإختياري بالصدقات الجنسيّة بل وصل الأمر إلى حدّ إنتشار اللواط والسحاق والتحول الجنسي وإدمان المخدرات والخمور وغير ذلك من العناوين الشاذّة كظاهرةٍ مسوّقة تحت شعارٍ حضاري وهي من أخطر العناوين المحرّمة بالإسلام سواء كانت أدبيّة مثل الزنا واللواط والسحاق أو ماليّة مثل الربا والإحتكار وغير ذلك من القطاعات المتّصلة بالسلوك البشري سياسياً ومدنيّاً وإقتصاديّاً واجتماعيّاً وتربويّاً .. حتى أنّ دولة مثل بريطانيا أبحاث الإستنساخ على الجنين عبر خلايا المنشأ التي تؤدي إلى تدمير الأجنّة تحت وطأة عناوين تتعلّق بالعقاقير (الدواء) والأبحاث الطبيّة .. ! من دون أن يكون في الأمر مشكلة حقوقيّة ، لما عليه حقّ الجنين في الحياة وغير ذلك ، في ظلّ انتصارٍ ساحقٍ للفريق الذي يصرّ على نسف أيّ عناوين أو توجيه مسبق في دفتر الحقوق ، حتى أنّ منطق البرلمان

البريطاني تبنى مبدأ " مجرد تحسين فرصة وجود " للفرد الخارجي على حساب أيّ جنينٍ آخر ، دون أيّ التفات إلى معنى الوجوديّة أو حقّ الحياة أو حقّ الصحّة " الجسدية أو العقلية " المتصلة بالأجنّة .. !¹

من هنا يمكننا أن نفهم الإشارات المتكرّرة في أحاديث النبيّ والأئمّة عليهم السلام من إنتشار الفساد السياسي الإجتماعي الأخلاقي العقائدي إلى درجة يُكفرُ فيها بالله جهرة بل قد لا يجد فيها المتدينُّ من يصلي خلفه (إشارة إلى مستوى الإسقاط للرابط الضروري مع السماء والخالق) وهي كما ترى إشارات تنبيه وإدانة لواقع مؤلم وغريب .. ففي الحديث الذي رواه المنهال بن خليفة عن مطر الوراق قال : لا يخرج المهدي حتى يكفر بالله جهرة .. وفي ملاحم ابن طاووس عن ابن حماد قال : يأتي على الناس زمان يقومون ساعة لا يجدون إماما يصلي بهم .. بطبيعة الحال هذا المتن مؤيد بشكل متكرّر من النصوص المروية عن النبيّ (ص) فلا يضرُّ به عدم الإسناد إلى النبيّ مباشرةً لجهة جبره بما ورد صريحاً عن النبيّ والإمام في هذا المضمون .. ومن تلك النصوص ما روتهُ سلامة ابنة الحرّ قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :

إن من أشراط الساعة ، أو في شرار الخلق ، أن يتدافع أهل المسجد لا يجدون إماماً يصلي بهم .. إن بين يدي الساعة فتن (كذا) كأنها قطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ،

¹ يمكن مراجعة هذا الموضوع الدقيق في إطاره الحقوقي والشرعي والعلمي عبر الرجوع إلى كتابنا (الإستنساخ جدل العصر) .

يبيع أقوام فيها خلاقهم (نصيبهم) بعرضٍ من
الدنيا قليل ..

إنّ هذا دليلٌ إضافي على أنّ أسباب الباطل تكونُ قويّةً ومتمكّنة من
الإنسيابِ إلى الآخرين ، إلى درجة أنّ الرجل يمسي مؤمناً فيصبح كافراً ، ويصبح
مؤمناً فيمسي كافراً .. لا شكّ أنّ هذا تعبيرٌ ضمني فيه الكثير من غنى الإشارة
عن حكومة ونفوذ قيم الباطل والفساد المتّصل بحركة الفرد والجماعة والإعتبرات
آنذاك .. وعلى حدّ تعبير الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) : من العصمة تعذّر
المعاصي . وكما تعلم ، فإنّ " نظام الحواجز الاجتماعيّة " المانعة من المعصية أمر
مطلوب في الشريعة الإسلاميّة بهدف تثبيت حواجز في وجه الفساد والباطل ..
النبويّ (ص) في هذا الحديث الوارد أعلاه يشير إلى أنّ بيئة الجماعة والمجتمع تكون
على نقيض هذه القيمة الإسلاميّة بحيث يكون الباطل والانحراف المفاهيمي
والفساد السلوكي يمتناول اليد ، تدعّمه جرّافة كبرى من الدعاية والخبير
الإجتماعي ، عبر الإمارة الباطلة ، والحكم المناقض للشريعة الإسلاميّة ، من هنا
يصيب الإضطراب الإيمان ويحول دونه في كثيرٍ من مواقعه وقيمه ، من خلال
مجموعة هيكلية غريزيّة وفكرية ومجتمعيّة وغيرها تمنع من الإلتحاق بصفّ التدين
والإيمان ، ومن أمثلة ذلك أنّ الباطل يصبح أسلوب حياة ، ومن أمثلة ذلك
السفور والتعرّي والزنا والغشّ والكذب والربا والغيبة والفتنة وكلّ ما يتّصل
بالحرام ، بحيث يصبح الرجل مؤمناً فيمسي كافراً .. وهذا بطبيعة الحال يشير
بشكلٍ دقيقٍ إلى مستوى الهيمنة من قيم الباطل على قيم الحقّ وبشكلٍ مجتمعي ..

المثير في عالمنا الحاضر أنّ الدعاية الدينيّة محارّبة بشكلٍ غريب ، أعلامها
غير معتبرين ، والجميع ينجح نحو الدعاية العبيثة السوقيّة حتى وإن لم تكن حاملةً

في طياتها هدفاً معقولاً ما يدلّ على مستوى الهزلية والإنحطاط في جسم التربية والأهداف النبيلة ، وأريد من ذلك الإشارة إلى أن عامل المحاكمة المنطقية سقط في كثير من مواقع سلوكنا وقيمنا وحياتنا ومعيشتنا .. مثلاً على ذلك بتاريخ ١٠ تموز ٢٠٠٢ عجت متاجر بريطانية بالرجال الذين يشتررون طلاء أظافر ممّا دعا إدارة المتاجر للسؤال عن حقيقة الأمر فتبيّن أنّ قائد المنتخب الإنكليزي ديفيد بيكهام لعام ٢٠٠٢ قد ابتدع موضة جديدة للرجال في بريطانيا والعالم لطلبي الأظافر باللون القرنفلي ما أحدث ثورة سوقية في بريطانيا .. كما كان من قبل قد درّج " موضة جديدة " حين لبس سروال نسائي (تنورة) من ثياب زوجته فكتوريا عضو فريق سبايس غيرلز الغنائي ما أدّى إلى إعتبار بيكهام نموذج تسويق دعاية ، ورمزاً للتقليد الرجالي .. ! ومعروف عنه أن يتدع مجموعة من قيم ذات وجهة سلوكية سخرية لكنّ الشباب في بريطانيا يتجاوبون معه إلى أقصى الحدود اعتباراً منهم أنّ بيكهام رمز وقيمة إنتماء وحضارة .. !

ومن بيكهام إلى مادونا إلى رونالدو إلى مايكل جاكسون إلى بامبلا أندرسون ، إلى مشاهير الأغنية والتمثيل والفنّ بل إلى المومسات واللوطيين الذين أصبحوا يحتلون الإعلانات العالمية في صناعة القيم يكفي أن يقصّ واحد منهم شعره أو يخرج عارياً حتى يسير وراءه عالم الشباب بشكلٍ عارٍ دون سؤال ... يكفي أن يقوم واحد من رموز هوليوود بفعلٍ منافٍ للحشمة حتى يصبح الأمر قيمة جمالية سلوكية ضرورية لا بدّ منها ، ومنذ تلك اللحظة تحتاج العالم .. ! ومع كلّ هذا ممنوع أن تحاول الاعتراض وإلا فأنت رجعي ، متخلف ، مجنون ، معقد ، وبطبيعة الحال أنت متدين .. فقط عليك أن تقلد ما ترى كقيمة حضارية ودليل على الإنتماء إلى عصر المشاهير من دون أيّ جدالٍ .. بحيث يبدو العالم

وهو في هشاشة كبرى ، في اهتزازٍ عنيف ، لا يملك أيّ إمكانية للممانعة ، حتى
قبال اللواط والسحاق وبيع النساء والأعضاء البشرية ، والتحوّل الجنسي
والإدمان على المخدرات والكحول وغير ذلك ..

هذا يبعد النظر عمّا يجري في العالم السياسي العسكري الإقتصادي من
فتكٍ مثيرٍ وغريبٍ ونسفٍ هائلٍ لأدنى شروط القيم على مستوى العالم وبصورةٍ
بجملةٍ يمكنني أن أشير إلى أنّ عالم الموائيق والقيم ذات الوصف المرتبط بالإنسانِ
مفقودة بشكلٍ غريب ، بحيث يكفي قرار شخصي للرئيس جورج بوش الابن
بعد ١١ أيلول ٢٠٠٢ ليهتّد العالم بأسره وقد كان من نماذجه تدمير هائل
لأفغانستان وقتل أكثر من مليون مدني أفغاني لإشتباه الرئيس الأمريكي أنّ من قام
بمجمعات ١١ أيلول هو أسامة بن لادن الموجود في أفغانستان وقبل وجود أيّ
دليلٍ حسيّ مثبت .. بل حتى لو ثبت ذلك لا يجوز على الإطلاق القيام بجملةٍ من
هذا النوع ، بل لا بدّ من إطارٍ حقوقيّ يتصل بأصل الحرب الشرعيّة على الأقلّ
وفق نظريّة الأمم المتّحدة ..

لقد كان النبيّ محمّد (ص) منذ أكثر من ١٤٠٠ عام يشير إلى عناوين
ونماذج مذهلة ، وهي من منظار التقييم إعجازيّة بكلّ ما للكلمة من معنى ، وهو
يحدّد بذلك مجموعة دقيقةٍ ممّا سيجري في العالم وما سيحطّ فيه من قيم وأعراف
ودعايات قاتلة وأنها تكون قبل عصر الظهور وأنّ العالم يعيش مظهرًا عالميًا من
الفسادِ بشكلٍ طاغٍ ... وعليه : في ذلك الزمن يبدو التمسك بالإيمان مجيئًا للدنيا
فلا يؤخذ من الدين إلا ما يقرب من الدنيا ، بل في كثيرٍ من النصوص جاءت
الإشارة إلى تعابير دقيقة وافية في هذه المعاني ، بحيث يظهر الإسلام مجرد اسم ،
والدين مجرد رسم ، لصالح آلهةٍ أخرى ، هي عبارة عن البعد الغريزي ، فيتخذ

الناس بطونهم وفروجهم آلهة من دون الله ، فضلاً عن الدرهم والدينار ، هناك تتساقط القيم وتتهاوى الموازين ، فيصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، ويُهجرُ كتابُ الله وفق نموذجٍ مأساويٍّ مثيرٍ .. الروايات في هذا المضمون كثيرة جداً ، منها ما رواه السكوني عن أبي عبد الله (ع) حيث قال : قال رسول الله (ص) :

يأتي على الناس زمان ، بطونهم آلهتهم ،
ونسأؤهم قبلتهم ، ودنانيرهم دينهم ، وشرفهم متاعهم
لا يبقى من الايمان إلا اسمه ، ومن الاسلام إلا رسمه ،
ولا من القرآن إلا درسه . مساجدهم معمورة ،
وقلوبهم خراب من الهدى ، علماؤهم أشرُّ خلق الله
على وجه الارض . حينئذ ابتلاهم الله بأربع خصال :
جور من السلطان ، وقحط من الزمان ، وظلم من
الولاية والحكام . فتعجب الصحابة وقالوا : يا رسول
الله أيعبدون الاصنام ؟ قال : نعم ، كل درهم عندهم
صنم ..^١

وفي لفظٍ آخر له (ص) قال :

سيأتي على أمتي زمان ، لا يبقى من القرآن إلا
رسمه ، ولا من الاسلام إلا اسمه ، يُسمون به وهم أبعد
الناس منه ، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى ،

^١ جامع الاخبار : ص ١٢٩ وثواب الاعمال وعقابها : ص ٣٠١ - ٤

فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء ، منهم
خرجت الفتنة وإليهم تعود ..

النصوص الشريفة تشير إلى أن الإسلام كمضمون ، سيكون على نحو
من الإبعاد والغربة ، لا قيمة له في قيادة حركة المجتمع العالمي ، ولا في صناعة
القواعد والمبادئ ، بل الغالب في ذلك المجتمع وكعنوان كبروي وتفسير وجودي
ينقلب إلى مستوى معارض ومخالف لما عليه إطار الشريعة وعنوانها .. كل
النصوص تشير إلى أن عالم ذلك اليوم يتعامل من باب الخضوع والإنصياع مع
البطن والفرج والدرهم والدينار ، من باب الطاعة المطلقة ، من باب أنها الميزان
النهائي للقيم ، وأن كل شيء تبع لها ، وبدلاً من أن تعرض كل القيم على القرآن
يفعل الإنسان آنذاك العكس فيعرض القرآن على الغريزة والبطن والفرج والدينار
فما يقربه من البطن والفرج والدينار يأخذ به وإلا تركه .. من هنا حق عليهم
تعبير عبّاد الأصنام ، عبّاد الفرج ، عبّاد البطن ، عبّاد الكرسي ، عبّاد الدرهم
والدينار كما في أكثر من حديث صريح للنبي والأئمة عليهم السلام .. ومن هنا
حسن استعمال النبي لتعابير مثل لم يبق من الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا
رسمة ، ومن الدين إلا درسه ، حيث كل مضمون فيهم مهجور إلا ما قرب من
الدنيا رياءً أو باطلاً ..

وللتعبير بشكل لافت إلى المظهر ، إلى الصورة الخارجية ، إلى جسور
الشكل وغايات العبادة الغريزية ، أشار النبي (ص) إلى أن مساجدهم تكون
معمورة لكن بقلوب خالية من الهدى والإيمان .. هنا يبدو الهيكل الثقافي النبوي
الذي تقوم عليه هذه المنظومة والقيم مادياً بحت ، لا يعترف بمنطق وجودي ذي
صلة كبرى بعالم السماء ، إنما يقيم موازين العبادة على مستوى متصل

بإشباعات غريزية ، كالبطن والدرهم والدينار والفرج والمظاهر المحرمة ، إلى الكثير الكثير من هذه العناوين ذات البعد المؤثر في اشتراع القيم من جهة وصناعة المؤثرات الإجتماعية من جهة أخرى .. ونتيجةً لبتير العلاقة بالله رب السموات والأرض فإن الفقه الوجودي سيتأثر بشكلٍ مريرٍ وبالتالي ستتساقط العناوين الكبرى في مسيرة الفرد والجماعة البشرية ، أما نماذجها العملية التطبيقية فستكون على مستوى غريب مثل القتل والسفك والإعتداء ، واعتماد القوة ميزاناً ، والبطن والفرج والدينار عنواناً ودافعاً مؤثراً في حركة القيم وغاياتها .. في ظلّ هذا الواقع يصبح الإشباع الجنسي مثل اللواط والسحاق والدعارة والبغاء والإعتداء الجنسي على الأطفال وبيع النساء وأعضاء البشر أمراً تابعاً لمنظومة القيم التي أسقطت الله وموازن السماء من شرعتها وقيمها وأقامت مناخ التنافس على أساس الربحية والمنفعة المادية والشهوانية ذات البعد الإرتباطي بمرجعية الغريزة والحسّ القاصر ..

ومن يراقب حركة الجماعة البشرية اليوم يدرك حقيقة تقريبية للعناوين المخيفة التي تسيطر على واقع الإنسان ، حتى على المواثيق الإنسانية مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، حيث فرّغت من الداخلٍ وتهاوت أمام منطقٍ يصرُّ على أنّ الفراغ هو الأساس النهائي لأيّ إشباعٍ على الإطلاق ، هذا ما تتضمنه مواثيق وتعابير الحرية في عناوينها الكبرى المأخوذة كمرجعية في الرأسمالية والعالم الحرّ ، خاصة تلك التي تتعلق بالحرية في شقها الشخصي والفكري ، فمع الحرية الشخصية وصل الأمر إلى حدّ اعتبار الإشباع الجنسي غاية ضرورية تحت أيّ عنوانٍ مطلق ، سواء كان لواطاً أم سحاقاً أم دعارة وبغاء لا بأس في ذلك أكانت مع البشر أم مع الحيوانات .. ! وتحت عنوان الحرية الفكرية سوّقت الدعاية أنّ

فكرة " الله " ما هي إلا مجرد فكرة وهمية عبثية لا معنى لها ، وأن الله لو كان موجوداً لتدخل في حياتنا ودلنا عليه .. ! وسيطر على كرسيّ والأمر والنهي عبر السماء والملائكة .. ! إلى هذا الحد من السخافة والإهيار واصلت الثقافة المنحرفة دفعها في سوق الإنسان من دون أيّ تحكيمٍ عاقلٍ مدركٍ ونظيف .. !

لقد وصل الأمر إلى حدّ التعامل مع إهرامات مصر وغيرها من الابتكارات القديمة الدقيقة على أنّها تحتاج إلى جهود جبّارة معقدة وعاقلة جداً وأذهان كبروية محدّدة الأهداف وإلى بنية علمية هائلة ، وبهذا نعبّر عن مظهر الوجود الماديّ ذاك إلى نتيجة مفادها أنّ مهندس تلك الأماكن ومنظرها كان مثلاً حياً للقدرة والعلم والحكمة القياسية .. وفي نفس الوقت نتعامل مع السموات ومعجزات الوجود بكلّ تعقيداتها المذهلة على أنّها مظهر وجودي عادي لا يعني شيئاً على صعيد الصلة الوجودية ، ومنطق الله الخالق القيوم .. !

هكذا هي الحال مع عالم الدعاية والأذهان الخطيرة ، فالحرية الفكرية في العنوان الأوّل لا تسمح على الإطلاق التشكيك بالقيمة الحكيمية والإستثنائية لمن هندس إهرامات مصر ، أو شيّد برج إيفل ، لكنّها هي ذاتها ترى أنّ تجاوز فكرة الله خالق الكون ومكوّن الوجود بكلّ إعجازه أمر طبيعي وعادي بل ضروري ! بل تصرّ الثقافة الغريزية على عدم الدخول في فصل الخالق ، لمتابعة شوط " تكريس الغريزة كمرجعية إشتراعية " في عالم الجماعة والإجتماع دون أيّ ضابطٍ أو حدّ كوني أو شرط وجودي ..

بطبيعة الحال ، سيكون كلّ شيء غريباً وعلى وشك الإهيار والخطورة ما دام أنّ قيمة الخالق وأهداف الخلق تماوت وسيتعامل كلّ فردٍ مع الآخر من باب

المنافسة المتوحشة ، في طولِ سلّمِ المنفعةِ الغريزيةِ بكلِّ ما تعنيه في هذا المجال ..
وعليه : سيكون من نتائج هذه الثقافة أن القتلَ والمتاجرة بالموتِ وإستغلال
الثروات البشريةِ واحتكارها ، بل تجارة الأكفان والأعضاء ، وكلِّ ما يتصل
بجوى وجوع ومأساة دواء مئات الملايين من البشرِ سيكون عادياً جداً ، بل
ضرورة نفعية في طولِ الصراعِ المرير بين الدولِ والأشخاص على الثروةِ والمالِ
والسلطان والفرج والبطن والدينار وغيره ، وبداخل كلِّ دولة سيكون الصراعُ
أعنف على امتلاك مفاتيح المنفعةِ والسلطةِ ، بحيث يتحكّم ٤ في المئة بمصير البلد
ومن وراء ذلك تتحكّم أقلية نادرة بمصير العالم قيمةً ومفاهيم ودعايةً وأهدافاً
واستغلال .. من هنا ردّ النبي (ص) مظاهرَ الوجودِ بقيمه ، في هذا الزمن إلى
عناوين كبرى منها :

١ . جور من السلطان (عبثية خطيرة في الوجود) ..

٢ . قحط من الزمان .

٣ . ظلم من الولاة والحكام .

في التعبيرين الأوّلين إشارة عالية إلى واقعٍ تاريخيٍّ وحاضرٍ ، متجلُّ اليوم
بصورته المذهلة في عالمنا الحالي ولو من بابِ فرض المثالِ الفعلي فجورُ السلطان
يعني حرفٍ وتحوير مسيرة البشر عن الحقيقة بشقيها الكوني والاجتماعي ،
وكلاهما شرطٌ مترابطٌ لبلوغ البشر مرحلة التكاملِ الممكن ، ويكفي فيه إسقاط
البعد الوجودي للفرد في مسيرة الكون ، وما تعنيه كاستنطاقٍ وجوديٍّ حكيمٍ
على الأقلّ .. ويكون من نتيجته العمل على استغلال المنافع بشكلٍ مختلفٍ لا يهتمّ
معه موت ما يقارب ٤٠ مليون إنسان كلَّ عام بسبب الجوع وسوء التغذية ، لا
يهمّ معه تعداد ضحايا الإيدز بما يزيد عن ٦٠ مليون نسمة لصالح الإباحية

الجنسية ، لا يهتمّ معه موت ١١ مليون طفل كلّ عام لأسباب تتعلّق بالجوع
وسوء التغذية ، لا يهتمّ معه إقامة سوق نخاسة تتاجر بالنساء بيعاً لما يزيد عن ٥
مليون امرأة كلّ عام .. لا يهتمّ معه إحتكار الثروة العالميّة على يديّ ١٠٠
ملياردير أمريكي يملكون أكثر من مداخل نصف سكان الكرة الأرضيّة قاطبةً ..
لا يهتمّ معه ما أشارت إليه مجلّة فوربس السنويّة الخامسة عشرة لعام ٢٠٠١
حيث رصدت ٥٣٨ شخصاً بلغ إجمالي ثرواتهم (١,٧٣ تريليون دولار) وهو
مبلغ يفوق إجمالي الناتج الوطني الفرنسي .. ! لا يهتمّ معه وجود ٣ مليار شخص
يعيش نصفهم على أقلّ من دولارين باليوم ، ويعيش النصف الآخر على أقلّ من
دولارٍ واحدٍ في اليوم .. في نفس الوقت الذي تبلغ فيه ثروة رجل أمريكي واحد
في الأربعين من عمره هو بيل غيتس أكثر من موازنة حوالي ٨٠ دولة فقيرة
ونامية ... ! لا يهتمّ معه وجود مليار وثلاثمائة مليون شخص من دون مياه صالحة
للشرب ، في نفس الوقت الذي تقدّر فيه ثروة الكلب غونتر برقع مليار دولار ،
وينفق رموز لعبة القمار في العام الواحد مليارات الدولارات في العام .. لا يهتمّ
معه وجود أكثر من ٨٠٠ مليون إنسان يعانون سوء التغذية الى درجة دون الخطّ
الاحمر بكلّ ما تعنيه هذه التسمية من وجعٍ وجوعٍ وأمراضٍ قاتلةٍ بشكلٍ نهائيّ ،
لا يهتمّ معه وجود أكثر من ٤٠ الف شخص يموتون يومياً نتيجة أمراض يمكن
علاجها . كلّ ذلك في نفس الوقت الذي ينفق فيه العالم كلّ عام أكثر من ألف
مليار دولار لإنتاج الأسلحة القاتلة .. !

إنّ هذا مثال توضيحي لنموذج العالم الذي أشار إليه النبيّ محمّد (ص)
في ظلّ صورةٍ مسحيةٍ رقميّةٍ مخيفةٍ ... إنّه عالم تتحكّم به مجموعة من الشركات
الكبرى ، التي تتعامل مع البشر من بابٍ أنّهم مجرد مادّة نفع ضمن أشكال

متعدّدة وأطر مختلفة دون أيّ قيمة لإنسانيتهم ، بحيث جرّدهم من كلّ صلةٍ وجوديّةٍ سوى من بُعدهم السوقي .. ! في هذا العالم تسيطر شركات وبورصات وأسواق سلاح ومخدرات على ٩٠ في المئة من الاقتصاد العالمي . في هذا العالم بلغت ديون الفقراء أكثر من ٣ تريليون دولار بل إلى ٣,٥ تريليون دولار .. ! ونسبة ربويّةٍ على هذه الديون تصل إلى أكثر من ٥٠ في المئة من صادرات الدول الفقيرة ، بعيداً عن سداد الدين نفسه .. ! في هذا العالم الخطير لا يملك ٢٠ في المئة من البشر الأكثر فقراً إلا ١,٥ في المئة من الدخل العالمي في حين يملك ٢٠ في المئة من البشر الأكثر غنى ٨٦ في المئة من الدخل العالمي و ٨٢ في المئة من صادرات العالم و ٧٤ في المئة من مجموع خطوط الهاتف و ٨٣ في المئة من مستخدمي الإنترنت ... !

هنا يبرز " جور السلطان " وما يتبعه من قحط الزمان ، قحط في إدارة الثروة ، في التوزيع ، في التوظيف ، في عدالة الإشباع النوعي .. ومن يقرأ كتابنا " العولة " يدرك ما أشرتُ إليه هنا من رعبٍ وخطورةٍ وظلمٍ مذهلٍ وانحرافٍ كبيرٍ .. بطبيعة الحال ، فإنّ هذه القيمة الوجوديّة الساقطة في موثيق الجماعة المتناحرة على المال والفرج والسلطة والمناجم أفرزت تصوّراً عن البشر كمادّةٍ سوقيةٍ ليس إلا ، وعملت على بناء مملكتها على جماجم البشر دون أن ترى في الأمر ظاهرةً مزعجةً أو كارثةً مخيفةً .. (وهذا الكلام كما ترى تدلّ عليه الأرقام وليس هو من باب الإشارة الأدبيّة ..) .

لطالما أشار النبيُّ محمّد (ص) في زمنٍ سابقٍ مختلفٍ جداً إلى مظاهر يومنا هذا وقيمه من عصر الغيبة وما بعدها في حين كان هذا التصوّر ذلك اليوم بعيداً

حتى عن عالم الخيال الأدبي ، ليتجسّد فيما بعد حقيقةً ممارسَةً موجودةً بشكلٍ مهيمن .. وفي الحديث عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :

سيجيء أقوامٌ في آخر الزمن ، وجوههم وجوه
الآدميين ، وقلوبهم قلوب الشياطين ، أمثال الذئاب
الضواري ، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة ، سفاكون
للدماء ، لا يراعون عن قبيح ، إن بايعتهم واربوك ،
وإن تواريت عنهم اغتابوك ، وإن حدثوك كذبوك ،
وإن اتّمنتهم خانوك ، صبيهم عارم ، وشابهم شاطر
وشيخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر .
الاعتزاز بهم ذلّ ، وطلب ما في أيديهم فقر ، الحليم
فيهم غاوٍ ، والأمر فيهم بالمعروف متهم ، والمؤمن فيهم
مستضعف ، والفاسق فيهم مشرف ، السنة فيهم بدعة
والبدعة فيهم سنة ، فعند ذلك يسلط الله عليهم
شرارهم ، فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم ..^١

إنّ عالم اليوم هو واحد من أمثلة هذا النص ولو من باب الإنطباق على
مفاهيمه لجهة أنّ زمن الغيبة من مصاديق آخر الزمان .. ففي هذا العالم مجموعة
من عناوين متوحّشة فتاكة ، منها : صراعٌ على الثروة والمادّة والسطوة والفرج
والبطن والدولار ، بكلّ أدوات الفتك والتجويع ، حتى أنّ شركات الأنسولين في
العالم تصرّ على أنّ لها حقّ التسعير التجاري ، وأنها غير ملزمة فحائيًا بسعرٍ

^١ الطبراني الصغير : ج ٢ ص ٢٩

أخلاقياً أبداً ، وأن مشكلة الملايين الذين يموتون سنوياً لعدم قدرتهم على شراء الأدوية تلك أمر تتحمّله دولهم ، وأنها لن تتعامل أبداً من باب التوزيع الإنساني أبداً بل على قاعدة : من يملك مالاً يملك دواءً ومن لا يملك مالاً فمصيره الموت !

ومن مشكلة الأنسولين إلى الأرز والقمح ، إلى الأدوية الأخرى ، إلى الشركات العابرة للقارات التي تضرب بعنفٍ مريعٍ في بقاع الأرض ، وهي ملكٌ لقلّة من الأشخاصٍ تعدُّ على الأصابع وتتحكّم بالإقتصاد العالمي بشكلٍ قويٍّ ونادرٍ .. بحيث ترى كلَّ شيءٍ في هذا العالم متمركزاً في قلوبٍ مفترسةٍ ، تقوده نوايا خطيرة وأهدافٍ ماديةٍ غريزيةٍ ، وكما قال رسولُ الله : وجوههم وجوه آدميين ، وقلوبُهم قلوبُ شياطين ، أمثال الذئب الضواري ، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة ، سفاكون للدماء ، لا يراعون عن قبيح ..

إن من يراقب ما يجري اليوم في الإمبراطورية المنتصرة (العالم الحرّ الذي يعتمد الديمقراطية الليبرالية) يندهل جرّاء الخفايا التي بدت وهي تضرب بالبنية والسطح وبشكلٍ نافذٍ ونادرٍ ، حتى أنّه مع كلِّ موسمٍ واجتماعٍ أمميٍّ أو قاريٍّ تنهض مئات الآلاف إلى الشارع من أوروبا وأمريكا الشماليّة لإدانة الليبراليّة والعمولة بشكلٍ هائلٍ وصلت معها في جينوى الإيطاليّة إلى حدّ العنف غير المحتمل الذي أدّى إلى وقوع مئات الجرحى وهناك سقطت أول ضحية بشرية في صفوفٍ مناهضي الليبراليّة والعمولة على أثر المواجهة بين الشرطة والمتظاهرين بالقرب من المؤتمر الذي يتزعمه أباطرة الليبراليّة والعمولة في كلِّ من أوروبا وأمريكا الشماليّة وتحت أنظار كلِّ زعماء العالم الحرّ .. كما أنّه في تاريخ ١ شباط ٢٠٠٢ إبان أعمال " المنتدى الاجتماعي العالمي " الثاني في مدينة " بورتو أليغري " البرازيليّة خرجت تظاهرة حاشدةٍ ضمت أكثر من ستين ألف شخص رفعوا شعاراتٍ

صاخبة في عدائهم المعلن ضد الليبرالية والعولمة وصندوق النقد والبنك الدولي ،
ولسياسات الولايات المتحدة الأمريكية .. وفي ختام التظاهرة أقيمت كلمات
مسجلة ، لمجموعة من المفكرين منهم الكاتب اذاردو غاليانو والمفكر الأمريكي
نعوم تشومسكي وأرسلت على الهواء مباشرةً من نيويورك تحيات المتظاهرين
المناهضين للعولمة ضد المنتدى الإقتصادي العالمي المنعقد هناك مؤكدين على
ضرورة السير بقوة من أجل إعادة حقوق المواطن الإنسان إلى الواجهة ، في ظل
نظام رأسمالي ليبرالي مجحف ، يعطي أصحاب الثروة حقوقاً جارفة وإقطاعية
محتكرة .. كما أكدت الكلمات التي أقيمت هناك على أن الناس والمناهضين
قادرون على إختراع السياسة والإقتصاد من جديد وإبتكار أشكال إنسانية لإدارة
شؤونهم بعيداً عن " الإستغلال والعبودية " التي كرستها " العولمة النيولبرالية " ..

وفي نيويورك أفتتح المنتدى الإقتصادي العالمي وسط إجراءات أمنية
مشددة ، لتأمين سلامة الآلاف من كبار القادة السياسيين والإقتصاديين ورجال
الدين والأعمال في العالم ، الذين أمضوا خمسة أيام في حوارٍ جدّي وساخن حول
سلسلة كبرى من المشكلات والقضايا التي تواجه العالم وأهمها الليبرالية وإقطاعية
رجال المال وملاك الشركات العابرة للقارات .. وقد تركّز موضوع المنتدى هذا
العام تحت عنوان " القيادة في أزمنة هشة ، رؤية للمشاركة المستقبلية " في إشارةٍ
دقيقةٍ إلى أزمة الإنسان في جهاته المتعددة : في ثروته ، في تضعف الفرصة
المضمونة للممارسة الحقوقية في المجالات السياسية والاجتماعية والإقتصادية ، في
أزمة الإحتكار المالي ، في هشاشة المواثيق الحقيقية التي يجب أن تحكم الإطار
الكامل للفرد كإنسان .. وقد اعترف المجتمعون بأزمة إحتكار ، بأزمة موت
مليونين بسبب الجوع والتمييز العنصري الإقتصادي المخيف الذي تمارسه

الشركات الكبرى في العالم .. في حين كان المناهضون للعولمة والليبرالية يتلون مجموعة من أرقام أهمها أنّ ما يصل إلى ٦٥ مليون إنسان كلّ عام يموتون لأسباب تتعلق بالجوع والجوع المجحف والوجع والإحتكار المالي النقدي الطّبي .. في حين أنّ واحداً من ملاك الثروة العالميّة (الأمريكي بيل غيتس) يجني في عام واحد أكثر مما تجني ٤٨ دولة أفريقيّة فقيرة .. !

وعليه : يبدو العالم وهو يعيش مرحلة خطيرة ، تحكمه مجموعة قراصنة على المستوى المالي النقدي الإقتصادي ولأسباب إعتباريّة غير عادلة نهائياً ، وعلى الأقلّ لا تعترف هذه الإعتبارات الميثاقية أو العرفية بأيّ ضمانة للفرد من النوع البشريّ بخصوص حقّ الحياة المكفول ، في ظلّ تعددية كيانية قسّمت الكوكب الأرضي إلى دولٍ وتبعياتٍ (حاكم ومحكوم (قاتل ومقتول) محتكر ومحتكر) في ظلّ سوقٍ فوضويّ ، لا تحكمه قوانين عالميّة ، ولا يستفيد من وجود حكومة عالميّة لمنع هذه الفوضويّة والفراغ مع ضرورة الإنضباط النهائية من الناحية النظرية لإقامة نوع من نادٍ عادل على مستوى السوق والثروة وباقي العلاقات السياسيّة المتصلة بالإنسان ، هذا إن بقي في قلوب هؤلاء الأباطرة من معنى للإنسان .. وإمعاناً في فصل الإنسان عن الهوية النوعية الطبيعيّة ذات البعد الميثاقي العالمي أقامت كلّ دولة منظومتها على نحوٍ من منظومة المواطنة (وهذا أسوأ المحدث مخيف في حقّ الإنسان) وهي كما ترى ترفض أن يكون العنصر الإنسانيّ أو التعريف البشري النوعي موضوعاً شرعتها التي تشتمل على نوعٍ محدّدٍ من الحقوق والموجبات .. وعليه : أقرّت المنظومة العامّة للإختصاص الحقوقى المالي المدني والتجاري حقّ التراكم المالي لأيّ شخصٍ حتى لو وصل الأمر إلى حدّ إحتكار واسع لمحمل الثروة بشكلٍ تقريسيّ كما هي الحال في أزماننا هذه بحيث

يحتكر نادي كبار الأثرياء مع قلةٍ عددهِ ثروةَ العالمِ بشكلٍ مثيرٍ ومذهلٍ .. وأمام هذه النظرية في الملكية القائمة على نحوٍ من حرية الديمقراطية في وجهها الليبرالي تجسّد نوعٍ عنيفٍ من الجورِ والظلمِ الذي أودى بحقيقة إتمام الثروة النوعية للبشر ولو على نحوٍ من ضرورة الإقرار الأولي فبدا البشر مجرد مزارعين في إقطاع ثروة الغني وإمبراطوريته المالية الكبرى ..

أمام هذا الواقع من التجربة البشرية في شقي الاشتراكية والديمقراطية كنموذج عن المواثيق الوضعية غير السماوية بدا النزيفُ هائلاً ، بدا الإنهيار مخيفاً ، بدت الظاهرة الأرستقراطية المحتكرة ، بدت البرجوازية في كلا المعسكرين قاتلة ... إنهار النظام الاشتراكي ، وتماوت من بعده النظرية الشيوعية ذات الصلة بالثروة ونظرية البنية الهيكلية للمجتمع العالمي ، وبقيت النظرية الرأسمالية على مسرح العالم ، وهي تسيطر على أكبر بقاعه ، وكانت المفاجئة في اليوم الذي أعلن فيه بيل كلنتون تأرّخ الانتصار للديمقراطية بشقيها السياسي والليبرالي حيث شاهد العالم عشرات الآلاف الغربيين الذين خرجوا بقوة غير مسبقة لإدانة الليبرالية والعولمة (الولد الطبيعي للعقل الليبرالي) ..

لقد بدا كلُّ شيءٍ مُذهلاً ، كان العالم في ذلك الوقت يقرأ بشكلٍ غريبٍ ومزعجٍ ما يراه في شوارع نيويورك وواشنطن ، إلى أن بدأت الإنتفاضة الأشمل على الليبرالية والإطار الفكري للعولمة بشكلٍ واسعٍ في كثيرٍ من مدن الغرب وصولاً إلى حيّ المال ببريطانيا ، إلى نيس إلى براغ إلى أستراليا إلى جينوى إلى برشلونة ، إلى كلِّ دولةٍ وحيٍّ غربيٍّ ، في ظلِّ جموعٍ هائلةٍ متزايدةٍ ، تصرُّ على إدانة الديمقراطية الرأسمالية كنظرية حكمٍ وتوجيهٍ وكفالةٍ مواثيق .. هنا توقفت الصحافة أمام النظرية ، أمام النتائج التطبيقية ، أمام الثروة القومية ، أمام محصلة

الفائدة من الناتج المحلي للعالم ، أمام برجوازية العالم ، أمام الإحتكار الشرس من قبل قلة غنيّة للعالم الغربيّ ، أمام ٦ في المئة يحتكرون ثروة فرنسا ، أمام ٨ في المئة يحتكرون ثروة الولايات المتّحدة ، أمام ٧ في المئة يحتكرون ثروة كندا ، أمام أقلّ من ٧ في المئة يسيطرون بشكلٍ مطبقٍ على ثروة إنكلترا .. أمام هذا الواقع كان كلُّ شيءٍ هَشًّا ، فمنظومة الحقوق السياسيّة الإجماعيّة الإقتصاديّة هي حكرٌ الغنيّ دون كفالةٍ مضمونةٍ للكثرة التي تعتمد على دخلٍ محدودٍ كافٍ لمنافعها وحاجاتها فقط .. كان الغربيّون يعيشون واحدةً من المنظومات البشريّة التطبيقية منذ أمدٍ طويلٍ لكنّ الواقع والأثر في التجربة ، في الأحاسيس ، في الأزمات ، في الثروة والأسواق ، في النوادي الإجماعيّة ، في النوادي السياسيّة ، في البورصة ، في الصيغ الماليّة كالشركات والمؤسسات ، في البيوتات ، أثبت أنّ النظرية خلقت ما سمّاه مناهضو العولمة " وحش الليبراليّة القاتل وبرجوازية الإقطاع " ..

وبتاريخ ٤ شباط ٢٠٠٢ كان عشرات الآلاف من مناهضي العولمة والليبراليّة يطوفون شوارع نيويورك (عاصمة المال للولايات المتّحدة والعالم) وهم يندّدون بشدة بالرأسماليّة ووحشيّة الشركات الكبرى وإقطاع رجال المال الإحتكاري ، والمواثيق القانونيّة التي تحكمها ، برجال المال والأعمال الذين يمسكون الإقتصاد العالمي بشكلٍ نافذٍ ومُقرصن وفق نموذج إحتكاري .. كلّ ذلك في نفس الوقت الذي بدا فيه أنّ كثيرين من المفكرين الأمريكيين أصبحوا على قناعة تطبيقية بأنّ استغلال ثروات الكون على شكلٍ إفتراسي واحتكاري من شأنه أن يعيد إلى الأذهان إنتقاماً حاداً من قبل أيّ كان ، كالذي جرى إبان هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ وما صاحبه من أكبر انهيار أمني نفسي إقتصادي على مستوى العالم ..

واللافت أنّ قادة العالم السياسي في هذا الاجتماع الذي هو حكرة الأغنياء قالوا أنّه لا بدّ من الخوض بضرورة في تأسيس إطار لعولمة ذات طابع أخلاقيّ ، وإلا فإنّ الخلل الإقتصادي من شأنه أن يولّد وحوشاً مفترسة ، ويؤدّي إلى ضرباتٍ عنيفةٍ وعنيدةٍ في الغرب قبل غيره .. معترفين أنّ هناك قوّة مفاهيم في السوق تسحق الفقراء ولا تهتمّ إلا بالثروة .. ! وقد قالت مفوضة الأمم المتّحدة لحقوق الإنسان ماري روبنسون لكبار رجال لسياسة والأعمال في العالم :

إنّكم تواجهون تحدياً يتمثّل في ضرورة منح المواطن العادي دوراً أكبر في إطار العولمة ، وينبغي أن نتوجّه نحو عولمة ذات طابع أخلاقيّ ، ونوحّد وسيلة لتحقيق ديمقراطيّة شعبيّة على المستوى الدولي ..

وأشار أسقف كانتربري جورج كاري إلى انهيار شركة انرون الأمريكيّة التي تعمل في تجارة النفط في العام ٢٠٠٢ والتي فاقت أكثر من ٤٠ مليار دولار ، مؤكّداً أنّ هذا الإهيار يؤكّد وجوب التساؤل بشكلٍ جديّ عن مهمّة النزاهة والمساءلة داخل النظام الرأسمالي .. !

بالمقابل تصرّ الولايات المتّحدة وأوروبا الغربيّة على ضرورة متابعة سياسة الحواجز التي تمنع بضاعة الدول الفقيرة من دخول أسواقها في ظلّ سيطرة غربيّة نهائيّة على أسواق الدول الفقيرة والعالم ، بدءاً من ثروة الباطن وصولاً إلى استغلال القطاعات الحيويّة في كلّ دولةٍ انتهاءً بالسيطرة المطلقة على السوق ، في ظلّ استعمارٍ إقتصاديّ عالميٍّ هائلٍ تقوده الليبرالية .. وقد أكّدت مجموعة واسعة من ندوات المناهضين للعولمة الخوف المتراكم والحذر من الانتقال الصارخ للسلطة

في أوروبا وأمريكا من يد السياسيين المنتخبين إلى شركات ومنظمات ومؤسسات المال (تحوّل السلطة من رجال السياسة إلى رجال الإقتصاد) فالمؤسسات الماليّة هناك تقبض على الشرائيين الإقتصاديّة التي تحرك العالم .. ما يعني أنّ الديكتاتوريّة البرجوازيّة تضرب بعنفٍ لا مثيلَ له وبطريقةٍ مختلفةٍ في أهمّ الدول ، في حين مفروضٌ فيها وفق الشقّ النظريّ الضروري أن تكون النموذج التطبيقيّ المضمون للديمقراطيّة الشعبيّة .. ! لا أن تعمل على ابتلاع الأفراد بشكلٍ غريبٍ ودون أيّ شفقةٍ ، عبر القاطرات العملاقة لرجال الأعمال الذين يسيطرون بشكلٍ تام على كل مقاليد السلطة والمال ، ويؤثرون بشكلٍ مخيفٍ على تكوين الفكرة والرأي العام والمعاني المراد تسويقها .. وقد قال الأمريكيّ بيل غيتس مالك شركة مايكروسوفت والبرجوازيّ الأوّل في العالم :

الناس التي تشعر بأنّ العالم ضدّها ستتج نوعاً من الكراهية التي تشكّل خطورة كبيرة لنا جميعاً ..
وأضاف : أعتقد أنّ التظاهرات في الشوارع علامة صحيّة ، إنهم يثيرون سؤالاً مفاده : هل العالم الغنيّ يعطي ما هو كافٍ .. !

وقالت هيلاري كلنتون زوجة الرئيس الأمريكيّ السابق وسناتور نيويورك : لقد أشارت إستطلاعات للرأي عالميّة أجريت حديثاً أنّ الأمريكيين أنانيّون وأنهم يصيغون الإقتصاد العالمي وفق أهوائهم ومصالحهم الذاتية .. وأقرّت قائلة : لم نقم بحصّتنا العادلة في مواجهة بعض التحديات العالميّة .. أمّا كوفي أنان الأمين العام للأمم المتّحدة فقد أشار إلى أنّ الإنطباع بين كثيرين هو أنّ العولمة تُقاد من جانب نخبة عالميّة (إحتكار الفئة الأقلّ مطلقاً في العالم) هذه

النخبة مكونة من مجموعات الرأسمالية ورجال الأعمال .. ولقد بدا واضحاً من خلال الشخصيات السياسية والإقتصادية التي بلغت ٢٧٠٠ شخصية من كافة أنحاء العالم أنه لا بدّ من التعامل مع العولمة من منظار هاجس هجمات ١١ أيلول وأنّ الفقر ربّما فعل أكثر من هذا .. إلا أنّه على صعيد القرار الأمريكي الأوروبي لا يظهر الأمر كذلك . فقد تجلّى كتعبير ميداني من خلال زيادة الإنفاق على الترسانة العسكريّة ، ومحاولة السيطرة على البرّ والبحر والفضاء العالميّ ، إلى درجة بلغت فيها موازنة وزارة الدفاع الأمريكيّة في مشروع موازنة العام ٢٠٠٣ ما يقارب الـ ٤٠٠ مليار دولار أمريكي .. !

أيّ عدلٍ بعد هذا .. ؟ ومواطنو تلك الدول الغنيّة جدّاً يشكون من الذوبان ، من الإبتلاع ، من الهشاشة ، من الإهتبار ، من أخطر الأزمات ذات الأثر المتصلّ بسلوكٍ برجوازيّة رجال المال والأعمال .. ! إنّ هذا على الأقلّ حسب إستطلاع الشارع الغربيّ يعني السقوط المريع للرأسماليّة بعيد النظر عن المناظرات الفكرية لخطورتها وفشلها ، إنّ السقوط التطبيقي حتى ولو عاشت ألف عام على كرسيّ القيادة ، لأنّ إنسانها سقط ، تمّش ، تضعضع ، إبتلعه رجالُ المالِ والأعمالِ والثروة ، وهو يعيش مرحلةً من الهشاشة الخطيرة التي جعلته الرقم الأوّل بالعالم في نسبة الذين يقدمون على الإنتحار والمستيريا والإدمان على المخدرات والكحول وغير ذلك .. إنّ هذا ما كان يحذّر منه النبيّ الأعظمُ محمّد حيث كرّر قوله الشريف :

سيجئ أقوامٌ في آخر الزمن ، وجوههم وجوه
الآدميين ، وقلوبهم قلوب الشياطين ، أمثال الذئاب

الضواري ، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة ، سفاكون
للدماء ، لا يراعون عن قبيح ..

وقد أفردَ النبيُّ كثيراً من النماذجِ والصيغِ التي تُعتمد في ذلك الزمنِ
الخطيرِ ، الذي تسقطُ فيه صفةُ الإنسانِ عن محلِّ شرطِها في المواثيقِ والقيمِ
والإعلاناتِ .. كلُّ هذا يعني أنَّ إقامة منظومة الوجود الاجتماعي لم تأخذ بعينِ
الإعتبار حقيقة إنتمائها إلى الكونِ المخلوق بل ظلت تصرّ على أن الخلق مجرد من
أيِّ منطقٍ وعلاماتٍ شهوديّة ذات بُعدٍ تشريعي من الله ، وعليه : بدا الإنسانُ في
واقعه أمام فراغٍ واسع ، أمام سرابٍ وجودي في القيمِ ، حتى القيم ذات النوعِ
التأصيلِ في بطنِ الطبيعة تنكّر لها إنسانُ هذا اليوم ، وهو يصرُّ على ضرورة عدمِ
التمسكِ بأيِّ نوعٍ من القيمِ والإعلاناتِ المسبوقة ، وهذا كما ترى أخطر شيءٍ
على واقعِ البشرِ والغاياتِ الوجوديّة .. ها هم الرموزُ والزعماءُ يصرّون على
ضرورة السيرِ بعالمِ فوضويٍّ ، لأنّه يكون مناسباً جداً ، في عالمِ التناقضِ الدوليِّ
القائم على روحِ الإفتراسِ بين الكياناتِ السياسيّة ، وما زال تاريخُ الحروبِ ماثلاً
في صُحفِ ذاكرتنا المتعبة بالقتلِ والدمارِ والدماءِ لا لشيءٍ سوى للفظِ أو ثروةِ
باطنيّة معدنيّة وشبه ذلك ، من أفريقيا إلى أمريكا اللاتينيّة إلى أوروبا ، من
حروبِ القرنِ الثامن عشر والتاسع عشر إلى الحربين العالميتين ، وصولاً إلى حربِ
عاصفة الصحراء وأفغانستان ، كلُّ شيءٍ يدلُّ على أن آلة الدمارِ تسيطر على كلِّ
شيءٍ ..

وليت الأمر توقّف هنا بل تواصل في ظلِّ قواعدٍ ومخارجٍ أخرى تعتمد
على الجوع والفقر والأسى والوجع والإحتكار سلاحاً فتاكاً لإبادة الأممِ
والشعوب كطريقة تعبيريّة عن الإستغلال الإقتصادي السياسي ، في ظلِّ إدارة

سيئة ومتوحشة لأضخم الإمبراطوريات المالية النقدية السوقية ، التي تمتهن التجويع والإفقار كعنوان مركزي بغاياتٍ نفعيةٍ سوقيةٍ ، تعتمد بيع الفتيات في سوقِ النحاسة الحديد ، بيع أعضاء البشر ، إقامة سوق ضخمة لبيع أطفال العالم الفقير للدول الصناعية وبأرقام مذهلة كل عام ، تتوسع في نشاط تهريب الأطفال القاصرين وبعشرات الآلاف كل عام لتسوقهم إلى النادي الغني للإستغلال الجنسي الذي يعتبر اليوم من أوسع الظواهر الجنسية المتحوّلة إلى هذا القطاع في الغرب .. بحيث يدلُّ كلُّ شيءٍ على روح التحوّل الخطيرة إلى غريزة متوحشة قاتلة ، تعتمد النفع عنواناً ودافعاً وغايةً وأصالة .. إنَّ هذا واحد من مصاديق قول النبيِّ (ص) :

يأتي على الناس زمان بطونهم آهتهم ونساؤهم
قبلتهم ، ودنانيرهم دينهم ، وشرفهم متاعهم ، لا يبقى
من الايمان إلا اسمه ، ومن الاسلام إلا رسمه ، ولا من
القرآن إلا درسه ...

لا شكَّ أنَّ هذا العالم تختلفُ فيه القيم والمفاهيم وعلى نحوٍ إنقلابي ، وما زال يسير حثيثاً نحو أفقٍ مختلفٍ كلياً عن واقع الدفتر النوعي في منظومة البشر ، حتى أصبح العالم اليوم يتغنى باستغلال الخلايا الجذعية أو خلايا المنشأ في الأجنة بعد تدميرها ، حيث يتمّ قتل الأجنة لإستغلال هذه الخلايا في صناعة العقاقير والأبحاث الطبية ، إلى مستوى يأكلُ البشرُ فيه نسيجَ بعضهم بعضاً ، عبر الغذاء والدواء وغيره ، دون أن يرى إنسانُ العالم الصناعي في الأمر مشكلةً بل يصرُّ على المزيد من نسف بُنى المنظومة الحقوقية التقليدية بهدف تأسيس عالم يتناغم مع أهدافه النفعية الذاتية في الإشباع وطول البقاء والوجود الآمن وشبه ذلك ..

النصوص كثيرة ، وكلها تشير إلى صفات هذا العالم على طول تجربته المنحرفة ، وهي تُجمع على أن أهل آخر الزمان يعيشون مرحلة سيئة جداً من التحول إلى قيم متوحشة ، فيسفكون الدماء ، ويحتكرون المنافع ، ولا يرون في موت الجوعى ظاهرة غير حميدة ، بل يتعاملون معها كمطلبٍ ضروريٍّ في عالم يتنافس فيه بنوه على منافع الدنيا دون قيدٍ أو توجيهٍ ، في ظل هجرٍ حادٍ لخطاب السماء .. وبسبب هذا النحو من الانحراف الأصعب ، سيتكبد الإنسان المزيد من الإهيار لصالح قلة من الأقوياء والنافذين عسكرياً وسوقياً .. وما دام أن الخلل أصبح بنيوياً ، وبشكلٍ متزايدٍ ومؤثرٍ ، فإن العالم سيشهد الكثير من الظواهر الشاذة والقاتلة ، التي سيكون لها أكثر من أثرٍ مُدمٍ على العالم وبنماذجٍ متعدّدة ومعولة ..

بمعنى أن معالم آخر الزمان ، ستكون أكثر وحشيةً ، في ظل بشرٍ نزعوا من قلوبهم أيّ رحمة ، نزعوا قيد الأنسنة ، جرّدوا ذواتهم من تفسيرٍ كونيٍّ منطقيٍّ ، حرّروا الغريزة من حكومة العقل وغاياته .. ومن يتصفح النصوص يجد أنها حيّة في الإنطباق والفعليّة ، وهذا يعني أن العالم دخل نفقاً مظلماً من طرازٍ شاذٍّ وهائلٍ ، سيصيب البشر بنوعٍ قاتلٍ من الانحراف والجور والفساد في شتى جهاته وعناوينه ..

النظام العالمي في آخر الزمان :

- (نموذج التطادم الكيانى) .
- التركيبية السياسية وهرم المفاهيم ..
- زحف الجبهات .
- مفاهيم الإنتماء إلى المنظومة الحولية ..
- الراية المؤمنة ، أهل المشرق ...

النظام العالمي التطادمي مع الشريعة الإسلامية والأمة المومنة في آخر الزمان

من العناوين البارزة في روايات النبي وأحاديثه تركيزه على أن ذلك العالم الذي يكثر فيه الجور وتعالى دعائمه ، يكون فيه راية مميّزة ، تتجلى بأمة مؤمنة ، تحمل كتاب الله وتعمل به ، وتصرّ على ذلك ، بل يُستفاد من نصوص كثيرة أن هذه الأمة تحاول جاهدة التأسيس لمشروع العدالة وتوسيعه ، وأنها تظلّ على ما هي عليه من العمل بكتاب الله وسنة المعصوم حتى يخرج المهدي صاحب العصر والزمان ..

وبتعبير آخر : النبي يشير إلى أن ظاهرة الحكم الظالم تنتشر وتتوسع لتحتاج جغرافيا العالم بشكلٍ واسعٍ ، لكن مع كل هذا ، تبقى هناك أمة في بقعةٍ ما من جغرافيا هذه الأرض (أهل المشرق) وهي تصرّ على تطبيق الشريعة الإسلامية ما أمكنها . بطبيعة الحال ، سيكون الأمر خطيراً ، لأنّ الإنتماء إلى منظومة عالميّة تقود قاطراتها على نحوٍ من ربوبيّة السوق ومنافع الذات يعني الكثير من العقبات والعوائق والأزمات والتعقيد في طريق هذه الأمة المؤمنة .. وهذا يعني

أن صبرهم وإيمانهم وأجرهم مضاعفٌ في حسابِ اللهِ تعالى ، وفي الحديثِ عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) :

سيأتي قوم من بعدكم ، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم ، قالوا : يا رسول الله نحن كنا معك بيدر وأحد وحنين ونزل فينا القرآن ، فقال : إنكم لو تحملوا ما حملوا لم تصبروا صبرهم ..^١

أما سرُّ تفضيلِ هؤلاءِ فيكمُنُ في أكثر من عنوانٍ أهمُّه :

- ١ . التمسكُ بشريعةِ اللهِ وسنةِ المعصوم .
- ٢ . القيام بدورٍ مضادٍّ من خلال منظومة الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر ، التي تستقطب روحَ القيمِ الإسلاميةِ من هذهِ الجهة .. ففي الحديثِ عن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي في سندٍ متصلٍ أنَّ النبيَّ (ص) قال :

إنه سيكون في آخر هذه الامة قوم لهم مثل أجر أولهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون أهل الفتن ..^٢

وعليه : تبدو خريطة التحركِ والمواجهةِ متعدّدة ، فهناك راية تمسكُ بالإيمان كما نزل على النبيِّ (ص) تقيم حكمها على دينٍ لم يحرفه فقهاء الباطل ولا أئمة الجور .. يعمل أهلُه للحفاظِ عليه كما هو في ظلِّ مواجهةٍ شرسةٍ

^١ غيبة الطوسي ص ٢٧٥

^٢ دلائل النبوة ص ٦٣

من أهل الباطل تصرّ على تحويره وتحويله ونسف بُناه ، ومن يقرأ النصوص النبويّة يجد فيها روحَ المواجهة والصبر والعناء للحفاظ على هذه الحصة من العمل بشريعة الإسلام حتى قال النبيّ في حقهم بالحديث المروي عن الإمام عليّ (ع) :

يا علي ، واعلم أن أعجب الناس إيماناً
وأعظمهم يقيناً ، قوم يكونون في آخر الزمان ، لم
يلحقوا النبي ، وحجتهم الحجّة ، فأمنوا بسواد علي
بياض ..^١

لقد كان النبيّ يشير إلى أن ذلك الزمن على شدّته وصعوبته ، حيث لا يكون فيه نبيّ ولا وصيّ نبيّ ظاهر إنّما فيه الدلالات والعلامات ذات الحجّة البالغة ، ويؤكد على أن التدين يبقى بحمل أمة ما ، وأن هناك أمة تظلّ ظاهرة ، وتعبير آخر : يعني أن هناك من يواجهها في الدعاية الأخلاقية والوجودية فضلاً عن الثقافة والسوق بل وآلة الحرب حسب أوجه الصراع في عالم الأمم .. وفي الحديث عن جبار أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

لا تزال طائفة من أمّتي ، يقاتلون على الحق ،
ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى بن مريم
عليه السلام ، فيقول أميرهم : تعال صلّ بنا ، فيقول :
لا ، إنّ بعضكم على بعض أمير ليكرم الله هذه الأمة^٢

^١ كمال الدين : ج ١ ص ٢٨٨ ، ٢٥٠ ، ٨

^٢ أحمد : ج ٣ ص ٢٤٥

هذا النصّ يشير بأدنى تعبير ومقصد إلى أنّ قوّة ومناعة هذه الأمة تبقى إلى عصر ظهور عيسى بن مريم وما يتّصل به من ظهور إمام أهل الأرض وحقّة الخلق صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهادين بين يديه بحقّ محمّد وآل محمّد .. كما يشير النصّ هنا إلى أنّ رموز هذه الأمة وقبل ظهور صاحب الزمان يختلفون مع المعسكر الآخر ، بكلّ ما تعنيه كلمة معسكر من ثقافة وقيمة ونظرة إلى الحياة والوجود فيطلبون الحقّ في وقعة ما وخصوصيّة محدّدة فلا يُعطونه فيضعون سيوفهم على عواتقهم ، ويطلبون الحقّ إلى أن يظهروا على عدوّهم .. مع الإشارة إلى أنّ تعبير سيف إنّما هو إشارة إلى القوّة ، إلى أداة الحرب ، نعم يكون الخلافُ على نحوٍ محدّد من طلب الحقّ ، لكن ما هي تفاصيل هذا الطلب وموضوع هذا الحقّ .. ؟ لا تشير إليه النصوص بشكلٍ تفصيليٍّ ومباشر ، لكنّه بأدنى تأملٍ يعني أنّه مطلبٌ محقّ لهذه الأمة التي تعيش مرحلةً صعبةً في ظلّ بيئةٍ عالميّةٍ تنكّر لمجموعةٍ ضخمةٍ من قيمها ومواتيقيها السماويّة ..

وما أحبُّ أن أشير إليه هنا هو أنّ هذه الأمة تكون على قدرٍ من الخصائص في الممانعة ، لأنّ تعبير " ظاهرة " يستلزم وجود قوّة لديها تمنع منها عدوّها ، والدليلُ عليه أنّ مجموعة من النصوص تشيرُ إلى أنّ عدوّاً ما يناوؤهم ويعمل على قضمهم لكنّهم ينتصرون عليه .. ففي الحديث عن عمران بن حصين أنّ رسول الله (ص) قال :

لا تزال طائفة من أمّتي على الحقّ ، ظاهرين على من ناوهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ، وينسزل عيسى بن مريم (ع) .

وفي لفظٍ آخرٍ للنبيِّ (ص) قال :

لا تزال عصابة من أمّتي على الحقّ ظاهرين على
الناس ، لا يزالون بمن خالفهم حتى ينزل عيسى بن
مريم (ع) ..^١

تعبير : لا يزالون بمن خالفهم ، يعني أنّهم مصرون على العملِ والالتزام
بشريعةِ اللهِ ورسولهِ مهما كلف ذلك من ثمنٍ ، في ظلّ قناعةٍ واعتقادٍ عالٍ ، لا
يزعزعُهُ شيءٌ ، وهذا هو سرُّ انتصارِهِم ، حيث يعيشون الاعتقادَ بشكلٍ عالٍ
ومقدّسٍ في ظلّ قوّةٍ وممانعةٍ في الأداةِ ، فيبقوا ظاهرين ، إلى أن يسلموا الراية إلى
صاحبها ، أي إلى صاحبِ العصرِ والزمانِ (عج) ..

ثمَّ إنّ هذه المرحلة من زمنِ الانتصاراتِ لا تعني نهايةَ الباطلِ وقيام
حكومةِ أهلِ الإسلامِ في أرجاء الأرض ، بل يعني ذلك ربحَ جولةٍ أساسيّةٍ من
صراعِ عسكريٍّ مريمٍ في ظلّ بيئةٍ عالميّةٍ فاسدةٍ ومنحرفةٍ تتزعّمها أكثر من جهةٍ
وقوّةٍ سياسيّةٍ ، البارزُ فيها أكثر من إسمِ منها الروم ، وهو تعبيرٌ يشير إلى
النصارى السياسيّة فضلاً عن الأمراء الآخرين الذين لا يكونون على المسيحيّة بل
هناك الكثيرُ منهم مسلم ، لكنّه على غيرِ دينِ الإسلامِ عملاً ، بل يعمل على
نسفِ الإسلامِ من الوجودِ ومحاربة تلك الأُمّة .. وفي تعبيرٍ متعدّدٍ عن النبيِّ (ص)
يشير إلى أنّ هذه الأُمّة التي لا تزال على الحقّ في طولِ محنتها الأليمة تواصل
إنتصاراتها وممانعتها حتى خروج المسيح الدجال ، الذي يقاتلونه أيضاً ، ففي
الحديثِ عن محمد بن كعب قال : قال رسول الله (ص) :

^١ المصادر أحمد : ج ٤ ص ٤٢٩

لا تبرح عصابة من أمي ظاهرين على الحق ، لا
يبالون من خالفهم ، حتى يخرج المسيح الدجال
فيقاتلونه ..^١

وتضيف النصوص أيضاً أن هذه الأمة تعيشُ مرحلةً من التهديد ، من
الإحتكاكِ بها ، من التعبِ والمشقةِ ، من العناء ، وهذا تعبيرٌ ذكيٌّ ، ومشبع في
دلالتِهِ على الإحتكاكِ الصارخ الذي ينصبُّ على هذه الأمة ، سواء كان بالسوقِ
وما تعنيه حربُ الإقتصادِ من هذه الجهة ، أو ما هو متّصل بالعناء السياسي
العالمي ولوازمِهِ من حربٍ وحصارٍ وإعلان أشكالٍ متعدّدة من الصراع .. ففي
الحديثِ عن أبي أمامة قال : قال رسول الله (ص) :

لا تزال طائفة من أمي على الدين ظاهرين ،
لعدوهم قاهرين ، لا يضرّهم من خالفهم إلا ما أصابهم
من لاواء (جهد ومشقة) حتى يأتيهم أمر الله وهم
كذلك . قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال : بيت
المقدس وأكناف بيت المقدس ..^٢

إشارة إلى المشقة والتعب والعناء الذي يبلغ هذه الراية ، في حين تكون
على نحوٍ من قوّةٍ وعظمةٍ منها الإنتصار الذي تحقّقه عبر فتح بيت المقدس وهذا ما
سنشير إليه بالتفصيل فيما بعد ..

^١ سعيد بن منصور ج ٢ ص ١٤٥ ح ٢٣٧٦

^٢ أحمد : ج ٥ ص ٢٦٩

وعليه : يبدو العالم في تلك الفترة التاريخية من الزمن وهو منقسم على
جبهتين :

الأولى : مؤمنة ، تعمل بكتاب الله وسنة المعصوم عليه السلام ظاهرة
بالحق ، ويظهر من الروايات أنها قليلة ، مقابل العدد والنفوذ الكبير للباطل
المتعدد في دَوْلِه وكياناته .

الثانية : جبهة أهل الباطل ، وهي كثيرة ، متعددة الدول ، متوسعة
الوجود ، نافذة ، تملك من القيم ما يصنّفها في خانة أهل الشرّ لما هي عليه من
مفاتيح وقيم في نظرتها إلى الفرد والثروة والجماعة والوجود .. بل في الحديث أن
الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ، وهم شرّ من أهل الجاهلية ، لا يدعون الله
بشيء إلا رده عليهم . بل ورد في الحديث الصريح عن النبي (ص) : لا تزال
عصابة من أمّتي يقاتلون على أمر الله ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم
حتى تأتيهم الساعة ، وهم على ذلك ..¹

أما كيف نستفيد هذه الأمة من وجودها وبقائها مع نفوذ أهل الباطل
وقوتهم .. ؟ النصوص تجيب أنّهم يبقوا ظاهرين قاهرين لعدوهم ، لكن كيف ؟
حسب مضمون النصّ : بسبب مناعتهم ، وبما يملكون من أداة ، لكنّ هذا لا يمنع
الإستفادة من المناخ الدولي ، ومن طبيعة العلاقات الدوليّة ، أو من تعدّد جبهات
أهل الباطل ، ما يسمح لهذه الأمة المؤمنة بالظهور والإستفادة من مناخ الإجتماع
الدولي وأعرافه ضمن حدود معيّنة ..

¹ مسلم : ٣ ص ١٥٢٥ ، ١٥٢٤ ، ٥٣ ، ١٩٢٤

قد يُقال : إنَّ النصوص تشير إلى أنَّ تلك العصابة أو الأمة المؤمنة تقاتل على هذا الدين ، ما يعني أنَّها تخوض حرباً عسكريَّة .. ؟

الجواب : الأمثلة المعاصرةُ كثيرةٌ لخوض الحروبِ ، في ظلِّ تقاطعِ مصلحي لأكثر من جهة ، في نفس الوقت الذي ترى فيه (في الحرب) جهة ما من كيانات العالم حيويَّة مصلحةٍ دوليَّة سواء كانت جيوسياسيةً أو جيواقتصاديَّة أو غير ذلك بحيث تتعلق بشرطِ فاعلٍ في النظام الدولي لجهة اتصاليها بهرم التحكُّم الدولي المصلحي وتصرَّ على أنَّها مبرِّرٌ لخوضها الحرب دفاعاً عن مصالحها ، وأمثلة اليوم أكثر من أن تحصى ، ويكفي أن نتصفح الخطاب الأمريكي وتبريراته لخوض الحرب ضدَّ العراق بعد أفغانستان ، حتى نرى العشيَّة في صراع الكيانات وجنون العظمة الذي أصاب البشر الذين اسقطوا من دفتر الوجود روح الصلَّة بالله تعالى .. نعم طبيعة شتَّى الحروب وعدمها تستفيد أو لا تستفيد من روح المناخ الدولي في ظرفٍ ما وزمنٍ ما ، وهذا يتوقف على معرفة أطرافها في الجبهات العالمية ، فلا يمكن أن تقوى روندا أو سيرلانكا مثلاً على معارضة أمريكا في ضرب أفغانستان أو العراق ، في حين يمكن أن تؤثر المعارضة الأوروبية الجادَّة في ذلك بنسبة أفضل وأحسن ، وهذا الذي كُنَّا نشيرُ إليه بالمناخ الدولي وتعدُّدية الجبهات .. فمن أمثلة المناخ الدولي ما تعيشه أوروبا وأمريكا اليوم حول أولويَّة وعدم أولويَّة ضرب العراق .. فما تعتبره الولايات المتَّحدة ضرورةً لا بدَّ منها لتوجيه ضربة عسكريَّة قاتلة للنظام العراقي تصرَّ أوروبا والصين وروسيا على أنَّ مصالحها مهدَّدة بذلك ، بحيث تتبنَّى أوروبا حقيقة مفادها أنَّ كلَّ إنتصارٍ للأمريكيين اليوم يعني عقبةً إضافيَّة أمام الزحف الأوروبي نحو قمة النظام الدولي من هنا أي وفق هذا المثال التقريبي يكونُ الصراع الضمنيُّ أو الصريح بين الأمم

في العالم مجموعةً من خطوطٍ حمراءٍ وخراطيمٍ موجهةٍ ، تستفيد منها هذه الأمةُ المؤمنةُ أو تلك العصاة التي تظلُّ متمسكةً بدينها حتى ظهور المهديّ (عج) ..

ولا نحتاجُ إلى أمثلةٍ كثيرةٍ للدلالةِ على أن قيام حربٍ بين دولةٍ ودولةٍ مأخوذٍ فيه مجموعةٌ من عناوينٍ ومصالحٍ ذاتٍ ارتباطٍ بالتوازن الدولي بين أهلِ النفوذِ من جهةٍ ، وحاجاتِ الحركة الحويوية للصراع العالمي بين الجبهات من جهةٍ أخرى .. من هنا تكون هوامش الإستفادة للحفاظِ على علوِّ هذه الأمة موجودةً بقوةٍ ، وفق سننِ الإجماع السياسي بالإضافة إلى ما لديها من ممانعةٍ وجهوزيةٍ وحُسنِ إدارةٍ للملفِّ السياسي الدولي في ظلِّ عالمٍ متعدّدٍ الأقطاب ، متنازعٍ بين جبهاتهٍ ، يعيش مرحلةً عنيفةً من الإفتراس الضمني والصريح .. بهذا يمكننا أن نفهم الكثير من النصوص التي أشارت إلى أن تلك الأمة تلجأ أحياناً إلى القتال للحفاظِ على وجودها .. ففي الحديث عن جابر بن سمره قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : لا يزال هذا الدين قائماً ، تقاتل عليه عصاة من المسلمين حتى تقوم الساعة ..¹

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أن هناك مجموعة من الروايات التي تشير إلى أن الله يبعث على رأس كلِّ مائة عامٍ من يجدد لها دينها .. ففي الحديث عن رسول الله (ص) قال : إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنةٍ من يجدد لها دينها ..

أقول : التعبير هنا ، يرادُ منه الإشارةُ إلى روحٍ دفع متجددةٍ عبر رموزٍ ذاتٍ أهميّةٍ ، وإلى ظهورٍ علمائي قيادي مدعومٍ بأكثر من عنوانٍ نافذٍ ، لكنّه

¹ تهذيب ابن عساکر : الطيالسي : ص ١٠٤ > ٧٥٦

مركز بالنهاية إلى الأصالة بما تعنيه الشريعة التي جاء بها رسول الله (ص) ..
وتعبير " بتحديد " يراد منها القيام بدورٍ وظيفي ، من التثبيت والتدعيم .. وعلى
كل تقدير هو معنى إضافي داعم لهذه الأمة التي تبقى ظاهرةً بدينها الذي جاء به
رسول الله من عند الله تعالى ..

وعليه : الثابت وبشكلٍ نهائيٍّ أن خروج المهديّ عليه السلام ، يتم في
زمنٍ جورٍ وفسادٍ وظلمٍ واضطهادٍ ، وأن الأرض تمتلئ فساداً ، إلا أن هناك أمةً
تبقى ظاهرةً بدينها ، تعمل بكتاب الله وسنة رسول الله والمعصوم ، تعاني وهي
مُجدةٌ بسبب تمسكها بكتاب الله وشريعة الإسلام ، بل تخوض مجموعةً من
حروبٍ تنتصر فيها ، وفي بعض الأحيان تطالب بالحق ، ويمكن أن يستفاد من
هذه النصوص الخاصة بالحق أنها تُهاجم ، فتطلب الحق وفق المعايير التي تثبت
الحق ، فلا تُعطى فتشن حرباً وظيفتها تثبيت ما لها واسترداده فيكون لها ذلك ..
وسنرى فيما بعد أن هناك مجموعةً واسعةً من النصوص ، تشير إلى الرايات السود
(أهل المشرق) الذين يطلبون الحق فلا يعطونه ، إلى أهل خراسان .. وعند هذا
الفصل سنتوقف بشكلٍ دقيقٍ ومهمٍّ لدراسة المعطيات في تلك الأحاديث
ومقارنتها مع هذه الطائفة من روايات النبي (ص) للاستفادة من معطياتها
ومعانيها وصلة الوصل بينها .. إن شاء الله تعالى ..

المسلمون في آخر الزمان :

- أزمة إنتماء .
- تداعج الأمر على المسلمين .
- أئمة أهل الضلال ..
- استبدال الدين بالدنيا ..

الظلم الذي يصيب المسلمين جرأة الإنحراف العالمي

أول ما يُبشرنا من نصوص أهل آخر الزمان أن العالم يكون على نحو من الفساد والظلم والإضطهاد الفكري المفاهيمي السلوكي بشكلٍ واسعٍ ، وهذا ما يعبر عنه النبيّ (ص) بأنّ المهديّ يخرج في آخر الزمان فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. كلُّ هذا يبعد النظر عن واقع التجربة البشرية ومنتجاتها في مختبر الطبيعة والكون ، فلا ملازمة سببية بين تطوّر الفهم البشري للأنظمة الطبيعيّة والمفاهيم الأخلاقيّة الاجتماعيّة والسياسيّة ، فضلاً عن فقه الوجود وغاياته .. فعلى سبيل المثال والتقريب تعيش أوروبا الغربيّة اليوم مظاهراتٍ شعبيّةٍ عارمةٍ بسبب إصرار الإتحاد الأوروبيّ على تغيير جوهرى في النظرية الوظيفيّة لدور الدولة الاجتماعي حيث يصرّ الإتحاد على التخلي عن المزيد من وظيفة القطاع العام لصالح القطاع الخاصّ ، بكلّ ما يعنيه هذا الأمر من أزمة على صعيد أصحاب المداخل المحدودة ، وهم الذين يشكّلون غالب مواطني الإتحاد الأوروبي .. وقد أثبتت التجربة الطويلة أنّ الرأسمال الخاص يفكر بمنافعه

ودائرتِه فقط ، أمّا السبيل العام ، أو النتائج المصلحيّة العامّة ، المتّصلة بالجانب الأتوماتيكي من الدوافع الشخصيّة على حدّ زعمهم التي كان قد أرسى نظريّتها العالم الإقتصادي الشهير آدم سميث أثبتت فشلها الذريع ، مخلفّة وراءها جيشاً من الجوعى والأموات في مدافنِ الأمس ، ولولا التحوّل الهائل والتاريخي منذ أوّل القرن العشرين في نظريّة دور الدولة لصالح وظيفة الدولة الرعائيّة التدخليّة لكان العصيان العنيف وتفتيت جسم الدولة والإنفاضات الشعبيّة والمافيا السمة الظاهرة في ذلك المجتمع ..

واليوم لا يختلف إثنان من كبار الخبراء الإقتصاديين في أنّ الدوافع الشخصيّة وحركة المال الخاص لا تكفي في سدّ الحاجة العموميّة ، هذا هو الذي دفع الفرنسيين بقيادة جاك شيراك إلى محاولة أكثر من طريقة ونموذج ممكن لتأجيل بيع القطاع العام إلى القطاع الخاص ، إلى أن رضخت في النهاية لمطالب الإتحاد الأوروبي .. ويدرك خبراء الإقتصاد أنّ المشكلة ليست في الثروة العالميّة ، إنّما هي في الصيغ ، في المذاهب الإقتصاديّة ، في إعادة توزيع الثروة ، في نظريّة الكفالة المواطنيّة ، في أهداف الإندماج الإجتماعي المالي في وطنٍ ما ، في ورقة الأولويّات ، في غايات وبرامج الإجتماع الرعائي ، في أصل النظريّة الفكرية والإيديولوجيا الوجوديّة ...

ولأنّ الغربيين قبل غيرهم يعلمون دقّة الأثر لنظريّة الديمقراطية الليبراليّة بشقّها المتّصل بالمال الخاص ، خرجوا بعشرات الآلاف معترضين على النموذج الأمريكي الذي تصرّ أوروبا على تقليده واعتباره عنواناً ميثاقياً من أجل ترسيخ وجود قويّ لها في فلك النظام الدولي الفاعل ، ولم يكن في جعبة قادة أوروبا سوى أنّ العالم في ظلّ العولمة يتّجه بشكلٍ متزايدٍ إلى الفوضويّة ، وأنّ الأمر

بحاجة إلى تكتُّلٍ ونُظْمٍ من نوعٍ آخر ، بقيادة المالِ الفردي ، لكسب المزيد من جولاتِ الزحف نحو القمّة العالمية ، وأنّ أوروبا لن ترضى بلعب دور لا يتوافق وحجمها المالي النقدي الإقتصادي السياسي .. وعليه : لا بدّ من تثبيت صيغ ونُظْمٍ مماثلة للنظام الأمريكي ، بقيادة المال الخاص ، بعيد النظر عن الأثر الاجتماعي .. ومن يراقب الشارع الأوروبيّ الأمريكي أو الغربي العام ، يجد أرسيفاً مخيفاً في أزمة الإبتلاع الذي يمارسه برجاوزيو الحكم الديمقراطي الليبرالي . من هنا بدأت ظاهرة العداء للعولمة بشعارٍ قاتلٍ ، مفاده : الليبرالية سبب الأسي والأزمة التي يعيشها العالم ..

هذا هو الشعار الذي يتكرّر رفعه في كلّ مناسبة على أيدي مئات الآلاف من مناهضي العولمة ، الذين يصرّون على أنّ الإنتاج العلمي في غاية التطوّر والطموح لكنّه ليس على مستوى الحاجة البشرية وضرورتها ، مع أنّه من حيث الإنتاج والقدرة على الإشباع للبشر هو كذلك لكنّ صيغة الإستفادة من منافع التكنولوجيا والتطوّر مرهونة بمجموعةٍ من صيغٍ ماليةٍ سوقيةٍ تجاريةٍ إحتكاريةٍ قاتلة ..

وبتعبيرٍ آخر : هناك فرق بين الأداة وإدارتها للمالِ قياساً على موثيق الإستفادة النوعية .. وما يشنه مناهضو العولمة اليوم إنّما هو موجّه ضدّ الإدارة الفكرية ، ضدّ الصيغ المالية ، ضدّ القيم التي تحكم الغايات ، ضدّ فكرة التسعير التجاري البحت غير الإنساني الذي تقوده أضخم إمبراطوريات الدواء الغنية في ظلّ ٤٠ مليون ضحية هي على وشك الموت بالإيدز بكلفة سنوية للواحد منهم في المرض المتقدّم بـ ٣٤ ألف دولار أمريكي لا يستطيعون الحصول على ٥٠٠ دولار منها .. ضدّ الإصرار على أنّ الطرف البشري الآخر لا دخل له في

الإستفادَة من ثروة الكونِ ما دام أنّها تتمّ عبر الصيغِ الماليّة المتّصلة بحريّة الإنتاج والإستغلال والإستهلاك القائمة على أساس الحريّة الإقتصاديّة ، حتّى لو أدّى ذلك إلى إدّخار مئآت المليارات من الدولارات كما هي الحال مع نادي كبار الأثرياء ، تراكمًا فوق تراكم ، في ظلّ موت أكثر من ٤٠ مليون إنسان كلّ عام لأسبابٍ تتعلّق بالفقر والجوع .. أو كامتلاك شخص واحد مثل بيل غيتس لأكثر من مدخول نصف البشريّة .. ! حيث يفوق مدخوله أكثر من مدخول ٣ مليار نسمة ..

لا شكّ أنّ هذا هو الظلم والجور والإضطهاد بعينه ، هذا هو الفساد الأخطر ، والأمثلة كثيرة ، من النموذج الإقتصادي إلى النموذج السياسي إلى النموذج العسكري المخيف بكلّ ما يعنيه من إبادة جماعيّة لأمة كاملة مثلما يحصل اليوم في فلسطين والعراق والشيشان وكما حصل بالأمس في أفغانستان وكوسوفو وغيرها من الدول .. إنّ من يقرأ أرشيف الموتى كلّ عامٍ يذهله ما يقرأ خاصّةً إذا نظر الأسباب حيث الجوع والوجع والأمراض تحتاج العالم في ظلّ أكبر وأضخم الإمبراطوريّات التي تعمل على تراكم الأموال لعددٍ من الأشخاص لا يزيدون عن عدد أصابع اليد .. ! مصرّين على أنّ حقّ العيش إنّما هو عنوان غير مكفول بنحو آمن من موثيق إعادة توزيع جزء من الثروة العالميّة ..

وفي ظلّ فاتورة تزيد على ٦٠ مليون من موتى الجوع والوجع والمرضى والفقر والإبتدال والإضطهاد السوقي نقرأ أنّ ١١ غنيًا أمريكيًّا في الولايات المتّحدة يملكون ما قيمته (٣٣١ مليار دولار ... !) في حين نعلم أنّ المجموع السنوي لدخل ٤٨ دولة أفريقيّة هي الأكثر فقرًا في العالم ، لا يتجاوز مليار دولار إلى ملياري دولار .. ! كما أنّ حجم التجارة " اليوميّة " بين الولايات

المتحدة الأمريكية والإتحاد الأوروبي تزيد على مليار دولار يومياً .. ! ويكفي أن نشير إلى أن مجموع الإقتصاد القومي الروسي بلغ عام ١٩٩٩ مقدار ١١٧ مليار دولار مقابل ربح إجمالي حققته الإنترنت الأمريكية بلغ أكثر من (٣٠٠ مليار دولار) .. ! ما يزيد من حدة الإحتكار الشخصي بيد قلة قليلة جداً من مجموع سكان العالم ، في ظلّ موثيق تصرّ على أنّ الرأسمالية عنوان مركزي نهائي .. وعلى طولِ خطّ الأسي الذي يصيب العالم نقرأ المزيد من الإهيار المخيف الذي يصيب البشرية في ظلّ ثروة هائلة متراكمة يتحصّن وراءها مجموعة من الأشخاص ، عبر صيغ مالية ليبرالية تخولهم قتل المزيد من البشر والتفرّج على الملايين من الموتى كلّ عام ، دون أيّ رافة أو شفقة أو مادّة قانونية مُلزمة بالتضامن الماليّ بين البشر في أدنى حدوده (الفساد الموثيقي) .. ومن تلك الوثائق المريرة تقرير البنك الدولي الصادر تاريخ ١٣ أيلول ٢٠٠٠ الذي أشار إلى الأرقام التالية :

- هناك ١,٢ مليار نسمة يعيشون بأقلّ من دولار في اليوم في ظلّ أسوأ تغذية ومعيشة ..
- هناك ٨ في المئة من أطفال البلدان الفقيرة يموتون قبل الخامسة .
- من بين سكّان العالم البالغين (٦ مليارات نسمة) يعيش (٢,٨ مليار نسمة) بأقلّ من دولارين يومياً ...
- لا ينتظم في المدارس ٩ من كلّ ١٠٠ صبي و ١٤ من كلّ ١٠٠ بنت تمّن يصلون إلى سنّ الإنتظام في المدارس في الدول النامية الفقيرة .

- من بين كلّ (١٠٠ طفل) من أطفال العالم الغنيّ يموت " أقلّ من طفل " .. ! قبل بلوغ الخامسة . أمّا في البلدان الفقيرة فيموت ٢٠ طفل من كلّ ١٠٠ طفل قبل بلوغ سنّ الخامسة ... !

١. إذا قورنت معدّلات الدخل في أغني ٢٠ بلداً بالدخل في أفقر ٢٠ بلداً فإنّ الدخل الغنيّ يفوق دخل الفقير بـ ٣٧ مرّة وهذه فجوة تضاعفت بشكلٍ كبيرٍ في ٤٠ سنة .

وبتاريخ ٢١ أيلول ٢٠٠٠ قالت الأمم المتحدة :

١. إنّ ثلث سكّان العالم البالغ عددهم " ستّة مليارات " يعيشون في فقر مدقع ويعانون من " عدم تكافؤ قاسٍ " يشوّه فجر الألفيّة الجديدة .

٢. السمة البارزة تكمن في تزايد الفرق بين الأغنياء والفقراء ، حيث يزيد متوسط دخل الفرد في (١٧ دولة) عن ٢٠ ألف دولار أمريكي سنويّاً فيما يعيش سكّان (٢١ دولة أخرى) على أقلّ من " ألف " دولار سنويّاً ، بل دون ٢٠٠ دولار سنويّاً في أكثر من دولة فقيرة ، من دون آية ضمانات إجتماعيّة ولا شبكات أمان ، بل بلا أدنى كفالات ...

٣. أشار التقرير إلى أنّ (٨٠ في المئة) من سكّان العالم يعيشون في ما يعرف بالنامية (الفقيرة) بينما يعيش (٢٠ في المئة) في الدول المتقدّمة الغنية مثل الولايات المتحدة واليابان وكندا وسويسرا ... !

وفي مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية والتجارة الرابع الذي عقد في جنيف تاريخ ٢٥ أيلول ٢٠٠٠ أُعلنَ أمور عدّة منها :

١. سبعة ملايين طفل سنويّاً يموتون بسبب أزمة الدين .

٢. في مدّة تسعة أيام إبان إجتماع قمة الأغنياء في براغ مات ١٧٠ ألف طفل ... !

وفي تقريرٍ آخر صادرٍ عن الأمم المتّحدة جاء فيه الحقائق التالية :

١. جنوب آسيا وجنوب شرقها يضمّان أكبر عدد من المصابين بنقص التغذية المزمن وهو ٥١٢ مليون نسمة .

٢. تضمّ أفريقيا جنوب الصحراء أعلى نسبة من المصابين بنقص التغذية المزمن وهي ٤٣ في المئة من السكّان .

٣. يعاني أكثر من ٨٠٠ مليون نسمة من سكّان البلدان النامية من نقص التغذية المزمن .

٤. هناك نحو ٢٠٠ مليون طفل يقاسون سوء التغذية الناجم من نقص البروتين والطاقة .

٥. يلقي ١١ مليون طفل سنويّاً دون سنّ الخامسة حتفهم كلّ عام نتيجة التأثير المباشر وغير المباشر للجوع وسوء التغذية .

٦. يعاني عدّة ملايين في العالم الفقير والنامي أمراضاً ناجمة عن أنظمة غذائية تتسم بنقص الفيتامينات والمعادن وهي المغذيات الأساسية للصحة والنمو كما يعانون أيضاً من تلوث الغذاء والماء .

وبتاريخ ١٨ تشرين ثاني ٢٠٠٠ نشرت جريدة السفير دراسة تحت

عنوان : لماذا يعيش ١٠٠ مليون طفل في شوارع العالم متسوّلون ، نشّالون ،

ماسحو أحذية ، وغاسلو سيّارات . جاء فيها : يعيش مئة مليون طفل في شوارع

العالم .

١. بينهم ٤٠ مليون في أمريكا اللاتينية .
٢. بينهم ما بين ٢٥ و ٣٠ مليوناً في آسيا .
٣. بينهم ١٠ ملايين في أفريقيا .

الأمثلة كثيرة عن ظلم المواثيق ، عن اضطهاد القيم ، عن التخلف في شريعة الحقوق ، في ظلّ أهمّ وأكبر تطوّر مذهل على مستوى التكنولوجيا والإكتشافات ، لكن من دون أن ينعكس ذلك إشباعاً للحاجات البشرية وعلى نحوٍ عادل ، بحيث ظلّ المالُ العنوانُ الأساسي للشعورِ بالإنتماء إلى عالم الصناعة والإشباع على قاعدة : من يملك مالاً ، يملك حقّ الإنتماء إلى عالم الإستهلاك والإستفادة من الثورة الصناعية الهائلة ومنافعها .. من أمثلة الظلم والجور في هذا العالم أنّ الموت يجوب ولأسباب إجتماعية كلّ مناطق العالم الفقير ، الذي يشكّل أكثر من ٨٠ في المئة من عدد سكان الأرض ، في ظلّ حروبٍ عسكريةٍ إقتصاديةٍ هي " الأعنف " في تاريخ الفجر البشري .. من تلك الأمثلة حروب أمريكا في العالم من أوروبا إلى أمريكا اللاتينية إلى آسيا إلى أفريقيا ، وصولاً إلى من الحصار الإقتصادي على مجموعة من الدولِ والذي يتقنّع مرّة بمواثيق الأمم المتحدة ومرّة بمواثيق أمريكا كقانون مركزي موجه نحو العالم .. وصولاً إلى السوق وفقراءه ، إلى الإمبراطوريات المالية الأعنف في تاريخ السوق والمال التي تعتمد أسلوب القتل الصامت لعشرات الملايين من البشر كلّ عام من أجل تحرير الأسواق العالمية من الحواجز بحيث يبدو العالم غريباً والقلوب متوحّشة ..

لقد كان النبيّ محمدٌ منذ أكثر من ١٤٠٠ عامٍ يشير إلى أخطر الأزمات التي ستعيق تطوّر البشرية في غاياتها ومواقعها ومفاهيمها ، كان (ص) يشير إلى أنّ العالم سيصل إلى مستوى من صنمية المال ، من عبادة الفرج والبطن ، من

التعمد العبودي المتوحش في صحن الوجود الغرائزي المادي ، في ظل أسوأ إهتبار يطال البشرية في كينونتها ، في قيمها ، في سلسلة علاماتها المتمردة ضد السماء وحركة الوجود الضروري .. وفي تركيزٍ دقيقٍ ومتكررٍ كان يشير إلى أن المسلمين في ذلك العالم يكونون موجودين ، لكنهم مبعثرون ، ضعفاء ، غثاء كغثاء السيل ، حيث يعود الإسلام غريباً كما بدأ غريباً ، دون أن يكون أي معنى للمواثيق الكبرى في التضامن الوجودي بين البشر ، في تأسيس مشروع الإنسان ، في إشتراع هوية الوجود والانتماء على نحو كلي ونوعي .. بل في ظل إهتبار إسلامي مواثيقي وتراجع هائل عن الإلتزام الديني في شؤون الجماعة والمجتمع والعالم ففي الحديث عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله (ص) :

إنَّ الإيمان بدأ غريباً ، وسيعود كما بدأ ،
فطوبى للغرباء ، إذا فسد الناس . والذي نفس أبي
القاسم بيده ، ليأرزن (يجتمع وينضم) الإيمان بين
هذين المسجدين (مكة والمدينة) كما تآرز الحية في
جحرها ..^١

إلى الكثير من النصوص التي تشير إلى أن الظلم والإضطهاد والفساد الأيديولوجي سيعم العالم ، وأن هناك من بين الجبهات التي تساهم في نفوذ الباطل وسيطرة قيمه أمراء وكيانات مسلمة ، تعتمد الإسلام كإسم شكلي ، أو كعنوان إنتماء تراثي ، أو كصيغة تاريخية ذات بُعد إحتفالي ليس أكثر ، في حين تكون على موقع معاندٍ وشرسٍ ضد الإسلام الذي جاء به نبي الرحمة ورسول

^١ أحمد : ج ١ ص ١٨٤

العالم .. وفي العديد من النصوص كان المسلمون على عهد النبي وفي ظل دولته الميمونة يضطربون حين يسمعون أن الإسلام يعود غريباً كما بدأ وأن القابض على دينه يكون كالقابض على الجمر أو الشوك ، من هنا فإنهم كانوا يسألون النبي : هل المسلمون قلة في ذلك الزمن .. ؟ فيجيب النبي : لا ، إنهم كثرة ، لكنهم مفرقون ، ضعفاء ، بلا هوية ، بلا منظومة سماوية ، يتعاملون مع الدين الذي هو سبب عزهم من باب تراثي شكلي قاتل .. ! وفي الحديث عن ثوبان مولى النبي (ص) قال :

يوشك أن تداعى (تداعى) عليكم الامم ، من كل أفق ، كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قال قلنا : يا رسول الله ، أمن قلة بنا يومئذ .. ؟ قال : أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غناء كغناء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل في قلوبكم الوهن ، قال قلنا : وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت ..^١

وفي نص آخر مروى بنفس السند عن النبي (ص) قال :

ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم
وليقدفن الله في قلوبكم الوهن ..

^١ الطيالسي : ص ١٣٣ - ٩٩٢

هذه هي حقيقة الحال حيث المسلمون كثر ، لكن دولهم متعدّدة السيادة والكيان ، وهم في القاموس العالمي بلا قيمة ، بلا أدوات فاعلة ، بلا وجود حقيقي مؤثّر ، لا في المختبر ومراكز الأبحاث ولا في السوق ولا في المعاهد والجامعات ، ولا في الرأي العام ، وهم منفيون في الصناعة والزراعة ، إنهم مجرد مستهلكين ، ضعفاء ، خاويين من كلّ شيء .. وقد سلب منهم أمران : التاريخ والمستقبل .. وأي فرد يسلب منه هذان البعدان يصبح بلا أمل ، بلا دافع ، بلا هويّة ، يتهاوى بشكل ذريع ، يعيش الهشاشة والإهيار تلو الإهيار .. ! إذا ، كيف هي الحال ، إذا استبدلنا بدين الله دين الناس بكلّ ما يعنيه من توحّش وربوبيّة غريزيّة قاتلة .. !

وفي تعبيرٍ دقيقٍ وظيفته بيان سرّ الإهزام يشير النبيّ (ص) إلى أنّ السبب يكمنُ في الوهن ، وسببُ الوهنِ هذا هو التعاملُ مع الدنيا من بابِ ربوبيّتها وكراهية الموت .. أيّ أنّ المسلمين ينغمسون في الدنيا انغماساً يقطعهم عن موثيقِ الله ، فيعبدون الدرهم والدينار والبطنَ والفرجَ والزخرفَ والسلطانَ من دونِ الله تعالى .. إنّه يشير إلى أنّهم يعيشون قطيعاً بينهم وبين موثيقِ الشريعة ، فيقبلون على دنيا المنتصرِ في ظلّ تبعيّةٍ قاتلةٍ ووهنٍ شديدٍ .. يعبدون المادّة ويسقطون في خانة الشهوة العمياء ، وينغمسون في أتونِ الحسّ الغريزيّ دون أيّ مانعٍ أو مُوجّهٍ ، ظناً منهم أنّ روح الكمالِ تبدأ من هنا .. ! وفي الأمالي عن محمّد بن عليّ عن أبيه قال قال رسول الله (ص) :

إذا فعلت أمتي خمسة عشر خصلة حلّ بها البلاء :

إذا صارت الدنيا عندهم دولاً ،

وفي تعبيرٍ آخر :

إذا كان المال فيهم دولاً ،

والخيانة فيهم مغنماً ،

والزكاة مغرماً ،

وأطاع الرجل زوجته وأعوأته وبزَّ صديقه وجفاه وأباه ،

وارتفعت الأصوات في المساجد ،

وأكرم الرجل مخافة شرِّه ،

وكان زعيم القوم أَرذَلهم ،

ولبس الحرير وشربت الخمر ،

واتخذت القينات ،

وضرب بالمعازف ،

ولعن آخر هذه الأمة أولها ،

فارتقبوا إذا عملوا ذلك ثلاثاً :

ريحاً حمراء ،

وخسفاً ،

ومسخاً ..^١

في هذا النصّ يشير النبيّ بدقّة إلى أنّ الوهن الذي يصيب المسلمين هو في ترك دينهم ، والتوجّه نحو الدنيا ، نحو المادّة ، نحو ربوبيّة الغريزة ، مع الإشارة إلى أنّ الإسلام يقرّر الدنيا من منظارٍ أنّها مزرعةُ الآخرة ، فهي مطلوبة في رزقها ونفعها وحاجتها ، لكن على نحوٍ لا يتعارضُ مع قيمِ الآخرة والتي على رأسها روح التضامن المالي والإنساني بين البشر ، محبةُ الآخر ، الأخوة بين البشر ، السير

١. م. س.

نحو الحُسنى ، التسابق نحو الخيرات ، المعاونة على المعروف ، البذل في سبيلِ البرِّ ،
الممانعة في وجهِ الباطل ، عدم المعاونة في الإثم والعدوان .. وفي هذا المجال أحبُّ
أن أعرض عليك واحدة من النماذج التي جاء بها النبيّ ، وذلك عبر قصة تاريخيّة ،
أعني بها المحجرة إلى الحبشة ، وما يتّصل بها ، بقيادة جعفر بن أبي طالب لبيان
مجموعة أوليّة من مفاهيم الإسلام الكبرى .. ففي الرواية التاريخية عن أمّ سلمة
بنت أبي أمية بن المغيرة التي أصبحت فيما بعد زوجة رسول الله (ص) قالت :

لما نزلنا أرض الحبشة جاورتنا بها خير جارٍ " النجاشي " أمنا على ديننا ،
وعبدنا الله تعالى ، لا نُؤذى ولا نؤذى ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا
بينهم ، أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدتين ، وأن يهدوا للنجاشي
هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم ،
فجعلوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقتة بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم
بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا
لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم ثم قدما إلى
النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجنا
حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، فلم يبق من
بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي ، وقالوا لكل بطريق
منهم : إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم
يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى
الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه
بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا
عليهم ، فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ،

ثم كلماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم ، من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

تقول أمّ سلمة : ولم يكن شئ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامنا النجاشي .. فقالت بطارفته حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذا لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله (ص) فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه .. ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا (ص) كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا - وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله - سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل .. ؟ قالت : فكان الذي كلمه جعفر ابن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال له :

أيها الملك ،

كنّا قوماً أهل جاهلية ،

نعبد الاصنام ،
ونأكل الميتة ،
ونأتي الفواحش ،
ونقطع الارحام ،
ونسبيُّ الجوار ،
ويأكل القوي منا الضعيف ،
فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ،
نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ،
فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ،
ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاثان ،
وأمرنا بصدق الحديث ،
وأداء الامانة ،
وصلة الرحم ،
وحسن الجوار ،
والكفّ عن المحارم والدماء ،
وممانا عن الفواحش ،
وقول الزور ،
وأكل مال اليتيم ،
وقذف المحصنات ،
وأمرنا أن نعبد الله وحده ، ولا نشرك به شيئا ،
وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام (قالت أم سلمة : فعدد عليه
أمور الاسلام)

فصدقناه وآمنا به ،
وأتبعناه على ما جاء به من الله ،
فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ،
وحرمنا ما حرم علينا ،
وأحللنا ما أحل لنا ،
فعدا علينا قومنا ،
فعدبونا وافتتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الاوثان من عبادة
الله تعالى ،
وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ،
فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا ،
وحالوا بيننا وبين ديننا ،
خرجنا إلى بلادك ،
واخترناك على من سواك ،
ورغبنا في جوارك ،
ورجونا أن ألا نُظلم عندك أيها الملك ...

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال
له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه عليّ .. فقرأ عليه صدراً من " سورة
مريم " فكان منها :

(وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا
مَكَانًا شَرْقِيًّا(١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا
إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا(١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ

بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
 رَبِّكَ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
 غُلَامٌ ، وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ، وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ
 كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَلَنَجْعَلَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ
 وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ
 مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
 قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا
 (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ
 سَرِيًّا (٢٤) وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ
 رَطْبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكَلِمِي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ
 الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ
 الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ
 جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ ، مَا كَانَ أَبُوكَ
 امْرَأًا سَوْءًا ، وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ
 قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنَّي
 عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي
 مُبَارَكًا أَيَّنَّ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ
 حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا
 (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ
 حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ
 يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا

قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦)

تقول أم سلمة : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته
حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال لهم النجاشي : إن هذا
والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم
إليكما ، ولا يكادون ، قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله
لآتيته غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة
وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا ،
قال : والله لأخبرته أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ، قالت : ثم غدا عليه
من الغد فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ،
فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ليسألهم عنه قالت :
ولم ينزل بنا مثلها قط ، فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون
في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاء به
نبينا ، كائنا في ذلك ما هو كائن .

فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالت :
فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وآله
وسلم يقول : هو عبد الله ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء
البتول . فضرب النجاشي بيده إلى الارض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما
عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، قالت : فتناخرت بطارفته حوله حين
قال ما قال . فقال : وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي (أي آمنون) من
سبكم غرم . ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ما أحب أن

لي دبراً (حبلاً) من ذهب ، وأنى آذيت رجلاً منكم ، رُدُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليّ ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه . قالت : فخرجنا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار . فوالله إنا لعلنا ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه . قالت : فوالله ما علمنا حزننا قط كان أشد علينا من حزن حزننا عند ذلك ، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه .. وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل . فقال أصحاب رسول الله (ص) : من رجل يخرج حتى يحضر وقية القوم ثم يأتينا بالخير .. ؟ فقال الزبير بن العوام : أنا ، قالوا : فأنت ، وكان من أحدث القوم سناً ، فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده ، قالت : فوالله إنا لعلنا ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ومكّن له في بلاده ، قالت : فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها .. ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ، ومكّن له في بلاده ، واستوسق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ..¹

والذي أحبّ أن أشيرَ إليه هنا هو أن الإسلام وثيقة وجود ، وثيقة تكامل ، مسيرة نحو الفضائل ، حرب على الرذائل ، لا يمكن للبشرية في شقها

¹ ابن هشام الحميري ج ١ ص ٢٢٢ :

الإجتماعي الوجودي أن تصل إلى ممكن التكاملِ دونهُ ، ففي التعبير الذي ساقهُ جعفر بن أبي طالب خير مثال دقيق على شرط الضرورة والحاجة إلى الإسلام ، ففيه يقول : كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنَسِيءُ الْجَوَارِ ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصَدَقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ ، وَحَسَنِ الْجَوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْدِمَاءِ ، وَتَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ .. وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ أَيَّ نَسْفٍ لِهَذِهِ الْقِيَمِ هُوَ بِمَثَابَةِ إِعْلَانِ حَرْبٍ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، حَرْبٍ عَلَى سُنَنِ الْوُجُودِ وَغَايَاتِ الْإِمْكَانِ الضَّابِطَةِ وَالضَّرُورِيَّةِ ، حَرْبٍ عَلَى طَبِيعَةِ الْبَرْمَجَةِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالسُّنَنِ الْإِلَازِمَةِ لِلسَّيْرِ نَحْوَ كِمَالِ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ .. وَمَنْ يَقْرَأَ الْعَالَمَ الْيَوْمَ يَجِدُ فِيهِ مَا يَخْزِي فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ ، حَيْثُ الْإِبْتِلَاعُ وَالْإِعْدَامُ الْاِقْتِصَادِي السُّوقِي الْمَالِي النُّقْدِي الْاِجْتِمَاعِي السِّيَاسِي بِلِ وَالطَّبِيعِي يَجْرِي عَلَى قَدَمٍ وَسَاقٍ ، فِي ظُلِّ تَنَافُسٍ حَمِيمٍ عَلَى الْقَتْلِ وَالسَّفْكِ وَالتَّشْفِي .. إِنَّ هَذَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ (ص) مِنْ سَيْطَرَةِ قِيَمِ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ وَالْجُورِ ، فَسَادِ الْفِكْرَةِ ، فَسَادِ الْمَفَاهِيمِ ، فَسَادِ الْأَهْدَافِ ، فَسَادِ الْوَثِيقَةِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَمَرْتَكزَاتِهَا ، فَيَنْتِجُ عَنْهَا بَحْرَ هَائِلٍ مِنَ الْاِضْطِهَادِ وَالْقَتْلِ وَالْاِحْتِكَارِ فِي ظُلِّ اِبَادَةِ جَمَاعِيَّةٍ لِعَشْرَاتِ الْمَلَائِينَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ لِأَسْبَابٍ تَتَعَلَّقُ بِالْجُوعِ وَالْوَجْعِ النَّاجِمِ عَنْ صِيغِ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ الرَّأْسْمَالِيَّةِ (مَوَاتِيْقُ الْعَالَمِ الْحَرِّ) أَوْ مَا هُوَ مِنْ تَوَابِعِهَا وَمَتَعَلِّقَاتِهَا ، فَضْلًا عَنْ مَوَاتِيْقِ الْعَالَمِ الْوَضْعِيَّةِ الْاُخْرَى الَّتِي أوردتْنَا نَفْسَ هَذِهِ الْمَوَارِدِ ..

وفي الشق الآخر بأحاديث النبي (ص) إشارة واضحة إلى حروب وفتن وظلم عنيف وقتل ونيران يقوم بها البشر ، على نحو وحشي ودموي ، بالإضافة إلى إشارات نبوية واضحة في ظواهر أخرى مثل الزلازل وشبه ذلك ، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله (ص) :

ستكون بعدي فتن ، منها فتنة الاحلاس ،
يكون فيها حرب وهرب ، ثم بعدها فتن أشد منها ،
ثم تكون فتنة كلما قيل انقطعت تمادت ، حتى لا يبقى
بيت إلا دخلته ، ولا مسلم إلا صكته (أي ضربته
مباشرةً وبشدة) حتى يخرج رجل من عترتي ..^١

وتجدرُ الإشارةُ إلى أن استعمال تعبير "الأحلاس" دقيق في مغزاهُ ، فالجلس هو عبارة عن الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، وقد شَبَّهت الفتنةُ به للزومها ودوامها .. ونعبر الفتن أُتبع بلفظ الحروب والحرب ، ما يعني أن من آثار تلك الحرب أمور عديدة منها الدمار والقتل والتهجير وشبه ذلك ، وأنها تكون واسعة ، حتى أنها تستوعب ديار المسلمين ، فلا يبقى بيت إلا وتدخله ، إشارة إلى شدة أثرها على المسلمين والمنطقة وهو تعبير رمزي يشير فيه النبي إلى شدة المحنة وأثرها الخطير الذي ينعكس على وضع كل المسلمين ، بمعنى أن الحروب تؤثر بشدة على المسلمين ، على وضعهم ، على مركزهم ، على وصفهم الكياني ، على إيمانهم الحقيقي ، وهذا بطبيعة الحال يطال كل مسلمٍ ويزعزع موقعه من هذه الجهة ..

^١ ابن حماد : ص ١٠

ومن لازم هذه الحروب أن القتل والدمار والإستباحة يستوعب كلَّ شيءٍ
بالمعنى المأخوذ في مفاهيم الحرب وظواهرها ، إلى أن يبعث الله صاحبَ هذا الأمر
(المهديّ) حيث تكون هناك أمة مؤمنة ما زالت على دينها ، ظاهرةً بمواثيقها ،
رغم ما تلقى من التعبِ والعناء ، فتصبر إلى أن تسلمَ الراية إلى المهديّ ، وفي
حديثٍ آخر عن أبي سعيد الخدري قال : .

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاء
يصيب هذه الأمة ، حتى لا يجد الرجل ملجأً يلجأ إليه
من الظلم ، فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي
فيملأ به الأرض قسطاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ،
يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع
السماء من قطرها شيئاً إلا صبته مدراراً ، ولا تدع
الأرض من مائها شيئاً إلا أخرجته ، حتى تتمنى الأحياء
الأموات . يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان أو تسع
سنين ..^١

يشير النصّ إلى أن زمنَ المهديّ (ع) هو زمنُ خيراتٍ ، خيراتٍ في
المفاهيم وثقافة الوجود يكون بسببها خيرٌ في الأرزاقِ والثمار ، وفي عطاءِ الأرضِ
والسماء .. وذلك بعد فتنةٍ وجهدٍ طويلٍ ، يعودُ الإسلامُ فيه غريباً كما بدأ ،
ويكون فيه المؤمنُ هارباً بدينه ، قابضاً عليه كالقابضِ على الجمرِ والشوك ، من
شدة المعاداة القيمية الفكرية المفاهيمية السوقية المجتمعية لما عليه دينُ الإسلام ..

^١ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٢٧١ ، ٢٠٧٧٠

ويكون قبل ظهور المهدي عليه السلام فتن شرسة ، عنيدة كل العناد ، فيها يهلك الكثير ، ويمرق الكثير ، ويتحوّل فيها الكثير ، ويصبر المؤمن حتى يلقي ربه .. كل ذلك رغم وجود علامات الحجّة والاحتجاج لما عليه الإسلام وبصورة جلّية ، لكنّ مؤثرات الجور والفساد والانحراف تكون في عزّ نفوذها ودعايتها وسلطنتها المجتمعية والعالمية .. في ذلك الزمن يكون الأمر على خطورة بالغة ، حيث تنقضي فتنة فتطلّ أخرى ، وكلّما أطفئوا نار فتنة اشتعلت أخرى ، وكلّما مرّت عاصفة تبعثها أخرى ، ومع كل هذا أشدّد على أنّ أمة مؤمنة تظلّ متمسكة بدينها لا تغرّها الدنيا ولا يرهبها القتل .. وحسب النصوص النبوية ، فإنّ تلك الفتن تكون على قدرة مخيفة حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي .. وفي الحديث عن أرطاة بن المنذر ، قال بلغنا أن رسول الله (ص) قال :

تكون في أمّتي أربع فتن ، يصيب أمّتي في آخرها فتن مترادفة ، فالأولى تصيبهم ، فيها بلاء حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف . والثانية حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف . والثالثة كلما قيل انقضت تمادت . والفتنة الرابعة تصيرون فيها إلى الكفر . إذا كانت الامعة (أي الذي لا رأي له) مع هذا مرة ، ومع هذا مرة ، بلا إمام ولا جماعة ، ثم المسيح ، ثم طلوع الشمس من مغربها ، ودون الساعة إثنان وسبعون دجالا ، منهم من لا يتبعه إلا رجل واحد ..^١

^١ ابن حماد : ص ٩

أي أن فرج هذه الأمة ينجلي بعد طول محن ، يكاد فيها الكفر يجرف كل شيء ، في ظلّ علاماتٍ كبرى على حقانية الإسلام وتمام حجته ، ومع كلّ مرحلة يظهر دجال ، وهو تعبير عن طاغية ، عن ظالمٍ من طرازٍ إستثنائيّ ، فيكثر الإضطهاد للمؤمنين بشكلٍ وآخر ، حتى يندر بشكلٍ نسبيّ وجود إمام أو قيام جماعة ، وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى مشهد الضعف الذي يصيب المسلمين لصالح إنتشار الفسق والفساد والظلم والجور .. فإذا تمّ الأمر كذلك كان الموعد مع المهديّ والعلامات الكونيّة وباقي جبهات أهل الباطل .. وفي نصّ آخر لم يُسند إلى النبيّ (ص) عن كعب قال :

تكون فتن ثلاث كأمسكم الذاهب — أي أنّها حتميّة كحتمية الأمس الذي مضى — : فتنة تكون بالشام ، ثم الشرقية هلاك الملوك ، ثم تتبعها الغربية ، وذكر الرايات الصفر ...^١

المعنى في هذا النصّ واضح في بيان أن الفتن تتوزّع على رايات ، منها فتنة تكون بالشام ، ولفظ الشام يُطلق على الأوسع من سوريا لأنّه إستعمال للإسم التاريخي هنا .. بالإضافة إلى فتنة شرقية فيها هلاك الملوك ، وفتنة غربيّة .. وكما ترى ، الفتن شرقية غربيّة ورايات متعدّدة ، منها الرايات الصفر .. أمّا التفسير بفتن الفاطميين كما ذكر أحدهم وأنّهم حملوا الرايات الصفر ، فلا أرى له وجهاً هنا ، لأنّ النصّ موجه إلى زمنٍ آخرٍ مختلف فيكون صارفاً عن المعنى الأوّل .. وفي نصّ آخر عن عمران بن حصين عن النبيّ (ص) قال :

^١ حماد : ص ١٠

تكون أربع فتن : الاولى يستحل فيها الدم ،
والثانية يستحل فيها الدم والمال ، والثالثة يستحل فيها
الدم والمال والفروج ، والرابعة الدجال ..^١

وبحديثٍ آخر :

ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها
جانب حتى ينادي مناد من السماء أميركم فلان ..^٢

وما يلفت النظر هو الإشارة إلى اسم وقعة أو فتنة ذكرت على لسان
سلسلة من الرواة ، إلا أنه لم يتم إسنادها إلى النبي (ص) لكن مجموعة من معانيها
مروية في نصوصٍ أخرى عن النبي (ص) وقد جاء فيها :

تكون فتنة يقال لها السبيطة (الطويلة) قتلاها
في النار فقلت : وهما مسلمان ؟ قال : وهما مسلمان ،
قلت : وهما مسلمان .. ؟ قال : وهما مسلمان . قلت
لم .. ؟ قال : لأنهم تغالبوا على أمر الدنيا ، ولم يتغالبوا
على أمر الله . فقلت : قد كان ذلك .. قال : متى لله
أبوك .. ؟ فقلت فتنة عثمان . قال : كلا ، والذي
بعث محمدا بالحق ، حتى يدخل على العرب كلهم

^١ ابن حماد : ص ٨

^٢ الطبراني ، الأوسط : على ما في مجمع الزوائد ، ومقدمة ابن خلدون ، وعرف السيوطي صفحة ٨٩ والإذاعة والعطر الرودي .
النهاية : ج ١ ص ٣٢٤ أوله ، مرسلا . * : مجمع الزوائد : ج ٧ ص ٣١٦ عن الطبراني في الأوسط . * : مقدمة ابن خلدون : ص
٢٥٥ و ٥٣ . عن الطبراني في الأوسط ، وفيه " . إلا تشاجر " . * : عرف السيوطي ، الحاوي : ج ٢ ص ٦١ كما في مجمع الزوائد
، عن الطبراني في الأوسط . * : القول المختصر : ص ٦ و ١ ج ٢٢ كما في مجمع الزوائد بتفاوت يسير ، وفيه " . إلا جاش منها
جانبا . إن أميركم فلان ، أي المهدي .

حجرها ، وحتى يأتي الرجل القبر فيقول يا ليتني كنت
مكانك ، وحتى تملأ الارض ظلما وجورا . قلت : ثم
مه ؟ قال : ثم يبعث الله رجلاً يملؤها قسطا وعدلا كما
ملك ظالما وجورا (المهدي) يعيش بضع سنين ،
فقلت : وما البضع ؟ قال : زعم أهل الكتاب أنه تسع
أو سبع ..^١

أقول ما أضمره ابن عمر في الرجل إنما هو مذكور على لسانه ولسان
غيره من الروايات عن النبي وبشكلٍ متواترٍ بتعبير : رجل من أهل بيتي من ولد
فاطمة وعليّ اسمه محمد ، المهدي صاحب العصر والزمان .. عجل الله فرجه
الشريف .. والمهم في هذا النصّ وغيره هو التأكيد على زمنٍ رهيب ، على عصرٍ
تكثر فيه الفتن ، وإن أُريد من تعبير السبيطة " السباطة " فهذا يعني مرمى
الابوساخ والنفايات ، وقد شُبّه بها لإجماع الصفات السيئة فيها .. المهمّ وظيفة
التعبير هنا تكمن في أنّ هذه الفتنة تكون على باطلٍ ، يتقاتل أهلها على الدنيا ..
ويكون طرفاها مسلمين ، فتمتد وتشتد وتوسع حتى يطال أثرها المسلمين
وبشدة غير عادية ، حتى أنّ الواحد يتمنى الموت .. !

إنّ هذا يدلّ على ما سيصل إليه أمرُ المسلمين في ظلّ نظامٍ عالميٍّ متعدّد
على مجموعة من جبهاتٍ وكيانات ، منها الروم والترك ويأجوج ومأجوج
والسفياني المنتصر والمغربي والدجال وغيرهم .. بحيث يكون أمرُ المسلمين منهاراً
وكثرتهم خاوية ، وثرواتهم تتاكلها الجبهات .. وهم مع كلِّ هذا ، تحت شرِّ

^١ فتن السليلي : على ما في ملاحم ابن طاووس . * : ملاحم ابن طاووس : ص ١٢١

سلطانٍ وموثيقٍ ، يعبدون غيرَ الله ، منغمسون في المادّةِ دون الأفق ، يكون على الدنيا في عالمٍ يفترس الأرواح والتراث والأديان .. وتجدُرُ الإشارةُ إلى أن الفتن أوسع من جبهةٍ ويحكمها عنوانان : الحقّ والباطل ، وربما نشب الصراع بين باطلٍ وباطلٍ ، لكنّه لا يمكن أن ينشب بين حقٍّ وحقٍّ ، ففي الحديث : ما اختلف اثنان على الحقِّ إلا وكان الحقُّ مع أحدهما .. وعليه : حسب النصوص الصادرة عن النبيّ (ص) فإنّ الفتن تكون متعدّدة ، منها شرقيّ ومنها غربيّ ، رايات مختلفة ، منها الرايات الصفر .. وفي طولِ توزيعِ هذه الأمم ، يكون المسلمون كثيراً ، لكنهم غناء كغناء السيل ، لا قدرة لهم ، لا قوّة فيهم ، لا عزم ولا إرادة ، ضعيفو التمسكِ بدينهم ، تتداعى عليهم الأمم ، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، وفي تعبير " تتداعى عليهم " يعني أن لديهم ما يُطلب ويُفترس ، لديهم ما يحتاجه الآخر كضرورة ، وتعبير الأكلة يشير إلى أكثر من واحد ، أي إلى أكثر من كيان وجهة ، ومن يراقب عالمنا اليوم يدرك حقيقة المثال العصري ، ولا أدعي الحصر فيه ، لكنّه مثال ينطبق على صفة القول والمفهوم من النصّ .. فباطن الكيانات الإسلاميّة يمثل اليوم خزان العالم النفطيّ الذي تتوقف عليه الثورة الصناعيّة التكنولوجيّة بشكلٍ مذهلٍ وحساس .. ومع كلّ ذلك فالكيانات الإسلاميّة غناء كغناء السيل ، يبيعون قسراً برميل النفط بـ ٢٠ دولار أمريكي ، ويشتررون برميل البيسي أو الكوكا كولا بـ ١٢٠ دولار .. ! برميل البيسي لا معنى منفعي له ، لا ضرورة ، لا ارتباط له بالإقتصاد وثورة الصناعات ، لكنّه بسعرٍ قياسيٍّ غريب كلّ الغرابة .. ! في حين النفط يعتبر ضرورة الوجود الصناعيّ ، إلا أنّ الأكلة يتداعون على هذه الأمّة بشكلٍ مفترسٍ مذهلٍ ، دون رأفةٍ أو رحمةٍ أو أخلاقٍ تجاريّة .. فالنصّ يريد أن يشير إلى أنّ آخر الزمن يكون

على موعدٍ مع وحشٍ تفترس ثروة المسلمين .. ليسجل للتاريخ مجموعةً من معانٍ فيها كلُّ الإعجازِ على لسانِ النبي الأعظمِ محمدٍ (ص) ..

ومنذ زمنٍ طويلٍ وأنا أتوقفُ أمامَ مضمونِ هذا النصِّ المرويِّ بأكثر من سندٍ وأنا متعجبٌ ، لأنني أجدُ فيه إشارةً كبرى إلى الثروة التي تدفع الأكلة إلى التسابق بعنف نحو المسلمين ، مع أنهم كُثُر ، لكن بلا حراكٍ وقوَّةٍ .. لقد كان النبيُّ (ص) منذ يومِهِ الأوَّلِ يؤكدُ أنَّ مسلمي آخرِ الزمنِ كُثُر ، يملكون ثروة لها من الأهميَّة ما يستدعي من الأممِ القويَّة أن تتحرَّك نحوهم بوحشيَّةٍ وافتراسٍ ، لكنَّ المسلمين في منظومة العالم آنذاك ضعفاء ، يتقاتلون على الدنيا ، يعبدون صنمَ المالِ والغريزة من دونِ الله .. وما يلفت النظر هو إشارةُ النبيِّ (ص) في كثيرٍ من النصوصِ لعالمِ آخرِ الزمانِ ، أنه يعاني عنوانينِ كبيرين :

١ . كثرة الفتن ونفوذ أهلِ الباطلِ كعنوانٍ متَّصلٍ بالسلوكِ البشريِّ الظالمِ من هذه الجهة .

٢ . كثرة الزلازلِ كعنوانٍ متَّصلٍ بالطبيعةِ ولا يعني ذلك أنَّ الزلازلَ لا صلة لها بأثرِ السلوكِ البشريِّ ، نعم العنوانُ الوارد في النصِّ أعم من ذلك في حين توكُّدُ الدراساتِ العلميَّة اليوم أنَّ مجموعة أنشطة بشريَّة سيكون لها أثرٌ فعليٌّ على تحريكِ وتعجيلِ وتوسيعِ نشاطِ الزلازلِ ، خاصَّة في تلك المناطق التي يستخرجُ منها النفط والغاز بكميَّاتٍ كبيرة بل قد يؤدي ذلك إلى نحسِفِ بالأرضِ وعلى مستوى كبير ..

من تلك النصوصِ التي تشير إلى العنوانِ الثاني ، ما ورد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) :

أبشروا بالمهدي (ع) ، فإنه يأتي في آخر الزمان
على شدة زلازل ، يسع الله تعالى له الأرض عدلا
وقسطا ...^١

وفي نفس الكتاب أيضاً عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) ذكر
المهدي فقال :

يخرج عند كثرة اختلاف الناس وزلازل ،
فيملؤها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ، يرضى
به ساكن السماء ، وساكن الأرض ، ويقسم المال
قسمة صحاحاً . قال قلت وما صحاحاً ؟ قال بالسواء
ويغنم الناس حتى لا يحتاج أحد أحداً . فينادي مناد :
من له إليّ من حاجة ؟ فلا يجيبه أحد من الناس إلا
إنسان واحد ، فيقول له خذ ، قال فيحثو في ثوبه ما لا
يستطيع حمله ، فيقول إحمل عليّ فيأبى عليه ، فيخفف
منه حتى يصير بقدر ما يستطيع أن يحمله فيقول : ما
كان في الناس أجشع نفساً من هذا ، فيرجع إلى الخازن
فيقول : إنه قد بدا لي ردّه ، فيأبى أن يقبله فيقول : إنا
لا نقبل ممن أعطينا ، قال فيمكث سبع أو ثمان أو تسعاً
يعني سنة ، ولا حياة في العيش بعد هذا ، أو قال لا
خير في الحياة بعدهن ..^٢

^١ دلائل الإمامة : ص ٢٤٩

^٢ ن ، م (ص ٢٥٢)

ومن باب التركيز حول هذه العناوين يتضمّن هذا النصّ وغيره الوارد في مضمونه الأمور التالية :

١. كثرة الفتن ومقصود بها هنا فتن بشرية تتجسّد بصورٍ شتى منها الحرب والإستنزاف والإحتكار والقتل والفتك وغير ذلك وبشكلٍ ظالم ، لا يُراعى فيه أمرُ الله .. إلى درجة تكون فيها حكومة الفساد والظلم نافذةً في العالم على نحوٍ حاكمٍ ومتجبرٍ ، وهذا يوافق تعبير أن العالم يمتلئ ظلماً وفساداً ..

٢. كثرة الزلازل ، وحسب أكثر من نصّ أن للزلازل هذه أثراً مؤذياً على صعيد البشر ، وأنها تتميز بكثرتها ..

٣. أن المهديّ (ع) يقيم القسط والعدل في الأرض في ظلّ حكمٍ واحدٍ ودولةٍ واحدةٍ (الحكومة العالمية بقيادة سياسية مركزية يقودها الإمام المهدي) وبسبب عدالة المواثيق والتطبيق لها تكثر الخيرات والبركات إلى درجة أن الحاجة المادية عند أهلها تنتفي ، لأمرين كما في النصوص الأولى بسبب ظهور الخيرات من بركات الأرض والسماء والثاني بسبب إقامة نُظم العدل في قسمة الأموال وهذا ما أشار إليه النصّ هنا ..

وتجدرُ الإشارةُ هنا إلى أن تعبير " فتن " في أكثر من نصّ كان يُقصدُ منه الحرب واستعمال الأسلحة والعنف وشبه ذلك ، من هنا يصحّ تعبير كثرة الحروب في آخر الزمان ، من دون أن يكون لهذه الحروب أثر في إقامة عدل أو قسط ، إنّما يكون الصراعُ محكوماً بعناوين دنيوية ، وقيم مخالفة لما عليه شريعةُ الله تعالى ، أمّا قيم ذلك الصراع أو عناوين تلك الظواهر التي تعكس لوناً من

ألوانِ الشذوذ السلوكي فهي كثيرة ، منها البغاء واكتفاء الذكر بالذكر والأنثى
بالأنثى وسوء الجوار والقتل والعنف من أجل المال والبطن والفرج والسلطان
والتعامل مع الدنيا كميزانٍ للقيم ، بل استغلال الدين من أجل الدنيا ، واعتبار
الدنيا رأس تصدير الثقافات في ذلك الزمن في ظلّ حجرٍ وقيدٍ وحربٍ هائلةٍ على
الدين المنزّل ، وفي الحديث عن النبيّ (ص) قال :

من أشراط الساعة سوء الجوار ، وقطيعة
الارحام ، وتعطيل السيف من الجهاد ، وأن تختل الدنيا
بالدين^١ (أي تطلب بالحيلة والتظاهر بالدين) .

وفي نصٍّ آخر عنه (ص) :

إن بين يدي الساعة أيام المرح (القتل) أيام
يزول فيها العلم ، ويظهر فيها الجهل ..^٢

أمّا لفظ " جهل " الوارد في الحديث فوظيفته بيان أن صاحب الجهل
يتسلطن ويخضّر عودّه فيحكم .. وبتعبيرٍ آخر : يُراد منه الإشارة إلى أن إقامة
الحكم والقيم والأعراف لا تكون على أمرٍ بينٍ مما عليه حقائق الأمور من مسيرة
البشر الكونيّة وصلتها الوجوديّة ، بل هي على نسقٍ من معانٍ غريزيّةٍ قاتلة ، دون
أيّ ميزانٍ أو مؤشرٍ عاقل ، وعلى نحوٍ من شرعةٍ وضعيّةٍ يقودها الحسّ والمادة ،
وكلّ ما في الأمر أن البشر يتعاملون في ميادين الكون على أساس الإستباحة
المطلقة ، دون أيّ دواوين وجوديّة ، دون أن يقرؤوا أيّ خطابٍ عقلائيٍّ بخصوصٍ

^١ أبو نعيم : ج ١ ص ٢٧٤

^٢ الطيالسي : ص ٣٥ > ٢٦٣

الصلة مع السماء ، دون أن يحدّوا العلاقة الحقيقيّة مع الله ، وهذا ما تعبّر عنه الدراسات اليوم بفراغ القيم ، وهذا من أخطر الأمور التي تؤثر في انحراف مسيرة الوجود البشري .. يُراد من ذلك الإشارة إلى أن رحلة الوجود المفروض فيها أن تكون على نوع متزن من العقلانيّة تنحرف بشكلٍ حادّ ، وبطبيعة الحال حين يكون الأمر بين موقعيّ " العقل والغريزة " فإنّ أيّ خللٍ يصيب منطق العقل وغايات العلم والتوجّه الوجودي فإنّه يكون لصالح " الغريزة العمياء " أي لصالح الجهل بكلّ ما يعنيه من تعبيرٍ مخالفٍ لحقائق الأمور وغاياتها ، فيتجلّى ذلك على مستوى العالم في موثيقه ومسالكه .. وعلى سبيل المثال والتقريب لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يُعيد العالم وخبرائهُ توصيف ضحايا الإيدز ألس (٦٠ مليون نسمة) بأنهم وقعوا نتيجة أمور غير خاطئة ، بل الكلّ يقرُّ أنّ هذه الضحايا وقعت نتيجة لقيم النظرية الجنسيّة وتلك المتعلقة بقيم التربية العامّة ..

لا يمكن أن يسلم العقل بحالٍ من الأحوال أنّ إباحة تعاطي أنواع محدّدة من المخدرات لاستعمالاتٍ شخصيّةٍ أمر أصبح محتوماً ولا بدّ منه ، تحت عنوان أنّ تعاطي المخدرات وصل إلى مستوى " الأمر الواقع " في حياة الغربيّ حتى لا تملئ سجون الدول الغربيّة من متعاطي المخدرات ..! في ظلّ معرفتنا بأنّ تعاطي المخدرات يُستهلك بمئات الأطنان كلّ عام في تلك الدول .. لا يمكن للعقل أن يصحّح تجارة بيع أعضاء البشر التي تُمارس بحقّ مئات الآلاف من فقراء العالم لصالح أثرياء العالم الصناعي على قاعدة أنّه يحقّ لرموز العالم الثريّ أن يشتروا كلّ شيءٍ دون حدٍّ أو قيد ، في حين نقرأ أنّ العالم الفقير يئنُّ من كثرة الموت والجوع والأمراض والبؤس ، وعلى يدٍ وحوش القاطرات الماليّة التي يقودها أباطرة الغرب وملاكه .. الأمثلة أكثر من أن تعدّ في عالمٍ بدا مربكاً ومشتتاً ومضطرباً أشدّ

اضطراب .. في ظلّ أزمةٍ كبرى تظال الإنسان بهويّته ورموزٍ وقيمهٍ ومفاتيح غاياته .. ها هو العالم الصناعيّ اليوم الذي يقود تكنولوجيا مذهلة ، لم يستطع أن يقدم إجابةً منطقيّةً على سؤال بشري ما زال يردّده كلّ فردٍ منا منذ يوم الخليقة الأولى : من أين وفي أين وإلى أين .. ؟

بل لم يحاول الغربُ أن يجيب عن أسئلة من هذا النوع ، في ظلّ دعايةٍ قاتلة عن العنفِ والعبثِ وإصرارٍ سينمائي على أنّ أصل الإنسان هو قرد ناهق وأن الغريزة هي الأساس المصدري للإشعاع الإحساسي ورفد القيم وإعطائها وزنها ، وأنّ التطوّر نحو العقلانيّة إنّما هو أمر طبيعيّ نشأ صدفةً عبر الإحتكاك والتفاعل وشبه ذلك .. ! الشئ المثير أنّ هذا العالم يتعاطى مع وجود الإنسان ومستوى الإعجاز الذي يكمن فيه من بابٍ أنّه مجرد كائن شهواني ، أرضيّ ، ترابيّ ، ماديّ ، غرائزيّ ، دون أن يبحث في مجالات العقل عن غايات المسيرة الكونيّة وصلة الإستنطاق الوجودي لها ، دون أن يقرأ الوجود بشكلٍ أفضل مع أنّ كلّ كتاب الوجود بين يديه .. ! ها هو العالم الصناعيّ اليوم يغوص طويلاً في عمقِ الفضاء لمحاولة كشف المزيد من الأنظمة ، في نفس الوقت الذي لا يقيم فيه توازناً معرفياً مع ذاته ووجوده ، بحيث يعاند الحكمة العاقلة بشكلٍ مريبٍ .. فلا يبذل أيّ جهدٍ في سبيل الإجابة على سؤال : إلى أين .. ؟ لقد وصل الأمر إلى حدّ أن جثة البشر تُباع في هذه الدول للتشريح الطّبيّ بأبخس الأثمان ، ويُعامل معها من بابٍ أنّها مادّة للمعملِ والمصنّع والمختبر دون أيّ بُعدٍ آخر .. ! مع أنّ كلّ علماء الطبّ يقرّون أنّ في هذا الجسدِ البشريّ الدقيق حطّت المعجزاتُ بأسرارها .. ! وعلى حدّ قول الإمام عليّ (ع) :

أترعّمُ بأنّك جرمٌ صغيرٌ
وبك انطوى العالم الأكبرُ

كلّ أهلِ الطبّ يدركون أنّ الإنسان هو الإعجازُ بعينه وبمقاييس مختلفة ومع كلّ هذا يتعامل معه رموز العالم المنتصرِ اليوم من بابِ أنّه مادّةٌ ميتةٌ ليس أكثر .. ! من هنا ، لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يعيش الإنسانُ في نتيجة انتصارهِ الصناعيِّ إجتماعياً ما دام أنّه مهزومٌ معرفياً في داخلهِ .. إنّ من يمسح حركة البشرِ نحو الأفقِ ، في كلّ عالمنا الحالي ، يدرك أنّ شرط الإِتصالِ الوجوديِّ بحكمة الخلقِ أمرٌ ضروريٌّ وبشكلٍ نهائيٍّ .. وكلُّ خللٍ في هويّة الكائنِ البشريِّ سيُترجم هزيمةً مدويّةً ضمن حدود الخيانةِ تلك .. عليك فقط أن تقرّ حركة الثروة والأموالِ ومواثيق الإنسانِ وصيغ الجماعةِ والإجتماعِ العالمي في هذا العالم لتجد هزيمة الإنسانِ في أهمّ مفاصل حركته الوجوديّة ، لترى التوحّش فيه ، لترى الهبوط البشريِّ الشرس إلى غريزة الإفتراس الأعنف التي تسحق في باطنهِ حسّ الإنسان وفطرته .. !

هذه مواثيقُ أهلِ الدنيا السياسيّة بصورةٍ عامّةٍ ، تصرُّ على ضرورة بتر أيّ سلطةٍ للدينِ في صناعة أو قيادة المجتمع ، تمنع عليه أيّ دورٍ نافذٍ ، تلاحقه بالدعاياتِ القتالة ، تشنّ حرب إبادة على قيمهِ ، تحوّر بقوة كلّ ما يتصل به ، من دون أن تجد في الحسّ البشريِّ أيّ ممانعة ، هو ذا الإنسانُ يُباع في الأسواقِ بشكلٍ مذهلٍ ، دون أن يرى زعماء العالم الحرّ وغيرهم أيّ أزمة أو مشكلة في ذلك .. لا شك أنّ العالم يعيش مرحلةً مضطربةً جداً على مستوى الحقوق وحفظها ، حيث أعدادُ الموتى لجوعٍ أو وجعٍ أو احتكارٍ يُعدّون بعشراتِ الملايين في كلّ عام وبرقمٍ متزايدٍ منذ العام ١٩٧١ في نفس الوقت الذي زادت فيه ثروة

الأغنياء بأضعافٍ كبرى خاصة في التسعينات دون أن يرى العالم في وصف الإنسان قيداً ضرورياً لتعديل النظم المالية وقيم التضامن البشري على المستوى المالي الإجتماعي ، بل تصرّ كلُّ دولةٍ على المزيد من تقرير مصير مواطنيها على شكلٍ مبتذلٍ مأخوذٍ فيه البعد التنافسي المتوحّش ، دون أيِّ رأفةٍ أو رحمةٍ بإنسانٍ هذا الكوكبِ المتهالك ..

أيِّ رأفةٍ يمكن أن نتحدّث عنها ، وما زال مئات الملايين من أفراد هذا الكوكبِ محرومين من مياهٍ صحيّةٍ آمنة ، في نفس الوقت الذي يعلن العالم فيه وفياتٍ كبرى كلَّ عامٍ بسببِ المياه الملوّثة .. حتى أنه بتاريخ ٣١ كانون ثاني ٢٠٠٢ أبلغ خبراء التنمية الأمم المتّحدة أن نحو (ستّة آلاف طفل) يموتون يومياً من أمراضٍ يمكن الوقاية منها بسهولة جرّاء أمراض المياه غير الصحيّة ، وحثّوا الحكومات على ضمان الحصول على المياه النظيفة ، وهي لا تحتاج إلى موازنات ضخمة .. مؤكّدين أنه يموت سنوياً جرّاء هذا الإستخفاف بصحّة الطفل ما يصل إلى " مليونين ومائة وستين ألف طفل " بسبب هذا الإهمال الخطير ، وأنّ الغالبية المطلقة من هؤلاء الأطفال الموتى هم من دول العالم النامي الفقير .. وقال ريتشارد جولي رئيس المجلس التعاوني لموارد المياه والمرافق الصحيّة ومقرّه جنيف :
الصرف الصحي ليس كلمة بديئة ، المياه والصرف الصحي هما نقطتا البدء لمكافحة الفقر .. إنّ ستّة آلاف طفل يموتون يومياً بسبب أمراض تنتقل عبر الماء ومن الممكن تفاديها ..

وأشار الخبراء أمام مؤتمر الأمم المتّحدة إلى أن نحو " سدس سكّان العالم " أي مليار إنسان يعانون اليوم من نقص في المياه الآمنة في حين يوجد ٢ من كلِّ ٥ أشخاص يفتقرون إلى مرافق كافية للصرف الصحي .. وأنّ هذه المشكلة

متمركزة بشكلٍ حادٍ في الدولِ الفقيرةِ .. واليوم يبلغ عدد الأشخاص الذين لا يجدون مرافق للصرف الصحيّ ٢,٥ مليار شخص .. وببديهة الحال هم من الدولِ الناميةِ .. وقد أقرّ الخبراء بأنّه من أساسيات موثيق حقوق الإنسان حقّ الحصول على مياه الشرب وفق المواصفات الصحيّة إلا أنّ هذا الحقّ لا يطبّق .. ! بسبب الظلم والإجحاف الحقوقي والفساد بالموئيق .. وأكد الخبراء أنّ مشروع بلوغ مواصفات صرف صحيّ ومياه صحيّة للشرب لا يتجاوز مبلغ استثماري يبلغ على الأكثر ١٧٠ مليار دولار ، أي ما يساوي ثمن ٥ مدمرات بحريّة أمريكيّة من الطراز المتطوّر .. وإلا فإنّ ٢,٥ مليار إنسان من أصل ٦ مليار إنسان يظلّون تحت مهجر الموت الصامت ..

السؤال :

عن أيّ إنسانٍ نتحدّث .. ؟ عن أيّ علمٍ وتطوّرٍ وصناعة .. ؟ في نفس الوقت الذي نرى فيه شركة أمريكيّة واحدة للدواء ، وهي عملاق الدواء في العالم تشتري في العام ٢٠٠١ منافستها بـ ١٤٠ مليار دولار ، ثمّ في العام ٢٠٠٢ تشتري المنافس الثاني بـ ٧٠ مليار دولار في ظلّ تقييم مالي لها يصل إلى ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ مليار دولار .. ! في حين نعلم أنّ هذه الشركة عينها تسيطر على العالم بشكلٍ احتكاريٍّ هائلٍ دون أيّ منازعٍ ، وتصرّ على أنّها لن تتعامل مع أيّ سوقٍ في العالم تحت عنوان أسعار تفضيليّة لجهاتٍ إنسانيّة ، مؤكّدة أنّ حقوق الإختراع التجاريّة تحميها بشكلٍ نهائيٍّ وتسمح لها أن تقوم بتحديد أيّ سعرٍ تجاريٍّ ، رغم ما يمرّ به العالم الفقير من جوعٍ وفقيرٍ ومرض .. !

أيّ عالمٍ هذا يحكمُ فيه العقلُ الصناعيُّ ويقود قيم كلّ شيءٍ وفي كلّ عام يموت أكثر من ٤٠ مليون إنسان لأسبابٍ تتعلّق بالجوع وسوء التغذية دون غيرها

من الأسباب والعناوين ، في نفس الوقت الذي ينفق فيه مواطنو الدول الغنية عشرات المليارات على الحيوانات الأليفة .. وعلى سبيل المثال بتاريخ ٣١ كانون ثاني ٢٠٠٢ نقلاً عن جريدة السفير أشارت دراسة دقيقة للحيوانات أعدتها (د ب أ) إلى أن الألمان أنفقوا (٢٤ مليار دولار) هذا العام على حيواناتهم الأليفة بما في ذلك ١٩ مليار دولار على طعام تلك الحيوانات و ٨٠٢ مليون دولار على أدوات الزينة الخاصة بتلك الحيوانات ..

وذكرت المنظمة الرئيسية لواردات حدائق الحيوانات في برلين في بيان لها أن ألمانيا تحتل المركز الثالث في أوروبا من حيث عدد الحيوانات بعد كل من إيطاليا وفرنسا حيث يوجد بها (٢١ مليون حيوان) . وقالت المنظمة : إن أكثر من ٦ ملايين قطّة و ٤,٥ مليون كلب تعيش في المنازل الألمانية ، وأن العدد في تزايد سنوي مستمرّ .. وأضاف البيان : إن برلين هي عاصمة الحيوانات الأليفة في ألمانيا حيث يوجد بها وفقاً للسجلات الرسمية : (١٠٨,٨٦٤ كلباً) و (٢٧٦,٠٠٠ قطّة) و (٢٠٤,٠٠٠ من الحيوانات الأخرى الثديية الصغيرة مثل الأرانب وخننازير غينيا والخننازير الهندية والهمستر الشبيه بالجرذ والفئران) فضلاً عن وجود أكثر من (٢٠٠ ألف طائر) ... وتزيد نفقات هذه الحيوانات كلّ عام بشكلٍ قياسي خاصة أن أعداد هذه الحيوانات ما زال في تصاعد ، وأصبحت عنواناً أساسياً في مفهوم الخصائص الإجتماعية وميزاتها .. وحسب أكثر من دراسة سنوية ، فإن نفقات الحيوانات في كل من إيطاليا وفرنسا وألمانيا تزيد على ٨٠ مليار دولار كلّ عام .. ! ما يعني أن النفقات على الحيوانات في هذه البلاد في تصاعدٍ غريبٍ ، بل بعض الدراسات تشير إلى أن النفقات ربّما وصلت إلى مائة مليار دولار .. ومع كل ذلك أصرت بريطانيا وفرنسا وألمانيا

والولايات المتحدة وغيرهم من الدول الغربية على تفشيل قمة الفقراء التي دعت إليها الأمم المتحدة في العام ٢٠٠٢ دون أن تعمل على إحيائها ولو نسبياً في الشقّ الدفترى ..

أيّ عدلٍ هذا .. ؟ والإنسان يُباع في الأسواق .. ! أيّ قسطٍ هذا ؟ والأفراد يعيشون أسوأ مراحل التعبير عن وحشية الإنتقام الغرائزي .. ! من هنا يمكن لنا أن ندخل إلى بعض النماذج من معاني أحاديث الرسول (ص) التي تشير إلى أن العالم يعيش مرحلة خطيرة وكبرى من الفساد والظلم والجور ..

حتى الملكية الفردية حوّرت بشكلٍ خبيثٍ وظالمٍ وقاتلٍ ، بحيث أصبحت أداة فتاكة بيد رجال المال والأعمال على حساب الفرد وضمانات وجوده ، بل على حساب أممٍ كبرى جوعى ، يسيطر عليها الخوف والجوع والوجع من كل ناحية وصوب ولأسباب تتعلق بسلوك فئة بشرية قليلة تملك قاطرات كبرى من المال على نحو احتكاريّ قاتل ومحمية من الرأسمالية الحاكمة في النظام الدولي .. وفي كل يوم نقرأ فيه وجعاً عنيفاً متزايداً في العالم النامي نقرأ في الناحية الأخرى من العالم الثري تراكمًا ماليًا مذهلاً وتزايداً في الثراء وتخمّة في الأسهم والقاطرات مثلاً على ذلك بتاريخ ١٨ حزيران ٢٠٠٢ كان العالم يعيش تحت وقع دخول الإقتصاد العالمي مرحلة الركود بنسبة نموّ ٢,٤ وهذا بطبيعة الحال أثر بشكلٍ مريعٍ على الأمم الجائعة من العالم النامي والفقير .. لكن على مستوى الثراء والنادي الرأسمالي كان الأمر مختلفاً في حظوظ التراكم فقد جاء في التقرير السنوي الذي أصدرته (مريل لينش وكاب جيميني أرنست يونغ) أن منتدى الأغنياء أضيف إليه في هذا العام ما يقارب الـ ٢٠٠ ألف شخص رغم تحبّط الأسواق المالية وانتشار الإنكماش الإقتصادي في عدّة بلدان من العالم بعد هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ ..

وقد جاء في التقرير الأمور التالية :

١. إنَّ عدد الأثرياء ارتفع ٣ في المئة بحيث بلغوا نحو ٧,١ ملايين من أصل ٦ مليار إنسان ، وقد ازدادت ثرواتهم ما يقارب ٣ في المئة نسبةً إلى موجوداتهم .

٢. بلغت ثروة منتدى الأغنياء أُلـ (٧ مليون نسمة) في العالم أكثر من (٢٦,٢ تريليون دولار) .. وهو رقم مذهل بكلِّ المقاييس .. ! وهذا النادي يحسب فقط من تزيد ثرواتهم في العالم عن مليون دولار دون احتساب الأصول العقارية ..

٣. تجدر الإشارة إلى أنه يتمّ التفريق بين نادي كبار الأثرياء وبين نادي الأثرياء ، فنادي كبار الأثرياء يشترط للدخول فيه أن يمتلك الواحد على الأقلّ ٣٠ مليون دولار .. وكلّما ارتفع الحدّ المالي المطلوب كلّما قلّ الوافدون ..

٤. وعلى صعيد " كبار الأثرياء .. " فقد ارتفعت نسبتهم أيضاً بمقدار ٣ في المئة إلى (٨,٣٧ تريليون دولار ، وازداد عددهم إلى ٧٥ ألف شخص فقط) ... !

٥. وبضميمة نادي الأثرياء إلى نادي كبار الأثرياء تصبح نسبة موجوداتهم المالية (٣٥ تريليون دولار أمريكي) .. ! وهذا رقم تعجزُ عنه كلّ الدول الفقيرة والنامية لمئة ضعف وضعف .. ! لا شكّ أنّه رقم مذهل بكلِّ المقاييس والمعايير .. لنسبةٍ من الأشخاصِ أباطرةٍ بالمال هم أقلّ من مدينةٍ ريفيّةٍ في العالم النامي .. !

وهكذا في كثيرٍ من زوايا وساحاتِ هذا العالم ، يعيشُ الإنسانُ مرحلةً من الإبتلاعِ القاتلِ ، دون أن يجدَ ضماناً من مركزٍ دوليٍّ أو موثيقٍ إنسانيّةٍ .. أنا لا أدّعي أنَّ إشاراتِ النبيِّ مخصوصةٌ بظرفٍ زمنيٍّ نحنُ نعيشُهُ الآنَ ، بل أقرُّ أنّها أوسعُ من هذا الزمنِ إلى غيرِهِ ، وخروجِ الإمامِ المهديِّ هو بيدِ اللهِ وأمرِهِ .. لكنَّ الزمنَ الذي نعيشُ فيهِ خاصّةً في العقدينِ الماضيينِ وصلَ إلى مستوى غريبٍ في التعاطي مع الإنسانِ قتلاً وسفكاً وتجارةً بالموتِ والجوعِ والوجعِ والخوفِ ، في ظلِّ ترهّلٍ مذهلٍ وشيخوخةٍ قاتلةٍ في المجالِ الحقوقيِّ العمليِّ ، ولا ننسى أنّنا نعيشُ الآنَ فترةَ الغيبةِ الكبرى للإمامِ المهديِّ عليه السلامُ ، ما يعني ضرورةَ سردِ مجموعةٍ خصائصٍ من عالمنا الذي نعيشُ .. وقد قال ابنُ عباسٍ كما في روضةِ الواعظينِ :
حججنا مع رسولِ اللهِ (ص) حجةَ الوداعِ فأخذَ بحلقةِ بابِ الكعبةِ ثمَّ أقبلَ بوجهِهِ فقال :

ألا أخبركم بأشراطِ الساعةِ ؟ وكان أدنى الناسِ يومئذٍ سلمان ، فقال : بلى يا رسولَ اللهِ ، فقال : إنّ من أشراطِ القيامةِ إضاعةُ الصلواتِ واتباعُ الشهواتِ ، والميلُ مع الأهواءِ ، وتعظيمُ أصحابِ المالِ ، وبيعُ الدينِ بالدنيا ، فعندها يُذابُ قلبُ المؤمنِ في جوفِهِ كما يذابُ الملحُ في الماءِ كما يرى من المنكرِ ، فلا يستطيعُ أن يغيّرَ .

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائنٌ يا رسولَ اللهِ ؟
فقال : إي والذي نفسي بيدهِ يا سلمان ، إنّ عندها يليهمُ أمراءُ جوررةٍ ، ووزراءُ فسقةٍ ، وعرفاءُ ظلّمةٍ وأمناءُ خونةٍ .

فقال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
فقال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، إنّ عندها
يكون المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، ويؤتمن الخائن ،
ويخون الأمين ، ويصدق الكاذب ، ويكذب الصادق .

قال سلمان : إنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
قال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، عندها تكون
إمارة النساء ومشاورة الإمام وقعود الصبيان على المنابر
ويكون الكذب ظرفاً والزكاة مغرمًا والفيء مغنماً
ويجفو الرجل والديه ويبرز صديقه ويطلع الكوكب
المذنب .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
فقال : إي والذي نفسي بيده ، يا سلمان ، وعندها
تشارك المرأة زوجها في التجارة ويكون المطر فيضاً ،
ويغضب الكرام غيضاً ، ويحتقر الرجل المعسر ، فعندها
تقارب الأسواق ، إذا قال هذا ألم أبع شيئاً ، وقال هذا
لم اربح شيئاً ، فلا ترى إلا ذاماً لله .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
قال : إي والذي نفسي بيده ، فعندها يليهم أقوام إن
تكلموا قتلوهم ، وإن سكتوا استباحوهم ليستأثروا
بفيئهم ، وليطأون حرمتهم ، ولسيفكنّ دمائهم ،

وليملاًن قلوبهم دغلاً ورعباً ، فلا تراهم إلا وجلين ،
خائفين ، مرعوبين ، مرهوبين .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
قال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، إنّ عندها
يؤتى بشيءٍ من المشرق ، وشيءٍ من المغرب ، يُلون أمّتي
فالويل لضعفاء أمّتي منهم ، والويل لهم من الله ، لا
يرحمون صغيراً ، ولا يوقرون كبيراً ، ولا يتجافون عن
مسيئ جثتهم جثة الآدميين ، وقلوبهم قلوب الشياطين .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
قال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها
يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، ويُغار على
الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها ، ويتشبه
الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، ويركبن ذات
الفروج السروج ، فعليهنّ من أمّتي لعنة الله .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
فقال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، إنّ عندها
تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس ، وتحلّى
المصاحف وتطول المنارات ، وتكثر الصفوف ، قلوب
متباغضة ، وألسن مختلفة .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
فقال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها
يظهر الربا ويتعاملون بالغيبة والرشى ويوضع الدين ،
وترفع الدنيا .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
فقال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها
تظهر القينات والمعازف وتليهم أشرار أمّتي .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
فقال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها تحجّ
أغنياء أمّتي للنزهة ، ويحجّ أواسطها للتجارة ، ويحجّ
فقراؤها للربا والسمعة ، فعندها يكون أقوام يتعلّمون
القرآن لغير الله ، ويتخذونه مزامير ، يواكبون أقوام
يتفقّهون لغير الله ، ويكثر أولادُ الزنا ، ويتغنّون بالقرآن
ويتهافتون بالدنيا .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
فقال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، ذلك إذا
انتهكت المحارم ، واكتسبت المآثم ، وسلّط الأشرار على
الأخيار ، ويفشو الكذب ، وتظهر اللجاجة ، وتفشو
الفاقة ، ويتباهون في اللباس ، ويمطرون في غير أوان
المطر ويستحسنون الكوبة والمعازف ، وينكرون الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من الأمة ، ويظهر قرآؤهم وعبادهم فيما بينهم التلاوم ، فأولئك يدعون في ملكوت السموات الأرجاس الأنجاس .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
فقال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، فعندها لا يخشى الغنيُّ الفقيرَ حتى إن السائل يسأل في الناس فيما بين الجمعيتين لا يصيب أحداً يضع في كفه شيئاً .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟
فقال : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، فعندها يتكلّم الروبيضة ، قال سلمان وما الروبيضة يا رسول الله ؟
فقال : يتكلّم في أمرِ العائمة من لم يكن يتكلّم ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تحور الأرض خورة ، فلا يظنّ كلّ قومٍ إلا أنّها خارت في ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله ، ثمّ يمكثون في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها ذهباً وفضّة ... ثمّ أومئ بيده إلى الأساطين فقال : مثل هذا ، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة ، فهذا معنى قوله فقد جاء أشراطها ، قال الله تبارك وتعالى : (فاعلموا أنّ الله عزيز حكيم ، هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله

بظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع
الأمور) ...^١

هذا الزمن يكون زمن المهديّ (ع) حيث يكون كلُّ شيءٍ قائماً على
الفساد والباطل والجور والحرام ، من إضاعة الصلوات ، واتباع الشهوات ، والميل
مع الأهواء ، وتعظيم أصحاب المال ، وبيع الدين بالدنيا ، إلى ولاية أمراء يقيمون
حكمهم على الإضطهاد والإثرة ، إلى الوزراء الفسقة ، والعرفاء الظلمة ،
والأمناء الخونة ... في ذلك الزمن يكون المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، أي
كلُّ شيءٍ ينقلب إلى نقيضه بشكلٍ شاذٍ وعنيد ، دون أن يكون في الرعيّة ممانعة ،
ويكون الدين في البطن والفرج والمال .. هناك يؤتمن الخائن ، ويخون الأمين ،
ويصدق الكاذب ، ويكذب الصادق ... وعندها تكون إمارة النساء — وهي
إشارة دقيقة في نصّ النبيّ بل في كثيرٍ من نصوصه إلى مثل هذه الظاهرة —
ومشاورة الإمام وقعود الصبيان على المنابر ، وهذه كسابقتها من الإشارات
المتكررة في نصّ النبيّ وبيانه لأهل آخر الزمان حيث يضعف الدين وتبدّد الثقة ،
ويصبح المنكر حجّةً بين الناس ، وتقوم على أساسه " الأسواق " والنوادي
والبيوعات وباقي العلاقات .. ويصبح الكذب ظرفاً ، والزكاة مغرماً والفيء
مغنماً ، ويعقّ الرجلُ والديه ، فتتقاطع الأرحام ، وتتباغض ، وتتناكر ، ثمّ يشير
النبيُّ إلى علامةٍ كونيّةٍ تظهرُ في ذلك الزمن فيقول : ويطلع الكوكب المذئب ...

في ذلك الزمن يكثر الجور والفساد وسفكُ الدماء وسلب الثروات
واستباحة النساء ، والإستئثار بالفيء ، عبر أداة الرعب والجبر ، فلا ترى الناس في

ذلك الزمن إلا وجلين ، خائفين ، مرعوبين وهم مع كل هذا مستعبدون ..
عندها يؤتى بشيءٍ من المشرقٍ وشيءٍ من المغربِ ، يلون أمّتي ، وهذا فيه إشارة
واضحة إلى نحوٍ من سلطانِ جبرٍ وإكراهٍ وقوّةٍ ، فالويل لضعفاءِ أمّتي منهم ،
والويل لهم من الله ، لا يرحمون صغيراً ، ولا يوقرون كبيراً ، ولا يتحافون عن
مسيئٍ ، جثتهم جثة آدميين ، وقلوبهم قلوب شياطين ، بحيث تتأكل معهم حتى
المواثيق الطبيعية لصالح الغريزة والسطورة والمنفعة دون أيّ ربطٍ بمعالم الوجودِ
وغاياتِ الحقائقِ وأفقِ السماء .. في ذلك الزمن يكون شذوذ قاتل وفساد مخيف ،
فيكتفي الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، أي أنّ اللواط والسحاق يكثر
ويظهر ويتفشّى بين الناس ، كبديلٍ أساسي عن العلاقة بين الذكر والأنثى ، وهو
كما معلوم يضرب بقوة وعنف في أصل قانون التوالد الطبيعي ، ويهدم بشدّة
البرمجة المخلوقة ذات الصلة الجنسية بكل من الذكر والأنثى .. !

ولأنّ رموز الثقافة قامت على مستوى من العبث وإسقاط حقيقة الصلة
بالسما ، فضلاً عن تأكيد بتر أيّ علاقة بقانون مسبق أو فطرة أو ناموسٍ طبيعيّ
نوعيّ فإنّ كلّ شيءٍ تمليه الشهوة أو الغريزة يكون مطلوباً في الأصل ، وعليه :
تبدأ رحلة التحرّر الغريزيّة بكثيرٍ من المظاهر التي منها اللواط والسحاق والدعارة
مع الحيوانات ، والتحوّل الجنسي ، والإستغلال الجنسي للأطفال ، ومن يراقب
ظاهرة نموّ اللواط والسحاق في العالم يندهل ، حيث نموّ هذه الظاهرة الجنسيّة
غريب وضارب للمقاييس حتى أنّه في العام ٢٠٠٢ في يوم المثليين (للواطيين
والسحاقيات) خرج الملايين في أنحاء العالم للتظاهر فرحاً وتأييداً ليوم اللواط
والسحاق ، وكانت الولايات المتّحدة الأولى في العالم في تعداد اللواطيين
والسحاقيات ، لتأتي بعدها فرنسا ثم ألمانيا وغيرها من الدول الغربيّة ، بل في

فرنسا ومدينة واحدة خرج أكثر من نصف مليون متظاهر مثلي شاذ .. وتشير الإحصاءات إلى أن نمو هذه الظاهرة يضرب كل عام أرقاماً قياسية واسعة في وقت كانت قد انتشرت فيه هذه الظاهرة منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين .. لقد وصل الأمر إلى حد أن زواج الرجال من الرجال والنساء من النساء كعلاقة قانونية أصبح ظاهرة شهرة وميزة مطلوبة دعائياً واجتماعياً .. الأمثلة في العالم كثيرة منها ما جرى في تاريخ ١٧ كانون ثاني ٢٠٠٢ حيث تزوج وزير المالية النروجي الحالي " بير كريستيان فوس " من صديق ذكر اسمه " يان إيريك كنارباك " وهو أحد مديري مجموعة شيبستد للإعلام ... متوجاً بذلك علاقة جنسية لوطية سابقة وحميمة .. وبذلك يكون الأول في المسؤولين النروجيين الذين يتوجون علاقاتهم الشاذة جنسياً ضمن إطار علاقة قانونية زوجية .. وكان فوس (٥٢ عاماً) وهو نائب أيضاً عن حزب المحافظين قد أشار إلى صحيفة " داغنس نايرنغسليف " إلى أنه عقد وصديقه مراسم الزواج في السفارة في ستوكهولم (عاصمة أسوج) في الرابع من كانون ثاني ٢٠٠٢ معتبراً الأمر عادياً جداً ومهم للغاية ومثير ، وأنه ذا صلة بالغريزة والحرية الشخصية التي تضمن ذلك بشكل رائع .. وأنه كان يقيم مع صديقه في شقة واحدة في أحد أرقى أحياء أسلو منذ زمن ، في ظل علاقة جنسية (لوطية) يحميها القانون ويشرعها ..

وكانت النروج منذ العام ١٩٩٣ الدولة الثانية بعد الدانمارك التي تعطي الشاذين جنسياً حقوقاً شبيهة بحقوق الزوجين في ظل حماية خاصة وقانونية لهذا النوع من العلاقات الجنسية الشاذة .. وتمنع القوانين بشدة التعاطي معهم من باب أنهم يخالفون أعرافاً أو يعيشون نمطاً موجباً للإهانة .. خاصة أن الأمر أصبح

شائعاً وبديهيّاً جداً في الوسط الغربيّ .. ويعارض بعض أساقفة الكنيسة اللوثرية في النروج القانون الذي يسمح بزواج الشاذين ، إلا أن الأمور في الشارع مختلفة جداً ويلقى الزواج الشاذ نمواً كبيراً ودعاية واسعة وضخمة ..

ومن قبل ذلك وفي تاريخ ١٤ آذار ١٩٩٩ تزوج وزير الصحة الدانمركي تورين لوند (٤٩ عاماً) من شاب آخر مماثل له في الجنس ، اسمه كلاوس لاوتروب (٢٨ عاماً) وذلك بحضور حشد كبير من الأصدقاء السياسيين والاجتماعيين ، وجمع لافتٍ من المثقفين ... مع الإشارة إلى أن وزير الصحة هذا يرأس لائحة الحزب الاجتماعي الديمقراطي الحاكم للانتخابات الأوروبية ... وقد تزوج الذكران من بعضهما البعض في البلدية تويجاً لعلاقات جنسية قديمة ، ومع أن وزير الصحة تزوج من فتيات مرتين وعنده ابنتان الأولى عمرها ٢٣ والثانية عمرها ١٤ إلا انه وجد نفسه أسير رغبة جنس الذكر مما دفعه إلى إقامة علاقة طويلة في هذا المجال ... وعلى الأثر غادر الزوجان إلى الولايات المتحدة الأمريكية — التي تعتبر مهد حضارة الشذوذ الجنسي — لقضاء شهر العسل .. ولأن وزير الصحة الدانمركي مشغول جداً بالانتخابات الأوروبية . فقد آثر أن يتوج علاقته الجنسية وفق صيغة اللواط وبشكلٍ علنيّ ، ربّما لتعديل حظوظ حزبه الفاعل في الإنتخابات الشعبية نحو الأفضل .. وقد قال في حفل زواجه من مثله الذكر:

إنني سعيد للعيش في بلد منفتح ، وحر ، ومتسامح مثل الدانمارك ، حيث لا يرغم " مثيلو الجنس " على التخفي ، كما لا يعتبر زواج المثلين مثيراً .. إنها حرية أساسية نمارسها وفق الرغبات ، وإنها رائعة جداً .

ومن المعروف أن الدانمارك كانت الدولة الأولى في العالم التي أقرت في العام ١٩٨٩ شركة خاصة بين اللواتين والسحاقيات وهي قرية جداً من الحقوق التي يتمتع بها الأزواج مختلفي الجنس باستثناء حق تبني الأطفال أو الخضوع إلى التلقيح الاصطناعي ...

وسيراً تحت هيمنة دوافع دعاية الإشباع الجنسي الضارب لأصل القانون الطبيعي في التوالد وبناء الأسر شهدت العاصمة الهولندية بتاريخ ١ نيسان ٢٠٠١ أول زواج رسمي بين الشواذ في العالم ، حيث تم تزويج سيّدة من سيّدة أخرى ، وستّة رجالٍ من بعضهم البعض ، وذلك بعد دقائق من بدء سريان قانون يبيح الزواج بين الشواذ الجنسيين (ذكور من ذكور وإناث من إناث) . وتمت مراسم الزواج هذه في مقرّ بلدية امستردام عاصمة الشذوذ الجنسيّ في أوروبا ، وذلك وسط تهليلٍ صاحبٍ من الأصدقاء والأصحاب ، وقال رئيسُ البلدية " جوب كوهين " الذي صادق على الزواج بعد منتصف الليل الذي بدأ بعد سريان القانون :

إنكم تكتبون تاريخاً . هذا زواج مدنيّ
بين إمرأتين وبين رجلين . إنّه أمرٌ فريدٌ في
العالم .

يُشارُ إلى أنّ ممارسة جنس المثليين (اللواط والسحاق) معمولٌ فيه بكثرةٍ غالبيةً ونموّ عالٍ بالغرب ، وهو غير محظور قانوناً ، لكنّه سابقاً لم يكن يوصّف بعلاقة قانونيّة يطلق عليها اسم الزواج للإستفادة من التقديمات الاجتماعيّة للزواج ، سوى في عدّة دولٍ كانت تمنحه تقديماتٍ شبيهةً بتقديمات الزواج تحت

إسم شركة زوجية ، ولقد أقرت هولندا هذا التوصيف معتبرة أن العلاقة بين ذكر و ذكر أو بين أنثى وأنثى يحق لأصحابها أن يقيموها عبر عقد زواج يؤسسون فيه مجموعة الحقوق والموجبات ، ويستفيدون من مجموع " التقديمات التي تعطى للأزواج " وبذلك تكون هولندا أول من أقر هذا الزواج في العالم . يذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر مهد الشواذ الجنسي في العالم والأكثر تصديراً لهذه الظاهرة ... وكان البرلمان الهولندي العام الماضي أقر قانون الشواذ رغم المعارضة الشرسة من قبل الأحزاب المسيحية ، كما أقر معه قانوناً يتيح للشواذ حق تبني الأطفال ، شريطة أن يحمل الطفل الجنسية الهولندية . وكانت هولندا قد قدمت إلى الشواذ منذ العام ١٩٩٨ " شراكة مسجلة " حولتهم تنظيم علاقاتهم الجنسية بشكل قانوني ، تشبه إلى حد كبير العلاقة الزوجية من الجهة القانونية .. وبعد إتمام مراسم الزواج الشاذ أعلن أنه في هذا العام سيكون رقم المتزوجين بالزواج الشاذ جنسياً أكثر من ٢٠ ألف شخص على الأقل ، وذلك حسب الطلبات المقدمة والمراجعات ... وبهذا تفوق نسبة المتزوجين بزواج شاذ في هولندا أكثر من نسبة ١٠ في المئة من متوسط حالات الزواج العادية التقليدية .

وهكذا توأصل مسلسل التدمير للقيم وبشكل شرس ، من دون أن يكون للقيم الوجودية أو للمعاني الضرورية في الخلق والكون والفطرة وقوانين الطبيعة الموجهة أي معنى للحؤول دون السير نحو كارثة أخلاقية ذات أثر شديد الانفجار في أكثر من جهة وموقع وعنوان .. ومع أن هناك مجموعات في الغرب تحاول أن تقف مانعاً في وجه هذا الانفلاش الخطير ، إلا أن الدعاية التي تشنها كبريات الإعلام والإعلان تسحق كل شيء ، لتكتب قانونها فقط كقيمة محرّكة ومحفزة للسلوك البشري ، وهذا من أخطر الأمور وأعسرها ..

في القرن الثامن عشر كان من يُقبضُ عليه في لواطٍ أو سحاقٍ يُعدمُ في أوروبا ويُشهرُّ به بشكلٍ واسعٍ .. وهكذا في القرونِ الماضية ، وفي زمنِ النبيِّ محمدٍ (ص) كان فعل اللواطِ أو السحاقِ من المنكراتِ الفظة التي تسحق فاعلها ومع كلِّ هذا كان النبيُّ (ص) يشيرُ إلى ذلك الأمرِ الغريبِ الشاذ ، ويكرِّرُ على مسامعهم أنَّه سيقع وسيكون ظاهرةً كبرى ، مُشاعةً وواسعةً ، لأنَّ الإنسان في ذلك الزمن سيترك أمرَ الله ، ويصرَّ على أنَّه لا يوجد أيَّ قانونٍ سماويٍّ أو فطريٍّ أو موثيقٍ نوعيَّةٍ طبيعيَّةٍ أو أيِّ شواهدٍ وجوديَّةٍ ، وأنَّ كلَّ شيءٍ مباح ، ما دام أنَّه يساهم في اكتشافِ جنسيٍّ من نوعٍ آخر ، وفق مدلولِ ربوبيَّةِ الغريزة ومصدريَّتها في إقرارِ القيمِ وتصديرها .. ! لقد ركز النبيُّ (ص) على مجموعةٍ من عناوينٍ فاحشةٍ وقاتلةٍ تتصدَّر ذلك العالم :

١ . الإباحة الجنسيَّة ، دون أيِّ رابطٍ من زواجٍ .

٢ . اللواط والسحاق .

٣ . إستغلالِ الغلمانِ جنسيًّا (أي الأطفال) ..

حتى قال (ص) : ويُغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيتِ أهلها .. وإليك واحداً من التقارير التي تشير إلى مثلِ هذه الظاهرة الأخطر .. ففي تاريخ ٣ تموز ٢٠٠٢ وبعد ١٢ شهراً من الحملة الأورويَّة على مستغلي الأطفال جنسيًّا عبر الإنترنت ، بدت الأمور خطيرةً جداً ، بخصوص الإستغلالِ الجنسيِّ للأطفال في أوروبا ، وحسب التقرير الأوروبي فإنَّ ألمانيا وبريطانيا وبلجكا وإسبانيا وإيطاليا والسويد ، بالإضافة إلى دولِ أورويَّةٍ أخرى تعتبر مهداً نامياً وضحماً لإستغلالِ الأطفالِ جنسيًّا ، وأنَّ الأرقامَ النظريةَ تختلف عن الواقع العملي ، ويخشى التقرير من تحوُّلِ هائلٍ في الميولِ الجنسيَّةِ الإجتماعية نحو الأطفال

في ظلّ دعاياتٍ تجاريّةٍ جنسيّةٍ كبرىٍ تحتاح الإنترنت والهواتف المحمولة والصحف وغيرها .. ويعاني مئات الآلاف من الأطفال من الإستغلال الجنسي ، وتعمل مافيات كبرى غربيّة على إستيراد المزيد من الدول النامية والفقيرة إلى سوق أوروبا لتلبية المزيد من الطلبات على الأطفال .. فقط ، الحملة إكتشفت في زمنٍ بسيطٍ أكثر من ٥٠ بناية للدعاة الإحتراقيّة مع الأطفال .. وتعتبر ألمانيا الأخطر في النموّ والتزايد في استغلال الأطفال .. ويقدر عددُ الأطفال المستغلّة جنسيّاً بالملايين ، ويعتبر الغرب المهدي الذي ينتج ويروج ويقود هذه الظاهرة الجنسيّة .. إلى درجة نشبت بين الحكومة البريطانيّة وبين الصحف حرب بيانات حول كفيّة التعاطي مع هذا الملفّ بعد أن أصبح أيّ طفلٍ هدفاً لمافيا الإستغلال الجنسي البريطانيّة ..

أمّا في خصوص الإباحيّة الجنسيّة بين الذكر والأنثى فلا نحتاج إلى أكثر من ذكر ضحايا الإيدز الذين فاق عدد ٦٠ مليون نسمة ، لأسبابٍ تتعلّق وبشكلٍ رئيسيّ بصيغة التشريع القانوني الذي يبيح أيّ علاقةٍ جنسيّةٍ خارج إطار الزواج بين ذكرٍ وأنثى أو بين مثليين ، بل حتى بين إنسانٍ وأيّ حيوانٍ آخر .. !

وليت الأمر توقّف هنا بل تواصل تحت عنوان إعادة النظر بحقوق المرأة ، لتأسيس وجود فاعل لها ، وتطوير شخصيّتها الفاعلة في ميدان المجتمع ، فأباحوا لها أن تقيم مدن تعريّ ودعارة وبغاءٍ إعتباراً منهم أن بيع الهوى حقّ إستثماري للمرأة ، يحقّق لها وجوداً بارزاً وفاعلاً ، فضلاً عن أنّ لها أن تقيم أيّ علاقةٍ جنسيّةٍ ودون حدٍّ أو قيدٍ مع أيّ طرفٍ آخر إنسانٍ كان أم حيوانٍ تحت حماية القانون .. وتحت وطأة الدعاية الشرسة التي شنتها الشركات الإستثماريّة الجنسيّة الكبرى أصبح قطاع البغاء من أكبر القطاعات المستثمرة في الغرب بحيث يحصد

كلّ عام عشرات مليارات الدولارات ، ما دفع الدول إلى التنافس على جرّ الإستثمار الجنسي الخاص بالمرأة إلى أسواقها ، فأخذت تتسابق الدول إلى إقرار ضمانات مهنيّة وإجتماعيّة وغيرها للمومس بهدف تأهيل هذا القطاع المهمّ جدّاً ، وعلى سبيل المثال في تاريخ ٢١ كانون ثاني ٢٠٠٢ وافق البرلمان الألمانيّ على اعتبار الدعارة " مهنةً شرعيّةً " لها ما لأيّ مهنةٍ محترمةٍ ومميّزةٍ كامل الحقوق والتقديمات مثل الصحافة والطبّ والهندسة وسواها من المهن الأخرى .. وعليه : باتت المومس " موظّفةً شرعيّةً " تستوفي مجموعة واسعة ومحفّزة جدّاً بسبب دعارتها .. وقد دخل قانون شرعيّة الدعارة في ألمانيا حيّز التطبيق ابتداءً من مطلع شهر كانون ثاني ٢٠٠٢ ممّا أتاح على الأقل لأكثر من مليون ونصف مومس إلى ما يقارب مليونين ونصف مليون مومس ينشط عملهنّ على الأراضي الألمانيّة فتح بيوت دعارة رسميّة ، وإقامة حفلات عامّة ، في ظلّ استفادةٍ واسعةٍ مغريةٍ ومهمّةٍ مثل تعويض البطالة عن العمل ، ومعاش التقاعد ، وضمان الطبابة والشيخوخة وقطع إيصالات ماليّة للزبائن تتضمّن نسبة ضريبة الدخل التي تمكّنهم من حسمها من البيان المالي السنوي لدى وزارة الماليّة .. ! وقد فتح قانون الدعارة الجديد أمام المومسات اللواتي ينشطن في ألمانيا الباب بشكلٍ سريعٍ وقويٍّ ونامٍ لمنافسةٍ كبيرةٍ وحذبٍ أوسعٍ لهذا القطاع الذي أصبح يوفر فرص عملٍ مهمّةٍ خاصّةً أنّ ما بين مليون ونصف مليون زبون إلى أكثر من مليونين ونصف مليون يتردّدون يوميّاً إلى بيوت الدعارة في ألمانيا وسط منافسةٍ حادّةٍ بين بيوت الدعارة ، أهمّها التنزيلاتِ بالأسعارِ ونوعيّةِ الإحتراف .. ويمنح قانون الدعارة الجديد المومسات حقّ التقدّم رسميّاً بالدعاوى أمام القضاء الألمانيّ ، كما يحقّ لهنّ إصدار الصحف ، بكلّ ما تعنيه عبارة " صحيفة دعارة " من صور ، ومحفّزات جنسيّة ، وجنس مصوّر ، بهدف توسيع سوق الأداء الجنسي التجاري وتطوير قطاعه ،

إضافة إلى حقهن في تصوير أفلام الدعارة وتوسيع نشاطهن بشكلٍ يساعد على المزيد من الطلب على سلعهن الجنسية ويوسّع من نشاط قطاعهن القوي فعلاً ..

وتجدرُ الإشارة إلى أن ألمانيا كانت قد أوقفت العمل بقانون الدعارة في العام ١٩٠١ أي قبل قرنٍ إلا أن تطوّر عمل الدعارة في ألمانيا كباقي الدول الغربية وصل إلى حدّ إستوعب واقع الحياة فكانت هذا القانون الجديد واحداً من سلسلة خطوات لإدخال ألمانيا في عالم ضمان الإتجار بالدعارة كما هي عليه مجموعة من الدول التي كانت قد سبقت ألمانيا مثل هولندا .. لكن لم تمنع بحالٍ من الأحوال المومس — فيما سبق — من ممارسة عملها في الدعارة والإتجار به إلا أنها لم تكن تستفيد من تقديرات البطالة والشيخوخة والضمان فكانت تلجأ إلى تزوير مهنتها للإستفادة من هذه التقديرات .. أما اليوم فقد أصبح قطاع الدعارة قطاعاً مقصوداً لمن يريد ضماناً مهنيّاً وإجتماعياً فضلاً عن ضمانة البطالة والشيخوخة وغير ذلك .. بل أصبح قطاع الدعارة طريقة مهنية للتهرب من دفع المزيد من الضريبة عبر تصريح تعطيه المومسات يفيد أن الزبون قصد بيت الدعارة ودفع قيمة ماليةً محدّدة .. ! وقد اشار محلّلون إقتصاديون ألمان إلى أن هذه الوضعية القانونية الجديدة ستزيد بقوة من نشاط هذا القطاع وتوسّع من تعدادهِ ونموه فضلاً عن جناية أموال وربح سريع ..

وقد ترافق مع قانون الدعارة الجديد في ألمانيا صدور قانون عن المحكمة الأوروبية العليا قضى بمنح مومسات الدول الإشتراكية السابقة (أوروبا الشرقية) حقوقاً إضافية أهمها حرية السفر والدخول والعمل رسمياً في دول الإتحاد الأوروبي وقد استندت المحكمة الأوروبية العليا في قرارها إلى إتفاق وقّعه دول المجموعة الأوروبية في العام ١٩٩٠ مع عشر دول أوروبية شرقية مرشحة للدخول

في الإتحاد الأوروبي قضى حينه " بمنح المومسات حرية العمل والإقامة داخل دول الإتحاد الأوروبي .. " ..

وتجدرُ الإشارةُ إلى أن خلافاتٍ قانونيةً حادةً كانت قد سبق ووقعت بين مومسات هولندا الشهيراتِ بالقدرةِ على توسعِ نشاطهن بالدعارةِ وبين مومسات تشيكية وبولندية إستطعن أن ينافسن الهولنديات بقوةٍ لا سابق لها فجاءت المحكمة الأوروبية العليا لتؤكد شرعية عمل المومس من دول أوروبا الشرقية شرط أن تكون رسمية ..

ها هو عالمُ اليوم بكلِّ ظواهره الجنسية الشاذة والخطرة ، عالم الغوغاء والغريزة ، عالم ربوية المادة والحس ، عالم إعلان الحرب على الأديان والقيم ، عالم الإصرار على بتر أيِّ علاقةٍ مع الله ، عالم أولاد الحضانة دون أبٍ أو أمٍّ وهم بعشرات الملايين فضلاً عن أولئك الذين يُباعون عبر الإنترنت ومكاتب التسويق للأطفال .. في ظلِّ اعترافِ قاسٍ من الجهات الأمنية والصحية وخبراء الاجتماع بأنَّ " صيغة الإشباع الجنسية " هي السبب في كلِّ ما يحدث اليوم من تزايد جرمي ، من حبِّ الإنتقام ، من القتل بدافع التشفى .. إلى الكثير من العناوين الكبرى المخيفة ، منها ما صدر في شهر حزيران في العام ٢٠٠٢ أن جماعات كبرى واسعة من الشباب تحتاح أوروبا وأمريكا وأستراليا تمتهن إغتصاب الفتاة لأكثر من ٢٠ مرّة في ظرف لا يتجاوز ٣ ساعات كعملية إنتقام وبشكلٍ عنيفٍ بدافع الإعاقة أو القتل .. عالم وصل إلى خطورةٍ بالغة ، إلى توحُّشٍ مرعب ، نقرأ في دفتر الجنايات أنّه في أمريكا تقع حادثة إغتصاب كلِّ ٣ ساعات ، وحادثة قتل كلِّ ٤ ساعات ، وفي أوروبا تقع حادثة إنتحار كلِّ أقلّ من ساعة ، وهناك أكثر من ٥٠ مليون متعاطٍ للمخدرات ومنهم من هو مدمن بشكلٍ نهائيّ .. في

ذلك العالم من الأرض تشهد الأسرة انهياراً مخيفاً فمع أن الزواج لا يتجاوز نسبة ٤ إلى ٧ في المئة من نسبة من الراشدين جنسياً فإنه يقع ٥٠ إلى ٧٠ طلاق من كل ١٠٠ زواج .. أمّا عن الحوادثِ والقتلِ والفتكِ والسطوِ فالأمثلةُ كثيرةٌ وقد أودعتها كتاباً خاصاً عن الجريمةِ في العالمِ وهي تشكّلُ قفزةً مثيرةً بكلّ المعايير ..

ويمكنني في هذه العجالة أن أنقل كثيراً من الحروفِ المدوّنة بأقلامِ أهلِ الخبرةِ والوظيفةِ هناكِ في الغربِ حيثُ تقرّ بأنّ ما نشهدهُ اليومُ هو أعمقُ من أيّ كارثةٍ سابقةٍ بسببِ الهيكلِ البنيويِّ المؤثّرِ في الدوافعِ الإجراميةِ والإنسيابِ وراءِ أزماتٍ أخلاقيةٍ كبرى ..

هذا هو الذي أريد أن أصل إليه ، فالأزمة هي بنيوية ، أزمة في هيكلِ المواثيق ، في غاياتِ الشرائع ، في مفاصلِ وجهتها .. ها هو العالمُ يعيش اليومُ أسوأ صورة من تدميرِ الغاياتِ ، من قرصنةِ الدولِ ، من حروبِ القيمِ ، من نسفِ المؤشراتِ الكونيةِ الصادقة ..

لقد كان النبيّ (ص) يشيرُ بشكلٍ فئائيٍّ وقيينيٍّ إلى مظاهرِ عالمٍ آخرِ الزمانِ ، ولا شكّ أنّ عالمنا هذا يحتضنُ مجموعةً بارزةً من قيمٍ متوحّشةٍ مخيفةٍ ، عالمٍ ينبئُ بانحدارِ الإنسانِ ، بإضطرابِ موقعِهِ ، بالانهيارِ الجانبِ الحقوقيِ منه وفي مفاصلِ كبرى ومركزيّةٍ ، بعد أن تخلّى الإنسانُ عن موقعِ الصلّةِ بوجوديّةِ الأفقِ ومنظومةِ الخلقِ ومؤشراتِ الإستنطاقِ الكونيِ .. وصل إلى مستوى يرى في القتلِ والفتكِ مدّاً جديداً لعظمةِ موقعِ نافذٍ ولو على جثثِ أمّةٍ بكاملها ، وصل إلى مرحلةٍ يرى فيها اللواطِ والسحاقِ واستغلالِ الأطفالِ جنسياً مرمىً جنسياً فاعلاً وقيمةً لا بدّ منها في سوقِ الإشباعِ كعنوانِ إنتماءٍ إلى العالمِ والتحضُّرِ ..

في هذا الزمن كلَّ شيءٍ أصبح طوع يدِ الدعايةِ والقاطراتِ التجاريَّةِ الكبرى في سوقِها وإعلاناتِها .. ها هي ألمانيا اليوم من منتصف عام ٢٠٠٢ تعيش على وقع أسلوب جديدٍ في قراءة الحظِّ ، ليس على طريقة قراءة الكفِّ أو الفنجان أو الضرب بالرمل أو عن طريق الأبراج بل عن طريق خلع الثياب بشكلٍ كامل عن النصف السفلي من الجسم لكشف العورة ودوسِها باليد بطريقةٍ حميمةٍ لقراءة الحظِّ ، وفي الطرق العامَّة ، أمام المارَّة والمشاهدين ، كطريقة وأسلوب متجدِّد ، حيث يقود شاب ألماني ضريير اسمه أولف هوك (٣٩ عاماً) هذه الطريقة المبتدعة بعد أن أصيب بالعمى على أثر مرض السكرى ، وقد غطَّت أخباره أكبر الصحف الشعبيَّة الأكثر انتشاراً في ألمانيا ، فضلاً عن أهمِّ القنوات العاملة هناك في ظلِّ تدافعٍ شعبيٍّ كبيرٍ عليه خاصَّةً من الإناث .. ولولا الخجل من ذكر ما أشارت إليه التقارير الصحفيَّة لنقلت إليك ما يدلُّ على الإبتدال المجنون في ظلِّ عقلائيَّةٍ ميَّنة وجمودٍ نهائيٍّ وانقيادٍ قاتلٍ أمام الدعاية ..

مع كلِّ هذا ، عن أيِّ إنسانٍ نتحدَّث في ظلِّ دُول تُعتبر من أهمِّ كيانات الثورة الصناعيَّة الكبرى لكنها تفتك وتحتكر وتتعامل مع البشر كسلعةٍ ماديَّةٍ وغريزةٍ وجثثٍ إختبار .. ! لماذا كذلك .. ؟ السبب لأنَّ الإنسان ما زال يجترُّ الهزيمة تلو الهزيمة في ذاته ، في هويَّته ، في غاياته حين انفصل عن منظومة الأفقِ العليا وعالم السماء ..

وفي عمليَّة متواصلةٍ في وصفِ أهلِ ذلك الزمن ، الزمن الأخطر على الإنسان ، أضاف النبيّ (ص) إلى ظاهرة اللواطِ والسحاقِ واستغلالِ الغلمانِ أنَّ الرجال في ذلك الزمن يتشبهون بالنساء والنساء بالرجال ويركبن ذات الفروج السروج ، فعليهنَّ من أمّتي لعنة الله ... وخيرُ الأمثلةِ الصارخة على هذه الصفة

ثورة التحوّل الجنسي من الذكور إلى إناث والتي تعتبر سمة العالم اليوم ، إلى الكثير من مظاهر خصوصيّة المرأة التي أصبحت للذكر ، والعكس دون أيّ جدوى عاقلة ، سوى الدعاية والغريزة والعبثيّة .. عند ذلك أي في ذلك الزمان المضطرب المنهار في فقهِهِ وغاياتِهِ تُزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس وتحلّى المصاحف (إشارة إلى إسقاط الدور الوظيفي للمسجد والقرآن) وتطول المنارات وتكثر الصفوف فيها ، قلوب متباغضة وألسن مختلفة (إشارة إلى الإهتبار تلو الإهتبار في قيم الفرد والمجتمع الذي يتمركز على عنوانٍ أساسيٍّ هو العداوة مع الله والقرآن) ..

في ذلك الزمن تصبح الوحشيّة أو حرب الجميع ضدّ الجميع السمة البارزة ، فلا يرحم أهل الأرض بعضهم لا في اتجارٍ ولا في مالٍ ولا في تضامن فيظهر الربا ، ويتعاملون بالغيبة والرشى ويوضع الدين ، وترفع الدنيا وتظهر القينات والمعازف ويليهم الأشرار ... وعندها يحجّ الأغنياء للنزهة ، والأواسط للتجارة والفقراء للسمعة (بمعنى أن روح الحجّ تسقط كطريقة للعبوديّة وامتنال أمر الله والخروج من الحرام ..) وما دام أنّ الدنيا أصبحت العنوان المحرّك للقيم عندها يتعلّم أقوام القرآن لغير الله طلباً للدنيا ومنافعها ، لبيع العلم والإتجار به في حانات باطلة وتكريس شرعيّة حكمٍ ظالم وتفسير الشرع وفق أهواء الحاكم والدعاية وحاجات أهل الزمان المنكرة ، عندها يتخذون القرآن مزامير يواكبون به أقواماً يتفقّهون لغير الله .. ومن أهمّ علامات ذلك الزمن أنّ أولاد الزمن يكثرون ، ويشكّلون سمةً بارزةً وصفةً مشاعةً ، في ظلّ عالمٍ أسقط الدين وتحزّم بالدنيا وجعل نفسه منها في موقع الطاعة والإنصياع (أعني بذلك الغريزة والحسّ المادّي كعنوان ومصدر للإشتراع ..) .

في ذلك الزمن تتغير الموازين وتتبدل المعايير وتنتهك المحارم ، وتكتسب المآثم ، ويتسلط الأشرار على الأخيار ، ويفشو الكذب ، وتظهر اللجاجة ، وتفشو الفاقة ويتباهون في اللباس ، ويمطرون في غير أوان المطر ، ويستحسنون الكوبة والمعازف ، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من الأمة ويظهر قراؤهم وعبادهم فيما بينهم التلاوم ، فأولئك يدعون في ملكوت السموات الأرجاس الأنجاس ... هو عالم متغير بالكثير من معاني القيم المعاندة لما في كتاب الله وسنة رسوله .. فيكون على أثر ذلك تغيران : الأول يتعلق بالجانب الإعتباري وإدارة الأمور والنظر إلى الأشياء . والثاني يظهر في تغيرات كونية وتجاوزات طبيعية . وعلى القاعدة : يُصاب الإنسان بعقاب ذي شقين : واحد عن طريق السنن الإجتماعية ، والثاني عن طريق السنن الكونية الطبيعية ..

مع التأكيد على أن هناك صلة بين السلوك البشري والتغير الطبيعي في أكثر من وجهٍ وعنوان ، كما هي الحال مع طبقة الأوزون وما ينتظر البشرية من أزمات وأمراض وكوارث أو كما هي الحال مع موجة التسخين للكوكب التي يعمل عبرها الإنسان بشكلٍ غريبٍ في تخريب وتدمير النظم الضرورية المحافظة ، التي ينتج عنها الكثير من مظاهر الأذى للكوكب الذي أُعلن منذ أكثر من عشر سنوات كوكباً مريضاً .. وعلى العادة بتاريخ ١٠ نيسان ٢٠٠١ أكد العلماء أن ارتفاع حرارة المحيطات والتغيرات المناخية الكبيرة تنذر بوجود أزمة خطيرة ، خاصة في نصف الكرة الأرضية الشمالي خلال الأعوام الخمسين وذلك بسبب تعاظم الغازات التي تنبعث عن نشاطات إنسانية في غالبها موجهة نحو سوق الإستهلاك والإتجار في تنافسٍ صناعيٍّ محمومٍ ، وهي الحصّة الكبرى من مصانع

الدول الصناعية المسؤولة عن مثل هذه الانبعاثات .. وكان العالم قد تلقى ضربة قاتلة حين أعلنت الولايات المتحدة في العام ٢٠٠١ على لسان الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن الإنسحاب من الإتفاقية الدولية (كيوتو) للحد من إنبعاثات الغازات المسببة لإرتفاع الحرارة والمخرّبة للنظم التي تحكم كوكبنا خاصة طبقة الأوزون مما أزعج الأوروبيين بعد أن أصرّ بوش على أنّه لن يسمح لنفسه أن يؤثر على طبيعة النشاط الإقتصادي الأمريكي من خلال تدابير تلزم الصناعة الأمريكية بتغييرات تتعلق بالأدوات والمواد التي تزيد من كمية الإنبعاث للغازات المؤثرة بالبيئة ... ويتوقع العلماء تغيّرات طبيعية طقسية مناخية وأضراراً إضافية بالغة تصيب البيئة بشكلٍ خطير .. لقد أشار النبي (ص) في العديد من النصوص إلى أنّه في زمنٍ ما قبل الظهور تختلف بشدّة مجموعة واضحة من المعطيات الطبيعية ، التي يتسبّب بها السلوك بشري ، منها أزمة الدورة المائية ، وهذا ما نشهد بوادره بشكلٍ لافتٍ في عالمنا اليوم ، أمطار ، فيضانات كبرى في مناطق ، جفاف مخيف في مناطق أخرى على خلاف العادة ، في ظلّ خللٍ خطيرٍ في طبيعة الإنتظام المائي بشهادة أكبر الخبراء الذين يرجعون السبب إلى أزمة سلوك بشري أثر على طبيعة الأوزون وحرارة الكوكب ما أحاله مريضاً بشكلٍ كبير ..

إنّ من يضع نصوصَ رسولِ الله في هذا الخصوص تحت المشرحة يجد فيها المذهل من أنباء الغيب التي هي وحيّ من الله إليه وهي سرّ حياة رسالته ، بل هي النور الدافق في ظلمة هذا الإنسان التائه في صحراء قاتلة جافة ..

وبوقفة تأملية بسيطة في زمننا الحاضر نجد ما يثير فينا كلّ الإستغراب ، ألا ترى صورةً واسعةً من الآيات الكبرى التي أشار إليها النبي عن أهلٍ آخر الزمان تتحقّق وبمواصفات صارخة في عالمنا ولو على نحوٍ من المثال والتقريب

وذلك في ظلّ فسادٍ عارمٍ واضطرابٍ مخيفٍ وجورٍ مستشرٍ وعبوديّةٍ غريزيةٍ وقيادةٍ سافرةٍ للطبيلِ والزّمورِ ونفوذِ هائلٍ لسوقِ أهلِ التعرّيِ والفسوقِ والزنا فضلاً عن مدنِ العراةِ والخلاعةِ ونواديِ الليلِ والإدمانِ على المخدراتِ والإجترارِ للخمورِ ، عالمٍ اكتفى فيه الرجالُ بالرجالِ والنساءُ بالنساءِ ، أمّا الغيرةُ على الغلمانِ فهي على أشدها ، حتى أنّ أكبرِ المكاتبِ الإستثماريّةِ في الغربِ تحوّلتِ إلى هذهِ التجارةِ المثمرةِ والمتصاعدةِ .. في هذا الزمنِ ، لو فتّشنا عن شيءٍ مفقودٍ ، لوجدنا أنّ المفقودَ هو الإنسانُ في هويّتهِ الكونيّةِ الحقيقيّةِ ذاتِ الصلةِ بأفقِ السماءِ .. وكما في بحارِ الأنوارِ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال حججتُ مع رسولِ الله (ص) حجّةِ الوداعِ فلما قضى النبيّ (ص) ما افترض عليه من الحجّ أتى مودّعاً الكعبةَ فلزمَ حلقةَ البابِ ونادى بأرفعِ صوتهِ :

أيّها النّاسِ ، إني قائلٌ ما هو بعدي كائنٌ ، فليبلغْ شاهدكم غائبكم ، ثم بكى رسولُ الله (ص) حتى بكى لبكائه النّاسِ أجمعون ، فلما سكت من بكائه قال : إعلموا رحمكم الله أنّ مثلكم في هذا اليومِ كمثلِ ورقٍ لا شوكَ فيه (لا شرٌّ فيه حيث هو صلاح بلا فساد) إلى أربعين ومائة سنة ، ثمّ يأتي من بعد ذلك شوكٌ وورقٌ إلى مائتي سنة (أي فيه الصّلاح والفساد) ثمّ يأتي من بعد ذلك شوكٌ لا ورقٌ فيه (كلّهُ فساد) حتى لا يرى فيه إلا سلطان جائرٍ أو غنيّ بخيلٍ ، أو عالمٍ راغبٍ في المالِ ، أو فقيرٍ كذابٍ ، أو شيخٍ فاجرٍ ، أو صبيٍّ وقحٍ ، أو إمراةٍ رعناء ، ثمّ بكى رسولُ الله (ص) .

فقام إليه سلمان الفارسي فقال : يا رسولَ الله أخبرنا متى يكون ذلك ؟ فقال (ص) : يا سلمان ، إذا قلتَ علماؤكم وذهب قرأؤكم ، وقطعتم زكاتكم وأظهرتم منكراتكم ، وعلت أصواتكم في مساجدكم ، وجعلتم الدنيا فوق

رؤوسكم ، والعلم تحت أقدامكم ، والكذب حديثكم ، والغيبة فاكهتكم ،
والحرام غنيمتكم ، ولا يرحم كبيركم صغيركم ، ولا يوقر صغيركم كبيركم ،
فعند ذلك تنزل اللعنة عليكم ويجعل بأسكم بينكم ، وبقي الدين بينكم لفظاً
بألسنتكم ، فإذا أوتيتم هذه الخصال توقّعوا الريح الحمراء أو مسخاً أو قذفاً
بالحجارة ، وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ : (قل هو القادرُ على أن
يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ، أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ، ويذيق
بعضكم بأس بعضٍ ، انظر كيف نصرّف الآيات لعلّهم يفقهون) . فقام إليه
جماعة من الصحابة فقالوا : يا رسول الله أخبرنا متى يكون ذلك ؟ فقال (ص) :

عند تأخير الصلوات ،

واتباع الشهوات ،

وشرب القهوات ،

وشتم الآباء والأمّهات ،

حتى ترون الحرام مغنماً ،

والزكاة مغرماً ،

وأطاع الرجل زوجته ، وجفا جاره وقطع رحمه ،

وذهبت رحمة الأكابر ،

وقلّ حياءُ الأصاغر ،

وشيدوا البنيان ،

وظلموا العبيد والإماء ،

وشهدوا بالهوى ،

وحكموا بالجور ،

ويسبّ الرجل أباه ،
ويحسد الرجل أخاه ،
ويعامل الشركاء بالخيانة ،
وقلّ الوفاء ،
وشاع الزنا ،
وتزين الرجالُ بتياب النساء ،
وسلب عنهنّ قناع الحياء ،
ودبّ الكبر في القلوب كدبيب السمّ في الأبدان ،
وقلّ المعروف ،
وظهرت الجرائم ،
وهونت العظام ،
وطلبوا المدح بالمال ،
وأنفقوا المال للغناء ،
وشغلوا بالدنيا عن الآخرة ،
وقلّ الورع ،
وكثر الطمع والهرج (القتل) والمرج ،
وأصبح المؤمن ذليلاً ، والمنافق عزيزاً ،
مساجدهم معمورة بالأذان ، وقلوبهم خالية من الإيمان ،
واستخفوا بالقرآن ،
وبلغ المؤمن عنهم كلّ هوان ،
فعد ذلك ترى وجوههم وجه الآدميين ، وقلوبهم قلوب
الشياطين ،

كلامُهُم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمرّ من الخنظل ،
فهم " ذئاب وعليهم ثياب " ، ما من يومٍ إلا يقول اللهُ تبارك
وتعالى : أفي تغتربون أم عليّ تجتربون : (أفحسبتم أنّما خلقناكم
عبثاً وإتاكم إلينا لا ترجعون) فوعزّي وجلالي لولا من يعبدني
مخلصاً لما أمهلت من يعصيني طرفة عينٍ ، ولولا ورع الورعين
من عبادي لما أنزلت من السماء قطرة ولا أنبت ورقة خضراء
فواعجباً لقومٍ آلتهم أموالهم ، وطالت آمالهم ، وقصرت آجالهم
وهم يطمعون في مجاورة مولاهم ، ولا يصلون إلى ذلك إلا
بالعمل ولا يتمّ العمل إلا بالعقل ..

أقول : من يتصفح هذا الحديث الشريف في إشاراته تلك يدرك خطورة
الأمر ، وكارثة ما نحن فيه ، من قيم متحوّلة ، من عالم متغيّر ، من غايات
وجوديّة تُسِفّت ، في ظلّ إصرارٍ بشريٍّ من قبل رموز العالم الحرّ المنتصر وتبعيّة
قصريّة أو دعائيّة من العالم المهزوم نحو انحدارٍ خطيرٍ وجرفٍ هارٍ .. لقد كان
النبيّ يذكر جملةً ممّا سيقع في آخر الزمان تعتبر في ذهن العربيّ وغيره آنذاك من
المنكرات السلوكيّة غير الممكن وقوعها عملاً ، إلا أنّ النبيّ كان يصرّ على أنّها
ستقع في آخر الزمان ، لتطلّ علينا جملة من مظاهرها بشكلٍ قويٍّ ودعايةٍ قاتلةٍ ،
دون أيّ ممانعة في العالم المهزوم أمام العالم الحرّ المنتصر في حربين عالميتين وحربٍ
باردة .. كلّ ذلك فضلاً عن جبهة الباطل القادمة في طول سلسلة الزمن من
عصر الغيبة وصولاً إلى عصر الظهور .. هو ذا العالم ، وبأطر قانونيّة كما في
بريطانيا شرّع بيع نتائج إستغلال خلايا المنشأ البشريّة التي يصاحبها تدمير الأجنّة
لتكون عقاراً طبيّاً يتلعه البشر وليأكل البشر لحوم بعضهم تحت عناوين وصيغ

مختلفة جداً .. ها هي حاناتُ أهلِ الدنيا تجمعُ الغاياتِ المومساتِ ببغاءِ قتالٍ ،
وضحايا الإيدز تزيد على ٦٠ مليون نسمة بشرية ، دون أن يحقّ لأيّ عاقلٍ أو
خبيرٍ أو مُلاحظٍ أن يعترض على موثيقِ الدعاية تلك وما هو مقررٌ بشكلٍ نهائيٍّ
في صيغةِ العلاقةِ الجنسيةِ المشاعةِ والمباحةِ مطلقاً .. في ظلّ أخطرِ تداعيٍّ للأسرةِ
تشهدهُ الدنيا تاريخياً وقياسياً ..

وعلى الطرفِ الآخرِ من الأرضِ يصارع عشرات الملايين الموت بشكلٍ
صامتٍ وتحت عدسات الكاميرا ليحصد ما يصل إلى ٦٠ مليون نسمة كلُّ عامٍ
لأسبابٍ تتعلّق بالجوعِ والوجعِ والفقرِ واحتكارِ السوقِ من قبلِ العالمِ الغنيِّ ..
الأمثلةُ أكثرُ من أن تُحصى وفي كلِّ واحدةٍ منها ، الإنسانُ بصفتهِ البشريةِ هو
الضحيةُ ، لصالحِ رمزِ سوقٍ أو مافيا مالّيةٍ أو عسكريةٍ أو سياسيةٍ أو احتكاريةٍ ..
لا شيءٌ غيرِ النفعِ أبداً ، النفعِ والإشباعِ كلُّ شيءٍ ، الغريزةُ والمادّةُ والحسّ
الصامتُ هو مصدرُ القيمِ ومشرّعُها ، هو الميزانُ في كلِّ قانونٍ وقيمةٍ ، يقود
القاطراتِ نحو الأفقِ ، يتاجر بلحومِ البشرِ ، بالجثثِ التي تمّ الكشفُ عنها في العامِ
٢٠٠٠ والتي كانت تستورد من أنحاءِ الدنيا بأبخس الأثمانِ إلى مختبراتِ الولاياتِ
المتحدةِ لإجراء تجاربِ نوويةٍ عليها .. ! لُترمى أخيراً في النفاياتِ السحيقةِ دون
أيِّ كرامةٍ أو اعترافٍ ضمنيٍّ للجسمِ البشريِّ بأيِّ حقٍّ ..

ومن أدواتِ السلمِ إلى أدواتِ الحربِ ، كلُّ شيءٍ مبرمجٌ وفق قيمِ ذاتِ
نفعٍ غيرِ عاقلٍ ، بقيادةِ غريزيةٍ لصناعةِ وجودِ الفردِ السلوكيِّ وأعرافِ الجماعةِ
ومفاهيمِها ، دون أيِّ حقٍّ في المناقشةِ ، تحت عناوينِ عدّةٍ منها التهمةُ بالجنونِ
والرجعيةِ والتزمّتِ والهذيانِ التي تطيرُ بما أضخمُ إمبراطورياتِ الإعلامِ والإعلانِ
في العالمِ والتي تعتبر اليوم ميزانِ الحقائقِ ومرجعها دون غيرها ..

لا شيء نافذ سوى " الفساد الموثيقي " الذي استأصل من الفرد بُعدهُ الكوني ، فعمّ الظلمُ وضربَ بأركانِهِ ، ليحصد أكثريةً عاليةً في بقاعِ هذا العالمِ الخطير .. في الحديثِ الواردِ أعلاه ، ركّز النبيّ على أمرٍ خطير ، هو نسف العلاقة بالله ، وإذا نُسفت هذه العلاقة سقط الإنسان في نفقٍ مظلمٍ وهاويةٍ سحيقة ، لأنّ الحسَّ القاصر يصبح الربّ النهائي للفرد والجماعة في عالمٍ منحرفٍ وأمةٍ عمياء ، من هنا تكثر مظاهر الإهميار الذي ينتج عنه سقوط الميزان الفعلي للتفريق بين الحسِّ والقبيح فنتهاوى صروح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لصالح الحسِّ الغريزي الذي يحلّ من التشريع محلّ القيمِ المهيمن ، هناك يشيع الزنا ، ويتزين الرجالُ بشباب النساء ، وتتعرّى المرأة ، وتبني مدنَ الدعارة ، وتفتش عن المالِ بأيّ وسيلة ، عن طريقِ البغاء بعد أن أصبح المال الرب المادّي لأهل الأرض ، ولأنّ التعرّي والزنا له في الحسِّ البشري إيقاعاً فاعلاً جداً ، كان لا بدّ من تطوير هذه التجارة ، لتصبح اليوم العنوان والسمة الأهمّ في الإتجار دون أيّ التفاتٍ إلى ما تتركه هذه التجارة من دمارٍ وإهميار على أكثر من صعيد ، ويكفي أن نشير إلى أن مئات الآلاف في كلِّ عام من النساء يُقتلن بعد الإغتصاب ، فقط لأنّ طبيعة الإفرازات في السوق العالمية خاصّةً في الغرب وصلت إلى مستوى عنيف في صناعة تُسخ من مجرمين همهم الإغتصاب حتى الموت ، وهذه الظاهرة تعتبر اليوم الأعنف على الإطلاق في كلِّ من الولايات المتّحدة وأستراليا وكندا والنرويج وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا ، وبصورةٍ عامّةٍ في كلِّ أنحاء الغرب ، هذا فضلاً عن ٦٠ مليون ضحّيّة لمرض الإيدز ، هذا بعد النظر عن الإهميار الأخطر الذي أصاب الأسرة ودمرها .. والخطورة تكبر حين نعلم أن قيام المجتمع يعتمد أولاً وأخيراً على الأسرة كعامودٍ تربوي وإجتماعي ، وكقناةٍ ضروريّةٍ للتواصل الثقافي مع العالمِ الآخرِ وعلى نحوٍ من المسالمة والانضباط المدني .. إلى الكثير

الكثير مما انجرَّ إليه العالم عبر مادة الغريزة والسقوط في خانة الإستثمار الجنسي للمرأة دون أيّ حدودٍ أو أفقٍ منطقي سوى ضرورة السوق . لقد اعترف أهمّ خبراء الاجتماع والأمن في أوروبا أنّ ما وصلت إليه المرأة في الغرب هو عبارة عن أسوأ مفهوم وهو دليل على الإهيار الثقافي المريع الذي أصاب الإنسان .. هي المرأة اليوم مجرد سلعة جنسيّة ذات بُعدٍ إصطناعي ، لتلبية رغبة جامحة ليس في العلاقة الجنسيّة ، بل من أجل تمرير مجموعة من ملفات السوق ، وصولاً إلى إشباع رغبة القتل لدى الشباب بعد الإغتصاب ، كتعبير ضروري ونهائي في بيئة يفترسها الإجرام ، حتى أنّ أسلو وواشنطن ولندن وباريس وغيرها من عواصم الغرب تعتبر اليوم مرتع القتل والعنف الذي يقع على المرأة ، بشكلٍ دفع مجموعة واسعة من القياديين هناك إلى لفت النظر وبشكلٍ دقيقٍ إلى ما يجري على المرأة كعنصر ضحيّة هو الأعنف في العالم .. !

السؤال : هل يا تُرى أصاب الإنسان هناك أم أخطأ .. هل نجح في إعطاء تفسير منطقي على نحوٍ إشباعيٍّ حين تخلّى عن أفق السماء أم سقط في هاويةٍ سحيقة .. ! الإجابة الصريحة هي في مجموعةٍ كبرى من تقارير تصدر كل موسمٍ عن تلك الكيانات ، والتي تقرّ فيها بأنّها سقطت في أسوأ مرحلة من ضبط السلوك ، وأنها تعيش فترة من عبثيّة قاتلة ..

وهكذا بيّن النبيّ (ص) مجموعةً من مظاهر ذلك الزمن ، وعلى نحوٍ يدلُّ فيه على مدى التقهقر والإهيار الذي زعزع ضرورة الفرد والجماعة النهائيّة لمسيرةٍ ناجحة .. من التعرّي إلى النوادي الليليّة إلى هيكلية المجتمع على نحوٍ غريزيٍّ إشباعيٍّ دون حدٍّ ، إلى الإدمان على المخدرات والخمور ، إلى القتل للفتاة كتعبيرٍ ضروري عن المزاج النفسي في السوق الغرائزي ، إلى المال كعنوانٍ نهائيٍّ للقيم ،

إلى الجريمة كظاهرة لازمة لمناخ الموائيق المتضعضعة هناك إلى المرأة كسوق مال وشهوة مستثمرة في مدن التعري والبغاء ، إلى المرأة كسلعة كبرى في سوق النخاسة الجديدة ، إلى المرأة كعنوان مركزي في عوامة الإتجار الجنسي ، إلى الغريزة كمحرك للقيم ومنتج لوفادة السوق .. وصولاً إلى سلعية الإنسان ككل حيث كل شيء ينتهي إلى المال ، في سوق تصرّ على أن كل ما من شأنه أن يجدد النفع والإشباع ويبعد النظر عن القيم وعقلانيّتها هو سلعة ضرورية ومادة إلتجار سواء كان بالأعضاء البشرية أم بجثث التجارب أم بخلايا المنشأ الجنينية ، أم بالتبني البيعي ، أم بسوق نخاسة المرأة أم بتوسيع رقعة الإستثمار الجنسي لها ، أم بشنّ حملات إدمان على المخدرات والخمور وعلى مستوى واسع من العالم ، أم من خلال ترسيخ فكرة شهوانية الوجود وربوبية الغريزة ، في ظل قطبية كبرى للمال ، وعلى شرط يكون فيه المال صفة القبول في سوق الإستهلاك والإنتماء دون أيّ رافة أو رحمة أو أحاسيس ذات مدلول إنساني .. لقد أشار النبي إلى مجموعة هائلة من مظاهر ذلك العالم ، منها أن المعروف يقلّ ، وتظهر الجرائم ، وتمون العظام (إشارة رمزية كبرى إلى التحوّل والإنحراف الأخطر) مضيفاً : هناك تشيع تجارة المدح بالمال ، ويكثر الإنفاق على الغناء كعنوان محرّك وتجارة واسعة ونادي ضروري لتأكيد ربوبية الغريزة والإنقياد لها ، من هنا لا بدّ أن تكون نوادي الأغنية معمّدة بنوع واسع من التعرّي والإثارة الجنسية والخمور والمخدرات وفتح ميدانها على كل محفّر غريزيّ دون أيّ قيد ، إصراراً منهم على ضرورة بتر أيّ قيد وعنوان مُسبق ، ونسف أيّ صلة بمعالم الرُّسل وموائيق السماء .. فإذا صار ذلك كذلك إنشغل الناس بالدنيا عن الآخرة كمظهر إنقطاعي ، وأصبح الحسّ القاصر عنواناً لكلّ شيء ، في ظلّ حرب هي الأعنف على القيم والوجود ومنطق السماء .. هناك يقلّ الورع ويسقط الخوف من الله ،

بل يُسخرُ عندئذٍ من اللهِ وفكرة الوجودِ السماوي ويكثر الطمع والهرج (القتل)
ويعمّ المرج ، وتنتفي حكمة الأشياء وعقلانية السلوك الهادف ، وتتوسّع معالم
الفوضى الوجودية ... هناك يصبح المؤمن ذليلاً والمنافق عزيزاً . هناك تصبح
المساجد مجردة شكل للتعبير عن سلعة العصر بقلوبٍ تحتلّ عرشها الدنيا لا الدين ،
ويحركها الشيطان لا الله ، في ظلّ تنافسٍ دنيويٍّ يسلبُ من المصلّي التوجّه إلى الله
حيث تتجلى السوق والسلعة في نيته وضميره ومقصده ، وهو بذلك لم ينته من
الصلاة في محضرِ الربّ تعالى فتحضر القلوب وهي خالية من الإيمان وملتفا عن
الله الخالق المهيمن على كلّ شيء .. هناك يُستخفُّ بالقرآن ، وأيّ استخفافٍ
بعد أن يصبح القرآن مجرد تركة ميّنة وكتاب منبوذ من حياة الجماعة والمجتمع
والفقه والسياسة والثروة والمال ، فلا يُطلب إلا عند الموت والدفن وإقامة المراسم
والتنفيذ عن الذات ليس أكثر .. لا شك أنّها المرحلة التي تتسلّل فيها الدنيا إلى
قلوب الناس بشكلٍ صامتٍ ، فتميت فيهم كلّ حسٍّ ، وترديهم في باطلٍ
منحرفٍ .. هناك تصبح صفة التمسكِ بالإيمان وبالأحكام كما هي في السنة
والقرآن أثقلَ شيء على قلب الإنسان ، كلّ يريد أن يحوّر الدين لنفسه ويجيّر
الأحكام لصالحه ، يصرّ على عطفِ الدين على هواه وليس العكس ، يمتعض من
الدين إن هو خالف مطلبه ، يتمرّد عليه بالسلوكِ وأنفاس الصدر ، لا يقف بين
يدي الله إلا في حالٍ أزمة ، لا يقرّ بالعبودية كما هي إلا في حالٍ هوانٍ وانهايار
هذا إذا فعل .. هناك يصبح الإيمان مجرد زلفى للدنيا لا للدين ، هناك ينال المؤمن
الصالح كلّ هونٍ ومهانة مجتمعيّاً وغير ذلك .. فإذا كان ذلك كذلك تصبحُ
الوجوه وجوه الأدميين لكنّ القلوب قلوب الشياطين ، كلامهم أحلى من العسل
وقلوبهم أمرّ من الحنظل ، فهم ذئاب ، وعليهم ثياب ، تركوا الله وعبدوا
الشيطان ، غرّتهم الدنيا فلم يدركوا أنّها قتلت من كان قبلهم وطلّقت من سبقهم

فلم ينفعهم مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .. ولا بدَّ من الإشارةِ إلى أن ما نشاهدُه في هذا العالم هو واحد من مظاهرٍ ما أشارَ إليه رسولُ الله (ص) يبعد النظرَ عن قرب أو بُعد الخروج للمهديّ عليه السلام ، فالأمر بخروج المهديّ متّصل بإرادةِ الله سبحانه وتعالى ضمن الموعدِ الذي حدّده له في عالمٍ ذي مواصفاتٍ خاصّةٍ فقد يطول الزمنُ بها وقد يقصر ، فلا تحديد لموعدِ الظهور ، أمّا نحنُ فعليّنا أن نشير إلى مظاهرِ الظلم والجور والفساد بشقيهِ الميثاقِي والسلوكِي .. لكننا على كلّ حال نحن نعيش زمنَ المهديّ (ع) وإن طال ، نعيش زمن الغيبة ، نعيش زمن الإضطهاد وغربةِ الدين بكلِّ ما تعنيه هذه العبارة من قطعة هائلة للمواثيق الوضعية بمنطق السماء ، نعيش علامات التحوّل والتبدّل المخيف وفق مجموعة دقيقة من إنطباق إشارات النبيّ الأعظم الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علّمه شديدُ القوى .. ومن حفظ دينه في هذا الزمنِ كان عند الله من الصابرين المؤمنين المجاهدين العابدين الذين أوصى بهم النبي محمد رسول ربِّ العالمين ..

في هذا العالم سيكون المؤمن مضطهداً بكثيرٍ من العناوين والقيم والأعراف والمواثيق في ظلِّ بيئةٍ هي الأخطر ، تدعو نحو المزيد نحو الانحراف والجور والفساد بكلِّ معانيهِ ، فإذا خرج المهديّ (ع) أعلن ثورةً كبرى على الباطلِ بكلِّ رموزه ومعانيهِ فيؤيِّدهُ الله في مواجهة مجموعة ضخمة من الجبهات الضالّة التي تستوعب الغرب والشرق فينشر الإسلام ديناً ، وميثاقاً للقيم ، وإطاراً للحكم ، ومرجعاً في صياغة مسيرة الوجود ..

عرّف الله بيننا وبين آل محمد وجعلنا من أنصارهم وأعوانهم والمستشهادين بين أيديهم ، إنّه سميع الدعاء ..

فتن ما قبل الظهور :

- حرب الجميع ضد الجميع .
- ربوبية الفريضة .
- حكومة أهل الباطل .
- قبح الإفتراس ..
- جحود الطلة بالسماء .
- الفتن كمظهر متوحش ...

فِتن ما قبل الظهور

من الثابت قبل ظهور المهدي عليه السلام أن العالم يشهد مجموعة كبرى من الفتن يتجسّد بعضها كعنف عسكري واحتلال كيانات وقتل وسفك دماء وتشريد وسبي وبلاء هائل ، كما أن بعضها الآخر يتجسّد على شكل فساد سياسي موثيقي إجتماعي سوقي حقوقي عرفي وغير ذلك .. ويؤكد النبي أن كل هذا يتضمّنه آخر الزمان .. وبصورة مختصرة يمكنني أن أشير إلى أن الروايات الواردة عن النبي محمد (ص) بخصوص آخر الزمان تبين عناوين عديدة ، منها :

- تحوّل خطير وشاذّ جداً في النظريّة السياسيّة الأخلاقيّة ..
- إقامة حكم وضعي معارض بشدّة لما عليه شريعة الله وسنة النبي في كثير من عناوينه الكبرى .
- تعددية الكيانات والجبهات السياسيّة لأهل الباطل في ظلّ نفوذ واسع يحكم بغير ما أنزل الله وعلى نحوٍ من نفوذ عالمي ، وفيها إشارة إلى أن الأمراء على قسمين : أمراء مسلمون لا يعملون بكتاب الله ، وأمراء غير

مسلمين ، كلاهما يعاندُ ما عليه أمرُ اللهِ والشرِعةِ وعلى نحوٍ من شذوذٍ في القيمِ والمبادئِ وغيرها .

- تعدّد الرايات ، وهي إشارة إلى تعدّد مظاهر الحرب .
- كثرة المسلمين لكن في ضعفٍ غريبٍ بالأداةِ والمواثيقِ ووسائلِ الممانعةِ عندهم ولصالحِ غيرِهِم .
- الإشارة إلى أن " عند المسلمين ما يدفع غيرهم إلى التداعي عليهم " كما تداعي الأكلةُ إلى قصعتها ، كتعبيرٍ مأخوذٍ فيه الإشارة إلى روح الإفتراس لما عندهم وكناية عن أنهم يكونون في ذلك الزمن على موقعٍ فيه من الثروةِ الضروريةِ الهامةِ ، ما يدفع الأمم الأخرى إلى التسابقِ الإفتراسي إليهم ..
- تقسيم الرايات وتعدّدها ، وعلى نحوٍ مُجملٍ هناك رايات شرقية ورايات غربية ، تضرب بقوة في بقاع المسلمين ، فلا يحدّ من فسادها قيم ولا مواثيق ، وأنهم يسفكون الدماء ، ويستأثرون بالفئى أي الثروة والضرية وغيرها ..
- التأكيد على أن العالم في ذلك الزمن يكون تحت ظلّ الجورِ والفسادِ المتزايدِ والخطيرِ ، بكلّ ما تعنيه هذه العبارة من معنى بارز في مجالاتِ عدّة ذات نفوذٍ كبيرٍ ، سواء في النظرية الأخلاقية أو المواثيق السياسية الإجتماعية ، أو الفكر المالي التجاري أو ما يتصل بالإعلانات الحقوقية بالنسبة إلى الفرد والجماعة البشرية ..
- ومع كلّ هذا — حسب التعبير الوارد في النصوص — تبقى أمة مؤمنة تعمل بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ (ص) ظاهرةً بما بين يديها إلى ظهورِ المهديّ (ع) لا يضرّها من خلفها ، سوى مشقةٍ وتعبٍ وعناء ، تدور

حولها الفتن ، بل يُعتدى عليها ، ومع كل هذا تظل ظاهرة ، عاملة بكتاب الله وسنة رسول الله وفقه آل البيت (ع) يُعتدى على نحو محدد من حقوقها فتطلب ذلك الحق فلا تعطاه ، فتضع سيوفها على عواتقها وهو تعبير يراد منه الإشارة إلى أداة الحرب ، تقاتل فتنتصر فتعطي الحق فتتابع مسيرتها المحقة وتطلب المهدي (ع) فلا تضع سلاحها حتى تسلم الراية إليه .. والذي يظهر من هذه النصوص أن تلك الأمة تكون ضمن حدود دولة ومجتمع مؤمن ، وحسب الروايات هي أمة من أهل المشرق خراسانية تحمل الرايات السود وتقاتل من أجل دينها وولايتها ..

- من ضمن الإشارات الأساسية في تلك النصوص كثرة الفتن ، وتنوعها وتعددها وشمولها .. وهذا هو الآن موضوع بحثنا ..

وقد جاء في بحار الأنوار عن حذيفة اليماني أن النبي (ص) ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فقال :

بينما الفتنة كذلك ،
يخرج عليهم السفاني ،
من الوادي اليابس في فور ذلك ،
حتى ينزل دمشق ،
فبيعت جيشين ،
جيشاً إلى المشرق ،
وآخر إلى المدينة ،
حتى ينزل بأرض بابل من المدينة الملعونة ، يعني بغداد ،

فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ، ويفضحون أكثر من مائة امرأة
(تعبير حسب المفاهيم العرفية يُراد منه الإشارة إلى الكثرة لا إلى
العدد والحصر) ،

ويقتلون ثلاثمائة كبش من بني العباس ،
ثمَّ ينحدرون إلى الكوفة ،
فيخربون ما حولها ،

ثمَّ يخرجون متوجهين إلى الشام ،
فتخرج راية هدى من الكوفة ،
فتلحق ذلك الجيش فيقتلهم ،
لا يفلت منهم رجل ،

ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم ،
ويحلّ الجيش الثاني بالمدينة ،
فينهبونها ثلاثة أيام بلياليها ،
ثمَّ يخرجون متوجهين إلى مكة ،
حتى إذا كانوا بالبدياء ،
بعث الله جبرائيل ،

فيقول إذهب فأبدهم ،
فيضربكم برجله ضربةً ،

يخسف الله بهم عندها ، ولا يفلت منها إلا رجلانٍ من جهينة ،
فلذلك جاء القول (وعند جهينة الخبر اليقين) ولذلك قوله

تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ، وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ
(٥١) ^١

ذكر النبي (ص) بأول النصّ (بينما الفتنة كذلك ...) وسنرى فيما بعد
أنّ الفتنة تكثر وتحتاج العالم شرقاً وغرباً ، في ظلّ تعدّد متعارضٍ ومتناقضٍ
للرايات واختلاف بين الأمم ، يتقاتلون على الدنيا فيرفعون الدين من موثقيهم
وينبذونه وراء ظهورهم فلا يقربون منه إلا ما يقرّبهم من الدنيا ويوصلهم إليها
وفي كثير من النصوص أنّ الدنيا تصبحُ هرجاً ومرجاً وهو تعبير يُرادُ منه تداعي
الحقوق ، وهدر الدماء ، وسبي النساء ، واحتكار الثروات وغير ذلك .. مع
الإشارة إلى أنّ بعض الألفاظ مثل سبي النساء يعتبر من العبارات التاريخية ، التي
لها مغزى يُرادُ منه الإستثمار بالنساء وبأشكالٍ مختلفةٍ من الملكية والإغتصاب
والإستثمار الجنسي أثناء الحرب وغيرها بما في ذلك الشكل التاريخي ، وما أكثر
هذه المعاني في عالمنا اليوم ، وكلّ هذا له أكثر من مظهر ومصداقٍ ومثال في هذه
النصوص وهكذا في غيرها من العبارات التي يُرادُ منها الجواز إلى معانٍ ذات صلة
بالمعنى الوضعي أو الإستعمالي آنذاك ..

أمّا تعبير الفتنة فيرادُ منه أكثر من وجه ، لكن من أصرح تلك الوجوه ،
الحروب وقيادة راياتها ، بما تعنيه من سفك الدماء وسبي النساء واحتكار الثروة
واحتلال الكيانات ، وهذه المعاني صريحة في كثيرٍ من نصوص الفتنة ففي الحديث
عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي في بحار الأنوار أيضاً قال (ص) :

^١ م . س . أمّا السورة فهي سورة ساء .

(... منّا مهديّ هذه الأمة ، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً ، وتظاهرت الفتن ، وتقطّعت السُّبُل ، وأغار بعضهم على بعضٍ ، فلا كبير يرحم صغيراً ، ولا صغير يوقر كبيراً ، فيبعث الله عند ذلك مهدينا التاسع من صلب الحسين ، يفتح حصون الضلالة ، وقلوبا غلفاً ، يقوم في الدين في آخر الزمان كما قمتُ فيه أوّل الزمان ، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ..) .^١

في أوّل النصّ يركّز على الهرج والمرج أي على القتلِ والفوضى وتقطّع السُّبُل أي الخلل الأمني ، إضافة إلى شنّ الحروب والمعارك بشكلٍ ابتدائي ومضاد وغير ذلك .. لكن هذا لا يعني أبداً عدم وجود موثيق للدولة بل طبيعة التجمّع والإجتماع لا بدّ له من قيد ونظام سواء في ذلك (عقيدة الدولة في الحرب والسلام) بمعنى أنّه لا بدّ من نظامٍ وأجهزةٍ ليستقيم أمرُ الجماعة .. لكنّ محتوى تلك الأنظمة يكون على نحوٍ منحرفٍ وشاذّ .. من هنا تكون البدايةُ في تحديد الإطار والسؤال .. ماذا عن معنى العدالة ؟ ماذا عن موثيق الإنسان ؟ ماذا عن ضرورات الوجود بالمعنى الإعتباري مرّةً والتكويني مرّةً أخرى .. ؟ على هذا الأساس يمكننا أن نحدّد مضمون الموثيق في العدالة أو الظلم والجور وشبه ذلك .. ومن يقرأ ما أشرتُ إليه في الفصولِ السابقة من ظلمٍ وجورٍ وفسادٍ وانحرافٍ بالموثيق والقيم والأهدافِ الوجوديّةِ والغاياتِ الضروريّةِ يدرك المغزى هنا .

وعليه : فإن الموثيق مسؤولة بشكلٍ رئيسيٍّ عن تشريع القيم ، عن المظاهر ولوازمها ، عن الشروط الإستعدادية لتأسيس بيئةٍ ما والسير بها .. وكلّما كانت القيم غريزيةً ومعاندةً لمنطق الكونِ وأفقِ الوجودِ ومخالفةً للشريعةِ ومصرةً على بتر العلاقة الكونيةِ بالإعتبار الميثاقِي ، كلما برزَ نوعٌ خطيرٌ من الفسادِ والإنحرافِ والباطلِ الميثاقِي والسلوكي ... وفي روضةِ الواعظين عن النبيّ (ص) قال : إنَّ من أشراطِ الساعةِ أن يُرفعَ العلمُ ويظهر الجهلُ ويشرب الخمرُ ويفشو الزنا وتقلّ الرجالُ وتكثر النساءُ .. ففي هذه العناوين إشارة واضحة إلى قيم وطباعٍ محمّية ، إلى مفاهيم مقبولة ، إلى موثيق غير محظورة .. وهذا بطبيعة الحال يشير إلى فهمٍ ميثاقِي وأيديولوجيّة مضمونة في هذا التوجّه وذاك النوع من التبنّي لترعى مثل هذه المظاهر والغايات في المجتمع .. ولا شكّ أنّ هذا واحد من أنواع البلاء ومصادق من مصاديق الفتن وسترى فيما بعد أن مظاهر الفتن الصارخة يكون على رأسها مجموعة من حروبٍ وقتلٍ وجورٍ وعنّفٍ وشبه ذلك .. بل في عقد الدرر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسولُ الله (ص) :

(.. ينزلُ بأمّتي في آخرِ الزمانِ بلاء

شديد ..)

وشدّة البلاءِ متنوّعة ، وأصلها يعود إلى قيم نافذة في عالم السلوك ، متناقضة مع كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ الله ، سواء كان ذلك متّصلاً بإدارة أدوات السلم أم أدوات الحرب ، أم بغيرها مثل أثير الإمبراطوريات الإعلامية أو بوقع قاطرات السوق الإقتصادية أو رموزِ قاطرات الإدارة العامّة المتعارضة مع موثيق السماء .. منها بطبيعة الحال نارُ الفتنِ وحروبها .. وفي العلل عن النبيّ (ص) في أجوبته على مسائل عبد الله بن سلام قال :

أما اشراطُ الساعةِ ، فنارٌ تحشرُ النَّاسَ في
المشرقِ إلى المغربِ ..

لذلك : سأذكر جملة من تلك الفتنِ التي أشار إليها النبيّ (ص) مع الأخذ
بعين الإعتبار أنّ مشقّة المؤمنِ في آخرِ الزمنِ إنّما هي صعبة ومتعدّدة ، وعلى
رأسِها يأتي موضوع هجر الكتاب والسنة ، وتقديم غيرهما وانحراف السلطان ،
فمن أصلِ هذا البلاء تتوالد بلاءاتٌ أخرى ، يأتي على رأسها حكم أمراء مسلمين
ضالّين مضلّين ، لا يقيمون أمرَ الكتاب ، ولا يعتقدون به دستوراً لحكم المجتمع ،
فيخرجون على حدودِ الله ومواثيق السماء .. فتكون فتنٌ وفتنٌ كثيرة منها فتنُ
الحربِ والنارِ والقتلِ والسبيِ وغيرها .. وما السفيايى والدجال وغيره إلا صورة
طبق الأصل عن نتيجة مشروع تمهيدي يؤسس له هؤلاء المضلّون .. وعليه : في
ذلك العالم يكثر الفساد ، وتنقلبُ المعايير ، ويعمّ الظلم ، وينفذُ الجور ، فتكون
فتنٌ متنوّعة متوسّعة ، كلّما أطفؤوا نار فتنة إشتعلت أخرى ، تنتقلُ في البلاد
وتهلكُ العباد وفي الحديثِ عن عبد الله بن مسعود قال قال لنا رسولُ الله (ص) :

أحذركم سبع فتن تكون بعدي : فتنة تقبل
من المدينة ، وفتنة بمكة ، وفتنة تقبل من اليمن ، وفتنة
تقبل من الشام ، وفتنة تقبل من المشرق ، وفتنة من قبل
المغرب ، وفتنة من بطن الشام وهي فتنة السفيايى ..¹

فقال ابن مسعود : منكم من يدرك أولها ، ومن هذه الامة من يدرك
آخرها . قال الوليد بن عياش : فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير ، وفتنة

¹ ابن حماد : ص ٩/٨

مكة فتنة ابن الزبير ، وفتنة اليمن من قبل نجده ، وفتنة الشام من قبل بني أمية ،
وفتنة المشرق من قبل هؤلاء ..

أقول تطبيق هذه العناوين عليها لا يتمّ بدليلٍ نهائيٍّ نعم لا بأس بالإشارة
إليها من بابِ المثالِ التقريبيّ أو محاولة التطبيق الإفتراضيّ .. وفي نصوصٍ نقلها
إبن المسيّب دون أن يسندها واردة بخصوصٍ نوعٍ محدّد من فتنة الشام قال :

تكون فتنة بالشام ، كأن أولها لعب الصبيان ،
تطفو من جانب وتسكن من جانب ، فلا تتناهي حتى
ينادي منادٍ : إن الامير فلان ..^١ وعنه أيضاً قال :
تكون فتنة بالشام ، كأن لعب الصبيان ، ثم لا يستقيم
أمر الناس على شيء ، ولا تكون لهم جماعة حتى ينادي
منادٍ من السماء عليكم بفلان ، وتطلع كف تشير ..

أقول : تعبير " منادٍ ينادي من السماء يرشدُ إلى وليّ الله " إنّما ورد في
المهديّ حين الخروج فهل هو المقصود هنا ، أم أنّه غيره .. ؟ لا يمكن استناداً إلى
النصوص أن يكون غيره وإلا وقع الإضطراب في هذه النصوص ، حيث ثبت
بشكلٍ نهائيٍّ أنّ جبرائيل هو الذي ينادي في السماء بإسم المهديّ (ع) .. أمّا
تعبير أنّ كفاً في السماء تشير ، هل هو وارد من باب الإستعارة والإشارة إلى أنّ
ذلك النداء يكون واضحاً في بيان مقصده ، أي مشيراً بشكلٍ صريحٍ ؟ الأمر فيه
غير بعيد .. خاصّة حين نجمع بين هذه الروايات والروايات الواردة في نداء
جبرائيل بالمهديّ (ع) ..

^١ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٦١ - ٢٠٧٤٦

أما ماذا عن طبيعة هذه الفتنة .. ؟ فيظهر أنها تتمحور حول مُلكٍ ما
وعنوانٍ متّصلٍ بشؤون الحكم وشعاراته أو على نحوٍ من انقلابٍ أو شبه ذلك ،
أي أنها متّصلة بأصل السلطنة من هذه الجهة ، وأنّ خلافاً على أثرها يقع ، وأنها
تبدو في أوّل الأمر عاديةً جدّاً وبسيطة كأنها لعبُ الصبيان ، لا يظنّ أحد أنّها
ستتفاحلُ وتتوسّع بأزميتها فتصل إلى ما تصل إليه فيما بعد ، من هنا جاء التعبير
دقيق بـ " هو الصبيان " أي أنّها تبدو على نحوٍ من صبيحةٍ لا يؤول فيها الأمر
حسب الظاهر إلى حربٍ وفتنةٍ وقتلٍ وموت .. وبلحظاتٍ معقّدة تتفاقم الأمور
وتصل إلى مرحلةٍ متطوّرةٍ من فتنٍ وقتالٍ وعنفٍ هائلٍ ..

وفي وجهٍ آخر من صورةِ فتنةِ الشام ما رواه ابن زبير عن علي (ع) قال : قال
رسول الله (ص) :

يرسل الله على أهل الشام من يفرق جماعتهم ،
حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ،
وعند ذلك يخرج رجل من أهل بيتي في ثلاث رايات ،
المكثّر يقول خمسة عشر ألفا ،
والمقلل يقول إثنا عشر ألفا ،
أمارتهم (شعارهم) أمت أمت ،
على كل راية منها رجل ،
يطلب الملك أو له الملك ،
فيقتلهم الله جميعا ،

ويرد الله على المسلمين إفتهم وقاصيتهم ودانيتهم ...^١

وفي روايته الأخرى ، نقل مثل هذا النص ، إلا أنه قال تسع رايات سود ..
وروى عن عليّ (ع) أنه قال :

يخرج (أي المهديّ) في اثني عشر ألفاً إن قلّوا ، أو خمسة عشر ألفاً إن
كثروا ، يسير الرعب بين يديه ، لا يلقاه عدوّ إلا هزمه بإذن الله ، شعارهم أمت
أمت ، لا يبالون في الله لومة لائم ، فيخرج إليهم سبع رايات من الشام فيهزمهم
ويملك ، فترجع إلى الناس محبتهم ونعمتهم وقاصيتهم وبزارتهم ، فلا يكون بعدهم
إلا الدجال ... قلنا : وما القاصة والبزارة قال : يقبض الامر حتى يتكلم الرجل
بما شاء لا يخشى شيئاً .. (وفي هذا إشارة إلى طوقٍ عنيف جزائي ، يكون
مضروباً على الشعائر وحرية الرأي والإعتقاد والتأييد الفكري وشبه ذلك من قبل
الحكم السابق على أهل الحق ..) .. وفي تعبير آخر ، أورده الحاكم بسند آخر ،
عن عبد الله بن زهير الغافقي ، قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يقول :

ستكون فتنة ، يحصل الناس منها كما يحصل
الذهب في المعدن ، فلا تسبوا أهل الشام ، وسبوا
ظلمتهم ، فإن فيهم الأبدال ، وسيرسل الله إليهم سيباً
من السماء فيفرقهم ، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ثم
يبعث الله عند ذلك رجلاً من عترة الرسول (ص) في
اثني عشر ألفاً ، يقاتلهم أهل سبع رايات ، ليس من

^١ ابن حماد : ص ٩٦

صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك فيقتتلون ويهزمون ،
ثم يظهر الهاشمي ، فيرد الله إلى الناس إفتهم ونعمتهم ،
فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال ..^١ . وقال
الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ..^٢

والذي يستفاد من هذه النصوص أن فتنة الشام تكون متأخرة في سلسلة
أحداث ما قبل الظهور ، لكنّها تظلّ وسط الفتن لكثرتها حتى بعد الظهور ،
يستفاد ذلك من اشارات النبيّ (ص) في مجموعة من نصوصه وارده في الفتن ..
وفي بعضها أن رجلاً من عترة الرسول (ص) هو الذي يلي قتال هذه الرايات
السبع ، التي تحتها سبع ملوك أو أمراء ، كلّ منهم يطلب الملك .. وهي إشارة
إلى تعدّد الطالب والمحارب والمصرّ على الملك والسلطنة .. نعم قبل هذه الفتنة
تكون سلسلة من فتن ، لكنّ واحدة من تلك المفاصل تكون رئيسية في الإطاحة
بأهل الشام ، فما ورد أعلاه مفاده أنّه تكون فتنة بالشام ، كأنها لعب الصبيان ،
ثم لا يستقيم أمر الناس على شيء ، ولا تكون لهم جماعة ، حتى ينادي مناد من
السماء عليكم بفلان .. وهذه فيها إشارة إلى ما يصير إليه أمر راية أهل الحقّ بعد
الفتح ، وذلك بعد أن تُصاب الشام بهزيمة نكراء ، حيث يرسل الله إلى أهل الشام
من يفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ..

^١ الحاكم : ج ٤ ص ٥٥٣

^٢ وري ابن عساكر : ج ١ ص ٧٢ كما في الحاكم ، بتفاوت يسير ، مرسل عن علي (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله : وفيه :
يكون آخر الزمان فتنة . فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتي في . يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك ، فيقتلهم
الله جميعاً ، ويرد الله إلى المسلمين إفتهم ونعمتهم وقاصيهم وبداريهم (كذا) وقال : قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث إلا زيد بن
أبي الزرقاء ، وهذا وهم من الطبراني ، فقد رواه الوليد بن مسلم أيضاً عن ابن هبة ، ورواه الحارث بن يزيد المصري ، فوقفه على
علي ولم يرفعه ..

وفي الوقت الذي يفتح فيه الفاتحُ من آلِ محمّدِ الشامَ ، يعيد لما أمكنَ للمسلمين من وحدتهم وبنحوٍ كبيرٍ ، ويحفظ قاصيهم ودانيهم ، بل في بعضِ النصوصِ يقولون ما كان ممنوعاً عليهم ، وعندني غير بعيدٍ أنّه متوجّه إلى حقهم الديني وممارسته ، بل هو فيه وارد .. وهذا يفيد بطبيعة الحال أنّ ممارسة الشعائر الدينية أو التعامل وفق معاني الشريعة كما هي في مذهب آلِ محمّد كان ممنوعاً ، هذا من قبلِ الفتنة ، أمّا بعد الفتنة فإنّ أمر الناس لا يقوم على شيءٍ وهذا صريح بتعبيرِ النصِّ ..

ثمّ هناك روايات متعدّدة فيها إشارة إلى حربٍ تقع بين السفينائيّ من جهة وأهل المشرق من جهةٍ أخرى ، وأنّه بعدما يعود من فتح مصر يقاتل أهل المشرق فيردّهم إلى العراق .. وهذا دليل آخر على عقدة الصراع وتعدّد الرايات والجهات وتداخل أزمنة الجبهات في فورة الحرب .. والذي أحبّ أن أشير إليه هو أنّ الذي يقاتل أهل الشام وغيرهم هو رجلٌ من أهل بيت النبيّ (ص) يقود جيشاً قادراً في ظلّ صراعٍ عنيفٍ تختلف فيه الرايات .. وبصورةٍ مختصرةٍ أشير إلى أنّ الرايات من الشام وصولاً إلى مصر إلى بيت المقدس تقف بحدّة ضدّ راية أهل المشرق التي تشنّ حملة عسكرية كبرى من أجل احتلال بيت المقدس ، وتفلاح في ذلك بعد حربٍ هائلة تدور في طريقها الطويلة في أكثر من منطقة ، أهمّها الشام وعلى قنطرةٍ في مصر وصولاً إلى بيت المقدس وسيكون للسفينائي دور أساسي في شنّ حربٍ مضادّة على أهل المشرق فيردّهم إلى جبهةٍ متأخّرة ، وقد ورد في الحديث :

يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق ، فيبناهم ينظرون في أعاجيبه ، إذ رجفت الأرض فانقعر

غربي مسجدھا ، ويخسف بقرية يقال لها حرستا ، ثم يخرج عند ذلك السفياي فيقتلهم حتى يدخلهم مصر ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق ..¹

ثم إنَّ السفياي يحتلُّ الكور الخمس في منطقة الشام وبرّھا ، ويكون له سطوة كبيرة إلا أن ملكة هذا على الكور الخمس لا يدوم حمل امرأة ، أي لا يتجاوز مدة تسعة أشهر .. ويظهر أن الرايات تتعدّد وتؤثّر بشكلٍ قويّ في إعادة فرز سياسي كيانٍ إنتمائي لمنطقة الشرق الأوسط ، كما أن التدخّل العسكري في شؤون المنطقة يكون الوجه البارز ، مرّةً على يد القوى الكبرى مباشرةً ، ومرّةً عبر مجموعة من وكلاء وتابعين وشبه ذلك ، وقد ورد أن من علامات خروج المهدي ، ألوية تقبل من المغرب ، عليها رجل أعرج من كندة فإذا ظهر أهل المغرب على مصر ، فبطن الارض يومئذ خير لأهل الشام .. وستكون الفتن قبل ظهور الإمام متواليةً ومتعدّدةً وعلى نحوٍ متسرّعٍ ، وغير إعتيادي ، حتى لا يقوم أمرُ الناس على خير ، وتظلّ تنتشر وتتوسّع .. ويظهر من الروايات أن الإجتياح للمدن والدول يبدأ بشكلٍ عسكريٍّ ، فتُسفك الدماء وتُسبى النساء وتُحتلّ المُدن وغير ذلك .. ويكون ذلك بقيادة السفياي ومجموعة أخرى من الأولوية التي منها راية المغربيّ التي تكون على نحوٍ واضحٍ من البطش والقوّة ...

وعلى مستوى العالم ، تكون الجبهات منفلشة ، والعالم في ظلّ تناحر عسكري وصراعٍ متعدّدٍ ، مرّةً على المال كما في كثيرٍ من الروايات ، ومرّةً على المواقع " الجيوستراتيجية " ، ويكون للروم (كيان مسيحي سياسي غربي) نافذ

¹ ابن حماد : ص ٩١

ومؤثر جداً في منطقة الشرق الأوسط ، إلى درجة زرع الوكلاء في الشرق ، بل والدخول مباشرة في ذلك المعترك العسكري في بلاد الشرق المسلم ، مرةً بذريعة إحتكار الثروة ، ومرةً أخرى بسبب النفوذ المناطقي الجيو استراتيجي كما في تعبير اليوم .. وفي الرواية : تقوم الساعة ، والروم أكثر الناس ..^١

ويظهر من النصوص أن مجموعة كبرى من بقاع العالم تقع فيها حروب عسكرية طاحنة ، بين جبهات مختلفة ، ومن بين تلك الفتن العسكرية ما يقع في الشام ، ومن يقرأ النصوص جيداً يجد أن أكثر من صدمة وحرب وتحريك للجيوش في الشرق والغرب إنما يكون للدفاع بصورة مختلفة عن بيت المقدس ، أو بالأحرى عن اليهود ، في ظل إصرار نهائي من أهل المشرق على احتلال بيت المقدس واستعادته بل يحركون الجيوش من أجل ذلك ، فتكون وقعة الشام بكل عنفها الطاحن بين أكثر من راية وجهة وجيش .. وفي لفظ آخر قال (ع) : إذا رأيت الفتنة في بلاد الشام ، فالموت الموت حتى يتحرك بنو الأصفر ، فيسيرون إلى بلاد العرب ، فتكون بينهم الوقائع ..^٢

وفي رواية البحار : أول أرض تخرب الشام ، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات ، راية الأصهب ، وراية الأبقع ، وراية السفياي ، ويلتقي السفياي بالأبقع فيقتلون فيقتله السفياي ومن تبعه ويقتل الأصهب ..^٣

الأهمية تكمن في أن السفياي وفي أول تكوين جبهته إنما يكون مجرد وكيل سياسي عسكري للروم ، بل مجرد ممثل لجبهتها ، وفي الرواية أن السفياي

^١ صحيح مسلم ٢٢٢٢/٤

^٢ الفتن لابن طاوروس ١٠٧

^٣ بحار الأنوار ٢١٢/٢٥

يقبل من بلاد الروم متنصراً وفي عنقه صليب ، وهو صاحبُ القوم .. وهذا تعبير دقيق في الإشارة إلى أن السفياي هو غير نصراني ، لكنه يتبنى النصرانية كشكل تابع ، كطريقةٍ وكيلٍ سياسي ، وربما يكون التنصّر على نحوٍ اعتقادي .. لكنّ السفياي بعد أن تقوى شوكتُهُ ينقلب على الروم ، ويقاثلها ويربح عليها في معركة قاسية ، فيؤثر على الروم في منطقة الشام لا في غيرها من مناطق انتشارها خاصة في الغرب .. ففي الرواية : إذا ظهر السفياي على الأبقع والمنصور اليماني خرج الروم والترك فيظهر عليهم السفياي ..¹

وتضيف الروايات أن السفياي يتوسّع حكمه بشكلٍ سريعٍ إلى خمس كور تمثل بلاد الشام التاريخية ببرّها ، وذلك بشكلٍ قادرٍ وعنيفٍ ، يواجه العديد من الرايات في دربه هذه ، ويتنصر .. وفي الرواية : ثلاث رايات ، راية حسنية ، وراية أموية ، وراية قيسية ، فبينما هم كذلك إذ يخرج السفياي فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط ..²

وزيادة على ذلك ، يعلن السفياي الحرب على راية أهل المشرق المبايعة للإمام المهدي ، وبعد ذلك على الإمام المهدي (عج) .. نعم في رواية كعب التي لم يسندها يؤكد على زحف الفتن وحركتها وتنقلها وتكثّل جبهة أهل الباطل ، وفيها :

يجتمع للسفاح ظلمة أهل ذلك الزمان ، حتى إذا كانوا حيث ينظرون إلى عدوهم ، وظنوا أنهم

¹ كسر العمال ٦/٦٨ ..

² بخار الأنوار ٥٢/٢٧٠

مواقعهم بلادهم ، أقبل رأس طاغيتهم لم يعرف قبل ذلك وهو رجل ربة ، جعد الشعر ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، مصفار ، حتى إذا نظر إلى المنصور في آخر تلك السنة التي يجتمع فيها ظلمة أهل ذلك الزمان للسفاح بموت المنصور ، وهم مفترقون في غير بلدة واحدة ، فإذا انتهى إليهم الخبر ضربوا حيث كانوا ، فيبايعون لعبد الله ، ويرجع السفياي ، فيدعوا إلى نفسه بجماعة أهل المغرب ، فيجتمعون ما لم يجتمعوا لآحد قط لما سبق في علم الله تعالى ، ثم يقطع بعثاً من الكوفة فإن يكن البعث من البصرة فعند ذلك يهلك عامتهم من الحرق والغرق ويكون حينئذ بالكوفة خسف ، وإن يكن البعث من قبل المغرب كانت الوقعة الصغرى ، فويل عند ذلك لعبد الله من عبد الله يثور بحمص ويوقد بدمشق ويخرج بفلسطين رجل يظهر على من ناواه ، على يديه هلاك أهل المشرق ، يملك حمل امرأة ، يخرج له ثلاثة جيوش إلى كوفان ، يصيبون بما أثبات من قريش ، يستنقذون من يومهم ...^١

وفي إشارةٍ أخرى إلى السفياي وطغيانه ، وإدارته لجبهات الحرب ، روى أبو وهب الكلاعي ، ولم يسندهُ قائلًا :

^١ ابن حماد : ص ٧٧

تفترق الناس والعرب في بربر على أربع رايات
فتكون الغلبة لقضاة ، وعليهم رجل من ولد أبي
سفيان ، قال الوليد : ثم يستقبل السفياي فيقاتل بني
هاشم وكل من نازعه من الرايات الثلاث وغيرها
فيظهر عليهم جميعا ، ثم يسير إلى الكوفة ويخرج بني
هاشم إلى العراق ، ثم يرجع من الكوفة فيموت في أدنى
الشام ، ويستخلف رجلاً آخر من ولد أبي سفيان ،
تكون الغلبة له ، ويظهر على الناس وهو السفياي ..^١

وقد ذكر المؤرخون أن قبيلة قضاة بقيت موالية للأمويين مخالفةً
للعباسيين ، بل في قول المأمون العباسي إنهم ينتظرون ظهور السفياي ليكونوا معه
ولعل الكلاعي الراوي منهم أو يميل إليهم ..

وفي روايةٍ أخرى له قال :

إذا غلبت قضاة وظهرت على المغرب ، فأتى
صاحبهم بني العباس فيدخل ابن أختهم الكوفة مع من
معه فيحربها ، ثم تصيبه بما قرحة ويخرج منها يريد
الشام ، فيهلك بين العراق والشام ، ثم يولون عليهم
رجلاً من أهل بيته فهو الذي يفعل بالناس الأفاعيل
ويظهر أمره ، وهو السفياي ثم تجتمع العرب عليه

^١ ابن حماد : ص ٧٨

بأرض الشام فيكون بينهم قتال حتى يتحول القتال إلى
المدينة ، فتكون الملحمة ببيع العرقد ..^١

وعن فتنة الشام قال الوليد بن مسلم :

إذا ملك رجل الشام ، وآخر مصر ، فاقتتل
الشامي والمصري ، وسبا أهل الشام قبائل من مصر ،
وأقبل رجل من المشرق برايات سود صغار قبل صاحب
الشام فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي .^٢

والذي يستفاد من هذه النصوص وغيرها أن الفتن تزحف إلى كثير من
بقاع الشرق ، في ظلّ تكتلٍ جهويّ خاصّة بعد تسجيل مجموعة من إنتصاراتٍ
مهمّة لراية أهل المشرق التي تكون موالية للإمام المهديّ ، والتي تُذكر في أكثر من
رواية براية أهل خراسان .. وتكون الشام واحدةً من ميادين الحرب والفتن
كغيرها من مناطق أخرى ، شرقيّة وغربيّة تلتهمها الفتن وتحتأحها ... وحتى نتابع
هذه الجولة بشيءٍ من الضرورة والتفصيل ، لا بدّ من تعريف أوّلي منفصل لراية
أهل المشرق بشكلٍ واضحٍ ، لتعرف على هويّتها بشكلٍ قريبٍ من البيان والثقة
ثمّ نتابع فصل الفتن .. مع الإشارة إلى أنني في الفصل الأخير من كتابي هذا
حاولت أن أعطي صورة واضحة عن التعدّد في الجبهات والرايات وأهل الفتن
والكيانات .. وكلّ ما أشيرُ إليه الآن إنّما كتوطئة تبويبيّة إلى ذلك ..

^١ ابن حماد : ص ٧٩

^٢ م . ٠

الرايات السود الخراسانية :

- أهل المشرق والنظام الدولي في آخر الزمان ..
- أهل المشرق وطلب الحقّ .
- التغاير بالشعار والقيم .
- صعوبة الانتماء إلى النظام الدولي ..
- القدس غاية في استراتيجية الصراع ..
- حركة أهل المشرق ..

أهل المشرق الخراسانيين والرايات السود

من يسر الروايات الصادرة عن النبي (ص) في هذا المجال يجد أنها تركز بشكل بارز ودقيق على الرايات السود ، على أهل خراسان ، على أهل المشرق . وتؤكد أن هذه الراية من العناوين البارزة في صفاتها وكيانها وجماعتها ، في زمن هو الأخطر ، في عالم يُحكّم بنوع واسع من قيم منحرفة عن قيم الإسلام ، بل فيها تجاوز خطير لقيم ومنطق الكون الطبيعي والمواثيق النوعية الفطرية .. تتحدث الروايات عن هذه الجبهة ، وتحدّد لها وقفتين :

الأولى : قبل الظهور ..

الثانية : بعد ظهور الإمام المهديّ ، الذي يشكّل المفصل التاريخي الأهم في العالم الجديد ..

وفي كثير من الإشارات يؤكد النبي على ثبات هذه الراية وتمسكها وعزمها وعناؤها ومشقتها وقوتها ومناعتها مبيناً أنها تتشبّث بالحق وفق منطق

الرسالة السماوية التي جاء بها النبي محمد ، مع أنها تصاب بمشقات التمسك وعناء اللزوم لنهج الإسلام جرّاء ذلك ، لكنها تظل صابرة ، جادة ، محتسبة ، فتشير في العمل ، وتمنع فيما هي عليه ، وتصرّ على القيام بمهمّة الإلتزام بكتاب الله وسنة رسوله (ص) .. والذي يُستفاد من النصوص هو أن أصحاب الرايات السود أو أهل المشرق أو الخراسانيين ، هم من أهل الولاية لعليّ بن أبي طالب وبنيه من بعده وصولاً إلى المهديّ عليه السلام ، من هنا فإنهم يعملون في زمن الغيبة لتوطئة الخروج للمهديّ ، وفي زمن الظهور يسلمون الراية إلى صاحبهم المهدي ويقاتلون تحت إمرته وولايته .. ولا يغيب عن الذهن أن الإشارة إلى " الرايات السود وأهل المشرق " هو متناسق في معناه وإشارته إلى وحدة أصحابها وهذا ما سراه في النصوص إن شاء الله ..

ومع أن الروايات تحدّثت عن راية اليماني الراية الأهدى ، والحسني وغيره إلا أن الحديث عن أهل خراسان ، عن راية أهل المشرق ، استغرق الكثير من نصوص النبي (ص) حيث تستعرض الروايات لهم قسطاً وافراً من الوقعات والأثر في ذلك العالم .. منها أن هذه الراية تكون على نوع من قوّة وممانعة في أمر دينها والثبات عليه في ظلّ عالم وجبهات باطلة تصرّ على إطباق الخناق عليها والعمل على إضعافها وإتعاها .. إلى الكثير من الوقعات المهمة في مجريات الحدث التاريخي هناك ، وتصل الأمور معها إلى مفصلٍ تاريخي مهمّ حين تطالب بحق ما يظهر من خلاله أنه يُعتدى عليها فلا تُعطاه عند ذلك تخوض غمار الحرب فتحصل على ما تريد من حقّ ويظهر من الجبهة المقابلة أنها تخضع لمجموعة محدّدة من شروط جبهة أهل المشرق الخراسانية لكنّ الجبهة الخراسانية تظلّ مصرّة على الإستمرار بمسيرتها الحقّة وتخوض من أجل ذلك مجموعة من وقعات عسكرية

كبيرة ، من هنا تتحدّث الروايات عن تخطيط استراتيجي للوقوف في وجهها مرّةً
عبر الروم (وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى جبهةٍ مسيحيّةٍ غربيّةٍ سياسيّةٍ) ومرّةً
عبر الترك (وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى هذا العرق ، وهو موجود الآن في
أكثر من منطقة في العالم وهو الأكثر انتشاراً في جمهوريّات الإتحاد السوفيّاتي بعد
تفكّكه) ومرّةً عبر أحلافٍ دوليّةٍ مثل تصدّي السفيّاني لأهل المشرق وشنّ
الحرب اتجاههم وكما أشرنا فيما سبق فإنّ السفيّاني يأتي من بلاد الروم متنصّراً ،
أي هو مسلم لكنّه يوافق أهل الروم ربّما في الشقّ الاعتقادي السياسي لكنّه
بشكلٍ أكيدٍ يوافقهم في العمل تحت أطروحتهم الإستراتيجيّة ، حتى على عدم
فرضٍ تحوّلٍ الاعتقادي إلى النصرانيّة .. وتضيف الروايات أنّ هذه الراية الحقّة
لأهل خراسان ، بينما تقاتل من أجل فتح القدس ، وإذا بالترك (إشارة إلى هذا
العرق وما أكثره اليوم في عالمنا المعاصر) يغزون خراسان ، ويفتحون قسماً
رئيسيّاً منها ، ما يستدعي عودة قسم من الجيش الخراساني لإخراج الترك من
القسم المحتلّ من بلادهم .. وتقع هناك معارك كبرى في تلك المنطقة من العالم
وبشكلٍ معقّدٍ ومثيرٍ .. كما يظهر من الروايات أنّ الروم تتحرّك بشكلٍ واسعٍ
ضدّ الراية الخراسانيّة حين تصمّم على فتح القدس (إيلياء) .. بمعنى أنّ العالم
بشقيّ غربيّ وشرقيّ يتحرّك لمنع سقوط القدس ، في وقت تكون فيه الراية
الخراسانيّة تخوض حرباً ضروساً ضدّ اليهود ، إلا أنّ الراية الخراسانيّة تفتح القدس
بعد حربٍ طاحنة ، ففي الحديث عن النبيّ (ص) قال :

تخرج من خراسان راياتٌ سود ، فلا يردها

شيء ، حتى تنصب بإيلياء (القدس) ..^١

^١ صحيح الترمذي ٤/حديث ٢٢٦٩

وفي لفظٍ آخر قال :

فلا يلقاهم أحد إلا هزموه ، وغلبوا على ما في
أيديهم ، حتى تقرب رايأتهم بيت المقدس ..^١

وفي إشارةٍ إلى فتح القدس قال الإمام الباقر (ع) :

يجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح ..^٢

وفي هذه الحال من فتح القدس يهاجم الترك (.. ١) الأراضي الخراسانية
فيحتلون قسماً منها في ظلّ حربٍ وعنفيٍّ وسفكٍ وقتلٍ كبيرٍ .. وفي الرواية :

ثمّ يفتق عليهم فتقاً من خلفهم (أي أهل
خراسان) فتقبل طائفة منهم (أهل الترك) حتى
يدخاوا أرضَ خراسان ..^٣

هناك تختلّ مجموعة من شروط الحرب ، ويعود قسم من الجيش الخراساني
إلى خراسان ويدخل في مهادٍ معركةٍ هي الأعنف ، يقاتل أهل خراسان فيها على
الحقّ ، والترك على الباطل المدعوم بشكلٍ دوليٍّ .. وفي التعبير الروائي جاء :
بابان مفتوحان في الدنيا للجنة : عبادان وقزوين ..^٤

^١ ابراز التوهم المنكون / ١٠١

^٢ الغيبة للنعماني / ٢٧٩

^٣ الخاوي للمتذوي / ٦٧/٢

^٤ كنز العمال / ١٢ / ٣٥١٠٠

إشارة إلى حربِ ضروسٍ تكون هناك بين أهلِ الحقِّ والباطل ، لتؤكد على أنّ الدخول في تلك الحرب إلى جانبِ أهلِ خراسان هو اختيار لطريق الجنة بكلِّ توثيقاته ومعانيه .. وفي لفظٍ آخر جاء في الرواية : سيكون رباط بقزوين ، يشفع أحدهم من مثل ربيعة ومضر (إشارة إلى الكثرة) ..^١

وفي لفظٍ ثالثٍ : إنني لأعرف أقواماً يكونون في آخرِ الزمان ، قد اختلط الإيمان بلحومهم وبدمائهم ، يقاتلون في بلدةٍ يُقال لها قزوين ، تشتاقُ إليهم الجنةُ وتحنُّ ، كما تحنُّ الناقةُ إلى ولدها ..^٢

وفي أكثر من رواية إلى تلك الحرب التي يشنها أهلُ التركِ على أهلِ خراسان في حين تكون الروم على نحوٍ متشنجٍ لما يحصل في إيلياء ، ويكون العالم أشدَّ اضطراباً لذلك الحدث الأخطر ، الذي يُعلن للعالم فيه أنّ أهلِ خراسان احتلّوا القدس يقول الإمام الصادقُ (ع) : وويل لأهلِ قمّ من الترك .. استعينوا بالله من شرِّهم ..^٣ في إشارةٍ وتركيزٍ كبيرٍ على حربٍ وحقدٍ وفتكٍ وسفكٍ عنيفٍ من قبلِ الترك الذين يدخلون إلى قسمٍ من أراضي خراسان اعتراضاً على دخول الجيش الخراساني إلى القدس .. لكن بعد كلِّ هذا يكون الفرَجُ ، وفي التعبير الروائي : ومارقة تمرق من ناحيةِ الترك ويعقبها فرج ..^٤

ويظهر من مسرح الأحداث أنّ عالم التناقض السياسي في الميدان الدولي يأخذ مجراه في أكثر من ناحيةٍ ومقام ، من تلك الأمثلة أنّ الروم والترك يختلفان

^١ كثر العمال ١٢ حديث ٣٥٠٩٢

^٢ كثر العمال ١٢/٣٥٠٩٢

^٣ بشارة الإسلام ١٧٣ عن أمالي الطوسي ..

^٤ الغيبة للنعماني / ٢٧٩

في أكثر من عنوانٍ وهدفٍ واستراتيجيةٍ إلى درجة الصراع والعنف الواسع ، وفي الرواية : ... ويتخالف الترك والروم ، ويكثر الحرب في الأرض .. وينزل الترك الحيرة ، وينزل الروم فلسطين ..^١

لا شك أن هذه الرواية تشير إلى بُعدٍ آخر ، هو الحفاظ على نوعٍ مضمونٍ من النفوذ بين مراكز القوى ، وفق تقسيمٍ دولي ، أو محاولة إعادة فرز كياني إنتمائي ، أو محاولة للحفاظ على مكاسب ما ، من أجل تبرير حفظ المصلحة الاستراتيجية في ثبات الإنتماء الكياني التقسيمي للعالم .. ولا خلاف في أن الروم (كيان مسيحي سياسي غربي) تنزل أرض فلسطين بهدف الصدّ عن القدس التي يفتحها الله على أيدي أهل المشرق (أهل خراسان) .. وعلى هذا الأثر تضطرب المنطقة هناك بشدّة ، وتدور الحروب ، وتتوسّع بشكلٍ هائل ، في ظلّ ارتباطٍ استراتيجي بين أكثر من جهةٍ في المنطقة وبين مراكز القوى في العالم بالأخصّ الروم ، بل يُستفاد من النصوص أن الترك أيضاً ترى أن الأمر يتصل بمصالحها الاستراتيجية الحيويّة من هنا تشنّ حربها على أهل خراسان وتحتلّ قسماً منها .. وفي الرواية :

(.. ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح
(أي فتح القدس على يد الجيش الخراساني) .. ومارقة
تمرق من ناحية الترك ويعقبها فرج ، وستقبل مارقة
الروم حتى ينزلوا الرملة ... فأول أرض تخرب أرضُ
الشام ، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات ، راية

^١ بخار الأنوار ٢٠٧/٥

الأصهب ، وراية الأبقع ، وراية السفياي ، فيلتقي
السفياي بالأبقع فيقتلون فيقتله السفياي ومن تبعه ،
ويقتل الأصهب ، ثم لا يكون له همّة إلا الإقبال نحو
العراق ..) ..^١

في هذه الرواية إشارة نهائية إلى الفتح الكبير الذي يحققه الجيش الخراساني
للقدس وناحيّتها ، ثم إلى الترك واحتلالها قسماً من خراسان ، وإلى الروم
ونزولها في فلسطين ، وإلى رايات مختلفة وجيوش متشابكة في الشام .. وعليه :
يظهر أنّ للراية الخراسانية دوراً مركزياً في ميدان الصراع العسكري ، وفي كتابة
بمجموعة من التغيرات الدولية والتأثير بها بشكل كبير ، ما استدعي من العالم
التحرّك .. نعم يكون ذلك وفق ما أشرت إليه أعلاه من تعدّد الجبهات ، في ظلّ
تناقض سياسي مصلحي دولي بين الجبهات ، وهذا بطبيعة الحال تستفيد منه راية
أهل المشرق (الراية الخراسانية) في أكثر من ظرفٍ ومناخ ..

ثم إنّ هذه الراية الخراسانية التي تظلّ ظاهرةً بدينها ، عاملةً بكتاب الله
وسنة النبيّ (ص) تكون على نحوٍ مجهّزٍ ، وبتعبيرٍ آخر : تكون على مستوى يعزّز
مناعتها ، حيث تكون مؤمّنة شروط حفظ رسالتها وكيانها وثباتها على أمر
الشريعة وموائيقها من خلال حيازتها لأدوات ووسائل قادرة ، سواء في العسكر
أو الإقتصاد وشبه ذلك ، بما يوافق حركة التطوّر في هذه الأدوات ، كما أنّ
طبيعة المناخ الدولي والتعدّد في الجبهات والصراع العلني والضمّني يكون عاملاً
مساعداً إلا أنّ النصوص واضحة في أنّ هذه الأمة تكون على قدرٍ من الممانعة

^١ الغيبة للنعمان ١٩٤

حتى في طلب الحق . نعم الأمر يظلّ نسبياً في عالمٍ محكومٍ بالجورِ والفسادِ وسلطنةِ الجبتِ والطاغوتِ ، لكن لسانِ النصوصِ النبويّةِ يصرّ على أنّ أهلَ المشرقِ لهم من القدرةِ والثباتِ ما يجعلهم من عناصرِ التأثيرِ في وضعِ العالمِ آنذاك أو على الأقلِ ضمنِ منطقةِ الشرقِ الأوسطِ ، ففي الحديثِ الذي رواه عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ جاء فتية من بني هاشم فتغير لونه ، قلنا يا رسول الله ، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه ، فقال :

إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي هؤولاء ، سيلقون بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً ، حتى يأتي قوم من ها هنا من نحو المشرق ، أصحاب رايات سود ، يسألون الحق فلا يعطونه ، مرتين أو ثلاثاً ، فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوه ، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً . فمن أدرك ذلك منكم ، فليأتمم ولو حبوا على الثلج ، فإنه المهدي ..^١

أقول : الرواية متعدّدة ومروية في كلّ كتب الحديثِ وبأسانيد مختلفة ، وهي معتبرة وهي مع كلّ ذلك واضحة الإشارة إلى أمورٍ هي التالية :

١. أهلُ المشرقِ هم أصحابُ الراياتِ السود ، وهم أهلُ خراسان ، وهم الأمةُ المؤمنةُ المواليةُ لآلِ بيتِ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم . وهم الأمةُ التي تنتصر وتبايع المهدي ..

^١ ابن حماد : ص ٨٤

٢. ويكون لهم وجود كتلويّ أو جهويّ أو كيانيّ قبل ظهور المهديّ ، بل هم الأمة التي تظلّ ظاهرةً بدينها ، ممانعةً بأمرها إلى يوم الظهور .
٣. هم الموطؤون لظهور المهديّ (ع) ، يعملون بكتاب الله وسنة رسول الله وأهل بيته عليهم السلام .. لا يرضون به بديلاً ، يملكون من وسائل الحرب ، ما يعزز وجودهم من جهة ، ويحفظ حقوقهم ، أو على الأقلّ ذلك الذي يتصل بإقامة حكم الله وطلب الحقّ ، الوارد في نصوص النبيّ المتعدّدة .
٤. يظهر من النصوص أنّهم يطالبون بحقّ ما ، له أهميّة تستدعي دخول الحرب ، فترفض الجبهة الأخرى وتصرّ على الممانعة ، ويكون موضوع المطالبة متّصلاً بحقّ هو لأصحاب الرايات السود ، سواء كان الحقّ متعلّقاً بالمواثيق أو بحقّ سياسيّ أو إقتصاديّ أو إعتقاديّ أو ثقافيّ أو غيره فكلّ ذلك من أصناف الحقّ ..
٥. عند ذلك يخوضون حرباً مسلّحة فينتصرون ، فيعطون الحقّ فلا يقبلونه ويستمرّون في مسيرتهم الكفاحيّة تلك حتى يسلموا الراية إلى المهديّ وهذه إشارة مطلقة إلى الوثاقة الفكرية العقائديّة التشريعيّة بما عليه المهديّ وآباؤه عليهم السلام ..
٦. وعليه : تسجّل النصوص أنّ وجود هذه الفئة سيكون متّصلاً بما قبل وبعد ظهور المهديّ ، وأنهم يظلّون على الولاية بشكلٍ مطلق بل هم من المهديين لظهوره والموطّئين لذلك ، وهم بلا شكّ جند مفترض وفعلي للإمام عليه السلام بالإضافة إلى جنده ..
٧. يؤكّد النصّ وغيره من النصوص على صلةٍ أساسيّةٍ بين عنوانين : الأوّل مظلوميّة أهل البيت وتشردهم وقتلهم بعد وفاة النبيّ (ص) في طول

السلسلة بل في تعبير متناه في الدقة قال (ص) : وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً .. الثاني صلة رفع المظلومية بما هم عليه أصحاب الرايات السود من أهل المشرق ، ففيه قال (ص) : حتى يأتي قوم من ها هنا ، من نحو المشرق ، أصحاب رايات سود ، يسألون الحق فلا يعطونه ، مرتين أو ثلاثاً ، فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ما سألوا ، فلا يقبلوه ، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً . فمن أدرك ذلك منكم فليأتمم ولو حبوا على الثلج ، فإنه المهدي ..

٨. كلُّ هذا يؤكد أن هذه الفرقة التي تمثل كياناً سياسياً ما ، إنما هي فرقة متصلة بقيم ومعارف أهل البيت (ع) تقيم عهدها وصلاتها بما هم عليه في التشريع والإعتقاد حتى ظهور المهدي ..

وكتيجة عامة : سيكون هناك في ذلك العالم ، الذي عبّر عنه النبي (ص) بأنه ممتلئ بالجور والفساد ، أمة خراسانية من أهل المشرق ، مؤمنة ، ظاهرة بدينها ، متمسكة بقيم الشريعة ، تكابد المشقة والتعب كما في أكثر من تعبير وصيغة تؤدي إلى هذا المعنى ، لكنها تبقى عزيزة ، ممتنعة ، ظاهرة ، حتى ظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف .. وفي تعبير آخر متفق في المضمون مع النص السابق قال عبد الله بن مسعود :

أتينا رسول الله (ص) فخرج إلينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه ، فما سألناه عن شيء إلا أخبرنا به ، ولا سكتنا إلا ابتدأنا ، حتى مرت فتية من بني هاشم ، فيهم الحسن والحسين ، فلما رأهم التزمهم

وانهملت عيناه ، فقال : إنه سيلقى أهل بيتي من بعدي
تطريدا وتشريدا في البلاد ، حتى ترتفع رايات سود من
المشرق ، فيسألون الحق فلا يعطونه ، ثم يسألونه فلا
يعطونه ، ثم يسألونه فلا يعطونه ، فيقاتلون فينصرون .
فمن أدركه منكم أو من أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي
ولو حبوا على الثلج . فإنها رايات هدى يدفعونها إلى
رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي .. فيملك الأرض
فيملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ..^١

والذي أحب أن أشير إليه هو أن هناك بعضاً من الرواة حاول أن يشوّه
في بعض المعطيات إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً ، حيث كل النصوص بما فيها
النصوص التي رواها أهل العامة تقر بالمهديّ ، تقر بأنّه من سلالة النبيّ ، وآته من
ولد فاطمة وعليّ ، وآته هو الذي يملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً
وجوراً ، فلا يضرّ بذلك ما طلع به راوٍ بخروج المهديّ بجندٍ من أفريقيا بهدف
تشويه الحقائق ... ! عبر حشوٍ وزيادةٍ وشبه ذلك يُراد منها نوع خطير من أنواع
التزوير ..

وبخصوص أهل البيت أحب أن أوكد على طبيعة مجموعة من الروايات
منها قسم أوردته فيما سبق ، وهي تشير إلى نوع بارزٍ ومتصلٍ بالظلم الذي يقع
على أهل البيت ، وبشكلٍ صريحٍ على عليّ والحسن والحسين وسلالتهم ، وأنهم
سيلقون من بعد النبيّ تشريداً وقتلاً وظلماً كبيراً ، في ظلّ إدانةٍ كبرى من النبيّ

^١ الحاكم : ج ٤ ص ٤٦٤

وإصرارٍ نهائيٍّ على حقانيتهم في قيادة أمر الأمة ، وأن الأمر يبقى كذلك حتى خروج الرايات السود من أهل المشرق ونصرة الإمام المهدي عليه السلام .. الغرابة تكمن في أن إجماع الأمة على المهدي يستلزم بالنص الإجماع على ما قبله من عليٍّ وما يتصل به من الحسن والحسين وغيرهم عليهم السلام في ظل نصوص كثيرة ، متواترة في كتب الفريقين ، وبشكل نهائيٍّ ، تدلّ على حقهم الرباني في قيادة أمر الأمة وبيان الشريعة وتطبيقها .. وهذا لم يحصل ، بل قُتل أهل البيت وشُردوا وعُذبوا بشكلٍ غريبٍ ومستهجنٍ ..

وبعد كل هذا ، تأتي نصوص كل الأمة في كتب الفريقين من السنة والشيعه ، لتؤكد على طبيعة الإتصال الضروري والنهائي بين المهدي وأهل بيت النبي بشخص عليٍّ والحسن والحسين في القيادة والحكم وتطبيق الشريعة تحت ظل أمره .. ومن لطيف الإشارات هنا ، أن الصراع العنيف الذي حصل بعيد وفاة النبي (ص) في سقيفة بني ساعدة تمّ في وقتٍ لم يمض بعد على وفاة النبي سوى ساعات وذلك بين رموز شهيرة من المهاجرين والأنصار ولم يُحسم الأمر بينها بعد طول مرافعات وجدالٍ وتهديدٍ ووعيدٍ ومحاولة لقسمة الإرث السلطاني على شكل مجلس إمارة (منّا أمير ومنكم أمير) أو على شكل فوقية سلطوية وحدودية (منّا الأمراء ومنكم الوزراء) ، ما أدّى إلى نشوب نوع واضح من إمكان اللجوء إلى أدوات الإنقسام والحرب فما كان من أبي بكر إلا أن قال كلمته الشهيرة : ... يا معشر الأنصار : ألم يقل النبي (ص) : الأئمة من قريش إثني عشر .. هنا حُسم النقاش وبدأت الصورة بشكلها النهائي من العودة إلى النص في الولاية والحجة ذات الصلة بمنطق الوحي وبيان الأحكام وضرورات الإلتزام .. ما استدعى انهميار جانب الممانعة في منطق الأنصار ، الذين اعترفوا

بقول النبي (ص) في ظلّ فوضى عارمة كانت هناك لإتمام البيعة لواحدٍ من المهاجرين على أن لا يعدوا أبا بكرٍ أو عمر أو أبي عبيدة الجراح ، فمرةً يُقال هذا عُمر ، ومرةً يُقال هذا أبو عبيدة ، ومرةً يُقال هذا أبو بكر .. وتحت عنوان السبق إلى الفضيلة تسابقت قبيلتا الأوس والخزرج لتسجيل سابقةٍ في التاريخ للتنافس وبطريقةٍ فوضويةٍ على من سبق إلى الفضيلة المأخوذة على نحوٍ قبليّ ، فكان أن تمت البيعة لأبي بكر التي قال بها عمر فيما بعد : لقد كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وقى الله المسلمين شرّها ، ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه .. !

من هنا فإنّ موضوع مظلومية أهل البيت (ع) مثل الرأس الأوّل في مجموعة من نصوص البشارة بالإمام المهديّ مخصّص العالم ، ففي كثيرٍ من النصوص بدأ النبيّ بالإشارة إلى البلاء الذي يحلّ على أهل البيت .. وما يلفت النظر هو أنّ الأمة التي تظنّ ظاهرةً بدينها ، التي كثرت فيها الروايات بوصف أنّها من أهل المشرق ، من أصحاب الرايات السود ، تؤكّد فيها نصوص النبي صلّتها بالجانب الاعتقادي بولاية أهل البيت ، والعمل على رفع مقامهم العقائدي التشريعي كشعار في الحكم وقيادة المجتمع . أي إشارة متصلة بهذا العنوان من الولاية والالتزام بمواثيق الله وأهل البيت عليهم السلام ..

ولأنّ نصّ النبيّ في جنبه : مظلومية أهل البيت وبشارة المهديّ ، يبدو عليه الإتصال بشكلٍ وثيق ، في ظلّ تأكيدٍ نبويّ على أنّ أهل الرايات السود هم على ولاية أهل البيت ، وأنّهم يسلمون الراية للمهديّ .. لذا كان من ضروريّ البحث هنا والإشارة ولو بشكلٍ مختصرٍ إلى واقعةٍ واحدة جرت في السقيفة وما تبعها ، تدلّ على مظلومية أهل البيت .. لنصل فيما بعد إلى روح هويّة أهل المشرق .. وقد لاحت أولى معالم الخلاف حين ولّى النبيّ أسامة ابن زيد لقيادة

بعث لحرب الروم ، حيث أمره على جيش جمع فيه وجوه المهاجرين الاولين والانصار ، بمن فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقد عسكر أسامة بالجرف بالقرب من المدينة .. ومنذ تلك اللحظة ظهرت أمور غريبة فقد تكلم قوم وأنكروا هذا الأمر وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين .. ! فوصل ذلك إلى رسول الله (ص) فغضب غضباً شديداً ، وخرج معصباً ، فصعد المنبر وقال : ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولقد طعنتم في اماره أبيه قبله . وأيم الله انه كان للامارة خليفاً وان ابنه من بعده لخليق للامارة . ثم نزل (ص) فجاءه الذين عزموا على الخروج مع أسامة يودعونهم فمضوا إلى المعسكر . وقد اشتد المرض برسول الله (ص) ومع كل هذا ظل يردد على مسمع القوم : " انفذوا بعث أسامة " ... وفي يوم الأحد اشتد المرض برسول الله (ص) وفي يوم الاثنين أمر أسامة الجيش بالرحيل ، فجاءهم الخبر أن رسول الله (ص) يموت ، فأقبل أسامة وعمر وأبو عبيدة إلى المدينة .. هناك ، وفي ظل ذلك الظرف التاريخي شهد مجتمع المدينة مرحلة في غاية الأهمية ، فالنبي أراد في تلك اللحظات أن يوثق كل وصاياه بأمر الخلافة ، ومع أنه قد فعل بشكل متواتر من قبل ، لكن ظروف الإحتكاك والإمتعاض بين الأصحاب والتطلع نحو الحكم وشبهه حتم عليه أن يعيد التأكيد بخصوص علي من بعده وبشكل مكتوب ..

يقول ابن عباس :

لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال : هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ، قال عمر : إن النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب

الله ، فحسبنا كتاب الله .. ! واختلف أهل البيت
فمنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللفظ
والاختلاف ، قال : قوموا عني ، لا ينبغي عندي
التنازع .. وفي لفظٍ آخر قال : بكى ابن عباس حتى
خضب دمه الحصباء فقال : اشتد برسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وجعه ، فقال : آتوني بكتاب أكتب
لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا . فتنازعوا ، ولا ينبغي
عند نبي التنازع فقالوا : هجر رسول الله (ص) .. وفي
رواية ثالثة : كان ابن عباس يقول : إن الرزية كل
الرزية ، ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب
لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم ..¹

هكذا تلاشى كلُّ شيء ، وأتهم النبي مرةً بالهجر (ضيعان العقل) ومرةً
بغلبة الوجع والله تعالى يقول بحقه (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى
علمه شديد القوى) .. لكن الرجل (عمر بن الخطاب) أصرَّ على منع النبي من
كتابة كتابه الأخير ، في ظلَّ إصرارٍ من بعض وجوه المهاجرين على ملازمة أمر
المدينة تحسباً للأمر هذا ، وما يمكن ان يصير إليه أمر رسول الله ، خاصة أنهم
لاحظوا تأكيد النبي على ضرورة بقاء علي (ع) إلى جانبه في المدينة على غير
عادة كما لاحظوا ضرورة ذهاب وجوه المهاجرين القدماء والأنصار مع بعث
أسامة وتحت قيادته وبإصرارٍ من النبي .. وظلَّ الأمر متصلاً بحوادث مرض النبي

¹ ما رُود مأخوذ عن طبقات ابن سعد ط . بيروت ج ٢ / ١٩٠ - ١٩٢ والبخاري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم . باب حواتر
الوفد من كتاب الجهاد ، وباب اخراج اليهود من جزيرة العرب ، وفي صحيح مسلم ، كتاب الوصية ، باب ترك الوصية ..

حتى وفاته (ص) ، فقد توفي النبي (ص) منتصف نهار الاثنين ، وكان أبو بكر في أرض له تُدعى السنح ، وعمر حاضر ، فاستأذن عمر ودخل على النبي بعد وفاته مع المغيرة بن شعبة ، وكشف الثوب عن وجهه (ص) وقال : واغشياه ما أشد غشي رسول الله . فقال المغيرة : مات والله رسول الله (ص) فقال عمر : كذبت ما مات رسول الله ، ولكنك رجل تحوسك فتنة ، ولن يموت رسول الله حتى يفني المنافقين . ثم أخذ عمر يقول : إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي . إن رسول الله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى عن قومه وغاب أربعين ليلة ، والله ليرجعن رسول الله ، فليقطعن أيدي رجال ، وأرجل من يزعمون أنه مات . ثم قال : من قال انه مات علوت رأسه بسيفي ، وإنما ارتفع إلى السماء ... حتى جاء أبو بكر فتلا عليه قول الله (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ^١ فسكت عمر ولم ينطق بكلمة ..

وقال العباس بن عبد المطلب : إن رسول الله قد مات ، واني رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، وقال : هل عند أحدكم عهد من رسول الله (ص) في وفاته فليحدثنا ، قالوا : لا ، فقال : اشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهد إليه في وفاته فما زال عمر يتكلم حتى ازبد شذقاه حتى جاء الخليفة أبو بكر من السنح وتلا عليه : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..) فقال عمر : هذا في كتاب

^١ سورة آل عمران .

الله .. ؟ قال : نعم ، فسكت عمر .. !^١ (يا للعجب .. !) إلا أنَّ الحدث الأهمَّ كان في سقيفة بني ساعدة ... فقد اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وتبعهم جماعة من المهاجرين ولم يبقَ حول رسول الله (ص) إلا أقاربه على رأسهم الإمام علي بن أبي طالب والعباس وابنيه الفضل وقتم ، واسامة بن زيد ، وصالح مولى رسول الله ، وأوس بن خولى الانصاري ...

يقول عمر بن الخطَّاب : انه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ، ان الانصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، وخالف عنَّا عليّ والزبير ومن معهما فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى اخواننا الانصار ، فانطلقنا حتى أتيناهم ، فإذا رجل مزمل ، فقالوا هذا سعد بن عبادة يوعك ، فلما جلسنا قليلا ، تشهد خطيبهم فأثنى على الله ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله ، وكتيبة الاسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط ... فأردت ان أتكلم فقال أبو بكر على رسلك ، فتكلم هو . والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال مثلها أو أفضل . قال : ما ذكرت في من خير له أهل ، ولن يعرف هذا الامر الا لهذا الحيّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين (عمر وأبي عبدة) فبايعوا أيهما شئتم ، فأخذ بيدي وبيد أبي عبدة فلم أكره مما قال غيرها فقال قائل من الانصار : إنا جديلهما المحكك وعذيقها المرجب ، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . فكثر اللغظ وارتفعت الاصوات حتى خفتُ من الاختلاف فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته

^١ نجد ذلك في مسند أحمد ٦ / ٢١٩ وتاريخ الطبري ط . اروبا ١ / ١٨١٨ وتاريخ أبي الفداء ١ / ١٦٤ . وابن سعد في طبقاته ج ٢ ق ٥٧ / ٢ ، وفي كثر العمال ج ٤ / ٥٣ رقم الحديث ١٠٩٢ وابن كثير في ج ٥ / ٢٤٣ من تاريخه . وكتاب الغدير للاميني وابن ماجه والسيرة الخليلية ..

الانصار ونزونا على سعد بن عبادة إلى قوله : فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا .. !

الغريب لكل من يقرأ تلك المرافعة أن الروح القبليّة سيطرت بشكلٍ خطيرٍ على واقعها التاريخي الأخطر في الإحتجاج للحقّ على نسق : منا أمير ومنكم أمير . نحن الأمراء وأنتم الوزراء .. في ظلّ كارثة كبرى هناك ، حيث رسول الله ممدّد دون غسلٍ أو كفنٍ ، والقوم يضعون أيديهم على قوابض سيوفهم في خلافٍ شرسي على كرسي الحكم .. ! ونبيّ السماء بل غسلٍ ولا تكفين .. ! وقد جاء في رواية الطبري خير السقيفة وبيعة أبي بكر فقال :¹

اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة ، وتركوا جنازة الرسول يغسله أهله ، فقالوا : نولي هذا الامر بعد محمد (ص) سعد بن عبادة ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ... فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر سابقة الانصار في الدين وفضيلتهم في الاسلام ، واعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لأعدائه حتى استقامت العرب ، وتوفي الرسول وهو عنهم راضٍ ، وقال :

استبدوا بهذا الامر دون الناس ..

فأجابوه بأجمعهم : أن قد وفقت في الرأي ، وأصبت في القول ولن نعدوا ما رأيت ، نوليك هذا الامر ، ثم انهم تراّدوا الكلام بينهم ، فقالوا : فإن أبت مهاجرة قريش ، فقالوا نحن المهاجرون ، وصحابة رسول الله الاولون ، ونحن عشيرته ، وأولياؤه ، فعلاماً تنازعونا هذا الامر بعده .. ؟ فقالت طائفة

¹ راجع النص لابن سعد في الطبقات : ج ٢ / ٢ ق ٧٠ . وكثر العمال ج ٤ / ٥٤ و ٦٠ ، الفريد ٣ / ٦١ وقريب منه نص الذهبي في تاريخه وتاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول ...

منهم : فإنا نقول إذا : منا أمير ومنكم أمير ، فقال سعد بن عبادة : هذا أول الوهن . سمع أبو بكر وعمر بذلك فأسرعا إلى السقيفة مع أبي عبدة بن الجراح والنخاز معهم أسيد بن حضير ، وعويم بن ساعدة ، وعاصم بن عدي من بني العجلان .. إلى أن وصلوا إلى السقيفة فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرسول دون جميع العرب ، وقال :

هم أول من عبد الله في الارض وآمن بالرسول
وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده ،
ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ..

ثم ذكر فضيلة الانصار وقال :

ليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم
فنحن الامراء ، وأنتم الوزراء ..

فقام الحباب بن المنذر وقال :

يا معشر الانصار ، أملكوا عليكم أمركم ، فإن
الناس في فيئكم ، وفي ظللكم ، ولن يجترئ مجترئ على
خلافكم ، ولا تختلفوا ، فيفسد عليكم رأيكم وينتقض
عليكم أمركم ، فان أبي هؤلاء إلا ما سمعتم فمننا أمير
ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات .. ! لا يجتمع سيفان اثنان في قرن ... والله لا
ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم (.. !) ولكن العرب لا تمتنع أن

تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ، وولي أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبي الحجة الظاهرة والسلطان المبين .. من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مُدَلِّ بباطل ، أو متجانفٍ لِإِثْمٍ ، أو متورط في هلكة .

فقام الحباب بن المنذر وقال : يا معشر الانصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر ، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم ، فاجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الامور ، فأنتم والله أحق بهذا الامر منهم ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به . أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، أما والله لو شئتم لنعيدنما جذعة . فقال عمر ابن الخطاب : إذا يقتلك الله . قال : بل إياك يقتل . فقال أبو عبيدة : يا معشر الانصار ، إنكم كنتم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدّل وغير ..

فقام بشير بن سعد الخزرجي أبو نعمان بن بشير فقال : يا معشر الانصار ، إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبيّنا ، والكدح لأنفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا ، فإن الله ولي النعمة علينا بذلك ، ألا إنَّ مُحَمَّدًا (ص) من قريش ، وقومه أحق به وأولى ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الامر أبدا ، فاتقوا الله ، ولا تخالفوهم ، ولا تنازعوهم ..

فقال أبو بكر : هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا ، فقالا : والله لا نتولى هذا الامر عليك .. وقام عبد الرحمن بن عوف وتكلم فقال : يا معشر الانصار إنكم وإن كنتم على فضل ، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعليّ .. !

وقام المنذر بن الارقم فقال : ما ندفع فضل من ذكرت ، وإن فيهم لرجلاً (علي بن أبي طالب) لو طلب هذا الامر لم ينازعه فيه أحد - يعني علي بن أبي طالب ..^١

فقلت بعض الانصار : لا نبايع إلا عليا .. وقد قال عمر : فكثرت اللغظ وارتفعت الاصوات ، حتى تخوفت الاختلاف فقلت (لأبي بكر) ابسط يدك لا بايعك ، فلما ذهب لبيباياه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه ، فناداه الحباب بن المنذر : يا بشير بن سعد عقت عقاق .. ! أنفست على ابن عمك الامارة .. ! فقال : لا والله ولكني كرهت أن أنازع قوما حقاً جعله الله لهم .

ولما رأت الاوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عباد ، قال بعضهم لبعض ، وفيهم أسيد ابن حضير وكان أحد النقباء : والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر . فقاموا إليه فبايعوه ، فانكسر على سعد بن عباد وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم .. فأقبل الناس من كل جانب يبائعون أبا بكر وكادوا يطؤون سعد بن عباد . فقال أناس من أصحاب سعد : اتقوا سعدا ، لا تطؤوه . فقال عمر : اقتلوه قتله الله . ثم قام على رأسه فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك . فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال : والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة . فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر ، الرفق ها هنا أبلغ . فأعرض عنه عمر ..

^١ رواه يعقوب بعد ذكر ما تقدم في ص ١٠٣ ج ٢ من تاريخه والموقفيات للزبير بن بكار ، ص ٥٧٩ . في رواية الطبري ج ٣ ص ٢٠٨ وابن الأثير ٢ / ١٢٣ " أن الانصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبا بكر " . وسيرة ابن هشام ٤ / ٣٣٦ .

وقال سعد : أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يجحرك وأصحابك : أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع ، احمولوني من هذا المكان فحملوه فأدخلوه داره ..

وروى أبو بكر الجوهري : أن عمر كان يومئذ (يعني يوم بويع أبو بكر) محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول : ألا إن الناس قد بايعوا أبا بكر ..

وفي رواية أبي بكر في شرح ما جرى في السقيفة قال :

لما رأت الأوس أن رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع ، قام أسيد بن حضير وهو رئيس الأوس فبايع حسداً لسعد ومنافسة له أن يلي الامر .

بايع الناس أبا بكر ، وأتوا به المسجد يبايعونه ، فسمع العباس وعلي التكبير في المسجد ولم يفرغوا بعد من تغسيل رسول الله (ص) فقال عليّ : .. ما هذا .. ؟ فقال العباس : قلت لك ..! وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال : يا معشر بني هاشم ، بويع أبو بكر . فقال بعضهم لبعض : ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمد ..! فقال العباس : فعلوها ورب الكعبة ! وكان عامة المهاجرين وجلّ الانصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الامر بعد رسول الله (ص) وكان المهاجرون والانصار " لا يشكون في علي " ...

وروى الطبري : أن أسلم (قبيلة أسلم) أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك ، فبايعوا أبا بكر ، فكان عمر يقول : ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت

بالنصر .. (إشارة إلى أن قبيلة أسلم سيطرت على الأرض وحملت السيف وأصرّت على إتمام البيعة وفق ما جرى في السقيفة) .. إلى هذا الحد وصلت الأمور ، إلى حدّ الخروج بالسلاح والجبر وما زال جسد رسول الله ممدداً .. !

فلما بُويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفاً إلى مسجد رسول الله (ص) ورسول الله على مغتسله وحيداً بين يدي عليّ والعباس .. ! فصعد أبو بكر على منبر رسول الله (ص) فبايعه الناس حتى أمسى ، وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء ..^١

ثم بعد ذلك كانت البيعة العامة .. فبعدهما بُويع أبو بكر في السقيفة وكان في الغد جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه .. وذكر أن قوله بالامس لم يكن من كتاب الله ، ولا عهداً من رسوله — (.. ! بطبيعة الحال مُنع رسول الله من كتابة الكتاب ، كما مُنع الناس من ذكر أحاديث الوصية في حقّ عليّ) — ولكنه كان يرى أن الرسول (ص) سيدبّر أمرهم ويكون آخرهم .. ثم قال إنّ الله قد أبقى فيكم كتابه ، الذي به هدى رسوله ، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله (ص) ثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه .. فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة .

وفي البخاري : وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة ، وكانت بيعة أبي بكر العامة على المنبر .. قال أنس بن مالك : سمعت

^١ ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣ : ٦٣ ، وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد عنه في ج ١ / ١٣٢ ويروي تفصيله في ٧٤ منه والزبير بن بكار في الموفقيات كما يروي عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ في شرحه ..

عمر يقول لأبي بكر يومئذ : إصعد المنبر ... فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة (.. !) . ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإنني قد وليت عليكم ولست بخيركم (! ..) فان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني — إلى قوله — : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ...

وقد توفي رسول الله يوم الاثنين حين زاغت الشمس ، فانشغل الناس عن دفنه بقية يوم الاثنين حتى عصر الثلاثاء بَحْطَبِ السَّقِيفَةِ ، ثم بيعة أبي بكر الأولى ثم بيعته العامة حتى صلى بهم ... ولما بُويِعَ أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله (ص) يوم الثلاثاء ، فدخل الناس يصلون عليه زمراً زمراً ..

وإنَّ أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي (! ..) وقد قالت عائشة : ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ليلة الأربعاء .. ولم يله إلا أقاربه . ولقد سمعت بنو غنم صريف المساحي حين حضر وإثم لفي بيوتهم ..^١ وقال شيوخ الانصار من بني غنم : (.. سمعنا صوت المساحي آخر الليل ..) .

وقال الزبير بن بكار في الموفقيات : لما بويِعَ أبو بكر واستقر أمره ، ندم قومٌ كثير من الانصار على بيعته ولأم بعضهم بعضاً ، وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه .

^١ سيرة ابن هشام : ٤ / ٣٤٣ والظري : ٢ / ٤٥٠ (وط . اروبا ج ١ / ١٨٣٠) . وابن الأثير : ٢ / ١٢٦ . وابن كثير : ٥ / ٢٤٨ . والخبية : ٣ / ٣٩٢ و ٣٩٤ .

وقال اليعقوبي : تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار ومالوا مع علي بن أبي طالب ، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، ونخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب ... فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة فقال : ما الرأي .. ؟ قالوا : الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الامر نصيباً ، يكون له ولعقبه من بعده ، فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب ، وتكون لكما حجة على علي إذا مال معكم . فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلاً ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ، ثم قال :

إن الله بعث محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً ، فمن عليهم بكونه بين أظهرهم حتى اختار له ما عنده فخلّى على الناس أمورهم ، ليختاروا لانفسهم في مصلحتهم مشفقين فاختاروني عليهم والياً ولأموارهم راعياً ، فولّيت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهنأ ، ولا حيرة ، ولا جُبنا وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، وما أنفك يبلغني عن طاعن بقول الخلفاء على عامة المسلمين يتخذكم لَجاً فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع ، فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه ، وإما صرفتموهم عما مالوا إليه ، ولقد جئناك ، ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيباً ، يكون

لك ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنتَ عمَّ رسول
الله ، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك
فعدلوا الامر عنكم " على رسلكم بني هاشم " فإن
رسول الله منَّا ومنكم .

فقال عمر بن الخطاب : وأخرى ، إنا لم نأتكم لحاجة إليكم ، ولكن
كرهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتفاقم الخطب بكم
وبهم ، فانظروا لأنفسكم .. !

لما انتهى أبو بكرٍ وعمر من كلامهما حمد العباسُ الله تعالى وأنشئ عليه ثمَّ

قال :

إن الله بعث محمداً (ص) كما وصفت نبياً ،
وللمؤمنين ولياً ، فمنَّ على أمته به ،
حتى قبضه الله إليه ، واختار له ما عنده ،
فخلى على المسلمين أمورهم ،
ليختاروا لأنفسهم مصيبي الحق ،
لا مائلين بزيغ الهوى ،
فإن كنتَ برسول الله طلبت ، فحقنا أخذت ،
وإن كنت بالمؤمنين أخذت فنحن منهم ،
فما تقدمنا في أمرك فرطاً ، ولا حللنا وسطاً ،
ولا برحنا سخطاً ،

وإن كان هذا الامر وجب لك بالمؤمنين ، فما وجب إذا كنا
كارهين .

ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك ، من قولك أنهم اختاروك
ومالوا إليك ، (!..)

وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلّي على الناس
أمورهم ليختاروا فاختاروك ، (!..)

فأما ما قلت : إنك تجعله لي ، فإن كان حقاً للمؤمنين ، فليس
لك أن تحكم فيه ،

وإن كان لنا ، فلم نرضَ ببعضه دون بعض ،
وعلى رسلك ،

فإن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها ..

فجرى جدال بينهم لم يقوَ عليه أبو بكرٍ ولا عمر ، وخرجوا من عنده
غاضبين ، ومنذ تلك اللحظة قرروا اللجوء إلى الجند من أجل إرغام الإمام علي
وأهل بيت رسول الله وباقي الأصحاب على بيعة أبي بكر ..

وعليه : تحرك عمر بن الخطاب لإستقطاب واقع الحال ، خاصة أن
وجوهاً كثيرةً من المهاجرين والأنصار نادى أن علياً لم يُبايع ، عليكم بعلي ..
وقد اتفقت كتبُ الخاصة والعامة أن شيوخ الأنصار والمهاجرين كانوا يرون أن
الأمر لا يعدو علياً لولا الذي جرى في سقيفة بني ساعدة ، وعلى حدّ عمر
كانت بيعة أبي بكر " فلتة " (!..) وقى الله المسلمين شرّها ، ومن عاد إلى
مثلها فاقتلوه ..

ولأنّ الأمور أضحت متّصلة بضرورة بيعة الإمام علي (ع) فقد أصرّ أبو بكر وعمر على الإمام عليّ بالبيعة وقد وصل الأمر إلى حدّ التهديد بكشف بيت فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) وإحراقه بالنار ، والنبّي ما زال جديداً عهد بالرحيل عن الدنيا .. ! وفي رواية عمر قال : وإنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيّه أن علياً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنا في بيت فاطمة .. وذكر المؤرخون في عداد من تخلّف عن بيعة أبي بكر وتحصن بدار فاطمة مع علي والزبير كلاً من العباس بن عبد المطلب ، عتبة بن أبي لهب ، سلمان الفارسي ، أبو ذر الغفاري ، عمار بن ياسر ، المقداد بن الاسود ، البراء بن عازب ، أبيّ بن كعب ، سعد بن أبي وقاص ، طلحة بن عبيد الله . وجماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والانصار .^١

وروى البلاذري فقال : بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى عليّ (ع) حين قعد عن بيعته وقال : ائتني به بأعنف العنف ، فلما أتاه جرى بينهما كلام ، فقال (ع) : احلب حلباً لك شطره ، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك غداً .. !

^١ صرحت المصادر الآتية بالإضافة إلى المصادر المذكورة أنّها أن هؤلاء كانوا قد تخلّفوا عن بيعة أبي بكر واجتمعوا بدار فاطمة . ومن هذه المصادر ما ذكرت اسم بعضهم وانهم إنما اجتمعوا ليبياعوا علياً ، الرياض النضرة ١ / ١٦٧ وتاريخ الخميس ١ / ١٨٨ ، وابن عبد ربه ٣ / ٦٤ ، وتاريخ أبي الفداء ١ / ١٥٦ وابن شحنة بهامش الكامل ١١٢ ، والجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٠ - ١٣٤ والخلية ٣ / ٣٩٤ و ٣٩٧ . (٢) أنساب الاشراف ج ١ ص ٥٨٧ . (٣) الطبري ٢ / ٦١٩ (وط . ارونا ١ / ٢١٤٠) عند ذكره وفاة أبي بكر ، ومروج الذهب ١ / ٤١٤ ؟ وابن عبد ربه ٣ / ٦٩ عند ذكره استخلاف أبي بكر لعمر ، والكثير ٣ / ١٣٥ ومنتخب الكثر ج ٢ / ١٧١ ، والامامة والسياسة ١ / ١٨ ، والكامل للمبرد حسب رواية ابن أبي الحديد ١ / ١٣٠ - ١٣١ وقد ذكر أبو عبيد في الاموال ص ١٣١ قول أبي بكر هكذا : " أما الثلاث التي فعلتها فوددت أني لم أكن فعلت كذا وكذا - فخلت ذكرها - قال أبو عبيد : لا أريد ذكرها " انتهى وأبو بكر الجوهري برواية النهج ج ٩ ص ١٣٠ . ولسان الميزان ٤ ص ١٨٩ وراجع ترجمة أبي بكر في ابن عساکر ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ، وتاريخ الذهب ١ / ٣٨٨ . (٤) ج ٢ : ص ١١٥ .

وقد قال أبو بكر في مرض موته :

أما إني لا آسى على شئ في الدنيا إلا على
ثلاث فعلتهن ، وددت أني لم أفعلهن إلى أن قال :
وددت أني لم أكشف عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق
على حرب ... (وهذا إقرار تاريخي متكرر على لسان
أبي بكر قبيل وفاته وفي أهم الكتب الموثقة عند الفريقين
من السنة والشيعه أنه كشف بيت فاطمة الزهراء
وجرى فيه ما جرى على بنت رسول الله من كسر
الضلع وإسقاط الجنين ودخول المسمار في صدرها وهي
التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها .. ١) .

وفي اليعقوبي قال قال أبو بكر :

وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله
وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب ..

وقد عدَّ المؤرخون من الرجال الذين دخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله
(ص) عنوة كلاً من : عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف
وثابت بن قيس ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وسلمة بن أسلم وأسيد بن
حضير ... وقد ذكروا كيفية كشف بيت فاطمة الزهراء وما جرى للمتحصنين
فيه : إنه غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم علي بن أبي طالب
والزبير فدخلا بيت فاطمة ومعهما السلاح ، وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من
المهاجرين والانصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت
رسول الله ، وإثم إنما اجتمعوا ليبايعوا عليا ، فبعث إليهم أبو بكر عمر بن

الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة ، وقال له : إن أبوا فقاتلهم . فأقبل بقبس من نار علي أن يضرهم عليهم الدار ، فلقيتهم فاطمة فقالت : يا بن الخطاب أجمت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم أو تدخلوا في ما دخلت فيه الامة .. !

وفي أنساب الاشراف : فتلقته فاطمة على الباب ، فقالت فاطمة : يا بن الخطاب أترك مُحرقاً عليّ بابي .. ! قال : نعم .. ! (أي جرأة هذه وفاطمة يغضبُ الله لغضبها ويرضى لرضاها .. !) والى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد الله بن الزبير فيما جرى له مع بني هاشم وحصره إياهم في الشعب وجمعه الحطب لإحراقهم ، ليدخلوا في طاعته كما أَرهَب بني هاشم وجمع لهم الحطب لتحريقهم إذ هم أبوا البيعة في ما سلف ... يعني ما سلف لبني هاشم من قضية الحطب والنار عند امتناعهم عن بيعة أبي بكر ، وفي هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم :

وقولةٌ لعلِّي قالها عمر :

أكرمٌ بسامعها أعظمٌ بملقيها

حرقت دارك لا أبقي عليك بها

إن لم تبايع و بنتُ المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها

أمامَ فارسِ عدنانٍ وحاميتها ..

وقال اليعقوبي في تاريخه : " .. فأتوا

في جماعةٍ ، حتى هجموا على الدار .. (إلى

قوله (وكسر سيفه - أي سيف الزبير -
ودخلوا الدار .. ! " ..^١

وقال الطبري : " أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ،
ورجال من المهاجرين ، فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف فعثر فسقط السيف من
يده فوثبوا عليه فأخذوه .. " .

وفي حديث الإمام علي قال :

أنا عبد الله وأخو رسول الله .. حتى انتهوا به
إلى أبي بكر فقبل له بايع ، فقال : أنا أحق بهذا الامر
منكم ، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا
الامر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول
الله ، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الامارة ، وأنا
أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار ،
فانصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم ، واعرفوا لنا
من الامر مثل ما عرفت الانصار لكم ، وإلا فبوءوا
بالظلم وأنتم تعلمون .

^١ للوقوف على هذا الموضوع بصورته المجملة راجع : الرياض النضرة : وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١ / ١٣٢ و ٦ ص
٢٩٣ والخميس ج ١ ص ١٨٨ . (٢) يعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٠٥ . (٣) ابن شحنة ، ص ١١٣ ، هامش الكامل ج ١١ ، وابن
أبي الحديد ، ج ١ ، ص ١٣٤ . (٤) ابن عبد ربه ، ج ٣ ، ص ٦٤ ، وأبو الفداء ، ج ١ ، ص ١٥٦ . (٥) أنساب الأشراف ،
ج ١ ، ص ٥٨٦ . وراجع كثر العمال ٣ / ١٤٠ والرياض النضرة ، ج ١ ، ص ١٦٧ وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ، ج
١ / ١٣٢ وج ٦ في الصفحة الثانية منه ، والخميس ج ١ / ١٧٨ ، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ج ١ / ١٣٤ . وتاريخ
ابن أبي شحنة ، ص ١١٣ هامش الكامل ، ج ١١ . (٦) مروج الذهب ٢ ص ١٠٠ وأورده ابن أبي الحديد في ج ٢٠ ص ٤٨١
ط إيران عند شرحه قول الأمير : " ما زال الزبير منا حتى نشأ ابنه " . (٧) يعقوبي ٢ / ١٠٥ .

فقال عمر : إنك لست متروكاً حتى تباع ،
فقال له علي : احلب يا عمر حلباً لك شطره ، اشدد
له اليوم أمره ليردّ عليك غدا . لا والله ، لا أقبل قولك
ولا أتابعه ، فقال له أبو بكر : فإن لم تباعني لم أكرهك
فقال له أبو عبيدة . يا أبا الحسن انك حدث السن ،
وهؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم
ومعرفتهم بالامور ، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على
هذا الامر منك ، وأشد احتمالاً له واضطلاماً به ،
فسلم له هذا الامر وارض به ، فإنك إن تعش ويطل
عمرك فأنت لهذا الامر الخليق ، وعليه حقيق في فضلك
وقرابتك وسابقتك وجهادك .

فقال علي : يا معشر المهاجرين الله الله ، لا
تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم
ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه
فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا
الامر منكم ما كان منا القارئ لكتاب الله الفقيه لدين
الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعية . والله إنّه لفينا
فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا .

فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته
منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف

عليك اثنان ، ولكنهم قد بايعوا .. وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع ...^١

وقد روى هذه الحوادث أبو بكر الجوهري ، منها : ورأت فاطمة ما صنع بهما - أي بعلي والزبير - فقامت على باب الحجره وقالت : يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم علي أهل بيت رسول الله ، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله .. وفي رواية أخرى : " وخرجت فاطمة تبكي ، وتصيح فنهت من الناس " ...

وقال المسعودي : " لما بويع أبو بكر في السقيفة ، وجددت له البيعة يوم الثلاثاء ، خرج عليّ (ع) فقال : أفسدت علينا أمورنا ، ولم تستشر ، ولم ترع لنا حقاً .. ! " فقال أبو بكر : " بلى ، ولكني خشيت الفتنة .. " (!..)

وروى معمر عن الزهري عن عائشة في حديثها عما جرى بين فاطمة وأبي بكر حول ميراث النبي صلى الله عليه وآله فقال قالت عائشة : فهجرته فاطمة ، فلم تكلمه حتى توفيت (.. !) وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها ، ولم يؤذن بها أبا بكر (.. !) .. وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علي . ومكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله (ص) ثم توفيت .. قال معمر : فقال رجل

^١ الطبري ٢ / ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٦ (وط . أوروبا ١ / ١٨١٨ و ١٨٢٠ و ١٨٢٢) وقد أوردته العقاد في عبقرية عمر ص ١٧٣ ، وذكر كسر سيف الزبير المحب الطبري في الرياض النظرية ١٦٧ ، والخميس ، ١ / ١٨٨ ، وابن أبي الحديد ج ١ / ١٢٢ و ١٣٢ و ١٣٤ و ٥٨ وج ٦ في الصفحة الثانية ، وكثر العمال ج ٣ ص ١٢٨ .

^٢ برواية ابن أبي الحديد ج ١ / ١٣٤ و ٢٨٦ / ٦ . (٢) السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ج ١ / ١٣٤ . (٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٥ . (٤) مروج الذهب ج ١ / ٤١٤ ، والامامة والسياسة ج ١ / ١٢ - ١٤ مع اختلاف . (٥) تاريخ اليعقوبي ج ٢ / ١٠٥ ، وفي شرح النهج ج ٢ / ٤ . (٦) أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد ج ٦ ص ٢٨ ، وابن قتيبة ج ١ / ١٢ .

للزهري : فلم يبايعه عليّ ستة أشهر .. ؟ قال : لا ، ولا أحد من بني هاشم ، حتى يبايعه عليّ ..

وتجدرُ الإشارةُ إلى أن النصوص التي قالها النبيُّ (ص) بحقّ عليّ (ع) ومباشرةً في ولايته من بعده أكثر من أن تحصى وهي باعتراف الفريقين متواترة لا شك فيها ... في حين كلّ ما تلوت عليك من التاريخ وما حدث بعد وفاة رسول الله في السقيفة الكلُّ يعتذر منه مرّةً بالفلتة ، ومرّةً بسبق البيعة دون تروٍّ وثالثةً لنسيان الأمر ، ورابعةً خوفاً من فتنة ، وخامسةً حسماً لأمر الجماعة .. وبين هذه وتلك يقرّ شيوخ المهاجرين والأنصار وعليّ رأسهم أبو بكر وعمر بأحقية عليّ (ع) بالنصّ من النبيّ (ص) ، لكنهم يعتذرون علانيةً أن المشكلة في قریش .. ! لقد كانت هذه واحدة من العناوين الكبرى التي أشار فيها النبيّ الى البلاء الذي سيلقاه أهل بيته بعده .. بلاء وصل الأمر فيه إلى اغتيال الإمام عليّ في محراب الكوفة ضرباً بالسيف ، إلى حدّ أن معاوية أشاع في الشام أن عليّاً لا يصلّي .. ! بلاء وصل فيه الأمر إلى حكم بني أمية ، إلى الوليد وهو يرمي القرآن بسهامه وينشدُ قائلاً :

تهدّدي بجبارٍ عنيدي ،

ها أنا ذا جبارٌ عنيدي ،

إذا جئت ربك يوم حشرٍ ،

فقل يا ربّ مزقني الوليدُ ،

وصل الأمر إلى حدّ الهجوم على دار فاطمة الزهراء التي يقول بحقّها رسول الله : (فاطمة يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها) فأحرقوا دارها

بالنار وكسروا ضلعها واسقطوا جنينها .. ! إلى درجة أوصت فيها فاطمة (ع) أن تُدفنَ في الليلِ سرّاً ، وأن لا يمشي وراءها ولا يصلي عليها أيُّ من القوم الذين ظلموها .. ! وهي التي قرَنَ اللهُ تعالى رضاهُ برضاها ، لما هي عليه من عصمةٍ وطهرٍ وحقٍّ ويقينٍ .. وصل الأمر إلى حدِّ قتل الإمام الحسن بالسمِّ ، إلى حدِّ ذبح الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه بشكلٍ يهزُّ السماء ويزلزل الأرض .. وصولاً إلى الإمام العسكري .. كلُّ ذلك جرى وفي كتب الفريقين وصية النبي يتلوها عن ظهر قلبٍ وبأسانيد صحيحة وثابتةٍ ونهائيةٍ :

إني تارك فيكم الثقلين : كتابَ الله وعترتي أهل بيتي ، لا يفترقان حتى يردها عليَّ الحوض ، ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً ..

والمسلمون يردِّدون قول النبي بحقِّ عليٍّ يوم غدِير خَمِّ المنقولِ بشكلٍ متواترٍ في كتب الفريقين : من كنتُ مولاهُ ، هذا عليٌّ مولاهُ ، اللهم والِ من والاهُ ، وعادِ من عاداهُ ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحقَّ معهُ كيفما دار .. وفي الجهة الأخرى دارُ عليٍّ تحت ظلِّ الجندِ الذي أضرم منزل فاطمة بالنار .. ! لقد بدت مظلومية أهل البيت بكلِّ خطورتها ومآسيها كبيرةً ومذهلةً وغريبةً كلَّ الغرابة .. ! لقد كان النبي وبأحاديث كثيرة يذكر أمته بأهل بيته : بعليٍّ ، بفاطمة ، بالحسن والحسين ، بأولاد الحسين ..

وفي كثيرٍ من تلك النصوص الموجهة إلى أهل آخرِ الزمن كان يربط بين بلاءٍ عظيمٍ يقعُ على أهل البيت (ع) وبين رايةٍ سوداءٍ من أهل المشرقٍ تنتصر لهم وتسلم الراية للمهدي .. لقد ذكر ابن حماد عن العلاء بن عتبة عن الحسن أن

رسول الله (ص) ذكر بلاءً يلقاه أهل بيته عليهم السلام ، حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء ، من نصرها نصره الله ، ومن خذلها خذله الله ، حتى يأتوا رجلاً اسمه كإسمي ، فيولونه أمرهم ، فيؤيده الله وينصره ..^١

وفي حديثٍ آخر : إن رسول الله (ص) أتى ذات يوم ، ويده في يد علي بن أبي طالب (ع) ولقيه رجل إذ قال له : يا فلان لا تسبوا علياً فإنه من سبه فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، إنه والله يا فلان لا يؤمن بما يكون من عليّ في آخر الزمان إلا ملك مقرب أو عبد قد امتحن الله قلبه للايمان ، يا فلان إنه سيصيب ولد عبد المطلب بلاء شديد ، وإثرة وقتل وتشريد ، فالله الله يا فلان في أصحابي وذريتي وذمتي ، فإن لله يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم ..^٢ إشارة إلى ما في مضمون النصوص التي تلونها عليك فيما سبق والتي تتضمن تارة المهديّ والرايات السود التي تطلب الحقّ فلا تُعطاهُ إلى أن تضع سيوفها على عواتقها فتقاتل عليه إلى أن تنتصر .. وفي الرواية عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال : قال رسول الله (ص) :

يخرج ناس من المشرق ، فيوطنون للمهدي ..^٣ وفي نص ثاني قال (ص) : تجيء الرايات السود من قبل المشرق ، كأن قلوبهم زبر الحديد ، فمن سمع بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبوا على الثلج ..^٤

^١ ابن حماد : ص ٨٥

^٢ تفسير فوات : ١٦٥

^٣ ابن ماجه : ج ٢ ص ١٣٦٨ ، ٣٤ ، ٤٠٨٨

^٤ عقد الدرر : ص ١٢٩ ، ٥ عن أبي نعيم في صفة المهدي

إنَّها إشارةٌ نهائيةٌ إلى رايةٍ ذاتِ حقٍّ مقدَّسٍ وعالٍ ، وهذا الحقُّ متَّصلٌ بما عليه ظهورُ المهديِّ عليه السلام .. بل فيها تأكيدٌ على الروحِ الاعتقاديَّةِ والثباتِ الخارجيِّ لهؤلاءِ ، هذا الذي تدلُّ عليه مجموعةٌ واسعةٌ من نصوصِ النبيِّ مثل : قلوبهم كزبر الحديد ، يظلمون ظاهرين ، يقاتلون فينتصرون .. وتكمنُ أهميَّةُ هذه الرايةِ السوداءِ أي رايةِ أهلِ المشرقِ الخراسانيَّةِ في أنَّهم معروفون في دعوتِهِم إلى الله وإلى موثيقِ السماء .. من هنا فرَّعَ النبيُّ على ذلك ضرورةَ مبايعتِهِم ومناصرتِهِم ، وفي تعبيرِهِ " ولو حبواً على الثلج " تأكيدٌ كاملٌ منه (ص) على وجوبِ نصرتِهِم ، ودعمِهِم ، والوقوفِ معهم ، لا مجردَ الحبِّ لهم من دونِ أيِّ شيءٍ آخر .. نعم تنفيذُ المبايعةِ والنصرةِ والدعمِ إنَّما هو أمرٌ متَّصلٌ بحاجةِ الواقعِ وما عليه طبيعةُ الصلةِ في الزمانِ ذاك .. من هنا يكونُ تقديمُ النصرَةِ مرتباً بعناوينِ وخصائصِ موضوعيَّةِ يقدِّرها شأنُ الزمنِ الذي يكونونَ فيه .. إلا أنَّ هذا الوضعَ المتَّصلَ بشأنِ الظرفِ الموضوعيِّ لا يحولُ نهائيّاً دونَ المبايعةِ ، فالمبايعةُ تعني روحَ الاعتقادِ ، تعني الدعمَ القلبيِّ والمعنويِّ والماليِّ والجسديِّ وغيره ، تعني التسليمَ النهائيَّ بوضعِ كلِّ شيءٍ بين يدي هذهِ الرايةِ وضمنَ حاجاتها وأهدافها وبرامجها ، من نفسٍ ومالٍ وجهدٍ ورأيٍ وغير ذلك ..

إنَّ النبيَّ وفي أكثرِ من نصٍّ مكرَّرٍ بدا صريحاً في وجوبِ مبايعةِ أصحابِ هذهِ الرايةِ ، وأنَّ الإلزامَ لا يتَّصلُ بأهلِ ذلكِ الكيانِ فقط بل هو متَّصلٌ بكلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ يريدُ أن يطيعَ اللهَ في التكاليفِ العليا وتحميئِ الأمرِ لخروجِ صاحبِ العصرِ والزمان .. أكثرُ من ذلك ، لقد ثبتَ في فقهِ الشريعةِ ودونِ أيِّ خلافٍ على الإطلاقِ بينَ علماءِ المسلمين جميعاً ، وجوبُ نصرَةِ رايةِ الحقِّ ، ومبايعةِ كلِّ رايةٍ تتخذُ من الشريعةِ الإسلاميَّةِ الحقَّةِ منهجَ عملٍ وقيادةٍ موثقيَّةٍ ..

وكلّ تعدُّ عليها ، أو ترك لنصرتها ، أو محاولة لإسقاطها ، أو ترك لتدعيمها
وضمن حدود الممكن يعتبر من المحرّمات الكبرى التي تُدخِل صاحبها إلى النار ..
حتى الكلمة وإعداد الأولاد ، حتى الإعداد المنزلي والمؤسّساتي والاجتماعي
يجب أن يكون متكاملًا مع هذه القضية الكبرى ، من نصرة أهل الحقّ ،
والإعتقاد بشرعيّة أهل الحقّ ، بما تعنيه وصيّة النبيّ في منهاجه الذي قرّنه بميثاق
الخروج من عهدة تكليف الله وتهيئة أمره وخروج المهديّ لإقامة دين العدل ،
حيث بيّن أن أمر الله موقوف على اثنتين :

١ . كتاب الله .

٢ . حجّية وحصريّة مرجعيّة موثيق وأشخاص أهل البيت (ع) في الشقين
الشرعي والقيادي ..

والذي يثير العظمة أن النبيّ محمّد (ص) ومنذ أكثر من ١٤٠٠ عام كان
يشرُّ أهل الدنيا ، أن الدين يظلُّ حملاً على ظهر أمة ، أمة تبقى قائمة بدينها ،
أمة تتظاهر به ميثاقاً ومنهجاً وقيادة .. وأنّه في طول سلسلة الزمن هناك غيبة
للمهديّ ، وأنّه هناك راية لأهل المشرق سوداء ، هذه الراية تكون على شرع الله
وموثيقه ، وولاية أهل بيت النبيّ ، تبقى ظاهرة ، نافذة ، رغم كلّ الجوّ العالميّ
الجهويّ الذي يقيم عالمه على نوعٍ خطيرٍ من نسف قيم السماء ، وأنّ هذه الراية
المؤمنّة تصل إلى مستوى من الممانعة بالأدوات والوسائل فضلاً عن الإعتقاد
والثبات ، تكون عبرها قادرة على طلب الحقّ والإنصار له ، وأن أصحاب هذه
الراية يكونون معروفين .. من هنا تكون الحجّة على كلّ مسلمٍ في مبايعتهم
ونصرتهم وبذل الأنفس في خطاهم وغاياتهم الشرعيّة الكبرى ، وأنهم الذين
يفتحون أكثر من جهةٍ في ظلّ فتنة تطير من مكانٍ إلى آخر ، بل في ظلّ جوٍّ من

الصراع المرير المسلط عليها ومع ذلك لا تسقط (راية أهل الحق) بل تظل ظاهرة كما في التعبير النبوي .. لقد وصل أمر الشهرة في هذه النصوص النبوية إلى درجة أن بني العباس أكثر من مرة كانوا يدعون أنهم أصحابها .. ومن الغريب أن تعلم أن بني العباس كانوا كبنينا أمية سيفاً مسلطاً سيلاً في رقاب أهل بيت النبي (ص) .. ! ولقد حاول بنو العباس تطعيم بعض النصوص ببعض العناوين للإشارة إلى حركتهم التي انقضوا عبرها على حكم بني أمية ، ليس خروجاً على أصل النص الصادر في المهدي لأنه بتواتره وأكبر من أي خرق له أو إنكار بل محاولة منهم لتجوير ذلك الفتح الأكبر الإلهي لصالحهم وشبه ذلك ..

وللتأكيد فإن كل كتب الحديث مجمعة على المهدي (ع) وأنه من ولد فاطمة الزهراء وعلي ، وأنه الثاني عشر الموعود ، وأنه الذي يقيم دولة الإسلام بعدل في كل أرجاء العالم ، وأن له أنصاراً ومجاهدين وجنداً ، ومن تلك الرايات راية شهيرة جداً هي راية أهل المشرق ، الراية السوداء الخراسانية ، التي تعتقد الولاية لآل بيت محمد (ص) وأنها تظل على أمر سلطانها الاعتقادي والعملي حتى تسلم الراية إلى المهدي وتبايعه ، وهذا الأمر وفق النصوص واضح لا يحتاج إلى كثير نباهة ، وقد ورد في كثير من النصوص موجودة في كتب العامة الفرق الواضح بين راية بني العباس وراية أهل المشرق التي تبايع المهدي .. وفي الحديث عن ابن المسيب قال قال رسول الله (ص) : تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ، ثم يمكتون ما شاء الله ، ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان وأصحابه ، من قبل المشرق ، يؤدون الطاعة إلى المهدي ..^١ (إشارة إلى زمن المهدي (ع) بشكل نهائي وواضح ..)

^١ ابن حماد : ص ٨٥

وأكرّر : لا بدّ من التفريق بين التجيير الدعائي الذي قام به العباسيون في أوّل خروجهم ، بل وبعد قيام دولتهم للفت الأنظار إلى أنّهم من يوطئ الأمر للمهديّ ، بل وصل الأمر في بعض دعاويهم إلى حدّ الإشارة إلى أنّ تلك الراية فيها المهديّ .. نعم هذا يزيد من أهميّة البعد الاعتقادي التاريخي المتواصل بالمهديّ بمعنى أنّه يدلّ على عظمة وأهميّة ما عليه المهديّ وشهرة نصوصه الكبرى من هذه الجهة .. لكن لا يمكن على الإطلاق أن تكون هذه النصوص وظيفية لبدعة أو باطل حيث بيّن النبيّ بشكلٍ وثيقٍ ومتواترٍ مجموعة من عناوين كبرى في خصوص المهديّ سلوكاً وموathيق ونسباً وصفات .. من هنا سجّل التاريخ أكثر من سقوطٍ واعترافٍ عباسيٍّ بمطيّة ومحاولة الإستفادة من هذه النصوص البالغة من الشهرة ما لم يبلغه غيرها ..

وفي أكثر من نصّ يشير النبيّ إلى وضوح حقانيّة هذه الراية وأصحابها (الراية الخراسانيّة) وأنّ الأمر يصل إلى حدّ أنّ خروجهم يكون وفق الموازين الشرعيّة ، واضح الوثوق والإحتجاج .. ومن غرائب الدهر أنّ العباسيين كانوا الأشدّ نقمة على أهل البيت حتى أنّهم أخرجوا كثيراً من جثث سلالتهم وأحرقوها بالنار .. وقد أشار الخطيب البغدادي إلى نصّ لم يسنده إلى النبيّ (ص) لكنّه مأخوذ فيه الإشارة والنقل عن النبيّ ضمناً قال فيه : إذا أقبلت الرايات السود فأكرموا الفرس ، فإن دولتكم معهم ..

وبصورة عامّة ، فإنّ خروج راية أهل المشرق الخراسانيين (أصحاب الرايات السود) الذين يعتقدون ولاية المهديّ ، هي من العناوين المكرّرة والمركّزة والمؤكّدة بشكلٍ نهائيّ ، وهي ذات تعدّد روائيّ ، وأنها أمة تظلّ على الحقّ ظاهرة ، وأنّ أصحابها قادرون في أمرهم ، متمسكون في اعتقادهم ، وهذا أمر

إتفاقي نهائي بين كل العلماء المسلمين لجهة اتفاق النصّ على ذلك .. وفي بعض النصوص التي تشير إلى خروج واحدٍ من وُلدِ الحسين من جهة المشرق ، مثل ما ورد عن عبد الله بن عمر أنّه يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق لو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاً ..^١

أقول : إنَّ تعبير " من ولدِ الحسين " هو إشارة إلى أنّه من وُلده عبر سلالته ، يخرجُ على رأس الرايات السود لأهلِ المشرقِ ، التي تباع المهدّيّ عليه السلام .. وعلى كلِّ حال ، فإنَّ راية أهلِ المشرقِ ، هي قبل ظهورِ المهدّيّ ومتّصلة به ، وتسلمه الراية ، وتنزل تحت أمره وولايته ، بل كل ما تقومُ به هو من اجل ذلك .. وقد كان التفريق بين راية بين العباس وراية أهلِ المشرقِ معروفاً منذ زمنٍ قديمٍ قبل وبعد خروج العباسيين ، هذا ما يشهد له مصادر القرنين الاولين والرواة أيضاً .. وقد جاء في رواية عبد الكريم ابن أمية عن محمد بن الحنفية قال :

تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء (إشارة إلى راية أهل خراسان في زمنِ المهدّي) قلانسهم سود ، وثيابهم بيض ، على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفياي حتى تنزل بيت المقدس ، توطئ للمهدّي سلطانه ، ويُمدّ (يأتيه

^١ ابن حماد : ص ١٠٢

المدد) إليه ثلثمائة من الشام ، يكون بين خروجه وبين
أن يسلم الامر للمهدي إثنان وسبعون شهراً ..

والذي يهمننا هو أن نركّز على هويّة هذه الراية المحدّدة براية أهل
خراسان وقد ثبت بشكلٍ لا يقبل أيّ جدالٍ أنّ هذه الراية مشرقية خراسانية ،
تكون ظاهرةً بدينها ، جاهرةً بكتاب الله وسنة النبي وأهل بيته ، عاملةً بذلك ،
متمسكةً بولاية أهل البيت (ع) ، نزول الجبال ولا نزول ، تطلب الحقّ فلا تُعطاه
فتخوض حرباً تنتصر بها ، وتظل في مسيرة فتوحاتها إلى أن تسلّم الراية إلى
المهديّ (ع) .. ويكون خروجُ هذه الراية توطئةً للمهديّ (ع) وفي الرواية عن
محمد ابن الحنفية قال : بين خروج الراية السوداء من خراسان وشعيب بن صالح
وخروج المهدي وبين أن يسلم الامر للمهدي إثنان وسبعون شهراً .. وفي لفظٍ
آخر عن محمد بن الحنفية قال : تخرج راية من خراسان ، ثم تخرج أخرى ، ثيابهم
بيض ، على مقدمتهم رجل من بني تميم ، يوطئ للمهدي سلطانه ، يكون بين
خروجه وبين أن يسلم للمهدي (ع) سلطانه إثنان وسبعون شهراً .. وبتعبيرٍ
ثالث عن عبد الله بن إسماعيل البصري ، عن أبيه ، عن الحسن قال : يخرج بالري
رجل ربعة أسمر ، مولى لبني تميم ، كوسج يقال له شعيب بن صالح ، في أربعة
آلاف ثيابهم بيض وراياتهم سود ، يكون على مقدمة المهدي ، لا يلقاه أحد إلا
فله ..¹

أقول : بعض التفاصيل غير متّصلة السند لا بدّ من الإحتراز منها
والتعامل معها فقط من باب تاريخيتها .. أمّا بالنسبة إلى بعض النصوص التي

¹ ابن حماد : ص ٨٤

تحتضن عناوين تفصيلية ذات بُعد حركي فإنه لا بدّ من التعامل مع هذه النصوص من باب الرمزية في الإشارة والكناية والبيان مع ضرورة الالتفات إلى اسانيدھا ، ولأنّ بعض النصوص تكون مفيدة في مقام بيان هويّة مفسّرة للواقع الخارجي فيما خصّ الصراع وفتح الجبهات فإنني أنقلها فقط من هذه الجهة كشاهد تاريخيّ ليس أكثر ... ويظهر من الروايات أنّ هذه الراية تكون في بيئة عالميّة مضطربة وخطيرة ، لا يوجد فيها نصّ حيّ عالمي من شأنه قيادة العالم على نحو آمن ، وبتعبير آخر : تكون القوّة عنواناً مركزياً في عمليّة التأسيس للوجود الكياني والإنتماء إلى ذلك الزمن .. الأمثلة كثيرة ، لكنني أحبّ أن أشير إلى نصّ واحد من تلك ، وهو ناظر إلى الجيش الخراساني الذي يصرّ على إستعادة القدس من أيدي اليهود ، فما يكون من العالم إلا أن يتحرّك بأكثر من جهة وبأكثر من طريقة لردعه أو محاولة منعه .. وقد جاء في رواية أنقلها كشاهد تاريخيّ عن جراح عن أرطاة قال :

يدخل السفياي الكوفة فيسببها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستين ألفا (إشارة إلى الكثرة) ثم يمكث فيها ثمانية عشر (كذا) ليلة ، يقسم أموالها . ودخوله مكة بعد ما يقاتل الترك والروم بقرقيسيا ، ثم يفتق عليهم خلفهم فتق فيرجع طائفة منهم إلى خراسان فتقبل خيل السفياي وتهدم الحصون حتى تدخل الكوفة وتطلب أهل خراسان ، ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي ، ثم يبعث السفياي إلى المدينة فيأخذ قوما من آل محمد حتى يرد بهم الكوفة . ثم يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هارين ويبعث السفياي في طلبهما ، فإذا بلغ المهدي

ومنصور مكة نزل جيش السفيايبي البيداء فيخسف بهم ، ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم . وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء ، فيبلغ من الكوفة من أصحاب السفيايبي نزولهم فيهربون ، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم . ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل ، وفيهم نفر من أهل البصرة فيدركون أصحاب السفيايبي فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة . وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي ..¹

وعلى كلِّ ، فإنَّ مثل هذا النحو من الروايات تشير إلى نوع متحرِّك من عناوين الصراع المسلَّح بين أكثر من جبهة ، مع تأكيدي على أن متن هذا النصِّ فيه شيء واضح من الإرباك ، وهو يدلُّ على وهنِّ ما ، في نقل الرواية ، فضلاً عن أنه لم يسند إلى النبيِّ (ص) نعم مجموعة من مضامينه منقولة في مروياتٍ أخرى تؤيِّدها .. وبالإجمال فإنَّ هذه الرواية هنا تشير إلى واحدةٍ من الوقائع ... والثابتُ عندنا عبر النصوص وبتعدُّد في أسانيدها وبسندٍ إلى النبيِّ (ص) أنَّ أهلَ المشرقِ يكونون في زمنٍ يكثرُ فيه الظلم والفساد والفتن والحروب ، وهو إشارة إلى المناخ العالمي (مواثيق الدول ومجريات صراعها) الذي تكون رايأته وجبهأته متصلة بمثل هذه العناوين الجائرة .. وأنَّ هذه الرواية تنال شيئاً من المشقة والتعب والإهناك ، غير أنَّها تنتصر في طلبِ الحقِّ وأنها تظلُّ ظاهرةً حتى تسلَّم الرواية إلى المهديِّ (ع) .. نعم لا يعني هذا عدم خسارتها جولةً ما ، بل هو ممكن دون أن

¹ ابن حماد : ص ٨٣/٨٤

يؤثر على طبيعة العنوان الذي أشرتُ إليه وهو أنّها تظلّ على ثباتها وأمر دينها ،
ظاهرةً فيما تعتقد ، على قدر عالٍ من الممانعة ، وكما ترى فإنّ هذا لا يتنافى مع
خسارتها جولةً من جولات الصراع أو معركة من معارك الجبهات أو حرباً من
حروبها .. ثمّ في النصوص أنّ السفيناني الذي يخرج في آخر الزمان يقاتل راية أهل
المشرق ، وما يهمنّا هنا هو التركيز على راية أهل الشرق ، وهذا ثابت بأكثر من
رواية ، ففي الحديث عن عبد الله بن مروان ، عن أرطاة قال :

السفيناني الذي يموت ، الذي يقاتل أول شيء
الرايات السود والرايات الصفراء في سرّة الشام ، مخرجه
من المندرون شرقي بيسان على جمل أحمر (إشارة
رمزيّة وفق أسلوب الإستعارة والكناية) عليه تاج ،
يهزم الجماعة مرتين ثم يهلك ، وهو يقبل الجزية ،
ويسبي الذرية ويبقر بطون الحبالى ..¹

أقول التعابير مثل " جمل " وشبه ذلك يراد منه الانتقال من الإستعمال
التاريخي إلى غيره عبر خصائص الزمان والمكان في عصره الفعلي ، وهو كالمجاز
الذي يؤخذ فيه نوع من خصائص لازمة للإشارة إلى معنى يُجازُ إليه أكثر تحرراً
من المعنى التاريخي ، وهذا أمر واضح في الإستعمالات العرفيّة بحيث لا يحتاج إلى
كثير بيان .. وهو هنا وارد للإشارة إلى معنى وظيفي مقصود فيه طول الباع
والقدرة ونفوذ الأداة .. وكما ترى فإنّ مثل هذه النصوص تتضمّن فهماً متحرّكاً
تصويرياً لصراع الجبهات وتفاعليها .. وتشير مجموعة النصوص الصادرة عن النبيّ

¹ ابن حماد : ص ٧٤

إلى عناوين كبرى ثابتة من أمثال : تكاثر الفتن ، وخروج السفياي ، وراية أهل المشرق المحقة ، والدجال ، وصراع جهوي بين راية أهل الحق وراية أهل الباطل هذا الصراع الذي تستعمل فيه أدوات الحرب بشكل واسع وعنيف ..

وعليه : يكون نقل مثل هذه المرويّات التاريخية مفيداً في محور النصّ والإشارة إلى نوع مطعم بحركة الصراع التقريبي .. وأؤكد على أنني لا أعتقد بخصوصية أيّ جزء أو كلّ من أيّ نصّ على الإطلاق إلا ما ثبتت نسبته إلى النبيّ أو المعصوم (ع) .. ومثل هذه المرويّات لا شك أنّها مفيدة في إعطاء البعد المتحرّك للنصوص الثابتة ولو على نحو تقريبيّ ليس أكثر .. ومن أمثلتها ما رواه تبع قال : يخرج المشوّه الملعون من عند المنذرون شرقي بيسان على جمل أحمر وعليه تاج ، ويقر بطون النساء .. (إشارة إلى رموز تاريخية يُراد منها العبور إلى أداة عصرية فعلية زمن الظهور ..) . والثابت عبر النصوص أنّ السفياي شخصية جبارة تعمل بغير كتاب الله ، فتظلم وتجوّر وتقتل وتسفك الدماء ، بل تمثل رأساً نافذاً للصراع ضدّ جبهة الحقّ .. ويستفاد من هذه الجبهة التي يتزعّمها السفياي أنّها تسعى للسيطرة على المنافع ، وتستغلّ الثروات وتحتلّ مجموعة من كيانات مثل الكور الخمس وشبه ذلك ، وهذا لا يمنع من قيام حروب وفتن أخرى بين الجبهات والكيانات والدول حول معانٍ متّصلة بالسوق والاقتصاد والثروة والمنافع وحبّ السيطرة لمحاولة التأثير في النظام العالمي السياسي الاقتصادي العسكري وشبه ذلك ، ولو في نحو محدّد من المنطقة ..

وتؤكد النصوص المتّصلة السند بالنبيّ (ص) أنّ الفتن والحروب تحتاج المناطق وتتوسّع ، ويعمّ الظلم بشكل متفاوت بين الأمم والكيانات بكلّ ما يعنيه من مصاديق وأمثلة ، مثل الإنحراف والجور الاقتصادي والعسكري والسياسي

والثقافي والعقائدي وغيره .. والثابت أن السفياي يقوم بشن حملات عسكرية على جبهة أهل الحق الخراسانية من بين الحملات التي يشنها أما تعابير من أمثال : أنه يقرر البطون ويذبح الأطفال ، وبين يديه الماء والطعام ... فإنه من التعابير التي يراد منها الإشارة إلى أنه على مستوى نافذ ومالك لأدوات مؤثرة متصلة بمثل هذه العناوين من غذاء وسوق واحتكار إقتصادي فضلاً عن أدوات الحرب ، بالإضافة إلى الإضطهاد والظلم والعدوان والقتل وبقر البطون والإستئثار بالنساء واغتصابها وسببها ، وصولاً إلى تبنيه نظاماً اجتماعياً يؤدي إلى الإفكار والإحتكار ومباشرة القتل تحت أكثر من عنوان في جهتي السلم والحرب ...

ومن الجهة التاريخية فإن من يتتبع تاريخ الثورات على العباسيين والصراع بينهم وبين الخط الأموي الذي بقي له بعض الوجود السياسي بعد انهيار حكم بني أمية كما في دولة الأندلس يظهر له أن حديث السفياي الموعود كان معروفاً عند المسلمين ، وأن عدة أشخاص ثاروا على العباسيين بهذا الاسم ولعل الدافع الأساسي لدعواهم هذه أن السفياي الموعود على رغم مساوئه فهو يغلب بني العباس ويعيد مجد بني أمية . وقد ذكر صاحب كتاب خطط الشام عدة ثورات باسم السفياي منها : ثورة علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي خرج في الشام سنة ١٩٥ في خلافة الأمين وكان يعرف بأبي العميطر . ومنها ثورة سعيد بن خالد الأموي بعد أبي العميطر . ومنها ما ذكره من ثورة المبرقع بالشام أيضاً سنة ٢٢٧ في خلافة المعتصم . وثورة عثمان بن ثقالة الذي ثار في عجلون بالأردن سنة ٨١٦ وادعى أنه السفياي الموعود . وذكر قول المأمون العباسي " وأما قضاة فسادكما تنتظر السفياي وخروجه فتكون من أشياعه " إلى غير ذلك من أحداث ظاهرة ادعاء السفيانية . وقد أخطأ

بعضهم كصاحب خطط الشام عندما فسر ذلك بأن ملحمة السفياي وظهوره من الوادي اليابس من موضوعات أنصار الأمويين ، أي أنه ليس لها وجود في النصوص ، بل إن أحاديث السفياي يرويها أعداء الأمويين قبل أصدقائهم ، نعم لا يبعد أن تكون الروايات التي تمدح السفياي الموعود أو تقول بتعدده من وضع أنصارهم ، كما أن الروايات التي تنفي وجود السفياي يحتمل أن تكون من مقولات الأمويين للتبرؤ من السفياي المذموم ، كما يحتمل أن تكون من مقولات العباسيين لنفي أصل رواية السفياي والتخلص من الثورات الأموية باسمه ، ونظراً لهذه الظروف التي أحاطت بمسألة السفياي من طرفي الصراع الأموي والعباسي تكون الروايات الواردة عنه من طرق الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أبعد عن الشك وهي صريحة قاطعة في حتمية أمره وأسانيدھا فيها الصحيح وهي تؤيد الأحاديث الواردة هنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد حكم علماء الحديث بصحة عدد منها أيضاً ..¹

يبقى أن أشير إلى أن زمن ما قبل المهديّ (ع) إلى حين ظهوره وحسب ما جاء في المرويات المتصلة الأسانيد أن الجبهات تكون فيه متعددة ، بمعنى أن تعدد الدول وتوزع الكيانات يمثل مظهراً من مظاهر الوجود السياسي وسواء كان النظام الدولي ثنائياً أو تعددياً أو انفرادياً ، وسواء كان متوازناً في مواقع القوى أم غير ذلك فإن جيوب التأثير الكياني تظل موجودة بشكل واضح وبيّن ، وعلى مقدار التنافس الدولي يتكوّن مناخ ومجموعة من عناوين تحدّد نظرية الإنتماء إلى " الكون السياسي " إمّا من باب الممارسة وعناصر القوى أو من باب الأعراف وما تعنيه نسبتها أمام القوة وعناصر الصراع من جهة ثانية ..

¹ معجم أحاديث الإمام المهدي .. الشيخ علي كوراني .

ضمن هذه الخريطة من كيانات الإنتماء الثقافي السياسي العسكري الجغرافي العالمي توجد أمة مؤمنة ، ظاهرة بدينها ، تظلّ محافظةً على مرجعية الالتزام المواثيقي ، المتمثل بالشريعة الإسلاميّة ، كشعار حكم ، وكنظريّة قيادة تتعلّق بكلّ ما تتسع له روح الإنتماء إلى الإسلام وفق شروط وإمكانات التطبيق ما يعني أنّ التطبيق يحتاج إلى عناصر موضوعيّة وشروط تنفيذ من أجل ترجمة الحكم إلى واقع وممارسة ، وعلى قدر تلك الوسائل والأدوات وشروطها تكون مرجعية الشريعة محفوظةً وممكنة .. هذا ما تشير إليه ضمناً نصوص تلك الأمة التي تبقى محافظةً على دينها والتي ينالها شيءٌ من العناء والتعب والجهد والمشقة ، إلا أنّها تكونُ على قدرٍ من الظهورِ والمتانةِ والثقةِ والتسلّحِ بأدواتِ الممانعةِ إلى أن تطلب حقاً ما ، اعتُدي عليه فلا تُعطاهُ عند ذلك تشهر سيوفها وهو تعبير تاريخي يُرادُ منه الركون إلى القوّة .. وبتعبيرٍ آخر : تعلنُ الحرب ، فتستعيد حقّها وتنتصر كما في أكثر من نصّ .. إلى أن تسلّم الراية إلى المهديّ (ع) ..

ثمّ إنّ الروايات تشير بشكلٍ دقيقٍ إلى أنّ خطّ الحملة العسكريّة لأهلِ خراسان التي تفتح القدس يمرّ بالشام ، وهناك تقع حرب طاحنة وقاسية جداً حتى يقول القائل ها هنا كانت دمشق .. إشارة إلى عنفِ الصراع واختلاف الرايات ومطاحنة الأدوات ، وفي روايةٍ كعب قال : إذا رأيت رحا بني العباس ، وربط أصحاب الرايات السود خيولهم بزيتون الشام ، ويهلك الله لهم الاصبه ويقتله وعامة أهل بيته على أيديهم حتى لا يبقى أموي منهم إلا هارب أو مختفي ، ويسقط السعفتان بنو جعفر وبنو العباس ، ويجلس ابن آكلة الاكباد على منبر دمشق ، ويخرج البربر إلى سرّة الشام ، فهو علامة خروج المهدي .. ومع أنّ مثل هذه الروايات لم تتمّ صلتها السنديّة بالنبيّ محمّد (ص) وإتّما رويت على مثل

سلسلة أرطاة ، عن تبع ، عن كعب ، إلا أنها تتوافق ولو بنحو إجمالي مع لسان الروايات التي تتضمن مثل هذه الواقعة وعنفها وصدامها وخط مسير جيش أهل المشرق الخراساني ، وهي بطبيعة الحال تشير إلى عنوان ما ، شارح لواقعة ما ، مع التأكيد على أن بعضاً من فقهاء السلاطين ، استفادوا من أصل نصوص السفياي والدجال وغير ذلك لمساعدة عنوان خارجي ما ، من ثورة أو معارضة ثورة ، لذلك كان من الضروري أن نضع أيدينا على حقيقة مثل هذه الأمور ، منعاً لأيّ تسلل أو دسّ حتى أن بعضهم أراد أن يحدّد جبهة الإمام المهديّ وانطلاقته من أفريقيا .. ! وقد وردت مجموعة من روايات ذات صلة بعناوين ذات اتصال بعصر المهدي عليه السلام ، مثل الإشارة إلى الحروب والدجال والسفياي والاختلاف على الملك والسلطان وشبه ذلك ، وفي رواية كعب قال : : إذا خلع من بني العباس رجلان وهما الفرعان وقع بينهما الاختلاف الاول ، ثم يتبعه الاختلاف الآخر الذي فيه الفناء ، وخروج السفياي عند اختلافهم الثاني .. وفي رواية أخرى عن ابن عباس لم يسندها قال : يخرج رجل من المشرق فيفرّ منه ملكهم فيقتل بين الرقة وحران (بلدان في شمال سوريا) يقتله رجل من قريش ، ويخرج من البرية من آل أبي سفيان رجلٌ من المغرب ويقتل ملك الكوفة بجران . وقد اتفقت النصوص على أن السفياي والدجال وراية أهل المشرق كلّها عناوين متصلة بزمن المهديّ ، في ظلّ تأكيد نهائيّ على أن العالم آنذاك تجتاحه الفتن والصراعات الدموية ، إلى أن يخرج المهديّ فيحكم بأمر الله ، ويقوم بحكم الشريعة ، فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. اللهم اجعلنا من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمستشهادين بين يديه ، بحقّ محمّد وآل محمّد .. اللهم إن لم نل شرف رؤيته في زمنه ، فعرف بيننا وبينه يوم القيامة ، يوم تزلّ الأقدام ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ..

الإمام المهدي (ع) والبيئة العالمية :

- العالم آنذاك (قيم ومفاهيم) ..
- (نموذج الدجال ، اليهود) .
- إمتلاك الدجال لأسباب الضبط .
- نفوذ الدجال السوقيّ ..
- اليهود حركة تمرد متجددة ..

الإمام المهدي والبيئة العالمية

(نموذج الدجال ، اليهود)

تَمَّا لَا شَكَّ فِيهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَنَّ كُلَّ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَتَّفِقُونَ عَلَى هُوِيَّةٍ مَشْتَرَكَةٍ فِي الْمَهْدِيِّ ، فَهُوَ الْمَهْدِيُّ الْمَوْعُودُ الَّذِي إِسْمُهُ عَلَى إِسْمِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَنَّ الْإِمَامَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع) وَأَنَّ اللَّهَ أَعَدَّهُ لِإِقَامَةِ الْقِسْطِ وَالْعَدْلِ فِي الدُّنْيَا كَخْتَامِ نَوْعِيٍّ مُتَّصِلٍ بِالرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَيُخْتَمُ اللَّهُ بِهِ كَوْصِيٍّ لِلرَّسُولِ الْخَاتَمِ مُحَمَّدٍ (ص) مَسِيرَةَ النَّبَوَاتِ وَالْأَوْصِيَاءِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ افْتَتَحَ اللَّهُ هَذِهِ الْمَعْمُورَةَ بِآدَمَ بِمَا يَعْنِيهِ مِنْ مُسْتَحْلَفٍ نَزَلَتْ إِلَيْهِ الْبَيِّنَاتُ .. وَعَلَيْهِ : لَا يَنْقُضِي عَمْرُ الْأَرْضِ أَبَدًا قَبْلَ ظَهْوَرِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ لَوْ بَقِيَ لَيْلَةٌ وَاحِدَةً لَطَوَّلَ اللَّهُ عَمْرَ هَذِهِ الْأَرْضِ حَتَّى يُخْرِجَ الْمَهْدِيَّ وَيُقِيمَ الْعَدْلَ فِيهَا .. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ حَذِيفَةَ قَالَ :

خَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ (ص) فَذَكَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ ثُمَّ قَالَ : لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ ، لَطَوَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنْ وَلَدِي إِسْمُهُ إِسْمِي . فَقَامَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فقال : يا رسول الله من أي ولدك ؟ قال من ولدي هذا
وضرب بيده على الحسين .^١

وعليه : يُتِمُّ اللهُ بنسْلِ رسولِ اللهِ (ص) عبرَ وصيِّهِ المهديِّ ختامَ الرسالةِ
النبويَّةِ فيقيم في الأرض العدلَ وعلى مساحةٍ عالميَّةٍ ، لا يكفي فيه قيامُ النصِّ أو
النظام السياسي النظري بل يتعداه إلى آليَّة الحكم والتطبيق وواقع الترجمة للنظريَّة
الإسلاميَّة في الحكم حتى يعمَّ العدل في ربوع الأرض .. حتى أنَّ عيسى بن مريم
الذي ينزلهُ اللهُ تعالى يترك الإمامةَ بالمعنى القياديِّ لصالح مهديِّ هذه الأمة ..
وقد جاء في دلائل الإمامة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) :

والذي نفسي بيده إنَّ مهدي هذه الامة الذي
يصلي خلفه عيسى منّا ، ثم ضرب يده على منكب
الحسين وقال : من هذا ، من هذا ..^٢

أيّ تحديد بعد هذا التحديد الوارد في كلّ كتب الحديث عند الفريقين
حيث يؤكِّدُ النبيُّ أنَّ المهديَّ من وُلْدِ الحسينِ ، من عترة النبيِّ ، من ولدِ عليِّ
وفاطمة .. ! وفي العديد من النصوصِ يعدُّ آباءه بدءاً من الإمام العسكري
وياسمه وصولاً إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .. من هنا فقد اتفقت كلمةُ
العلماءِ على أنَّ النبيَّ (ص) حدّد شخصيَّةً وهويَّةً المهديِّ بشكلٍ نهائيٍّ وكاملٍ لا
يمكنُ معه التأويل ، وآته هو الذي سيقوم بدورٍ ووظيفةٍ تعتبر من أجلِّ وأقدس
الوظائف ، لأنها تتعلق بحاجة الفطرة البشرية إلى مسارها الأوّلي ، إلى وحدتها

^١ الطبراني ، الاوسط .. عقد الدرر : ص ٢٤ ؛ ١ عن أبي نعيم في صفة المهدي

^٢ : دلائل الإمامة : ص ٢٣٤

العالمية ، إلى بعدها الكوني ، إلى صلتها الوجودية بعمق السماء .. ويكونُ خروجُ المهديّ في زمنٍ خطيرٍ للغاية حيث القيم والأعراف والمواثيق متصلة بنوعٍ حاد من المصادر المضادة للفطرة الإنسانية وضرورات تكاملها الوجودي فضلاً عن الفتن والحروب والفساد الأخلاقي والإجتماعي والسياسي والإقتصادي وعلى مستوى كارثي غير مسبوق .. ولقد كان النبيّ في كثيرٍ من المواقع والمواقف يحدّدُ صفةَ المهديّ بنحوٍ متصلٍ مرّةً بنسبه وصلته ومرّةً بزمنه وقيم زمنه .. من تلك الأحاديث ما رواه علي بن علي المكي الهلالي عن أبيه قال : دخلت على رسول الله (ص) في شكاته التي قبض فيها فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه . قال : فبكت حتى ارتفع صوتها ، فرفع رسول الله (ص) طرفه إليها فقال : حبيبي فاطمة ما الذي يبكيك ؟ فقالت أحشى الضيعة من بعدك ، فقال :

يا حبيبي ، أما علمت أن الله عزّ وجلّ اطلع إلى الارض إطلاعة فأختار منها أباك فبعثه برسالته ،
ثم اطلع اطلاعة ، فأختار منها بعلك ، وأوحى إليّ أن أنكحك إياه ،

يا فاطمة : نحن أهل بيتٍ ، قد أعطانا الله سبع خصال ، لم يعط أحد قبلنا ، ولا يعطى أحد بعدنا :

أنا خاتم النبيين ، وأكرم النبيين على الله ، وأحب المخلوقين إلى الله عزّ وجلّ ، وأنا أبوك ، ووصيي خير الاوصياء ، وأحبهم إلى الله ، وهو بعلك ،

وشهيدنا خير الشهداء ، وأحبهم إلى الله ، وهو عمك حمزة بن عبد المطلب ، وهو عمُّ أبيك وعمُّ بعلك ،

ومنا من له جناحان أخضران يطير في الجنة مع الملائكة ، حيث
يشاء ، وهو ابن عمّ أبيك وأخو بعلك ،
ومنا سبطا هذه الامة ، وهما ابناك الحسن والحسين ، وهما سيدا
شباب أهل الجنة وأبوهما والذي بعثني بالحق خير منهما ،
يا فاطمة :

والذي بعثني بالحق ،
إنّ منهما مهدي هذه الامة ،
إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً (القتل
والفوضى) ،
وتظاهرت الفتن (أي توالى وتعاونت في
تأثيرها) ،
وتقطعت السبل (أي كثر العنف ، وعمت
الفوضى وفقد الأمن) ،
وأغار بعضهم على بعض ،
فلا كبير يرحم صغيراً ،
ولا صغير يوقر كبيراً ،
فبيعت الله عز وجل عند ذلك منهما من يفتح
حصون الضلالة وقلوباً غلفاً ،
يقوم بالدين في آخر الزمان ، كما قمت به في
أول الزمان ،
ويعمل الدنيا عدلاً ، كما ملئت جوراً .
يا فاطمة :

لا تحزني ولا تبكي ، فإن الله عز وجل أرحم
بك ، وأرأف عليك مني ، وذلك لمكانك مني
وموضعك من قلبي ، وزوجك الله زوجك
وهو أشرف أهل بيتك حسباً ، وأكرمهم
منصباً ، وأرحمهم بالرعية ، وأعدلهم بالسوية
وأبصرهم بالقضية ،

وقد سألت ربي عز وجل أن تكوني أول من
يلحقني من أهل بيتي ...

قال علي (ع) : فلما قبض النبي (ص) لم تبق
فاطمة (ع) بعده إلا خمسة وسبعين يوماً حتى
ألحقها الله به (ص) ..^١

أهمية هذا الحديث الشريف أن رسول الله (ص) يجيبُ به عن مجموعتين
من العناوين : عن المهديّ بنسبه وأهل بيته وسلسلة الأَطهار منهم عليهم السلام
وفي الشق الآخر يجيب عن المهديّ ووظيفته وزمنه وما يحلُّ فيه من قتلٍ وفتنٍ
متحوّلة ، وأزمانٍ مضطربة ، حتى تُقطع السُّبل ، وهو تعبير دقيق عن فقدان الأمن
حيث يكثر الهرجُ والمرج ، وهو تعبير تاريخي كثير الإستعمال يُراد منه أن
الفوضى والقتل يدبّان بشكلٍ غريبٍ ومتوسّعٍ في البلاد .. والتعبير واضح ، أن
الهرج والمرج يكثر في الدنيا ، بمعنى أن البيئة العالميّة آنذاك موثقيّاً وسلوكيّاً تكون
على نحوٍ خطيرٍ من الإهيار ، وهي بطبيعة الحال بعيدة عن حاجات الفرد
والجماعة الإعتباريّة والكونيّة بكلا الهويّتين أو إحداهما ، ومعلوم أن كلاهما

^١ الطبراني ، الكبير : ٣ > ٥٢ > ٢٦٧٥

ضروري لإرساء عدالة حقيقية تكون متصلة بشكلٍ جديٍّ بالمسيرة الوجودية ..
وإذا كان الزمنُ كذلك ضمن وصفٍ محددٍ من الفسادِ والإنحرافِ والظلمِ
والإضطهادِ هناك بأذن الله للمهدي بالخروج ، ليتّم مسيرة الإستخلافِ التي
بدأت بآدم عليه السلام الذي كان أوّل هابطٍ إلى الأرض .. فإذا خرج الإمامُ
المهديّ (ع) علمَ أهلُ العالمِ بذلك في ظلّ علاماتٍ أكيدة ، ودلائل تامّة ، كلّها
تزيل آيةً شبهةً في التعرّف على المهديّ ، بل في الحديث عن عبد الله بن عمرو
قال قال رسولُ الله (ص) : يخرج المهدي على رأسه غمامة ، فيها مناد ينادي :
هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه ..^١

وفي متنٍ آخر رواه نفس الراوي جاء فيه :

يُخرجُ المهديُّ ، وعلى رأسه ملك ، ينادي : إنَّ

هذا المهديّ فاتّبعوه ..

هل يُرادُ من الحديث الأوّل شيئٌ في الغمامة المعهودة ، أو هو كناية عمّا
فوقها أو ضمنها مثل الطائرات الحديثة ، كالتعبير الذي سنراه في الإشارةِ إلى
القبابِ التي يتمّ بها هبوط المهديّ في الكوفة ، حيث تحتزن معانٍ لها وظيفة دقيقة
في عالمنا اليوم ، أعني بذلك الطائرات الحديثة التي تطير في الجوّ وتلامس الغمام
وما بعده ؟ وقد يكون المعنى المرادُ غير ذلك لكنّ الاستفادة من هذا اللفظ ليس
المعنى الحرفي على الأظهر .. والثابتُ عند علماء المسلمين جميعاً وبشكلٍ نهائيٍّ أنّ
صيحةً من السماءِ يطلقها جبرائيل تبشّر العالم أنّ المهديّ قد خرج .. وما تجدرُ

^١ الطبراني : على ما في الفصول المهمة ، ونور الابصار . * أربعون أبي نعيم : على ما في بيان الشافعي ، وكشف الغمة . *
مناقب المهدي : على ما في عقد الدرر ، وبيان الشافعي . * بيان الشافعي : ص ٥١١ ، ١٥٠

الإشارة له هو أن النصوص التي تشير إلى الغمامة تعددت في أكثر من لسانٍ ورواية ، ففي نصٍ آخر عن عبد الله بن بشير عن كعب قال :

يظهر (المهدي) في آخر الزمان ، على رأسه
غمامة تظله من الشمس تدور معه حيثما دار ، تنادي
بصوت فصيح هذا المهدي . وأن المنادي يفهمه كل
قومٍ بلسانهم ..^١

وللتأكيد أكرّر : الواضح من هذا التعبير أن شيئاً ما يظلل المهدي ويدور
معه كيفما دار وفق معنى إستعمالي عرفي عقلائي في الإشارة جرياً على عادة النبي
والمعصوم في الإستعمال والإعتماد لبيان المراد من الألفاظ .. وعليه : قطعاً ليس
المقصود غمامة بالمعنى الوضعي الحرفي للعبارة بل هو معنى مجازي له صلة تشاهبية
بهذا المعنى الوضعي ، جوّز الإستعارة هذه وحسنها ، أعني بذلك على سبيل
التقريب جسماً ما ، كالطائرة مثلاً التي هي من أوضح المصاديق .. وفي تعبير
آخر في نصوص النبي (ص) أن المسيح ينزل تحمله غمامة .. وهو تعبير يُراد منه
الدلالة أيضاً على معنى حادث في زمن المهدي ، أي الزمن الذي يكون فيه
الإنسان قد وصل إلى مرحلة متقدمة جداً في السيطرة على الأرض وأشياءها ..
بل في التعبير القرآني قال الله تعالى :

(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وأزینت ،
وظنّ أهلها أنّهم قادرون علیها ، أتاهم أمرنا لئلا أو

^١ مواليد الأئمة ووفياتهم : ص ٢٠١ مرسل ، * : الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٢٦٠ ، ١١ ، ١٢ ، بنفوات

نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ، كَانَ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ ،
كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ..) ..

ففي التعبير القرآني تأكيد نهائي على أن الإنسان يصل إلى مستوى عالٍ في التحكم بالطبيعة ، القرآن يؤكد أن آخر الزمان يكون الإنسان فيه على قدرة عالية ضمن عصر تطوّر ، عصر استغلال للنواميس ، عصر تطويع بشري إستغلالي ، ومن أمثلة التطويع تلك تطويع الأداة الماديّة على شكل طائرة أو غيرها تستفيد من أنظمة " الدفع والجذب للمادّة " على نحو يتخلّص من نفوذ الجاذبيّة في الفضاء وشبه ذلك .. من هنا فإنّ التعابير التي هي على مثل " تحمله غمامة وشبه ذلك " يُراد منها جسم ما ، يُحمل في داخله المسيح عليه السلام الذي يهبط إلى الأرض .. والأمثلة في النصوص كثيرة ، وهي وفق القاعدة في التعابير والإستعمالات التاريخيّة التي يُراد منها الإشارة بشكلٍ جليٍّ وعالٍ لعناوين وأدوات من أزمانٍ متطوّرة قادمة ..

أيضاً من الثابت أنّ خروج المهديّ (ع) يصاحبه نداءً من السماء يطلقه جبرائيل يبشّر به أهل العالم ، ويفهم كل قوم ذلك المعنى حسب لسانه ولغته .. وما أسهله في عصرنا اليوم .. فسبحان الله ما أكرمه ، والحمد لله على عظيم السرّ الذي اختزنه حديث الرسول (ص) والأئمّة عليهم السلام من إعجازٍ وأعجازٍ مذهل .. والمثير أنّ هناك مجموعة من معاني كان النبيّ يكرّرها لكنّها من حيث الإمكان التاريخي كانت منعدمة الوقوع أي كانت بمثابة إستحالةٍ حقيقيّة في تلك الأزمان المنصرمة ، ومع ذلك يكرّر النبيّ ثبوت وقوعها في عصر المهديّ ويؤكد ذلك فيؤمن به المسلمون لأنّه نبيّ لا ينطق عن الهوى ، إنّ هو إلا وحي يوحى .. إنّ هذا واحد من معاني الإعجاز النبوي وكشف الغيب ، كشف عما

يصير إليه الإنسان من تطوّر مذهل ، فيطوّر الأداة في سماء الأرض وغيرها ..
يطوّر المادة ويرمجها لتكون أداة تواصل بينه وبين اللغات الأخرى ، يطوّر القمر
الصناعي ليكون وسيلة نقل حيّ ومباشر إلى أرجاء الكون البشري وشبه ذلك ..
وكما أشرت من قبل ، فإن سرّ الإعجاز المذهل في أحاديث النبي الزمنية كان
يبدو في قسم منها على شكل بيان مجموعة من معانٍ ممتنعة في زمنه ، إلى حدّ
الإستحالة العمليّة ، بل في نظرهم كانت إستحالةً وامتناعاً عقلياً ، أي لا يجوز
وقوعها أصلاً ، بمعنى عدم الإمكان النظري فضلاً عن الإمكان العملي .. السرّ
في ذلك أن النبي لم يتأثر نهائياً بعالمه التاريخي ولا بوسائله وقيمه ، بل سجّل
للبريّة مجموعة من فتوحات كشفية مذهلة ، هانحن نقرأها اليوم بنحوٍ من غرابةٍ
وذهول .. وكيف لا يكون كذلك وهو الذي كشف الله له عن الحقائق الكبرى
وفي قرآنه النازل إليه من الله الكثير من العناوين الكاشفة لأسرار الكون وهي
مذهلة ومذهلة بكلّ المقاييس ..

إنّ من يقرأ الحاشية الإجتماعيّة في أحاديث المسلمين يرى ذلك ، يرى
أنهم صدّقوا النبي بشكلٍ نهائيّ ، لكنهم يسألون عن طبيعة ذلك العالم في زمن
وبعد تاريخيّ واضح ، يسألون عن حقيقة التطويع .. ومع كلّ ذلك يضيف النبيّ
المزيد من النصوص المتصلة بعالم المهديّ وبزمنه وبأدوات عصره ، من هنا كان لا
بدّ من الإشارة إلى حقائق غريبة جداً من منظارٍ تاريخيّ لكنّها بديهية في مثل
أزماننا هذه ، مثل رؤية أهل المشرق لأهل المغرب والعكس ، وطوي الأرض
والسير فوق الغمام ، وهكذا .. إنها الإشارة الكبرى المعجزة في دفتر المهديّ
بأحاديث الرسول (ص) ... ثمّ تضيف النصوص أنّ للمهديّ عليه السلام غيبتين
الأولى قصيرة والثانية طويلة ، بعدها يتمّ الظهور المبارك ، وأنّ زمنه عليه السلام

يبدأ منذ اللحظة التي يخرج فيها إلى الدنيا ، ويتنامى دوره منذ اللحظة التي يصلّي فيها على أبيه الإمام العسكري ، ويكون الإمتحان الأصعب في الغيبة الثانية أي الغيبة الكبرى ، في ظلّ عالمٍ منحرفٍ في المادّة في ظلّ ربوبيّة قاتلة للغريزة ، وفي دهرٍ لا يؤمنُ إلا بإشباعِ الحسّ ، وأهلهُ بشر بقلوبٍ ذئاب ، إشارة إلى الحقد والتوحّش والعنف والإفتراس .. وقد ثبت بشكلٍ نهائيٍّ من لوازم الغيبة الكبرى أنّها تكون أكثر صعوبة وعسراً ، وفي الحديث عن الإمام علي عن النبيّ قال :

المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضلُّ فيها الامم ، يأتي بذخيرة الانبياء عليهم السلام فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ..¹

وفي لفظٍ آخر عن جابر بن عبد الله الانصاري قال : قال رسول الله المهدي من ولدي ، اسمه إسمي ، وكنيته كنييتي ، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً ، تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الامم ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ...²

ويظهر من بعض النصوص أنّ غيبته الثانية تطول نسبياً حتى أنّ البعض يشكّك في أصلها ، بل يدخل الريب في صدورٍ لم يثبت الإيمان فيها ، وفي الحديث عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله قال : قال رسول الله (ص) :

¹ كمال الدين : ١ ص ٢٨٧ ، ٢٥٠ - ٥

² كمال الدين : ١ ص ٢٨٦ ، ٢٥٠ - ١

كيف أنتم إذا استيأستم من المهدي ، فيطلع
عليكم مثل قرن الشمس ، يفرح به أهل السماء
والارض فقيل يا رسول الله وأنى يكون ذلك ؟ قال :
إذا غاب عنهم المهدي وآيسوا منه ..^١

ويستفاد من النصوص أن المؤمنين بالمهديّ يبلغون مرحلةً جادةً من
المشقة في عالم متداعٍ خطيرٍ ومشككٍ ، حتى أن بعضهم يشكك في ولادة المهديّ
وحقانيّة أمره .. وهذا بطبيعة الحال يستلزم نوعاً من محور الدعاية ، بكلّ ما تعنيه
في ذلك الزمن الذي يقوم على نحوٍ من الجور والكفر بمجيب المهدي ، فيرى الأمر
بمجرد عنوان عبثي أو قضية ضائعة ، أو نسيجاً خيالياً وشبه ذلك .. ففي الحديث
عن عبد السلام بن صالح الهروي ، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا ، عن
آبائه عن علي عليهم السلام قال : قال النبي (ص)

والذي بعثني بالحق بشيراً ، ليغيبنّ القائم من
ولدي بعهد معهود إليه مني ، حتى يقول أكثر الناس :
ما لله في آل محمد حاجة ويشك آخرون في ولادته ..
فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ، ولا يجعل للشيطان
إليه سبيلاً بشكه ، فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني ،
فقد أخرج أبويكم من الجنة من قبل ، وإن الله عزّ وجلّ
جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ..^٢

^١ دلائل الامامة : ص ٢٥٠

^٢ كمال الدين : ج ١ ص ٥١

وتنقطعُ غيبة المهديّ بالخروج ، لكن في زمنٍ يكثرُ فيه القتلُ والمهرجُ
والظلمُ والإضطهاد ، وتكثرُ فيه الفتنُ وتجوبُ في البلاد ، ويؤكدُ النبيُّ (ص) أنَّه
في ذلك الزمن لا يُؤمنُ من شدّةِ العنف وكثرةِ الجرائمِ ، وأنّ الحروب تطير من
بلدٍ إلى بلدٍ ، ومن أمةٍ إلى أمةٍ .. وتكثرُ أمور عظيمة ، فيها مضرّةٌ على العبادِ
والبلادِ ، كلّ ذلك في عصرٍ غيبةِ المهديّ ، فإذا تمّ الأمر في حدّه ذاك صفةً
ومظهراً أمرَ الله المهديّ أن يخرج فيظهر كالنجمِ الثاقبِ ويُنادى به في السماء أن
المهديّ حجّةُ الله قد خرج .. وفي الحديثِ المؤيدِ بأكثر من نصٍّ وراية في جملةٍ
من مضامينه روى كعب قائلًا :

من نسلِ عليٍّ ، القائمِ المهديّ ، الذي يبدل
الارض غير الارض ، وبه يحتج عيسى بن مريم علي
نصارى الروم والصين . إنّ القائمِ المهديّ من نسلِ عليٍّ
أشبه الناس بعيسى بن مريم خلقًا وخلقًا وسمتًا وهيبةً ،
يعطيه الله عزّ وجلّ ما أعطى الانبياء ويزيده ويفضله .
إنّ القائم من ولدِ عليّ (ع) له غيبة كغيبه يوسف ،
ورجعة كرجعة عيسى بن مريم ، ثم يظهر بعد غيبته مع
طلوع النجم الاحمر ، وخراب الزوراء وهي الريّ ،
وحسف المزورة وهي بغداد ، وخروج السفيناني ،
وحرب ولد العباس مع فتیان أرمينية وآذربيجان تلك
حرب يقتل فيه ألوف وألوف ، كلّ يقبض على سيفٍ

محلّي تحفّق عليه رايات سود ، تلك حرب يشوبها الموت
الاحمر والطاعون الأغير ...¹

أقول : الثابت من النصوص أنّه قبل ظهور المهدي يكثر الموت ، ويستفاد من
النصوص ثلاث إشارات :

الأولى تتعلّق بظلم البشر لبعضهم البعض ، ولكن دون إستعمال أدوات
العنف والقتال ، مثل الظلم الإقتصادي والمالي والنقدي عبر القاطرات الماليّة التي
تتعامل مع البشر من باب سوقيّ ونفعيّ فتجعلهم كحصيدٍ منتشر ..

الثانية تتعلّق بأثر الطبيعة ، مثل كثرة الزلازل والفيضانات والجفاف وشبه
ذلك ، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ بعض النصوص تشير إلى أنّ قسماً من آثار هذه
العناوين الطبيعيّة هو عائد إلى ظلم الإنسان واضطهاده للنظم وسوء إستغلاله
وشبه ذلك ... ولا أدلّ على ذلك من مصاديق عصرنا اليوم حيث اضطهاد
الكوكب أدّى إلى إعلان الكوكب الأرضي كوكباً مريضاً إنّ على مستوى طبقة
الأوزون أو على مستوى تسخين الكوكب وما يعنيه هذا الأمر من خطورة على
مجموعة أساسيّة من الأمور الضروريّة لوجود الكائنات وذلك بسبب السلوك
الصناعي والإنبعاثات الغازيّة الخطيرة في نفس الوقت الذي يصرّ فيه أصحاب
الصناعات الكبرى في العالم الحرّ على المضي قدماً في مشروع تدمير النظم الآمنة
بمذا الكوكب الذي نحن فيه ، لغايات نفعيّة تراكميّة ذاتية إحتكاريّة دنيئة .. !

¹ النعماني : ص ١٤٦ ، ١٠٢ ح ٤

الثالثة : تتعلق بالفتن والحروب واستعمال أدوات القتل والعنف والتدمير
وشبه ذلك ..

وعليه : لا بدّ من التعامل مع النصوص من باب دلالتها على مثل هذه
العناوين وإشاراتها .. ومن تلك النصوص ما روي من آية الحدثان : (حوادث
ونوائب كبيرة مخيفة) حيث تكون في رمضان علامة في السماء ، بعدها اختلاف
في الناس ، فإن أدركتها فأكثر من الطعام ما استطعت ..^١

وفي لفظ آخر : عن خالد بن معدان قال : إذا رأيت عموداً من نار من
قبل المشرق ، في شهر رمضان ، في السماء ، فأعدوا من الطعام ما استطعتم ،
فإنها سنة جوع .. وفي روايةٍ ثالثةٍ عن كثير بن مرة الحضرمي قال : إني لأنتظر
ليلة الحدثان في رمضان ، منذ سبعين سنة .. قال عبد الرحمن بن جبير " علامة
تكون في السماء ، يكون اختلاف من الناس ، فإن أدركتها فأكثر من الطعام ما
استطعت ..^٢

وفي روايةٍ رابعةٍ عن كثير بن مرة قال : قال ابن قاذويه : آية الحدث في
رمضان ، نار تكون في السماء شبيهاً بأعناق النجب أو كأعمدة الحديد فإذا
رأيتها فأعد لأهلك طعام سنة . قال وربما قال : آية الحدث عمود نار يطلع من
السماء .. أقول : يفهم من هذه الروايات أنّها في مقام النقل عن النبيّ (ص) ..
وقد ورد في الروايات عندنا أنّ النداء يكون بشهر رمضان ونار من المشرق ،
واختلاف يكون بين الناس خاصّةً في الحجاز ...

^١ ابن حماد : ص ٦٠

^٢ أمالي الشجري : ص ٢٧

ومن تلك الروايات التي تحمل في ضمنها عنواناً كونياً ما عن علي بن عبد الله بن عباس قال : لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية ..^١

وفي حديثٍ عن شريك لم يسندهُ قال : قبل خروج المهدي تنكسف الشمس في شهر رمضان مرتين ..^٢ وفي القول المختصر وهو مرسل : لمهدينا آيتان ، لم يكونا منذ خلق الله السماوات والارض ، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان ، وتنكسف الشمس في النصف منها ..^٣

وفي تعبيرٍ وصفيٍّ آخر لعالم الظهور يشير النبي في بعض نصوصه إلى ما تكون عليه أُمَّته من هوانٍ وضعفٍ وانهباءٍ وذلٍّ وإحباطٍ ، وأن الدين بدأ غريباً ويعودُ غريباً ، وأن المسلمين كثرٌ ، لكنهم غناءٌ كغناء السيل ، تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها .. وفي إشاراتٍ من نصوصه يبيِّن (ص) مقابل ذلك ما يكون عليه الكفار من مُلكٍ ونصرٍ وجبروتٍ واضطهادٍ ونهبٍ للثرواتِ واستغلالٍ ، وفي تعبيره أكلةٌ ، يكفي أن نفهم منه نهب الثروات وغيرها سواء كانت ظاهرةً أو باطنة .. وهذه إشارة لا بدُّ من التوقفِ عندها بشكلٍ عاقلٍ والإلتفاتِ إلى دقة نصِّ النبي (ص) (.. !) .

وفي الحديثِ عن جابر الأنصاري قال كان النبي ذات يوم جالسا بين أصحابه إذ هبط عليه جبرئيل (ع) فقال : السلام يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والاكرام بالاسلام ، ثم قال له : أبشرك يا رسول الله بالقائم من ولدك لا يظهر حتى يملك الكفار الخمسة الأهر ، فعند ذلك ينصر الله بيتك على أهل

^١ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٧٣ - ٢٠٧٧٥

^٢ ابن حماد : ص ٦١

^٣ : ص ٢٠ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ مرسلا

الضلال ، ولم يرفع لهم راية أبداً إلى يوم القيامة . فسجد النبي (ص) شكراً لله
وأخبر المسلمين ، وقال لهم :

بدأ الإسلام غربياً ، وسيعود غربياً كما بدأ ،
فسئل عن ذلك فقال : هي الخمسة الأهم التي جعلها
الله لنا أهل البيت وهي : سيحون وجيحون والفراتان
ونيل مصر ، إذا ملكت الكفار الخمسة الأهم ملك
الإسلام (كذا) شرقاً وغرباً ، وذلك الوقت ينصر الله
أهل بيتي على أهل الضلال ، ولم يرفع لهم راية أبداً إلى
يوم القيامة ...¹

في هذا النصّ إشارة إلى ما سيصل إليه عالم الجبهات المتصادم بين أهل
الحقّ والباطل ، وكيف سيكون أمر المسلمين رهيناً ، ضعيفاً ، مبتدلاً .. وهذا
الحديث مع أنّ فيه إضطراباً في بعضٍ منتهٍ لكنّه إن صحّ فهو يعني نفوذ الكفار في
العراق وإيران ومصر في آنٍ ما وزمانٍ محدّد من الغيبة للمهديّ (ع) .. ومن يقرأ
التاريخ يجد فيه العجب العجاب ..

قد يُقال إن نفوذ الكفار فترة الإستعمار الشهير قد ثبت وتمّ؟ الجواب :
أنا لستُ في مقام تطبيق النصوص على الوقائع بشكلٍ حصريّ ، لكن في قراءة
سياق الأحداث وما عليه النصّ تكفي الإشارة إلى معانٍ مذهلة وقد يكون ما
أشار إليه النبيّ في هذه الجهة انطبق .. وعلى كلّ حال ، فالثابت من النصوص
وبشكلٍ لا يقبل التأويل أنّ أمر المسلمين يكون مهيناً ، رهيناً ، مبتدلاً ، وأنهم

¹ ملاحم ابن طاووس .

مهزومون في زمنٍ غربةٍ وشرٍّ انتماء ، وأنّ قسماً منهم يكون من أئمة الضلال ...
لكن مع كلِّ هذا ركزت النصوص على رايةٍ مشرقيةٍ خراسانيةٍ ، ترفع الرايات
السود ، تكون على خطى أهل البيت ، تثبت على كتاب الله وسنة النبي ، وتظلّ
ظاهرةً بدينها إلى ساعةٍ ظهور المهدي ..

وفي تعبيرٍ آخر عن رسول الله (ص) : لا تقوم الساعة حتى تعود أرض
العرب مروجاً وأثماراً ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال
الطريق ، وحتى يكثر الهرج . قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل ..^١
(إشارة إلى أنّ بلاد العرب تصل إلى مستوى من الرفاهية والتقدم العمراني وما
يتصل بذلك من إحياء الصحراء ، وأنّ تلك الأحداث من العنف والإضطراب
والحروب والفتن تكون بعد إحيائها وإعمارها ..) .

وعليه : النصوص الصادرة عن النبي منذ أكثر من ١٤٠٠ عام تشير إلى
أنّ العالم مقبل نحو تدهورٍ أممي وفتنٍ كبرى وقتل وفوضى ، وانهميارٍ خطيرٍ في
جانب الأطر الحقوقية في ظلّ قرصنةٍ عسكريةٍ واحتكارٍ قاتلٍ على صعيد الثروة
والمال ، بل في بعض النصوص النبوية أنّ بعضهم يسيطر على الأثمار وبين يديه
الأكل والماء ، وهو تعبير جيّد في الإشارة إلى الإحتكار والسيطرة السوقية .. كلِّ
ذلك في بيئةٍ تفترس الفتنة وتطير بها ، وتعلو ظهرها ، وتركب الغمام ، ويرى
الشرقيُّ الغربيُّ ، والعكس أيضاً ، فإذا طار الفساد في البلاد ، وتوسّعت الفتن ،
وعمّ الظلم ، وانحرفت القيم ، كان الموعدُ مع المهديّ منقذاً ، لإقامة العدل في
البلاد .. وتركز طائفة من النصوص الناظرة إلى زمن المهديّ على مجموعة من

^١ أحمد : ٢٣ ص ٢٧٠

التغيرات الجوهرية التي تطرأ على صعيد الحكم والقيادة السياسية خاصة في منطقة الشرق الأوسط وما يتصل بكيانات العرب من قتلٍ وانقلابٍ وموتٍ لخليفةٍ وخلافٍ على حكمٍ وغير ذلك ، بحيث يكون لها تأثير واسع على النشاط السياسي والجبهات وتوسع الفتن وعدم المأمن في ظلّ تشابكٍ مصلحي دولي .
ففي عقد الدرر قال : ومن حديث أبي الحسن الربيعي المالكي بسنده إلى رسول الله (ص) قال فيه : بعث الله من دمشق ، وأسوده سلاحاً ، فإذا قتل الخليفة بالعراق ، خرج عليهم رجل مربع القامة ، كث اللحية ، أسود الشعر ، براق الثنايا ، فويل لأهل العراق من أتباعه المراق ، ثم يخرج المهدي منا أهل البيت ، فيملا الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً...¹

وفي لفظٍ آخر (له دلالة بالغة) : .. منعت العراق قفيزها (المكيال) ودرهمها ، ومنعت الشام مدّها ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ..²

التعبير هنا يشير إلى أن أزمة إقتصادية صعبة وعسيرة تصيب المسلمين في العراق والشام ومصر ، وعلى كلِّ حال ففي النصوص كفاية في الإشارة إلى أزمة احتكارٍ سوقي وأزمة نهبٍ للثروات وسيطرة على قنوات المال على يد الجبهات الأخرى من الروم والدجال وغيرهما فيكون الجوع والفقر واحداً من معانيها .. وهذا يدلّ على أن العالم آنذاك يكون مفتوحاً على مجموعةٍ كبرى من المؤثرات

¹ عقد الدرر : ص ٤٥ ، ٤٦ ، ١٩٤ وقد أخرجه الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن من حديث سليمان بن حبيب بمعناه مختصراً . وفي : ص ١٢٢ ، ٥٠ وقال " أخرجه أبو عبد الله الخاكم في مستدرکه . وأخرجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سننه ، والامام أبو الحسن الربيعي المالكي ، والحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن ، كلهم بمعناه .

² أحمد : ج ٢ ص ٢٦٢

الإقتصادية والسوقية والسياسية والعسكرية وغيرها .. وفي روايات إضافية يشير النبي إلى علامات وأسماء ترتبط بوقائع معينة وهي إشارات يُراد منها سرد مجموعة من علامات تقع في زمن الغيبة وما يتصل به من ظهور . مثلاً على ذلك في الحديث عن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قالا : قال علي بن أبي طالب (ع) سمعت حبيبي محمداً (ص) يقول :

سيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق ، بين
دجلة ودجيل وقطربل والصرارة ، يشيد فيها بالخشب
والآجر والحصص والذهب ، يسكنها شرار خلق الله
وجبابرة أمتي ، أما إن هلاكها على يد السفياي ، كأني
بها والله قد صارت خاوية على عروشها ..^١

النصّ يشير إلى أن السفياي يكون على قدرٍ من القوّة والبطش ، وأنه رمز من رموز الجبهات التي لها تأثير عميق في الشرق الأوسط أو منطقة ذات سعة جغرافية على الأقلّ مثل الكور الخمس (الشام التاريخية وبرّها) فيدخل المدن والبلاد فيخربها ، وهذه حالة من ينتصر في عالمٍ يعتمد الأدوات المدمّرة أسلوباً للفتح من دون قيم عقائدية دينية ، فكيف إذا كانت الحال مع السفياي الذي يصرّ على فتح الحصون لإقامة حكمه على جثث الناس !

في المقابل تدخل الروم على خطّ الصراع (الروم كيان مسيحي سياسي غربي) ويكون لها تأثير بارع في الصراع الذي يجري في المشرق ، بل في أكثر من

^١ تاريخ بغداد : ج ١ ص ٣٨

مضمون تردّد بالروايات : يغلبون المسلمين على أمرهم .. وفي الحديث عن أبي ذر قال سمعتُ رسول الله يقول :

سيكون رجل من بني أمية بمصر يلي سلطاناً ثم يغلب على سلطانه أو ينزع منه ، ثم يفرّ إلى الروم ، فيأتي بالروم إلى أهل الاسلام فذلك أول الملاحم ...¹

وفي تعبيره : أن ذلك يكون أول الملاحم فيه إشارة دقيقة إلى أمر الفتن والحروب والصراع المرير الذي يصيب بلاد المسلمين .. واللافت فيه أن ذلك الرجل ينتصر بدعم رومي بل بمباشرة رومية في منطقة الشرق الأوسط من أجل تركيز وتثبيت مجموعة من نقاط حيوية لها في المنطقة يظهر أنها تخسر أو تكون على وشك ذلك . النص صريح جداً في استنصار سلطان مسلم للروم (أي مسيحية سياسية غربية) من أجل إعادة سلطانه فتلبّي الروم ذلك ، وتخوض حرباً في سبيل تكريس حكم سياسي تابع لها على نحو يتصل بمصالحها وضرورات وجودها في الشرق على نحو استراتيجي .. وأن ذلك يكون أول الملاحم التي يكون من أثرها ضعف متزايد في أمر المسلمين ، فضلاً عن تكاثر الفتن عليهم وبينهم ، ونيلهم المشقة وذهاب ثرواتهم وتبعية أسواقهم ، وظهور الأسى والجوع والضعف والتهرّم .. وهذا النصّ يتممه ما مضى بقوله (ص) : ... منعت العراق قفيزها (المكيال) ودرهمها ، ومنعت الشام مدها ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأت .. ففي هذا الحديث إشارة مركزة في بيان الهيمنة التي تطال أسواق بلاد المسلمين ، وتضرب بعمق البلاد ، كنموذج يطال

¹ ابن إسحاق : على ما في ابن عساکر ، مسند الرويان : على ما في عرف السيوطي ، والجامع الصغير . ملاحم ابن المنادي : ص

العروش والقيادات الحاكمة ، بالإضافة إلى تغيير ضخم يطال الخريطة السياسيّة في ظلّ سيطرة واضحةٍ وغلبةٍ بينةٍ للروم وباقي جبهاتِ أهلِ الباطلِ ..

أقول : هذا النصّ من مغيبات النبيّ (ص) وما عليك إلا أن تقرّ هذه المضامين بتمعّنٍ وملاحظةٍ وتحرّ ومداقةٍ ، فإنّ فيها من الإشارات الكبرى ما يثير في كلّ عاقلٍ عناوين مدهشةٍ ومظاهر مختلفةٍ .. وما على العرب بزعاماتها إلا أن تقرّ المزيد من هذه النصوص لتغوص في التاريخ مرّةً وفي الحاضر مرّةً أخرى ، في ظلّ محاولةٍ تطبيقيّةٍ لما هي عليه الآن وما كانت عليه ، وما سيكون عليه أمرها .. وفي نصّ آخر عن النبيّ يشرحُ فيه واقع حالِ الإيمانِ وما يصلُ إليه ظرفُ التديّنِ والتمسكُ به قال (ص) :

ويلُّ للعرب من شرٍّ قد اقترَب ، فتناً كقطع
الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، يبيع
قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل المتمسك يومئذ بدينه
كالقابض على الجمر . أو قال : على الشوك ...¹

وفي لفظٍ آخر عن أنس بن مالك ، قال قال رسول الله (ص) : يأتي على
الناس زمان ، الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر ..

وكما ترى في هذه النصوص يشير النبيّ إلى هزيمةٍ تطال العرب في أكثر
من جهةٍ وموقعٍ ، ليس في مجالِ الفتنِ ذات البُعدِ العسكري بل هي تتسع للفتنِ
التي تطال الإنحراف في الحكم والنصّ والمواثيق والقيم والأعراف ، إلى درجة

¹ أحمد : ٢٠ ص ٢٩٠

يكون فيها القابضُ على دينه كالقابضِ على الجمرة .. وبتعبيرٍ آخر ، يصبح الدينُ صفةً غير مرغوبة في تلك المجتمعات ، بل صفة صعبة ومستصعبة وعسيرة يلاقي في سبيلها المؤمن المتاعب والمشقات ، وعلى إثرها يمنع المتمسك بدينه كثيراً من قيم المال والوظيفة والانتماء للحياة والمجتمع . وفي غيره من النصوص يستفاد أن التدين يصبحُ شيئاً عيباً بنظر الناس ، وتشنُّ عليه الدعاياتُ القاتلة فيبتذلُ الدين ، ويصبح التدينُ قهمةً ومنكراً .. من هنا يكون القابضُ على دينه كالقابضِ على الشوك أو الجمر .. وبطبيعة الحال ، إنَّ هذا الواقع هو من أخطر العقبات بوجه التدين ، حيث كلُّ شيءٍ يجبر لصالح اعتبار التدين أزمة خطيرة على حياة الجماعة والمجتمع .. ويستفاد أيضاً أن العرب تكون على موعدٍ مع أزمة خطيرة ، تطأها في أكثر من وجه ، منها غلبة الروم وكثرة الفتن والخروج على الدين وظهور أئمة الباطل وغير ذلك ، حتى يبدو العرب في شرِّ هزيمة منكورة ، وفي رواية طلحة بن مالك عن النبي (ص) : إن من اقتراب الساعة هلاك العرب ..^١

وفي الحديث عن منذر الثوري وهو مؤيد بمجموعةٍ من نصوصٍ مروية

قال :

ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترَب ،
 الاجنحة وما الاجنحة ؟ أويلُ الطويل في الاجنحة ، ريح فيها هبؤها ،
 وريح تهبج هبؤها ، وريح تواحي تراخي هبؤها ،
 ويلٌ للعرب .. من قتل ذريع ،
 وموت سريع ،
 وجوع فظيع ،

^١ تاريخ البخاري : ٤ ص ٣٤٥ ٣٤٤ > ٢٠٧٢

يصب عليها البلاء صبا ،
فتكفر صدورها ،
وتغير سرورها ،
وتهتك ستورها ،
ألا وبدنوبها يظهر مراقها ،
وتنزع أوتادها ،
وتقطع أطناها ،
ويل لقريش من زنديقها يحدث أحداثا ،
يكذب بدينها ،
وينزع منها هيبتها ،
ويهدم عليها جدرها ،
وتغلب عليها جنودها ،
وعند ذلك تقوم النائحات الباقيات ،
فباكية تبكي على دينها ،
وباكية تبكي على دنياها ،
وباكية تبكي من ذلها بعد عزها ،
وباكية تبكي من جوع أولادها ،
وباكية تبكي من قتل ولدائها في بطونها ،
وباكية تبكي من استدلال رقابها ،
وباكية تبكي من استحلال فروعها ،
وباكية تبكي من سفك دمائها ،
وباكية تبكي خوفا من جنودها ،

وباكية تبكي شوقاً إلى قبورها ...^١

وفي نصٍّ آخر عن النبيّ (ص) قال : ويلٌ للعرب ، من شرٍ قد اقترب ،
ينقص العلم ويكثر الهرج ، قيل : يا رسول الله وما الهرج .. ؟ قال القتل ..
إمارة الصبيان ، إن أطاعوهم أدخلوهم النار ، وإن عصوهم ضربوا أعناقهم ..

أقول : هذه النصوص تثير كلَّ دهشة (1..) من حيث الإشارة والمظهر
وانطباق الفعل على الصفة ، فكلُّ شيءٍ يدلُّ على أنَّ عناوين الهزيمة خطيرة جداً
وإنَّ الهدف الأكثر تضرراً يكون منصباً على الدين ، لكنَّ هذا لا يعني أنَّ العلمنة
أو خطُّ الإجتماع السياسي غير الديني يكون على عزِّ مقام ، بل يكون هو أيضاً
مهزوماً شرَّ هزيمة ، ويكون الحكم على شرطِ الوكالةِ والإستنابةِ من رموزِ الحكمِ
العالميِّ ليس أكثر في ظلِّ تدهورِ خطيرٍ وتبعيّةِ قاتلةٍ ، واحتكارِ سوقيٍّ وسياسيٍّ
ونفسيٍّ بل ووجوديٍّ غريبٍ ومذهلٍ .. النصِّ فيه تعابيرٍ تريد أن توصِّلَ العبارة
على شكلٍ لافتٍ إلينا في وصفِها إلى الهزيمة التي تطال الدين من جهةٍ والدنيا من
جهةٍ أخرى ، ففيه إشارة صاعقة إلى ذلك : باكية تبكي على دينها ، وباكية
تبكي على دنياها ، باكية تبكي من ذلها بعد عزها ، وباكية تبكي من جوع
أولادها . باكية تبكي من قتل ولدائها في بطونها ، وباكية تبكي من استدلال
رقابها . باكية تبكي من استحلال فروجها ، وباكية تبكي من سفك دمائها .
باكية تبكي خوفاً من جنودها ، وباكية تبكي شوقاً إلى قبورها ... لكلِّ تعبيرٍ
إشارة إلى جهةٍ ورمزٍ ماليٍّ ، أمميٍّ ، سوقيٍّ ، نفسيٍّ ، إجتماعيٍّ ، وصولاً إلى
السيِّ والإغتصابِ والقتلِ وسفكِ الدماءِ والإستعبادِ وغير ذلك .. إنَّها الهزيمة

^١ عبد الرزاق : ١١ ص ٢٥٢ ، ٢٠٧٣٠

الأخطر بكلّ معانيها ومقاييسها ، هزيمة تطال الثقافة والإنتماء ، تطال الدين والدنيا ، تطال الأمن الغذائي فتقضي على أمل العيش وشرط البقاء ، وعلى الجهة المقابلة هناك من يبكي قتل الولد ونهب الثروات وظلم الجنود حتى أنّ الموت يكون أقرب طريق آمن للهروب من الظلم والإضطهاد الذي يلاقيه العرب .. !

في النصر إشارة ذكيّة جداً إلى واقع مرير من الموت والنهب والقتل والعنف والإضطهاد والإحتكار والإستنزاف والخلل الأمني الكبير وسقوط الضمانات في الشقّ الجزائري والمدني ، وبصورة عامّة موت الشقّ الحقوقي ، في ظلّ فتنة كبرى تحتاح البلاد ، وتدخل البيوت وتنسف المأمن وتطير في الأرض والسماء لتطال الأموال والأعراض والأطفال والشبان والعجائز والبيوت والأسواق ولقمة العيش وشربة الماء حتى يكون الموت أهون من أيّ شيءٍ آخر ..

يضافُ إلى ذلك فأنّ الزمنَ يكون زمن متغيّرات ، زمن فتن ، زمن حكومة الصبيان ، زمن إنتصار السلطان العربي بالروم ، زمن زحف الروم على بلاد الإسلام ، زمن جوع ووجع ، وتبعيّة قاتلة ، زمن احتكار الثروات ، واستنساية الحكم ، وقتل الجند للأولاد والرجال ، زمن سبي بمعانٍ وعناوين مختلفة لكنّها واحدة من حيث الأثر ونخاسة الإتجار ، زمن ذلّ بعد عزّ ، زمن الشرّ المرتقب ، زمن الأجنحة ، وهو تعبير مثير للدهشة ، حيث ألويل الطويل في الاجنحة ، وبتعبيرٍ دقيق هي ريح فيها هبوبها ، وريح تميج هبوبها ، وريح تواحي تراخي هبوبها ، لا شكّ أنّه معنى يُرادُ فيه عصر الأدوات والتكنولوجيا ، تعبير يُراد توظيفه في الإشارة إلى ما تصل إليه البشريّة في عصر الغيبة والظهور ، تعبير يُراد منه الإنتقال من المعنى التاريخي إلى معنى الأداة العصريّة ذات الفتك والقتل والعنف المتصل بعالم الريح وما تحتضنه من جسمٍ طائر ..

زمنٌ يكون فيه الموتُ سريعاً ، ويكون فيه الجوعُ فظيماً ، زمنٌ يُصبُّ
البلاءُ فيه صبّاً ، فتكفرُ الصدور ، أي يترك المسلمون دينهم ، وينزعونهُ من
صدورهم فيخلعون عزهم ، ويُؤسرون في ذلٍّ ليس بعده ذلٌّ .. هناك يتبدل
السرور ، وتُتهتك الستور ، وتنهزمُ الأمةُ بذنوبها وفسقها ، بخروجها على ربّها ،
باستبدالِ دينها الاجتماعي السياسي الإقتصادي الكوني بعلمنة قاتلة ، بمواثيق
غريزيّة ، بقيم ذات اتصال بحسّ قاصر ، بثقافاتٍ تصر على بتر إيّ علاقة لله
والرسالاتِ بمشروع الإنسان الاجتماعي ، بأيدولوجيا تتعامل مع الدين على أنّه
مجردّ تعبير أخلاقي تاريخي قديمٍ أكلَ عليه الزمنُ وشرب ، هناك يظهر من تلك
الأمةُ بذنوبها مراقها ، وتُنسزع أوتادها ، وتقطع أطناها ، فتُهوي من عالي عزّها
في طاعة الله إلى ذلّ المعصية ، بكلّ ما تعنيه هذه العبارة من تشرّد وتبعيّة وجوعٍ
ووجعٍ وبيعٍ في سوق الأمم .. هناك يُحدثُ رموزٌ من حكّام الأمصار والكياناتِ
أحداثاً خطيرة ، وعلى رأسِ هؤلاءِ زنديق قرشيّ آثم ، يحدث أحداثاً كبرى ،
يكذب بالدين ، فتنسزع عن قريش الهيبة ، ويهدمُ جدارُ العظمة ، وتُغلبُ قريش
بجنودٍ آخرين .. مع الإشارة إلى أنّ لفظ قريش له معنى تاريخي وحضوره اليوم
جليّ بمصاديق كثيرة فيرادُ الإشارة إلى معناه العصريّ ، وهذه طريقة المعصوم (ع)
في بيان مغيبات الزمنِ القادمِ وما يحدث فيه ..

هنالك تحلّ الهزيمة وتُملكُ العرب ويُهجرُ الدين فيعود غريباً كما بدأ ،
ولا يُتركُ أهلُهُ ، بل يلاحقُ المؤمنون المتدينون بأشكالٍ عدّة ، بالعنفِ والقطيعةِ
الوظيفيةِ والاجتماعيةِ حتى الإستئصال والإعدام في الساحات ، هناك يصبح
القابضُ على دينه كالقابضِ على الجمرة ، وتُباعُ الآخرةُ بالدنيا ، وتزحف الروم
(المسيحية السياسية) فتُستنصر ، فتفعل فتقتل وتدمر وتحكم .. ويكثر القتل

ويدور الفساد بين الأزقة ، فتبكي الواحدة وليدها وشبانها ودارها وبعلمها
وتصرخ من جور الظلم والزمان وتتمنى الموت وهي تُساقُ كسوقِ العبيدِ فتسبى
بشرّاً على يدِ الجندِ في ظلِّ إمارةِ الصبيان ..

إنّ هذا نموذج تعدّدي من هزيمة العرب في آخر الزمان . وهو مذكور
في العديد من النصوصِ الموثوقةِ الصدورِ عن النبيّ (ص) فهل ترى فيه إشارة إلى
ما تتحرّك نحوه الأحداث ، أم في عالمنا إشارات إنطباقية على ذلك .. ؟ كلّ شيءٍ
يدلّ على أنّ الرسولَ (ص) كان في مقامِ الإشارةِ إلى عالمٍ متهاوٍ وكياناتٍ
متضعضة وبؤسٍ يطال العرب بشكلٍ مأساويٍّ قاتل ، في نصوصٍ شديدة
الإعجازِ والبيان .. وكما ترى فإنّ الأمر متّصل أشدّ اتصال بترك الدين ،
واستبداله بالدنيا حين يتمّ الأمر على هذه الصيغة وذاك المسلك ، فإنّ عزّ ما هم
فيه يكون على انهيارٍ وهاوٍ وذلٍّ وسبيٍّ وغلبةٍ لجندٍ آخرين ..

أقول : من ينظر بعين الدقّة إلى مثل هذه النصوص يرى فيها الكثير من
عمقِ المأساة والمشاهد المتحرّكة المنقولة إلينا منذ زمنٍ بعيد ، يرى فيها دقّة
حديثِ النبيّ المعجزِ الكاشفِ عن الغيبِ بإذنِ اللهِ تعالى ، يرى فيها مشهد العالم
السياسيّ وحركة التطوّر وزحف الجبهات ، يرى فيها ثقافة التبعيّة كيف تمزّق
القوى وتُلحق بها شتّى أنواع الهزيمة والإهيار ، وما عليك إلا أن تراقب ما عليه
حال الزمن ، بما فيه من أحداثٍ وحدثان ، من إمارةٍ وحكمٍ واستنصار من
هجمة الروم (المسيحيّة السياسيّة) ونفوذها ، من بتر الدين واستئصال قيم
الإسلام من المجتمع السياسي ، من تداعي الأمم على المسلمين كما تتداعى الأكلة
إلى قصعتها في نهب الثروات الباطنيّة من معدنٍ ونفطٍ وغازٍ وغيره وصولاً إلى
الثروات الظاهريّة في ظلّ هزيمة نكراء .. !

وحين يصل الأمر إلى حدّه في معالم الزمن وانطباق الصفات المحدّدة هناك تتمّ صفة الخروج فيأذن الله تعالى للمهديّ بالظهور فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ..

وما أحبّ أن أشير إليه هو أن العالم وصل إلى مستوى من الإنكار للدين غريب ومريب ومتعب ومذهل وصل إلى مستوى إستطاع فيه أن يعولم العلمنة ، ويشرط موثيق العالم على نحو معاند للدين ، كإعلان عالمي ضروري بنكران صلة الله التشريعيّة بالإنسان ، وهو تعبير صريح عن الكفر بنحو صارخ بما عليه الرُّسل ووقائع الوجود .. إته تعبير مخيف عن رفض فكرة الإستخلاف الوجودي من قبل الله تعالى للإنسان ، وإصرار على أن الإنسان هو موجود رائع ، لكنّ الغريزة والأحاسيس الماديّة هي التي تحرك فيه تبني القيم وتشريع الموثيق وتنظيم الوجود على نحو أرضي بعيد عن موثيق السماء .. وبتعبير هوليوود : الغريزة هي كلّ شيء ، هي تحرك السوق وتقود العالم ، هي الربّ الأساسي في حياة العالم منذ قرونٍ منصرمة ، وهي الآن السبب الرئيسي في إعادة تكوين الوجود العام الإجتماعي السياسي الثقافي الإقتصادي في العالم ..

أمّا الله تعالى ، فليس له أيّ معنى في موثيق العالم ، وكلّ شيء فيه يدلّ على جبهة عنيفة تصر على بتر الدين ومنعه من التسلّل إلى أيّ منطقة من ذهن البشر .. بعد هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ على نيويورك وواشنطن زادت الدعاية وبشكل هستيري وهي تصرّ على ضرورة وصف الدين الإسلامي بالعبثي والعدمي والرجعي والخطير .. لا شك أن من ينظر إلى عالمنا هذا بعين بعيدة يثيرة ما يرى من إعلان حرب جهويّة كبرى على صعيد العالم السياسي بكلّ قنواته ومكوّناته الدوليّة على الدين خاصّة على الإسلام ، في ظلّ إصرار عنيف من قبل

العالم على ضرورة بتر أي صلة للإسلام في تكوين الفكر السياسي الاجتماعي العام في أي دولة وكيان ، من هنا يحارب العالم إيران الإسلامية الخراسانية ، من هنا وضعها جورج بوش الابن في خانة محور الشر .. في عناد قاتل وإعلان هائل لمنع أي صلة لقيم الدين مطاطاً في التسلل إلى ذهن الإنسان ..

ومن يراقب خريطة الدول الإسلامية اليوم وما هي عليه من ذل وانحيارٍ وتبعيةٍ وبؤسٍ في سوق الإستهلاك والإنتاج والصناعة والتكنولوجيا وإنتاج الثقافة والتأثير في الرأي العالمي يدرك أهمية ما ورد في هذه النصوص الشريفة ، وربما تكون هذه الصفة من أولى درجات الإنطباع في عصر الغيبة والظهور في ظل مسيرة مستمرة ومتزايدة من التدهور والانحيار والتبعية والإنعدام .. في حين أن الشيء الوحيد المفقود في عالمنا المنهار هذا هو الدين الإسلامي الذي يُلاحق اليوم كطريدةٍ وضحيةٍ والذي يُصنّف بعد هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ كمصدر لثقافة القتل والرجعية والتخلف وعلى مسمع زعماء العالم الإسلامي وتحت نظرهم دون أن يكون لهم أن ينطقوا بلا أو يعترضوا .. ! لقد وصل الأمر إلى حدّ أن المتدين والمتمسك بالإسلام في أي دولة غريبة تلاحقه الإستخبارات بشكلٍ حثيثٍ ومستمرٍ ويُمنع من أي وظيفة حسّاسة ، بل يتعامل معه الشارع الغربي من باب الخطر الداهم .. ومن الغرب إلى الشرق إلى كياناتنا وبلداننا فإنّ المفقود الوحيد هو إسلام الجماعة ، إسلام السوق والاقتصاد والسياسة والأخلاق والآداب العامة والصيغة الأدبية .. بمعنى أن الزمن زمن غربةٍ نسبيةٍ مستمرة ، والخطورة بالغة ..

في ذلك الزمن يكون المسلم ضعيفاً مستضعفاً ، إلا من جبهة ذات حقٍ وولايةٍ واتصالٍ بمواثيق الله والرسول وأهل البيت تكون في المشرق ، راياتها سوداء ، تعمل بجدٍ ونشاطٍ من أجل تطبيق الفكر الإسلامي في جهات الكيان

بمختلف عناوينه ، في حين تشير النصوص إلى أن هناك جهات مختلفة ، تصرّ على بتر العالم من الصلة بالسماء ورسالاتها .. والغريب في تلك النصوص إشارة النبي وبشكل دقيق إلى جبهة اليهود التي تكون على نحوٍ عنيفٍ من اضطهاد الدين وأهله ، ويظهر من أكثر من نصٍّ واضح أنّها تكون مدعومة بشدّة من الروم (كيان سياسي غربي مسيحي) وأنّ هذه الجبهة (اليهود) يكون لها وجود فاعل ومؤثر في الأحداث خاصّة في منطقة الشرق الأوسط حسب تعبيرنا اليوم ..

إذا ماذا عن اليهود .. ؟

اليهود

أطبقت النصوص على أنّ جبهة اليهود تكون من ضمن الجهات الفاعلة في العالم السياسي خاصّة في منطقة الشرق الأوسط (في إيلياء وهي فلسطين) ومع أنّ اليهود هُزموا شرّاً هزيمة على أيام النبي ، ولم يكن لهم أيُّ بُعدٍ مؤثّرٍ أو فاعلٍ يُذكر ، بل كانوا قلةً ، هُزموا من شبه الجزيرة العربيّة بأمرٍ ووصيّةٍ من الرسول (ص) ومع كلّ هذا ظلّ النبي في نصوصه لآخر الزمان يشير بشكلٍ دقيقٍ إلى أنّهم يكونون على قدرٍ من القوّة والبطش والنفوذ ، وهذا واحد من معاني الإعجاز الغيبيّ ، لنبيّ لا ينطق عن الهوى ، إن هوى إلا وحي يوحى ، عمله شديد القوى .. ودليلٌ آخر على عظمة نصّ النبي وصدق قوله وكلّ ما يقول صدق بلا أدنى شكّ ..

سبحان الله .. ! اليوم كلّ العالم يرى على مشهدٍ الخارطة السياسية الكيانية وجود اليهود وبشكلٍ قادرٍ وفاعلٍ ونافذٍ ومثيرٍ وهم من الأمم الأسوأ في

العالم ، يضطهدون الدين ، يفسدون في الأرض ، أقاموا كيانهم على جثث البشر في فلسطين دون أيّ شعورٍ بالذنب ، بل تفاخروا بالمزيد من الاعتزاز بالقتل واضطهاد المسلمين .. ها هم اليهود يعتبرون اليوم سادس قوة نووية عالمية على الإطلاق .. بل إنه في تاريخ ٢ تموز ٢٠٠٢ ولأوّل مرّة في تاريخ العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وفي أوّل إعلانٍ من نوعه على الإطلاق أعلنت نشرة عسكرية أمريكية مختصّة صادرة عن مركز مكافحة إنتشار الأسلحة النووية التابع لسلاح الجوّ الأمريكيّ عن أنّ إسرائيل اليوم تمتلك ٤٠٠ قنبلة نووية ، في ظلّ إعلانٍ أمريكيّ إضافيٍّ على ضرورة حماية أمن إسرائيل كجزءٍ من مصالح أمريكا الحيوية في منطقة الشرق الأوسط ..

وقد أشار التقرير الأمريكيّ الأهمّ في النشرات النووية إلى أنّه كان لدى إسرائيل عام ١٩٦٧ (١٥ قنبلة نووية) وفي العام ١٩٨٠ كان لديها ٢٠٠ قنبلة نووية وفي العام ١٩٩٧ كان لديها ٤٠٠ قنبلة نووية .. ومن حيث النوعيّة فإنّه وبحسب التقرير كان في العام ١٩٦٩ لدى إسرائيل ٥ إلى ٦ قنابل تبلغ قوّة كلّ واحدة منها ١٩ طنّ . وفي العام ١٩٧٣ امتلكت ٢٠ صاروخاً نووياً وطورت " القنبلة الحقيية " وفي العام ١٩٧٤ أقامت إسرائيل ثلاث وحدات مدفعية نووية تحوي كلّ منها ١٢ فوهة من عيار ١٧٥ ملم و ٢٣٠ ملم .. وفي العام ١٩٨٤ امتلكت إسرائيل ٣١ قنبلة بلوتونيوم ، وأنتجت ١٠ قنابل يورانيوم أخرى ، وفي العام ١٩٨٦ كان لدى إسرائيل ما بين ١٠٠ إلى ١٠٠ قنبلة منشطرة وعدد من القنابل المنصهرة وفي العام ١٩٩٤ صنعت ما بين ٦٤ إلى ١١٢ قنبلة برأسٍ حربيٍّ صغيرٍ وكان لديها ٥٠ صاروخاً نووياً من طراز يريجو ..

وأُنجزت إسرائيل ما كانت تبغيه من مشروعها النوويّ عام ١٩٩٥ عندما أنتجت " قنابل نيوترونيّة " وألغام نوويّة وقنابل الحقيبة ، وصواريخ تطلق من الغواصات ... ويشير التقرير إلى امتلاك إسرائيل لحوالي ٥٠ إلى ١٠٠ صاروخ (يريحو ١) و ٣٠ إلى ٥٠ صاروخ (يريحو ٢) .. كما تمتلك إسرائيل " قنابل هيدروجينيّة " تزيد قوّة كلّ قنبلة منها مئة إلى ألف مرّة عن القنبلة النوويّة الإعتياديّة .. والقنبلة الهيدروجينيّة تعتبر قنبلة معقّدة باهظة التكاليف ومعقّدة التطوير ، وتمتلك مثل هذه القنبلة كلّ من الولايات المتّحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين فقط بالإضافة إلى إسرائيل .. كما أنّ إسرائيل طوّرت قنابل نيوترونيّة تكتيكيّة قادرة على تدمير القوات المعادية بأقل كلفة من الخسائر في الممتلكات كما توجّهت إسرائيل إلى القنابل النوويّة الصغيرة الموضعيّة لسدّ هجماتٍ موضعيّة .. وأكد التقرير الذي نشر على موقع المركز الأمريكي على الإنترنت والذي يديره العقيد المتقاعد فارنر فار أنّ وصول غواصات دولفين الألمانيّة الصنع إلى إسرائيل مكّن إسرائيل من امتلاك القدرة على " توجيه الضربة النوويّة الثانية " . كما أنّ إسرائيل طورت صواريخ نوويّة تطلق من البحر منذ الستينات ..

يشار إلى أنّ المنطقة تعتبر خالية من الدول النوويّة بإستثناء إسرائيل النوويّة ذات الخطورة البالغة ، والتي تصل إلى مستوى معقّد والتي دخلت بقوّة إلى نادي كبار الدول النوويّة في العالم وهم الدول الخمس : أمريكا ، روسيا ، بريطانيا ، فرنسا ، الصين .. ومع أنّ الهند وباكستان منطقتان نوويتان ، إلا أنّهما تتأخّران جدّاً عن إسرائيل في القنابل والتقنيّة ، فضلاً عن أنّهما لا تمتلكان قنابل

هيدروجينية وغيرها .. ما يحيل إسرائيل قوةً كبرى في المنطقة بل والعالم من هذه الناحية ..

لقد كان النبي محمد (ص) يؤكد على نفوذ اليهود وبشكل كبير ، في زمن كان اليهود فيه يمثلون قلة لا يقوون على سيف أو مقاطعة ، حتى أنهم طردوا من جزيرة العرب في ظل هزيمة شنعاء ، لا يمكن معها القول أبداً بإعادة تكوين وجودهم السياسي الكياني القتالي إلى مستوى عالمي ، وعلى الأقل ضمن مستوى إقليمي فاعل في زمن بعيد .. لكن رسول الله (ص) أكد أن لليهود عودة وقوة ونفوذاً ، وهذا ما حصل ، ليكون نموذجاً آخر عن عظمة هذا النبي الصادق المتصل بأسباب السماء والغيب الملقى من الله تعالى ..

واليوم يمتاز كيان اليهود في فلسطين المحتلة بمدد واسع في الثروات والعتاد وصناعة تكنولوجيا " السوق والحرب " وعلى مستوى مذهل ، إضافة إلى جبهة غربية واسعة تدعمها وترعاها وتساعدتها في الوصول إلى قمة نوعية أوسع من الشرق الأوسط .. ها هم اليهود اليوم أقاموا دولتهم على جثث المسلمين ودارهم في شر هزيمة منكرة للمسلمين في أرض فلسطين .. ومنذ وعد بلفور البريطاني بدأت عملية التأسيس لكيان يهودي إسرائيلي هو الأخطر ، يوم كانت بريطانيا تمثل القطب الأهم في النظام الدولي وبتفاق غربي رعاه البريطانيون والفرنسيون وقد رحل اليهود من العالم إلى فلسطين فشنوا أعنف حرب دموية تدميرية مدعومة من الغرب (الروم : بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ..) فاحتلوا فلسطين وأعلنوها وطن المعاد وبعام ١٩٤٨ دعم الغرب قيام دولة إسرائيل في فلسطين عبر الأمم المتحدة ككيان عالمي معترف به فتم ذلك في ذل وانحيار وبؤس عربي وإسلامي غريب .. !

وكانت فرنسا أول من قدم لإسرائيل مفاعلاً نووياً لتكون الدولة النووية الأولى في الشرق الأوسط ولتكتسب بذلك تفوقاً نوعياً قتالياً على العرب والمسلمين جميعاً .. ! ومن بعد ذلك حلت الولايات المتحدة على رأس ثنائية النظام الدولي مع روسيا فرعت وبشكلٍ لا مثيل له على الإطلاق بناء قوة وترسانة كبرى لإسرائيل فقدّمت لها ما يصل إلى ٩٠ مليار دولار كمساعدات مالية وعسكرية وإقتصادية فضلاً عن دعمٍ دوريّ قتاليّ ورعايةٍ سوقيةٍ استثماريةٍ وتقنيةٍ وعسكريةٍ ونقل للمعارف والمعلومات التكنولوجية وتخصيصها بأنواعٍ متعدّدة من أسباب الهيمنة والسلاح والتقنيات واعتبارها منطقة حيوية تخصّ الولايات المتحدة ، إلى أن أصبحت دولةً قادرةً نافذةً على مستوى العالم .. ثمّ ها هي إسرائيل اليوم في العام ٢٠٠٢ حيث شنت أعنف هجومٍ وإبادةٍ بشريةٍ بحقّ ما تبقى من أهل فلسطين ، في نفس الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة تنهي تدميرها الأعنف لأفغانستان بعد هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ وفي ظلّ اجتماعٍ عربيّ موسّعٍ قاده الجامعة العربية في بيروت لبنان لإعلان مبادرة سلام في زمن الإهميار والقتل والعنف والإحتلال المتوحّش ، في حين كان صراخ أهالي مخيم جنين ونابلس في الضفة الغربية يصلّك مسامع العالم بمأساته الكبرى .. ومع كلّ هذا لم يجد العرب إلا مبادرة السلام لغةً ممكنة للهروب من أيّ خيارٍ آخر ضروري فما كان من اليهود بزعامة آريال شارون وبتأييدٍ مطلقٍ من الإدارة الأمريكية إلا أن ارتكبوا أعنف المجازر الوحشية هناك في ظلّ صمتٍ مخيفٍ سيطر على كلّ زعامات العالم الإسلامي .. ! وهناً على وهنٍ ، دون أن ينطق ناطق بإدانةٍ أو بصرخٍ صارخٍ يعدل ..

وبالرجوع إلى النصوصِ نقرأ عن النبيّ (ص) التأكيد النهائيّ بأنّ لليهود صولةً جديدةً ، لها أثر بالغ ، في ظلّ فسادٍ واسع ، وعلوّ كبير .. ثمّ يلفت النصّ إلى معنى آخر ، من هزيمة اليهود ، فقط على يد المؤمنين من أهل المشرق الخراسانيين .. وفي نهاية المطاف يصل الأمر إلى حدّ أنّ الحجر ينطق ويقول : يا مسلم هذا يهوديّ .. تعبيراً عن أنّ اليهودي لا يجد محبباً يلجأ إليه وربّما يُرادُ من هذا الإشارة إلى تقنيّة الأجهزة الكاشفة أو إلى ضيق الأمر على اليهودي في أيّ موقعٍ من البلاد .. وبكلمة : يكون الوضع الميدانيّ آنذاك مناسباً جدّاً لأهل الإسلام ونفوذهم .. مع ضرورة لفت النظر إلى أنّ بعضَ النصوصِ تشير إلى أنّ قتال اليهودِ يطول في أزمانٍ عدّة في حقبتين من فسادٍ كبيرٍ وعلوّ ، وفي بعضها إشارة إلى غلبة اليهودِ على المسلمين إلى حين ثمّ غلبة أهل المشرقِ لليهودِ ثمّ خسارة معركة قاسية لأهل المشرقِ في إيلياء (القدس) وخروجهم منها فإذا تمّ الظهور المبارك للمهديّ تغيّر الحال ، وتبدّل الواقع نصراً ضخماً للمهديّ عليه السلام ..

ففي الحديثِ عن أبي أمامة الباهلي قال : ذكر رسول الله (ص) الدجال ، فقالت أم شريك : فأين المسلمون يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : بيت المقدس ، يخرج حتى يحاصرهم ، وإمام الناس يومئذ رجل صالح ، فيقال صلّ الصبح ، فإذا كبر ودخل فيها ، نزل عيسى بن مريم ،

فإذا رآه ذلك الرجل عرفه ،
فرجع يمشي القهقري ،
فيتقدم عيسى ، فيضع يده بين كتفيه ثم يقول : صلِّ فإنما أقيمت
لك ،
فيصليّ عيسى وراءه ،
ثم يقول إفتحوا الباب ،
فيفتحون الباب ،
ومع الدجال يومئذ سبعون ألفاً يهود (!..) ،
كلهم ذو ساج وسيف محلا ،
فإذا نظر إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص ،
وكما يذوب الملح في الماء ،
ثم يخرج هاربا فيقول عيسى :
إنَّ لي فيك ضربة لن تفوتني بها فيدركه فيقتله ،
فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي ، إلا أنطقه
الله ، لا حجر ولا شجر ولا دابة إلا قال : يا عبد الله المسلم
هذا يهودي فاقتله إلا الغرقد فإنها من شجرهم فلا ينطق (كناية
يُراد منها الإشارة إلى أملٍ ، ضيقٍ ، متهاوٍ ، عند اليهود في زاويةٍ
ما ..) ،
ويكون عيسى في أممي حكما عدلا وإماما مقسطا ،
يدق الصليب ،
ويقتل الخنزير ،
ويضع الجزية ،

ويترك الصدقة ،
ولا يسعى على شاة ،
ويرفع الشحناء والتباغض ،
وينزع حمة (إبرة سم) كل دابة ، حتى يدخل الوليد يده في
الخنش (الحية السامة) فلا يضره ،
وتلقى الوليدة الاسد فلا يضرها ،
ويكون في الابل كأنه كلبها ،
والذئب في الغنم كأنه كلبها ،
وتملاً الارض من الاسلام ،
ويسلب الكفار ملكهم ،
فلا يكون ملك إلا الاسلام ،
وتكون الارض كفاتورة الفضة (السبيكة الخالصة) ، فتنبت
نباتها كما كانت على عهد آدم عليه السلام ،
يجتمع النفر على القطف فيشبعهم ،
ويجتمع النفر على الرمانه ...^١

وفي لفظٍ آخر : قالت أم شريك : يا رسول الله فأين العرب يومئذ .. ؟
قال : هم يومئذ قليل ، وجلّهم بيت المقدس ، وامامهم رجل صالح . ويتابع
النص كما ورد أعلاه .. أقول : تعبير العرب قليل فيه إشارة رمزية إلى وضعهم
في معركة الظهور إن صحَّ التعبير ..

^١ ابن حماد : ص ١٥٩

ثم إنَّ النصَّ الواردَ أعلاه ، يشير إلى أنَّ موازين الصراع تتغيَّر بشكلٍ كبيرٍ لصالح المسلمين المؤمنين ، ثمَّ إنَّ الذي يصلي في القدس هو الإمام المهديّ وأنَّ عيسى بن مريم يكون أولاً أي في مقدِّمة المصلين كما في بعض النصوصِ وحين يرى المهديّ يتراجع له ليصلي مصراً على أنَّه هو المقدم في أمته (إمارة المهديّ ووزارة عيسى بن مريم كما في أكثر من نصٍّ ورواية ..) . من هنا لا أجد مجالاً للنقاش فيمن يقتل الدجال بعد أن ثبت أن النبيَّ عيسى بن مريم (ع) يكون وزيرَ جبهة المهديّ في أمة المهديّ .. فالمباشرة في قتل الدجال أو هزيمته (يذوب) قد تكون على نحوٍ من استعارة أو إسنادٍ في الإستعمال والإشارة .. ثمَّ إنَّ هذا النصَّ وغيره الوارد في معناه ينقل إلينا الشقَّ الآخر من المعركة ، فيسجِّل لنا نموذجاً من مشهد هزيمة اليهود ، بحيث يكون المسلمون في بيت المقدس ، وهذه علامة على نصر المسلمين وربحهم أكثر من معركةٍ وجبهة في أكثر من وقتٍ وجغرافياً ..

أمَّا ماذا عن الدجال .. ؟ وهو بطبيعة الحال مختلف عن شخصيّة السفياي حيث لكل شخصيّة وجبته .. نعم هو رمز من رموز الباطل أيضاً يخوض شطراً من معارك الجبهات في ذلك الزمن ضدَّ أهل الحقِّ ، ويكون معه حضور قيادي بارز وامتزاج لليهود (قادة مبرزين في جبهتهم اليهوديّة) .. وفي الحديث عن جابر بن عبد الله أنه قال : قال رسول الله (ص)

يخرج الدجال في خفقة من الدين ،

وإدبار من العلم ،

فله أربعون ليلة ، يسيحها في الارض ،

اليوم منها كالسنة ،

واليوم منها كالشهر ،

واليوم منها كالجمعة ،
ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ،
وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً ،
فيقول للناس أنا ربكم ،
وهو أعور ،
مكتوب بين عينيه ، كافر " ك ، ف ، ر " مهجأة يقرؤه كل مؤمن
كاتب وغير كاتب ،
يرد كل ماء ومنهل ،
إلا المدينة ومكة ، حرّمهما الله عليه ، وقامت الملائكة بأبوابها ،
ومعه جبال من خبز ،
والناس في جهد إلا من تبعه ،
ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه ،
نهر يقول الجنة ونهر يقول النار ،
فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ،
ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة ،
ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ،
ومعه فتنة عظيمة ،
يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ،
ويقتل نفساً ثم يحييها ، فيما يرى الناس (إشارة إلى تلاعب وتأثير
ظاهريّ بهدف إثبات خلاف الواقع ..) ،
لا يسلط على غيرها من الناس ،
ويقول يا أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب عز وجل ؟

فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام ،
فيأتيهم فيحاصروهم ،
فيشدد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا ،
ثم ينزل عيسى بن مريم ،
فينادي من السحر فيقول :
يا أيها الناس ،
ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ،
فيقولون هذا رجل جني ،
فينطلقون ، فإذا هو بعيسى بن مريم ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
فتقام الصلاة ،
فيقال له تقدم يا روح الله ،
فيقول : ليتقدم إمامكم ، فليصل بكم ،
فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه ،
قال فحين يرى الكذاب ينمات كما ينمات الملح في الماء ،
فيمشي إليه فيقتله ،
حتى أن الشجرة والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي ،
فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله ..^١

أقول : في هذا الحديث وغيره من صفات الدجال تحير بعض المفسرين
والشراح ، فمنهم من أصر على أن شخصية الدجال ليست بشرية وإنما التعبير
هذا يراد منه شيء آخر ، مثل أي أداة عصرية من شأنها قطع المسافات والتحكم

^١ أحمد : ٣٠٣ ص ٢٦٧

بالأذواق والسيطرة على الماء والأكل ، أي أداة مزدوجة الإستعمال أو متعدّدة في ذلك عسكرياً ومدنياً وثقافياً ، وهي على نحوٍ متقدّم ، تستعملُ في الحرامِ والإحتكارِ والتضليلِ وشبه ذلك ، ومن أمثله التلفزيون والإنترنت وغيره مما هو من هذا الفصيل أو أيّ طرازٍ ثوريّ .. وآخرون شبهوهُ بأكثر من ناحيةٍ ومقامٍ ..

أمّا الكثرة من المفسّرين فقد قالت وبشكلٍ سليمٍ تشهد له النصوص : إنّ شخصية الدجال هي بشرية كأيّ قياديٍّ آخرٍ للجبهات الأخرى ، لكنه يكون على نوعٍ مثيرٍ من القوّة والبطشِ والإغواء ، يستفيد من تطوّرٍ كبيرٍ في مجال التقنية والعلمِ والتكنولوجيا والأداة وشبه ذلك وفي مجالاتٍ شتى ، بحيث يقود قاطراتٍ مؤثّرة في احتكارِ الماء والطعام والأمرِ ، فضلاً عن أدواتِ الحرب التي تجوب الأرض والبحر والسماء .. أمّا عن قطع المسافات بشكلٍ يختزلُ به الزمن كما في النصِّ فالأمر فيه في عالمنا اليوم غير عصيّ أبداً ومثاله واضح بعد الثورة الجبّارة في عالمِ المواصلات البريّة والبحريّة والجويّة .. ثمّ إنّ باقي التعابير الواردة في هذا النصِّ مأخوذة على نحوٍ يوائمُ عصرَ المهديّ (ع) وإنّ هي صيغت بعباراتٍ تاريخيّةٍ إلا أنّ مصاديقها التطبيقية مأخوذة على نحوٍ موافقٍ لعصرِ المهديّ (ع) ، أمّا تعبيره أنّ له أربعين ليلة ، يسيحها في الأرض ، اليوم منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ، واليوم منها كالجمعة ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، غير بعيد أن تكون ناظراً إلى قوّة ملكه ونفوذه وجبروته ، قياساً على أدواته ووسائله ، أو قياساً على عظمة حكمه وجبته في زمنٍ ما ، فإذا انتهى موعدُ ذلك عادت أيامه كأيامنا هذه ، وعلى كلّ حال فهي ناظرة إلى عنوانٍ ما ، مأخوذة على نحوٍ مميّز ، يتبطّن صفةً زائدةً له عن غيره ، لكنّ الأمر فيما بعد يؤول إلى " وضعٍ عاديٍّ " من هذه الجهة ...

نعم من يقرأ جملة من خصائص الدجال التي وردت في النص يدرك أن بين يديه مجموعة من وسائل وقوى وأدوات لها نفوذها الخاص والعالي الأداء وهذا بطبيعة الحال يخوله أن يرد الماء ومجاريها ، وهو تعبير يُساق للإشارة إلى قدرته لما يملك من أدوات فاعلة من هذه الجهة .. ويشير النص بشكل واضح إلى منعه من حرم الله وحرم رسوله .. ولأن الدجال يكون على رأس جبهة متطورة وتقنية عالية ، فإن الأمر يصل به إلى حد الإستئثار الكبير بالحاجة الغذائية ، والتأثير بشكل لافت ونافذ على الأمن الغذائي المرتبط بالمسلمين ، فضلاً عن احتكاره السوقي ، لذا يكون معه جبال من خبز ، إشارة إلى احتكاره وسيطرته على مادتها وهيئتها ، وبسبب هذا الإحتكار ، يعيش الناس في جهد ومشقة ، إلا من تبعه ، حيث يحصل على مادة العيش وأسباب المدد الغذائي ، ويصل الأمر بالدجال إلى مستوى يهدد غيره الشروط الأساسية الملحة لإستمرار الحياة ، من خلال تركيزه على احتكار الماء والغذاء وشبه ذلك .. (إشارة إلى إنتشار نوع من الجوع والفقر وفقدان مادة العيش ، فضلاً عن السيطرة على أكثر من نهر ونبع ماء ، يكون له أثر حقيقي على تلك البقاع وأهلها من المسلمين ..)

أما في تعبيره عن أن معه نهرين ، نهر يقول الجنة ونهر يقول النار فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة .. غير بعيد أن المقصود فيه هو النهج والخط على قاعدة : إنا هدينا النجدين إما شاكراً وإما كفوراً (نهجا الدنيا والآخرة ..) من هنا جاز التعبير في نهاية الفقرة إلى أن من خالف إلى ذلك فاختار النار أي عكس ما يرغب به ويدعو إليه فهو الجنة ، أما الخط الذي يدعو إليه ويرغب به فقد شبهه بالجنة ، وهو بطبيعة الحال يؤدي إلى النار ..

أما موضوع الشياطين فالأمر فيه أنه إشارة إلى أن الدجال يستعمل كل وسيلة وقيمة وغاية وحيلة تكون مؤدية إلى خطوات الشيطان وعلى نحو مضلل وغير مجموعة من عناوين باطلة ، تكون سبيلاً من سبله ، وعلامة من علاماته ، لذا أتبعها في النص بالإشارة إلى أن مع الدجال يكون فتنة عظيمة ، وهو يريد أن الدجال يملك من أدوات الإحتيال والتدليس والخداع ما يصل إلى مستوى عالٍ في التأثير النفسي وتشويه الحقائق كما هي ، منها أنه يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس (.. !) ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس .. أقول قد يُراد من ذلك أن الدجال يملك أدوات تأثير واستغلال للنظام الكوني الطبيعي فيما خص المطر .. وهذا أمر ليس بعجيب أو خارق للعادة ، فقد أجرى العلماء اليوم الكثير من التجارب ، مرّة عبر الطائرة ومرّة أخرى عبر الصاروخ للإمطار أو لمنع الإمطار وقد نجحوا أكثر من مرّة وهم في تقدّم مستمر ، لكن الملفت هنا أن مكمن العجب في أن الدجال يكون على مقدرة واسعة في ذلك ، بحيث يؤثر بشكل عملي على طبيعة الحال والخيال ، وهذا كما ترى من الأسلحة النفسيّة ، بل قد يكون من الأسلحة ذات الأثر في مجال الصراع والعنف العسكري .. وقد يكون ما ورد في ذيل النص (فيما يرى الناس) إشارة إلى أن ذلك إنما يكون على نحو من سحرٍ وحيلة تكون مخالفة للواقع ، وإتّما يريد أن يوظفها في إستراتيجية تضليله .. أمّا عن إحياء النفس التي يقتلها ، أقول التعبير هنا قطعاً هو مجازي ، من هنا أشار في ذيل الفقرة بتعبيره فيما يرى الناس كما أشرت سابقاً ، ومعنى هذا أن الدجال يكون على نحو من امتلاك حيل علميّة أو شبه ذلك من شأنها التأثير على واقع الحال عند الناظر من أجل متابعة شوط الإنتصار النفسي في جبهته ودعوة الناس إلى الإنخراط بها .. ومع كل فعلٍ إغوائيٍ مضللٍ يردّد الدجال على مسامع الناس قائلاً : يا أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب عزّ

وجل .. ؟ إصراراً منه على أنه خارق للعادة ، متحكّم بالنواميس في حين كلّ النصوصِ تثبت أن هذا مجرد خداع وحيلة وتضليل ليس أكثر ..

ومن أثر هذا الصراع وامتلاك الدجال لمجموعة من أدوات مؤثرة وفاعلة يظهر من النصّ أنّ الغلبة في الشوطِ الأوّلِ وجولاته يكون لصالح الدجال ، فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام فيتبعهم ، ويحاصروهم ويشدّ عليهم بالحصار ، وهذا دليل على غلبته تلك وقدرته عليهم في أكثر من منطقة وناحية وجولة ، حتى يجهدهم جهداً شديداً .. في ظلّ هذه الظروف التي تشتدّ بؤساً وترهلاً وتعباً وهزيمةً عليهم وهم في حصارٍ وانهميارٍ مستمرٍّ يبعثُ اللهُ عيسى بن مريم (وزير جبهة المهديّ) فيكون الفرّج على المسلمين ، وتبدأ رحلة مختلفة في تسجيل الانتصارات لهم ، ويظهر أنّ السيد المسيح (عيسى بن مريم) يكون على عظمة في الأداة والنفوذ إلى درجة يذيب معها الدجال ، ويحيله مغلوباً بشكلٍ قاتلٍ .. وهو تعبير يُراد منه الدلالة على قدرةٍ عاليةٍ جداً يملكها المسيحُ (ع) لكنّ ذلك يحصل بعد جهدٍ جهيدٍ يصيب المسلمين وبعد غلبةٍ شديدةٍ للدجال من قبل .. ويشير النصّ إلى أنّ جبهة الدجال يقودها قوّة كبيرة من اليهود فيهزم ويهزمون شرّاً هزيمةً ، وفي التعبير النبوي عن ابن عمر : إنّ رسول الله (ص) قال : يقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ورائي فأقتله ..¹

لا شك أنّ هذا الحديث وارد كما رأينا في مشهدٍ محدّدٍ من نهاية مطاف اليهود ، أي لفترة هزيمة الدجال .. يُشار إلى أنّ هناك مجموعة من النصوص وردت في ذكر اليهود ، وهي تشير إلى النقاط التالية :

¹ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٩٩ - ٢٠٨٣٧

١. يكون للدجال ولليهود جبهة مؤثرة .
٢. يقاتلون فيربحون مجموعة من حروب وجولات عسكرية وهذا يزيد من تكريسهم كقوة نافذة ومؤثرة جداً .
٣. يكون على رأسهم زعيم قادر ، يملك من الأدوات والوسائل المؤثرة الشيء الكثير ، فيستعمل ذلك في سبيل التضليل والإغواء فضلاً عن توظيف ذلك في الهزيمة النفسية للجبهة الأخرى ، كما أنه يستعمل كل أداة نافذة ممكنة من أجل خوض غمار الحرب التي تؤدي إلى انهيارات في جانب الجبهة الأخرى في أكثر من جولة وشوط ..
٤. يُهزم اليهود شرّ هزيمة ، نكراء ، لا يجدون فيها ملجأ ، بل في تعبير أن الحجر والشجر يقول يا مسلم هذا يهودي إقتله ، وهذا تعبير يراد منه أن اليهودي لا يجد ملجأً أو مخبأً يسكن فيه حتى يُهزم اليهود شرّ هزيمة .. ويكون لعيسى بن مريم (وزير جبهة المهدي عليه السلام) دور أساسي في القضاء عليهم .. (في حين تشير النصوص إلى أن المهدي هو الذي يقتل الدجال وهنا أحب أن ألفت إلى أن بعض نصوص العامة الضعيفة حاولت أن تعطي بعض وظائف الإمام المهدي للمسيح (ع) إلا أن الروايات الموثوقة كلها تثبت أن المسيح بُعث في هذه الأمة وزيراً وليس أميراً ..) .
٥. يدخل المسلمون بيت المقدس ، ويصلّون وراء المهدي ، في ظلّ بداية مباركة يكون فيها النصر بجانب المسلمين ..

أقول : من يقرأ نصوص النبي في هذا المجال لا يمكنه على الإطلاق إلا أن يسلم بعظمة إخباره الصادق ، وها هي مظاهر ما أخبر به أمام أعيننا ، وبدلاً من أن نعيش زمن الحقيقة ونعمل كل ما في طاقاتنا من أجل التهيئة لقدوم مخلص البشرية والإنخراط في جنده ، ترانا ما زلنا نلهث نحو العلمنة وسوق القيم المتوحشة ... حتى التعري أصبح عنواناً بارزاً من مظاهر إنتماءنا إلى المعاني الرومية (الغرب) في ظلّ بؤسٍ شديدٍ يصيب دولنا الإسلامية ، وتبعية قاتلة ونهبٍ لثرواتها ، وتداخٍ من الأمم عليها ، على ثروتها الباطنية والسطحية ، وضعفٍ في القرار ، وحكرة في السوق ، ومصادرة للسيادة ، في غربة دين ، دين القيم في الاجتماع والسياسة والأخلاق وغايات الوجود .. ها هم مبرزوننا اليوم يراعون قيام مهرجانات كبرى في التعري وبذخ المال على الراقصات وأهل الخمر ورموز الباطل ، بثقافاتٍ منحرفةٍ وقاتلة ، نعتمد مرّةً على قيم خوسيه فرنانديز ونموذج مايكل جاكسون ومادونا وبامبلا أندرسون والعرافة والزناة وأهل الفجور والجور ، وعلى طول سلسلة ما نحن فيه أصبح الميزان المتأصل فينا متصلاً " بعنوان غريزي مخيف " دون أن يكون في كل ما نقرأ ونرى دافعاً نحو إسلامنا ، نحو ديننا ، نحو المتن الأعلى والجسر الأعظم الذي نعبر منه نحو العز الأكبر الذي لا ذل فيه ..

ها نحن اليوم ، نعيش قيمة الإنتماء كما تسوّقه لنا ثقافة الآخرين ، دون أن يكون لنا أيّ حقّ في محاكمة الفكرة أو السلوك ، نعيش البؤس بكل آثاره الخطيرة على صعيد القرار السياسي الإقتصادي المالي النقدي السوقي الثقافي ، ولأنّ الإنتماء أصبح على نحوٍ من التقليد والمماثلة فقد تماوت كل أعمدة الممانعة أمام الدعاية الرومية (الغرب) فتعرت فتياتنا بطريقة ربّما لا يقوى عليها وصف

أو قلم ، وابتذل شبابنا بشكلٍ مأسويّ مذلّ ، وأصبح الإصطناع عنوان شعورنا بالوجود والانتماء ، فلا تجد إلا من يفتش على صبغةٍ شقراءٍ لشعرٍ وعدسةٍ زرقاءٍ لعين .. ! ها هي دولنا الإسلاميّة ، تُدمّر واحدةً تلو الأخرى ، دون أن نكون على جانبٍ من مناعةٍ على الأقلّ في السيادةِ على ثرواتنا وأموالنا وأسواقنا ، نحجّ جماعةً وفرادى نحو عرشِ الروم (الغرب) وبشكلٍ سخيفٍ ومذلّ .. ننهزم في كلّ جولة ، نستنصر الآخرين على بعضنا البعض ، نعيش الوحشيّة فيما بيننا ، نعيش القطيعة بأسوأ صورها ، ترانا مبعثرين ، كلّ في كيانهِ مهزومٍ مُتعب ، كلّ في دولةٍ لا استقلالٍ اقتصاديّ فيها ولا مالي ولا نقدي في ظلّ اهتزازٍ سياسيٍّ خطيرٍ وهزيبٍ ..

وعلى الجانبِ الآخر هناك الروم (المسيحيّة السياسيّة الغربيّة) تسيطر على العالم ، تحتكر النظام السياسي الاقتصادي العسكري ، تحتكر الثروة والإختراع ، هي تنتج ونحن جوعى إلى الإستهلاك ، زرعت في جانبٍ من أرضنا المقدّسة والضروريّة (فلسطين القدس) أخبث كيانٍ وأسوأ وحشٍ يهوديّ يقتل ، يدمّر ، احتلّ كلّ فلسطين ، وأقام على جثثِ أهلها كيانهُ العنصريّ ، كما احتلّ شطراً مهمّاً من الأراضي المصريّة والأردنيّة والسوريّة ، كما احتلّ لبنان ووصل إلى عاصمته بيروت ، في ظلّ أسوأ هزيمةٍ نكراء ، على مشهدٍ من العالمِ الروميّ (الغرب) وبدعمٍ استراتيجيٍّ منه بكلّ أنواعٍ وأدواتٍ التفوّق علينا ..

لا شكّ أنّنا في عصرِ الغيبةِ الكبرى الشريفة ، بما تعنيه من أحداثٍ وصلّةٍ بعالمِ الظهورِ الأعظمِ للإمامِ المهديّ عجلَ اللهُ فرجهُ الشريفِ وجعلنا من أنصارِهِ وأعوانِهِ والمستشهادين بين يديه .. ومعنى ها أنّ علينا واجباً في إعادة انتماءنا إلى الإسلام ، إلى دينِ اللهِ بكلِّ ما يعنيه من جانبِ عقائديّ وثقافيّ ووجوديّ

وتشريعيّ وشرطيّ في كلّ الحقول : الأحوال الشخصية ، والهويّة الإجتماعيّة السياسيّة الأخلاقيّة والإقتصاديّة وصولاً إلى إعداد شروط القوّة حسب عصر القوّة وتحولات الزمان .. ثمّ إنّ أيّ تفريطٍ ومن أيّ جانبٍ كان ، ثقافيّاً أو أدبيّاً أو اجتماعيّاً أو سياسيّاً أو إقتصاديّاً أو شرطيّاً في أدوات الثباتِ والممانعةِ سيكون له أثر من هزيمة ، وسقوط من عزّ ، وفشل في تكامل ، ودحر من ساحة الوجود العالميّ النافذ .. ها هو رسولُ اللهِ (ص) دوّن منذ أكثر من ١٤٠٠ عام الإشارات الخالدة المعجزة ذات البعد العالي في عالم الغيبة وما يتّصل به ، ومع كلّ هذا أفلا نكون أتباعاً صالحين .. ! الأمر رهين ذواتنا وإرادتنا ، ومن أمامنا الدلّ ، ومن وراءنا الإحباط والإستعباد إنّ لم نكن مؤمنين .. يجب أن نقف أمام النصوص النبويّة مرّة ، ومرّة أخرى أمام المشهد اليومي ، لنرى حقيقة ما نحن فيه ، حيث مجموعة من العلامات الشاخصة هي بين أيدينا ونحن عنها غافلون ..

إنّه الدجال ، بكلّ ما يعنيه من قوّة وبطشٍ وأدواتٍ نافذة ، على رأسِ جندِ اليهود ، حيث يخوض مع المسلمين شوطاً من صراعٍ عنيفٍ يكون له فيه النصر بأكثر من جولة حتى يُتعبَ المسلمين ويجهدهم جهداً كبيراً .. تشير النصوص إلى أنّ الدجال يُنزلُ بالمسلمين بلاءً عظيماً ، يطول عليهم .. وقد ذكّر الدجالُ أمام النبيّ (ص) فقال :

يأتي (أي الدجال) سباح المدينة (الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر) وهو محرم عليه أن يدخل نقابها ، فتنتفض المدينة بأهلها نفضة أو نقضتين ، وهي الزلزلة ، فيخرج إليه منها كل منافق ومنافقة ، ثم يولي الدجال قبل الشام ،

حتى يأتي بعض جبال الشام فيحاصروهم ،
وبقية المسلمين يومئذ معتصمون بذروة جبل من جبال الشام ،
فيحاصروهم الدجال نازلا بأصله ،
حتى إذا طال عليهم البلاء ،
قال رجل من المسلمين :
يا معشر المسلمين ،
حتى متى أنتم هكذا ؟
وعدو الله نازل بأرضكم هكذا ،
هل أنتم إلا بين إحدى الحسينين ،
بين أن يستشهدكم الله أو يظهركم ؟
فيبايعون على الموت ،
بيعةً يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم ،
ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أمرؤ فيها كفه .
قال : فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم ،
وبين أظهرهم رجل عليه لامته ،
يقولون : من أنت يا عبد الله ،
فيقول : أنا عبد الله ورسوله وروحه وكلمته عيسى بن مريم ،
إختاروا بين إحدى ثلاث :
بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذابا من السماء ،
أو يخسف بهم الأرض ،
أو يسلط عليهم سلاحكم ويكفّ سلاحهم عنكم ،
فيقولون : هذه يا رسول الله أشقى لصدورنا ولانفسنا ،

فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكل الشروب لا تقل يده سيفه
من الرعدة ،

فيقومون إليهم فيسلطون عليهم ،

ويذوب الدجال حين يرى ابن مريم كما يذوب الرصاص ،
حتى يأتيه أو يدركه عيسى فيقتله ..^١

وفي نص آخر عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله (ص) : بينما
الشياطين مع الدجال ، يزاولون بعض بني آدم على متابعة الدجال ، فيأبي عليه
من يأبي ، ويقول له بعضهم : إنكم شياطين ، وإن الله تعالى سيسوق إليه عيسى
بن مريم بإيليا فيقتله ، فبينما أنتم على ذلك ، حتى ينزل عيسى بن مريم بإيليا ،
وفيها جماعة من المسلمين ، وخليفتهم بعدما يؤذن المؤذن لصلاة الصبح ، فيسمع
المؤذن للناس عصعصة ، فإذا هو عيسى بن مريم ، فيهبط عيسى فيرحب به الناس
ويفرحون بنزوله لتصديق حديث رسول الله (ص) ثم يقول للمؤذن أقم الصلاة
ثم يقول له الناس صل لنا ، فيقول انطلقوا إلى إمامكم ، فيصلي لكم ، فإنه نعم
الامام ، فيصلي بهم إمامهم ويصلي عيسى معهم ، ثم ينصرف الامام ، ويعطى
عيسى الطاعة فيسير بالناس ، حتى إذا رآه الدجال ماع كما يبيع (..) ويمشي
إليه عيسى فيقتله بإذن الله تعالى ، ويقتل معه من شاء ، ثم يفترقون ويختبئون تحت
كل شجر وحجر حتى يقول الحجر : يا عبد الله يا مسلم تعال هذا يهودي
ورائي فاقتله ، ويدعو الحجر مثل ذلك ، غير شجرة الغرقة شجرة اليهود لا
تدعو إليهم أحدا يكون عندها ...^٢

^١ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٩٧ - ٢٠٨٣٤

^٢ ابن حماد : ص ١٦٠

الأخبار كلّها متّفقة على أنّ الدّجال يكون بميزةٍ جندٍ وقيادةٍ يهوديّةٍ ،
نعم في النصّ يكون معه من سائر النّاس ، إلا أنّ اليهود تكون لهم ميزة فارقة
وخاصّة من القيادة والحكم وصناعة قرار هذه الجبهة (جبهة اليهود) وفي
الحديث : يخرج الدجال ، معه سبعون ألف من اليهود عليهم التيجان . وهو
تعبير يُراد منه الإشارة إلى ميزة القيادة والنخبة اليهوديّة .. أمّا سائر التعابير من
قبيل أنّ معه ماءً وطعاماً وغير ذلك فيُراد منه أنّه يملك من الوسائل ما يخوّله
احتكار ذلك .. ففي الحديث الذي رواه أبو وائل قال :

يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود
وأصناف الناس ، معه جنة ونار ورجال ، يقتلهم ثم
يحييهم (تعبّر مجازي عن قدرته في مجال السيطرة
النسيّة على أسباب الحياة مثل قطاع الطبابة وغيره)
ويضيف : ومعه جبل من ثريد ونهر من ماء ، وإني
سأنتع لكم نعتة ، إنه يخرج ممسوح العين ، في جبهته
مكتوب كافر ، يقرأه كل من يحسن الكتاب ومن لا
يحسن ، فجنّته نار وناره جنة ، وهو المسيح الكذاب ،
ويتبعه من نساء اليهود ثلاثة عشر ألف امرأة ، فرحم
الله رجلاً منع سفيّه أن يتبعه ، والقوة عليه يومئذ
القرآن ، فإن شأنه بلاء شديد ، يبعث الله الشياطين من
مشارك الأرض ومغاربها ، فيقولون له إستعن بنا على
ما شئت ..¹

¹ ابن حماد : ص ١٥٤

وفي تعبيرٍ مختلفٍ : يخرج الدجال من يهود أصبهان . وفي نصٍّ آخر : يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة .. على ما في تذيب ابن عساكر ... وعلى كلِّ حال ، فإنَّ لجيش الدجال ميزةً ذات صفة بارزة يكون فيها لليهود نفوذ القيادة (جبهة اليهود) تيجان ، طيالة ، قيادة ونفوذ في الأمر من هنا فإنَّ صفة الإشارة في النصوص ركزت عليهم ، وأنهم يخوضون حروباً ، يظهر منهم فيها القدرة في الثبات والسيطرة إلى أن يلاقي منهم المسلمون بلاءً وعناءً شديداً وظلمةً كبيرة ، وهذا تعبير يُراد منه الإشارة إلى منافذ الأمل المغلقة أمامهم ، والأحوال المتعبة ، والموقع المترنزل ، والحالة المنهارة ، فيبقى الأمر كذلك ، إلى أن يهزموا شرَّ هزيمة على أيدي جند المهدي بقيادة عيسى بن مريم (ع) حسب ظاهر النص ، وأن هزيمتهم تتم برعبٍ معجزٍ حسب التعبير الأوَّل الظاهري ..

وتثبت الروايات أنَّ اليهود قبل الهزيمة النهائية يهزمون على أيدي أهل المشرق الخراسانيين في ظلِّ حربٍ طاحنة ، وبيئةٍ عالميةٍ تتحرك لمنع دخول الخراسانيين إلى إيلياء (القدس) إلا أنَّهم يدخلون إيلياء بعد حربٍ شرسةٍ وصراعٍ مريرٍ .. ثمَّ يشتدَّ ساعدهم بعد ذلك فيفسدون مرَّةً أخرى في الأرض ، فيجيئهم المهدي مباشرةً أو عبر عيسى بن مريم عليه السلام في ظلِّ عصر الظهور للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف الذي يقود أمته وينقاد تحت لواءه أمرُ العالم فيحكم بين الناس بالقسطِ إلى أن يأذن الله تعالى ..¹

¹ بعضهم يرى أن ما أشارت إليه الآية القرآنية من فساد اليهود وعلوهم الكبير والذي يهزمون على أثره مرتين ، بعد الهزيمة الأولى يعيدون تجنيد أنفسهم بمساعدة من جهاتٍ أخرى ، بعضهم يرى أنَّ ذلك تمَّ من قبل بعد أن هزموا على يد المسلمين من شبه الجزيرة العربية ، ومنهم من يرى ذلك تمَّ قبل على يد نبخت نصر ، من هنا يشير إلى أنَّ النصوص الواردة في اللسان النبوي إنما المقصود فيها هزيمتهم الثانية على يد الإمام المهدي .. ومنهم من يخالف ذلك ويشير إلى أنَّ هزيمتهم النكراء تكون على يد أهل خراسان بدلالة

وعليه : يشهد العالم نوعاً متعدداً من الجبهات ، وكنا فيما سبق قد تحدثنا عن جبهة السفياي ، وتحدثنا الآن عن جبهة الدجال اليهودية وسنتحدث فيما بعد عن باقي الجبهات التي تكوّن النظام العالمي آنذاك وترسي نوعاً متصلاً بها وبأوزانها كبيئة عالميّة في ظلّ خطوطٍ وحدودٍ وميادينٍ وقيم نافذة في النظام الدولي بذلك العصر ..

وسنرى فيما بعد صورة مجتمعة لكلّ هذه الكيانات الجبهويّة كحركة ومواقع وأثر وتكتل في العالم قبل وبعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام ..

النصوص الواضحة ، ثم على يد المهديّ إما مباشرة أو عبر عيسى بن مريم الذي يعني جبهة الدجال ، وبذلك تكون النهاية الأبدية للبهرد ..

ظرف الإمام المهدي (ع) وعلاماته :

- الظروف المجتمعية ..
- العلامات الظرفية .
- قيم عالم الظهور ..
- الصورة المفاهيمية للعالم ..

ظرف الإمام المهدي وعلاماته

(النتائج القيمة للعالم)

لا شك أن لظروف المهدي الكثير من العناوين الكبرى ، التي تشكل مفصلاً كبيراً في تاريخ ختام مسيرة الأمم ، وعنواناً من عناوين الصلة بسنين المسيرة التي بدأها الله بآدم وختمها بالنبي الأعظم محمد ، لقيام العدل السماوي على يد حفيد الرسول محمد (ص) المهدي محمد ابن الحسن العسكري ابن علي الهادي ابن محمد الجواد ، ابن علي الرضا ، ابن موسى الكاظم ، ابن جعفر الصادق ، ابن محمد الباقر ، ابن زين العابدين ، ابن الإمام الحسين الشهيد ، ابن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء ، وحفيد النبي الأعظم محمد (ص) .. ولأن مرحلة المهدي بهذه الأهمية ، من هنا كان من الضروري جداً أن تحط في ظل أهم حدث وجودي بعد سلسلة الأطهار والنبي الأعظم .. ولقد أولاهما النبي بالكثير من الرعاية والبيان في موثيقه وأحاديثه ..

لقد ركزت مجموعة من النصوص على علامات المهدي كتعبير ظرفي تاريخي ومرّة كعلامة نهائية في معالم القرب من ظهوره ، في هذا الفصل سأشير إلى النوع الأول من تلك العلامات التي تتعلق بالظرف العام وزمن الغيبة وما

يَتَّصِلُ ببيئة الظهور .. ففي الحديثِ عن عمار بن ياسر مؤيِّدٍ بغيرهِ من الروايات قال : علامة المهدي ، إذا انساب عليكم الترك ، ومات خليفتمك الذي يجمع الأموال ، ويستخلف بعده ضعيف ، فيخلع بعد سنتين من بيعته ، ويخسف بغربي مسجد دمشق ، وخروج ثلاثة نثر بالشام ، وخروج أهل المغرب إلى مصر ، وتلك أمارة السفياي ..^١ وفي لفظٍ آخر أيضاً عن عمّار قال :

إذا انسابت عليكم الترك ،
وجهزت الجيوش إليكم ،
من بعد رجل ، من بيعته ،
وتخالف الروم والترك ،
ويظهر الحروب في الارض ،
وينادي مناد على سور دمشق :
ويل للعرب من شر قد اقترب ،
مسجدها حتى يخر حائطها ويخرج ،
كلهم يطلب الملك :
رجل أبقع ،
ورجل أصهب ،
ورجل من أهل بيت أبي سفياي ،
يخرج بكلب ويحصر الناس بدمشق ،
ويخرج أهل المغرب ينحدرون إلى مصر ،
فإذا دخلوا فتلك إمارة السفياي ،

^١ ابن حماد : ص ٩٢

ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد ،

وينزل الترك الجزيرة ،

وينزل الروم فلسطين ،

ويقتل صاحب المغرب ،

فيقتل الرجال ،

ويسبي النساء ،

ثم يرجع حتى ينزل الحيرة إلى السفيناني ..

في هذه النصوص بيان للفتن والحروب ، لكن فيها إشارة إلى علاماتٍ محدّدة بعناوين وأوصاف من خلافٍ على مُلك وهزيمةٍ ، إذا انسابت عليكم الترك (وهي إشارة إلى هذا العرق وهو كثيرٌ في عالمنا وفي أكثر من دولةٍ وكيان) كما فيها إشارة إلى تجهيز الجيوش في ظلّ حربٍ ، وفي بعضها إشارة إلى جبهة الروم والترك ودخول استراتيجي إلى المنطقة ، وكما ترى فإنّ التعبير اليوم له معنى محدّد في صياغة الجبهات ، ولا أدعي أنّ هذا الأمر مصداق حصري ، بل هو إشارة كبرى على صدقّ النبي العظيم في وجود الجبهات وبصورةٍ بالغة الأهميّة ، فالروم تعني المسيحية السياسية الغربيّة أو وجه من وجوهها ، عملاق (كيان محدّد) له قدرة التأثير على الجبهة الإسلاميّة .. ثمّ بعد هذا ، يشير الحديث إلى أنّ الفتن تظهر في الارض ، وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى تنامي الحرب وتوسّعها ، ونموّ العنف العسكري في ظلّ تعدّد جبهوي عالمي ، على أن تكون الروم والترك من العناوين البارزة ، خاصّة في زحف أهل المشرق نحو إيلياء (القدس) عند ذلك تُجهّز الجيوش وتعلن الحروب ، فيكون للعرب منها قسط وفير ومخيف ، من ناحيتي الزحف والإضطراب الداخلي والخلاف على المُلك والحكم حتى جاء في

النصّ أن منادياً ينادي على سور دمشق : ويل للعرب من شر قد اقترب ..
ويظهر من ذلك أن الفتن الداخليّة يكون لها ذراع عنيفة في هذا المجال أيضاً ،
ففي التعبير المروي قال : كلّهم يطلب الملك ، إشارة منه إلى الاختلاف على
الحكم الذي تستعمل فيه وسائل العنف ، وفي كثير من النصوص التي مرّت إشارة
إلى أن الفتن تتخذ مظهراً مسلّحاً ، بل في متنها أن بعض الفتن تبدو في أولها
وكأنها لعب الأطفال ، وفجأة تصبح خطيرة بشكلٍ مثير ، وتدخل كل بيت في
ظلّ قتلٍ وسفكٍ وعنّفٍ مخيف ..

ومن بين كلّ تلك العناوين يشير النصّ إلى شخصيّات محدّدة تحت
عناوين تقرّيبية منها : رجل أبقع ، ورجل أصهب ، ورجل من أهل بيت أبي
سفيان ، يخرج ويحصر الناس بدمشق ، ويخرج أهل المغرب (راية مغربيّة)
ينحدرون إلى مصر ، فإذا دخلوا فتلك إمارة السفياني .. وبمقابل هذه الجبهة ،
التي يظهر من النصّ إنّ لها دفعاً وقوةً وبطشاً واضحاً يخرج قبل ذلك من يدعو
لآل محمد ، وهو إشارة إلى الجبهة الأخرى ، في ظلّ صراعٍ عسكريّ عنيف ،
وتعدّدٍ في الجبهات والأحلاف ، وعليه : ينزل الترك الجزيرة ، وينزل الروم
فلسطين ، ويقتل صاحب المغرب ، ويظهر من النصّ أنّ هذه الشخصيّة السياسيّة
تكون على نوعٍ من الشدّة والقتل والسفك العنيف ، ولذا فقد استحضر النصّ
تعبير تدلّ على معانٍ حادّة وقاسية في الإشارة إلى ذلك فقال بحقّ صاحب
المغرب : فيقتل الرجال ، ويسبي النساء ، ثم يرجع حتى ينزل الحيرة إلى
السفياني .. وبنتيجةٍ أوليّة فإن المراقب يجد أنّ هناك حدثاً استراتيجياً يحصل مع
تحرك الروم والترك (الروم كيان مسيحي سياسي غربي . والترك كيان ينطبق
على أكثر من كيان منها شعوب روسيا المعاصرة) .. وعلى كلّ حال ، خريطة

العالم المبنية على المصالح وبالخصوص في دفاتر القوى الكبرى التي تصر على تقسيم النفوذ في العالم ترى في مجموعة تغيرات بموازن القوى في الشرق الأوسط ضرورة لتحركها إلى درجة تنزل مباشرة بأدواتها العسكرية ، من أجل الحفاظ على استراتيجية النفوذ .. وسنرى فيما بعد إن شاء الله أن كل هذا التحرك يكون لأسباب تتعلق بزحف ناجح لأهل المشرق نحو إيلياء (القدس) ..

ووفق هذه الرواية يظهر أن وحدة الهدف الإستراتيجي توحد جبهتين أساسيتين في أفق محدد ، فتبدو تلك الجبهة متحدة في الأهداف ، متحدة في الغايات ضمن معنى ميداني خاص بمنطقة الإضطراب آنذاك .. وهذا لا يشترط فيه الإتحاد العقائدي ، نعم هذا لا يمنع من قيام إتحاد عقائدي حتى مع تعدد الجبهات .. وتجدد الإشارة إلى أن الوضع العالمي آنذاك لا يعني أنه متحد بشكل نهائي على راية آل محمد قبل ظهور المهدي ، بل يُستفاد من نصوص عديدة أن هناك خلافاً جبهوياً مصلحياً بين الكيانات مرةً والجبهات مرةً أخرى وهذا بطبيعة الحال يساعد على تكوين سياسة أمر واقع بين الجبهات وينعكس بآثاره على مجموعة من نتائج مهمة ، منها عدم تكوّن جبهة واحدة عالمية في مواجهة راية أهل الحق وعلى نحو عسكري .. أمّا ما بعد الظهور فبطبيعة الحال سيكون الأمر مختلفاً ...

نعم إن الجبهة التي تدعو إلى آل محمد تكون على نحو مختلف فتعيش ضابطة الأهداف في ظل معالم الشريعة ، من هنا تكون نوعية محاورها مختلفة ومقيّدة ، لا يجوز معها بحال من الأحوال أن تخرج عن إطار الشريعة الإسلامية السمحاء .. هذا الأمر بحدوده يكبد تلك الراية نوعاً من مشقة وتعب وعناء في عالم منحرف لا يحده شيء إلا أنها تظل على أمرها ظاهرةً بدينها قويةً بأدواتها ،

تخوضُ حرباً فتنصر ، وتظلّ قائمة إلى أن تسلّم الراية إلى المهديّ عجلّ الله فرجهُ الشريف .. والبارز في تلك الأزمنة الخاصّة صعود نجم السفياي ، ويظهر أنّ له نحواً مهمّاً من السلطنة على بعض المجموعات الجبهيّة أو بعض الكيانات والجيوش المحدّدة ، بمعنى أنّ بعض النصوص تشير إليه كقائدٍ من نوعٍ مستجمعٍ لشروطٍ أوسع من كيان أو جيش ، قائد يسيطر على الكور الخمس (بلاد الشام حسب التعبير والإستعمال التاريخي) .. ومن هذا الوصف النافذ يكتسب قدرة على التأثير في أكثر من ناحيةٍ وموقع ، ويكون له يد كبيرة في القتلِ والسفكِ والقيام بحروبٍ ومواجهاتٍ متعدّدة .. وتشير الروايات إلى أنّه يكون على نوعٍ من الإستهتار بالحقوق ، جشع ، متوحّش في الحروب ، لا يقبّده أيّ نوعٍ من موثيق ذات بُعد إنساني على الأقلّ ، وحسب النصوص : فإنّه يعتمد التنكيل والقتل والعنف والسبي وسفك الدماء كعنوانٍ كبيرٍ في مشروعه الإستراتيجي لفتح الجبهات ..

ويظهر أنّ وضع العالم آنذاك يكون خطيراً على أكثر من جبهةٍ في ظلّ صراعٍ دمويّ هائل . من هنا تدعو بعض النصوص إلى التريث ، إلى التعقّل ، إلى النظر مليّاً في الرايات ، إلى ضرورة التثبّت منها ، إلى وجوب الوقوف بشكلٍ مُلزمٍ على راية آل محمّد ، إلى ضرورة النظر وبشكلٍ وثيقٍ في قادة الرايات .. ففي الحديث عن الفضل بن شاذان الذي رواه بسندٍ متصلٍ بعمار بن ياسر رضي الله عنه قال :

دعوة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ، فالزموا الارض ، وكفوا حتى تروا قادتها ، فإذا خالف الترك الروم ، وكثرت الحروب في الارض ، ينادي مناد على

سور دمشق : ويلٌ لازم من شرٍ قد اقترب ، ويخرب
حائط مسجدها .^١

وفي لفظٍ آخر عن عمار بن ياسر أنه قال :

إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ،
ولها أمارات ، فالزموا الأرض ،
وكفوا حتى تجئ أمارتها ،
فإذا استثارت عليكم الروم والترك ،
وجهزت الجيوش ،
ومات خليفتم الذي يجمع الأموال ،
واستخلف بعده رجل صحيح ،
فيخلع بعد سنين من بيعته ،
ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ ،
ويتخالف الترك والروم ،
وتكثر الحروب في الأرض ،
وينادي مناد من سور دمشق :
ويل لأهل الأرض من شرٍ قد اقترب ،
ويخسف بغربي مسجدها حتى يخر حائطها ،
ويظهر ثلاثة نفر بالشام ،
كلهم يطلب الملك :

^١ غيبة الطوسي : ص ٢٦٨

رجل أبقع ،
ورجل أصهب ،
ورجل من أهل بيت أبي سفيان ، يخرج في كلب ويحصر الناس
بدمشق ،
ويخرج أهل الغرب (المغرب) إلى مصر ،
فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني ،
ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليهم السلام ،
وتنزل الترك الحيرة ،
وتنزل الروم فلسطين ،
ويسبق عبدُ الله عبدَ الله ، حتى يلتقي جنودهما بقرقيسيا على
النهر ،
ويكون قتال عظيم ،
ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ،
ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة السفياني ،
فيسبق اليماني ،
ويجوز السفياني ما جمعوا ،
ثم يسير إلى الكوفة ،
فيقتل أعوان آل محمد صلى الله عليه وآله ،
ويقتل رجلا من سلميهيم ،
ثم يخرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح ،
وإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن سفيان فالحقوا
بمكة ،

فعند ذلك تقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضيعة .

فينادي مناد من السماء :

أيها الناس إن أميركم فلان ،

وذلك هو المهدي ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما

مُئْت ظلماً وجوراً ...^١

أقول : ما أشرتُ إليه أعلاه من عدم وحدة الجبهات بشكلٍ مطلقٍ على

قاعدة جبهة باطل واحدة في مواجهة جبهة آل محمد المحقّة هو واضح في هذا

النصّ ، بل في أكثر من تعبير أنّ خلافاً ما يقع بين جبهتي الروم والترك في زمنٍ

محدّدٍ من تلك الأزمان ، وتجهّز الجيوش ، وتنشب الحروب ، وشبه ذلك ، وهذا

بلا شك يفيد جبهة الحقّ ويساعدها في تكوين نواتها وقوّة الدفع فيها .. نعم في

هذا النصّ إشارة إلى عناوين أخرى ، من مثل النفس الزكيّة التي تُقتل أو تذبح

كما في غيره من النصوص .. هذه النفس الزكيّة يظهر أنّ لها شأناً عند الله تعالى

وموقعاً في جبهة آل محمد .. ويشير النصّ إلى بعض الجبهات بالإسم دون تحديد

مكان ، كما في جبهتي الروم والترك ودخولهم العسكري إلى المنطقة ، وفي موضعٍ

آخر يشير إلى أمكنة محدّدة مثل الشام ودمشق ومصر وصاحب المغرب ومكة

وفلسطين والحيرة والجزيرة ، وفي تعابير ذات إشارة إلى رايات قياديّة تحت عنوانٍ

بارزٍ يشير إلى مثل السفياي وصاحب المغرب ، فضلاً عن باقي الألوية من روم

وترك ..

^١ في نفس المصدر عن عمّار بن ياسر أيضاً ص ٢٧٨ . وسياق القسم الأخير منه في أحاديث التّداء السماوي . * : ملاحم ابن

طاووس : ص ٥٨ ، ١١١ عن رواية ابن حماد الأولى .

ويظهر من النصوص أن السفياي يخوض حرباً عنيفة يستطيع على أثرها التحكم بمجموعة واسعة من قرارات المنطقة ، فينال من أمم عديدة قتلاً وسفكاً واحتلالاً وتدميراً ، وهو في أول تكوين جبهته يكون مدعوماً وبشكل مباشر من الروم .. وفي تلك الواقعة القاسية ينال أتباع آل محمد قسطاً من القتل والعنف على يد السفياي مباشرة في أكثر من جبهة ومنطقة .. أما في الجانب الآخر من العلامات فإن النفس الزكية تُقتل ذبحاً وذلك بعد سلسلة واسعة من الفتن التي تجوب المنطقة إلى درجة أن أهل المشرق يحتلون بيت المقدس ، ثم يخوضون مجموعة من حروب طاحنة جداً مع جيوش عربية فيها إلى أن تضعف راية أهل المشرق هناك ، ويحتل الترك قسماً رئيسياً من خراسان ، وتتدخل الروم مباشرة في المنطقة ، إلى ما هنالك من أحداث .. ويظهر من النصوص أن قتل النفس الزكية يكون مفصلياً جداً في العلامات ، وعلى إثرها بقليل يُنادي المنادي من السماء : أيها الناس إن أميركم فلان وذلك هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً .. ويكون على لوائه شعيب بن صالح ..

وقبل ذلك يتوسّع صراع الجبهات العسكري في المنطقة ولا أدري بالتفصيل النهائي البرنامج التاريخي لهذا الصراع .. نعم النصوص واضحة في نشوب الحرب بين الجبهات وعلى نحو إجمالي وبشكل مضطرب وفوضوي في أكثر من عنوان وجهة ، فلا يقتصر الأمر فيها على جبهة أهل المشرق ، بل يتوسّع بين أمراء الجبهات الذين يتصارعون على الحكم حتى أن الروايات تشير إلى أن نفس الجيوش التي تقايل مع بعضها صفّاً تخوض مجموعة قاسية من المعارك من أجل الإشتثار بالقرار السياسي هناك .. فتتشب حرب بين الروم والترك وحرب بين الترك والسفياي .. وهذا يدل على أن تقسيم النفوذ في تلك المنطقة

يكون على نحوٍ من الإضطرابِ والفوضى المستشرية ، حتى أن جيش أهل المغرب ومع أنه يقاتل إلى جانب الجيوش المحليّة في المنطقة ضدّ أهل المشرق ، إلا أنه في النهاية يجد نفسه ممنوعاً من التدخّل في شؤونها فيضطرّ إلى الإعلان عن انسحابه من هناك .. وعلى نحوٍ تقريبيٍّ من عقيدة اليوم فإنّ العالم السياسي آنذاك يعيش عقيدة الإفتراس والعداء بأبعادها العامّة ..

ويظهر من الروايات أنّ جبهة الروم والترك تكون قويّة ونافذة وتبقى حتى ظهور المهديّ مع تفوّقٍ روميٍّ واضحٍ بأكثر من منطقة وأثر في العالم ومع أنّ الترك يخوضون حرباً ضدّ السفيانيّ إلا أنّهم يظنّون جبهةً موجودة حتى ظهور المهديّ الذي يستأصل جبهتهم من الوجود .. وفي الحديث عن أرطاة قال : يقاتل السفيانيّ الترك ، ثم يكون استيصالهم على يد المهدي ، وهو أول لواء يعقده المهديّ يبعثه إلى الترك ..¹ وفي لفظٍ آخر قال : أول لواء يعقد المهديّ إلى الترك فيهزمهم ويأخذ ما معهم من السبي والاموال ، ثم يسير إلى الشام فيفتحها ، ثم يعتق كل مملوك معه .. وهذا يعني أنّه لا يوجد أيّ جامعٍ بين تلك الجبهات سوى ما يوحدّها في ظرفٍ ما حول عنوانٍ استراتيجيٍّ مصلحيٍّ في المنطقة كما هي الحال في محاولة منع سقوط بيت المقدس .. وما إنّ تنتهي المصلحة حتى تعود الجبهاتُ إلى سابقِ زمنها من إعلان العداء المصلحي .. وقد شاهدت البشرية في طولِ حقباتها وتجاربها هذا النوع الخطير من الصراع العسكري بين الأمم والكيانات وصلت الأمور معها إلى حدّ إعلان الحرب على شكلٍ أمميٍّ وعلى نطاق العالم كما في الحربين العالميتين الأولى والثانية وما بعد ذلك من حربٍ باردةٍ خطيرة بل شديدة الخطورة بين المعسكرين الشرقي والغربي في ظلّ عقيدتين

¹ ابن حماد : ص ٥٨

الأولى شيوعية اشتراكية والثانية ليبرالية ديمقراطية ... وتجدد الإشارة إلى أن نظم العالم التعددية هي السبب الرئيسي في كل صراع محموم بين الكيانات حتى بين تلك التي كانت تمثل حلفاً واحداً في المجال العقائدي كما هي الحال الآن مع معسكر الرأسمالية .. فضلاً عن العالم الفقير والنامي الذي يعيش اليوم أسوأ معاني الهزيمة بجهات متعددة عسكرية واقتصادية وثقافية .. ومنذ الزمن الأول عاشت البشرية نوعاً من افتراسٍ خطير حين خرجت عن أفق الغايات الوجودية التي حمل مشعلها النبيون والمصلحون ..

بمعنى أن العالم يعيش منذ أن خرج عن أفق السماء مرحلة من افتراسٍ هو الأعمى ، يطال كل شيء ، لا قيمة فيه للإنسان أبداً إلا أن يكون مالكاً أو متمولاً أو إمبراطوراً سوقياً أو سلعةً مطلوبة كإستثمار الجنسي للمرأة اليوم .. وغير ذلك فهو مجرد وجود زائف لا بد من التخلص منه دون أي إحساسٍ أو شعورٍ أو قيمةٍ وجودية .. ها نحن اليوم نقرأ العالم بشكلٍ مخيف ، عشرات ملايين الموتى كل عام بسبب الإحتكار السوقي لصالح قلة قليلة تُراكم أموالها بشكلٍ مذهل ، في ظل جيشٍ من موتى الفقر والبؤس والجوع والمرض ... بل في تاريخ ٢٥ تموز ٢٠٠٢ تم إطلاق تقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٢ الصادر عن برنامج الأمم المتحدة ، وفيه أن العالم يبدو أكثر ديمقراطية نظرياً ، كما أن إقتصاده هو لصالح الأغنياء .. وقد جاء فيه مجموعة من الأرقام التي تكشف عن نموذج معولم خطير منه :

١ . في العالم ٢,٨ مليار شخص ما زالوا يعيشون بأقل من دولارين في اليوم وفي هذه الطائفة أكثر من النصف يعيش على أقل من دولار في اليوم ..

٢. يساوي دخل نسبة واحد في المئة فقط من سكّان العالم (أغني أغنيائه) ما تتقاضاه نسبة ٥٧ في المئة من أفقر فقرائه ..
٣. كلّ يوم يموت ٣٠ ألف طفل من أمراض يمكن الوقاية منها ، لكنّ الفقر هو أبرز أسباب هذه النسبة العنيفة من الموتى .
٤. يصاب كلّ يوم ١٤ ألف شخص بفيروس نقص المناعة المسبّب للإيدز القاتل .
٥. كلّ سنة تموت ٥٠٠ ألف امرأة في العالم وبالخصوص وبشكلٍ مطلق في العالم الفقير النامي جرّاء مضاعفات الحمل والولادة دون ايّ ضمانة ماليّة وصحيّة .
٦. تحتكر سبع دول على رأسها الولايات المتّحدة الأمريكيّة ٤٨ في المئة من قوّة التصويت في صندوق النقد الدولي و ٤٦ في المئة في البنك الدولي (إحتكار السلطة النقدية العالميّة) ..
٧. تحتكر السلطة العالميّة السياسيّة عبر مجلس الأمن خمس دول على رأسها الولايات المتّحدة الأكثر تحرراً حتى من أيّ نصّ دولي ، وفي هذا المجلس ينقسم العالم إلى قسمين : درجة أولى ويتمثّل في الأعضاء الخمسة الدائمين ، والباقي يمثّلون درجة ثانية ، وهم على هامش القرار أمّا باقي دول العالم فهم إمّا تابع أو خاسر ..
٨. إنّ نصيب الفرد من الدخل في حوالي ٦٠ بلداً هو أقلّ ممّا كان قبل العام ١٩٩٠ وبطبيعة الحال في الدول الفقيرة والنامية ، وفي ٢٦ بلداً أصبح نصيب الفرد من الدخل أقلّ بكثير ممّا كان عليه قبل العام ١٩٨٠ وهم في العالم الفقير والنامي ، ما يعني كارثة حقيقيّة في ظلّ تزايد مخيف للحاجة والإنفاقات ..

٩. الدول الـ ٢٤ التي تحتل المرتبة الأخيرة في دليل التنمية البشرية كلها في أفريقيا جنوب الصحراء .. !
١٠. هناك ١٢٧ بلداً يعيش فيها ٣٤ في المئة من سكان العالم .
١١. يركّز التقرير على فقر الدخل وتأتي في طليعته الدول الأفريقية اللاتينية الآسيوية في ظلّ أكبر عدد واكتظاظ سكاني .. وعليه : يعيش ٢,٨ مليار نسمة من أصل ٦ مليار نسمة على دخل يومي هو أقلّ دولارين وأكثر من نصف هذه الفئة يعيش يومياً على أقلّ من دولار، في حين صنّف فقيراً فقراً مطلقاً أكثر من ٨٠٠ مليون نسمة . أي أنّهم يكابدون الموت دون أيّ إغاثة على الإطلاق ..
١٢. المشكلة الثانية في تقرير التنمية هو وفيات الأطفال وهي ظاهرة متفشية في العالم الفقير النامي ، المثير أن ٨٥ بلداً في العالم استطاع أن يخفّض هذه النسبة بل في العالم الصناعي استطاعت أن تحدّ منها بنسبة كبرى خاصة في عداد سكانها غير المحنّسين ، من هنا فقد ركّز التقرير على أنّ هذه الدول لا تضمّ سوى ربع سكان العالم على الأكثر ، في حين ثلاثة أرباع سكان العالم يشهدون موجةً من موت الأطفال بشكل كارثي .. وذلك لأسبابٍ تتعلّق بالفقر والجوع والمرض .. فهناك ٨١ بلداً يقطنها أكثر من ٦١ في المئة من سكان العالم وبطبيعة الحال هم من البلاد الفقيرة والنامية التي تشهد ظاهرة موت أطفال بشكلٍ متنامٍ وأنّ العالم يشهد موت ٣٠ ألف طفل كلّ يوم .. !
١٣. أمّا فيما يتعلّق بالقواعد التجارية الدولية فقد أشار التقرير إلى أنّها تعمل ضدّ المصالح الإقتصادية في البلدان النامية وقد فشلت في تقييد النزعة الحمائية في البلدان الصناعية لا سيّما من خلال قواعد مضادّة للإغراق

السوقي وحواجز أخرى غير جمركية ، كما أن التعريفات الجمركية في البلدان الصناعية على الواردات من البلدان النامية تعادل في المتوسط أربعة أمثال التعرفة الجمركية على الواردات من البلدان الصناعية الأخرى في ظلّ دعمٍ متزايدٍ من النادي الصناعي للسلع هناك يزيد على ٤٠٠ مليار دولار في كلّ عام ما يؤدي إلى تحطيم أيّ إمكانية لصمود السلعة الفقيرة والنامية .. (جشع قاتل من أجل الإستثمار دون أيّ رحمة على الإطلاق ..) .

١٤ . يعترف التقرير بأنّ الإقتصاد العالمي هو بيد أقلّ من ٢٠ في المئة من العالم وهو بطبيعة الحال في العالم الصناعي ، بحيث يسيطر العالم الرأسمالي على أكثر من ٨٠ في المئة من ثروة العالم ، في حين أنّ أكثر من ٨٠ في المئة من سكّان العالم لا يسيطرون على نسبة ٢٠ في المئة من ثروة العالم .. ! في ظلّ احتكار قاسٍ شديد وفوضوية عالمية سوقية ، يستفيد منها القادرون فقط ..

١٥ . يقرّ التقرير أنّ إقتصاد العالم هو لصالح الأغنياء وبتفاوتٍ كبيرٍ وقويٍّ ومتفاوتٍ جدّاً ..

ومع أنّ الثروة العالمية تمثّل أكبر تراكم وجودي قياسي ، إلا أنّها لصالح قلة قليلة جدّاً تصرّ على التمسك بها حتى لو ماتت البشرية كلّها جوعاً .. الغريب أنّ مجموعة واسعة من القيم الإعتبارية الإحتكارية تسيطر على ذهن الجماعة العالمية وتؤسّس لقواعد خطيرة ومخيفة ، من دون أن يكون للمواثيق الطبيعية والقوانين الكلية والإعلانات الحقوقية أيّ معنى دافع أو محرّك أو ضابط مجرى السنن الوجودية ذات الصلة بأفعال البشر ..

وكما شاهدنا على مرّ العصور ، صوراً كثيرة من الحروب والصراعات
الدمويّة والتدميريّة وبمقاييس مختلفة ، فإنّ العالم اليوم يدور ضمن هذه الدواميّة
الخطيرة ، وتحركه مجموعة من مفاتيح أمثال الطموح للإستثمار بالثروة واحتكار
عناصر القوّة الجيوسياسيّة ، في ظلّ استراتيجيّة السيطرة على القرارات السياسيّة
في العالم ، للعمل على تأكيد مرجعيّة من يملك أسباب الثروة والتكنولوجيا
وأدوات التدمير لقيادة العالم على نحوٍ إستعبادي فئائي ، بحيث يحقّ له إستغلال
الثروة والأشخاص والقدرات والتصرّف بها دون أيّ مانع .. ها هي حروب
الأمم تعيش واحدةً من معاني التعارض والإنقسام والإفتراس والتوحّش في كثيرٍ
من نظراتها وقيّمها الموجهة نحو الخارج والتي تنعكس بشكلٍ مخيفٍ في الداخلِ
أيضاً ..

ها هو العالم اليوم يقرأ أنّ ١٠ مليون طفل في العالم يُستغلّون جنسيّاً
وبأفزع الطرق وأبشعها وصولاً إلى الإعاقة الجسديّة والعقليّة والقتل ، وبأرقامٍ
مذهلة ومتزايدة في حين يعتبر الغرب المهد المركزي للعالم في إستغلال الأطفال
جنسيّاً .. وهناك على الإنترنت أكثر من ١٠٠ ألف موقع للجنس الطفولي الحيّ
المباح من أجل حصد المزيد من إستغلال الأطفال .. أوروبا الغربيّة وأوروبا
الشرقيّة ونيوزيلندا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا كلّهم يقرّون أنّ هذه
التجارة هي الأربح في العالم وتحتلّ ثالث رقم في تجارة الإنترنت وتجنّي مليارات
الدولارات كلّ عام ، كما أنّها التجارة الأكبر في الغرب ، والتي وصلت إلى حدّ
إقامة شركات عملاقة من أجل إستيراد الأطفال ذكوراً وإناثاً ما بين ٤ سنوات و
١٢ سنة إلى الغرب من أجل تلبية وإشباع الطلب المتزايد على الإستغلال الجنسي
للأطفال والذي يقع فيه من كلّ ١٠ أطفال ٣ أطفال ضحايا عنف جنسي إلى

حدّ الموت .. وفي إيطاليا وحدها تجني هذه التجارة الوحشية في الإستغلال الجنسي للأطفال حسب الرقم الأولي للعام ١٩٩٨ أكثر من ٣ مليار دولار وهي وصلت الآن إلى أكثر من ٥ مليار دولار .. ! في ظلّ انحراف هائل في الإشباع الجنسي وميول كبرى نحو الأطفال .. ويجب أن نتذكّر أنّ رقم الأطفال الذين يستغلّون جنسياً للعام ٢٠٠٢ هو (١٠ مليون طفل .. !) وبطل هذه التجارة والإستغلال هو الغرب .. !

ها هو العالم اليوم تحكمه عقيدة التعطّش إلى الدماء والقتل والعنف والفتك البشري ، دون أيّ مبرّر لذلك سوى الإهتبار في المواثيق والقيم الدافعة والمحرّكة لقواد .. ومنذ زمن بعيد حين تساقطت القيم الوجوديّة المأخوذة من النحو السماوي أصبح عاملُ القوّة عنواناً مركزياً في يد كلّ كيان ، من أجل كسب المزيد من عناصر البطش والسيطرة على الثروة وقيم التنافس بشكلٍ إحتكاريّ حتى القتل والتدمير أصبح ضرورة لا بدّ منه لكتابة النصر في صالح كيانٍ آخر لا لشيءٍ سوى للمزيد من الإحتكار السلطوي والمالي والنقدي والسياسي وشبه ذلك على حساب الإنسان نفسه عبر الجثث الهائلة من الموتى والقتلى والجوعى والمرضى والبائسين .. إنّ هذا واحد من نماذج الظلم العالمي الذي أصاب هويّة الإنسان الكونيّة فأحاله إلى مجرد هويّة سياسية لها بُعد مجنّس وبطاقة إنتخاب .. ! من هنا فإنّ جبهات الصراع الأُمّية والإصطدام بين الكيانات أمر لازمٌ لهذه الخارطة التعدديّة في جانب الكيانات ، وسيبقى الأمر كذلك إلى ما قبل ظهور المهديّ حيث الإفتراس يلازمُ هذا الإعتقاد ومن يقرأ نصوصَ آخر الزمان يدرك ذلك . النصوص تشيرُ إلى أنّ إعلان الحرب يطال

حتى جبهات الباطل فيما بينها البين في ظلّ انحرافِ هائلٍ بالمحفّزات الإعتقاديّة ومفاهيم الوجود . من تلك النصوص ما رواه أوطاة حيث قال :

إذا اجتمع الترك والروم ، وخسف بقرية
بدمشق ، وسقط طايفة من غربي مسجدّها ، رفع
بالشام ثلاث رايات : الأبقع (الذي في وجهه بقع)
والاصهب (الأصفر الوجه) والسفياني ، ويحصر
بدمشق رجل فيقتل ومن معه ، ويخرج رجالان من بني
أبي سفيان فيكون الظفر للثاني ، فإذا أقبلت مادة الأبقع
(أنصاره) من مصر ظهر السفياني بجيشه عليهم ،
فيقتل الترك والروم بقرقيسيا ، حتى تشبع سباع الارض
من لحومهم ..¹

في النصّ تعبير عن راية الوجه الأصفر وعن الأتراك وعن السفياني وعن
الأبقع وعن الروم حيث كلّ راية تمثّل جبهة .. وبكلّ وضوح يشير النصّ إلى
حربٍ داميةٍ تقع بينهم تحت أكثر من عنوانٍ ومنطقة ، حتى الروم التي تدعم
السفياني وتكوّن جبهته حين تزرعه في المنطقة يعود فينقلب عليها ويقاتلها ..
وهذا يعني أنّ وظيفة النصّ في أكثر من بيانٍ وموقعٍ تشير إلى أنّ عالم آخر الزمان
يكون على نحوٍ من عالم الأمس من حيث أصل الجواهر في الصراع وتعدّد
الجبهات ... وعليه : تكون عقيدة الإفراس الكياني التي نعبر عنها اليوم بصدام
الحضارات السياسيّة واحدةً من معالم القيم المغروسة في ذلك الزمن شديد

¹ ابن حماد : ص ٧٦

الإحراف .. والأمثلة حول هذه المعاني التي تكشف لنا البيئة الدولية المضطربة كثيرة ، وهي متعددة التصوير في نقل المشاهد الحية عن تلك الفتن والحروب .. ففي الرواية عن أرطاة قال :

تخرج الروم في الملحمة العظمى ومعهم الترك وبرجان والصقالبة ..^١ (البرجان : قوم ورد ذكرهم في حروب المسلمين مع البزنطيين والصقالبة أهل جزيرة صقلية الجزيرة الايطالية المعروفة ، وكانت مملكة ذات دور في الحملات الصليبية وقبلها ولكنه يطلق في صدر الاسلام على سكان بعض مناطق آسيا التركية) ..

غاية ما يشير إليه النص هو الحرب والفتنة وتعدّد الجبهات ، مدفوعة بقيم فاعلة جداً من تنافس الكيانات وآثارها العملية .. أما طبيعة بعض الألفاظ فإنها جاءت على نحو من معنى تاريخي في التعبير ، لكن لوظيفة متأخرة أو حسب تعبيرنا اليوم لبيان ظاهرة ونتيجة وأداة ومعنى عصري .. وكما في التعبير عن غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كأني بالترك قد أتكم على براذين مجذمة الأذان (بغال قطعت أطراف آذانها) حتى تربطها بشط الفرات ..^٢ إنَّها إشارة إلى أدوات الحرب ، إلى المحمولات ، إلى تلك الأدوات التي ترابط عند البحر ، إلى سلاح بحري قادر ، وفي تعبير " الربط عند شط الفرات " إشارة جلية إلى ذلك لكن بأسلوب تاريخي في نقل المعنى وعلى نحو من كناية عالية .. وكما أشرت فيما سبق فإن النبي (ص) كان يخبر أهل الزمن البعيد عن يومهم بأن

^١ ابن حماد : ص ١٩٢

^٢ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٨٠ > ٢٠٧٩٨

المهديّ هو الذي تُختتمُ به الأرض ، وعلى نحوٍ من عدالةٍ كبرى تعمّ العالمِ بإذنِ اللهِ تعالى من هنا فإنّ الإشارةَ إلى التعابير التاريخيةِ إنّما كانت على نحوٍ طريقيّ ، من أجل إبراز الوجه الأوّليّ من صورة الصراع ، من أجل المجاز إلى معنى الأداة المتطوّر في ذلك الزمن .. إنّ النصّ صدر على نحوٍ زمنيّ منقطعٍ عن عالمِ الوقوع ، الفارق بقرون ، من هنا فإنّ الأداة التاريخية للصراع والقتال وبشكلٍ رئيسيّ ستكون مختلفة ، ومن هنا فإنّ الإشارة إلى أدوات القتال كان على نحوٍ تقريبيّ تاريخي لبيان صورة أوليّة عن مشاهد الحرب والصراع .. ولبيان مجموعة من علامات ذلك الزمن من عصر الظهور تشيرُ النصوص إلى حرب جهاتٍ وجبهاتٍ في ظلّ نفوذٍ قويّ لبعضها وفي إشارةٍ جليّةٍ إلى نوعٍ من قياساتٍ مختلفة في الأشخاص وقياداتها ، مثل السفياي والدجال ، وهما جبهتان مختلفتان ، لكلّ موقع ووجود وإدارة ومركز ونحو من سلطنةٍ فاعلة .. بالإضافة إلى راية الروم والترك ويأجوج وراية أهل المشرق الخراسانيّة وصاحب المغرب والعديد من الرايات التي يكون لها وجود جهويّ أو أثر في الصراع .. ويبدو من النصوص أنّ العالم يعيش ظاهرةً من زحف الحرب ونشوب الصراع وعلى شكلٍ مختلفٍ في الأثر .. ففي الحديث عن ابن مسعود قال :

إذا ظهر الترك والخزر بالجزيرة وآذربيجان ، والروم بالعمق وأطرافها (إسم مكان في منطقة حلب وقد يجمع ويطلق على أعماق بلاد الشام وفلسطين بمعنى داخلها مقابل ساحلها) قاتل الروم رجل من قيس من أهل قنسرين ، والسفياي بالعراق يقاتل أهل المشرق وقد اشتغل كل ناحية حذو (كذا) فإذا قاتلهم أربعين

يوما ولم يأتيه مدد صالح الروم على أن لا يؤدي أحد
الفريقين إلى صاحبه شيئا ..^١

ثم إنَّ هناك روايات عديدة عن الترك قال بعضهم هي واضحة الانطباق
على غزو الترك المغول لبلاد المسلمين ، وقد كانت معروفة عند المسلمين قبل
حملة التتار في القرن السابع الهجري وهي من معجزات النبي صلى الله عليه وآله ،
وهذه الروايات وغيرها تدل على أن إسم الترك يطلق على قسم مهم من
" شعوب شرق آسيا " ، نعم من بين كل تلك العناوين يظلَّ عنوان راية أهل
المشرق الخراسانية مأخوذاً على نحوٍ كبيرٍ ومردّدٍ ومتكرّرٍ من آتتهم أصحاب الراية
الحقّة التي تكون على ما عليه آل محمد حتى ظهور المهدي عليه السلام .. ومن
بين تلك الروايات روايات تشير بشكلٍ دقيقٍ إلى أن الروم يكون لهم الأثر
الأخطر والأكثر حدّة على المسلمين ، وفي النصوص تعني الروم أن كياناً سياسياً
مسيحياً يذيق المسلمين المتاعب والمهالك بشكلٍ كبيرٍ وشديد ، بل في الحديث
عن رسول الله (ص) : أشد الناس عليكم الروم وإنما هلكتهم مع الساعة ..^٢

وفي النصوص الموجهة إلى زمن المهديّ وغيبته أن المسلمين يناهم ما نال
الأمم من الهزائم والفرقة والضعف والذلّ والمهانة ، ويكون أمرهم ضعيفاً ، بل في
الحديث عن النبيّ (ص) قال :

لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمّتي مأخذ الأمم
والقرون قبلها (أي تسلك مسلكها) شبراً بشبر

^١ ابن حماد : ص ٥٩

^٢ أحمد : ج ٤ ص ٢٣٠

وذراعا بذراع . قالوا : يا رسول الله كما فعلت فارس
والروم ؟ قال : وهل الناس إلا أولئك ..^١

لقد قال النبيّ ذلك منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ، وها هي حالة المسلمين
اليوم من فرقةٍ وضعفٍ ومهانةٍ وذلٍّ واستكانةٍ ، هم الأضعف بين كلّ الجبهات
مع أنّهم الكثرة التي تصل إلى أكثر من مليار ونصف مليار نسمة من تعدادٍ بشريّ
للعالم بلغ ٦ مليار نسمة في العام ٢٠٠٠ وهم في ٥٦ دولة مسلمة إلا أنّهم
مهزومون سوقياً ، عسكرياً ، تكنولوجياً ، ثقافياً ، وبين هذا وذاك تراهم
متمردين على دينهم ، غالبُ بناتهم عراة ، وشبابهم سكيرون ، بلا هدفٍ ولا
قيومة دينية .. لقد كان النبيّ (ص) يخبر أصحابه ما يصل إليه أمرُ المسلمين
والمسلمون آنذاك في خيرٍ عزٍّ ووحدةٍ وانتصارٍ وقوّةٍ ومناعةٍ كبرى .. لم يكن
المسلمون على علمٍ أو درايةٍ بما يصلُ إليه عالمُ الأحداث ، كان الواحدُ منهم
يذعرُهُ جدًّا ما يسمع .. ! وبعد أن فتح المسلمون بلاد الفرسِ والروم ، وسيطروا
على أغلبِ بلدانِ العالم ، وأقاموا دولةً إسلاميةً كبرى من أوساطِ أفريقيا إلى
أوساطِ آسيا بما في ذلك بطن أوروبا ، بحيث مثّلوا المرجعيةَ العليا في العالم دون
أيّ منافسٍ على الإطلاق . في ذلك الزمن بالتحديد كان الرواة يعيدون نصوصَ
النبيّ قراءةً وروايةً وتدريساً وتفهُماً ، وكلّ ما فيها يؤكّد أنّ عالمَ المسلمين آخر
الزمانِ يكون على نحوٍ مخيفٍ في الداخلِ والخارجِ بما في ذلك الخلاف على السلطة
والمُلك والكثير الكثير من القضايا التي يصل فيها الأمر إلى حدّ بتر علاقة الدين
بقيادة المجتمع السياسي ، وصولاً إلى تداعي الأمم عليهم ، مع أنّهم كثر لكن

^١ أحمد : ٢٥ ص ٢٢٥

غشاء كغشاء السيل ، مهزومون ، مفرقون ، مشتتون ، في ظل شوكة وقوة من الروم ووجوه ورايات أخرى من العالم ..

لقد ركز النبي على أكثر من جبهة مثل السفياي والدجال والترك وغيرها وقد نال من نصوص النبي في ذكر الروم إشارات عديدة ودقيقة ووفيرة لما يلقي المسلمين منها ... " الروم السياسيّة " هي عبارة عن كيان سياسي مسيحي ، أو جبهة سياسيّة مسيحيّة ، يكون لها نفوذ خطير وفاعل في التأثير على المسلمين .. وفي تعبير بعض النصوص يصفهم النبي ببني الأصفر .. وقد تعددت الروايات في بيان هذا الوجه ، منها روايات الهدنة ، ومنها رواية نفوذ الروم ، ومنها روايات نهاية عصر الروم ونفوذ دولة المهديّ (ع) .. وفي الحديث عن عوف بن مالك الأشجعي قال : قال رسول الله (ص) :

أعدد يا عوف ستّاً بين يدي الساعة :

أولهن موتي ،

يقول عوف : فاستبكي ، حتى جعل رسول الله يسكتني ،

ثم قال (ص) : الثانية : فتح بيت المقدس ،

والثالثة : موتان يكون في أمّي كقعاص الغنم ،

والرابعة : فتنة تكون في أمّي ، وقد عظّمها النبيّ (ص) ،

والخامسة : يفيض المال فيكم حتى يعطى الرجل المائة الدينار

فيتسخطها ،

والسادسة : هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ،

ثم يسرون إليكم فيقاتلونكم ، والمسلمون يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق ...^١

إشارة إلى هيمنة الروم وزحفهم نحو المشرق وإلى ما يصير إليه الأمر من الهدنة .. ويظهر من النصوص التي سقناها فيما سبق أن الروم يكون لهم جبهة قوية ، وأنهم يملكون أدوات يستطيعون فيها غزو الشرق ، وأن واحداً من الحكام المخلوعين المسلمين يستنجدهم فينجدونه إلى غير ذلك .. وقدر مرّة عليك النصوص التي أشارت إلى أن المسلمين يكونون كثيراً ، لكنهم ضعاف ، تتداعى عليهم الأمم ، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها .. وتذكر الروايات أن صراعاً ينشب بينهم وبين أكثر من جبهة منها جبهة الترك ، إلى غيرها من العناوين التي تشير إلى هوية جبهوية ما ، وأن جبهة الروم تظل حتى ظهور المهدي ، وأنه يقع بينها وبين المهدي حرباً وقتالاً ، ثم تعدد في الهدنة ، وهذا يعني أن الحروب تتعدّد وأن حرق الهدن يكون متعدداً ثم ينتصر المهدي فيما بعد .. وفي لفظ آخر يشير إلى زوال عصر الروم ونفوذهم وقيام أمر المسلمين قال سليمان بن حبيب : سمعت أبا أمامة يقول : قال رسول الله (ص) :

سيكون بينكم وبين الروم أربع هدن ،

يوم الرابعة على يد رجل من أهل هرقل يدوم سبع سنين ،

فقال له رجل من عبد القيس يقال له المستورد بن خيلان :

يا رسول الله من إمام الناس يومئذ ؟ قال (ص) :

(المهدي من ولدي) من ولد أربعين سنة ،

^١ ابن حماد : ص ٧

كأن وجهه كوكب دري ،
في نخده اليمين حال أسود ،
عليه عباءتان (قطوانيتان) ،
كأنه من رجال بني إسرائيل ،
يملك عشرين سنة ،

يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك ..^١

وفي نص آخر عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني ، عن ذي مخبر بن أخي النجاشي ،

قال سمعت رسول الله (ص) يقول :

تصالحون الروم عشر سنين صلحا آمناً ،

يفون لكم سنتين ،

ويغدرون في الثالثة ،

أو يفون أربعاً ، ويغدرون في الخامسة ،

فينزل جيش منكم في مدينتهم ،

فتنفرون أنتم وهم إلى عدو من ورائهم فيفتح الله لكم ،

فتنصرون (فتسرون) بما أصبتم من أجر وغنيمة ،

فتنزلون في مرج ذي تلول فيقول قائلكم :

الله غلب ، ويقول قائلهم : الصليب غلب ،

فيتداولونها ساعة فيغضب المسلمون ،

وصليهم منهم غير بعيد ،

فيثور مسلم إلى صليهم فيدقه ،

^١ الطبراني : الكبير : ج ٨ ص ١٢٠ > ٧٤٩٥

فيثورون إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه ،
فتثور تلك العصاة من المسلمين إلى أسلحتهم ،
وتثور الروم إلى أسلحتهم ،
فيقتتلون ،
فيكرم الله تلك العصاة من المسلمين فيستشهدون ،
فيأتون ملكهم فيقولون :
قد كفيناك حد العرب وبأسهم فماذا تنتظر ؟
فيجمع لكم حمل امرأة ثم يأتيكم في ثمانين غاية ،
تحت كل غاية إثنا عشر ألفا ...¹

والذي يظهر من النصّ أنّ الوضع بين المسلمين والروم يكون على نحوٍ
ساحقٍ وحربيّ ، فبينما يعقدون هدنة حتى تقوم الحرب ، وهذا يدلّ على أنّ
طبيعة الإستقرار الآمن غير موجودة ، وأنّ قوّة الجبهتين على نحوٍ واضحٍ في ظلّ
ظروفٍ عالميّةٍ معقّدةٍ من هنا لا تُكتب الهزيمة في المرّة الأولى ، ولا في المرّة الثانية ،
نعم ربّما تكون هناك جبهات أخرى ، وكما هي حالُ العالمِ اليوم من صراعٍ
جبهويّ وأحلاف ، ربّما يكون العالم على نحوٍ لا يسمح بمتابعة شوط الحرب
العسكريّة بشكلٍ مستمرٍّ إمّا لإنشغالٍ في جبهةٍ أخرى أو لعناوين عليا ماسّة ..
لكنّ طبيعة النصوص تشير إلى أنّ الروم تكون على نحوٍ من قوّةٍ وشوكةٍ وضمودٍ
إلى أن تمزم فيما بعد على يد المهديّ كما في أكثر من نصٍّ صريحٍ وواضحٍ .. بل
في بعضها إشارة إلى أنّ جبهة المهدي تكون على نحوٍ مستمرٍّ من الإنشغالِ
بالجبهات ، فهناك جبهة السفياي وجبهة الدجال وجبهة بني الأصفر أي الروم

¹ ابن حماد : ص ١٣٧

وجبهة صاحب المغرب والترك وغيرها .. نعم طبيعة التسلسل الزمني ربّما هي مفقودة بشكل تام حول فهمنا لمعالم الصراع الجبهويّ لأنّ هذه الأمور من التفاصيل ، إلا أنّ النصوص أتخفتنا بشيءٍ منها ، من تلك النصوص ما رواه أوطاة من دون أن يسندهُ فقال : يكون بين المهدي وبين طاغية الروم صلح بعد قتله السفياي ونهب كلب ، حتى يختلف تجاركم إليهم وتجارهم إليكم ، ويأخذون في صنعة سفنهم ثلاث سنين ، ثم يهلك المهدي ، فيملك رجل من أهل بيته يعدل قليلاً ثم يجور فيقتل قتلاً ، ولا ينطفئ ذكره حتى ترسي الروم فيما بين صور إلى عكا فهي الملاحم ..¹

أقول ما أشار إليه الراوي من هلاك المهديّ قبل هلاك الروم غير دقيق نهائيّاً وبعيد كلّ البعد عن الصحّة ، فكلّ النصوص المسندة والصحيحة تشير إلى أنّ هلاكها يكون على يد المهديّ (ع) أو عبر نزالٍ عسكريّ على يد واحدٍ من قادة المهديّ الذي يدير الصراع بنفسه ... والثابت بشكلٍ مطلق وبتوافق كلّ علماء المسلمين أنّ المهديّ لا يموت حتى يملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً بل يحكم من بعدها العالم على هذا النحو من العدل والقسط .. من هنا فإنّني أقول أنّ ما ورد في هذا الخصوص أكيد هو وهم حقيقي من الراوي ليس أكثر .. نعم النصّ كما غيره يشير إلى أنّ جبهة المهديّ تكون مشغولة بحرب الجبهات ، مرّة مع السفياي ومرّة مع بني الأصفر وغيرهم .. بل في الرواية عن كعب والمؤيدة بغيرها من الروايات أنّ المهدي يبعث بقتال الروم ، يعطى فقه عشرة ، يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية فيه التوراة ، التي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام ، والانجيل الذي أنزل الله عزّ وجل على عيسى

¹ ابن حماد : ص ١٤٢

عليه السلام ، يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم ..^١
وفي ملاحم ابن طاووس أن المهديّ يبعث بعثاً لقتال الروم فيرسل معه عشرة ..
إلى باقي النصّ المروي .. وفي بعض هذه النصوص يذكر أن المهدي عليه السلام
يرسل إلى أنطاكية من يستخرج التوراة والانجيل الاصليين من غارها وتكون آية
للروم فيكفون عن قتاله أول الامر .. وفي الحديث عن معمر عن مطر ، قال
كعب : إنما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر قد خفي ، قال : ويستخرج التوراة
والانجيل من أرض يقال لها أنطاكية ..^٢

وفي لفظٍ موافقٍ أيضاً جاء فيه : إنما سُمِّي المهدي لأنه يهدي إلى أسفار
من أسفار التوراة ، يستخرجها من جبال الشام ، يدعو إليها اليهود ، فيسلم على
تلك الكتب جماعة كثيرة ثم ذكر نحواً من ثلاثين ألفاً ... وفي لفظٍ ثالثٍ : يهدي
إلى جبل من جبال الشام يستخرج منه أسفارا من أسفار التوراة ، فيحاجّ بها
اليهود فيسلم على يديه جماعة من اليهود ... والثابت روائياً أن المعصوم عليه
السلام يملك علم التوراة والانجيل فضلاً عن علم القرآن .. وبطبيعة الحال فإن
استخراج الأسفار يكون من باب الاحتجاج الزائد على اليهود وغيرهم ..

وأكرّر : إن كلّ رواية تشير إلى أن المهديّ (ع) لا يحقق هدفه من إقامة
العدل في الأرض ، هي رواية منافية للمتواتر عن النبيّ (ص) الذي اتفق على
صحته كلّ المسلمين ، من أن النبيّ (ص) قال بما مضمونه : إن المهديّ يقيم
القسط والعدل في الأرض وبجياته لا بعد موته وأنه يحكم العالم بالعدل المنشور .
كلّ النصوص المتصلة سندها بالنبي واضحة في ذلك دون أيّ شك أو شبهة أو

^١ ابن حماد : ص ٩٨

^٢ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٧٢ - ٢٠٧٧٢

إجمال ليس عندنا بل في كتب الحديث عند كل المسلمين . وقد لاحظتُ في بعض النصوص المغرضة غير المسندة أصلاً للنبي ، بل مروية عن لسانِ راوٍ ضعيف أو مجهول حاولت جهدها لإدخال جزء من تشويه في قضية المهدي فأعطت بعض الأدوار التي هي للمهدي بشكلٍ ثابتٍ إلى النبي عيسى عليه السلام ، بهدف تشويه العنوان العام لقيادة المهدي في نشر العدل العالمي وبشكلٍ ناجحٍ وكامل ، منها روايات ضعيفة جداً قالت إن المهدي يهلك فيقوم مكانه عيسى بن مريم فيهزم الروم ويقيم أمر الله تعالى .. وكما ترى فإن هذه النصوص الأحادية غير مروية عن النبي (ص) أصلاً ورواؤها ضعاف مرة ومجهولين مرة أخرى ، فضلاً عن أنها غير قادرة على معارضة الروايات الصحيحة والثابتة .. في حين أن المروي عن النبي يقول بشكلٍ متواترٍ وثابتٍ : إن المهدي هو الذي يقيم القسط والعدل في كل الأرض . وفي تلك النصوص بيان واضح أن المهدي هو من يهلك الروم .. وفي الحديث المروي بسندٍ متصلٍ عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (ص)

يخرج المهدي إلى بلاد الروم ،

وجيشه مائة ألف (إشارة رمزية تاريخية للعدد يُراد منها بيان

الكثرة في الجيش) ،

فيدعو ملك الروم إلى الإيمان فيأبى ،

فيقتلان شهرين ،

فينصر الله تعالى المهدي ،

ويقتل من أصحابه خلقاً كثيراً ،

وينهزم ويدخل (أي ملك الروم) إلى القسطنطينية ،

فينزل المهدي على بابها ،
ولها يومئذ سبعة أسوار ،
فيكبر المهدي سبع تكبيرات ،
فيخرّ كل سور منها ،
فعند ذلك يأخذها المهدي ،
ويقتل من الروم خلقاً كثيراً ،
ويسلم على يديه خلق كثير ..^١

وفي الحديث عنه (ص) : لا تقوم الساعة حتى يفتح الله على المسلمين
قسطنطينية ورومينية بالتسييح والتكبير ... وفي لفظ آخر : لو لم يبق من الدنيا
إلا يوم ، لطوله الله عزّ وجل حتى يملك رجل من أهل بيتي ، يملك جبل الديلم
والقسطنطينية ...^٢ (إشارة إلى إنتصار المهديّ على عواصم الروم القادرة
والممتنعة ، والتعبير بالقسطنطينية يُراد منه الإشارة إلى أنّ المهديّ يفتح عواصم
القرار في جبهة الروم ..) .

وعلى كلّ حال النصوص عن النبيّ واضحة في أنّ المهديّ هو الذي يفتح
قلاع الروم ويهزمهم ، ويعيد حكم الإسلام إلى الأرض دون أيّ منافسٍ من أيّ
كيانٍ آخر في العالم على الإطلاق ، في ظلّ دولة واحدة وقيادة شرعيّة واحدة
يقودها المهديّ (ع) يعمّ غيرها السلام والأمان ويكثر الرزق حتى يفتش الواحد
على الفقير فلا يجده ، ويكثر العطاء ، وتخرج الأرض رزقها وتنزل السماء
بركاتها ويقوم العدل في العالم .. وأكرّر أنّ التعابير التي وردت في النصوص مثل

^١ قصص الانبياء ، للكسائي : على ما في عقد الدرر . * : العلل المشاهية : ٢ ص ٨٥٥ - ١٤٣٠

^٢ مسند يحيى بن عبد الحميد الحماني : على ما في المنار المنيف . * : ابن ماجه : ٢ ص ٩٢٩ ٩٢٨ ، ١١ ص ٢٧٧٩

القسطنطينية وشبه ذلك هي بطبيعة الحال إشارة عبر اللسان التاريخي إلى معنى متصل بذهن السامع آنذاك وما له من صلة برمز تاريخي كبير للقسطنطينية ، فالقسطنطينية هي رمز من رموز الروم في زمنٍ مضى يدلّ على عظمة الروم وقوتها ومناعتها .. وهنا كان النبيّ (ص) يؤكّد سقوط الروم وانهايار حصونها وعواصمها ، ولقد ثبت في التاريخ سقوط القسطنطينية . بل النصّ يشير إلى الأبعد من ذلك ، إنّه يشير إلى أنّ الروم التي تكون لها جبهة كبرى فاعلة مؤثرة قبل وبعد ظهور المهديّ ، سيصل الأمر بها بعد صراعٍ عسكريّ جهويّ مع جيش المهدي إلى الحرب مرّة والهدنة مرّة أخرى حتى تسقط عواصم القرار الكبرى فيها وبذلك تنتهي جبهة الروم بما تعنيه من كيانٍ وجبهة مسيحية سياسية غريبة .. لذا فإنّ للتعبير التاريخي إشارة فاعلة ودقيقة وكناية كبرى . إنّه يقول : إنّ عواصم القرار الروميّة (المسيحية السياسية الغربية) في تلك الجبهة ستسقط ، وقد استعمل للإشارة إلى ذلك المعنى لفظ القسطنطينية وسقوطها لما تعنيه من عاصمة مركزية كبرى للقرار الرومي ، مؤكّداً أنّها ستهاوى أمام جيش المهديّ (ع) الذي يتبعهم بجيشه على أثر هزيمتهم إلى دولهم وعواصمهم هناك ، وهو تعبير دقيق وعالٍ في أداءٍ وظيفته .. وفوق كلّ ذلك فإنّ تكراره في الروايات وفي أكثر من جهةٍ وصفةٍ يختزن نوعين مهمّين من المعنى :

الأول فيه إشارة إلى أنّ الروم تكون في موقعٍ متقدّم ، أي تكون محتلة لبقاعٍ أخرى من العالم خارج كيانها السياسي .

الثاني : إنّها تنهزم من تلك البقاع إلى كياناتها ومواقعها الكبرى ، التي تتحصّن بما فيتبعها المهديّ ، فيكبر هناك سبع تكبيرات يكون على أثرها حرب ينتصر فيها المهديّ ، أمّا ماذا عن التكبير ؟ ماذا تعني هذه الإشارة .. ؟ هل تعني

أن تكبير المهديّ يعني البدء بمرحلة ما ، من جولات الحرب أو وقعة قاسية ومفصلية .. ؟ ربّما يكون الأمر كذلك ، خاصّة أن ذيل النصّ يشير إلى أن المهديّ (ع) على أثر ذلك يأخذ المدينة ، وهو تعبير يُراد منه الأخذ وليس الصلح والتنازل ، إنّه تعبير يتضمّن معنى السيطرة بالقوّة ، وأنّ الأمر يتمّ على نحوٍ يحصل فيه قتلٌ من جهة وإسلامٌ من جهةٍ أخرى في صفوف الذين يكونون داخل هذا الحصن الرمزي الذي يتضمّن عظمة الجبهة السياسيّة المسيحيّة التي تمّ التعبير عنها بجبهة بني الأصفر أو الروم (القسطنطينيّة) .. النبيّ (ص) يشير إلى أنّه مع هزيمة عاصمة القرار السياسيّ لجبهة الروم ينتهي زمنُ المسيحيّة السياسيّة لصالح الدولة الإسلاميّة .. وإذا جمعنا هذه الروايات إلى الروايات التي تشير إلى أنّ الانتصار على الروم يكون بعد القضاء على جبهة السفياي ، فإنّ هذا يعني أنّ دولة الإمام المهديّ (ع) تكونُ على نحوٍ متقدّمٍ وبشكلٍ هائلٍ في السيطرة على زمام العالم ، لتضيف إلى ذلك خطورةً تاريخيّةً في بناء العالم الجديد ..

ويجب أن لا يغيب عن الذهن أنّ الصراع في ذلك العالم يكون على نحوٍ منفلس كما يظهر من بعض النصوص أنّ طبيعة الصراع تكون وفق نموذج كتلوي ، أي صراع الأحلاف في بعض المراحل ، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً وستوقف عنده فيما بعد إن شاء الله ..

نموذج الفتن في العالم بآخر الزمان :

- الظروف والنتائج .
- الانحراف المفاهيمي .
- قيام الحروب .
- بين الموت الأحمر والجوع الأغبر ..

نموذج الملاحير والفتن في العالم (الأسباب والنتائج)

بخصوص الملاحم والفتن الحادة وتنقلها وتوسّعها جاءت النصوص لتؤكد أن عصر الظهور يكون على نحو يؤكد الإهتزاز العنيف الذي يصيب العالم عبر الجبهات والحروب والملاحم الدموية والإنقلابات الشرسة للسيطرة على العرش والثروات .. ومن تلك العناوين البارزة ذات الخطورة البالغة الملاحم الخمسة التي أُشير إليها بأكثر من نصّ جاء فيه :

الملاحم خمس : مضى منها ثنتان وبقي ثلاث ،
فأولهن ملحمة الترك بالجزيرة ، وملحمة الأعماق ،
وملاحم الدجال ليس بعدها ملحمة ..¹

ولا شك أن المراد هنا بهذه الملاحم صراع دموي عنيف ، ومن طراز يكون له آثار خطيرة .. النصوص تشير إلى فتن عنيفة تجوب البلدان ، ليس على

¹ ابن حماد : ص ١٢٢

صعيدٍ واحدٍ وكيانٍ واحدٍ أو رايةٍ واحدة بل بأكثر من راية ، يظهر أن لديها من الوسائل والأدوات التدميرية ما يجعلها على موقعٍ مؤثرٍ جداً .. وفي الرواية عن أبي اليمان الهورني عن كعب ولم يسنده قال :

إذا رأيت همدان المشرق وقد نزلت بين الرستن
وحمص فهو حضور الملحمة وخروج الدجال قلت وما
ينزلهم الرستن ؟ قال عدو من ورائهم ... وفي لفظٍ
آخر : لن يجمع الله على هذه الامة سيف الدجال
وسيف الملحمة ...¹

ويظهر من النصوص أن للدجال أكثر من خطورة في التأثير على نوعيّة الصراع ، من هنا نجد أن ما ورد من النصوص يركّز على عنوانين :

الأول : الفتن .

الثاني : نوعيّة الفتن .. في هذا الشقّ تركّز النصوص على أن فتنة الدجال من أخطرِها .. وفي الرواية عن عبد الله بن عمر قال : ملاحم الناس خمس ، فتنان قد مضتا ، وثلاث في هذه الامة . وملحمة الروم وملحمة الدجال . ليس بعد ملحمة الدجال ملحمة ... والذي يظهر منها هو التفريق بين نوعين من أنواع الصراع وآثارها ، ومع أن البعد العسكري مأخوذ في النحو الجبهوي للصراع ، إلا أن الفتن تكون على نحوٍ إستقطابي له أثر خطير على مجريات الأمر ونتائجهِ ، وبتعبيرٍ آخر : له أثر سلبي على وجهِ العدالةِ وأمرِ الشريعةِ ، بمعنى أن

تلك الرايات الجبهويّة تكون على موقع مؤثّرٍ في صياغة العالم بشكلٍ يناقض وبشكلٍ خطيرٍ ما عليه أمر الشريعة ، إلى درجة إستعباد الناس واحتلال المدن ونهب الثروات وسفك الدماء وغير ذلك .. أمّا من حيث المعنى المجسّم لهذه العناوين فقد عبّرت عنه النصوص بمثل الروم والدجال وشبه ذلك ، وفي النصّ جاء : الروم أول الآيات ، ثم الدجال ، والثالثة يأجوج ومأجوج ، ثم عيسى .. وفي الرواية عن عبد الله بن عمرو قال : الملاحم ثلاث ، مضت ثنتان وبقيت واحدة ، ملحمة الترك بالجزيرة (وكأنتها في مقام الإشارة الزمنيّة إلى أن تسلسل الجبهات على النحو التالي : الروم ، ثمّ الدجال ، ثمّ يأجوج ومأجوج ..) مع الإشارة إلى أن السفيناني يكون في عصر الروم ، بل ينتصر بدعمها الشرس له وكلّ ذلك فضلاً عن راية المغربيّ والترك وغيرها .. وفي نصوصٍ أخرى عن الفتن إشارة إلى مناطق وأماكن محدّدة يظهر منها أنّها عنوان جهةٍ ما .. ففي الحديث عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة الزهراء (ع) قال : سمعت أبي عن جدي أنه سمع جده رسول الله (ص) يقول : للناس ثلاث معازل : فمقلهم من الملحمة الكبرى ، التي تكون بعمق أنطاكية دمشق ، ومقلهم من الدجال بيت المقدس ، ومقلهم من يأجوج ومأجوج طور سيناء ...¹

وفي مثالٍ عمليّ تطبيقيّ لمعالمٍ واحدة من الرايات روى بكر بن سوادة عن شيخ من حمير قال :

ليكوننّ لكم من عدوكم بهذه الرملة رملة
إفريقية يوم ، تقبل الروم في ثمان مائة سفينة فيقاتلونكم

¹ مذهب ابن عساكر : ج ١ ص ٥٢

على هذه الرملة ، ثم يهزمهم (الله) فتأخذون سفنهم
فتركبوا بها إلى رومية فإذا أتيتموها كبرتم ثلاث
تكبيرات ، ويرتج الحصن من تكبيركم فينهار في الثالثة
قدر ميل ، فتدخلونها فيرسل الله عليهم غمامة تغشاهم
فلا تُنهئكم حتى تدخلوها ، فلا تنجلي تلك الغبرة
حتى تكونوا على فرشهم ...^١ وفي عقد الدرر^٢ قال :
ثم يهزمهم الله تعالى فتركبونها إلى رومية ، من
تكبيراتكم ...

أقول : ثبت فيما روي من قبل أن هلاك الروم ، أي هزيمتهم ، تكون
على يد المهدي عليه السلام ، وقد مرّ عليك ما أشرنا إليه في السابق وبشكلٍ
دقيق وعبر لسان هذه المرويّات نفسها .. أمّا وجه الصراع على مستوى الملاحم
فيظهر فيه أن الجبهات تكون مختلفة ، منها روميّة ، ومنها راية تكون بقيادة
الدجال وغير ذلك وعلى أثر هذه الفتن والحروب التدميريّة العنيفة تأخذ كل
ملحمة وراية وصفها من حيث الأثر قوّة وضعفاً ، نعم للروم أثر في تلك
الجبهات ، كما للدجال أثر بارز فيها .. ففي الرواية : تكون الملاحم على يدي
طبارس بن اطيطنان ابن الاحرم بن قسطنطين ابن هرقل ...^٣

ويكون من أثر هذه الفتن هلاك كبير يصيب الأمم في أكثر من عنوانٍ
ضّرريّ وطرازٍ هائلٍ من البلاء ، ففي الرواية عن عبد الله بن عمرو عن النبيّ

^١ ابن حماد : ص ١٣٢

^٢ ص ١٨٠ ، ١٩٠ عن ابن حماد ..

^٣ الطبراني ، الكبير : على ما في كثر العمال

(ص) قال : إذا ملك العتيقان عتيق العرب وعتيق الروم كانت على أيديهما
الملاحم ..^١

والواضح من هذه النصوص التفريق بين الملاحم وغيرها من العناوين
الجهويّة الأخرى التي توجد في العالم على صعيد الكيانات ، ومن أبرزها فتنة
الدجال ، بمعنى أن هناك أمراً ملحماً يبرز بشكل عالٍ وخطير بآثاره وسفكه
وتدميره ، ويظهر أن الملاحم تكون على نحوٍ عنيفٍ جداً ، بل في النصوص أن
بعض الفتن تكون من فصيل العلامات ، ومن بين تلك الفتن ما هو على هولٍ
عظيم ، وفي بعضها تعبير (الملحمة العظمى) وخراب القسطنطينية وخروج
الدجال في سبعة أشهر أو ما شاء الله من ذلك .. وفي الرواية عن عبد الله بن بسر
صاحب النبي قال قال (ص) : بين الملحمة وفتح القسطنطينية (ست) سنين ثم
يخرج الدجال في السنة السابعة .. نعم عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله
(ص) : الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر ..

وتجدرُ الإشارةُ إلى أن ما خصّ الأعداد والزمن ، فالأمر موكولٌ فيه إلى
الحال والدقة ، حيث بعضُ النصوصِ فيها نوع من الإشارات ، في حين بعضها
الآخر يُحتملُ فيه وهمٌ من الراوي .. إلا أن كلَّ النصوصِ متّفقة على نوعٍ عنيفٍ
من الفتن والحروب ، أمّا السلسلة الزمنيّة للفتح والفتن فيظهر من بعضها أنه
مضطرب في لسانِ الراوي ، خاصّة إذا لاحظنا أن بعض هذه النصوص المضطربة
ليست على نسقٍ تامٍ من ناحية السند ما يعني أن في الرواية وهناً يمنع من
الإطمئنان بصدورها على هذا الوجه ، في حين أن ذكر الفتن موجود في غيرها

^١ ابن حماد : ص ١٣١

من النصوص فيكون موضوع الفتن هو القدر المتقين من هذه الجهة .. وعليه :
يبدو العالم وهو تحت وطأة الحروب والفتن العظام ، في ظلّ جبهاتٍ عسكريّةٍ لا
تعترف بأدنى ضماناتٍ للبشر ، ويكون هُمّها تكريس وجودها السياسي ولو على
جثث أهل الدنيا .. كلّ الروايات واضحة في الإشارة إلى انحرافٍ خطيرٍ يطال
المواثيق وأعني بذلك ضمان الفرد في الحياة .. ما يؤدي إلى قتلٍ وسفكٍ وعنّفٍ
متعدّدٍ الوجوه ، في ظلّ فسادٍ سياسيٍ مواثيقي اجتماعيٍ إقتصاديٍ ..

من هنا فإنّ صورة وشكل القتل وسفك الدماء والتخريب والإعتداء على
ضمانات الفرد تختلف من سببٍ إلى آخر بطبيعة الحال ، في ظلّ مواثيقٍ منحرفة ،
ووضعٍ دوليٍ مضطربٍ وحروبٍ تطير من بلدٍ إلى بلدٍ ... وعلى سبيلٍ التقريب ،
أعطي مثلاً حياً من أمثلة عصرنا الحاضر ، فاليوم يشنّ العالم الغربيّ وبشكلٍ
كثيفٍ دعايةٍ كبرى نافذة هائلة على الفلسطينيين العزل كلما حصلت عمليّة
إستشهادية في الأراضي المحتلة ضدّ الجنود الإسرائيليين أو المستوطنين ، ويعني
موت إسرائيليٍ محتلٍّ أو غاصبٍ كارثةٍ عنيفةٍ في مجال الدعاية الدولية ، توظّف
للمزيد من العنف الإسرائيلي الذي تجلّى منذ إنتفاضة العام ٢٠٠٠ وحتى عامنا
الحاضر ٢٠٠٢ على شكل إبادةٍ جماعيّةٍ هائلةٍ تقوم بها إسرائيل وبالآلة الأمريكية
في حقّ الأطفال والنساء والشيوخ وكلّ فلسطينيٍ على الإطلاق .. كان من أبرز
سماتها المجزرة الهائلة التي حصلت في مخيم جنين بطريقةٍ واسلوبٍ وظرفٍ هزّ
السماء لكنّه لم يحرك أيّاً من قادة العالم بل من دون أن يحرك أهل الدنيا ساكناً ..
وفي يوم ٦ - ٧ نيسان ٢٠٠٢ كان الزمن الأكثر دمويّاً في الحرب الواسعة التي
يشنّها الجيش الإسرائيلي على الفلسطينيين العزل ، حيث بدت جنين ونابلس
وبيت لحم ورام الله وغيرها من المناطق الفلسطينية مجرد ركّام من الجثث

والشهداء .. جثث ، قتلى بين الأزقة وفي وسط الطريق ، تحت الأنقاض ، جرحى ينزفون دمهم ، من دون أيّ مساعدة تحت فوهة القنّاص القاتل ، مصابون يلفظون أنفاسهم من دون أن يسمح لأيّ إسفاف بجدّتهم ، الطائرات الإسرائيلية ذات الصنع الأمريكيّ تشنّ أعنف الهجمات التدميريّة المتواصلة على البيوت والدور في مخيم جنين الذي بدا مدمراً بشكلٍ مأساويّ مذهل ، حيث الجثث والجرحى بين الأزقة ... وهناك في كلّ المناطق المحتلّة القنّاصة الإسرائيليّة تفتك بالمارة ، في ظلّ منع تجوال ، شاهدنا وشاهد العالم بأسره عبر عدسات الكاميرا المنوع عليها أصلاً أن تتجوّل أو تصوّر أيّ مشهد ، ومع ذلك نقلت إلينا مجموعة من صور يموت لها الفؤاد : جرحى يلفظون أنفاسهم أمام مشهد كلّ العالم ومسمعه ، قتلى في كلّ الطرقات ، بيوت مدمرة ، جرحى لا يعدّون ، شهداء لا بدّ من دفنهم ، جثث متحلّلة ، المستشفيات غصّت بالشهداء ، وممنوع على طاقيها التجوال ، شهداء يدفنون في صحون البيوت وفي حدائق المستشفيات وبين الأزقة والدور وعلى الطرف الآخر ، كنيسة المهد ، التي تعتبر بالنسبة إلى المسيحيين الرمز الأهمّ في دنيا المسيحيّة خاصّة في اللاهوت الكنسي ، حيث هي مهد المسيح ، ومع كلّ هذا ، تُقصف وترمى بالسلاح المتوسّط والثقيل على مسمع ومرأى كلّ المسيحيّة السياسيّة واللاهوتيّة دون نكير ، لأنّ مجموعة من مدنيين فلسطينيين لجؤوا إليها .. هناك سكت كلّ العالم وظلّ اليهودي الذي اضطهد المسيح أصلاً يمارس جبروتّه المرير بدعمٍ من مسيحيي العالم الغربي .. أيّ عقيدة تلك ، أيّ دينٍ هذا ؟ أم أيّ انتماء لاهوتي وسياسي ؟ أيّ نصرة للمظلوم في المسيحيّة ؟ أيّ موثيق .. ؟ أم أنّ الإنحراف اللاهوتي والسياسي وصل إلى حدّ قاتلٍ من باطلٍ دفينٍ وبيعٍ سياسيٍّ مخيف .. إلى حدّ تدمير قيم التاريخ والإنقلاب على ضرورة اللاهوت ، والتعامل مع اليهود من باب سوق الدعاية والنفوذ .. إنّ

عقيدة يموتُ فيها صوت الله لا يمكن أن تكون حقانية على الإطلاق ، ولا يجوز أن يكون أتباعها في موقع المرشد أو في منصبٍ محترمٍ وفقاً لحسن البشرٍ وغاياتهم الوجودية ..

لقد وصل جنون العبثِ البشريِّ إلى مستوى قاتلٍ ، إلى حدِّ إرتكاب أسوأ مجزرة رهيبة في القرن الواحد والعشرين في مخيم جنين ، ومع كلِّ هذا أصراً آريال شارون على إحتلال ما بقي من مخيم جنين وتدميره وجرفه على أهله وقد فعل ذلك دون أن ينطق ناطق أو يعترض معترض من ذوي ماركات حقوق الإنسان أو زعامات العالم " الغربيّ الرومي " الذين يشكّلون جبهةً مسيحيةً سياسيّة عريضة .. كانت كلُّ الجبهات خاملة في ظلِّ أسوأ كارثة تطال الوجه المسلم في أرضِ الرحمة الإلهية ومهبط النبوات سوى جبهة لبنان عبر مجاهدي المقاومة الإسلاميّة من أتباع أهل البيت (ع) حيث اشتعلت بشكلٍ يوميٍّ وبتاريخ ٧ نيسان ضربت المقاومة الإسلاميّة في عمق مزارع شبعا بعنفٍ واسعٍ في ظرفٍ داخليٍّ يتربّص بما كلُّ موقعةٍ وزمن .. بمعنى أن حزب الله في لبنان لو يجد وحدةً حقيقيّةً في الصفِّ الداخلي اللبناني لخوض حرب تكون واسعة إلى حدود العمق الإستراتيجي الإسرائيلي لفعل وبمستوى عالٍ في الأهمية والتأثير خاصّةً أن هناك مئات الآلاف من المستوطنين تحت وقع الصواريخ ، وهذا يؤثّر بشكلٍ عميقٍ في طبيعة العلاقة بين الناخب والحكومة الإسرائيليّة .. إلا أن ظرف هذا التنظيم الأناجح في التعبئة العقائدية والتمرس في هزيمة الجبابرة كما فعل مع الإسرائيليين الذين دحرهم من لبنان يعاني من فساد القيم بالعالم ، من اتفاق القوى الكبرى في النظام السياسي العالمي على محاصرته حتى في بلادهٍ وعبر فرقاء داخليين .. ومع كلِّ هذا فإنّه دخل على الخطِّ في تلك اللحظات الحرجة جداً عبر مواجهاتٍ

عسكريّةٍ وصلت إلى حدّ إحتلال موقع إسرائيلي بمزارع شبعا ورفع العلم على سواتره .. ولأنّ الظرف مخيف ومزعج جداً على مستوى الأمن الإسرائيلي الشمالي فإنّ الرئيس الأمريكي جورج بوش دخل مباشرةً على الخطّ محذراً العالم العربي والإسلامي من جبهة لبنان ، لأنّ من شأنها أن تحرق كلّ شيء .. وبالأحرى لأنّ صواريخ المقاومة ممكن أن تطال ٤٠ كيلو متر في العمق هناك وتهمّج عشرات الآلاف إلى تلّ أبيب ، وتمزّ الأمن السياسي الإسرائيلي وتُسقط هامش الأمان الشعبي عند شارون وحكومته ، من هنا اصّر بوش على أن ما يقوم به حزب الله خطير جداً ، ولا بدّ من تطويقهِ ، إلى درجة أن أمريكا أرسلت إلى روسيا أن تتدخل مباشرةً عبر صداقاتها مع الفرقاء المؤثرين هناك ، وهي تعني بذلك إيران ولبنان وسوريا وغيرهم ، لتنقل رسائل تهديد إمركية بتدمير مخيف يطال لبنان عبر إعطاء إسرائيل ضوء أخضر كبير .. كلّ ذلك من دون أن يلقي هذا التنظيم الولائي لأهل البيت عليهم السلام وبصورة عامّة أيّ دعم ، على الأقلّ معنويّ ، من آية جبهة ، بل لاقى المزيد من الضغط والإكراه ، والعمل على تقليص صوته الذي حرّك الشارع العربي في أكثر من محطة وموقف بارز ..

ومن جهةٍ أخرى كان الرئيس الأمريكي يعيشُ مرحلةً عصبيّةً حرجة بسببِ القنابل البشريّة الإستشهاديّة في الداخل الفلسطيني ، مع أنّه لم يحرك ساكناً أمام كلّ همجيّة آريال شارون المذهلة إلا حين رأى الذعر الكبير في كلّ موقعٍ من مواقع العدو جيشاً وشرطةً وحكومةً ومستوطنين جرّاء العمليات الإستشهادية المتقدّمة .. ها هو جورج بوش في أكثر من مقامٍ وتصريحٍ متكرّر يناشدُ العرب أن يطلبوا من فقهاءهم إصدار فتاوى تنديد وتحريم ، ينادي الحكومات العربيّة أن تصف هؤلاء بالإنتحاريين وليس بالشهداء .. ورغم وجود

وعاظ سلاطين ، وتجار فتاوى حاولوا أن يدنسوا عظمة هذا المقام وحقانته ، فإن هؤلاء الإستشهاديين العظام أعطونا درساً مذهلاً في التجارة مع الله وبذل الأرواح .. ومع كل هذا ، نجد في الطرف الآخر مجموعة كبرى من دول الإسلام بين تبعية وذل وهوان وصمت ، رغم تداعي الأمم عليها وافتراس ما فيها من ثروة باطنية وسطحية ، رغم انقيارها في السوق والإنتاج ، رغم سقوطها الغريب في الإستهلاك ونبذ من لا يملكون من خريطة الوجود السوقي الإستهلاكي وعدم الاعتراف لهم بحق في الوجود أو الإنتماء إلى عالم الكون الإشباعي في الخدمة أو السلع وغيرها .. ها هي الدول الإسلامية تعاني من كل شيء ، من الهوان ، من السقوط ، من السيطرة الرومية على قرارها ، من سلبها حق التفعيل للسيادة النظرية وشروطها الوطنية ، كل شيء يناديهم بضرورة الوحدة السياسية وإعلان الإسلام مرجعاً شريعياً دستورياً إلا أنهم ميّتون عن هذا ، كلّ العروش تصرّ على بتر الإسلام كمنظريه حكم .. ولأنهم متعدّدون متفرّقون ، فإنهم الآن غريبو الوجود الإنتماء في هذا العالم رغم دخولهم سوق التهجين وتبنيهم قيم الغريزة والمادة كعنوان محرّك ومنتج لأعرافهم ومدرستهم التشريعية .. إن من يراجع التاريخ المعاصر وما يتّصل به من أحداث في القرن العشرين أو ما قبله يدرك المآزق الذي وقع المسلمون فيه ، وها هي دولهم الآن تنهار واحدة تلو الأخرى دون أن يكون لها باع أو قدرة أو صوت على الإمتناع .. من تلك الأمثلة ، ما جرى ويجري في فلسطين من مذابح ومجازر هي الأسوأ في التاريخ المعاصر على الإطلاق ، ومنها ما جرى في أفغانستان ومقتل أكثر من مليون مدني بحمم أمريكية هائلة جرفت أكثر من ٦٥٠ ألف كيلو متر مربع بتدمير هو الأكثر إنتقاماً منذ عقود مرّت ، وذلك إنتقاماً لـ ٣ آلاف قتلوا في هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن بالطائرات المدنية ومن دون أن يكون أيّ أفغانيّ

هو الفاعل سوى ما تردد من حدسٍ أمريكيٍّ أن أسامة بن لادن هو وراء كلِّ ما حصل ، وصولاً إلى الشيشان والإبادة الأخطر في عالمنا .. وها نحن ومنذ العام ٢٠٠٠ وحتى عامنا الحالي ٢٠٠٢ نشاهدُ أسوأ مجازر قرن الواحد والعشرين في فلسطين دون أيِّ حراكٍ أو إمكانيةٍ لصراخٍ أو تنديد ، وما زال يوم الأربعاء تاريخ ١٠ نيسان ٢٠٠٢ الأسوأ على الإطلاق في تاريخ الأسي الذي يصيب موثيق الإنسان ، أو تلك التي تُكتبُ على المسلمين حيث سمعنا وسمع كل العالم ، وكلَّ العرب وكلَّ أهل الدنيا نداءات الإستغاثة من مجاهدي الإنتفاضة في مخيم جنين على شاشات التلفزة من أن الذخيرة نفدت من بين أيدهم ، في ظلِّ أعنف هجوم بالأرطال والحمم والسلاح الثقيل الجوي البري الإسرائيلي على مخيم مدنيٍّ مكتظٍّ بالسكّان دون أيِّ ضمانه عيش أو مأمّن ، في حين لم يعد يملك المقاتلون هناك رصاصةً واحدةً للدفاع عن أنفسهم ... كانوا يردّون : إننا على وشكٍ أكبر مجزرة جماعية .. وحتى ليل الخميس بقي ما يقرب من ١٠٠ مجاهد فلسطينيٍّ أحياء ، ومن على شاشة الجزيرة وأبو ظبي والمنار وغيرها كانت الدعوات منهم تسجّل أكبر حجّةٍ على المسلمين جميعاً ، دون أن يبادر أحد إلى نجدتهم في ظلِّ هجمةٍ وحشيّةٍ هائلةٍ من قبل اليهود الذين يعيشون في الأرضِ فساداً .. ويقع مخيم جنين في مدينة جنين الموجودة في الضفة الغربية ، مساحته كيلو متر مرّبع فيه تعداد سكّان ١٣ ألف نسمة .. هو أهمّ خزان للإنتفاضة والمقاومة الفلسطينية خاصةً من حركة الجهاد الإسلامي وحماس .. ظلَّ صامداً مقاوماً لمُدّة ٩ أيام في وجه طائرات أف ١٦ وطائرات الأباتشي وأرطال كبيرة من الدبابات والمجنسزرات الأمريكيّة التي يقودها إسرائيليّون .. حاصرته الآليات الحربيّة الإسرائيليّة من الجهات الأربع ، وضربت عمقه بعنفِ الطائرات الحربيّة والطوافات الإسرائيليّة والمدافع ، وقبيل سقوطه بيومٍ واحدٍ شنت عليه طائرات

أف ١٦ يوماً كاملاً من القصف الجوي والتدمير الواسع .. وفي اليوم الثامن من صموده وعند الصباح تفاجئ الجميع أن مقاوماً من هذا المخيم (راغب جردات) من حركة الجهاد الإسلامي يبلغ من العمر ١٧ عاماً استطاع أن يصل إلى حيفا وهو مزتر بالك (تي أن تي) ثم فجر نفسه في بولمان إسرائيلي فقتل ١٠ من الجنود الصهاينة وجرح أكثر من ١٢ شخصاً غالبهم من الجنود الإسرائيليين .. بحيث ظل هذا المخيم صامداً إلى أن انتهت ذخيرة من فيه ممن بقي على قيد الحياة رغم إستشهاد المئات منهم .. ناشدوا العرب ، ناشدوا المسلمين ، ناشدوا كل من يحمل ذرة كرامة في قلبه ، ناشدوا أمة تنتمي إلى القدس ، إلى مُصلى محمد ، إلى جبروت الله ، فلم يجبهم أحد .. فما كان من الإسرائيلي إلا أن بدأ بتدمير هائل عبر الطائرات الأمريكية والسلاح الثقيل ثم قام بحرق مئات المنازل على من فيها من شيخ وطفل وعجوز وجثث دون تفريق بين مدني ومقاوم ، دون تفريق بين صغير وكبير ، والمسلمون صامتون ، خجلون من تصريح أو من وقوف على منبر أو شاشة ، خائفون من كل شيء بعد أن سقطت عظمة الله من قلوبهم .. !

في ذلك اليوم المأساوي كانت الجرافات العملاقة جداً ذات الرشاشات الكهربائية والمدعومة بالطائرات والدبابات تنسف وتحرق كل شيء كإبادة لهائية للحجر والبشر وكان قد بقي ما بين ٥٠ إلى ١٠٠ مجاهد من دون حتى رصاصة كلاشنكوف .. كانت العمارات تنهار على رؤوس أهلها دون أن يقف مسلم حاكم على مسافة الزمن لينادي بكرامة المسلمين ، أو يارث رسول الله من عدالة الوجود والانتقام من الظالم ، وسيطر الصمت بذل وهوان على طول مساحة المسلمين .. من فر من المدنيين قبل ذلك كتبت له الحياة ، أما من بقي ، فقد سمعنا ومن داخل المخيم مجموعة من شهود عيان نجوا وهم يرون مذابح

الإسرائيلي بحق الأطفال والنساء والرجال حتى المعوقين فضلاً عن المقاومين الذين قبض عليهم وذلك في ساحة المخيم مرة وفي البيوت مرة أخرى وفي باحة المسجد مرة ثالثة فما كان من الإسرائيلي إلا أن صفّاهم بدم بارد وترك جثثهم لتتحلل تحت عين الشمس ..

أقول : لو أن واحداً مات غمّاً في هذا اليوم جرّاء ما سمعنا من نداء الإستغاثة لأبطال قلّ نظيرهم لكان محقّاً بذلك .. وفي المعلومات فقد قام الجيش الإسرائيلي بتصفية المئات وعمل على نقل جثثهم فيما بعد بناقلات الجند وغيرها إلى حفرة ، سرية ليدفنهم فيها ، لينهي بذلك أولى أسوأ جريمة بشعة في تاريخ القرن الواحد والعشرين .. وعلى الخطّ الآخر نُقلت من نابلس ٧٠ جثة إستشهدوا أيضاً في المواجهات ، ولا يعلم العدد الباقي لأنّ الركاب والمنازل سوّيت بالأرض في كثيرٍ من الأحياء .. مئات الشهداء ، آلاف الجرحى ، آلاف المشرّدين ، نكبة كاملة ، إبادة واسعة ومرعبة بحق الشعب الفلسطيني ، والمسلم السياسي ما زال صامتاً لم تحركه فلسطين بكلّ إبادتها ، إذاً ماذا يحركه بعد .. ! لا شك أن التاريخ سيكتب هذا اليوم محفوراً في ذاكرة كلّ أمة شريفة ، يوم الأربعاء ١٠ نيسان ٢٠٠٢ هو أخطر إبادة جماعية تشنها إسرائيل فتبيد شعباً بكامله داخل مخيم جنين وذلك على مسمعٍ ومرأى من العرب والمسلمين والعالم حيث هم في ظلّ صمتٍ مذلّ ومهين .. وسيضاف هذا إلى مجزرة " صبرا وشاتيلا " التي قام بها نفس هذا المجرم (شارون) .. الغريب كلّ الغرابة أنّه وفي ظلّ هذه المجزرة سقط ١٣ إسرائيلي فما كان من العالم الغربي وحلفاءه إلا أن شنّوا أعنف الحملات إنتصاراً للإسرائيلي الجندي مرة والمستوطن مرة أخرى ، فوقف العالم مع آل " سي أن أن " ومحور الروم السياسي ليعلنوا التأييد المطلق

لإسرائيل ، في نفس الوقت الذي بقيت فيه جثث الشهداء على وجه الأرض متحللة وهي بالمئات تحت نظر أهل الدنيا كلها .. !

أي عدل هذا .. ؟ أي وثيقة تلك .. ؟ أي قيم .. ؟ أي أهداف ... ؟
أي إنسان ذاك الذي تمزقه الآلة لهدف السيطرة على الأرض وعلى تلال وجبال من جثث أهل هذا الوطن ، دون أن يرى الأمريكي أو الإتحاد الأوروبي أو الروسي أو الصيني أو الياباني أو النيوزلندي أو الأسترالي أو الكندي وغيرهم مشكلة في كل الذي حصل ويحصل ، بل يروونه ضماناً ضروريةً لديمقراطية إسرائيل .. ! لقد وصل الحد بالإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة أن يصنفوا حركات التحرر مثل حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله بالإرهابية الخطرة ، مصرّين على إبطال مفعول مبدأ تقرير المصير المكتوب بحبر أوروبي أمريكي ..

والأخطر من كل هذا أن وجوهاً مشهورةً من الكنيسة الغربية سقطت بشكلٍ عنيفٍ في أتون التأييد للمطالب الإسرائيلية في ظلّ أسوأ مجزرة على الإطلاق بحق الأطفال والشيوخ والنساء بل إنّ القس الأمريكي جيسي جاكسون زعيم حركة الحقوق المدنية في أمريكا قصد فلسطين ليعلن من هناك تأييده لرفض العنف الفلسطيني .. ! عنف الكلمة ، عنف الحجر ، عنف الجسم العاري .. !
مصرّاً على أنه يريد أن يرى الفلسطينيين وهم لا يعتمدون العنف حتى يقبلهم العالم .. ! وأن ذلك ضروريّ ولا بدّ منه ، لتكون معارضتهم لا عنيفة فقط ..
كل ذلك رغم ما يجري عليهم من قتلٍ ومجازرٍ وتدميرٍ وإبادةٍ عن وجه الأرض ، وقد جاء ذلك بعيد مجزرة قطاع غزة العنيفة التي نفذها الطيران الإسرائيلي في شهر تموز ٢٠٠٢ .. فأَيّ عدلٍ هذا .. ؟ وأيّ موثيقٍ تلك .. ؟ بل أيّ لاهوتيّ هذا .. ؟ القسّ جيسي جاكسون يرى الجثث فوق الجثث ، والقتلى فوق القتلى

والإبادة طالت كلَّ شيءٍ من حجرٍ وبشرٍ ، والإسرائيلي ما زال مستمرّاً في الإبادة تحت نظر العالمِ ومسمعه التي طالما تجلّت على شكل مذابح واسعة بحقّ الأطفال والنساء ، فيصرّ على أنّ الخطورة كلّها في العنفِ الفلسطيني ، في الحجر الفلسطيني ، في الطفل الفلسطيني القابض على عصا يريد أن يدافع فيها عن أمّه العجوز وأبيه المقتول .. ! يا تُرى هل كان المسيح كذلك .. ! هل اللاهوت كذلك .. ؟ هل هذه قيم العدالة .. ! العجب كلّ العجب من اللاهوت الذي ينسى قصّة المسيح وعذاباته من آباءٍ هؤلاء اليهودِ المجرمين الذين ورثوا الفساد وليداً عن والد .. إنّ كلّ صمتٍ على ظلمٍ هو ظلم ، إنّ كلّ صمتٍ عن جريمةٍ هو جريمة .. هكذا قال المسيح عليه السلام ، فأين اللاهوت الديني السياسي من المسيح بعد أن انتهى المسيح من قاموس المسيحيّة .. !

الغريب كل الغرابة أنّ الآلة الحربيّة الإسرائيليّة قصفت بعنفٍ ووحشيّة كنسية المهدي في بيت لحم ، وهي الكنيسة الرمز لكلّ المسيحيين ، كتعبير عن مهدِ المسيح والواقعة التاريخيّة الأهمّ التي احتضنت المسيح وهي وفق اللاهوت المسيحي أهمّ معلم على الإطلاق في الأرض ، ورغم ما فعلته الآلة الإسرائيليّة بها من عنفٍ وقصفٍ ووحشيّةٍ بسبب لجوء عشرات من الفلسطينيين العزل إليها ، مع كلّ ذلك آثرت الكنسيّة والعالم المسيحيّ الصمت ، دعماً للإسرائيلي القاتل وبشكلٍ مطلق ودون أيّ كلمةٍ أو موقفٍ أو اعتراض .. ! وهذا يعني كارثة حقيقية في المنطق اللاهوتي والفكر الديني المسيحيّ .. في حين أنّ المسيح يعتبر رمز الحقّ ضدّ الباطل ، رمز والصلاح ضدّ الفساد .. رمز الفقراء والمظلومين ، رمز المساكين والمضطهدين .. لكنّ الكنيسة تُعطل هذا المعنى وتميت هذه الشعارات حين يصل الأمر إلى اليهودي والمصالح .. ! لا شك أنّ ما حصل ويحصل في فلسطين المحتلّة

هو واحد من أبرز أمثلة القتلِ والسفكِ والظلمِ والتدميرِ والتنكيلِ الأسوأ ، من دون أن يحركَ العالمَ ساكناً أمامَ كلِّ المجازرِ الرهيبة .. ! وعلى هذا المنوال تكون المواجهات الكبرى والملاحم العظيمة قبيل ظهور المهديّ وبعد ظهوره ، في ظلِّ عالمِ نسفٍ من موثيقه قيم الوجودية ومعانيها الهادفة ..

لقد وصل الإنحطاط الهائل في القيم إلى مستوى أن الحجر أهمّ بكثير من البشر .. وصل الأمر إلى حدّ أن الغرب وبرقم دقيق في حدّه الأوّلي (أوّل العام ٢٠٠٢) أقرّ أنّه ينفق على الحيوانات الأليفة ما يصل إلى أكثر من ٢٠٠ مليار دولار في العام الواحد .. فقط ألمانيا وحدها وحسب دراسة رسمية تنفق أكثر من ٢٦ مليار دولار سنوياً على الحيوانات الأليفة .. لكنّها غير مجبورة أبداً على إنقاذ ٤٠ إلى ٦٠ مليون إنسان يموتون سنوياً لأسبابٍ تتعلّق بالجوع والوجع والمرض والفقر .. يكفي لإنقاذهم أقلّ من ١٠ مليار دولار سنوياً .. لقد اهتزّ الغرب وحرك العالم بشكلٍ مذهلٍ حين أعلنت طالبان التي كانت حاكمة في أفغانستان عن عزمها تدمير تمثالي بوذا الأثريين ، بل في تاريخ ٤ آذار ٢٠٠١ ضجّ العالم السياسيّ : بـ الأمم المتحدة ، الولايات المتحدة ، الإتحاد الأوروبي ، اليابان ، فرنسا ، إنكلترا ، بلجيكا ، ألمانيا ، الهند ، الصين ، أستراليا ، كندا ، الدول الإسكندنافية ... ولم يبقَ إلا الصومال وموزمبيق لم تتعلّق على الخير جرّاء عزم طالبان على تدمير تمثالي بوذا ..

وبكلمة : خرج العالمُ كلّهُ عن الصمت ، وأعلن كارثة غير مسبوقه بسبب إعلان الملاً محمّد عمر عن نيّته تدمير تمثالي بوذا الأثريّة في " باميان الأفغانيّة " ومنها " تمثالان كبيران " لبوذا طول أحدهما ٥٣ متراً والثاني ٣٨ متراً ومنذ ذلك اليوم دخلت وسطات دولية على خطّ ساخنٍ من أجل إنقاذ تمثاليّ

بوذا ، وهدد المجتمع الدولي بعزلة أكثر خطورة على " طالبان " إن هي دمّرت التمثالين ، ونقلت ألس " سي أن أن " والقنوات الدوليّة الخبر بشكلٍ واسعٍ ونادرٍ جداً ، ضمن إطارٍ من قيم التراث العالميّ ، وأنّ هذين التمثالين يمثلان ثروة المجتمع الدولي كما قالت واشنطن . وقد ذهبت التركيز الإعلامي الذي استطاع أن ينفذ إلى كلّ مسامع العالم حتى الأطفال الصغار ... وهذا يدلّ على قدرة الإمبراطوريّة الإعلاميّة الأمريكيّة على صناعة القيم والقناعات بقوةٍ ساحقةٍ لا مثيل لها .. ومع أنّ أفغانستان كانت تخوض مذابح جماعيّة وإبادة بشرية مذهلة كانت آخرها مجزرة للطالبان قبل أسبوعٍ عن إعلانها تدمير تمثالي بوذا وفي نفس منطقة " باميان " تلك المجزرة التي ارتكبتها طالبان بحقّ السكّان الشيعة ، بعد أن أعادت إحتلالها من جديد ، من دون أيّ تعليقٍ دوليٍّ أو همسٍ ، وكأنّ شيئاً لم يحصل .. كلّ ذلك في نفس الوقت الذي تحرّكت فيه زعامات الدنيا من أجل حجرين في ظلّ إبادة بشرية هائلة ..! بل في تاريخ ١٠ آذار ٢٠٠١ تدخل مجلس الأمن الدولي وسائر الدول الغربيّة بزعامة أمريكا والاتحاد الأوروبي إضافة إلى الصين والهند وجملة من دول الشرق الأوسط بل مجموعة من الدول الإسلاميّة لمنع تدمير تمثالي بوذا ، تحت عنوان أنّهما يمثلان إرثاً أثرياً عالمياً .. وقد سعت الأطراف الدوليّة مع باكستان من أجل ترتيب لقاء بين كوفي أنان (الأمين العام للأمم المتّحدة) مع وفد من طالبان بهدف إنقاذ التمثالين .. وقد شكّت طالبان بأنّ العالم تجاهلها بتعمّدٍ وقساوةٍ وأنّهم لا يريدون أن يحدّوا من وفيات الأطفال والنساء والشيوخ في نفس الوقت الذي يصرون فيه على إنقاذ تمثالي بوذا .. ! لقد وصل الأمر إلى حدّ أنّ مجموعة من كبار علماء المسلمين ذهبوا إلى طالبان لتدارك الكارثة ومن دون حججٍ ، في حين أنّ بعضهم لم يكن يعلم أنّ هناك تماثيل ، لكنّهم سمعوا ذلك من شاشات التلفزة .. ! فتحرّكوا من أجل تمثالي بوذا

في حين كانت المجازر في أفغانستان على قدمٍ وساقٍ .. ! يكفي أن أشير إلى هذه المقارنة البسيطة وأبقي التحليل لأي قارئٍ ليقوم به .. بكلّ المقاييس الأمر مخجل ومذهل حيث الإنسان بما هو إنسان لا يساوي قيمة وجودية إلا إذا كان من عرقٍ أنكلوسكسوني .. ! وعلى طول الجبهات فإنّ الموت والقتل والإستنزاف والإحتكار والتوحّش يُعتبر الظاهرة العادية في عالمنا هذا .. ! في ظلّ جبهةٍ روميةٍ خطيرة جداً تتعامل مع البشر كمنفعةٍ سوقيةٍ ليس أكثر ..

يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنّنا نعيش عالم غيبةٍ المهديّ الثانية ، عالم ما قبل الظهور ، وما في نصّ النبيّ كلّهُ معجز ومذهل في الإشارة إلى ما يصلُ إليه العالم من التعامل مع الموت والقتل والسفك الدموي كطريقةٍ تعبيريةٍ نفعيةٍ وضمن حدودها دون أن يكون للإنسان أيّ معنى على الإطلاق .. ففي عصرِ الغيبةِ بل وبعد الظهور أيضاً تقوم الفتن والجبهات والكتل على نحوٍ حربيٍّ ، لا يراعي فيه بنو الأصفر (الروم ، وهي جهة ذات عقيدةٍ مسيحيةٍ سياسيّة) ولا السفياياني ولا الدجال ولا الترك ولا صاحب المغرب أيّ معنى للإنسان وقيمِهِ ، وهذه أعظمُ الفتن وأصعبها ، حيث يكثر القتلُ دون رويةٍ أو حدٍّ أو مانعٍ من قيم وأهداف ، بل تتساقط القيم ، فيضحى الإنسان مجرد تسويةٍ دمويةٍ أو اقتصاديةٍ أو سوقيةٍ أو تجاريةٍ وشبه ذلك في صراعٍ جبهويٍّ ، كما هي الحالُ في أيامنا هذه .. في عصرِ المهديّ يكون الصراعُ محموماً ، ويتجسّدُ في مظاهرهِ الكبرى بأكثر من عنوانٍ بارزٍ ، منه القتل والحروب وسفك الدماء والتدمير الهائل .. هذا ما تشيرُ إليه النصوص النبوية الشريفةُ بشكلٍ واضحٍ وكاشفٍ ومعجزٍ ، طبّق بعضُهُ في عالم الوجودِ بعصرِ الغيبةِ وما زال بعضُهُ لم يطبّق ..

في واحدةٍ من تلك الروايات الناظرةِ إلى آخرِ الزمانِ روى حذيفة بن اليمان عن رسولِ الله (ص) أنه قال :

تكون وقعة بالزوراء ،

قالوا : يا رسول الله ، وما الزوراء ؟

قال : مدينة بالمشرق ، بين أنهار ،

يسكنها شرار خلق الله ، وجبارة من أممي ،

تقذف بأربعة أصناف من العذاب :

بالسيف ، وخسف ، وقذف ، ومسح ،

وقال (ص) : إذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى

يلحقوا ببطن الارض أو قال ببطن الاردن ،

فبينما هم كذلك ،

إذ خرج السفياي في ستين وثلاثمائة راكب ،

حتى يأتي دمشق ،

فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفا ،

فبيعت جيشا إلى العراق ، فيقتل بالزوراء مائة ألف ،

وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها ،

فعند ذلك تخرج راية من المشرق ،

يقودها رجل من بني تميم ،

يقال له شعيب بن صالح ،

فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم ،

ويخرج جيش آخر من جيوش السفياي إلى المدينة ،

فينهبونها ثلاثة أيام ،
ثم يسرون إلى مكة ،
حتى إذا كانوا بالبيداء ،
بعث الله عزَّ وجلَّ جبرئيل عليه السلام ، فيقول يا جبرئيل
عذبكم ،
فيضربهم برجله ضربة فيخسف الله عز وجل بهم ،
فلا يبقى منهم إلا رجلاان ،
فيقدمان على السفياي فيخبرانه خسف الجيش فلا يهوله ،
ثم إن رجالا من قريش يهربون إلى قسطنطينية ،
فيبعث السفياي إلى عظيم الروم ،
أن أبعث إلي بهم في الجامع ،
قال فيبعث بهم إليه ،
فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق ،
وقال حذيفة :
حتى إنه يطاف بالمرأة في مسجد دمشق ،
في الثوب على مجلسٍ مجلس ،
حتى تأتي فخذ السفياي فتجلس عليه ،
وهو في المحراب قاعد ،
فيقوم رجل من المسلمين فيقول :
ويحكم ، أكفرتم بالله بعد إيمانكم ؟
إن هذا لا يحلّ ،
فيقوم فيضرب عنقه في مسجد دمشق ،

ويقتل كل من شايعه على ذلك ،
فعند ذلك ينادي من السماء مناد :
أيها الناس إن الله عز وجل قد قطع عنكم مدة الجبارين
والمنافقين وأشياعهم وأتباعهم ،
وولاكم خير أمة محمد (ص) ،
فالحقوا به بمكة ،
فإنه المهدي ،
وأضاف النبي في وصف المهدي (ص) قائلاً :
كأن وجهه الكوكب الدرّي في اللون ،
في خده اليمين خال أسود ،
ابن أربعين سنة ،
فيخرج الأبدال من الشام وأشباههم ،
ويخرج إليه النجباء من مصر ،
وعصائب أهل المشرق وأشباههم ،
حتى يأتوا مكة فيبايع له بين زمزم والمقام ،
ثم يخرج متوجهاً إلى الشام ،
وجبرئيل على مقدمته ومكائيل على ساقته ،
يفرح به أهل السماء وأهل الأرض ،
والطير والوحش والحيتان في البحر ،
وتزيد المياه في دولته وتمد الأنهار ،
وتضعف الأرض أكلها ،
ويستخرج الكنوز ،

فيقدم الشام فيذبح السفياياني تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة
طبرية ،

ويقتل كلبا ،

قال حذيفة : قال رسول الله (ص) :

فالحايب من خاب يوم كلب ،

ولو بعقال ،

قال حذيفة :

يا رسول الله ، وكيف يحل قتالهم وهم موحدون ؟

فقال رسول الله (ص) :

يا حذيفة هم يومئذ على ردة يزعمون أن الخمر حلال ،

لا يصلون ،

ويسير المهدي ، حتى يأتي دمشق ومن معه من المسلمين ،

فيبعث الله عز وجل عليه الروم ،

وهو الخامس من آل هرقل يقال له : طبارة وهو صاحب

الملاحم ،

فتصالحوهم سبع سنين ،

حتى تغزوا أنتم وهم عدواً خلفهم ،

وتغنمون وتسلمون أنتم وهم جميعاً فتنزلون بمرج ذي تلول ،

فبينما الناس كذلك ، انبعث رجل من الروم فقال : غلب

الصليب ،

فيقوم رجل من المسلمين إلى الصليب فيكسره ويقول :

الله الغالب ،

قال رسول الله (ص) :

عند ذلك يغدرون وهم أولى بالغدر ،

وتستشهد تلك العصابة ، فلا يفلت منهم أحد ،

فعند ذلك ما يجمعون لكم للملحمة كحمل امرأة ،

فيخرجون عليكم في ثمانين غاية ،

تحت كل غاية إثنا عشر ألفا ،

حتى يخلّوا بعمق أنطاكية ،

فلا يبقى بالحيرة ولا بالشام نصراني إلا رفع الصليب وقال :

ألا من كان بأرض نصرانية فلينصرها اليوم ،

فيسير إمامكم ومن معه من المسلمين من دمشق حتى يجل بعمق

أنطاكية ،

فيبعث إمامكم إلى الشام أعينوني ،

ويبعث إلى أهل المشرق أنه قد جاءنا عدو من خراسان على

ساحل الفرات ،

فيقاتلون ذلك العدو أربعين صباحا قتالا شديدا ،

ثم إن الله عزَّ وجل ينزل النصر على أهل المشرق ،

ويقوم مناد من المشرق :

يا أيها الناس أدخلوا الشام ،

فإنها معقل المسلمين وإمامكم بها ،

قال حذيفة : فخير مال المسلمين يومئذ رواجهل يرحل عليها إلى

الشام ،

وأحمره ينقل عليها حتى يلحق بدمشق ،

ويبعث إمامهم إلى اليمن أعينوني ،
فيقبل سبعون ألفا من اليمن على قلائص عدن ،
حمائل سيوفهم المسد ويقولون :
نحن عباد الله حقا حقا ،
لا نريد عطاء ولا رزقا ،
حتى يأتوا المهدي بعمق أنطاكية ،
فيقتل الروم والمسلمون قتالا شديدا ،
فيستشهد من المسلمين ثلاثون ألفا ،
ويقتل سبعون أميرا نورهم يبلغ إلى السماء .
قال حذيفة : قال رسول الله (ص) : أفضل شهداء أمتي شهداء
الاعماق وشهداء الدجال ، (أي ضدّ الدجال)
ويشتعل الحديد بعرضه على بعض ،
حتى أن الرجل من المسلمين ليضرب العلج بالسفود من الحديد
فيشقه ويقطعه باين وعليه درع ،
فيقتلونهم مقتلة حتى تخوض الخيل في الدم ،
فعند ذلك يغضب الله تبارك وتعالى عليهم ،
فيطعن بالرمح النافذ ،
ويضرب بالسيف القاطع ،
ويرمي بالقوس التي لا تخطئ ،
فلا رومي يسمع (بعد) ذلك اليوم ،
ويسرون قدما قدما ،

فلأنتم يومئذ خيار عباد الله عز وجل ، ليس منكم يومئذ زان
ولا غال ولا سارق ،

قال حذيفة عنه (ص) :

لا تمرون بحصن في أرض الروم فتكبرون عليه إلا خر حايطه ،
فيقتلون مقاتلته حتى تدخلوا مدينة الكفر القسطنطينية ،
فتكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حايطها ،
قال حذيفة :

فقال رسول الله (ص) :

إن الله عز وجل يهلك قسطنطينية ورومة ،
فتدخلونها فتقتلون بها أربعمئة ألف ،

وتستخرجون منها كنوزا كثيرة (كنوز) ذهب ، وكنوز
جوهر ،

تقيمون في دار البلاط ،

قيل يا رسول الله وما دار البلاط ؟

قال : دار الملك ،

ثم تقيمون بها سنة تُبنون المساجد ،

ثم ترتحلون منها ،

حتى تأتوا مدينة يقال لها قدد مارية ،

فبينما أنتم فيها تفتسمون كنوزها إذ سمعتم مناديا ينادي :

ألا إن الدجال قد خلفكم في أهليكم بالشام ؟

فترجعون فإذا الامر باطل ،

فعند ذلك تأخذون في إنشاء سفن خشبها من جبل لبنان ،

وحبالها من نخل بيسان ،
فتركبون من مدينة يقال لها : عكا في ألف مركب وخمسمائة
مركب من ساحل الاردن بالشام ،
وأنتم يومئذ أربعة أجناد أهل المشرق ، وأهل المغرب ، وأهل
الشام ، وأهل الحجاز ،
كأنكم ولد رجل واحد ،
قد أذهب الله عز وجل الشحناء والتباغض من قلوبكم ،
فتسيرون من عكا إلى رومية ،
تسخر لكم الريح كما سخرت لسليمان بن داود (إشارة ذكية
وعالية ودليل نهائي على تطوّر أدوات الجوّ ..) ،
حتى تلحقوا برومة ،
فبينما أنتم تحتها معسكرين ،
إذ خرج إليكم راهب من رومية عالم من علمائهم صاحب
كتب ،
حتى يدخل معسكركم فيقول :
أين إمامكم ؟
فيقال : هذا ،
فيقعد إليه فيسأله عن صفة الجبار تبارك وتعالى وصفة الملائكة ،
وصفة الجنة والنار ، وصفة آدم ، وصفة الانبياء حتى يبلغ إلى
موسى وعيسى فيقول : أشهد أن دينكم دين الله ودين أنبيائه ،
لم يرض دينا غيره ،

ويسأل : هل يأكل أهل الجنة ويشربون ؟ فيقول : نعم ، فيخر
الراهب ساجدا ساعة ، ثم يقول : ما ديني غيره ، وهذا دين
موسى ، والله عز وجل أنزله على موسى وعيسى ،
وإن صفة نبيكم عندنا في الانجيل المرقليط (البرقليط) صاحب
الجمال الاحمر ،

وأنتم أصحاب هذه المدينة ،

فدعوني فأدخل إليهم فأدعوهم فإن العذاب قد أظلمهم ،

فيدخل فيتوسط المدينة فيصيح بأهل رومية :

جاءكم ولد إسماعيل بن إبراهيم الذين تجدوكم في التوراة
والانجيل ،

نبيهم صاحب الجمال الاحمر ، فأجيبوهم وأطيعون ،

فيشون إليه فيقتلونه ،

فبيعت الله عز وجل إليهم نارا من السماء ،

كأنها عمود ،

حتى تتوسط المدينة ،

فيقوم إمام المسلمين فيقول :

يا أيها الناس إن الراهب قد استشهد ،

قال حذيفة فقال رسول الله (ص) :

يبعث ذلك الراهب فئة وحده ،

ثم يكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حايطها ،

وإنما سميت رومية لأنها كرمانة مكتنزة من الخلق !

فيقتلون بها ستمائة ألف ،

ويستخرجون منها حلي بيت المقدس والتابوت الذي فيه
السكينة ومائدة بني إسرائيل ورضراضة الألواح ، وعصى موسى
ومنبر سليمان وقفيزين من المن الذي أنزل على بني إسرائيل أشد
بياضا من اللبن ،

قال حذيفة : قلت يا رسول الله :

كيف وصلوا إلى هذا ؟

قال رسول الله (ص) :

إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عز وجل نجت
نصر فقتل بها سبعين ألفا ،

ثم إن الله تعالى رحمهم ،

فأوحى الله عز وجل إلى ملك من ملوك فارس مؤمن !

أن سر إلى عبادي بني إسرائيل فاستنقذهم من نجت نصر ،

فاستنقذهم وردهم إلى بيت المقدس ،

قال فأتوا بيت المقدس مطيعين له أربعين سنة ثم إنهم يعودون ،

فذلك قوله عز وجل في القرآن (وإن عدتم عدنا)

إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بشر من العذاب ،

فسلط عليهم طياليس ملك رومية فسباهم واستخرج حلي بيت

المقدس والتابوت وغيره ،

فيستخرجونه ويردونه إلى بيت المقدس ،

ثم تسيرون حتى أتوا مدينة يقال لها : القاطع وهي على البحر

الذي لا يحمل جارية يعني السفن ،

لها ستون وثلاثمائة باب يخرج من كل باب منها مائة ألف مقاتل
فتكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حايطها فتغنمون ما فيها ،
ثم تقيمون فيها سبع سنين ،
ثم تقفلون منها إلى بيت المقدس ،
فيبلغكم أن الدجال قد خرج من يهودية أصبهان إحدى عينيه
ممزوجة بالدم والآخرى كأنها لم تخلق ،
يتناول الطير من الهواء ،
له ثلاث صيحات يسمعهن أهل المشرق وأهل المغرب ،
يركب حمارا أتر بين أذنيه أربعون ذراعا ،
يستظل تحت أذنيه سبعون ألفا ،
يتبعه سبعون ألفا من اليهود عليهم التيجان ،
فإذا كان يوم الجمعة من صلاة الغداة ،
وقد أقيمت الصلاة فالتفت المهدي ،
فإذا هو بعيسى بن مريم قد نزل من السماء في ثوبين ،
كأنما يقطر من رأسه الماء ،
فيقول له الامام تقدم فصل بالناس ،
فيقول له عيسى :
إنما أقيمت الصلاة لك ،
فيصلي عيسى خلفه ،
قال حذيفة : وقال (ص) :
قد أفلحت أمة أنا أولها وعيسى آخرها ،

قال : ويقبل الدجال معه أنهار ونار يأمر السماء أن تمطر فتمطر
ويأمر الارض أن تنبت فتنبت ،

معه جبل من ثريد فيه ينابيع السمن ،

ومن فنتته أن يمر بأعرابي قد هلك أبوه وأمه ،

فيقول : أرأيت إن بعثت أباك وأمك فتشهد أني ربك قال :
فيقول بلى ،

قال فيقول لشيطانين فيتحولان واحدا أبوه وآخر أمه فيقولان :
يا بني إتبعه فإنه ربك ،

يطأ الارض جميعا إلا مكة والمدينة وبيت المقدس ،

فيقتله عيسى بن مريم بمدينة يقال لها لد بأرض فلسطين ،

قال فعند ذلك خروج يأجوج ومأجوج ،

قال : فيوحى الله عز وجل إلى عيسى أحرز عبادي بالطور طور
سنين ،

قال حذيفة : قلت يا رسول الله :

وما يأجوج ومأجوج ؟

قال : يأجوج أمة ومأجوج أمة ،

كل أمة أربع مائة ألف أمة ،

لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف عين تطرف بين يديه
من صلبه ،

قال : قلت يا رسول الله :

صف لنا يأجوج ومأجوج ،

قال : هم ثلاثة أصناف ،

صنف منهم أمثال الارز الطوال ،
وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في
مائة وعشرين ذراعا ،
وهم الذين لا يقوم لهم الحديد ،
وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحفه بالآخرى ،
قال حذيفة : قال رسول الله (ص) :
يكون جمعا (كذا) منهم بالشام وساقتهم بخراسان ،
يشربون أنهار المشرق حتى تيبس ،
فيحلون بيت المقدس وعيسى والمسلمون بالطور ،
فيبعث عيسى طليعة يشرفون على بيت المقدس فيرجعون إليه
فيخبرونه أنه ليس ترى الأرض من كثرتهم ،
قال : ثم إن عيسى يرفع يديه إلى السماء فيرفع المؤمنون معه
فيدعون الله عز وجل ويؤمن المؤمنون فيبعث الله عليهم دودا
يقال النغف ،
فتدخل في مناخرهم حتى تدخل في الدماغ فيصبحون أمواتا ،
قال : فيبعث الله عز وجل عليهم مطرا وابلاً أربعين صباحا ،
فيغرقهم في البحر ،
فيرجع عيسى إلى بيت المقدس ، والمؤمنون معه ،
فعند ذلك يظهر الدجال ،
قال : قلت يا رسول الله : وما آية الدجال ؟
قال : يسمع له ثلاث صيحات ودخان ،
يملاً ما بين المشرق والمغرب ،

فأما المؤمن فيصبيه زكمة ،
وأما الكافر فيصير مثل السكران ،
يدخل في منخريه وأذنيه وفيه ودبره ،
وخسف بالمشرق ،
وخسف بالمغرب ،
وخسف بجزيرة العرب ،
وخروج الدابة ،
قال : قلت يا رسول الله وما الدابة ؟
قال : ذات وبر وريش ،
عظمها ستون ميلا ،
ليس يدركها طالب ،
ولا يفوقها هارب ،
تسم الناس مؤمنا وكافرا ،
فأما المؤمن فتترك في وجهه كالكوكب الدرّي ،
وتكتب بين عينيه مؤمن ،
وأما الكافر فتتكث بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه
كافر ،
ونار من بحر عدن ،
تسوق الناس إلى المحشر ،
وتطلع الشمس من مغربها ،
ويكون طول تلك الليلة ثلاث ليال لا يعرفها إلا الموحدون أهل
القرآن ،

يقوم أحدهم فيقرأ جزءه فيقول قد عجلت الليلة ،
فيضع رأسه فيرقد رقدة ثم يهب من نومه فيسير بعضهم إلى
بعض فيقولون : هل أذكرتم ما أنكرنا ؟
فيقول : بعضهم ببعض عنه : غدا تطلع الشمس من مغربها ،
فإذا طلعت من مغربها فعند ذلك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن
آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ،
قال : فيمكث عيسى بن مريم أربعين سنة ،
قال : ثم يبعث الله عز وجل ريحا من قبل مكة ساكنة تقبض
روح ابن مريم وأرواح المؤمنين معه ،
ويبقى سائر الخلق لا يعرفون ربّا ولا يشكرون شكرا ،
فيمكثون ما شاء الله ،
فتقوم عليهم الساعة وهم شرار الخلق ..¹

أول شيء أحبّ أن أشير له هو أنّ الأحاديث المعتبرة والسليمة ليست
قليلة ، وهذا الحديث له شواهد عدّة من تلك الأحاديث المعتبرة ، إلا أنّ فيه
بعضاً ممّا لا اعتبار فيه ، خاصّة أنّ هناك وهناً في بعض سنده ، وقد نقلته لأنّه
يحتضن في بعض متنه مجموعة من عناوين مؤيّدات بمرويات معتبرة لها أهميّة ، كما
أنّه يفيد أيضاً في فهم تلك النصوص وحركة المواقع والجهات وشبه ذلك .. ومن
أوضح الواضحات وثوابتها أنّ المهديّ اسمه اسم النبيّ باعتراف كلّ علماء
المسلمين دون وجود أيّ مخالف على الإطلاق ، وأنّه ابن فاطمة وعليّ ، يخرج
في آخر الزمان فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. وعليه : لا

¹ جامع البيان ، الطبري : ج ١٥ ص ١٧ وأيضاً في الدر المنثور . والطبراني ، الاوسط : على ما في مجمع الزوائد ..

عبرة على الإطلاق بأي نصّ يحاول أن يغيّر بإسم المهديّ أو أيّ نصّ يحاول أن يبعث المهديّ من أفريقيا .. فهذا كلّه مردود وواهن وضعيف بدلالة الإستفاضة والتواتر المعتر في مثل هذه الجوانب المقومة لأيّ نصّ على الإطلاق .. كما أنّ المهديّ هو الذي يرعى قيام دولة الإسلام ، وهو من يقود الجيوش ، وهو من يفتح الجبهات ، وهو من يقتل الجبابرة ، وما النبي عيسى بن مريم عليه السلام إلا وزير في دولة آل محمد التي يقودها المهديّ محمد بن الحسن ، وهو أمر الله تعالى بذلك ، وما إعطاء بعض ادوار المهديّ إلى النبي عيسى عليه السلام إلا لمحاولة إدخال شئ من تشويش في قضية المهديّ وهذا عمل قام به بعض المندسين باعتراف أهم خبراء الحديث والرواية إلا أنّه فشل بشكل نهائيّ بسبب تواتر النصّ عن النبي بشكل كامل في المهديّ ودولته وقيام أمره وإدارته الحكم مباشرة في العالم .. جعلنا الله من محبيه وأنصاره والمستشهادين بين يديه وعرف الله بيننا وبينهم يوم القيامة بمحمد وآله الطاهرين .

وتجدر الإشارة إلى أنّ التعابير التي جاءت في هذا النصّ من أمثال دخول الدود في أنفهم وشبه ذلك هو من التعابير التي لها معنى عملي في حياة الأمم والجيوش وشبه ذلك ، فمرة يكون مردّد ذلك إلى الجشّ ، ومرة يكون مردّد إلى أسباب طبيعيّة وسلوك بشريّ وشبهه .. لكن هل ممكن أن يكون من ضمن الأسلحة التي بيد المهديّ أو عيسى بن مريم ما من شأنه أن يطوع الناموس الطبيعي .. ؟ الجواب : نعم هذا ممكن في الثبوت والإثبات .. ففي مرويات عديدة كانت الإشارة واضحة إلى سلطة المهديّ على الريح وغيره ، وأنّ الله ينصره بالملائكة والرعب وشبه ذلك .. قد يُقال : إذاً لماذا كلّ هذا الصراع .. ؟ لماذا كلّ هذا القتال ، لماذا يلجأ المهديّ إلى مهادنة الروم أكثر من مرة ، لماذا

يلقى المؤمنون مشقةً وقتلاً أكثر من مرّة ما دام أنّ المهديّ قادر على أن يطوّع
الناموس الكوني الطبيعي لهزيمة كلّ الجبهات الباطلة .. ؟

الجواب : يظهر لمن تتبّع الرويات أنّ المهديّ يعمل على هداية الأمم
ودعوتهم إلى الله ، وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى دعوةٍ وتروٍّ وشبه ذلك .. ومن
جهةٍ ثانيةٍ فإنّ للمهديّ بإذنِ اللهِ سلطةً على تطويع النظام الطبيعيّ وهو ضمن
معاني وحدود ربّانيةٍ من الله تعالى يحدّد له متى يعمد إليه .. وكما خبرنا من النبيّ
والمعصوم من قبل ، هو عدم لجوءهم إلى النظام الكوني وفق نموذج إعجازي إلا
في حالاتٍ إستثنائيةٍ .. وفي خصوص المهديّ لا نعلم هل سيبقى الأمر ضمن
حدود نسبيّة أم وفق قاعدة يلجأ إليها .. نعم يستفاد من بعض الروايات أنّ
صراعاً مع الجبهات ينشب ، وأنّ المهديّ يلجأ إلى الهدنة ، ما يدلّ على أنّ
المهديّ لم يستعمل بشكلٍ كاملٍ ما له من سلطنة كبرى بما فيها من ريبٍ وملائكةٍ
وغير ذلك .. يضافُ إلى ذلك أنّ من يقرأ نصرة الله للنبيّ محمّد بالملائكة
المسوّمين ومن يطالع سلسلة إنتصارات رسول الله (ص) ورعاية الله له يجد النصرة
الإعجازيّة محكمة بمنطقٍ وحكمةٍ دقيقةٍ وفق معانٍ وغاياتٍ محدّدة لا تعدوها
ضمن مشيئة الله تعالى ..

وعليه : الثابت أنّ للمهديّ سلطنةً على النظم الكونيّة ، وله أن يعمد
إليها كسلاح ، لكن متى ؟ وكيف ؟ وما هي غاياتُ ذلك الإستعمال وحدوده
ومبرراته ؟ الأمر بيدِ الله تعالى الذي أولى المهديّ ذلك ضمن ميثاقٍ لا يعدوه ..
أمّا هذا النصّ ، فقد أوردته لما يحكيه من حركة الجبهات ، ومن تنوّع الكتل ،
وقد أورد هذا النصّ المسلّمات الثابتة عند كلّ المسلمين من أمثال : المهديّ (ع)
هو الذي يخرج في آخر الزمان من أهل بيت رسول الله (ص) وآته هو الذي يملئ

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وأنه يلتقي بعيسى بن مريم فيقدمه عيسى ليكون إمام أهل الأرض ، وأنه يحارب الجبهات الباطلة وينتصر عليها ، وأن من تلك الجبهات الروم والسفياي والدجال ويأجوج ومأجوج .. وهذا ما يهمننا بدرجة أولى .. بمعنى أنه تكرر نوعي لما ورد وسبق ..

أما بخصوص راية أهل المشرق فقد اتفقت كلمة المسلمين على أنها الراية التي تثبت على ولاء آل محمد ، وتقاتل ، وتنتصر ، وتظل كذلك حتى تسلم الراية إلى صاحب الأمر المهدي .. أما الرايات الأخرى التي تقاتل المهدي فبشكل أكيد هي غير راية أهل المشرق الخراسانية التي هي حصراً علم آل محمد التي أوصى بها النبي ودعا لنصرتها والحبو إليها ولو على الثلج ، وكل نصر أو إشارة أو همس للنيل من هذه الراية مردود بشكل علمي ونهائي وثابت .. بل لم يثبت بحديث صحيح مروى عن النبي غير ذلك ، أي أن راية أهل المشرق الخراسانية هي راية آل محمد ، تقاتل على الحق حتى خروج المهدي وتسلم الراية له .. نعم في النص إشارة إلى مواضيع ذات بُعد تفصيلي في خصوص الدجال ويأجوج ومأجوج ، وأنهم ثلاثة أصناف :

١. صنف منهم أمثال الأرز الطوال .
٢. صنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في مائة وعشرين ذراعاً ، وهم الذين لا يقوم لهم الحديد .
٣. صنف يفتش إحدى أذنيه ويلتحفه بالآخرى . أما من حيث الإضافة الأخرى لخصائصهم يقول حذيفة قال قال رسول الله (ص) : يكون جمعاً (كذا) منهم بالشام ، وساقتهم بخراسان ، يشربون أنهار المشرق حتى تيبس ..

أقول إنَّ تعبير يأجوج ومأجوج مأخوذٌ فيه الإشارةُ إلى أمةٍ بشريّةٍ ذات
كيانٍ وخصوصيّةٍ محدّدةٍ أي أنّهم طائفةٌ من البشر ، لديهم من القدرة والأدوات
ما يستطيعون عبره التأثير وبشكلٍ نافذٍ .. لكن هل هذا يعني أنّهم صنفٌ واحد
في كيانهم السياسي وكيونته الإنتمائيّة .. ؟ أعتقد (والله أعلم) أنّ تفريق النبيّ
(ص) بينهم تحت وصفٍ واحد ، يدلُّ على أنّهم جهةٌ واحدةٌ لكن ضمن محاور
ثلاث ، ويمكن أن يكون ذلك ضمن عدّة كيانات تلتفّ تحت رايةٍ واحدةٍ .. أمّا
التعابير في الصنفِ الأوّلِ من أنّهم أمثال الأرز الطوال وصنف آخر منهم عرضه
وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في مائة وعشرين ذراعاً ، وهم الذين لا يقوم
لهم الحديد . وصنف ثالث يفترش إحدى أذنيه ويلتحفه بالآخرى . فهو قطعاً من
الإشاراتِ إلى عناوين ورموز لها بعد تفسيري مختلف عن عصرِ النصّ ، أي إشارة
إلى نصّ مأخوذٍ على نحوٍ مجملٍ لبيان كينونة أمةٍ تأتي في آخر الزمن ، زمن التطوّر
والإكتشافات التكنولوجيّة ، زمن القدرات الفدّة في مجال البرّ والبحرّ والفضاء ،
زمن تطويع الأرض والفضاء عبر المركبات الأرضيّة والفضائيّة .. إلى الكثير من
المعاني التي كانت في عمقِ صدرِ النبيّ بدلالةٍ أنّ نصوصَ النبيّ كما سترى وكما
رأينا من قبل تحمل في مضامينها الكثير من المعاني الدقيقة لتصوير ذلك العالم
المتطوّر الذي يكون قبل ظهور المهديّ وبعد ظهوره .. بل في بعضها بيان واضح
من أنّ أهلَ المشرقِ يرون أهلَ المغربِ ويسمعون أصواتهم ويستغلّون الريح
ويحملون فوق الغمام ، وأنّ الأرض تُطوى بهم وأنهم يقطعون المسافات بزمنٍ
قصيرٍ ، وهي إشارات دقيقة بشكلٍ عالٍ لبيان ما يصل إليه الإنسان في تطويع
الأرض واستعمال السيارات والقاطرات وغيرها كما هي إشارة إلى الطائرات التي
تحمل الناس فوق الغيمٍ وشبه ذلك .. بل في القرآنِ الكريم كان الأمر واضحاً جداً

فلا قيام للساعة إلا بعد أن يصل الإنسان إلى مستوى عالٍ من تطويع الأنظمة والناموس الطبيعي حتى يظن أنه قادر عليها .. ففي القرآن يقول الله تعالى :

(حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ..

القرآن واضح في هذه المعاني ، حيث يصل الإنسان إلى مستوى عالٍ في فهم النظام وتطويعه ، وبطبيعة الحال ، يكون من بين تلك الأمم من يملك أسباب ذلك ، من يقدر على إستغلال هذه الأنظمة ، من يصنع الطائرات ، من يخلق في الأفق ، من يخرج بسطانٍ من الأرض ، من يسيطر على أبعادٍ كبيرة بفضل الأدوات ، من يقدر على ترجمة الهندسة الوراثية في حقول غذائية ودوائية فيقبض على زمام السلطنة الغذائية العالمية ، فيكون الغذاء والدواء والطبابة وبشكلٍ عالٍ بين يديه .. هنا تكمن إشارات النبي التي جاءت على نحوٍ دقيقٍ في بيان بعض العناوين للعبور منها إلى عالمٍ كان بنظر أهل الزمان قبل ١٤٠٠ سنة ربّما مستحيلًا بشكلٍ نهائيّ ، لقد كان الإمام علي بن أبي طالب يشير إلى الماء ويقول لمن حوله من المسلمين ، لو شئت لجعلتُ من الماء نوراً .. وفي نصوصٍ أخرى يقول : لو شئت لجعلتُ من الحديد طائراً .. لقد كان الإمام علي (ع) يشير إلى ظاهرة مستحيلة بنظر عالم الأمسٍ ذاك ، لكنّه اليوم من بديهيات أدواتنا ، من وسائل عالمنا العاديةٍ جدًّا .. وهذا سرُّ آلِ محمّدٍ في نقلِ الإعجازِ وكشفِ الحقائقِ إلينا .. ! إنه يقين اليقين المتصل بعلم السماء ..

لم يكن المسلم وغيره آنذاك يفهم طبيعة وجوهر كيف تُطوى الأرض ،
أو أن يُحملُ الناسُ على الغيم أو تطير بهم الريح ، أو تقصر المسافات والأزمنة ،
ربما كان يظن أن الأمر بحاجة إلى إعجاز ، في زمنٍ حتى الخيال العلمي لم يكن
يُكتبُ فيه على هذا النحو .. لكن مع كل هذا كان النبي يؤكد بشكلٍ نهائيٍّ أن
عالم الإنسان قادم على نحوٍ عالٍ من التطور ، من كشف الأسرار الطبيعية ، من
تطويع وتذليل النواميس ، ولأن الأمر كذلك فإننا نجد في أحاديث النبي والمعصوم
(ع) رموزاً وإشارات يحاول عبرها أن يوفق بين العبارة التاريخية والمعنى الحديث
للأداة في عصر الغيبة والظهور .. لذا ، فإن تعابير من مثل : بين يديه جبال من
طعام .. ليس المقصود فيه حرفية المعنى ، بل حكمة الإستعمال اللغوي وهذا أمر
بديهي جداً في إستعمالات العربي آنذاك ، وعليه تقوم اللغة في إشاراتها ، فيقال :
رجلٌ كثير الرماد ، أي كريم جداً ، أو يقال : قوم ترى نارهم في الليلة مشتعلةً ،
أي أنهم كريمو الضيافة إلى حد أنهم يفتحون منازلهم للضيف حتى في الليل ..

وعليه : فإن الإشارة إلى الأصناف الثلاثة في خصوص بأجوج ومأجوج
إنما هي إشارة إلى ما عليه هم ، كطائفة بشرية ، يملكون الكثير من الوسائل
والأدوات والخصائص الممكنة في ذلك الزمن من تطويع للنظام والنواميس في
إدارة الجبهات والصراع من هذه الجهة .. لذلك فقد اشار إلى أن الصنف الثاني
لا يقوم لهم الحديد .. إنها إشارة ذكية ودقيقة جداً .. إشارة إلى القوة ،
والحصانة وقدرة الممانعة ، وما التفريق بين الأصناف الثلاثة إلا من باب التفريق
بين ما هم عليه من قوة وبطشٍ اعتماداً على ما لديهم من ذلك .. وفي عصرنا
الحاضر لا تقابل الأجسام البشرية ، بل العقل المخترع هو الذي يقاتل ، وبتعبير
آخر : إن الذي يقاتل هو الأدوات الحربية وغيرها على كثرتها والتي وصلت إلى

حدّ أن الأقمار الصناعيّة أصبحت عينَ وأُذنَ مَنْ يملكها على العالم .. ويقال اليوم إنَّ لأمريكا عَيْنًا تكشف العالم كلّهُ ، لأنَّ بين يديها عشرات الأقمار الصناعيّة المتطوّرة السابحة في السماء والتي تراقب الأرض عن كثبٍ .. يقال : إنَّ لأمريكا أذُنًا تسمع عبرها كلّ العالم وتكشف ما فيه ، وذلك اشارة إلى نظام أيشلون التجسّسي الذي يعتبر الأخطر في العالم .. والذي يستطيع مراقبة كلّ المكالمات الهاتفية المدنيّة والعسكريّة في العالم عبر مجموعة ونظم كبرى من التقيّة .. ويراقب هذا النظام كل عمليات الإنترنت والبريد الإلكتروني ، ويصيب مقتل المعلومات وأسرار الدول والأشخاص والشركات ، وقد اندهل العالم خاصّة الأوروبيين من القدرة الأمريكيّة التجسّسيّة المخفيّة التي كانت تراقب العالم عن كثبٍ ولم يتمّ الكشف عنها إلا في أوّل العالم ٢٠٠٠ وهو عبارة عن نظام دولي وضعته الولايات المتحدة في الثمانينات تحت الاسم الحركي " بي ٤١٥ أيشلون " وهو تابع لوكالة الأمن القومي ويعمل بواسطة الأقمار الصناعية وكابلات بحرية .. وقد أثار الكشفُ عن هذا النظام حفيظة الأوروبيين الذين إتهموا الولايات المتحدة وللمرة الأولى بأنّها تحصل على كل شيء عبر هذه الوسيلة التقنية العالية . وأكدوا أنّهم يملكون إثباتات دقيقة على أنّها إستعملت هذا النظام الإلكتروني لجهات أمنية واقتصادية وسياسيّة وتجسّسيّة وغيرها ... وأنّ الولايات المتّحدة عبر هذا النظام راقبت الحكومات الأوروبيّة والشركات والأشخاص وبشكلٍ سافرٍ ، وضربوا على سبيل المثال عمليّة التجسس الأمريكيّة لـ " صالح " مؤسسات أمريكية خاصّة مثل " مجموعة البوينغ " في مواجهة " ايرباص الأوروبية " في صفقة الطائرات السعوديّة المدنيّة الشهيرة مؤكّدين أنّ الولايات المتحدة تتجسس على غير الأمريكيين ومن بينهم حكومات وشركات وأشخاص أوروبيين ...

لا شك أن هذا واحد من الأمثلة التي يُقالُ فيها اليوم إنَّها أذن أمريكا وعينها على العالم .. وهكذا هي الحالُ مع حقولِ الأرزِ والقمحِ وغيرها من الحبوبِ والموادِ الغذائيَّةِ والعقاقيرِ التي تسيطر عليها مجموعةٌ محدَّدةٌ من الدولِ وتحتكرُ العالمَ .. لقد كان النبيُّ يشيرُ إلى هذا النحوِّ من السلطنةِ عبرِ قيادةٍ ما أو جبهةٍ ما ، ولقد أعطيتِ هذه الأمثلةُ للتوضيحِ وبيانِ الإشاراتِ الكبرى التي كان النبيُّ يتلوها على مسامعِ العالمِ آنذاك في زمنٍ لم يكن الإنسانُ فيه يقوى على تطويعِ الأنظمةِ والنواميسِ الطبيعيَّةِ بشكلٍ فذٍّ .. لذلك ، فإنَّ الإشارةَ إلى يأجوجِ ومأجوجِ وما تكون عليه أصنافهم إنَّما هو إشارةٌ إلى أمةٍ وطائفةٍ بشريَّةٍ ذاتِ جبهةٍ موحَّدةٍ أو متَّحدةٍ ، ذاتِ خصائصٍ على ميِّزاتٍ ثلاثٍ في القدراتِ والممانعةِ .. وقد تحدَّثتُ بالتفصيلِ عن مثلِ هذه المعاني وعناوينها واستعمالاتها في أحاديثِ النبيِّ عند حديثي عن بعضِ نصوصِ الدجالِ ، والإشاراتِ الواردةِ فيها ، لأؤكدُ من جديدٍ أنَّ عظمةَ النبيِّ محمدٍ في نصوصه هي إعجازُ الإعجازِ ، هي معلوماتٌ غيبيَّةٌ من ربِّ الغيبِ والعبادِ الذي أرسلَ النبيَّ محمداً بدينه الخاتمِ هدىً للبشريَّةِ ، وكلُّ ما فيها إعجازٌ ، كلُّ ما فيها يدلُّ على عظمةِ هذا النبيِّ الكريمِ .. وعلى حدِّ بسمارك موحَّدِ ألمانيا وقائدها الشهيرِ في القرنِ التاسعِ عشرِ في عظيمِ ما جاء بهِ رسولُ اللهِ من قرآنٍ وعظمةٍ قال :

(إنني تدبَّرتُ وتأمَّلتُ ودققتُ الكتبِ السماويَّةَ ، التي يُدعى أنَّها واردةٌ من اللاهوتِ ، فما وجدتُ لما فيها من التحريفِ ما أنا طالبه من الحكمةِ وإنَّ تلكَ القوانينِ ، ليست بحيث تؤمِّنُ " السعادةَ البشريَّةَ " .. وقد دققتُ القرآنَ من كلِّ جهةٍ فوجدتُ

في كل كلمة منه حكمة عظيمة ومن ادعى أن هذا القرآن ترشح من قريحة محمد فقد أغمض العين عن الحقائق .. وإني أدعي أن حضرة محمد قدوة ممتازة وليس في الإمكان إيجاد القدوة محمد ثانياً ... يا محمد إن الكتاب الذي نشرته ليس من قريحتك وإنكار أوليئته هراء ... وبناءً على هذا إني أعظمك بكل الإحترام راعياً في حضورك المعنوي ..)

على كل حال ، النبي (ص) وبإشاراتٍ متناهية الدقة بين أن العالم يصل إلى مستوى عالٍ من تطويع النظام ، وعليه : يكون هذا العالم على نحوٍ متعدّدٍ من الجبهات ، وقد أشرتُ إلى ذلك بشيءٍ من التفصيل فيما سبق ، ومنها ظهر أن بعض الأمم تكون على نحوٍ ضعيفٍ في أدواتها ، ومن هؤلاء المسلمون ، الذين تتداعى عليهم الأمم ، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، بالمقابل هناك قوى لها وزنها مثل جبهة الروم وجبهة الدجال والسفلياني وأجوج ومأجوج وكلّ واحدة تختلف في قوتها عن الأخرى .. ففي خصوص يأجوج ومأجوج يشير النص إلى أنهم على نحوٍ من قوّة واحتكارٍ وامتيازٍ سوقيّ وعسكريّ ، لهم وزن قويّ ، ومخيف ، يسيطرون على منابع والثروات ضمن حدود قدراتهم تلك ، ووفقاً لما عليه قدرات العالم المتعدّد في جبهاته بما يعنيه من تناقضٍ مصلحيّ وتقسيمٍ للنفوذ والسيطرة .. يشير النص إلى أن هؤلاء يخلّون بيت المقدس ، في حين يكون عيسى والمسلمون بالطور .. يعني أن احتلال يأجوج ومأجوج يكون بعد نزول المسيح عيسى بن مريم (ع) فيبعث عيسى بن مريم طليعة يشرفون على بيت

¹ نقلاً عن كتاب إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن للدكتور رفيع أبو السعود ص ٨٥ ..

المقدس فيرجعون إليه فيخبرونه أنه ليس ترى الأرض من كثرتهم ، إشارة إلى عددهم الكبير ، وكثرة المجددة بالعدة والعدد ، ويظهر من النص أن عيسى بن مريم يستنجد بالله تعالى عليهم وهذا واحد من العناوين التي تشير إلى الدعم الإلهي في جبهة أهل الحق .. يقول النص إن عيسى بن مريم يرفع يديه إلى السماء فيرفع المؤمنون معه فيدعون الله عز وجل فيبعث الله عليهم دوداً يقال له النغف ، فتدخل في مناخرهم حتى الدماغ فيصبحون أمواتا ، ويبعث الله عز وجل عليهم مطرا وابلأ أربعين صباحا ، فيغرقهم في البحر فيرجع عيسى إلى بيت المقدس ، والمؤمنون معه .. أما طبيعة هلاكهم كيف تتم ؟ هل على طريقة طير أبابيل ، المتمثل هنا بالدود بدلا من الطائر ، ومن دون تدخل بشري ؟ أم هو إشارة إلى مرض معين يسبب ذلك .. ؟ النص غير نهائي هنا .. لكن المهم أنهم يصابون بالهلاك ، بأمرين : بحيوانات قاتلة ، وبإغراق البحر .. وهذا له بُعد سببي إما يكون وفق معاني الناموس والقوانين الأولية ، أو وفق معاني الإعجاز من هذه الجهة ..

فإذا تم ذلك ، وهلك هؤلاء ، عندئذ يظهر الدجال .. وكما أشرت فيما سبق ، يظهر من النصوص أن الدجال يكون على نحو مميز من القوة لما يمتلك من أدوات وتجهيز ، وأن من ميزة الوجوه في جيشه اليهود القادة الذين يكونون على نحو مسلطين في جيشه (جبهة اليهود) نعم يكون معه جند من باقي الناس .. وفي خصوص الدجال يحدد النص آية أي علامة فيقول : يسمع له ثلاث صيحات ودخان ، يملا ما بين المشرق والمغرب ، فأما المؤمن فيصبيه زكمة ، وأما الكافر فيصير مثل السكران يدخل في منخره وأذنيه وفيه ودبره ، وخسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وخروج الدابة ، قال :

قلت يا رسول الله وما الدابة ؟ قال : ذات وبر وريش ، عظمها ستون ميلا ،
ليس يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، تسم الناس مؤمنا وكافرا ، فأما المؤمن
فتترك في وجهه كالكوكب الدرّي ، وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر
فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر ، ونار من بحر عدن ،
تسوق الناس إلى المحشر ، وطلوع الشمس من مغربها ..

أقول : يظهر من النصّ إشارات واسعة إلى متغيّرات كبرى ، فتعبير
الدخان هو إشارة إلى ما ينبعث منه الدخان ، إلى الفتن والحروب ، إلى التدمير
والإشتعال ، إضافة إلى الخسف بالمغرب ، وجزيرة العرب ، وهي إشارات إلى
عنوان طبيعيّ ، من زلزلة كبرى وشبه ذلك .. نعم ، الدابة ، تعبّر له بعد ممّيز
ففيه إشارة إلى ظهور قوّة تفرز الجبهات دفترتياً أو تعريفيّاً ، من خلال الختم بما
فيها من أفراد وجماعات ، وهي قادرة على التدارك ، لا يفوتها هارب ، كما أنّه
لا يدركها طالب .. تميّز المؤمن عن الكافر ، ولا يهتمني كثيراً التعرّض إلى
جوهرها وحقيقة مكوناتها وجهتها بقدر الإشارة إلى أثرها ، حيث يظهر أنّ
أثرها نافذ وقادر جداً .. يضاف إلى ذلك نارٌ من بحر عدن ، وطلوع الشمس من
مغربها .. بعضها يشير إلى أثر بشريّ وفتن وحروب ، وبعضها يشير إلى ظاهرة
طبيعيّة يظهر منها أنّها استثنائيّة .. وبصورة مجملّة ، فإنّ النصّ يشير إلى حروب
وفتن وصيحات وفرز جهويّ وأمم مختلفة ، وعالم متغيّر جداً ، تبرز فيه جبهة
المهديّ على نحوٍ قادرٍ ومتمكّن في ظلّ جبهاتٍ أخرى قادرة ومتمكّنة ، إلى أن
يحكم الله بالنصر للمهديّ عجل الله فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره وأعوانه
والمستشهادين بين يديه ..

وما أحبّ أن أكرّره هنا هو أنّ الذي يتصفح أحاديثَ النبيّ يذهله الإعجاز الغيبيّ فيها ، يذهله الدقّة المتناهية في الإشارةِ إلى عالمِ الغيبةِ والظهور ، وكأنّ النبيّ في يومنا وعصرنا ودهرنا ، وفي موقعٍ معرفيٍّ كاملٍ لما نحن عليه اليوم أو ما يكون عليه عالمُ الغيبةِ إلى يومِ الظهورِ وما بعده .. نعم هو مطلعٌ بشكلٍ مذهلٍ ، عبر الله خالق كلّ شيءٍ .. كلّ شيءٍ في النصوص يثير عظمة هذا النبيّ الكريم ، هذا النبيّ العظيم ، يثير جمال الصلة بعالمِ الله ويطير بنا إلى الأفقِ الأعلى ، إلى اليقين الدائم الثابتِ والجمال الذي يزّين الاعتقاد ..

لا شكّ أنّ فترة المهديّ في الزمّنين ، زمن الغيبةِ وزمن الظهور ، تكون على نحوٍ متغيّرٍ ومختلفٍ ، وعلى وقعِ الفتنِ وشبه ذلك ، في ظلّ جبهاتٍ جبارةٍ بعيدةٍ عن معالي الشريعةِ ومعالمها ، يكون لها سلطنة واسعة في أرجاء العالم ، بحيث تملئ العالم فساداً وجوراً ، فإذا خرج المهديّ تبدّل العالم ، وهتّأت الأرض لمواثيق من نوعٍ آخر ، بل في الحديثِ عن حذيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :

إذا كان عند خروج القائم ، ينادي مناد من السماء أيها الناس قطع عنكم مدة الجبارين ، وولي الأمر خير أمة محمد (ص) فالحقو بمكة ، فيخرج النجباء من مصر ، والابدال من الشام ، وعصائب العراق ، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، كأن قلوبهم زبر الحديد ، فيبايعونه بين الركن والمقام . قال عمران بن الحصين : يا رسول الله صف لنا هذا الرجل ؟ قال : هو رجل من ولد الحسين ... عليه عباةتان قطوانيتان اسمه إسمي ،

فعند ذلك تفرح الطيور في أوكارها ، والحيتان في بحارها ، وتمد الأنهار ، وتفيض العيون ، وتنبت الأرض ضعف أكلها ، ثم يسير مقدمته جبرئيل وساقته إسرافيل فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ..¹

وبشرف الظهور الأعظم يبدأ العالمُ مرحلةً مختلفةً جداً ، يعمل المهديُّ فيها على إقامة نُظُمِ العدالةِ وموآثيقِ الشريعةِ ، ويفرحُ المؤمنون .. وما تجدرُ الإشارةُ له في هذه العجالةِ هو أنَّ وضعَ المسلمين يكون على نحوٍ من اختلافٍ وضعفٍ ومهانةٍ وذلٍّ في الغالبِ الأعظم .. هذا ما تقوله جملة من النصوصِ الواردة ، وقد أشرتُ إلى بعضٍ منها فيما سبق .. بل يكون شرعُ الله معطلاً ، وموآثيقُهُ متروكةً ، بل في بعضها أن الخلفَ يكون على الدنيا ، في حين تكون الآخرة منسيةً ، ويعبد الناس الدرهم والدينار من دونِ الله ، ويرجون ما ترجو البطنُ والفرجُ ، ويسخرون من المؤمنِ ، حتى يكون قابضاً على دينهِ كالقابضِ على الجمرة .. بل في حديثٍ مراد منه الرواية عن النبيِّ (ص) قال عبد الله بن مسعود :

إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة (إشارة منه إلى أنَّ الموازين الشرعية تُعطل ولا يُعملُ بها) ثم قال : عدو للمسلمين يجمع لهم وأومى بيده ، قال قلت لابي : الشام يعني ؟ قال نعم ، قال : ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة (أي يرتد قسم من المسلمين قرب المعركة أو أثناءها) قال : ويستحرم المسلمون بعضهم بعضاً (أي يقتل بعضهم بعضاً) فيلتقون ويقتتلون

¹ الاختصاص : ص ٢٠٨

قتالاً شديداً . ثم قال : تشترط شرطة للموت لا ترجع إلا غالباً ، فيلتقون ويقتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفي هؤلاء وهؤلاء وكل غير غالب وتفنى الشرطة ، وإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية المسلمين ، فيفتح الله عز وجل عليهم ، فينظر بنو الاب كانوا يتعادون على مائة لم يبق منهم إلا رجل ، فأبي ميراث يقسم أو بأبي غنيمة يفرح .. ؟ قال : فيبناهم كذلك إذا سمعوا أمراً أكبر منه ، الدجال قد خلفهم على ذراريهم وأهاليهم . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فيبعث أميرهم طليعة عشرة فوارس ... هم يومئذ خير فوارس في الأرض ، أو من خير فوارس في الأرض ..¹

وفي غيره من النصوص أن الأمر يصل إلى حدّ أن القوم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه ، ويتقاتلون على الدنيا ، وينسون أمر الآخرة ، ويعملون على ما تمليه عليهم غريزة البطن والمال والفرج والسلطان .. لا شك أن هذه الإشارات ناظرة إلى أمة مفترض بها أن تكون على نحو من صلة بالإسلام ، أعني بذلك المسلمين ، بل في العديد من النصوص تسمي المسلمين بالإسم ، نعم يبقى من بين كل هؤلاء أمة قائمة بدينها ، متمسكة بشرع الله ، ظاهرة بولائها الرباني ، حتى خروج المهدي (ع) فتسلمه الراية ، وتنزل تحت ولايته ، وتبذل بذلك دمها وكل ما تملك .. بطبيعة الحال في زمن الغيبة والظهور سيكون كل شيء مختلفاً ، ستكون الأوضاع الدوليّة والدعاية العالميّة بجانب القوى والجهات الباطلة ، إلى أن يتم الله الفتح للمهدي ، فينقلب كل شيء ويعم العدل والسلام في العالم تحت راية واحدة وشرعة واحدة وقيادة واحدة في حياة المهدي لا بعد موته ، هذا ما تؤكد النصوص المتواترة في كتب الفريقين من

¹ الطيالسي : ص ٥١ - ٣٩٢

السنة والشيعه والتي لا تقبل أيّ جدلٍ أو معارضةً أبداً .. وما أحبّ بيأته هنا ، في ظلّ الإشارةِ إلى الراياتِ واختلافِها أنّه قد سبق منّي وأشرت بالتفصيل إلى رايةِ أهلِ المشرقِ ، الراية التي سُمّيت في بعضِ النصوصِ بالرايةِ الخراسانيّةِ أي من جهةِ خراسان ، وسُمّيت أيضاً بالراياتِ السود ، ويظهر من كلّ تلك النصوص أنّ تلك الراية هي راية تكون لآلِ محمّدٍ أي تعطي ولأهلِ آلِ محمّدٍ ، وتظلّ كذلك حتى خروج المهدي وتخوض الحروب تحت هذا المعنى من الولاء والتفاني .. وقد اتفقت الكلمة على أنّ راية أهلِ المشرقِ ، ذات الولاء لآلِ محمّدٍ ممّا نطقت به النصوص والروايات ، وأنها راية لديها من الثبات على أمرِ دينها وقوّة يقينها ما يقيها حيّة قائمة وأنها تخوض الحروب من أجلِ حقّها ويوفّقها الله لذلك ، تُقاتل فتتصر ، وتكون قبل الظهورِ وبعد الظهورِ ، وتسلم الراية للمهديّ .. وفي النصّ الواحد تجده يشير إلى راية الخراسانيين المشرقيّة التي تحمل الرايات السود وتنتصر لآلِ محمّدٍ وتوطئ للمهديّ خروجاً .. يضافُ إلى هذه المجموعة طائفة مروية عن الأحاد تعتبر متممة لهذه الجهة أي على نسقٍ مضامينها ، منها ما روي عن رسولِ الله في أنّه قال : لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل — أو قال رجال — من أبناء فارس حتى يتناولوه ..^١

وفي لفظٍ آخر عن قيس بن سعد عن رسولِ الله (ص) قال : لو كان الدين معلقاً بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس ..^٢ وفي لفظٍ ثالثٍ قال (ص) : لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس ..

^١ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٦٦ ج ١٩٩٢٣

^٢ ابن أبي شيبة : ج ١٢ ص ٢٠٦ ج ١٢٥٦١

وكما ترى فإن هذه النصوص تزيد المضامين السابقة تأكيداً ، وهي تدل على الجبهة الخراسانية في دينها وقدرتها الفذة بالعلم المراد به علم الشريعة .. وعلى كل حال تشير هذه النصوص إلى ان أبناء فارس سيصلون إلى مستوى أمة متمسكة بدينها ، يجاهدون ، حتى يصلوا إلى ذلك ، يطلبون الدين حتى ولو كان بذلك مشقة ، يبذلون كل جهد من أجل ذلك ، وهذا وجه الميزة في الإشارة إلى أن الدين لو كان معلقاً بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس .. إشارة إلى الجهد والمشقة من أجل ذلك والالتزام به .. بل في الحديث عن سهل الساعدي قال : كنت مع النبي (ص) بالخندق ، فأخذ الكرزين فحضر به ، فصادف حجراً فضحك ، قيل : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ضحكت من ناس ، يُؤتى بهم من قبل المشرق ، في النكول (القيود) يساقون إلى الجنة^١ ... إشارة من النبي (ص) إلى المسلمين أنهم يفتحون بلاد فارس ويهزمون كسرى فيدخل الأسرى الفرس في الاسلام وتعبير أنهم يدخلون الجنة يشير إلى أنهم يصبحون على صلة مع علي وجهه وميزة تدخلهم الجنة ، وهذا يوافق بطبيعة الحال ما هم عليه من نصوص راية أهل المشرق ونصوص بذل الجهد لينالوا الدين والعلم والمحافظة على إنتماءهم ذاك بكل جهد وبذل ..

إن كل ذلك يشير إلى الأمة التي قلنا فيما سبق أنها تظل على دينها ، ظاهرة فيما هي عليه ، تطلب الحق فلا تُعطاه ، إلى أن تضع سيوفها على عواتقها — إشارة إلى السلاح بتسمية تاريخية — فتقاتل فتنتصر ، وتصر على ما هي عليه من أمر موثيقها ، وأنها تكون على ولاء آل محمد ، وأنها تعد العدة من أجل المهدي ، وبمجرد أن يخرج المهدي تعلن ولاءها له والطاعة والبذل في سبيله كما

^١ أحمد : ٥٥ ص ٣٣٨

كانت من قبل في زمن الغيبة .. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الوضع الدولي يكون على نحوٍ من انحرافٍ هو الأخطر في ظلّ عالمٍ متغيّرٍ متحوّلٍ ، متبدّلٍ ، يعيش زمنَ تطويع الأنظمةِ والطير مع الريح والسير فوق الغمام وطوي الأرض ورؤية أهل المشرق والعكس عبر أدواتٍ فاعلةٍ وشبه ذلك .. وهي كما ترى إشارات تنطبقُ على زمن الغيبة كما تنطبقُ على زمن الظهور ..

اللهم اجعلنا من أنصار الإمام المهديّ (ع) واجعل أرواحنا بذلاً بين يديه ، ولقدم قدميه ، بمحمّد وآله الطاهرين ..

وقائع من زمن الغيبة والظهور ..

- عالم العنف .
- الجور العالمي .
- قيام الكتك والجبهات .
- الإنتماء إلى عالم القوة ..

وقائع من زمن الغيبة والظهور (حركة العالم والصراع وتصادم القيم)

كما سبق وأشرنا فإنّ عالم الظهور الأكبر للمهديّ (ع) والذي يتّصل بموقعين أساسيين هما : ما قبل الظهور وما بعد الظهور يعتبر من المفاصل الأساسيّة في تحولات العالم ذاك ، وبمعنى آخر : يكون العالم على موقعٍ من الخطورة والإرباك وعدم الإستقرار ، فضلاً عن حكومة كبرى من مجموعة قيم ميثاقية واجتماعية عرفية ودعائية تحتاج أصل الأمان للوجود البشري من جهة ، وطبيعة الأسس المحترمة لغاياته وصلته بالمواثيق والهوية الناظمة لحاجات الفرد والجماعة إنّ داخل الكيان أو على مستوى العالم .. وعلى المحور الآخر ، تؤكّد الروايات أنّ العالم سيشهد مرحلة متحوّلة وتغيّرات كبرى على صعيد الجبهات ، بكلّ ما تعنيه من أثرٍ في إدارة زمام الصراع والعنف والقتل وغير ذلك ..

فالنصوص تفيد أنّ ظهور السفيناني بكلّ ما يعنيه من قيادة وجبهة وقوّة يظهر إمّا مع أولى معالم ظهور المهديّ أو قبله قليلاً ، ويقوم بجولات حرب وبطش واحتلال وقتل وتدميرٍ مخيف ، في طول الكور الخمس ، من بلاد الشام

وصولاً إلى الكوفة وما تعنيه كجبهة وجهة وموقع .. بهدف حصد المزيد من جبهة آل محمد .. ويظهر من بعض الروايات أن المهديّ (ع) بعد المجزرة الرهيبة التي تحصل في الكوفة يخرج بجيشه .. أمّا من حيث الإشارة الزمنية ، إلى اليوم والشهر وغيره لا تحديد في النصّ ، نعم يشير إلى أنه بعد هذه الواقعة يخرج (ع) بجنّده ، وعلى كلّ حال فالنصّ يدلّ على موعدٍ خروجٍ العسكري (ع) .. ففي الحديث عن عمّار بن ياسر قال :

إذا بلغ السفياي الكوفة وقتل أعوان آل محمد

خرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح ...¹

قد يُقال : إنّ مجموعة من النصوص أشارت إلى أن المهديّ والسفياي يخرجان كفرسيّ رهان ؟ الجواب : نعم هو الأمر كذلك ، لكنّ النصّ هنا يشير إلى عنوانٍ آخر ، يشير إلى أن زمن المهديّ والسفياي في التشكيل الجبهوي ..

والثابت أنّ جبهة السفياي تتشكّل بقوةٍ ووزنٍ عسكري جغرافيّ واسع ، وتعمل على استئصال ما أمكن من أنصار آل محمد ، في حين تكون الجبهات الأخرى من العالم على نوعٍ من التعدّد والصراع ، في ظلّ مطالب جيواستراتيجية وجيوسياسية وجيواقتصادية تدفع القوى بشكلٍ كبير نحو روح التحرك وتحديد الجبهات والمواقع في زمنٍ تجتاحه الحروب والفتن .. تحدّثنا عن بعضها ، وستحدّث عن الباقي فيما بعد إن شاء الله .. ومن ضمن تلك الجبهات جبهة آل محمد ، ويظهر من النصوص أنّ شخصيّة " شعيب بن صالح " لها أهميّة بارزة ، قياديّ يمتاز بإيمان قويّ ، وبصيرة نافذة في الحرب والسلام ، شخصيّة لها بُعد في

¹ ابن حماد : ص ٨٥

المواقف والمواقع ، تشير إليها النصوص على أنها مميّزة جداً ، بل في الحديث عن عمّار بن ياسر أن شعيب بن صالح يكون على لواء المهديّ (ع) .. أمّا ما ورد في النصّ الوارد أعلاه ، لجهة أنّ القتل الذي يصيب آل محمّد في الكوفة ، هل هو إشارة إلى المكان بالخصوص .. ؟ بمعنى أنّ القتل يقع في الكوفة دون غيرها من أرجاء العراق .. ؟ أم أنّه إشارة إلى الجهة ، أي أنّ القتل يقع في جهة الكوفة وما تعنيه من هذه الجهة موقعاً وكياناً .. ؟ الواضح أنّ النصّ يشير إلى الجهة ، أي أنّ حرباً يخوضها السفياي ضدّ أعوان آل محمّد تقع في ذلك الكيان (الدولة) ومن المعلوم أنّه في زمن النصّ لم تكن مدن العراق موجودة بهذا الشكل . لذلك تكون الإشارة إلى المكان المعروف كعنوان للجهة التي سيقع فيها حوادث ذات صلة بالزمن المتصل بالمهديّ (ع) .. وهذا ما يزيد من خطورة السفياي ..

ومع أنّ الروايات تشير إلى السفياي كجبهة لها موقعها وتحالفاتها ، إلا أنّها تركز عليها من باب استراتيجيّة صراعها مع آل محمّد .. نعم تتحدّث عن قتالها الأبقع والأصهب ، بل عن صراعها مع الروم ، الذين يشكلون خلفيّة قوّة السفياي في الوقت الأول لتأسيس جبهته وقيادة حروبه .. لكنّ القسط الأوفر لإنفلاش جبهة السفياي وتوجيه أدوات حربها تكون ضدّ أعوان آل محمّد ، من الشام إلى الكوفة إلى المدينة .. ! من هنا فإنّ النصوص تشير إلى أنّ جبهة السفياي تعطي جبهة آل محمّد وأنصارهم عنواناً بارزاً كبيراً في استراتيجيّة حربها : بلاد الشام ، المدينة ، العراق .. كلّ من يقرأ الروايات يدرك نحواً واضحاً من خصوصيّة توجيه الصراع ضدّ أعوان آل محمّد بهدف الفتك بهم وإبادتهم ، مع التركيز على أنّ أكثر من جبهة تتخذ من آل محمّد وأعوانهم هدفاً استراتيجيّاً من أجل استئصالهم .. ومن تلك الجبهات جبهة بني العباس (وهو تعبير تاريخي

يُرادُ منه الإشارة إلى دولةٍ متجدّدة ذات ارتباطٍ بالعباسيين بنحوٍ من الأنحاء كسمةٍ
وعنوان .. (كلّ ذلك فضلاً عن جبهة الدّجال ويأجوج ومأجوج والمغربيّ
والروم وغيرهم .. لقد كان النبيّ يشير بأكثر من معنى إلى مجموعة من عناوين
ومحاور موجّهة ضدّ آلِ محمّد وأعدائهم ، ومنذ الزمنِ الأوّل وبإشاراتٍ كبرى
وتعابير لها معنى معصرون في أزمانِ الغيبة والظهور .. ففي الحديث عن معاذ بن
جبل قال : بينما أنا وأبو عبيدة الجراح وسلمان جلوس ننتظر رسول الله (ص) إذ
خرج علينا في المهجير مرعوباً متغير اللون ، فقال : من ذا أبو عبيدة ، معاذ ،
سلمان ؟ قلنا : نعم يا رسول الله ، فذكر الفتن ثم قال :

تدخل مدينة الزوراء (منطقة في العراق) فكم
من قتيل وقتيلة ومالٍ مُنتهب ، وفرج مستحل ، رحم
الله من آوى نساء بني هاشم يومئذ ، وهن حرمتي ، ثم
ينتهي إلى ذكر السلطان بذي الغرين ، فيخرج إليهم
فتيان من مجاهم عليهم رجل يقال له صالح ، فتكون
الدائرة على أهل الكوفة ، ثم تنتهي إلى المدينة ، فتقتل
الرجال ، وتبقر بطون النساء من بني هاشم ، فإذا حضر
ذلك فعليكم بالشواهد وخلف الدروب ، وإنما ذلك
حمل امرأة ، ثم يقبل الرجل التميمي شعيب بن صالح ،
سقى الله بلاد شعيب ، بالراية السوداء المهديّة بنصر الله
وكلمته حتى يبائع المهدي بين الركن والمقام ..¹

¹ ملاحم ابن طاووس : ص ١٣٧ ، ٦٠ فتن السليبي

أقول : النصّ واضح في أنّ العنف موجّه نحو أعوان آل محمّد وبشكلٍ فظيع ، وهو أوسع من منطقة الكوفة والزوراء وغيرها إلى كلّ مكانٍ هم فيه ولهم وجود بارز .. وفي الحديث عن ابن عمر قال : كان رسول الله (ص) جالسا في نفر من المهاجرين والانصار ، وعلي بن أبي طالب عن يساره ، والعباس عن يمينه إذ تلاحي العباس ورجل من الانصار فأغلظ الانصاري للعباسي ، فأخذ النبي (ص) بيد العباس ويد علي فقال :

سيخرج من صلب هذا (العباس) فتى يملأ الارض جوراً وظلماً وسيخرج من هذا (الإمام علي) فتى يملأ الارض قسطاً وعدلاً ، فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي ، فإنه يقبل من قبل المشرق ، وهو صاحب راية المهدي ...¹

النصّ صريح في الإشارة إلى صلب هذا وذاك .. وهو موجّه إلى زمن المهديّ عليه السلام بالمعنى الأوسع ، بشقّي ما قبل الظهور وبعده .. من هنا فإن التسمية براية بني العباس سواء اتخذت الشكل التاريخي لها أو شكل جبهة أخرى متجدّدة بعنوان وسمة أخرى فإنّ الشعار سيكون على نحو متصل بالإشارة التي بيّنها النبيّ (ص) .. والمهم أنّ من ضمن من يخرج براية الظلم والفساد والانحراف وبشكلٍ صارخٍ رجل عباسيٍّ مهما اختلف الشعار وشكل الجبهة ، هذا الرجل يوجّه طاقاته بشكلٍ بارزٍ ضدّ راية آل محمّد وأتباعهم وأنصارهم ، في حين تكون الراية الأخرى راية الأمة التي تدعو إلى المهديّ الطرف الآخر في معالم الصراع ،

¹ الطبراني ، الاوسط : علي ما في مجمع الزوائد ، والاذاعة ، ومقدمة ابن خلدون ، والفتاوى الحديثية . * : مجمع الزوائد : ج ٧ ص

إلى أن يخرج المهديّ فتنزل راية أهل المشرق تحت لوائه وتعلن بيعتها المطلقة له كما كانت من قبل .. وتكون تلك الشخصية المعروفة في متن الحديث بشعيب بن صالح على مستوى قياديّ من طرازٍ أوّل ، على رأس جند راية أهل المشرق ، وهذه الطائفة بدورها تكون مدداً إضافياً لما ورد من النصوص في حق راية أهل المشرق ، هذا بعيد النظر عن نسب شعيب بن صالح وعشيرته وشبه ذلك .. وما يهمننا هنا أن الوارد في النصوص يشير إلى أن السفياي يشنّ حملاتٍ عنفٍ واسعة ويعمل على احتلال مجموعة من بقاعٍ في منطقة الشرق الأوسط ، أهمها بلاد الشام وبرّها ، وفق المعنى التاريخي للبقعة هذه ، وحسب الأحاديث جاء التعبير بـ (الكور الخمس) وهي عبارة عن جبهاتٍ محدّدة .. وقد أشرتُ فيما مضى إلى أنه في زمن الغيبة وزمن الظهور تكون الجبهات العالمية متعدّدة ، وكما في تعبيرنا اليوم تكون الظاهرة الدوليّة أي الكيانات السياسيّة تعدّدية تناقضيّة حسب المعنى السيادي في الشق السياسي وعلى نحوٍ من اضطرابٍ في نظرتها إلى المصلحة الدوليّة .. فهناك جبهة الروم وجبهة الترك وجبهة السفياي وجبهة الدجال وجبهة أهل المشرق وجبهة يأجوج ومأجوج وبني العباس وغيرهم (لا بدّ من الالتفات إلى أن الإستعمالات هذه جاءت وفق الصيغة التاريخيّة في التسمية للإشارة إلى معنى معصرن في زمن الغيبة والظهور ..)

وعلى كلّ حال فإنّ من ضمن تلك الجبهات الفاعلة جبهة السفياي التي تتخذ من الشام وبرّه موقعاً استراتيجياً لخوض الصراع ، وهي التي تركّز بشكلٍ عالٍ على جبهة أهل المشرق ، قتلاً وفتكاً لأعوان آل محمّد (ص) بمعنى أن المناطق التي تعلن الولاء لآل محمّد ستكون تحت نظر استراتيجيّة السفياي الذي سيعمل على مهاجمتها ومحاولة إحتلالها والفتك بها .. وفي الرواية عن شريح بن عبيد

وراشد بن سعد وضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا في مضمون مؤيد في مجموعة
من متنه بنصوصٍ أخرى معتبرة :

يبعث السفياي نخيله وجنوده ،
فيبلغ عامة الشرق من أرض خراسان وأرض فارس ،
فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم ،
ويكون بينهم وقعات في غير موضع ،
فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلا من بني هاشم ،
وهم يومئذ في آخر الشرق ،
فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم مولى لهم ،
أصفر ، قليل اللحية ،
يخرج إليه في خمسة آلاف (إشارة رمزية للعدد) إذا بلغه
خروجه فيبايعه فيصيره على مقدمته ،
لو استقبله الجبال الرواسي لهدا ،
فيلتقي هو وخیل السفياي فيهزمهم ،
ويقتل منهم مقتلة عظيمة ،
ثم تكون الغلبة للسفياي ،
ويهرب الهاشمي ،
ويخرج شعيب بن صالح مختفيا إلى بيت المقدس ،
يوطئ للمهدي منزله ،
إذا بلغه خروجه إلى الشام ..^١

^١ ابن حماد : ص ٨٨

وببعد النظر عن التفاصيل فقد اتفقت النصوص على أنه قبل خروج المهدي لا بد من راية هدى تدعو إلى الحق ، وأن السفينتين يوجهن إليها جبهته ، وتكون بينهم وقعتات من حرب و قتل .. إلى أن يخرج المهدي ، وأنه لا تقوم الساعة حتى يخرج الإمام المهدي (ع) فيقيم القسط والعدل في الأرض ويرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء .. وفي الحديث عن الإمام علي (ع) عن رسول الله (ص) :

لا تقوم الساعة حتى يقوم قائم للحق منا ، وذلك حين يأذن الله عز وجل له ، ومن تبعه نجح ومن تخلف عنه هلك ، الله الله عباد الله فأتوه ولو حبوا على الثلج ، فإنه خليفة الله عز وجل ...^١ وفي لفظ آخر عن أبي أمامة كما في النصّ الوارد أعلاه وأضاف فيه : قلنا يا رسول الله ، متى يقوم قائمكم ؟ قال : إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً ، وهو التاسع من صلب الحسين ...^٢

وتؤكد الروايات أن جبهة أهل المشرق الخراسانية تكون على نحو غير مرضي عنه في الشق العالمي ، لكن ظروف الحرب والصراع معها يظل خاضعاً للمناخ الدولي من جهة ولموازين القوى من جهة أخرى ، خاصة إذا علمنا أن جبهات العالم كما في الروايات تكون أيضاً على خلاف استراتيجي فيما بينها لأسباب تتعلق بالثروة والمواقع ذات الأهمية الدولية .. وتشير نصوص النبي (ص)

^١ كفاية الاثر : ص ١٠٦

^٢ م . س .

إلى أن آل محمد ومواقعهم وأتباعهم سيكونون على موعدٍ مع الظلم والإضطهاد وهذا ما أكدته الأيام منذ وفاة النبي (ص) لكن السرّ يكمن في أن بعض النصوص أشارت إلى مواقع لم يكن لها معنى وظيفي أو مرجعي بالنسبة إلى آل محمد في زمن النصّ ، لكنّها ستكون كذلك في زمن الغيبة وشبه ذلك ، ومن يتصفح وجه العالم ووقائعه يدرك سرّ العظمة في نصوص النبي وأهل بيته عليهم السلام .. وعلى الطريقة ووقائع الزمن تشير النصوص إلى أن أهل البيت وأتباعهم يعيشون الكثير من مرارة القتل والعنف والإستئصال ومنها عصر الغيبة وبطبيعة الحال يأتي في رأس هذه المهموم ما سيقع على أصحاب الراية الخراسانية ، الذين يركنون إلى مركزٍ أساسيٍّ واردة في النصوص أعني بذلك بلدة قم ، ومنها يعملون على تأسيس كيانتهم الذي سيوطئ لآل محمد ، وفي الحديث عن علي بن محمد العسكري عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

لما أسري بي إلى السماء الرابعة ، نظرت إلى قبة من لؤلؤ لها أربعة أركان وأربعة أبواب ، كلها من إستبرق أخضر ، قلت : يا جبرئيل ما هذه القبة التي لم أرَ في السماء الرابعة أحسن منها .. ؟ فقال : حبيبي محمد هذه صورة مدينة يقال لها " قم " ، يجتمع فيها عباد الله المؤمنون ، ينتظرون محمداً (ص) وشفاعته للقيامة والحساب ، يجري عليهم الغمّ والحزن والمكاره . قال : فسألت علي بن محمد العسكري عليه

السلام متى ينتظرون الفرج .. ؟ قال : إذا ظهر الماء
على وجه الارض ..^١

في هذا النصّ إشارة متممة لما أشرنا إليه من قبل بخصوصِ نصوصِ أهلِ
المشرقِ وثباتهم العميق على الحقّ ، إلى أهلِ فارسِ وطلبهم للدينِ والعلمِ وقيادة
الإجتماع السياسي عبر حوزةِ أهلِ البيت (ع) التي تعتبر مركزَ صناعة القيادة في
رأسِ الهرمِ بتلك الجبهة ... وعليه : يكون العلم من مصاديق أسس القيادة تلك
ومعالمها (موثيق آلِ محمد ورسالة السماء) بما يعنيه العلمُ من شُرعةٍ ومنهاج
وغايات في الإجتماع السياسي .. وهم الذين يبذلون في سبيلِ تحصيله جهداً
كبيراً وقد ورد في أكثر من نصّ أنّ العلم (إشارة إلى موثيق آلِ محمد وما يتصل
بشبيته) لو كان في الثريا لناله أناسٌ من فارس .. ومن مصاديقه ما تصلُّ إليه قمّة
المقدّسة من علمٍ ومرجعيةٍ ومهدٍ لآلِ محمد .. وهذا ما أشار إليه النصّ بمنتهى
الدقة ، وكما ترى فإنّ فيه الكثير من العظمة والإجلال والإكبار بما يعنيه من
حقيقةٍ وواقعٍ وصدقٍ مذهلٍ ..

في ذيل النصّ الواردِ أعلاه يشير إلى أنّ هؤلاء يجري عليهم الهمّ والغمّ
والمكاره ، وهم ينتظرون خروج آلِ محمد ، ينتظرون شفاعة محمد ، لا شكّ أنّهم
الفئة التي تظلّ على دينها ، ظاهرةً به ، متمسكةً بعُراه ، تزول الجبالُ ولا تزول ،
وبطبيعة الحال هذه هي الفئة التي أشار إليها النصّ والتي ستكون من ضمن
الجبهات التي سيوجهُ السفياي إليها قاطراته وحرّبه ورجاله .. وتجدُر الإشارةُ إلى
أنّه قد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أن زنديقاً يخرج من قزوين

^١ الاختصاص : ص ١٠١/١٠٢

فيهلك الحرمات ، وقد خرج من صدر الاسلام إلى اليوم عشرات من الفجار من قزوين ، وكان رضا شاه يقول أليس يروي (أي ينقل) العلماء أنه يخرج زنديق من قزوين فأنا هو .. وعلى كل حال ، لا يمكننا أن نحدّد الشخصيات بشكلٍ حصريٍّ ، نعم علينا أن ننقل العنوان العام للنصّ ومواصفاته الذهنيّة القابلة للتطبيق الممكن ...

وحتى تكون الأمور في سياقها المتكامل في هذا البحث المتّصل بمحريات التحوّل والتغيّر وانقلاب الموازين ، وإعادة تشكيل الجبهات فإنّه لا بدّ من الإشارة إلى فتن بلاد الشام وخروج السفياييّ ، لأنّ الارتباط وثيق بين عناوين المجاهمة بين أهل المشرق وجبهة السفياييّ .. ولأنّ أيّ جبهة على الإطلاق لا بدّ لها من أساس لقيامها وبروزها في ميدان الأحداث الإقليميّة أو العالميّة .. وهذا ما سنراه في الفصل الآتي بإذن الله تعالى ..

فتنة بلاد الشام " السفيندي " .

- الملك الخائع ..
- سيطرة السفيندي على الكور الخمس .
- إعلان الحرب على آل محمد .
- الحرب مع الأبقع والأصهب ..
- الخلاف على ثروة قرقيسيا .

فتنة بلاد الشام والسفياي وما يتصل بها من فتن

وحروب

بادئ ذي بدء تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ طبيعة نشوء جبهة السفياي وتطور شوكتِه ، تجري وفق معاني متصلة بذلك الزمن ، وعلى كلِّ حال ، فإنَّ بعضَ النصوصِ تشير إلى بعض الزوايا في هذه الظاهرة ذات البعد المتصل بعالم الظهور ، وقد جاء في بعضها : إنَّ بدوَّ خروجه (السفياي) من قرية من غرب الشام يقال لها أندرا في سبعة نفر ..^١

وفي لفظٍ آخر : يؤتى السفياي في منامه فيقال له : قم فاخرج ، فيقوم فلا يجد أحداً . ثمَّ يؤتى الثانية فيقال له مثل ذلك ، ثمَّ يقال له الثالثة : قم فاخرج فانظر من على باب دارك ، فينحدر في الثالثة على باب داره فإذا هو بسبعة نفر أو تسعة نفر معهم لواء ، فيقولون نحن أصحابك ، فيخرج فيهم ويتبعه ناس من قريات وادي اليابس ، فيخرج إليه صاحب دمشق ليلقاه ويقاتله ، فإذا نظر إلى رايته انكزم ، ووالي دمشق يومئذ والٍ لبني العباس ..^٢

^١ ابن حماد : ص ٧٤

^٢ ابن حماد : ص ٧٥

وفي لفظٍ ثالثٍ : إذا خرج السفنياني من الوادي اليابس يخرج إليه صاحب دمشق ليقاتله ، فإذا نظر إلى رايته انهزم .. (الوادي اليابس : فسرته بعض الروايات بأنه قرب دمشق وبعضها بأنه في منطقة حوران ودرعا قرب الاردن) .

وأول ما تجدرُ الإشارةُ له أن في هذه النصوص نوعاً من إشارة وكناية في البيان ، من هنا فهي لا تتعارض مع النصوص التي أشارت إلى أن السفنياني يأتي من أرض الروم متنصراً .. وعلى كل حال فإن خروج السفنياني لا يكون بشكلٍ معجزٍ ، ولا يخرق النواميس ، إنما يستفيد من الوضع الإقليمي والدولي ليؤسس جبهته ، من هنا فإنه يعتمد على الروم من أجل إقامة أول نواة كيانية له .. نعم في هذه النصوص بيان لساني وتاريخي للحظةٍ ما .. ومن جهة أخرى فإنه لا يوجد بين أيدينا مخطّط روائي تفصيلي نهائي حول تكون جبهة السفنياني وتكتل قواه .. نعم استفاد من النصوص أن جبهة السفنياني تكون على نحوٍ من قوّة وبطشٍ وعنادٍ وتوسّعٍ فيما بعد ، حتى أنها تبسط سلطتها على الكور الخمس (بلاد الشام القديمة) .. ومن يتصفح المرويات المتعلّقة بجبهة السفنياني وبشخصيته يدرك أنه يصمّم على الفتك بجبهة أعوان آل محمّد ، وأنه يكون على رأس قوّة قادرة على احتلال بعض الكيانات والدول بشكلٍ فتاكٍ .. ومن منظورٍ تاريخي واعتماداً على بعض المرويّات المتّصلة بواقع التسجيل الروائي لما تكون عليه جبهة السفنياني في بعض خصائصها أشير إلى نصوصٍ قليلةٍ منها :

— في الحديث عن أبي قبيل قال : السفنياني شرٌّ من ملك ، يقتل العلماء وأهل الفضل ، ويفتنهم يستعين بهم ، فمن أبي عليه قتله ..

— في ملاحم ابن طاووس : يخرج السفياي
والفلاي فيقتلان ، حتى يقرر بطون النساء ، ويغلي
الاطفال في المراحل ...^١

— في لفظ آخر عن الحرث بن عبد الله قال :
يخرج رجل من ولد أبي سفيان ، في الوادي اليابس ، في
رايات حمر ، دقيق الساعدين والساقين ، طويل العنق ،
شديد الصفرة ، به أثر العبادة ...^٢

— وفي رواية أخرى عن ارطاة قال : يقتل
السفياي كل من عصاه ، وينشرهم بالمناشير ،
ويطبخهم بالقدور ستة أشهر ، قال : ويلتقي المشرقين
والمغربين ...^٣ أشير هنا إلى أن معنى التقاء المشرقين
والمغربين لا يعني أنه يحتل العالم ، لأن ذلك ينافي ما
تذكره الروايات الكثيرة من أن السفياي لا يتعدى
حكمه سوريا والاردن ولبنان ، وأنه يحتل العراق ،
ويكون له وجود عسكري في الحجاز ...

— في الرواية عن يحيى بن أبي كثير عن كعب
قال : لا يعبر السفياي الفرات إلا وهو كافر ..^٤

^١ ص ٥١ ، ٩٠ عن ابن حماد

^٢ ابن حماد : ص ٧٥

^٣ ابن حماد : ص ٢٠ و ٨٠

^٤ الداني : ص ٩٢

— في كتاب أبي حذيفة عن مقاتل قال : وأما الكوفان فيخرّبها رجل من آل عنبسة بن أبي سفيان يعني السفياني ..^١

— وفي دخول جيش السفياني الحجاز روى عبد السلام بن مسلمة ، سمعتُ أبا قبيل يقول : يبعث السفياني جيشاً إلى المدينة ، فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم حتى الحبالى ، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه من المشرق ، يقول ما هذا البلاء كله وقتل أصحابي إلا من قبلهم ، فيأمر بقتلهم فيقتلون حتى لا يعرف منهم بالمدينة أحد ، ويتفرقوا (كذا) منها هاربين إلى البوادي والجبال وإلى مكة ، حتى نساؤهم ، يضع جيشه فيهم السيف أيما ثم يكف عنهم فلا يظهر منهم إلا خائف ، حتى يظهر أمر المهدي بمكة اجتمع كل من شد منهم إليه بمكة ...^٢

يستفاد من هذه الطائفة وغيرها أن السفياني يوجه جهوده العسكرية نحو أفق محدّد في رزنامته الإستراتيجية ، ويكون له قدرة في التأثير بنواحيها بل واحتلالها ، وتكون له وقعات متكرّرة بحق أعوان آل محمد ، بل أنّه يقصد تلك الجهات للتنكيل بهم حتى لو كانوا في الحجاز .. إلا أنّ هذه النصوص وغيرها تستبطن وجوداً بارزاً لأعوان آل محمد ، ما يجعل الصراع ضرورياً في رتبة

^١ البدء والتاريخ : ج ٤ ص ١٠٢/١٠٣

^٢ ابن حماد : ص ٨٩

الأولوياتِ بنظرِ السفياني ، خاصةً إذا أضفنا إلى هذه الروايات مجموعة أخرى متصلة براية أهلِ المشرقِ وما هم عليه .. نعم أنصارُ آلِ محمدٍ وأتباعِهِم في العراقِ والشامِ بل في خراسانِ ينالون مشقَّةً وتنكيلاً من السفياني وجبهتهِ ، ومع كلِّ هذا يظلُّ الخراسانيُّ الذي يقودُ جبهةَ أعوانِ آلِ محمدٍ على ميزةٍ من القوَّةِ المؤثرةِ وعلى نحوٍ من الممانعةِ الظاهرةِ .. وتتبدلُ الأمورُ مع ظهورِ المهديِّ (ع) وتنقلبُ الآيةُ بشكلٍ رئيسيٍّ لصالحِ موازينِ كبرويَّةٍ تصبُّ في خانةِ جبهةِ المهديِّ وأتباعِهِ .. في حين يكونُ الأمرُ قبلَ ذلك لصالحِ جبهةِ السفياني في نفوذٍ مميِّزٍ ومؤثِّرٍ لكن ليس على نحوٍ يسقطُ فيه وجودُ الرايةِ الخراسانيَّةِ ، بل في أكثرِ من روايةٍ أنَّ نفوذَ السفياني وحكمه على الكورِ الخمسِ (بلادِ الشامِ وبرّها) لا يتعدى حملَ امرأةٍ يعني مجردَ أشهرٍ (٩ أشهر) .. وفي الوقتِ الذي تسجلُ فيه جبهةُ السفياني إنتصاراتٍ بارزةً ، تكونُ جبهةُ الخراساني على نحوٍ عالٍ من تسجيلِ مواقعِ القوَّةِ والممانعةِ والإنتصاراتِ في مناطقٍ أخرى من العالمِ .. وفي الروايةِ أنَّه :

يخرجُ السفياني والخراسانيُّ كفرسي
رهان ، فيغلبُ السفياني على ما يليه ،
والخراسانيُّ على ما يليه ...

وحين يَحْتَلُّ شرطُ الإنتصارِ في جبهةِ السفياني بعد ظهورِ المهديِّ تكونُ رايةُ آلِ محمدٍ على نحوٍ كبيرٍ من النفوذِ والتفكيرِ بإعادةِ تشكيلِ العالمِ ، وعلى الأقلَّ توجُّهُ نظرها نحوَ القدسِ وغيرها من مناطقِ الشرقِ الأوسطِ .. في حين تشيرُ الرواياتُ أنَّ رايةَ أهلِ المشرقِ الخراسانيَّةِ تكونُ في المرَّةِ الأولى قد احتلَّتْ إيلياءَ (القدس) لكنَّها تخرجُ منها لأسبابٍ تتعلَّقُ بخريطةِ الصراعِ والحربِ التي تلاحقها في أرضِ خراسانِ والقدسِ أيضاً ..

وتجدد الإشارة إلى أن النص السابق سبق أيضاً في المهدي (ع) بحيث يخرج السفياي والمهدي كفرسي رهان .. وتؤكد روايات أهل البيت الإشارة إلى إنتصارات الخراساني .. أما الإنقلاب الأعظم لصالح راية آل محمد ، يكون مع خروج المهدي ، الذي يصلح الله أمره في ليلة .. أي يهيئ له الأسباب بشكل عالٍ وكبير ونافذ .. وفي ذلك الوقت من العالم ، حيث تكون كل الأمور على نحوٍ من الإستقرار الإستراتيجي الذي يعم العالم على نحوٍ متفاوت ، والأمن مختل والقوى في صراعٍ على مواقع جيواستراتيجية وجيوسياسية وجيواقتصادية هناك ينشب صراع عنيف وحاد على الثروة في المثلث التركي السوري العراقي (في قرقيسيا كما في التعبير بالنص) بسبب الاختلاف على كنز (ثروة جوفية ، وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى ثروة تتوافق ومعايير الزمن القادم) وهو كما ترى فإنه تعبير دقيق وإشارة حية لها معان ذات صلة بالنفوذ المتصل بالثروة وشبه ذلك ما يؤدي إلى نشوب صراع يقوده ثلاثة كلهم ابن خليفة .. وفي الحديث عن ثوبان قال قال رسول الله (ص) :

يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ،
ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من
قبل المشرق ، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم .. ثم ذكر
شيئاً لا أحفظه فقال : فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً
على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي ..¹

¹ عبد الرزاق : على ما في سند ابن ماجه ، والطبراني ، والرويانى ، ولم نجده في فهارسه . * : ابن ماجه : ج ٢ ص ١٣٦٧ ، ٣٤ >

أقول : في خصوص ما ورد بذيل هذا النص ، الروايات أشارت إلى طائفتين ، مرّة إلى الخراسانيّ ، ومرّة إلى المهديّ ، وربّما يكون الأمر فيه نحو من مجاز واستعارة ، وكناية في الإشارة ، بمعنى أنّ الراية تكون راية المهديّ أي موالية له ، وهو غير بعيد عندي .. وعلى كلّ حال يشير النصّ إلى صراعٍ على ثروة باطنية ، تختلف عندها ثلاث رايات ، كلّ واحدة تصرّ على استغلال هذه الثروة وضرورة احتكارها .. وتكمن أهمية هذا الكنز في أنّ له قيمة تستدعي من رايات ثلاث خوض الصراع والدخول بحربٍ ضارية .. لكن ، لماذا تتحرّك راية أهل المشرق ؟ هل يا ترى هو الحقّ الذي يطالبُ به أهل المشرق فلا يُعطوه .. ؟ أي أنّه لهم فيستولى عليه .. ؟ عند ذلك يقاتلون فينتصرون كما في أكثر من مروية .. ؟ يا ترى هل هذه الرواية حلقة الوصل الضرورية لبيان الصورة بشكلٍ متّصلٍ ومتكاملٍ .. ؟ أم أنّ الأمر يكون على نحوٍ متّصلٍ بتعقيداتٍ سياسيةٍ إقليميةٍ دوليةٍ في ظلّ صراعٍ جهويٍّ وإعلانٍ للحرب في أكثر من ناحيةٍ في ظلّ عدم استقرار قاتل .. ؟ كلّ هذه العناوين كأسباب واحتمالات ممكنة وعملية .. نعم ربّما يكون في الأمر صراعٍ متّصلٍ بأعوان آلٍ محمّد هناك عند الفرات ، فتتحرك راية أهل المشرق الخراسانية لنجدتهم .. لكنّ النصّ الوارد في خصوص حربٍ أساسيةٍ مفصليةٍ مهمةٍ تقودها راية أهل المشرق عسكرياً نحو الخارج يتبطّن حقاً يُعتدى عليه من قبلٍ جبهةٍ أخرى ، الجبهة المعتدية تصرّ في بادئ الأمر على منعه عن راية أهل المشرق ، إلى أن تدبّ الحربُ بينهم بحركةٍ عسكريةٍ من قبلٍ أهل خراسان فتتصر راية آلٍ محمّد ، وتتابع مسيرتها تلك ..

وفي خصوص الكنز (الحرب على الثروة) فإنّ الأهمية تكمن في أنّه على صفةٍ مائيّةٍ تدفع إلى الإختلاف الحربي ما يعني أنّه كبير وله أهمية ، وتعبير

كنسز له مدلول مأخوذ على نحو يتصل بمعاني المنافع والقيم المادية المعاصرة لكن بلسان تاريخي (الثروة الباطنية) أي تعبير يُراد منه قيمة مادية معهودة في يوم المهديّ وعصره أو قبل ظهوره بكلّ ما يعنيه زمن الغيبة والظهور من نظرة إلى القيم المادية الباطنية .. وبكلمة مختصرة فإنّ النصّ يشير إلى قيمة مادية في غاية الأهمية بطن الأرض في قرقيسيا تكون مدعاة إلى صراع عنيف .. وفي بعض النصوص إشارة إلى جبلٍ من ذهبٍ وفضّة (وغير بعيد أن هذا الإستعمال مقصود منه بيان الثروة النفيسة بلسان تاريخي .. من تلك النصوص ما روي عن رسول الله (ص) أنّه قال :

يحسر الفرات عن جبل من ذهب
فيقتل الناس عليه فيقتل من كل مئة تسعون أو
قال : تسعة وتسعون كلهم يرى أنه ينجو ..¹

النصّ يسجّل أنّ الصراع يكون عنيفاً تخوضه القوى بأدوات عسكريّة ، وتكون الإبادة البشريّة كبيرة جداً ، إلى درجة لا ينجو فيها من كلّ " مائة إلا عشرة " أو من كلّ " ١٠٠ إلا ٩٩ " حسب التردّد في لسان الراوي ، أو هو إشارة إلى كثير القتل والعنف والموت وإزهاق الأرواح ، وهو تعبير وصياغة بيانيّة جيّدة في الإشارة إلى ذلك الواقع .. وفي لفظٍ آخر موافق لما ورد أعلاه أضيف إليه :

فيه من ذهب وفضة ، فيقتل عليه من
كل تسعة سبعة فإن أدركتموه فلا تقربوه ...

¹ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٨٢ - ٢٠٨٠٤

وفي لفظٍ متممٍ أيضاً عن النبيِّ (ص) جاء فيه :

تدوم الفتنة الرابعة إثني عشر عاماً ، تنجلي
حين تنجلي وقد أحسرت الفرات عن جبل من ذهب ،
فيقتل عليه من كل تسعة سبعة ..^١

وفي نصٍّ إضافيٍّ أيضاً يشير إلى صراع الكيانات على الثروة والأموالِ روى أرطاة
عن كعب آتة :

يكون ناحية الفرات في ناحية الشام أو بعدها
بقليل مجتمع عظيم ، فيقتتلون على الاموال ، فيقتل من
كل تسعة سبعة وذلك بعد الهدة والواهية في شهر
رمضان ، وبعد افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد
منهم الملك لنفسه فيهم رجل اسمه عبد الله ...^٢

وفي عقد الدرر لفظ آخر جاء فيه :

يكون بناحية الفرات في فتنة الشام من شهر
رمضان ..^٣

وفي الرواية عن عمّار بن ياسر :

فيتبع عبدُ اللهِ عبدَ اللهِ ،
فتلتقي جنودهما بقرقيسيا على النهر ،

^١ م . س .

^٢ ابن حماد : ص ٩٢

^٣ ص ٥٨ ، ٤٤ عن ابن حماد

فيكون قتال عظيم ،
ويسير صاحب المغرب ،
فيقتل الرجال ويسبي النساء ،
ثم يرجع في قيس ،
حتى ينزل الجزيرة إلى السفياي ،
فيتبع اليماني فيقتل قيسا بأريحا ،
ويحوز السفياي ما جمعوا ،
ثم يسير إلى الكوفة ،
فيقتل أعوان آل محمد ،
ثم يظهر السفياي بالشام على الرايات الثلاث ،
ثم يكون لهم وقعة بعد قرقيسيا عظيمة ،
ثم يفتق عليهم فتق من خلفهم ،
فيقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان ،
وتقبل نخيل السفياي كالليل والليل ،
فلا تمرّ بشيء إلا أهلكته وهدمته ،
حتى يدخلون الكوفة ،
فيقتلون شيعة آل محمد ،
ثم يطلبون أهل خراسان في كل وجه ،
ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي ،
فيدعون له وينصرونه ..^١

^١ ابن حماد : ص ٨٢

أقول : النصّ يشير إلى الجبهات وحركتها ، إلى المواجهات ومحاورها ، إلى خلافٍ على المال والثروة في منطقة تقع في مثلثٍ سوري تركي عراقي ، وهو واضح فيما أشرنا إليه من قبل من ظهور بارز لأعوان آل محمد ، ومن إنتصار راية أهل المشرق الخراسانية للمهديّ والدعوة إليه ، بل هو يوفّق بين ما أشرنا إليه من راية أهل المشرق وأنّ بها المهديّ ، أي أنّهم يدعون للمهديّ الذي يخرج فيقود جبهةً كبرى ، تفتح العالم فيما بعد .. كما يشير إلى التعدّد الجبهوي ، إلى تعدّد الكيانات والمحاور ، إلى تعدّد الحروب والفتن ، إلى توسّع الحرب وجهاتها . ويظهر من النصّ أنّ السفياي يكون على جبهة كبيرة ، ويظهر في دمشق على رايات ثلاث ، ويتوسّع في احتلال المناطق حتى يقصد الكوفة لقتل أعوان آل محمد ويضع في سلّم أولوياته القضاء على الراية المشرقية ، من هنا فإنّه يخرج في طلب أهل خراسان في كلّ جهة ، فيخرج أهل خراسان في طلب المهديّ ، فيدعون له وينصرونه ، ما يعني أنّ زمن الحروب يتوسّع ، وربما يكون هو المقصود في تعبير الحقّ المراد في طلب أهل المشرق الذي لا يعطونه .. المهمّ أنّ حقاً للراية المشرقية سواء كان مالياً أو سياسياً أو عقائدياً يُنتهك من قبل فئة وكيانٍ آخر فيطلبه أهل المشرق فلا يُعطونه فيضعون سيوفهم على عواتقهم فيقاتلون فينتصرون .. لكنّ طبيعة الإنتصار ومحوره وزمنه غير محدّد هنا ، بل مفاد النصّ هنا الإشارة إلى السفياي الذي يخوض حرباً ضروساً ناجحةً في عملية التوسّع والسيطرة على مناطق حيوية في جهتي الجغرافيا السياسية والجغرافيا الإقتصادية .. أمّا من هو عبد الله وعبد الله الآخر ؟ ومن هو صاحب المغرب ؟ فلا تفصح الرواية على أكثر من ذلك من هويتهما .. نعم في غيبة الطوسي حديث مرسل عن كعب الاحبار فيه :

إذا ملك رجلٌ من بني العباس ، يقال له عبد
الله ، وهو ذو العين بما افتتحوا وبها يختمون ، وهو
مفتاح البلاء ، وسيف الفناء ، فإذا قرئ له كتاب
بالشام من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين لم تلبثوا أن
يبلغكم أن كتاباً قرئ على منبر مصر من عبد الله عبد
الرحمن أمير المؤمنين ...^١

وفي حديثٍ آخر قال :

الملك لبني العباس حتى يبلغكم كتاب قرئ
بمصر من عبد الله بن عبد الرحمن أمير المؤمنين وإذا كان
ذلك فهو زوال ملكهم وانقطاع مدتهم ، فإذا قرئ
عليكم أول النهار لبني العباس من عبد الله عبد الله أمير
المؤمنين ، فانتظروا كتاباً يقرأ عليكم من عبد الله عبد
الرحمن أمير المؤمنين . وويل لعبد الله من عبد الرحمن .^٢

لكن ربّما لا يستفادُ من هذين النصين الأخيرين ارتباطاً واضحاً بينهما
وبين عصر الظهور كما في نصّ ابن حماد الواردِ أعلاه ، بل هو لا ينص على أن
هذين الحاكمين يكونان في عصر المهدي (ع) كما في حديث ابن حماد . أقول :
ربّما هناك فارق بين هذه الأسماء ، لجهة أنّ الزمنَ المتّصل بالغيبة والظهور مختلف
عن غيره ، من هنا فلا يكون أحدهما متتمّماً للآخر ، لكن لعدم الإمام التفصيلي

^١ ص ٢٦٩

^٢ د . م .

في ذلك الزمن وما سيقع به وما هو المراد من تسميات مثل العباسي وغيره لأن النصوص واضحة في الإشارة والكناية وشبه ذلك لذا أوردت مثل هذه النصوص كلسان تاريخي مأخوذ على نحو ناظر إلى العالم في شقه الزمني القادم .. والنصوص الكثيرة واضحة الإشارة في أن فتناً متوسعة تقع في بلاد الشام ، وبعضها يكون لأسباب مالية وباطنية كالذهب والفضة (ثروة باطنية) أو ما هو متصل بمعنى المعادن .. ومنها ما يكون لأسباب سياسية وتوسعية .. ويكون من بين تلك الطائفة الجبهوية راية السفيناني وراية أهل خراسان كندي صراع ، في ظل قوة للسفيناني بارزة وواسعة ، تحتل أكثر من جهة ودولة ، وتعمل على الفتك والقتل وتصفية أعوان آل محمد ، لكن في ظل دولة خراسانية قوية أيضاً ..

ويظهر أنه في ذلك الزمن الخطير ، تبدو الأمور على نحو متسرع في عالم غير مستقر من الناحية الأمنية حيث تختلف الرايات وتتوسع الحروب ، وتتداخل الجبهات ، وتظهر مجموعة متقدمة من الشواهد فإذا تحققت العلامات القرية للظهور نودي في السماء باسم المهدي عليه السلام ، وفي الرواية عن أبي إمامة قال :

لينادين باسم رجل من السماء لا ينكره الدليل
ولا يمتنع منه العزيز ..^١

بل في الحديث عن سلمة بن أبي سلمة ، عن شهر بن حوشب قال : قال رسول الله في المحرم ينادي مناد من السماء : ألا إن صفوة الله من خلقه فلاناً ، فاسمعوا له وأطيعوا (يعني الإمام المهدي) في سنة الصوت والمعمة ..^١

^١ ابن أبي شيبة : ١٥٠ ص ٢٤٦ - ١٩٦٠

وفي الرواية عن النبي (ص) :

تكون آية في شهر رمضان ،
ثم تظهر عصابة في شوال ،
ثم تكون معمعة في ذي القعدة ،
ثم يسلب الحاج في ذي الحجة ،
ثم تنتهك المحارم في المحرم ،
ثم يكون صوت في صفر ،
ثم تنازع القبائل في شهري ربيع ،
ثم العجب كل العجب بين جمادى ورجب ،
ثم ناقة مقتبة ، خير من دسكرة تغل مائة ألف .^٢ (أي
ثم تضطرب الامور بعد رجب ويفقد الامن حتى تكون
وسيلة السفر والفرار خيرا من الاملاك الثابتة أي خير
من الدسكرة وهي المزرعة) .

وفي لفظٍ آخر عن علي بن رباح عن ابن مسعود لم يسنده قال : تكون
علامة في صفر ، ويتبدأ نجم له ذناب ... وقال ابن لهيعة أخبرني عبد الوهاب بن
بخت عن مكحول قال قال رسول الله (ص) :

في السماء آية لليلتين ،
خلت أو تبقيان ،

^١ ابن حماد : ص ٩٣

^٢ ابن حماد : ص ٥٩

في شوال المهمة ،
وفي ذي القعدة المعجمة ،
وفي ذي الحجة التزايل ،
وفي المحرم وما المحرم .
قال عبد الوهاب بن بخت :
وبلغني أن رسول الله (ص) قال :
في رمضان آية في السماء كعمود ساطع ،
وفي شوال البلاء ،
وفي ذي القعدة الفناء ،
وفي ذي الحجة ينتهب الحاج ،
والمحرم وما المحرم ...
_ وفيها : عند عن سعيد بن المسيب قال ولم يسنده
أيضا : يأتي على المسلمين زمان ،
يكون فيه صوت في رمضان ،
وفي شوال تكون مهمة ،
وفي ذي القعدة تنحاز فيها القبائل إلى قبائلها ،
وذو الحجة ينتهب فيه الحاج والمحرم وما المحرم ..
_ وعن سلمة بن أبي سلمة عن شهر بن حوشب قال :
بلغني أن رسول الله (ص) قال :
يكون في رمضان صوت ،
وفي شوال مهمة ،
وفي ذي القعدة تحارب القبائل ،

وفي ذي الحجة ينتهب الحاج ،
وفي المحرم ينادي مناد من السماء ألا إن صفوة الله من
خلقه فلانا ، فاسمعوا له وأطيعوا " (أي المهديّ) ..
— وفيها : عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن
النبي (ص) قال :
يكون صوت في رمضان ،
ومعمعة في شوال ،
وفي ذي القعدة تحارب القبائل ،
وعامئذ ينتهب الحاج ،
وتكون ملحمة عظيمة بمنى ،
تكثر فيها القتلى ،
وتسيل فيها الدماء ،
وهم على عقبه الجمرة ..^١

ويظهر منها أنه قبل ظهور المهديّ تكثُرُ الفتن والحروب ويُنتهبُ الحاج ،
وتقع الملاحم ، ويقوى الخلافُ على الملك ، وتكون فتن على المال والسلطان ،
وتجوب الحروب في المناطق والبلدان ، وتتجسّد مجموعة من ظواهر وشواهد ،
منها علامات كونيّة وأخرى ذات صلة وسبب بالسلوك البشري .. من تلك
العلامات : ظهور آية في رمضان بالسماء وفي بعض النصوص أشار إلى أنّها
كعمود ساطع ، أمّا في شوال فيكون شوال البلاء (من مظاهر الفتن) وفي ذي
القعدة يكون الفناء (القتل والموت وغيره ..) وفي ذي الحجة ينتهب الحاج

(إشارة إلى عدم الإستقرار واختلال الأمن وبروز معالم خطيرة من الفتن والسلب والنهب وما يتصل به من عنف ..) وفي المحرم وما المحرم ، ينادي مناد من السماء ألا إن صفوة الله من خلقه فلاناً ، فاسمعوا له وأطيعوا " (أي المهديّ) .. وبهذا تبدأ مرحلة مختلفة من زمن الإنسان ، مرحلة تعتبر المفصل الأهم في مصير العالم الجديد .. وهو (أي النصّ) واضح الإشارة إلى أنه قبيل ظهور المهدي يحدث في العالم نوع من الفتن والملاحم المخيفة والعنيفة والواسعة يكون على أثرها البلاء والعذاب والفناء وشبه ذلك ..

أقول : في بعض التعابير الواردة بتمنّ النصوص اختلاف في العلامة لكنها متّفقة في أصل المطلب العام ففي بعضها أنّ في شهر رمضان الصوت ، وفي شوال مهمة ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل وفي ذي الحجة ينتهب الحاج ، وما إلى ذلك من تعابير ، لكنها كلّها متّفقة على موعدٍ ومحطّةٍ إستثنائيةٍ مع مثل هذه الشهور ، حيث تتضمّن الإشارة إلى علاماتٍ كونيةٍ مرّة ، وظواهر من ظلم وفتن وملاحم يكون مصدرها الإنسان مرّة أخرى . ثمّ بعد ذلك تضيف النصوص أنّ العجب كل العجب بين جمادى ورجب .. ! إشارة إلى العجب العجاب وفق مقاييس ذلك الزمن .. من هنا يشير النصّ إلى أنّ الإعتماد على وسيلة ناقلة للهروب خير من الثبات والإستقرار في البلاد ، لشدة الفتن والهرج والمرج والظلم الذي يقع حيث تكثر القتلى وتسيل الدماء كما في أكثر من تعبير ..

والثابت أنّه قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام يعمّ الجور والفساد السياسي والاقتصادي ويتجلى في كثير من صورهِ بصراعٍ عسكريٍّ وعُنْفٍ مسلّحٍ هائلٍ وواسعٍ إلى حد دخول العالم في نحوٍ كبيرٍ من اللإستقرار الأمني ، وعلى نحوٍ خطير ، فتكثر الفتن ، وتنتشر الملاحم ، ويكثر الحكمُ بالباطل ، وتحتاجُ الفتنُ

بعنفها العالم .. وعليه : قبيل ظهور المهديّ تظهر علامات وآيات كبرى ، يكون بعدها ظهور المهديّ (ع) في ظلّ فتنٍ جامحة ، وملاحم هائلة ، وموتٍ واسعٍ ، وقتلٍ مقصودٍ ، وباطلٍ حاكمٍ ، وأممٍ تننّ من الإحتكارِ مرّةً والقتلِ مرّةً أخرى بل في الحديثِ عن محمد بن الحنفية قال قال أمير المؤمنين (ع) : سمعت رسول الله (ص) يقول في حديثٍ طويلٍ بفضل أهل البيت (ع) :

وسيكون بعدي فتنة صماء صيلم ،
يسقط فيها كل وليجة وبطانة ،
وذلك عند فقدان شيعتك الخامس من السابع من ولدك ،
يحزن لفقده أهل الارض والسماء ،
فكم مؤمن ومؤمنة متأسف متلهف حيران عند فقده ،
ثم أطرق مليّاً ثم رفع رأسه وقال :
بأبي وأمي سمي وشبيهي وشبيه موسى بن عمران ،
عليه جيوب النور - أو قال : جلايب النور تتوقد من شعاع
القدس ،

كأني بهم آيس من كانوا ،
ثم نودي بنداء يسمع من البعد كما يسمع من القرب ،
يكون رحمة على المؤمنين ،
وعذابا على المنافقين ،
قلت : وما ذلك النداء ؟
قال : ثلاثة أصوات في رجب ،
أولها ألا لعنة الله على الظالمين ،

والثاني أذفت الآزفة ،

والثالث ترون بدرياً بارزا مع قرن الشمس ينادي :

ألا إن الله قد بعث فلان بن فلان حتى ينسبه إلى علي فيه هلاك

الظالمين ،

فعند ذلك يأتي الفرج ،

ويشفي الله صدورهم ،

ويذهب غيظ قلوبهم ،

قلت يا رسول الله فكم يكون بعدي من الائمة ؟

قال : بعد الحسين تسعة والتاسع قائمهم ..^١

وتكشفُ النصوصُ أنَّ ظهورَ الإمامِ المهديِّ يكونُ بزمنٍ فيه اختلافٌ وعنفٌ شديدٌ .. وحسبِ النصوصِ فإنه يكونُ اختلافٌ أُمِّيٌّ بينِ الكياناتِ ، فضلاً عن الإختلافِ على المُلْكِ (أي على سلطانٍ وكرسيٍّ وشرعيَّةٍ ما) يضافُ إلى ذلك الإختلافُ والإقتتالُ على المالِ ، كما في الإختلافِ على المعادنِ الباطنيَّةِ كما بيَّنا فيما سبق من النصوصِ التي تشيرُ إلى اختلافٍ وقتالٍ وحروبٍ على كنزٍ وجبلٍ من ذهبٍ وفضَّةٍ ، ومالٍ وثروةٍ وشبه ذلك ..

وعليه تكونُ الفِتْنُ ظاهرةً ومتوسِّعةً تجتاحُ البلادَ في ظلِّ تعدُّدِ جبهويٍّ وما يميِّزُ بعضَ النصوصِ في بعضِ المفاصلِ الزمنيَّةِ الكبرى أنها تشيرُ إلى أنَّه يقعُ اختلافٌ عند موت خليفةٍ ويظهرُ منها أيضاً أنها تكونُ بعد العلاماتِ الكونيَّةِ البارزةِ أو على الأقلِّ بعد بعضها ... ففي الحديثِ عن النبيِّ (ص) قال :

^١ كفاية الأثر : ص ١٥٦

يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج
رجل (المهدي) من المدينة فيأتي مكة ، فيستخرجه
الناس من بيته وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ،
فيبعث إليه جيش من الشام ، حتى إذا كانوا بالبيداء
خسف بهم ، فيأتيه عصائب العراق (الجماعات القليلة
العدد) وأبدال الشام فيبايعونه ، فيستخرج الكنوز
ويقسم المال ، ويلقي الاسلام بجرانه إلى الارض (أي
يتمكن في الارض ويستقر) يعيش في ذلك سبع سنين
أو قال تسع سنين ...¹

وكما في غيره من النصوص يشيرُ النبي إلى المهدي (ع) بل في بعضها
تصريح كامل في ذلك .. وفي نص آخر بسندٍ مروى عن أم سلمة جاء فيه :

.. من المدينة هارب إلى مكة ، فيأتيه ناس من
أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه ، فيبعث
إليهم جيش من الشام ، فيخسف بهم بالبيداء ، فإذا
رأى الناس ذلك ، أتته أبدال الشام ، وعصائب العراق
فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث
إليه المكّي بعثاً فيظهرون عليهم ذلك بعث كلب ،
والخبيّة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل

¹ عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٧١ - ٣٧٦

في الناس سنة نبيهم (ص) يمكث تسع سنين .. قال : أو
سبع ..^١

والذي يظهر منها ومن غيرها أن ظرف ظهور المهديّ يكون في زمن
تغيراتٍ وخلافٍ في الحجاز واخلالٍ أمنيّ كبيرٍ متدهورٍ جداً ، بل في بعضها إشارة
إلى قتلٍ ونهبٍ وملحمةٍ تكون في منى كتعبيرٍ عن الخللِ الواسع ، وفي الحديث عن
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (ص) :

في ذي القعدة تحارب القبائل ، وعامئذ ينهب
الحاج ، فتكون ملحمة بمعنى فيكثر فيها القتلى وتسفك
فيها الدماء ، حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة ،
حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبايع
وهو كاره ، ويقال له : إن أبيت ضربنا عنقك ، فيبايعه
مثل عدة أهل بدر ، ويرضى عنه ساكن السماء
وساكن الأرض ...^٢

هذا النصّ يتضمّن إشارة مفادها إكراه المهديّ على الخروج ، وهو تعبير
مجازي أكثر منه حقيقي ، للإشارة إلى الوضع الأمنيّ الخطير والمزعزع .. فبطبيعة
الحال الإمام المهديّ (ع) معدّ لأن يخرج بإذن الله تعالى ، وهو المخوّل لإقامة
حكم العدل والقسط في العالم .. من هنا فإنّ تفسير إكراه المهديّ لا يمكن أن
يكون إلا على نحوٍ من ظروف الحال وواقع البلد وشبه ذلك .. ويفسّر ذلك

^١ أحمد : ج ٦ ص ٣١٦ بسند آخر

^٢ ابن حماد : ص ٣٩

التريث شدة الإختلاف والقتال الذي يكون بين القبائل والأحزاب في تلك الفترة التاريخية ، إلى درجة ينشبُ فيها إقتتالٌ عنيف لطلب الحكم وشبه ذلك ، وفي الحديث عن أرطاة قال :

إذا كان الناس بمخى وعرفات ، نادى مناد بعد أن تحارب القبائل ألا إن أميركم فلان ، ويتبعه صوت آخر ، ألا إنه قد كذب ، ويتبعه صوت آخر ألا إنه قد صدق ، فيقتتلون قتالاً شديداً ، فجعل سلاحكم البراذع وهو جيش البراذع ، وعند ذلك ترون كفاً معلقة في السماء ، ويشتد القتال حتى لا يبقى من أنصار الحق إلا عدة أهل بدر ، فيذهبون حتى يباعدون صاحبهم ...¹

إشارة واضحة إلى إختلاف على " مُلك " ، على سلطةٍ سياسيّة ، على كرسيّ حكم ، وكلّ فريقٍ ينتصرُ لأمرٍ معيّن ، يحاول أن يغيّر الحجج السياسيّة وفق مقاييس المواثيق هناك لصالحه .. في ظلّ ظروفٍ لا يمكن تفسيرها إلا بالمستعدّة للحرب . وهذا تعبير عن مناخٍ وبيئةٍ مستعدّة للقتال ، ومتحضّرة له ، من أجل كرسيّ الحكم ... وحين يفوز طرف دون آخر في السيطرة على كرسيّ الحكم تقع الفتنة وتتحوّل إلى حربٍ وقتال .. ولقد تكرّر هذا المضمون من قتال القبائل في أكثر من نصٍّ وبإشارةٍ حيّةٍ وتامةٍ إلى ذلك .. ففي لفظ الرواية عن شهر بن حوشب قال :

يكون في شعبان صوت ، وفي رمضان هادة ،
وفي شوال معمعة ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل ،
وفي ذي الحجة يسلب الحاج وفي المحرم يقولها ثلاثا ،
وفي صفر الاصفار يقتل كل جبار عند مجتمع الائمة .
وقال : العجب كل العجب ، قالها ثلاث مرات ، بين
جمادى ورجب ...^١

وعن نفس الراوي أيضاً قال :

كان يقال : في شهر رمضان صوت ، وفي
شوال همهمة ، وفي ذي القعدة تميز القبائل ، وفي ذي
الحجة يسفك الدماء ، وينتهب الحاج في المحرم ، أما لو
حدثتكم ، فقليل له : ما الصوت ؟ قال : هدة من
السماء توقظ النائم ، وتفزع اليقظان ، وتخرج الفتاة
من خدرها ، ويسمعه الناس كلهم ، فلا يجئ رجل من
أفق من الآفاق إلا حدث أنه قد سمعه .^٢

ويظهر من الروايات المتعلقة بهذا النزاع أن الخلاف ينشأ بعد موت
خليفة متفق عليه ، فلا يتم عندئذ أي انتقال للسلطة بشكل هادئ .. ولسبب لا
تشير الروايات إليه يتنازع فريقان كرسى الحكم هناك ، كل يصبر على شرعية
موقفه وبطلان شرعية الآخر من دون حسم للموقف ، ويظل الأمر كذلك إلى

^١ ملاحم ابن المنادي : ص ٣٩

^٢ ن . م .

موسم الحجّ ، فيحجّ النَّاسُ معاً ، ويقفون على عرفات ، من دون أمير أو خليفةٍ معيّن أو متّفق عليه في ظلّ معسكرين متناحرين ، حتى إذا نزل الحجاج بمخى ، هناك يصل الوضع السياسي إلى حافة الانفجار ، حين يتغلّب طرف على الآخر في التنادي إلى خليفةٍ ما ، وبطبيعة الحال هذا يعني أنّ الإستعداد العسكري بين الفريقين قبل هذا الموقف كان في تسابقٍ حميمٍ وعلى نحوٍ حاشدٍ ، فينتصر فريق لنفسه بأحكامٍ فيعارضه الفريق الآخر ، فتصل النوبة إلى الإقتتال والإقتتال الحادّ ..
وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال :

يحجّ الناس معاً ، ويعرفون معاً على غير إمام ،
فبيناهم نزول بمخى إذ أخذهم كالكلب (بفتح اللام داء
الكلاب المعروف أي يغيرون بقتال بعضهم في الحرم
كأنه أصابهم داء الكلب) فثارت القبائل بعضها إلى
بعض واقتتلوا حتى تسيل العقبة دماء ، فيفرعون إلى
خيرهم (المهديّ) فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة
بيكي ، كأنّي أنظر إلى دموعه ، فيقولون هلم فلنبايعك
فيقول ويحكم ، كم عهد قد نقضتموه ، وكم دم قد
سفكتموه ، فيبايع كرها ، فإذا أدركتموه فبايعوه ، فإنه
المهديّ (ع) في الارض والمهدي في السماء ..¹

أقول : في ذيل هذه الرواية إيضاحٌ مُجملٌ لنموذجٍ من احتجاج الإمام
المهديّ (ع) على القوم قبل أخذ البيعةٍ ... من هنا يكون تعبير " مُكره " مأخوذ

¹ الحاكم : ٤٠٣ - ٥٠٤

على نحو ظرفي واضح .. مع كل ما يتضمنه النص من إشارة إلى فتن واقتتال
وخلل أمني ونزاع على ملك ، وفراغ في سدة الحكم . ويظهر من النصوص أن
هذه الواقعة تكون على مسافة قريبة جداً من إعلان الظهور المبارك للمهدي عليه
السلام .. وتجدر الإشارة إلى أن بعض النصوص تشير إلى أن المهدي يأتي مكة
من المدينة ، وفي الرواية عن النبي :

إن المهدي يخرج من المدينة إلى مكة ،
فيستخرجه الناس من بينهم ، فيبايعونه بين الركن
والمقام ، وهو كاره ..^١

ثم إن بيعة المهدي تتم على أثر خلاف وفتنة واسعة هناك كنا قد أشرنا
إلى نموذج روائي يبينها . لكن بيعته تكون سلماً ، وفي الرواية : يبايع المهدي بين
الركن والمقام ، لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً ..^٢

وتكون البيعة للمهدي عليه السلام بين الركن والمقام . ففي الرواية عن
حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله (ص) :

يبايع له الناس (للمهدي) بين الركن والمقام
يرد الله به الدين ويفتح له فتوح ، فلا يبقى على وجه
الأرض إلا من يقول : لا إله إلا الله .. وفي لفظ^٣

^١ ابن حماد : على ما في عرف السيوطي

^٢ ابن حماد : ص ١٤ وقال " أخرجه الامام أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن " وفيه " للمهدي " . وفي : ص ٢٢٦ ، ٩ ف
^٣ وقال " أخرجه الامام أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن " . * : عرف السيوطي ، الحاوي : ج ٢ ص ٧٦ عن ابن حماد . *
: القول المختصر : ص ١٩ ، ٢ ، ٣٠ كما في ابن حماد ، ملخصاً . * : اثريهان المثقفي : ص ١٤٤ ، ٦ ، ٩ عن عرف السيوطي ،
الحاوي .

تفصيلي في نسب المهدي عن حذيفة أيضاً قال : فقال
سلمان : من أي ولدك هو (أي المهدي) ؟ فقال
(ص) : من ولد ابني هذا ، وضرب على الحسين ..^١

لكن هل بيعة المهدي تكون على عجل .. ؟ ما يعني أن الأوضاع الأمنية
تبرر ذلك .. ؟ الظاهر المحمل من الروايات أن بيعة المهدي تتم في زمنٍ ووضعٍ
مضطربٍ جداً ، وبعد أن تتم بيعته يعمل أعداؤه على شن حملة عنيفة عليه
فيعمدون إلى تجييش الجيوش محاولة منهم لاستحلال البيت الحرام وطعن بيعة
المهدي والعمل على إجهاض أولى جبهاته المباركة .. وفي الحديث عن رسول الله
(ص) قال :

يباع لرجل بين الركن والمقام ، وأول من
يستحل هذا البيت أهله ، فإذا استحلوه فلا تسأل عن
هلكة العرب ، ثم يجيء الحبشة (تعبير تاريخي دقيق يُراد
منه الإشارة إلى معنى متصل بزمن المعصوم مع صلة
بعنوان من هذه التسمية) فيخربونه خراباً لا يعمر بعده
وهم الذين يستخرجون كنزه ...^٢

والثابت أن أكثر من إنتفاضة مسلحة تحاول أن تقضي على جبهة المهدي
في مهدها ، بل تصل الأمور إلى حد الإستنجد بأكثر من راية وجبهة خارج مكة
والمدينة ، كما المقصود من هذا الحديث بخصوص استحلال البيت هو استحلال

^١ ابن النادي : علي ما في فوائد فوائد الفكر . * : عقد الدرر : ص ٢٢٢ ، ٩ ، ٣ عن أبي الحسن الرضي المالكى ..

^٢ الطيالسي : ص ٣١٣ ، ٣١٢ ، ٢٤٧٣

السفياي وأعداء المهدي عليه السلام لحرمة ومحاولتهم غزو مكة أما تخريب الحبشيين للبيت فهو مخالف لما ورد من بقاء البيت والكعبة المشرفة قائمة إلى يوم القيامة ، وقد ورد شبيه لهذا الحديث في أحاديث عيسى عليه السلام وأحاديث الدجال وأن عيسى (ع) يدفع الحبشة عن البيت ، وهي أحاديث غريبة من هذه الجهة ومعارضة لما هو ثابت ، فكان لا بدّ من التوضيح للضرورة .. إذاً ، من كلّ هذه النصوص يتبيّن أنّ ظهور المهديّ يصحبه نوعان من الإشارات والعلامات . الأولى علامات كونيّة . والثانية ظاهرة ذات اتصال بسلوك البشر من حربٍ وفتنٍ وخلافٍ وعنّفٍ وصولاً إلى علامة الإقتتال على الحكم بعد موت خليفة .. ويظهر منها أنّ العالم وقتئذ يكون على نحوٍ من تعدّد الجبهات والكيانات في ظلّ صراعٍ محموم ..

وعن شروط دولة المهديّ (ع) وبيئة الظهور وبناء قوّته ، وشبه ذلك تشير النصوص العديدة إلى أنّ أمر المهديّ يتمّ وعلى نحوٍ سريع ، أي تتأمّن أسباب القوّة والنفوذ المهدويّة بطريقة متصاعدة بشكلٍ عالٍ ، من تلك النصوص ما أشار إليه النبيّ (ص) قائلاً :

إنّ الله تعالى يصلح أمر المهديّ (ع) في ليلة واحدة .. بل في الحديث عن الإمام عليّ (ع) قال قال رسول الله (ص) : المهديّ منا أهل البيت ، يصلحه الله في ليلة ..¹

¹ ابن أبي شيبة : ج ١٥ ص ١٩٧ - ١٩٤٩٠

وفي أكثر من رواية عن أهل البيت (ع) في بيان معنى إصلاح أمر المهديّ (ع) تشير إلى تمكينه من الأسباب بشكل متسارع ، بل عن الإمام الصادق (ع) في شرح الحديث الشريف أنّ الله يهيئ له أسباب نصره ، وأداء مهمته الكبرى ، في إقامة حكم العدل وفق معاني الشريعة الإسلامية . وهذا بطبيعة الحال يتصل بكل ما له أثر في قيام دولة المهديّ منهيئة البيئة العالمية والجبهات ، وأمة المهديّ ومناخ الحكم ، بل الإعداد لكل ما يتصل بمهمة المهديّ وقيام دولته ونشر السلام والعدل في العالم ، والقضاء على الفراعنة وأئمة الجبروت في كل منظومة العالم السياسي .. وقد مضت بعض النصوص في إشاراتها المباركة حول نصره المهديّ وخروجه ونفاذ أمره وشبه ذلك وكلها متفقة على أنّ المهديّ يكون على رأس جبهة نافذة قادر تمييز عن كل جبهات العالم السياسيّة العسكرية ، بل يظهر من الروايات أنّ الجبهات تعمل جاهدة للحؤول دون نفوذ المهديّ بما في ذلك جبهة الروم والترك والسفياي والدجال وغيرها ، ومع كل هذا تظلّ جبهة المهديّ على قوة ونفاذ مع كل ما يطالها من حرب وقتال وتحالفات دولية تريد استئصالها إلى أن تحكم الأرض بشكل كامل ونهائي ..

ولا يغيب عن الذهن أنّ فكرة المهديّ قبل ظهوره تُحارب بأشدّ الأسلحة فتكاً ، عبر دعاية واسعة ، إلى درجة يُقال فيها قتل أو هلك ، في أيّ واد سلك .. بحيث يكون ظرف العالم قبيل ظهور المهديّ محكوماً بيئته خطيرة تشنّ دعاية جبّارة لتنال من المهديّ وظهوره ، وتحاول أن تحيل الأمر إلى مجرد خيال ليس أكثر ، بل في الرواية عن عبد الله بن العباس قال :

يبعث الله المهدي (ع) بعد أياس ، وحتى يقول
الناس لا مهدي .. أنصاره يسرون إليه .. حتى

يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا فيبايعونه
كرها ، فيصلي بهم ركعتين صلاة المسافر عند المقام ،
ثم يصعد المنبر ...^١

ولقد ردّدت النصوص هذه العناوين من ظاهرة التأسيس التي تشنّها
القوى الجبارة لطوي صفحة المهديّ عن الألسن والأذهان ، لكن ظاهرة المهديّ
تظلّ أقوى من كلّ هذه العناوين ، نعم تنال الدعاية من كثيرٍ من الناس إلا أن
ذلك لا يصل إلى مستوى إلغاء ما بشرّ به النبيّ (ص) من أنّ الله يصلح الأرض
بالمهديّ (ع) .. وعليه : يبدو العالم مضطرباً ، منغمساً ، مصراً على ربوبية
الذات والمادّة والغريزة دون الله ، في ظلّ خريطة متحركة من العنف والعنف
المضاد ، من الحرب والحرب العكسيّة ، من الطمع في المال والثروة والصراع على
مواقع ذات بُعدٍ استراتيجي .. في حين تتعدّد الجبهات في صراعها وعنفها
واقتيالها ، لكن مع ظهور المهديّ تبدأ المعالم الدوليّة في إعادة تكريس مفهوم
مختلف ، مفادُهُ أنّ المهديّ يشكلّ خطراً عالمياً ، خاصّة أنّ المهديّ وبسرعة عاليةٍ
مؤيّدٍ من الله يتمكّن من جمع أسباب القوّة .. ويتردّد على ألسن العالم آنذاك
بطرقٍ مختلفة أنّ المهديّ يشكلّ الخطر الأكبر على المصالح الدوليّة للكيانات
والجبهات ، من هنا يعمل السفيري والروم والدجال وغيرهم كثير من الألوية على
اعتبار المهديّ العنوان الأخطر على مصالحهم فيخوضون في وجهه صراعاً واسعاً
بهدف إجهاض حركته المباركة .. ومنذ تلك اللحظات يبدو العالم بهويّة أخرى
حيث تبدأ مرحلة مختلفة من سماع خطاب سياسي عقائدي مذهل يتلوّه المهديّ
(روعي فداه) على مسامع أهل الدنيا .. ويقرأ العالم في وجه المهديّ مدرسةً

^١ ابن حماد : ٩٤ على ما في عقد الدرر . * : عقد الدرر : ص ١٢٣ ، ٥

مختلفةً كلَّ الإحتلافِ ، في زمنٍ يحكمهُ الباطلُ العقائدي والمواثيقي والتفسيري ،
وتسيطر عليه مجموعة كبرى من قيم الغريزة التي تصرَّ على بتر أي صلة بعالم
الوجود الأوسع ومنطق الكون ومسيرة البشر التكامليَّة في ظلِّ الله .. وبمجرّد
إعلان البيعة للمهديّ ، يتصدّى المهديّ لإعلان مجموعة من عناوين كبرى هي
من أجلِّ العالم والعدل ، تكون أولى باكورة الخطاب العالميّ والوجه الأسمى في
دولة آلِ محمّد الموعودة .. وهذا ما سنتوقّف عند بعضٍ متونه فيما يأتي إن شاء
الله تعالى ..

وبمجرّد ظهور المهديّ يلازمه قوم من أصحابه تشير إليهم النصوص
بشيءٍ من القداسة والميزة والفرادة .. هؤلاء الأصحاب يباعدونه بين الركن والمقام
وهم الذين يطلبونه هناك ، ويفتّشون عليه من بين الأمم .. ويقصدونه وهم
يُحملون على الغيم وتطوى بهم الأرض (إشارة إلى الأداة ونفوذها في الجوّ والبرّ
في زمن المهدي عليه السلام .. !) ولا شك أنّ كلَّ من يتصفّح ذلك العالم يقرأ
في أولئك الأنصار الكثير من الأهميّة وهم المُعدّون للخروج معه المهديّ (ع) ..

أصحاب المفدي (ع) :

- نموذج القيادة وسط تعقيدات العالم السياسي الأمني .
- حروب الكيانات .
- تنوع الرايات في العالم بين شرقية وغربية ..

أصحاب الإمام المهدي

(نموذج الأصحاب وتعقيبات الجبهات)

ورد في أصحاب الإمام المهدي مجموعة من نصوصٍ أشار بعضها إلى النواحي وبعضها الآخر إلى الصفات ، وطائفة ثالثة ركزت على ظرف الخروج وقصد المهديّ (ع) ، ومنها :

- سُئل الإمام عليّ (ع) عن المهديّ فقال (هيهات - ثم عقد بيده سبعا - فقال : ذاك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل الله الله قتل ، فيجمع الله تعالى له قوما قزع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم ، لا يستوحشون إلى أحد ، ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم ، على عدة أصحاب بدر ، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون ، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر) ..^١

- قال أمير المؤمنين (ع) : إن أصحاب القائم شباب لا كهول فيهم إلا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد ، وأقل الزاد الملح) ..^٢

^١الحاكم : ج ٤ ص ٥٥٤ -

^٢أعلى ما في غيبة الطوسي . * : النعمان : ص ٣١٥ ، ٢٠ ، ١٠ -

- قال (ع) : الابدال بالشام ، والنجباء بمصر ، والعصائب بالعراق ..^١
- قال (ع) : إذا هلك الخاطب ، وزاغ صاحب العصر (أراد صاحب هذا الزمان الغائب الزائع عن أبصار هذا الخلق لتدبير الله الواقع) وبقيت قلوب تتقلب من محصب ومجذب ، هلك اللمنون ، واضمححل المضمحلون ، وبقي المؤمنون وقليل ما يكونون ، ثلاثمائة أو يزيدون ، يجاهد معهم عصابة جاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر لم تقتل ولم تمت ...^٢

- عن الاصبع بن نبأة قال : خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام خطبة فذكر المهدي وخروج من يخرج معه وأسماءهم فقال له أبو خالد الحلبي صفة لنا يا أمير المؤمنين ؟ فقال علي عليه السلام قال أمير المؤمنين (ع) ألا إنه أشبه الناس خلقا وخلقا وحسنا برسول الله صلى الله عليه وآله ألا أدلكم على رجاله وعددهم ؟ قلنا : بلى يا أمير المؤمنين قال (ع) : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال أولهم من البصرة وآخرهم من اليمامة وجعل علي عليه السلام يعدد رجال المهدي عليه السلام والناس يكتبون فقال : رجلا من البصرة ورجل من الاهواز ، ورجل من عسكر مكرم ، ورجل من مدينة تستر ، ورجل من دورق ورجل من الباستان واسمه علي ، وثلاثة من اسمه : أحمد وعبد الله وجعفر ، ورجلان عن عمان محمد والحسن ، ورجلان من سیراف شداد وشديد ، وثلاثة من شیراز حفص ويعقوب وعلي ، وأربعة من أصفهان موسى

^١ الفائق : ج ١ ص ٨٧ - مرسل عن الإمام علي عليه السلام ..

^٢ النعماني : ص ١٩٥ - ١٩٦ ، ١١ - ٤ -

وعلي وعبد الله وغلفان ورجل من أبدح واسمه يحيى ، ورجل من المرج
(العرج) واسمه داود ، ورجل من الكرخ واسمه عبد الله ، ورجل من
بروجرد اسمه قديم ، ورجل من نهاوند واسمه عبد الرزاق ، ورجلان من
الدينور عبد الله وعبد الصمد ، وثلاثة من همدان جعفر وإسحاق
وموسى وعشرة من قم أسماؤهم على أسماء أهل بيت رسول الله صلى الله
عليه وآله ورجل من خراسان اسمه دريد ، وخمسة من الذين أسماؤهم
على أهل الكهف ، ورجل من آمل ، ورجل من جرجان ، ورجل من
هراة ، ورجل من بلخ ، ورجل من قراح ، ورجل من عانة ، ورجل من
دامغان ، ورجل من سرخس ، وثلاثة من السيار ، ورجل من ساوة ،
ورجل من سمرقند ، وأربعة وعشرون من الطالقان وهم الذين ذكرهم
رسول الله صلى الله عليه وآله وفي خراسان كنوز لا ذهب ولا فضة
ولكن رجال يجمعهم الله ورسوله ، ورجلان من قزوين ، ورجل من
فارس ، ورجل من أهر ، ورجل من برجان من جموح ، ورجل من
شاخ ، ورجل من صريح ، ورجل من أردبيل ، ورجل من مراد ،
ورجل من تدمر ، ورجل من أرمينية ، وثلاثة من المراغة ، ورجل من
نخوى ، ورجل من سلماس ، ورجل من أردبيل ، ورجل من بدليس ،
ورجل من نسور ، ورجل من بكرى ، ورجل من سرخيس ، ورجل
من منارجرد ، ورجل من قلقبلا ، وثلاثة من واسط ، وعشرة من
الزوراء ، وأربعة من الكوفة ، ورجل من القادسية ، ورجل من سوزاء ،
ورجل من السراة ، ورجل من النيل ، ورجل من صيداء ، ورجل من
جرجان ، ورجل من القصور ، ورجل من الانبار ، ورجل من عكبرا ،
ورجل من الحنانة ، ورجل من تبوك ، ورجل من الجامدة ، وثلاثة من

عبادان ، وستة من حديثة الموصل ، ورجل من الموصل ، ورجل من
مغلثايا ، ورجل من نصيبين ، ورجل من كازرون ، ورجل من فارقين ،
ورجل من آمد ، ورجل من رأس العين ، ورجل من الرقة ، ورجل من
حران ، ورجل من بالس ، ورجل من قنج ، وثلاثة من طرطوس ورجل
من القصر ، ورجل من أدنة ، ورجل من خمري ، ورجل من عرار ،
ورجل من قورص ، ورجل من أنطاكية ، وثلاثة من حلب ورجلان من
حمص ، وأربعة من دمشق ، ورجل من سورية ، ورجلان من قسوان ،
ورجل من قيموت ، ورجل من صور ، ورجل من كراز ، ورجل من
أذرح ، ورجل من عامر ، ورجل من دكار ، ورجلان من بيت المقدس
ورجل من الرملة ، ورجل من بالس ، ورجلان من عكا ، ورجل من
صور ، ورجل من عرفات ، ورجل من عسقلان ، ورجل من غزة ،
وأربعة من الفسطاط ، ورجل من قرميس ، ورجل من دمياط ، ورجل
من المحلة ، ورجل من الاسكندرية ، ورجل من برقة ، ورجل من طنجة
ورجل من أفرنجة ، ورجل من القيروان ، وخمسة من السوس الاقصى ،
ورجلان من قبرص ، وثلاثة من حميم ، ورجل من قوص ، ورجل من
عدن ، ورجل من علالي ، وعشرة من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله
وأربعة من مكة ، ورجل من الطائف ، ورجل من الدير ، ورجل من
الشيروان ، ورجل من زبيد ، وعشرة من مرو ، ورجل من الاحساء ،
ورجل من القطيف ، ورجل من هجر ، ورجل من اليمامة ، قال عليه
الصلاة والسلام : أحصاهم لي رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثمائة
وثلاثة عشر رجلا بعدد أصحاب بدر يجمعهم الله من مشرقها إلى مغربها
في أقل مما يتم الرجل عيناه عند بيت الله الحرام فبيننا أهل مكة كذلك

فيقولون أهل مكة قد كبسنا السفياي فيشرئبون أهل مكة فينظرون إلى قوم حول بيت الله الحرام ، وقد انجلي عنهم الظلام ولاح لهم الصبح وصاح بعضهم ببعض النجاة ، وأشرف الناس ينظرون وأمراؤهم يفكرون ، قال أمير المؤمنين عليه السلام وكأني أنظر إليهم والنزي واحد والقد واحد والجمال واحد واللباس واحد كأنما يطلبون شيئا ضاع منهم فهم متحIRON في أمرهم حتى يخرج إليهم من تحت ستار الكعبة في آخرها رجل أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقا وخلقاً وحسناً وجمالاً فيقولون أنت المهدي ؟ فيجيبهم ويقول أنا المهدي فيقول بايعوا على أربعين خصلة واشتروطوا عشره خصال ، قال الاحنف يا مولاي وما تلك الخصال ؟ فقال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يبايعون على ألا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا ولا يهتكوا حرماً محرماً ولا يسبوا مسلماً ولا يهجموا منسزلاً ولا يضربوا أحداً بالحق ولا يركبوا الخيل الهماليج ولا يتمنطقوا بالذهب ولا يلبسوا الخز ولا يلبسوا الحرير ولا يلبسوا النعال الصرارة ولا يخربوا مسجداً ولا يقطعوا طريقاً ولا يظلموا يتيماً ولا يخيفوا سبيلاً ولا يحتسبوا مكرماً ولا يأكلوا مال اليتيم ولا يفسقوا بغيلاً ولا يشربوا الخمر ولا يخونوا أمانة ولا يخلفوا العهد ولا يحبسوا طعاماً من بر أو شعير ولا يقتلوا مستأمناً ولا يتبعوا منهزماً ولا يسفكوا دماً ولا يجهزوا على جريح ويلبسون الخشن من الثياب ويوسدون التراب على الحدود ويأكلون الشعير ويرضون بالقليل ويجاهدون في الله حق جهاده ويشمون الطيب ويكرهون النجاسة . ويشترط لهم على نفسه ألا يتخذ صاحباً ويمشي حيث يمشون ويكون من حيث يريدون يرضى بالقليل ويملاً الأرض بعون الله عدلاً كما ملئت

جورا يعبد الله حق عبادته يفتح له خراسان ويطيعه أهل اليمن وتقبل
الجيش أمامه من اليمن فرسان همدان وخولان وجدده بمدد بالآوس
والخزرج ويشد عضده بسليمان على مقدمته عقيل وعلى ساقته الحرث
ويكثر الله جمعه فيهم ويشد ظهره بمضر يسيرون أمامه ويخالف بجيلة
وثقيف ومجمع وغداف ويسير بالجيش حتى يترك وادي الفتن ويلحقه
الحسني في اثني عشر ألفا فيقول له أنا أحق بهذا الأمر منك فيقول له
هات علامات دالة فيومي إلى الطير فيسقط على كتفه ويغرس القضيب
الذي بيده فيخضر ويعشوشب فيسلم إليه الحسني الجيش ، ويكون
الحسني على مقدمته ، وتقع الصيحة بدمشق أن أعراب الحجاز قد جمعوا
لكم ، فيقول السفياي لأصحابه : ما يقول هؤلاء القوم .. ؟ فيقال له
هؤلاء أصحاب ترك وإبل ، ونحن أصحاب خيل وسلاح فاخرج بنا
إليهم . قال الاحنف ومن أي قوم السفياي ؟ قال أمير المؤمنين عليه
السلام هو من بني أمية وأخواله كلب وهو عنبة بن مرة بن كليب بن
سلمة بن عبد الله بن عبد المقتدر بن عثمان بن معاوية بن أبي سفيان بن
حرب بن أمية بن عبد شمس أشد خلق الله شرا وألعن خلق الله حيا
وأكثر خلق الله ظلما ، فيخرج بخيله وقومه ورجاله وجيشه ومعه مائة
ألف وسبعون ألفا فينزل بحيرة طبرية ويسير إليه المهدي عن يمينه وعن
شماله وجبرئيل أمامه فيسير بهم في الليل ويكمن بالنهار والناس يتبعونه
حتى يواقع السفياي على بحيرة طبرية فيغضب الله على السفياي ويغضب
خلق الله لغضب الله تعالى فترشقهم الطير بأجنحتها والجبال بصخورها
والملائكة بأصواتها ولا تكون ساعة حتى يهلك الله أصحاب السفياي
كلهم ولا يبقى على الأرض غيره وحده فيأخذه المهدي عليه السلام

فيذبحه تحت الشجرة التي أغصانها مدلاة على بحيرة طبرية ويملك مدينة دمشق ويخرج ملك الروم في مائة ألف صليب تحت كل صليب عشرة آلاف فيفتح طرسوسا بأسنة الرماح وينهب ما فيها من الاموال والناس ويبعث الله جبرئيل عليه السلام إلى المصيصة ومنازلها وجميع ما فيها فيعلقها بين السماء والارض ويأتي ملك الروم بجيشه حتى يتزل تحت المصيصة ، فيقول : أين المدينة التي كان يتخوف الروم منها والنصرانية فيسمع فيها صوت الديوك ونباح الكلاب وصهيل الخيل فوق رؤوسهم وذكر الحديث) ..¹

وعلى كل ، فالثابت أن للمهديّ عليه السلام أنصاراً كرّرت الروايات الإشارة إلى عددهم ٣١٣ رجلاً ، يظهر منها أن لهم موقعية خاصة وفضلاً مميّزاً ، وهم الذين يكونون بحنب المهديّ أوّل خروجه ، يأتون من الأماكن الموعودة ، منهم من تُطوى به الأرض ، إشارة دقيقة إلى الأداة التي تؤثر في قطع المسافات ، ومنهم من يُحملُ على الغيم ، إشارة مميّزة إلى أداة الجوّ أيضاً .. وهي من الإشارات المأخوذة على نحو يلامس عالم وزمان المهديّ عليه السلام فيما يكون عليه وضع الآلة والأداة والمركبات وشبه ذلك .. وقد أشار النبيّ إلى ذلك منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ، في زمنٍ لم يكن الإنسانُ يعرفُ فيه شيئاً عن جوهرٍ ومنحى تطوّر قدراتِ البشر فيما خصّ التغلب على عاملِ الزمانِ والمكانِ بطرقِ جبّارةٍ ومذهلةٍ .. ! وهذا واحد من أسرارِ نصوصِ أهلِ البيتِ الإعجازيّةِ .. وقد يكون إنتقالهم إعجازياً حسب ظاهر النصّ ..

¹فتن السليبي ؟ على ما في ملاحم ابن طاووس . * : ملاحم ابن طاووس : ص ١٤٥ ، ٧٩ - عن فتن السليبي

- وعنه (ع) : (يخرج من مكة بعد الحسف في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ويلتقي هو وصاحب جيش السفياي وأصحاب المهدي يومئذ جئنهم البراذع يعني تراسهم ، ويسمع صوت مناد من السماء ألا إن أولياء الله أصحاب فلان يعني المهدي وتكون الدائرة على أصحاب السفياي) ..^١

ويظهر من مرويات عديدة أن أصحاب المهدي يلفتون نظر أهل مكة خاصة إذا عطفنا على هذه الروايات تلك التي تحدثت عن خلاف دموي عنيف يحصل بين طرفي نزاع هناك على خلافة الحكم بعد موت الخليفة ، إلى درجة ينشب معها القتال في منى من موسم الحج .. من هنا فإن الدور الأمني سيكون متسعا للشك والاشتباه أو على الأقل للترقب وشبه ذلك ، بل في بعضها أن أهل مكة يتوجسون منهم أي من أصحاب المهدي دون أن يعرفوهم فيسأل بعضهم بعضاً عن شؤون هؤلاء فيقال أنهم لم يأتوا بمكروه أو باطل فيدعونهم حتى يروا أمرهم .. ويكون مقصد هؤلاء الكرام من أصحاب المهدي (ع) أن يروا شخص المهدي فيبايعونه في ظل أعظم فتح واستشراق كبير ، حيث تبدأ ساعات الظهور لإقامة حكم العدل الإلهي في الأرض .. وقد أشارت الرواية الواردة أعلاه إلى بعض من هذه الصورة بقولها : فبينما أهل مكة كذلك فيقولون أهل مكة قد كبسنا السفياي ، فيشرئبون أهل مكة فينظرون إلى قوم حول بيت الله الحرام ، وقد انجلي عنهم الظلام ، ولاح لهم الصبح ، وصاح بعضهم ببعض النجاة ، وأشرف الناس ينظرون وأمرأؤهم يفكرون . فقال أمير المؤمنين عليه السلام وكأني أنظر إليهم والزبي واحد ، والقدر واحد ، والجمال واحد ، واللباس واحد

^١الصراف المستقيم : ج ٢ ص ٢٦٠ ، ١١٦ ، ج ١٢ - عن أخبار المهدي لابي العلاء احمداني

كأنما يطلبون شيئاً ضاعَ منهم ، فهم متحيرون في أمرهم ، حتى يخرج إليهم من تحت ستار الكعبة في آخرها رجل أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ، خلقاً وخلقاً وحسناً وجمالاً فيقولون أنت المهدي ؟ فيجيبهم ويقول أنا المهدي ..

لا شك أنها اللحظة التي تمثل أمل الدنيا وبهجة الكون ، اللحظة التي تعلن فيها الأرض أولَى معالم الشوقِ على الأفقِ الأعلى بعد طولِ فسادٍ وجورٍ وانحرافٍ هائلٍ .. اللحظة التي يسمعُ فيها العالم أولى معالم الخطابِ السماوي بشكلٍ مذهلٍ وعالٍ وبقداسةٍ من نور .. كيف لا يكون الأمر كذلك ، وها هو العالم ينحو نحو جنونٍ غريزيٍّ قاتلٍ ، لا يريد أن يعترف بحقيقة ما يؤول إليه ، يصر على بترِ أيِّ صلةٍ بعالم السماء . حتى الموت أصبح عنده تجارةٍ وطريقةً لبتَرِ أيِّ صلةٍ بنا موسٍ الأفق ، حتى أن مجموعة من دولٍ غربيّةٍ رأسماليّةٍ افتتحت تاريخ ٢٠ أيلول ٢٠٠٢ مجموعة من شركاتٍ ومؤسساتٍ للترفيهِ قرب الجنائز ، مفادها أن مجموعاتٍ جميلاتٍ من فتياتٍ يتعرّين ويرقصن ويغنين وهنّ بلباس البحر حتى يضيفن نوعاً من الفرح قرب نعشِ الميتِ منعاً من الحزنِ والبؤسِ والتفكيرِ بمساوء الموت .. !

هنا تكمن عظمة تلك اللحظة من طلبِ الأنصارِ له ، من دخولِهِم الأرزقة والتفتيش عن هويّةِ المؤمِّلِ لإقامة العدل والقسطِ العالمي ، وهم من مناطقٍ مختلفةٍ من العالم ، أعدّهم الله ليكونوا بطانته في جبهةِ تحريرِ العالم من الفسادِ والعبثيّة .. ثم إنَّ أهميّةَ دراسةِ النصوصِ الخاصّةِ بأصحابِ المهديّ (ع) متعدّدة ، منها أنها تشير إلى حركة التاريخ ، إلى كفيّةِ دخولِ هؤلاءِ إلى مكّةِ المكرّمة ، إلى الوضعِ الأمني المتدهور في مكّة ، إلى نسبةِ هؤلاءِ الجغرافيّة بما تعنيه من مؤثراتٍ وانفلاشٍ لأعوانِ المهديّ وأنصارِهِ سواء في غيبةِ الإمام أو حين الظهور .. تفيد النصوص أن هؤلاءِ الأصحابِ يكونون على قدرٍ من الإيمانِ والدرايةِ والقيادةِ والميزة ، وهم

حسب الروايات ٣١٣ شخص وفي الحديث : أصحاب المهدي (ع) ثلاث مائة وثلاثة عشر .. ويظهر من الروايات أيضاً أنهم يتحركون إلى مكة للخروج مع المهدي .. وفي بعضها أن أصحاب الكهف يكونون من أعوان المهدي (ع) وفي الحديث عن ابن عباس عن النبي (ص) : أصحاب الكهف أعوان المهدي ..^١

وكما في الروايات فإن هؤلاء القادة يتحركون بشكلٍ دقيق ، وهم الذين يكونون بين يدي المهديّ حال إعلان ظهوره المبارك للعالم ، ويكون ذلك في وقت سياسي حرجٍ وبيئة عالميّة مضطربة ، بل في الرواية عن عبد الله بن مسعود قال :

إذا انقطعت التجارات والطرق ، وكثرت الفتن ، خرج سبعة رجال علماء ، من أفق شتى على غير ميعاد ، يبايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، حتى يجتمعوا بمكة فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض : ما جاء بكم ؟ فيقولون : جئنا في طلب هذا الرجل ، الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن ، وتفتح له القسطنطينية (إشارة إلى هزيمة الروم بلسانٍ تاريخي وكأنّ النصّ يشير إلى ضغطٍ وفسادٍ وظلمٍ واضطهادٍ تقوم به الروم .. !) ، قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وحليته ، فيتفق السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة ، فيقولون له : أنت فلان بن فلان ،

^١ ابن مردويه ، في تفسيره : على ما في الدر المنثور : * . ابن الجوزي ، في تاريخه : على ما في العطر الوردية . * : الدر المنثور : ج

فيقول لا ، بل أنا رجل من الانصار ، حتى يفلت منهم
فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به ، فيقال هو صاحبكم
الذي تطلبونه ، وقد لحق بالمدينة ، فيطلبونه بالمدينة ،
فيخالفهم إلى مكة ، فيطلبونه بمكة فيصيّبونه فيقولون :
أنت فلان بن فلان ، وأمك فلانة بنت فلان ، وفيك
آية كذا وكذا ، وقد أفلت منا مرة فمد يدك نبايعك ،
فيقول : لست بصاحبكم ، أنا فلان بن فلان الانصاري
مُروا بنا أدلكم على صاحبكم حتى يفلت منهم ،
فيطلبونه بالمدينة ، فيخالفهم إلى مكة ، فيصيّبونه بمكة
عند الركن فيقولون : إثمنا عليك ودمأؤنا في عنقك إن
لم تمد يدك نبايعك ، هذا عسكر السفياي قد توجه في
طلبنا ، عليهم رجل من جرم ، فيجلس بين الركن
والمقام فيمد يده فيبايع له ، ويلقي الله محبته في صدور
الناس فيسير مع قوم أسد بالنهار ، رهبان بالليل ...¹

وفي لفظٍ آخر فيه تَمَّةٌ للنصِّ الواردِ أعلاه جاء فيه :

فيجتمعون بمكة فيبايعونه ، ويقذف الله محبته في
صدور الناس ، فيسير بهم وقد توجه إلى الذين بايعوا
خيل السفياي ، عليهم رجل من جرم ، فإذا خرج من
مكة خلف أصحابه ومشى في إزار ورداء ، حتى يأتي

¹ ابن حماد : ص ٩٥

الجرمي ، فيبايع له فيندمه كلب على بيعته فيأتيه
فيستقبله البيعة فيقبله ، ثم يعبئ جيوشه لقتاله فيهزمه
ويهزم الله على يديه الروم ، ويذهب الله على يديه
الفتن ..^١

ويظهر من النصّ أنّ الوضع الأمني السياسي يكون مضطرباً جداً ، بل
هو منفجر ، حيث ينشب الإقتتال حتى في الحجّ ، وتنتصر كلّ فئةٍ لخليفةٍ تراه
أهلاً للحكم ، وذلك بعد موت الخليفة السابق .. فضلاً عن ذلك يشير النصّ إلى
حالةٍ من تربيثٍ مطلوب ، إلى حالةٍ من احترازٍ ضروريّ ، من هنا تكون الحاجة
إلى حركة النزوح من مكانٍ إلى آخر ، وعلى كلّ حال النصّ يشير إلى مجموعة
من ضروراتٍ إستثنائيةٍ في أهمّ مفصل سيظهر على إثره الإمام المهديّ ولا تشير
النصوص إلى تفاصيل كثيرةٍ محيطيةٍ بهذه الناحية ، لكنّ كثيراً منها يتضمّن إجابات
واقية عن الوضع المتفجّر ، المضطرب ، في ظلّ إقتتالٍ وعنّفٍ دمويٍّ متزايدٍ بين
معسكرين هناك على الحكم والمُلك .. ثمّ إنّ خروج المهديّ عليه السلام وبشكلٍ
أكثر تفصيلاً يكون بعد حدثٍ عظيمٍ ، حيث يذبح القوم النفس الزكية ، ويظهر
أنّ لصاحب هذه الشخصية المؤمنة الفذة في دينها خصائص كبرى في قاموس الله
وكرامته ، وفي الرواية عن عمّار بن ياسر قال :

إن المهديّ لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية ،
فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء
ومن في الارض ، فأتى الناس المهدي فزفوه كما تزف

العروس إلى زوجها ليلة عرسها ، وهو يملأ الأرض
قسطاً وعدلاً ، وتخرج الأرض نباتها وتمطر السماء
مطرها وتنعم أمي في ولايته نعمة لم تنعمها قط ..^١

وقد كان هذا الحديث معروفاً في صدر الاسلام ، وحاول بعضهم تطبيقه
على محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى الذي سمي بالنفس الزكية ، والثابت أن
ذبح النفس الزكية يكون قبيل ظهور المهدي (ع) في ظل أحداث خطيرة
واضطراب وفتن وشبه ذلك ، ويظهر من الرويات التي سقناها عليك فيما مضى
أن الإقتال يكون على قدم وساق .. وفي بعض النصوص أن النفس الزكية تُقتل
ويقتل معها أخو صاحب تلك النفس بمكة ، عندها ينادي مناد من السماء : إن
أميركم فلان ، وذلك المهدي الذي يملأ الأرض حقاً وعدلاً ...

في ذلك الوقت يكون الإضطراب والإقتال سمة الموقف في خلاف محتدم
على كرسي الملك ، ومن وراء هذا الكيان تكون الجبهات في الشق الآخر مكونة
على نحو متناقض جداً مع جبهة المهدي أو على الأقل مع جبهة راية الخراسانيين
المشرقية ، بل إن الفتن في ذلك الزمن تنتقل من مكان إلى مكان ، ومن جهة إلى
جهة ، ويكون الظلم مظهراً عارماً ومركزاً بشكل أساسي في العالم .. وما يهمننا
هنا هو أن نشير إلى أن الإضطراب الذي يحصل في موسم الحج إلى حد الإقتال
في منى بما يخلف من قتلى وفوضى ومجازر رهيبة ، يتواصل في حركته العنيفة
فيصل إلى المدينة وغيرها ، بل في الرواية عن كعب أن المدينة تستباح حينئذ
وتقتل النفس الزكية ..^٢ وفي لفظ آخر لابن مسعود : يبعث جيش إلى المدينة ،

^١ ابن حماد : ص ٩٣

^٢ ابن حماد : ص ٨٨/٨٩

فيخسف بهم بين الحماوين ، وتقتل النفس الزكية .. بطبيعة الحال تشير هذه النصوص إلى أن العنف يتواصل بأشكالٍ مختلفة وتُصفّ الجند ، وتفرضُ المعسكرات ، وتشنّ الحملات ، وتبدو الجغرافيا آنذاك في ذلك المكان على نحوٍ من حربٍ وقتالٍ وعنْفٍ واضطراب ، كلُّ يريد أن يقضي على مراكز القوى في معسكرِ الطرفِ الآخر ، ويظهر من النصوص أن فوضىً عارمةً تنشأ ، وتظهر معالمها في الواقع الخارجي ، ما يؤدي إلى خلل في حفظ النظام المدني والسيطرة على واقع الحركة وضبط الأمور ، كما أنّ ظاهرة بثّ العيون والتربّص بالأشخاص تكثُر ، وسيمرّ عليك أن أصحاب المهدي سيكونون تحت دائرة التربّص في أوّل قدومهم ، وذلك في ظلّ أزمة كبرى تحتاج أصل الحكم وشرعيّة من يحكم بعد موت الخليفة المتفق عليه ..

ولعلّ هذا الإضطراب والخلاف على منصب الحكم وكرسيّ البلاد هناك فضلاً عن ظهور المهدي يدفع بالسفياي إلى أن يوجّه جيشاً نحو المدينة للإستيلاء عليها ، إمّا بهدف تركيز واحد من وكلائه أو لضمّ الحكم بصورة مباشرة إلى جبهته على شكل ونموذج المركزية السياسيّة في إدارة الجبهة وقيادتها .. ففي الرواية عن حذيفة بن اليمان حين ذُكرت فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال قال رسولُ الله (ص) :

فبينما هم كذلك ، إذ خرج عليهم السفياي من الوادي اليابس في فوره ذلك ، حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة ، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة ، فيقتلون ويقرّون ... ثم ينحدرون إلى الكوفة

فيخربون ما حولها ، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام ،
فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها
على الفئتين ، فيقتلوهن لا يفلت منهم مخبر ،
ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم ، ويحل
جيشه التالي بالمدينة ، فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ، ثم
يخرجون متوجهين إلى مكة ، حتى إذا كانوا بالبيداء
بعث الله جبرئيل فيقول : يا جبرئيل اذهب فأبدهم ،
فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم ولا ينفلت
منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير ، وهما من
جهينة ، فلذلك جاء القول : (.. وعند جهينة الخير
اليقين ..)^١

وببعد النظر عن لسان هذه الرواية فإن الإضطراب الذي يكون في مكة
حول الشرعية والحكم يؤثر بطبيعة الجبهات الأخرى ، بهدف ضمّ الحكم هناك
إلى واحد من الجبهات ، ويظهر أنّ السفيناني يكون له طمع كبير في ذلك ..
ويظهر أنّ سمة الصراع وقتئذ تكون على نحو شرسي ، فكلّ راية تريد الانتصار
لنفسها واحتلال الكيان الآخر وقيادة الجبهات على نحو حصريّ ، وفق نموذج
المركزية السياسيّة ، لكنّ حظوظ بعضها تكون أشدّ بسبب الأداة التي تكون بين
يديها كما هي الحال مع السفيناني ، ومن تلك الروايات التي تؤرّخ تعدّد الرايات
ما رواه كعب وغيره قائلًا :

^١ تفسير الطبري : ج ٢٢ ص ٧٢

... لا بد من نزول عيسى عليه السلام إلى
الأرض ، ولا بد أن يظهر بين يديه علامات وفتن ،
فأول ما يخرج ويغلب على البلاد الاصبه ، يخرج من
بلاد الجزيرة ، ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام ،
ويخرج القحطاني من بلاد اليمن ، بينما هؤلاء الثلاثة
قد تغلبوا على مواضعهم بالظلم ، وإذا قد خرج
السفياني من دمشق ، وقيل : إنه يخرج من واد بأرض
الشام (ومعه أخواله من بني كلب) .. يظهر الزهد ،
فإذا اشتدت شوكته محاً الله الايمان من قلبه ، وسفك
الدماء ، ويعطل الجمعة والجماعة ، ويكثر في زمانه
الكفر والفسق في كل البلاد ، حتى يفجر الفساق ،
ويكثر القتل في الدنيا ، فعند ذلك يجتمعون (كذا)
أهل مكة إلى السفياني يخوفونه عقوبة الله عز وجل ،
فيأمر بقتلهم وقتل العلماء والزهاد في جميع الآفاق ،
عند ذلك يجتمعون إلى رجل من قريش ، له اتصال
برسول الله (ص) لهلاك السفياني ، ويتصل بمكة
ويكونون على عدد أهل بدر ، ثلاثمائة وثلاثة عشر
رجلا ، ثم تجتمع إليه المؤمنون ، ثم يظهر المهدي بمكة
فيبلغ خبره إلى السفياني فيحش إلى ثلاثين ألفا

وينزلون بالبيداء ، فإذا استقروا خسف الله بهم ، حتى
لا يفلت منهم إلا رجلا ن يمران ، فيخيران السفيناني ..^١

أقول : كل الروايات متفقة على أن المهدي هو الذي يخرج ويجمع عليه
الناس ، وذلك بعد فتنة واقتتال على ملك يجتاح مكة إلى المدينة ، وأن المهدي
ينفذ أمره ويشتد وأن الله يصلح أمر المهدي في ليلة واحدة أي في وقت قصير ..
ولا يفوتني أن أشير إلى أن بعض الروايات العامة الضعيفة بل غير المسندة حاولت
دس بعض العناوين التفصيلية غير المهمة ومع كل ذلك لم تتوفق بسبب كثرة
النصوص الواضحة والمدعمة والمتعددة التي تخالفها مباشرة من النبي ، ثم إن
النصوص التي أريد لها أن تلعب هذا الدور من التزوير التفصيلي لم تستطع أن
تخفي حقيقة المهدي فكان أن أقرت في كل منقولاتها أن المهدي هو ابن علي
وفاطمة وهو الذي يقيم العدل والقسط في العالم ويقود جبهة كبرى في وجه
جبهات العالم من أمثال السفيناني والدجال والروم وأجوج وغيرها . كل علماء
المسلمين بكل فئاتهم متفقون على ذلك وبشكل نهائي . وقد تعمّدت الإشارة إلى
مصادر روايات العامة في الحاشية في كثير من الروايات بدلاً من الإشارة إلى
مصدرها عند علماء الشيعة لبيان وحدة الإتفاق على ذلك ..

وعلى كل حال ، فإن لخروج المهدي زمناً يحتاجه الفتن ، فيخرج عليه
السلام في عالم مضطرب ، تحكمه الحروب الطاحنة ، ويتميز من تلك الفتن ما
يقع منها في مكة وغيرها على أثر خلاف علي ملك وبعد ذبح النفس الزكية كما
يظهر من الروايات أن العالم السياسي خاصة في منطقة الشرق يكون على موعد

^١ قصص الانبياء : محمد بن عبيد الكسائي : على ما في عقد الدرر . * : عقد الدرر : ص ٧٩ : ٢٤٤

مع ظاهرة تأسيس كيانات مركزية (وحدة جغرافيا وقيادة) في البعد السياسي على حساب تعدد الكيانات ، ويكون للسفياني دور مهم في قيادة جبهة واسعة تحتاج أكثر من قطر سياسي فيسيطر على الكور الخمس (الشام وبرّها) ومنها يشنّ حربه بإتجاه أكثر من منطقة مثل الكوفة بما تعنيه من جهةٍ وتبعيّةٍ لكيان ، والمدينة ، ومحاولة دخول مكّة وتجهيز جيشه نحو رايات أهل المشرق الخراسانية ..

ثمّ بعد أن يخرج المهديّ في مكّة يجهّز السفيانيّ جيشاً لغزو المدينة ومكّة ويقع في جيشه الخسف إثر إصراره على فتح مكّة فينال من جيشه بشكلٍ كاملٍ ولا ينجو إلا إثنان يخبران السفيانيّ بما حصل .. ولقد تعدّدت النصوص التي تشير إلى هذه الحالة الهامة ، إن من حيث ظهور المهديّ أو من حيث الخسف بالبيداء ، وإليك بعض ما روي عن النبيّ (ص) بخصوصها :

- العجب أن أناساً من أمّتي يؤمنون بالبيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم . فقلنا : يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس ، قال : نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل ، يهلكون مهلكاً واحداً ، ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم ..¹

- ليؤمننّ هذا البيت جيش يغزونه ، حتى إذا كانوا ببيداء من الارض خسف بأوسطهم ، فينادي أولهم آخرهم ، فلا يفلت منهم أحد إلا الشريد الذي يخبر عنه ..²

¹ مسلم : ج ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٨٨٤

² اخمدي : ج ١ ص ١٣٧ ، ٢٨٦

- يقبل قومٌ يؤمّون البيت حتى إذا كانوا ببببء من الارض خسف بهم ، فقبيل يا رسول الله إنّ فيهم المكروه ، قال : يبعثون على نياتهم ...^١
- لا ينتهي ناس عن غزو هذا البيت حتى يغزوه جيش ، حتى إذا كانوا بببء من الارض خسف بأولهم وآخرهم ولم ينبج أوسطهم . قلت : فإن كان فيهم من يكره ؟ قال : يبعثهم الله على ما في أنفسهم ...^٢
- يأتي جيش من قبل المشرق يريدون رجلا من أهل مكة ، حتى إذا كانوا بالبببء خسف بهم ، فرجع من كان أمامهم لينظر ما فعل القوم فيصيبهم مثل ما أصابهم فقلت : يا رسول الله فكيف بمن كان منهم مستكرها ؟ قال : يصيبهم كلهم ذلك ، ثم يبعث الله كل امرئ على نيته ...^٣
- يجيء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة فيقتل المقاتلة ، ويقر بطون النساء ، ويقولون للحبلى في البطن اقتلوا صبابة السوء ، فإذا علّوا البببء من ذي الخليفة خسف بهم ، فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ، ولا أعلاهم أسفلهم ..^٤
- عن أم سلمة قالت : بينا رسول الله (ص) مضطجعا في بيتي إذ احتفز جالسا وهو يسترجع ، قلت : بأبي أنت وأمي ، ما شأنك تسترجع ؟ قال : لجيش من أممي يجيؤون من قبل الشام ، يؤمّون البيت لرجل يمنعهم حتى إذا كانوا بالبببء من ذي الخليفة خسف بهم ، ومصادرهم شتى ،

^١ الطيالسي : ص ٢٢٤ - ١٦١١

^٢ ابن أبي شيبه : ص ١٥ - ٤٦ - ١٩٠٧١

^٣ الطبراني ، الاوسط : على ما في مجمع الزوائد ، وعرف السيوطي .

^٤ ابن شبة : على ما في تذكرة القرطبي . * : تذكرة القرطبي : ص ٢ - ٦٩١

قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله كيف يخسف بهم ومصادرهم شتى ؟
قال : إن منهم من جبر ، إن منهم من جبر ، إن منهم من جبر ...^١

وما تجدرُ الإشارةُ له هنا هو التوفيق بين ما ذَكَرَتْ بعضُ الروايات من أن السفيناني يرسل إلى المدينة ومكة قسماً من جيشه الذي يكون في العراق وقسماً من الشام عاصمة حكمه ، وهذا يفسّر السبب في الروايات التي ذكرت أن هذا الجيش يكون من قبل المغرب أي الشام تارة ومن قبل العراق أو المشرق تارة أخرى ، أو الذي يكون في مصر في بعضها الآخر ، فلا تناقض أو اختلاف في الروايات من هذه الجهة .. بمعنى أن السفيناني ينتصر بجنوده من أماكن مختلفة ، ويبعثُ قسماً منها إلى المدينة ومكة في عملية يريد عبرها القضاء على جبهة المهديّ الذي ظهر في مكة .. والذي يظهر من النصوص أن الحُسف يكون بعد أن يدخل السفيناني المدينة ويرتكب مجزرةً رهيبَةً فيها ثم يتابع سيره لفتح مكة ، ففي أكثر من رواية أن جيش السفيناني يبعثُ جيشاً إلى الذي بمكة (أي إلى المهديّ الذي يخرجُ فيها) فيخرب جيش السفيناني المدينة أشدَّ من الحرة (وقعة الحرة المشهورة) حتى إذا بلغوا البيداء خسف بهم .. وعلى كلّ حال فإنّ النصوص متفقة على أن السفيناني يفشل فيما يخطّط له من القضاء على جبهة المهديّ في مكة ، وتظلّ جبهة المهديّ على نحو عالٍ من النفوذ والقوّة والتوسّع إلى أن تصل إلى القدس .. وهذا ما سترأه فيما بعد إن شاء الله ..

وفي ذلك العالم تطراً مجموعة من تغيّراتٍ أساسيّة تكون لصالح جبهة المهديّ عليه السلام كما في هبوط النبي عيسى بن مريم عليه السلام الذي يكون

^١ عرف السبوطي ، الخاوي : ج ٢ ص ٦٠ كما في كشف الخفي .

له دور مهم في نصرته المهدي والوقوف معه ، وفي أكثر من رواية أن المسيح عيسى بن مريم يهبط تحمله غمامة (إشارة دقيقة إلى أداة حاملة .. !) وتشير بعض الروايات إلى أن المكان الذي يهبط به هو دمشق .. فيأتيه اليهود فيقولون نحن أصحابك ، فيقول كذبتهم ، ثم يأتيه النصارى فيقولون نحن أصحابك ، فيقول كذبتهم ، بل أصحابي المهاجرون بقية أصحاب الملحمة ، فيأتي مجمع المسلمين حيث هم ، فيجد خليفتهم يصلي بهم فيتأخر المسيح حين يراه ، فيقول يا مسيح الله صل لنا ، فيقول بل أنت فصل لأصحابك ، فقد رضي الله عنك ، " فإنما بعثت وزيراً ولم أبعث أميراً .. " .

ويظهر أن للمسيح دوراً مهماً على مستوى معاونة جبهة المهدي (ع) ومع أن الروايات اختلفت في من يقتل الدجال حيث ورد في عدد من الاحاديث نسبة قتل الدجال إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وورد في عدد آخر من الاحاديث الكثيرة خاصة ما روي عن أهل البيت عليهم السلام نسبة قتله إلى المهدي عليه السلام ، وهذا برأبي لا يحتاج إلى توقّف وتعارض لأن النبي عيسى إنما يكون على زمن المهدي وفق مغزى " إنما بعثت وزيراً ولم أبعث أميراً .. " ، من هنا فإنه يعاونه في قتل الدجال .. ثم إن بعض النصوص التي تثبت ذلك للمسيح لم تروه عن النبي ، وبالتالي فيها خلل في بعض سندها .. ومع كل هذا فهي متفقة بالخطوط العريضة مع نصوص المهدي ، ولم تشذ عنها وفي تلك المرويات إشارات متصلة بأمر المهدي وقيادته العليا ، في ظل تعدد جهوي على أكثر من ناحية وراية .. وعليه : لا أرى أن الأمر بحاجة إلى عناية خاصة أو تكلف من هذه الجهة .. كما لا يؤثر على ذلك الخلاف الروائي في المكان الذي يصلي فيه عيسى بن مريم خلف المهدي عليه السلام ، أو المباشرة وعدمها في قتل

الدجال ، مع ثبات الروايات بشكل نهائي على أن ذلك يحصل على يد جبهة أهل الحق وتحت لواء وسلطنة الإمام المهدي الذي يقيم العدل في العالم بعد طول جور وفساد .. ثم إن جبهة المهدي منذ أول خروجه تكون هدفاً للسفياي وغيره ، بل لمحاولات إجهاض داخلية في كل من مكة والمدينة ، لكن الأمر يتم بالنهاية لحكم المهدي بقوة ونفوذ عال ، وعلى الطرف الآخر تكون راية أهل المشرق على نحو من قوة وسلطنة تمنع زوالها ، وهي على ولاية المهدي (ع) تطلبه في ظل فتن كبرى وجيش سفياي مجهز للقضاء عليها ..

بهذه الصورة تبدو الأمور على نحو يشير إلى نموذج متواصل ومتكامل في شرح النصوص ، من الإضطراب والفتن والإقتال والإختلاف على كرسي الحكم في مكة إلى ظهور المهدي ، إلى جيش السفياي ، إلى راية أهل المشرق التي تطلب المهدي وتنصره وتنضوي تحت لوائه ..

أما ما خصّ الدجال ، فلا شك أن الدجال حقيقة بارزة ، وله جبهة وقوة ونفوذ ، أما ما يُقال فيه من مواصفات إستثنائية ومذهلة فالأمر غير صحيح بل إن كثيراً من النصوص ضعيف السند ، وإه في متنه ، لا يقوى على معارضة ما ثبت من النصوص .. نعم هو قوة جبّارة ، وله نحو من سيطرة سوقية ، وبين يديه أدوات عسكرية نافذة .. لكنه ليس على نحو من قوة أسطورية تحتكر حتى شربة الماء ولقمة الغذاء ..

وفي الحديث عن النبي (ص) أنه سئل عن الدجال فقال (ص) : لم تسأل عنه ؟ فقال السائل : إن

الناس يزعمون أن معه الطعام والشراب ، قال : هو
أهون على الله تعالى من ذلك ..^١

وهذا يعني أن علينا أن نكون حذرين في التعامل مع النصوص التي
أوردت للدجال صفات ربّما فاقت الخيال ، من هنا فإن علينا أن نتأني في قبول
أو رفض مثل تلك النصوص وعلينا بالتالي التدقيق في تفسيرها وتأويلها .. وفيما
مضى كنت قد أشرت إلى أن ما قيل في الدجال من صفات إنما هو على نحو
الإشارة والاستعارة في البيان ، مثل احتكار السوق والسيطرة على أسباب الثروة
والقوة وشبه ذلك ، بصورة نسبية لافتة ، وهذا أمر يؤثر في حقيقة الجبهات
وقوتها ونفوذها ، مثل أي عصر بمعنى أن قوة الدجال ليست خارقة وأسطورية ،
وهذا الكلام أكيد ونهائي وتشهد له النصوص .. نعم تشير الروايات إلى أن جبهة
الدجال تكون على نحو مميّز من القوة والبطش وشبه ذلك ، لكن أن تتضمن
بعض النصوص إسرائيليّات كعب الأحبار فهذا من الأساطير الخطيرة التي منع
منها الكثير من نصوص أهل البيت عليهم السلام ..

وعليه : لا بدّ من التعامل مع النصوص على نحو متصل بطبيعة الإشارة
النبويّة .. لقد وصل الأمر بالعديد من شراح الأحاديث إلى التعامل مع مجموعة
من الصفات المتصلة بالدجال فرداً وجبهة على نحو وصّفوه بمخلوق غريب قياسي
القوة والبطش ، مذهل الجبروت وشبه ذلك من عناوين لها صلة بالإستثناء
الصارخ ، وهذا من سوء فهم حتى لتلك النصوص التي تشير إلى نحو من صفات

^١ ابن حماد : ص ١٥٥

مختلفة .. وقد أشرت فيما مضى إلى مجموعة من مواصفات ذكرت في متن النصوص فيما خصّ الدجال وشرحتها شرحاً معمّقاً وواضحاً ..

نعم تكون راية الدجال جبّارة ، بمعنى أنّها قادرة على التأثير والنفوذ ، وأنها تشنّ الحروب والفتن وتفعل فعلتها في أكثر من ناحية ومكان ، بل في بعض النصوص تحذير من الدجالين الثلاثة ، وهي إشارة إلى آيات يُقصد بها الخبث والقوّة والبطش والظلم .. ففي الحديث عن ابن مسعود عن النبيّ أنّه قال : إياكم والدجالين الثلاثة .. فقال ابن مسعود : بأبي وأمي قد أخبرتنا عن الدجال الأعور وعن أكذب الكذابين ، فمن الدجال الثالث .. ؟ قال : رجل يخرج في قوم أولهم مشبور ، وآخرهم مبتور ، عليهم اللعنة دائمة ، في فتنة يقال لها الحارقة وهو الدجال الاطلس ، يأكل عباد الله ...^١

وعلى كلّ حال ، فإنّ زمن ما قبل المهديّ يكون على نحوٍ من الخطورة والإقتتال والصراع والفتن التي تجتاح العالم ، فإذا تمتّ الفتن في تدرّجها كانت فتنة الدجال ، بل في الحديث أنّه تكون أربع فتن :

الاولى يستحل فيها الدم ، والثانية يستحل فيها الدم والمال ، والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفرج ، والرابعة الدجال^٢

ولكن هل يكون خروج الدجال قبل أو بعد نزول عيسى بن مريم ؟ هناك اختلاف بين المرويّات ، منها ما يشير إلى أنّ الدجال يخرج قبل ذلك ، كما

^١ الطبراني ، الكبير : ج ١٨ ص ١٤ - ١٨

^٢ ابن حماد : ص ٨

في بعض الرويات المؤيدة عن طرق أهل البيت ، ومنها مرويات تشير إلى أن الدجال يخرج بعد هبوط المسيح عيسى بن مريم .. المهم أن خروج الدجال يكون جبهة كبرى مضافة إلى ما عليه نواة جبهة أتباعه من اليهود ، فيكون لها وزنها وتأثيرها على مجريات الصراع في المنطقة .. ويظهر من بعض النصوص أن خروج الدجال يكون في وقت تسجل فيه جبهة المسلمين إنتصارات ساحقة في أهم العواصم الرومية ، وكنت قد أشرت إلى أن تعبير القسطنطينية ما هو إلا " تعبير تاريخي " للإشارة إلى عاصمة القرار الرومية ، أي مهمة النصوص هي الإشارة إلى هزيمة جبهة الروم في عصر المهدي ومن ثم يكون خروج الدجال .. وفي الحديث عن آخر الزمان ، قال رسول الله : يا علي بن أبي طالب ، قال علي : لبيك يا رسول الله ، فقال (ص) :

إعلم أنكم ستقاتلون بني الاصفر ، ويقاتلهم من بعدكم من المؤمنين ، وتخرج إليهم روقة المؤمنين أهل الحجاز الذين يجاهدون في سبيل الله لا تأخذهم ، حتى يفتح الله عز وجل عليهم قسطنطينية ورومية . فينهدم حصنها فيصيبون نيلاً عظيماً ، حتى أنهم يقتسمون بالترس ، ثم يصرخ صارخ يا أهل الاسلام قد خرج المسيح الدجال ، وذرايركم فينتفض الناس عن المال فمنهم الآخذ ومنهم التارك ، يقولون من هذا الصالح فلا يعلمون من هو ، فيقولون : إبعثوا طليعة إلى لدا فإن يكن المسيح قد خرج فيأتونكم بعلمه ، فيأتون فينظرون فلا يرون شيئاً ويرون الناس شاكين فيقولون :

ما صرخ الصارخ إلا لنبأ فاعتزموا ثم أرشدوا ،
فيعتزمون أن نخرج بأجمعنا إلى لد ، فإن يكن بها المسيح
الدجال نقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خير
الحاكمين ، وإن يكن الاخرى فإنها بلادكم وعشائركم
وعساكركم رجعتم إليها ...^١

وفي لفظٍ آخر :

تجيش الروم فيستمد أهل الشام ويستغيثون فلا
يتخلف عنهم مؤمن ، قال فيهمزون الروم حتى ينتهوا
بهم إلى اسطوانة قد عرفت مكانها فيناهم عندها إذ
جاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفكم في عيالكم ،
فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون نحوه ...^٢

وفي لفظٍ ثالثٍ بنفسِ المصدر قال :

يأتيهم الخبر أن الدجال قد خرج بعد فتحهم
القسطنطينية فيصرفون فلا يجدونه ، ثم لا يلبثون إلا
قليلا حتى يخرج ...^٣

أما من أين يخرج الدجال ... ؟ النصوص مختلفة ، بعضها يشير إلى أن
الدجال يخرج من خلة بين الشام والعراق وبعضها يشير إلى أنه يخرج من المشرق

^١ عقد الدرر : ص ١٧٨ ، ١٦٩

^٢ ابن حماد : ص ١٤١

^٣ م . س .

ويكون أتباعه اليهود بالإضافة إلى غيرهم ، مع إشارة نهائية إلى قيادة اليهود ..
نعم تذكر النصوص أن كثيراً من المسلمين وغيرهم يتبعونه ، وبطبيعة الحال هم
عنوان بارز من يهود أمة محمد حسب النصوص الواردة عن لسان النبي (ص) ،
لكن في كل تلك الخريطة يكون مركز القادة لليهود في جبهة الدجال ، بل في
النصوص أن اليهود يكون على رؤوسهم التيجان وغير ذلك من أوصاف القيادة
والشرف والمراكز العليا .. وفي العديد من النصوص جاء :

أن الدجال يخرج فيتبعه ناس يقولون : نحن
شهداء أنه كافر ، وإنما نتبعه لنأكل من طعامه ونرعى
من الشجر ، فإذا نزل غضب الله نزل عليهم جميعاً ..
وفي لفظ آخر عن النبي (ص) : ليصحبن الدجال أقوام
يقولون إنا لنصحبه ، وإنا لنعلم أنه كافر ، ولكننا
نصحبه نأكل من الطعام ونرعى من الشجر ، فإذا نزل
غضب الله تعالى نزل عليهم كلهم ...

وهذا بطبيعة الحال يشير إلى أن جبهة الدجال تكون على مهادٍ وفيرة من
المال وأسباب العيش وكسب الثروات وشبه ذلك لكن ليس على نحو من امتلاك
الأسباب بشكل نهائي كما أشرت فيما سبق .. وعليه : هنا تكون معاني الصراع
أعنف ، ويكون الفرز بين خطاي الدنيا والآخرة على أشده ، بل هنا يُمحص
الناس بين خطي الدنيا والآخرة ، والخطير في هؤلاء أنهم يتبعون الدجال في نفس
الوقت الذي يعلمون فيه أن الجبهة الأخرى هي جبهة الإمام الأعظم المهدي
" محمد بن الحسن " عجل الله فرجه الشريف ، وأكرم ناظرينا بعظمة مقدمه ،
وجعلنا أرواحنا فداءً لطلعته المنيرة .. وتضيف النصوص أن الدجال يفتح كياناتٍ

عدّة لكنّه لا يقوى على فتح المدينة ومكّة ، بل في بعضها عن أبي أمامة الباهلي
قال قال رسول الله (ص) :

إنّ الدجال لا يبقى من الارض شئ إلا وطئه
وغلب عليه إلا مكة والمدينة — وهو تعبير يُراد منه
الإشارة إلى غلبة جبهة الدجال لكثير من الجبهات ،
كتعبير يُراد منه بيان القوّة التي يتمكن منها الدجال في
سبيل احتلال البلدان — فقالت أم شريك فأين
المسلمون يومئذ ؟ قال : بيت المقدس ، يخرج
فيحاصروهم حتى يبلغه نزول عيسى فيهرب ..^١

ومع هذا لا بدّ من تكرار الإشارة التي سقتها فيما مضى من أنّ بعض
النصوص ربّما لا تكشف عن الواقع التفصيلي للجبهات ، لكنّها تشير إلى السمة
البارزة في ذلك الصراع ، وهذا النصّ أيضا على هذا النحو من السرد والبيان ..
أمّا ما خصّ المدينة ومكّة ، فالنصوص تشير إلى أنّ الدجال لا يدخلها وأنّ الله
يحرسها بالملائكة ، كما يمنع عنها بالمرض ، وفي الصياغة التاريخية استعمل النصّ
تعبير مرض الطاعون .. وفي لفظ آخر : لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ،
لها يومئذ سبعة أبواب ، لكل باب ملكان .^٢ (إشارة دقيقة إلى مناعة المدينة) .

أقول : ورد في بعض النصوص أنّ الدجال يخوض البحار إلى ركبتيه ،
ويتناول السحاب ، ويسبق الشمس إلى مغربها ، وفي جبهته قرن يخرض منه

^١ ابن حماد : ص ١٥٨

^٢ ابن أبي شيبة : ص ١٢ ، ص ١٨٠ ، ١٢٤٧١

الحيات ، وقد صور في جسده السلاح كله ، حتى ذكر السيف والرمح والدرق (الترس)^١ وما هذه التعابير إلا إشارة إلى قوة الأداة التي يملك في ذلك الزمن ، مع الإشارة إلى أنها صناعة بشرية وليست من الخوارق أبداً ، وهو تعبير يُراد منه بيان قدرة الدجال في البحر والفضاء والبر نسبةً إلى الأدوات التي تمكنه ذلك (طائرات وسفن ومركبات وأدوات حرب ..) وبطبيعة الحال في هذه النصوص إشارة إلى عصر المهدي وما يكون عليه من أدوات الأرض والبحر والسماء ، ومن يطالع النصوص يقرأ الكثير من تلك العناوين التي تشير إلى أدوات السيطرة على الماء واليابسة والفضاء ، وفي عصرنا الحاضر الأمثلة كثيرة ولا تحتاج إلى كثير تأمل نعم ربّما في الماضي كان الأمر مختلفاً ، حيث كل شيء من الإشارات ربما يوصف ضمن خانة المستحيل عملاً ، ومع كل ذلك كان النبي يسجل مجموعة من عناوين كبرى محقّة ونهائية تشير إلى عالم ما قبل الظهور وبعد الظهور ، وهذا هو الإعجاز بعينه ..

وقد كثرت النصوص التي تصف الدجال بالأعور ، ولا أدري هل المراد منه وصف جسماني (صفة جسدية بارزة في وجهه) أم أنها وصف متصل بجهته ودولته وأدواته أو صفة مميزة خاصة بنوع ونحو محدّد في كيانه .. مع إمكان أن يكون الوصف جسمانياً .. وعلى كل حال فإن هذه ميزة بارزة جداً بالدجال ، وقد تكرر استعمالها في النصوص ..

ويجدر بنا أن نتمعن ببعض النصوص الواردة في أكثر من وصف وجهة يبدو فيها الكثير من معاني الكناية التي أراد النص أن يحملها وفق معانٍ وصياغاتٍ

^١ ابن أبي شيبة : ج ١٥ ص ١٥٣ ١٥٢ - ١٩٢٦١

مجازية لعالمٍ مختلفٍ جداً عما مضى أي بفارق زمني بين حقبي الحجر والطائرة وهو كما ترى فرق مذهلٌ وعظيم .. من تلك النصوص ما رواه محمد بن ثابت عن أبيه عن الحرث عن عبد الله عن النبي (ص) قال :

بين أذني حمار الدجال أربعون ذراعاً ، وخطوة حماره مسيرة ثلاثة أيام ، يخوض البحر على حماره كما يخوض أحدكم الساقية على فرسه يقول : أنا رب العالمين ، وهذه الشمس تجري بإذني أفتريدون أن أحبسها ؟ فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر والجمعة فيقول : أتريدون أن أسيرها لكم ؟ فيقولون : نعم ، فيجعل اليوم كالساعة ، وتأتيه المرأة فتقول : يا رب أحبي ابني وأحبي زوجي ، حتى إنها تعانق شيطاناً وتنكح شيطاناً ، وبيوتهم مملوءة شياطين ، وتأتيه الاعراب فيقولون : يا ربنا أحبي لنا غنمنا وإبلنا ، فيعطيهم شياطين أمثال غنمهم وإبلهم سواء باليتين والسمة (كذا) على حال ما فارقوها عليه مكتنزة شحماً ، يقولون لو لم يكن هذا ربنا لم يحي لنا موتانا من الابل والغنم ، ومعه جبل من مرق وعراق اللحم حار لا يبرد ونهر جار وجبل من جنان وخضرة ، وجبل من نار ودخان ، يقول هذه جنتي وهذه ناري وهذا طعامي وهذا شرابي ، واليسع معه ينذر الناس ويقول هذا المسيح الكذاب فاحذروه لعنه الله . يعطيه

الله من السرعة والخفة ما لا يلحقه الدجال ، فإذا قال :
أنا رب العالمين قال له الناس كذبت ، ويقول اليسع
صدق الناس ، فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من
أنت : فإن هذا الدجال قد أتاك ؟ فيقول : أنا ميكائيل
بعثني الله تعالى أن أمنعه من حرمه ويمر بالمدينة فإذا هو
بخلق عظيم فيقول : من أنت ، هذا الدجال قد أتاك ؟
فيقول أنا جبرئيل بعثني الله تعالى لا منعه من حرم رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويمر الدجال بمكة فإذا
رأى ميكائيل ولى هاربا ، ولا يدخل الحرم فيصيح
صيحة فيخرج إليه من مكة كل منافق ومنافقة ، ثم يمر
بالمدينة فإذا رأى جبرئيل ولى هاربا فيصيح صيحة ،
فيخرج إليه من المدينة كل منافق ومنافقة ويأتي النذير
إلى الجماعة التي فتح الله على أيديهم القسطنطينية ومن
تألف إليهم من المسلمين بيت المقدس يقولون هذا
الدجال قد أتاكم فيقولون أجلس فأنا نريد قتاله ،
فيقول بل أرجع حتى أخبر الناس بخروجه فإذا انصرف
تناوله الدجال ثم يقول : هذا الذي يزعم أني لم أكن
أقدر عليه فاقتلوه شر قتلة فينشر بالمناشير ثم يقول : إن
أنا أحييته لكم تعلمون أني ربكم ، فيقولون : قد نعلم
أنك ربنا وأحب إلينا نرداد يقينا . فيقول : نعم ، فيقوم
بإذن الله تعالى لا يأذن الله لنفس غيرها للدجال أن
يحييها ، فيقول : أليس قد أمتك ، ثم أحييتك ، فأنا

ربك ، فيقول : الآن ازددت يقينا ، أنا الذي بشرني
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنك تقتلني ثم
أحيا بإذن الله تعالى لا يحيي الله لك نفسا غيري ، فيضع
على جلد النذير صفائح من نحاس فلا يحيك فيه شيء من
سلاحهم ، لا يضرب سيف ولا سكين ولا حجر إلا
تحول عنه ولم يضره منه شيء فيقول : إطرحوه في ناري
ويحول الله ذلك الجبل على النذير جنانا وخضرة فيشك
الناس فيه . ويبادر إلى بيت المقدس فإذا صعد على عقبة
أفيق وقع ظله على المسلمين ، فيوترون قسيهم لقتاله ،
فأقوى المسلمين يومئذ من برك باركا أو جلس جالسا
من الجوع والضعف ، ويسمعون النداء : يا أيها الناس
قد أتاكم الغوث ..^١

أول ما تجدر الإشارة له هو أن ما ورد في خصائص الدجال ضمن القسم
الأول من النص يشير ولو بنحو تقريبي إلى قدرته على الاستفادة من أنظمة
تطوعية طبيعية وكأنه هنا يشير إلى شيءٍ شبيه بنتائج ثورة الاستنساخ أو ما يتصل
بذلك من هندسة وراثية ، وقد يكون الأمر غير ذلك ، لكنه بالنهاية يشير إلى
تطويع ناموسي طبيعي في الأشياء ومثاله التقريسي اليوم ما يُقال في الاستنساخ
والهندسة الوراثية ، فالنص يشير وبشيءٍ من الكناية العالية الدقيقة إلى أن الدجال
يعطيهم بدل الإبل والأغنام غنماً وإبلاً سواء حتى أنهم يرونها هي ، أي كأنها
هي وذلك بعد أن تموت إبلهم وأغنامهم .. في ظل تأكيدٍ نهائيٍّ من النص على

^١ ابن حماد : ص ١٥٣

أن ذلك بفضل الاستفادة من حقائق الأشياء ، بل في بعضه إشارة إلى أن الدجال يعتمد مجموعة من أساليب خفة لتمويه الأمر ، ليدعم بذلك مقولة الوهيتة أو زعامته التي يدعيها .. وعلى كل حال ، فالنصّ موجّه بنحوٍ من إشارة واستعارة بالغة منذ أكثر من ١٤٠٠ عام إلى عصر طويل الأمد ، إلى يومٍ مختلفٍ جداً ، إلى آخر الأزمان ، إلى عالمٍ تكون فيه الأدوات مختلفة ، إلى زمنٍ أكّد فيه القرآن أن بعض الإنسان يصل إلى رتبةٍ يظنّ أنه قادر على الأرض وزخرفها وزينتها (إشارة إلى تطويع الأنظمة واستغلالها بشكلٍ كبيرٍ) من هنا كان لا بدّ من الإشارة بتعبير ممكن أن تخدم الغايات والمعاني بشكلٍ مجازيٍّ وبدقّةٍ عاليةٍ وهذا غاية في البيان ، كلّ ذلك فضلاً عن الإعجاز في الدلالة والكشف والإشارة ..

فالنصّ يشير إلى أن بين يدي الدجال أداة عريضة ، تخوض البحار ، خطوتها سرعة ثلاثة أيام بقياس أهل ذلك الزمن ، أي زمن صدور النصّ ، يخوض البحر بها ، حتى يجعل اليوم كالشهر والجمعة ، أي ما كان بحاجة إلى شهر أو أكثر يجعله كالساعة واليوم والجمعة وشبه ذلك ، فيقول : أتريدون أن أسيرها لكم ؟ فيقولون : نعم ، فيجعل اليوم كالساعة .. ربّما هذا التعبير لم يجد مثلاً حياً له في الزمن الغابر ، لكنّ مصاديق اليوم تحيي النصّ ومعانيه بشكلٍ مثير ، وظواهر اليوم وأدواته تطوي الأرض وتحرك الغمام ، وتطير بالناس من عالم النهار إلى عالم الليل وتقرب البعيد وتختصر الزمن ، ثمّ بعد ثورة الجينوم البشري (الجين وما بعدها من ثورة البروتين) سيكون الإنسان مع موعدٍ مذهلٍ بعد حوالي ٥٠ عاماً من الطبّ الثوري ، ومع كلّ عقد سيكون الإنسان على مسافةٍ من ثورةٍ طبّيةٍ مذهلةٍ بمقاييس يومنا هذا .. سيبلغ معها التحكم الطبّي بالإنسان مستوىً غريباً وجباراً .. من هنا فإنّ مفاتيح حركة وإحياء معنى حروف النصّ لها في

عصرها الحاضر ومن باب التقريب أمثلة كثيرة ، ولا أعني أن عصرنا اليوم هو المراد ، بل أقصد أن هذه المعاني الواردة في الإشارة إلى الدجال وغيره مقصودة لبيان الأدوات والقاطرات والإستغلال للأنظمة ، التي تختصر الزمان وتزيد القدرة على التحكم بمجموعة من ضرورات الوجود ، وإشباع الحاجات ، وتقريب المسافات وغير ذلك .. وهذا بطبيعة الحال يعطي النصّ وصاحب النصّ صدارة الإعجاز المذهل وبمقاييس عليا ..

ثمّ في سبيل تدعيم جبهته يدعي الدجال قائلاً أنا ربكم الأعلى .. وهذا بيان ضمني لنسف الأديان ، والتعامل مع الأمور من باب الكفر وقطع الصلة بالأفق الأعلى ، ويطرح بديلاً آخر هو ذاته وقيمه ومعانيه وغاياته في ظلّ أدوات وتضليل وحيل وقدرة يُراد منها الإستغلال للمزيد من الإنحراف .. فلا حاجة إلى أن ينطق بذلك صراحة ، بل يكفي أن يقوم ويشرّع ويرسخ ما يمحو من الأذهان فكرة الارتباط بالله تعالى .. وحتى تكون الأمور على نحو من حقيقة متكاملة في الإشارة ، فإنّ النبيّ في أكثر من نصّ أشار إلى أن أتباعه يعلمون أنّه شيطان وأنه يدعو إلى النار ، ومع كلّ هذا يتبعونه ، لما يعلمون ما لديه من مالٍ ونفعٍ ورفاهية عيش .. كلّ ذلك من الإعتقاد الباطني حتى من أتباعه باتّه كذاب ومع كلّ هذا فإنّه يكون رمز الدعاية في إدعاء الربوبية بشكلٍ صريحٍ أم بشكلٍ ضمنيّ ، مستفيداً مما بين يديه من اسباب ومؤثرات مالمية ونفعية وتطويعية ..

من هنا أشير إلى أنّ علينا وبشكلٍ وثيقٍ أن نتعامل مع النصوصِ بذهنيةٍ عاليةٍ ودقةٍ متناهيةٍ ، لأنّ المقاصد تستعمل وفق صياغة مجازية يراد عبرها توصيل معانٍ ذات بُعد وجودي متمركز في زمنٍ مختلفٍ جداً وعلى طريقة دلالة الفعل والقول والأداة .. ولأنّ أثر الدجال يكون خطيراً في أكثر من وجهٍ ماليٍ إقتصادي

معيشي ونفوذتي وغير ذلك ، فإننا نجد النصوص تشير في أكثر من تعبيرٍ ولفظٍ إلى التعوذ بالله من فتنة الدجال .. وهذه فيها إشارة إلى ضرورة التحرز والإحتياط التربوي والدعائي والنفسي فضلاً عن شروط الثبات المجتمعي من فتنة الدجال وغيرها والأمثلة كثيرة عن فتنة الدنيا التي هي أمُّ الفتن والتي يجب علينا أن نعدّ مجتمعنا منها في كلِّ حينٍ وزمان ، حيث حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة .. وفي التاريخ الكثير من الأمثلة التي على رأسها قصة عمر بن سعد الذي قاد جيش يزيد بن معاوية لذبح الإمام الحسين (ع) حجة الله على الأرض مقابل ملك الريّ بكلِّ حساسته ، وقد سجّل التاريخ لعمر بن سعد تلك اللحظات بشكلٍ مثيرٍ وغريبٍ من خلال قصيدته التي يقول فيها :

والله ما أدري وإني حائرٌ ،
أفكر في أمري على خطرين
أترك ملك الريّ والريّ مني ،
أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
حسينُ ابن عمّي والحوادثُ جمّةٌ
ولكنّ ملك الريّ قرّة عيني
وأنّ إله العرش يغفر زلّتي ،
ولو كنتُ فيها أظلم الثقلين .. !
ألا إنّما الدنيا بخيرٍ معجلٍ
وما عاقل باع الوجودَ بدئين
يقولون أنّ الله خالقُ جنّةٍ
ونارٍ ، وتعذيبٍ وغلٍّ يدين ،

فإن صدقوا في ما يقولون إتني

أتوب إلى الرحمن توبة مین (الكذب)

وإن كذبوا فزنا بري عظیمه

وملك عظیم دائم الحجلین (البيت بأثائه)

والأمثلة كثيرة جداً عن فتن الدنيا وأهلها ، وكل منها يدل على أن الإنسان بين خطي الخير والشر بين جبهتي الحق والباطل ، وأن عليه أن ينخرط في واحدة من الجبهتين ، وأن الله أعطا الإنسان الإختيار في ذلك لكن على نحو مسؤول .. وعليه : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .. وكما هي أزمان النبيين والأوصياء هي اليوم آيامنا وهو كذلك عصر الظهور وما بعده بين جبهتي الحق والباطل وكل امرئ عمّا يفعل مسؤول . وجبهة الدجال واحدة من جبهات الباطل ، كما هي الحال مع جبهة السفياي والروم ويأجوج وماجوج والترك وغيرها من جبهات الضلال ، نعم تكون جبهة الدجال مغرية أكثر لإرتباطها بنوع من حركة السوق والثروات ، أي أنها تكون متقدمة في هذا المجال عن غيرها ، وقد سبق وأشرنا إلى أن بعضاً من أتباع الدجال يقرّون أنه على الباطل ، لكنهم يتبعونه وينخرطون في جبهته طلباً للنفع والفائدة والثروة وشبه ذلك ..

أما لجهة طول مدة جبهته ونفوذه ، فتشير النصوص إلى أن الدجال يخرج فيمكث في الارض أربعين سنة : السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كالיום ، واليوم كاضطرام السعفة في النار ... وفي لفظ آخر : أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين سنة أو أربعين ليلة أو أربعين شهراً فيبعث الله عز وجل عيسى بن مريم (ع) فيظهر فيهلكه . والذي يظهر منها أن الدجال يتعرض لأسوأ

إنتكاسة من جبهة المهديّ سواء مباشرةً أو من قبل عيسى بن مريم الذي ينضوي في جبهة المهديّ والذي يهبطه الله إلى الأرض من أجل ذلك .. فإذا مات الدجال وهُزمت جبهتهُ تمتع الناس بالخير كما في الروايات ، وأقام المهديّ القسط والعدل في العالم .. نعم في النصّ إشارة إلى أنّ ملك الدجال يكون على نحوين من قوّة مرّة ومن اهتزاز مرّة أخرى .. وعن أمر المسلمين فيما خصّ أمر الدجال واتباعه فقد أشارت الروايات منها ما رواه عبد الله بن مسعود إلى فرق ثلاث جاء فيها : تفترقون أيها الناس لخروجه ثلاث فرق : فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيخ ، وفرقة تأخذ شط الفرات يقاتلهم ويقاتلونه ، حتى يجتمع المؤمنون بغرب الشام فيبعثون إليه طليعة منهم فارس على فرس أشقر فيقتلون فلا يرجع منهم بشر ..^١

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الأحاديث الواردة عن لسان أهل البيت وعن طرق الإمامية في خصوص الدجال وحركته ليس فيها تصوير توسّعي وتوصيفي زائد مثل الوارد عن طرق العامة ، نعم تشير النصوص الواردة عن لسان أهل البيت (ع) إلى أنّ جبهة الدجال قويّة ونافذة وليست ابتدائية ، بل هي مضادة لثورة الامام المهدي ، وأنّ رأس هذه الجبهة الضالّة هم اليهود ومن ورائهم المنافقون الذين يضمرون العداة للإمام المهديّ (ع) كما أنّ نصوص أهل البيت عليهم السلام تشير إلى أنّ الذي يقتل الدجال هو الامام المهدي وليس النبي عيسى (ع) .. وفي بعض النصوص إشارة إلى أنّ من يعلن العداة لأهل البيت لو أدرك الدجال لآمن به .. ففي الحديث عن أبي عبد الله جعفر الصادق (ع) قال :

^١ ابن حماد : ص ١٥٠

من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهوديا قيل : وكيف يا رسول الله ؟ قال : إن أدرك الدجال آمن به ..^١

وعلى كل حال فإنَّ الدجال ، والسفياي ، وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ، وظهور المهديّ ، والدابة ، كل ذلك قبل الساعة ، وفي الحديث عن أمير المؤمنين عن رسول الله (ص) قال :

عشر قبل الساعة لا بد منها :

السفياي ،

والدجال ،

والدخان ،

والدابة ،

وخروج القائم ،

وطلوع الشمس من مغربها ،

ونزول عيسى عليه السلام ،

وخسف بالمشرق ،

وخسف بجزيرة العرب ،

ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر ..^٢

ولقد تكررت هذه العلامات في أكثر من نصٍّ واشتدت إلى تفسيرها في أكثر من مقامٍ وعنوان .. والذي عليه الروايات ، أنَّ عالم آخر الزمان يكونُ

^١ المحاسن : ص ٩٠ ، ١٦ ، ٣٩ عنه (أحمد بن أبي عبد الله الرقي)

^٢ غيبة الطوسي : ص ٢٦٧

مشحوناً بالكثير من الحروب والفتن والفيضانات والجفاف والقتل وهوان الإنسان
وانحطاط أمره ، يكون فيه المالُ رباً وديناً دون الله ، وتكون فيه الغريزة كلَّ شيءٍ
في ظلِّ أسوأ إسفاف وانحدار في موثيق الإنسان وأطروحاته .. ولقد أرخت
النصوص العديد من العناوين والإشارات المذهلة ، وفي بعضها وصل الحد في
وصفِ قسم من هؤلاء بأخوان الجن ، كتعبير يُرادُّ منه الإشارة إلى التمرد والعنف
دون قيدِ الموثيق أو أنسنة النشاط البشري ، ومن يراقب ما عليه الإنسان اليوم في
القارات كلها ، يجد كلَّ شيءٍ مفقوداً من إنسانيته سوى السوق والغريزة
والتوحش على يدِ قاطراتِ كبرى همها أسر المزيد من البشر تحت خطِّ الفقر
والجوع والمرض والأسى دون أيِّ رحمة ..

لقد وصل التمرد إلى حدٍّ أن كلَّ شيءٍ يمتّ بالصلة إلى الله ولو من حيث
الشكل يعتبر منبوذاً في موثيق المجتمع المدني ، تأكيداً على العبثية البشرية في
مسيرتها المنحرفة حتى أنه في شهر حزيران ٢٠٠٢ إعتبرت محكمة الإستئناف في
مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية أن قسم الولاء المؤلف من ٢٩ كلمة والذي
يؤدّيه كل صباح ملايين التلامذة ويدهم على قلبهم مخالفاً للدستور لأنه يحتوي
عبارة (أمة في عهدة الله) معتبرةً أن مجرد ورود إسم الله يعني أنه ينتهك مبدأ
فصل الدين عن الدولة في مجتمعٍ مدنيّ لا دخل للدين فيه ، وبالتالي فالقسم هو
غير دستوري لأن السلطة هي مدنيّة وليست سماويّة أو أزليّة .. ! إلى هذا الحدّ
وصل الإنحراف البشريّ ، إلى حدّ بتر أيّ علاقة مع الله حتى ولو كانت دفترية أو
نظرية ، كلّ ذلك في نفس الوقت الذي يعتبر رموز المجتمع المدني وعلى رأسهم
القضاء جماعات مثل مادونا وبامبلا أندرسون وشارون ستون من ذوي
المرجعيات الحضارية الممتازة ذات الرقيّ العالي .. !

أيّ عدلٍ هذا ، أيّ قراءةٍ كونيّةٍ هذه ؟ أيّ قداسةٍ هذهٍ لحقّ الوجودِ على الأقل .. ! لقد وصل مستوى المفاهيم البشريّة إلى حدّ إعلان الحرب على قيم الكونِ وناموس الأشياء ذات الصلة الضروريّة بمواثيق النوع .. إنّنا نعيش في عالمٍ خطيرٍ ، مربكٍ ، تعلوه مساحات كبرى من السطوِ والقتلِ والظلمِ والإضطهادِ والمتاجرة بكلِّ شيءٍ ، ها هم الأمريكيان وعلى لسان الرئيس جورج بوش دقّوا جرس الخطرِ المثير جدّاً ، بعد أن بلغت الجريمة حدوداً غير مسبوقة ، بل تاريخ ٨ آب ٢٠٠٢ أعلن الرئيس الأمريكي أنّ المجتمع الأمريكي يمرّ بكارثةٍ حقيقيّةٍ بسبب تطوّر مظاهرِ الإجرامِ حتى أنّها طالت في العقد الأخير عشرات الآلاف من الأطفال الذين يُخطفون ويُقتلون أو يباعون أكسسوار (أعضاء بشريّة) أو يعاد تدجينهم عبر المافيات ، وأعلن الرئيس الأمريكي أنّ ٥٨ ألف طفل أمريكي يتعرّضون للإختطاف سنوياً من أشخاصٍ لا يمتّون بصلةٍ قربي مع عائلاتهم ، وأنّ معظمهم لا يعود كئيباً إلى والديه ، وأنّ قسماً منهم يُقتل على أيدي محترفي الجريمة .. أمّا جريمة القتلِ والسطوِ والإغتصابِ وغسيل الأموال والعنف فهي في كلّ عام تسجّل رقماً قياسياً جديداً ، ويكفي أن نشير إلى أنّ ولاية نيويورك الأمريكيّة مع أنّها تأتي في المرتبة العاشرة في سلّم الجرائم إلا أنّ الجريمة تزيد فيها عن ١,٢ مليون جريمة ، في أقلّ من ستّة أشهر حتى أنّه كلّ أربع ساعات تقع فيها جريمة قتل ، وكلّ ٣ ساعات تقع فيها جريمة إغتصاب وعلى مدار الثانية تقع فيها جرائم سطوٍ وعنفٍ واعتداء .. كلّ ذلك يحصل لأنّ روح الإنسان في ذلك العالم تحوّلت إلى وحشٍ مفترسٍ ، ينهش كلّ شيءٍ ، في ظلّ حربٍ من الجميع على الجميع ، إعتقاداً على مقاييس في النفع لا تعدو المادّة والغريزة وإشباعاتها .. إنّنا نشهد أسوأ مراحل الإنحدار والانحراف والترهل الذي يصيب مقتل المواثيق النوعيّة ويدمرُ بناها ... إنّنا نعيش عصر الغيبة ، وإلى ما قبيل

الظهور ستكون الأمور على نحوٍ من كارثةٍ كبرى ، وكما بين النبي والمعصوم من حالة الإنسان ، فإنّ العديد من مظاهره الخطرة بدأت تطلّ برؤوسها ، في ظلّ أسوأ كابوس موثيقي يُكتبُ من جديد بحير الغريزة العمياء وإملاء السوق ومنافع الذات غير العاقلة .. بالأمس وقف الإمام علي (ع) ليسجل واحدةً من معاني المظهر الموعود فقال :

يا أهل المؤتفكة ،
اتكفت بأهلها ثلاثا ،
وعلى الله تمام الرابعة ،
يا جند المرأة وأعوان البهيمة ،
رغا فأجبتم وعقر فأنزمتم ،
أخلاقكم دقاق ،
وماؤكم زعاق ،
بلادكم أنتن بلاد الله تربة وأبعدها من السماء ،
بما تسعة أعشار الشر ،
المحتبس فيها بذنبه ،
والخارج منها بعفو الله ،
كأنني أنظر إلى قرينكم هذه ، وقد طبقها الماء ،
حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد ،
كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر .
فقام إليه الاحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ومتى
يكون ذلك ؟

قال : يا أبا بحر إنك لن تدرك ذلك الزمان ،
وإن بينك وبينه لقرونا ،
ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم ، لكي يبلغوا
إخوانهم ،
إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً ،
وآجامها قصوراً ،
فالهربَ الهرب ،
فإنه لا بصيرة لكم يومئذ ،
ثم التفت عن يمينه فقال : كم بينكم وبين الابله ؟
فقال له المنذر بن الجارود : فذاك أبي وأمي أربعة
فراسخ ،
قال له : صدقت ، فوالذي بعث محمداً وأكرمه بالنبوة
وخصه بالرسالة وعجل بروحه إلى الجنة ،
لقد سمعت منه كما تسمعون مني أن قال : يا علي هل
علمت أن بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الابله
أربعة فراسخ ،
وقد يكون في التي تسمى الابله موضع أصحاب العشور
يُقتل في ذلك الموضع من أمي سبعون ألفاً ،
شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر ،
فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين ، ومن يقتلهم فذاك أبي
وأمي ؟

قال : يقتلهم إخوان الجن — إشارة إلى روح التحول
البشري نحو الانحراف الخطير — وهم جيل ، كأنهم
الشياطين ، سود ألوانهم ، منتنة أرواحهم ، شديد
كلبهم ، قليل سلبهم — إشارة في غاية الدقة إلى الحقد
والسفك والإفترس والتحول نحو الجريمة والعنف والسوء —
طوبى لمن قتلهم ، وطوبى لمن قتلوه ،

ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أذلة عند المتكبرين
من أهل ذلك الزمان ،

مجهولون في الارض ، معروفون في السماء ،

تبكي السماء عليهم وسكانها والارض وسكانها ...

ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال :

ويحك يا بصرة ، من جيش لا رهج له ولا حس ،

قال له المنذر : يا أمير المؤمنين ، وما الذي يصيبهم من

قبل الغرق مما ذكرت ،

وما الويح ، وما الويل ؟

فقال : هما بابان فالويح باب الرحمة ، والويل باب

العذاب ،

يا ابن الجارود نعم ،

ثارات عظيمة ، منها عصابة يقتل بعضها بعضا ،

ومنها فتنة تكون بها خراب منازل ،

وخراب ديار ، وانتهاك أموال ،

وقتل رجال وسبي نساء ، يذبحن ذبحا ،

يا ويل أمرهن حديث عجب ،
منها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعور ،
المسوح العين اليمنى والآخرى كأنها ممزوجة بالدم ،
لكأنها في الحمرة علقه ناتئ الحدقة كهيئة حبة العنب
الطافية على الماء ،
فيتبعه من أهلها عدة من قتل بالابلة من الشهداء ،
أناجيلهم في صدورهم ، يقتل من يقتل ، ويهرب من
يهرب ،
ثم رجف ،
ثم قذف ،
ثم خسف ،
ثم مسخ ،
ثم الجوع الأغر ، ثم الموت الأحمر وهو الغرق ،
يا منذر : إن للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر
الأول لا يعلمها إلا العلماء ،
منها الخريبة ، ومنها تدمر ، ومنها المؤتفكة ،
يا منذر ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أشاء
لأخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة ،
ومتى تحرب ،
ومتى تعمر بعد خرابهما إلى يوم القيامة ،
وإن عندي من ذلك علما جمًّا ،

وإن تستلوني بحدوني به عالماً لا أخطئ منه علماً ..^١

في هذه الخطبة الكثير من الإشارات الكبرى إلى عالم المتغيرات ، في زمن التحول إلى وحشية قاتلة ، وجبهات تعتمد الباطل أساساً بنيوياً لقيام صولتها وصراعها ومواقفها .. لقد كان الإمام عليّ واضحاً في الإشارة إلى سامعيه آنذاك أنهم لن يدركوا ذلك الزمن ، مؤكداً أن بينهم وبين ذلك الزمن قروناً .. كان الإمام يحدث سامعيه عن زمن قادم بعد قرون وقرون ، في ظل علم غيبي من النبي عبر الله تعالى ، يبين مجموعة كبرى ستقع حتماً في آخر الزمن ، يحدثهم عن يوم الدجال ، عن يوم الجبهات الباطلة ، عن عصر الأدوات التي تسير في الأرض والبحر والسماء ، عن تطويع الأنظمة ، عن استغلال القوانين الكونية المغروسة في بطن الأرض والفضاء .. وكما قلت في السابق : يكفي أن نقرأ مجموعة من النصوص المذهلة لتدرك قيمة النبي والإمام وعظمة الإعجاز الغيبي الذي وضعوه بين يدي البشرية منذ قرون وكأنهم كانوا يصفون مشهداً حياً ، مرةً عبر الإشارة إلى العلامات الكونية ومرةً عبر الإشارة إلى الابتكارات البشرية من مركبات وقاطرات وأدوات للبحر والبر والفضاء ، وثالثةً عبر الإشارة إلى قيم الجماعة وما يحصل في ذلك الزمن جرائها ، سواءً في هذا الأمر زمن الغيبة وزمن الظهور .. وقد تحدثت عن ذلك مطولاً تحت شرح الكثير من النصوص التي فيها المذهل

^١ شرح صحيح البلاغ ، ابن ميثم البحراني : ج ١ ص ٢٩٠ ٢٨٩ الخطبة ١٣ مرسل عن علي (ع) من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد ما فتحها روي أنه لما فرغ من حرب أهل الجمل أمر مبادياً ينادي في أهل البصرة أن الصلاة جامعة لثلاثة أيام من غد إنشاء الله ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة فلا تجعوا على أنفسكم سبيلاً فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج فضلى في الناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلاته قام فاستند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المنبر فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، ثم قال : رواها ابن قولبة " حوّل ظير في حجة بحر " وروى الجزء الثاني منها في ج ٣ ص ١٦ ١٥ . البحار : ج ٣٢ ص ٢٥٨ ٢٥٣ ٤٠٤ ج ١٩٩ عن شرح صحيح البلاغة ، للبحراني بتفاوت يسير . مع الإشارة إلى أن القسم الأول من هذه الخطبة معروف مشهور رواه المحدثون والمؤرخون مثل ابن أبي الحديد وابن منظور ، وقد ورد في صحيح البلاغة . وقد ذكرنا مصادر الجزء الثاني منها ...

والمعجز بكلّ المقاييس ، وما عليك إلا أن تعيد قراءة ذلك بتأنٍ ودقّة .. وها نحن بطبيعة الحال في آخرِ الزمن ، زمن غيبة المهديّ (ع) الذي يقع في رتبة الإمام الأخير من سلسلة ١٤ من المعصومين أوّلهم رسولُ الله وآخراهم المهديّ محمد بن الحسن الذي نعيش فترة غيبته المباركة ، فإذا ظهرت الآيات وقتل المهديّ الدجال أقام القسط والعدل في العالم وعادت الأرض إلى طاعة ربّها كما بدأت وبذلك تتمّ آية الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ، ففي الحديث عن الإمام الصادق (ع) قال :

إن الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا ، فقبل له : يا بن رسول الله ، ومن الأربعة عشر ؟ فقال : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين ، آخراهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ، ويطهر الأرض من كل جور وظلم ...^١

وعليه : يكون العالم على مستوى من التمزّق والترهل في المواثيق والقيم التي تعاند أصل الغايات الوجوديّة وتطعن روح الإستخلاف الرباني بصورة مخيفة من دون أيّ تعريفٍ للفرد ولا للجماعة من بابٍ على الأقلّ يعترف بروح الإعجاز والخلق والتكوين في ظلّ ربويّة قاتلة للمال والبطن والفرج والإعترارات دون أن يكون الله في مواثيق الأمم ، دون أن يكون للناموس أيّ معنى في إرشاد قادة العالم ، دون وقفة قصيرة عاقلة أمام مشهد تَكُونِ الفردِ طفلاً في الرحم ،

^١ كمال الدين : ج ٢ ص ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٧

وبشكله المذهل الذي يعتبر آيةً من المعجزات الكبرى ، ثم دورة الفرد في الدنيا بين طفولة وشبابٍ وشيخوخةٍ وقرمٍ ثم موتٍ ومدفنٍ وتحلّي إلى عناصر المادة التي تكوّن من أديمها ، دون أن يقرأ قادة هذا العالم أنّ هذا الكون العظيم وما فيه يصلّي خشوعاً أمام هيكل الله .. وقد أعدّ الله لهذه المرحلة الجبارة في الإصلاح العالمي لنشر معالم دولة الإسلام في كلّ أرجاء الدنيا واحداً من آلِ رسولِ الله يسوق الأمم بعضاً من حديد رجمٍ كلّ الأباطرة والقيصرة وأهل الباطل .. أعني به الإمام القائم المهديّ محمد بن الحسن عليه السلام ..

اللهم اجعلنا من أنصار المهديّ محمد بن الحسن بمحمدٍ وآلِ محمدٍ وأمتنا على ولايتهم وارزقنا شفاعتهم واحشرنا معهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ..

حركة يأجوج ومأجوج نحو العالم :

- الصراع الدموي .
- تسجيل الإنتطارات .
- الكثرة العددية وقدرة الأدوات ..
- محاولة السيطرة على بقاع العالم ذات الأهمية .
- أثر يأجوج ومأجوج على المسلمين .
- محاولة المواجهة مع جبهة الإمام المهدي (ع) ..

خروج يأجوج ومأجوج وحركتهم الدمويّة نحو كيانات العالم

تتفق النصوص على أنّ آخر الزمنِ عالمٍ مختلفٍ ، متغيّرٍ ، متبدّلٍ ، فيه نزاعٍ واقتتالٍ عنيفٍ وفتنٍ كبرىٍ وألويةٍ مرصودةٍ لحربٍ واسعةٍ تجتاح العالم ... ذلك العالم يكونُ متنوعاً في كثيرٍ من العناوين والجهاتِ والأدواتِ ووجوهِ القيادةِ ورجالِها وجندِها على نحوٍ يتوافقٍ وفسادِ المواثيقِ .. من تلك المعالم الجبهيّةِ التي وردت في لسانِ النبيّ (ص) عنوان يأجوج ومأجوج ككيانٍ كبيرٍ ونسلٍ واسعٍ وأدواتٍ نافذةٍ تخرُجُ نحو الأفقِ العالميِّ بشكلٍ عدوانيٍّ دمويٍّ .. فماذا عن تلك الرايةِ وذلك الكيانِ .. ؟

بادئ ذي بدئٍ لا بدّ من الإشارةِ إلى أنّ طائفة يأجوج ومأجوج هم بشر من بني آدم ، وفي الحديثِ عن رسولِ الله (ص) قال :

(إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، ولو أنهم أرسلوا على الناس لافسدوا عليهم معاشهم ، ولن

يموت منهم أحد إلا ترك ألفا فصاعدا ، وإن من ورائهم
ثلاث أمم تأويل وتارليس ، ومنسك) ..^١

النص واضح كما غيره في أن طائفة يأجوج ومأجوج بشر لكنهم كثر ،
ويظهر منها أنه في آخر الزمان يكون لهم شوكة ونفوذ وقوة وقدرة في التأثير
بكيانات الآخرين ، ونحو بارز من السيطرة السوقية واحتكار مناطق ذات غنى
مائي وغذائي وشبه ذلك ، وقد وردت تعابير عديدة تشير إلى ذلك في أكثر من
صياغة واستعارة تتعلق بالماء والغذاء وشبهها ، وهي بطبيعة الحال متصلة بما
أشارت إليه النصوص النبوية من حروب أهل آخر الزمان على المال والإحتكار
وقد مرّ قسم وفير منها في الإشارة إلى ذلك .. والبارز في تلك الأمة المتكثرة أنها
تخرج بعد " طول احتباس " تعمل فيه على إعداد أسباب القوة لفتح المجال الدولي
أمامها ، فضلاً عن السيطرة على نوع متوسّع من منافع ومصالح تقع في المجال
الآخر من العالم عبر حروب وفتوحات واحتلال وقتال وعنف تخوضه من أجل
تحقيق ذلك .. وما أشارت إليه بعض النصوص من صفاتهم الجبارة فإنه من باب
رصد الحقيقة عبر البيان بالكناية والاستعارة .. وبطبيعة الحال لا يجوز الإعتماد
على منطق المدرسة الحرفية بل لا بدّ فيه من اعتماد قواعد الإستعمال اللغوي
العرفي التي تشكّل قانون التخاطب بين العقلاء لمعرفة المراد من ذلك .. وهذا
الإستعمال يدلّ على حكمة ضرورية في لسان النبي ، لأنّ التعبير عن عالم آخر
الزمان بما يعنيه من قدرة وتطويع للنظام ، مع فارق هائل بين زماني صدور النصّ
وتطبيقاته يحتاج إلى نوع من المداقة في الإشارة والبيان ولا يقوم بذلك حسب
الحال إلا نخب الإستعارة والكناية ..

^١ الطيالسي : ص ٣٠١ - ٢٢٨٢

وعلى كلِّ حال ، فإنَّ النصوص تشيرُ إلى أنَّ طائفةً يأجوج ومأجوج تكون على قدرٍ كبيرٍ من التناسلِ والعدد ، وتؤكدُ أنَّ هذه الطائفة الكبرى لها أثر كبير وخطير على العالمِ حين تخرج نحو الأفقِ الآخرِ من العالم ، حيث تبدأ الغزو للكيانات الأخرى بأشكالٍ مختلفة أهمُّها الغزو العسكري .. وتضيف النصوص أنَّها كما تكون خطيرةً على الكيانات الأخرى من العالم أيضاً تكون كذلك على المسلمين في حين يكون وضع المسلمين اتجاهها صعباً .. وقبل أن أسرد المزيد من النصوص أشير إلى أنَّ الروايات بين الإمامية والعامَّة تتفق على أمورٍ هي التالية :

- ١ . يأجوج ومأجوج أمة بشرية كبرى بتعدادها .
- ٢ . في آخر الزمان يكون لهم قدرة ونفوذ (بمعنى أنَّهم يشكلون جبهة قوِّية وقادرة) ..
- ٣ . يشكلون خطراً على المسلمين وغيرهم ..
- ٤ . يحتكرون موارد مهمَّة مثل الماء والطعام ، لكن بصورة نسبية .. أي أنَّهم يؤثرون بشكلٍ واضحٍ على مثل هذه الموارد ..
- ٥ . تشير الروايات إلى أنَّهم يوجهون حملتهم اتجاه المسلمين وغيرهم في حين تؤكد الروايات تعدد الجبهات واحتدام الصراع بينها وشبه ذلك ..
- ٦ . أمَّا من يهزم هذه الطائفة المهديّ أو عيسى بن مريم ، لا نحتاجُ إلى كثيرٍ توقف عند هذا الموضوع ما دام أنَّ عيسى بن مريم يكون في جبهة المهديّ ويصلي خلفه .. وقد أشرت في موضع الدجال إلى أنَّه لا تناقض بين المرويَّات فيمن يقتل الدجال ، ما دام أنَّ عيسى بن مريم في جبهة المهديّ ، وحسب الحجاز الذي يستعمل اليوم يقال : رئيس الجمهورية أو

رئيس الحكومة شيّد الجسر الفلاني بمعنى أمر بتنفيذه ولزمه لشركة ما...
وعليه : فلا نحتاج إلى أن نتوقف عند مثل هذه الأمور بشكلٍ معقدٍ ..

وتجدرُ الإشارةُ إلى أن هذه الطائفة تميّزت عن غيرها من جبهات العالم في
آخر الزمانِ بأنّها ذات تناسل كبير واستثنائي فضلاً عن أنّها ذات شوكة وقوّة ..
ففي الرواية عن حذيفة قال قال رسول الله (ص) في حديث طويل :

... فعند ذلك خروج يأجوج ومأجوج ، قال
فيوحي الله عز وجل إلى عيسى : أحرز عبادي بالطور
طور سينين ، قال حذيفة : قلت يا رسول الله ، وما
يأجوج ومأجوج ؟ قال يأجوج أمة ، ومأجوج أمة ،
كل أمة أربعمئة ألف أمة ، لا يموت الرجل منهم حتى
ينظر إلى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه — وهو
تعبير يُراد منه الإشارة إلى كثرة النسل وعدد تلك الأمة
الكبير — قال قلت : يا رسول الله ، صف لنا يأجوج
ومأجوج ، قال : هم ثلاثة أصناف ، صنف منهم أمثال
الارز الطوال ، وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء ،
عشرون ومائة ذراع في مائة وعشرين ذراعاً ، وهم
الذين لا يقوم لهم الحديد ، وصنف يفترش إحدى أذنيه
ويلتحف بالآخرى — إشارة إلى تمايز أصناف هذه الأمة
وتعدّد طوائفها وقدراتها ، فمنها ما لا يقوى عليه

الحديد ومنها غير ذلك .. إشارات دقيقة ومتناهية لبيان
وصف جبهوي لهذه الأمة المتعددة الطوائف ..^١

ثم يتابع حذيفة فيقول : قال رسول الله (ص) :

يكون جمع منهم بالشام وساقطهم بخراسان ،
يشربون أنهار المشرق حتى تيبس — إشارة إلى كثرة
عددهم واحتكارهم ومنع الآخرين من موارد الماء —
فيحلّون بيت المقدس ، وعيسى والمسلمون بالطور ،
فبيعت عيسى طليعة يشرفون على بيت المقدس ،
فيرجعون إليه ، فيخبرونه أنه ليس ترى الأرض من
كثرتهم ، قال : ثم إن عيسى يرفع يديه إلى السماء ،
فيرفع المؤمنون معه ، فيدعو الله عز وجل ويؤمن
المؤمنون فيبعث تعالى عليهم دُوداً يقال له : النغف ،
فيدخل في مناخرهم ، حتى يدخل في الدماغ ،
فيصبحون أمواتا ، قال : فيبعث الله عز وجل عليهم
مطراً وابلاً أربعين صباحاً فيغرقهم في البحر ويرجع
عيسى إلى بيت المقدس ، والمؤمنون معه ...^٢ — ذيل
الحديث يشير إلى أن سبب موت هذه الطائفة في تلك
الواقعة إنما مرده إلى أسباب مرضية وليس إلى عنف
وصراع عسكري ، أي أن مرضاً ما ينتشر في تلك

^١ الداني : ص ١١١ ١٠٤

^٢ الداني : ص ١١١ ١٠٤

البقعة فيقتل هؤلاء .. نعم النصر واضح في الإشارة إلى أن عيسى بن مريم يدعو الله ، وهو واحد من العناوين التي ركزنا عليها قبل البدء بالحديث عن مراكز القوى والصراع فقلنا إنَّ الثابت بالنصوص أن الله تعالى ينصر المهديَّ وجبهته بما نصر به رسوله من معونة الملائكة وما يتصل بأسباب النصر من كونيَّات وشبه ذلك ، لكن متى يلجأ الإمام المهديَّ لذلك أو متى يلجأ نبي الله عيسى إلى ذلك الأمر موكول إليهم ضمن حدود السلطة المعطاة لهم من الله تعالى .

وفي هذه العجالة أحبُّ أن أشير إلى أن حرب عيسى بن مريم ، إنما تكون تحت راية المهديَّ ، إمام ذلك الزمن وسلطانهُ ، باتفاق كلِّ النصوص والروايات ، وأنَّ النبي عيسى بن مريم ، يحتلُّ من جبهة المهديَّ مركز الوزارة ، في حين تكون للمهديَّ الإمارة ، [وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى إمرة المهديَّ في زمنه المعدَّ له .. وتأكيد فئائي من النبي (ص) على سلطنة المهديَّ صاحب الزمان (ع) .. بل نقلت النصوص تعبير النبي عيسى وهو يقول : إنما بُعثت وزيراً وليس أميراً لهذه الأمة ..] من هنا فإنه لا بدُّ من قراءة النصوص المتصلة بقيادة النبي عيسى عليه السلام على قاعدة أنها وظيفة قيادية في جبهة الإمام المهديَّ ، وبهذا ينحلُّ الإشكال في أكثر من موقع وبيان ، خاصة فيما أشارت إليه النصوص من أن المهديَّ يقتل الدجال والسفياي ويقابل يأجوج ومأجوج وتكون نهايتهم على يده (ع) بحيث يكون نحو من أنحاء الإمرة أو نحو من أنحاء المباشرة ، والأمر يظلُّ موكولاً إلى الميدان والمواقع وانفتاح الجبهات ، والثابت أن المهديَّ يقيم القسط

والعدل في الأرض ويظلّ حياً إلى أن يتمّ الأمرَ هذا بشكلٍ يتفق ومعاني العدل كما أرادهُ اللهُ تعالى كنموذج تاريخي هائل في مرحلة القرب من ختام التاريخ الأكبر للإنسان على الأرض ..

وبخصوصِ يأجوج ومأجوج لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الروايات تنصّ على أنّ هذه الأمة لا توجد فجأة ، ولا يكون ظهورها ابتدائياً ، بل هي أمة لها تاريخ من الحضور ، لها امتداد في الزمن ، لها من العددِ الكثرة ، لها من الإحتباسِ مدّة كبيرة ، وهو تعبير وظيفي في غاية الدقة يُراد منه الإشارة إلى مخزونها من العددِ والعدّة والإعداد .. ففي الحديثِ عن رسولِ اللهِ (ص) قال :

إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السدّ كل يوم ، حتى إذا كان شعاع الشمس قال الذي عليهم : إرجعوا فستحفرون غدا فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : إرجعوا فستحفرونه غدا — أقول واضح أنّ هذه الإشارات مأخوذ فيها بيان أنّ هذه الأمة تعمل بجهدٍ ونشاطٍ كبيرٍ لتأسيس قوتها وهي تتطلّع نحو العالم الخارجيّ ليكون لها نفوذها الذي تطمح إليه في الساحةِ الدوليّة ، أمّا تعبير أنّهم سيخرجون فإنه إشارة إلى الإستراتيجيّة التي يعمل عليها هؤلاء من تخطيطهم وبناء قوتهم بما يتوافق ووصولهم إلى رتبةٍ أساسيّة في النظام الدولي .. وما استعمال تعبير بناء السدّ إلا إشارة إلى

رمز الحصانة والقوة والممانعة وصرح النفوذ في آنٍ واحد ..

ثم يضيف النصّ المروي عن النبيّ (ص) :
فيعودون إليه (أي إلى بناء السدّ) وهو كهيته حين
تركوه ، فيحفرونه ، ويخرجون على الناس فينشفون
المياه ، ويتحصن الناس منهم في حصونهم ، فيرمون
بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهية الدم ،
فيقولون : قهرنا أهل الارض ، وعلونا أهل السماء ..
إشارة إلى أنّهم يغزون الأطراف الأخرى للكيانات
ويتوجّهون نحو العالم الخارجي فتكون لهم القدرة في
التغلب والإنتصار بمواجهاتٍ عديدةٍ وعنيفةٍ فيسيطرون
على المياه ومراكز الثروات بصورةٍ بارزةٍ ، أي أنّهم
يتمكّنون بصورةٍ بارزةٍ من الموارد الضرورية لحاجة
الفرد والجماعة في المناطق التي يغلبون بها أعداءهم ..
أمّا تعبير أنّهم يرمون بسهامهم إلى السماء فهو إشارة
حيّة إلى ادوات المواجهة في الجوّ (مثل صواريخ أو
طائرات) أي سلاح موجه نحو الفضاء الأرضي (إقليم
الحرب لأدوات الجوّ) النصّ يشير إلى أنّ سهامهم
ترجع وعليها هيئة الدم أي تقتل وتسفك وتنتصر وكأنّ
النصّ فيه إشارة إلى مواجهاتٍ تقع في فضاء الأرض ،
أي في السماء المتصلة بأرض الصراع العسكري ،
فينالون ثمّ يهاجمون .. من هنا أشار الحديث إلى أنّهم

يقولون : قهرنا اهل الأرض .. والذي أحب أن أشير له
أيضاً أنهم يتحدثون فيقولون قهرنا أهل الأرض ، وهذا
فيه بيان إلى انتصارهم على أمة قادرة ونافذة في منظومة
العالم السياسي آنذاك .. ما يعني أن الحرب تلك تكون
على نحو من صراع الجبابرة حيث تتطاحن فيه القوى
بشكل رئيسي وبارز ...

ثم يضيف النصّ عن النبيّ قائلاً :

فبيعت الله عليهم نغماً في أقفائهم فيقتلهم بها
(قطعة الجلد التي تتخذ حزاماً شبه بها الدود الذي
بيعت على يأجوج ومأجوج) وأضاف (ص) : والذي
نفس محمد بيده إن دواب الارض لتسمن شكراً من
لحومهم ودمائهم (شكرت الدابة : بكسر الكاف ،
شكرا بفتحها : سمت وكثر لبنها) ...¹

إن هذا النصّ كسابقه يشير إلى قوّة هذه الأمة وذلك الكيان مؤكداً أنهم
يعيشون مرحلة عنيفة من حربٍ خارجيةٍ موجهةٍ نحو العالم تقاتلُ أمماً عظمى
وتصرّ على ضرورة ضمان حصّتها الكبرى في الميدان الجيو سياسي والجيو
اقتصادي في طول المساحة الدوليّة ، ويظهر أن الغاية النفوذية في جغرافيا العالم
فضلاً عن المال والثروة والاقتصاد كلّها تكون من دواعي تحريك الحرب في أكثر
من وقعةٍ وعنوان استراتيجي .. النصّ يتحدث عن صراعٍ يكون من جملته حرب

¹ عبد الرزاق : على ما في الدر المنثور . * : أحمد : ٢٥ ص ٥١٠

هائلة وعنيفة بأدوات الجوِّ وأدوات الفضاء فضلاً عن غيرها ، وقد ارتكز الحديث وغيره على مجموعة من صيغ الإستعمال التاريخي للإشارة إلى معانٍ متأخرة عن زمن النصّ ، أي نظرة إلى عالم الظهورِ وآخر الأزمان ، عالم التطوُّرِ وتطويع الأدوات وفهم نواميس المادّة والطاقة وغيرها .. ولا شك أن في هذا الحديث مجموعة مذهلة من الفقرات لأنها تتحدّث بلغة الزمانِ آنذاك وبطريقةٍ سحريةٍ مذهلة تكشف فيها هويّة عالمٍ آخرِ الأزمان في يومِ المهديّ عليه السلام ..

يشير النصّ إلى أن هذه الأمة يكون لها من القوّة ما تفتحُ به العديد من مناطق العالم ، وتقاتل جبهةً كبرى ، تنتصر عليها ، من هنا تعبّر عن ذلك بالانتصارِ على أهلِ الأرض ، إلا أن نهايتها تكون على يدي جبهةِ المهديّ عليه السلام ، ويلفت النصّ إلى أن هلاكهم لا يكون بوقعةٍ عسكريّةٍ وقاتلٍ ، إنّما بمرضٍ قاتلٍ وعنيفٍ يجتاحهم .. نعم يفقدون نحواً من ميّزاتهم في أكثر من وقعةٍ وجهيةٍ إلا أنّهم لا يتأثرون بسبب المزيد من الانتصارات والفتوحات والدخول بقوّة إلى منافع العالم السياسي الإقتصادي .. من هنا تجدهم يصرون على المزيد من فتح كيانات العالم ، ويتوجّهون نحو بقاعٍ مختلفةٍ ، وما تعابير " أنّهم لا يمرّون بشيءٍ من الماءِ إلا شربوه .. " إلا إشارة إلى سيطرتهم واحتكارهم لمناطق وأنهار وأراضٍ وبلدانٍ واسعة .. وعليه : النصوص تسجّل ليأجوج ومأجوج مرحلتين :

الأولى : مرحلة القوّة والنفوذ والانتصار ، إلى درجة يعبّرون في إحدى معاركهم الشرسة ضدّ كيانٍ نافذٍ وقويٍّ عن أنّهم قهروا أهلَ الأرض ، أي أنّهم حقّقوا انتصاراتٍ هامةٍ ضدّ أمةٍ لها حظٌّ وفير في النظام الدولي والساحة العالميّة ..

الثانية : مرحلة الهزيمة والإنكسار ، ويظهر من النصوص أنهم يكونون متجهين نحو أفقٍ شرقيٍّ صوب جبهة المهديّ بعد تحطّي معارك شرسة يقهرون فيها خصمهم فيواصلون سيرهم باتجاه بلاد المسلمين ، فتكون هزيمتهم النكراء وبشكلٍ شامل حين يسلّط الله عليهم أسبابَ الهلاكِ عبر مرضٍ قاتلٍ وقتاك ..

أما ماذا عن ظروف دولتهم وحكمهم ووقت خروجهم وخصائص حركتهم وزمن الانتصار والإنكسار ؟ الروايات لم تبين ذلك بشكلٍ تفصيليٍّ مبرمج لكنّها تسجّل عنوانين أساسيين :

الأول : أنهم أمة لها قدرة وامتداد في بطنِ التاريخ ..

الثاني : أنهم كيان له في ساعةٍ من الساعات قدرة على اختراق الدروع الأُمّية السياسيّة العسكريّة بشكلٍ عنيفٍ ونافذ ، لأهدافٍ تتصلّ مرّةً بالحيويّة السياسيّة والنظام الدولي السياسي ، ومرّةً بغايتهم من الجيو إقتصاد وضرورته في نظرهم .. وذلك بعد أن يصلوا إلى مرحلةٍ تاريخيّةٍ من إعدادِ قواهم ، وكما في التعبير المنقول : بعد أن ينتهوا من الحفر في سدّهم ..

وللمرّة الثالثة أذكر بأنّ في نصوصِ النبيّ (ص) إشارات كبرويّة ضروريّة الالتفات وهي تركز على أنّ مجموعة من الحروب التي تجتاحُ العالم تكون لأسبابٍ تتعلّق بصراعٍ على الثروة والمال .. صراع على ثروة السطح والباطن ، صراع على المعدنِ الباطني .. كما في وقعة قرقيسيا الكبرى الواردة في النصوص فضلاً عن غيرها من الروايات المردّدة لعبارات " حرب المال " ..

ثم من بين الآثار التي تطال جبهات وكيانات عديدة من العالم ، فإن العرب والمسلمين تطالهم آثار خطيرة في هذا المجال .. ففي الحديث عن زينب بنت جحش قالت : دخل علينا رسول الله (ص) وهو يقول :

ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق إمامه بالتي تليها ، قالت فقلت : يا رسول الله أهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبيث ...¹

تعبيراً يُرادُ منه الإشارة إلى الأثر الذي يكون ليأجوج ومأجوج على الكيانات في المنطقة ، بشرّ داهمٍ ، خاصّةً إذا أخذنا بعين الاعتبار ما اشارت إليه طائفة أخرى من اختصار الأزمان والأماكن واستغلال البحار والفضاء والأرض بأدوات فاعلة لها قدرة في التأثير والنفوذ والسيطرة ، وهي إشارات كبرى وواضحة في شرح نموذجي تقريبي لعالم الأداة في ذلك الزمن ، حيث تستفيد من تطويع الأنظمة الطبيعيّة والطاقة والكهرمغناطيس والجاذبيّة وغيرها ويظهر من الروايات أنّ نفوذ يأجوج ومأجوج يكون منذ خروجها وإلى ظهور المهديّ ، بل تحاول هذه الجبهة الأاجوجيّة أن تقضي على جبهة المهديّ (ع) بعد أن تكون تخلّصت من أقطاب كبار في العالم السياسي إلى درجة تقول فيها لقد هزمتنا أهل الأرض .. إلا أنّ مدّهم الجرّار يُصابُ بانتكاسة كبرى ، فجبهة المهديّ (ع) تكون على مستوى من الصلابة والممانعة والقدرة والنفوذ العالي رغم كلّ الجبهات التي تتوجّه ضدها وحولها ، بل تكون جبهةً فاتحةً لمعاقل كانت توصف

¹ عبد الرزاق : ١١ ص ٣٦٣ - ٢٠٧٤٩

بالكبرى كما هي الحال مع الروم ، وقد أشرنا إلى أن هلاكهم يكون إبان زحفهم نحو قتال جبهة المهدي (ع) .. وفي نص صريح مضاف إلى غيره من النصوص يحذر النبي محمد من هذه الأمة الضالة ، فيشير إلى أنهم قوم طغاة وأمة على الباطل ، بل في الحديث عنه (ص) قال :

بعثني الله تعالى حين أسري بي إلى يأجوج
ومأجوج فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأبوا أن
يجيبوني ، فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد
إبليس) .. ¹ إشارة من النبي (ص) إلى ضلالهم وبطلان
موابقتهم ولوائهم ودعوتهم وتحذير للأمم القادمة منهم
وبيان للعالم أنهم من أهل النار ..

وقد صرحت النصوص أن جموع يأجوج ومأجوج يثبتون في أكثر من
صراعٍ ومعاركةٍ وقاتلٍ وينتصرون في وقعاتٍ كبرى يظهر من بعضها أنها حاسمة
في تسجيل إنتصاراتٍ ذات بُعدٍ استراتيجي وفق مقاييس العالم السياسي آنذاك
فيتمددون إلى خارج كيانهم بشكلٍ قادرٍ وفذٌ وبكثرةٍ هائلة من أجل تأسيس
وجود دولي لهم يتوافق وقدراتهم تلك .. وفي النصوص إشارة إلى النفوذ بشقي
الأداة والتعداد البشري ، وفي بعضها الآخر إشارة إلى مواصفات جسمانية مثل
القوة واللون الأصفر وشبه ذلك .. ويظهر من بعضها أن طائفة يأجوج ومأجوج
حين يخرجون يتحصن منهم المسلمون في حصونهم طلباً للمانعة وخوفاً من
جبروتهم الذي يظهر على مستوى عالٍ في الأداة العسكرية وخياراتها .. لكن

تلك الروايات تشير إلى أنه لا تقع حرب بين المسلمين وبين يأجوج ومأجوج على الأقل في تلك الواقعة التي يهلك فيها جيش يأجوج ومأجوج في عصر المهديّ ... أما قبل ذلك فيظهر من الروايات أن العرب — أي قبل جبهة المهديّ — يتأثرون بشكلٍ واضحٍ من نفوذهم بل في التعبير ويل للعرب من شرٍّ اقترب .. إشارة إلى شرٍّ يحيطُ بهم ، ويدوقون منه وابل الأثر ..

وعن جبهة الإمام المهديّ .. ؟ يكفي أن نشير إلى أن المسلمين يكونون على وشك الإلتحمام بجبهة يأجوج ومأجوج عسكرياً ، وذلك بعد أن تتوجه هذه الطائفة الكبرى إليهم ، في وقتٍ تكون فيه جبهة الإمام المهديّ في حربٍ عنيفةٍ ضدَّ الروم التي تفتح عواصمها بعد حربٍ ضروسٍ هي الأعنف .. وبينما هي داخلة إلى حصون الروم بعد الإنتصار ، وإذا بيأجوج ومأجوج تتجه نحو جبهة الإمام المهديّ في مهادٍ جبهته بالشرق .. عند ذلك يتجه قسم كبير من جيش الإمام لمقاتلتهم ، وقبيل المواجهة تشير النصوص إلى أن مرضاً فتاكاً يحتاج جيش يأجوج ومأجوج ، كما أن غرقاً بالمياه يصيبهم .. وفي الرواية عن رسول الله (ص) قال :

يفتح يأجوج ومأجوج (إشارة إلى السدِّ وهو
تعبير يرادُّ منه الإشارة إلى قدرتهم على الخروج نحو
الأفق في الساحة الدولية ..) ،
ويخرجون على الناس كما قال الله عز وجل (من كل
حذب ينسلون) ، فيغشون الارض ،
وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ،
ويضمون إليهم مواشيهم ،

ويشربون مياه الارض ،

حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى
يتركوه يبسا ، حتى أن من بعدهم ليمر بذلك النهر
فيقول قد كان ههنا ماء مرة ،

حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا في حصن أو مدينة
قال قائلهم :

هؤلاء أهل الارض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء ،
قال : ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء
فترجع مختضبة دما ،
للبلاء والفتنة ،

فبيناهم على ذلك ، إذ بعث الله دودا في أعناقهم
كنغف الجرار الذي يخرج في أعناقهم ، فيصبحون موتى
لا يسمع لهم حسا (كذا) فيقول المسلمون :
ألا رجل يشري نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ؟
قال فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا لنفسه قد وطنها
على أنه مقتول ،

فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي :
يا معشر المسلمين ألا أبشروا ،
فإن الله قد كفاكم عدوكم ، فيخرجون من مدائنهم
وحصونهم ، ويسرحون مواشيهم ،
فما يكون لها رعي إلا لحومهم ،

فتشكر عنه كأحسن ما تشكر (تسمن) عن شئ من
النبات أصابته قط ..^١

وعن وصفهم تشير بعض النصوص القليلة إلى بعض التفاصيل الجسمانية ففي
الرواية عن النبي (ص) قال :

إنكم تقولون لا عدو ، وإنكم لا تزالون
تقاتلون عدواً ، حتى يأتي بأجوج ومأجوج عراض
الوجوه ، صغار العيون ، شهب (صهب) الشعاف
(صفر الشعور) من كل حدب ينسلون ، كأن
وجوههم المجان المطرقة (صفة وردت في احاديث غزو
التار لبلاد المسلمين) ..^٢

ويظهر من عدّة روايات تكرار الإشارة إلى اللون الأصفر كميزة لهم في
ناحية ما ، كما في الشعر مثلاً .. وعلى كلّ حال فيما نصّت عليه النصوص من
إشارة وبيان يكفي ولا حاجة إلى الغوص في التفاصيل خاصّة في تلك النصوص
المضطربة في أسانيدنا .. وبعد أن يُهلك الله طائفة يأجوج ومأجوج يظهر أنّها
تكون آخر الجبهات المناهضة في الأرض ، وعلى أثرها تنشر جبهة المهديّ العدل
والقسط في أرجاء الأرض .. وتظلّ الأمور كذلك إلى تمام سلسلة ما يريدُه الله
تعالى في نهاية هذا التاريخ ، مثل الرجعة والدابة وغيرها ، إلى أن يأمر الله تعالى
فيقبض أرواح البشر ، وتبدأ لحظات الساعة الموعودة ، وبالتالي يبدأ العالم الآخر

^١ ابن حماد : ص ١٦٤
^٢ أحمد : ج ٥ ص ٢٧١

وهو العالم الأكثر قداسة وجودة .. وفي بعض الروايات أنه حين ينصرف عيسى ومن معه بعد يأجوج ومأجوج إلى بيت المقدس فيقولون : الآن وضعت الحرب أوزارها ، ثم إن الأرض تخرج زكاتها بإذن الله تعالى على ما كانت في أول الدنيا فليبت عيسى (ع) والمؤمنون سنوات في بيت المقدس ثم يبعث الله ريحاً تقبض الأرواح .. وما أحب أن أشير له هو أن بعض النصوص العامة وهي بطبيعة الحال واضحة الخلل في أسانيدنا تحاول أن تعطي مجموعة من الأدوار الثابتة للمهدي إلى النبي عيسى بن مريم ومع أن النبي عيسى في جبهة المهدي على قاعدة (إنما بعثت وزيراً لا أميراً) إلا أن مجموعة من النصوص العامة واضحة في هذا التوجه ، وتحمل في طياتها نفس الإسرائيليات ذات البعد التحريفي والتحويري إلا أنها لم تستطع أن تدحض حقيقة وأصل الواقعة لكنها تحاول التبدل بإسمي المهدي وعيسى بن مريم وهذا واضح لكل من يقرأ النصوص بشكل متكامل .. من هنا حاولت عدة مرويات إعطاء دور قتال الدجال وقتله والسفياي ومواجهة يأجوج ومأجوج لعيسى بن مريم (ع) في محاولة واضحة للنيل من مهدوية الجبهة في أكثر من ناحية وعنوان .. إلا أن الأمر على غير أهمية ما دام أن النصوص كلها وبتفاهل كل المسلمين تثبت أن عيسى بن مريم (ع) يكون في جبهة الإمام المهدي (ع) ويصلي خلفه بل يصرح أمام المهدي والمسلمين والعالم أنه لم يبعث أميراً ، وإنما وزير في جبهة المهدي (ع) .. وعن زمن جبهة يأجوج ومأجوج ؟ فإن بعض الروايات تشير إلى أن زمنها يكون بعد هزيمة جبهة الدجال وقتله ، بل في بعضها يمكث الناس إلى أن تخرج طائفة يأجوج ومأجوج ، ففي الرواية عن النبي (ص) قال :

إذا قتل عيسى الدجال ومن معه مكث الناس حتى يكسر سد يأجوج ومأجوج ، فيموجون في

الارض ويفسدون لا يمرّون بشيء إلا افسدوه وأهلكوه
ولا يمرّون بماء ولا عين ولا نهر إلا نزفوه ، ويمرون
بالدجلة والفرات فمن كان منهم أسفل الدجلة أو
أسفل الفرات قال : قد كان ها هنا مرة ماء ، فمن بلغه
هذا الحديث فلا يهدمن حصنا ولا مدينة بالشام ولا
بالجزيرة ، فإنه حصن للمسلمين من يأجوج ومأجوج
طور سينا فيستغيث الناس برهم لهلاك يأجوج ومأجوج
فلا يستجاب لهم وأهل طور سينا هم الذين فتح الله
على أيديهم القسطنطينية ، فيدعون رهم ، فيبعث الله
لهم دابة ذات قوائم أربعين فتدخل في آذانهم فيصبحوا
موتى أجمعين فتنتن الارض منهم فيؤذي الناس ننتهم
أشد عليهم منه إذ كانوا أحياء ، فيستغيثون بالله فيبعث
الله ريحا ثمانية غيرا فتصير على الناس عما ودخان شديد
وتقع على المؤمنين الزكمة ، فيستغيثون برهم ويدعوا
أهل طور سينا ، فيكشف الله ما بهم بعد ثلاثة أيام ،
وقد قذفت يأجوج ومأجوج في البحر ..^١

أقول : النصّ كغيره مما سبق يؤكد أنه لا مواجهة بين جبهة المهديّ
وجبهة يأجوج ومأجوج ، ويشير إلى أن هلاك هذه الجبهة على يد غير البشر ،
بل عن طريق آفة أو مرض يسلّطه الله تعالى على هذا الجند .. وهو تأكيد روائي
مُثبِت لما مضى من الروايات الناظرة إلى هذه الجهة .. وأكرر : إن الروايات

^١ ابن حماد : ص ١٦٧

الواردة عن طريق أهل البيت (ع) تشير إلى العناوين الرئيسية ذات البعد المفصلي في جبهة يأجوج ومأجوج وبعيدة عن بعض التفاصيل الغريبة التي رويت في أكثر من نص من نصوص العامة وهي مضطربة الإسناد .. وعلى كل حال ، فإن يأجوج ومأجوج بما تعنيه من تعداد في النسل والقوة والبطش من الآيات الموعودة قبل قيام الساعة حسب النصوص ، بل في الحديث عن الحرث عن عبد الله عن النبي (ص) قال : أول الآيات : الدجال ، ونزول عيسى ، ونار تخرج من قعر عدن أبن (اسم عدن الحالية) تسوق الناس إلى المحشر ، تقيل معهم إذا قالوا ، والدخان ، والدابة ويأجوج ومأجوج . قال حذيفة : قلت : يا رسول الله وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : يأجوج ومأجوج أمم ، كل أمة أربعمئة ألف ، لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه — إشارة إلى كثرة عددهم — وهم ولد آدم ، فيسيرون إلى خراب الدنيا — إشارة إلى نفوذهم وقدرتهم في التأثير بالعالم — يكون مقدمتهم بالشام وساقنتهم بالعراق ، فيمرون بأثمار الدنيا فيشربون الفرات ودجلة وبحيرة طبرية — إشارة إلى تعدادهم الكبير وحاجتهم إلى موارد المياه وحكركم لها دون غيرهم — حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون : قد قتلنا أهل الدنيا — إشارة إلى الانتصارات الساحقة التي يكسبونها في صراعهم العسكري واحتلالهم للبلدان والكيانات والدول — فقاتلوا من في السماء ، فيرمون بالنشاب إلى السماء فترجع نسايم مخضبة بالدم فيقولون : قد قتلنا من في السماء — إشارة إلى عنفٍ وصراعٍ كبير تستعمل في أدوات الحرب الموجهة نحو الجو — وعيسى والمسلمون بجبل طور سينين ، فيوحى الله جل جلاله إلى عيسى أن أحرز عبادي بالطور وما يلي أيلة (ايلات الواقعة على الساحل بين الاردن وفلسطين) ، ثم إن عيسى يرفع رأسه إلى السماء ويؤمن المسلمون ، فيبعث الله عليهم دابة يقال لها النعف ، تدخل من مناخرهم

فيصبحون موتى من حاق الشام إلى حاق العراق (دار به وأحاط والمعنى من محيط الشام إلى محيط العراق) حتى تنتن الارض من جيفهم ، ويأمر الله السماء فتمطر كأفواه القرب ، فتغسل الارض من جيفهم و تنتهم ، فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها ..¹

مضمون النصّ يشير إلى أنّ جبهة يأجوج ومأجوج تكون على قدرة عالية مالكة لقدرات فذة من أدوات الحرب كما يشير إلى أنّ حرباً تقع يكون من ضمنها استعمال أدوات موجهة نحو السماء ، أي إلى الفضاء بأدواتها ومثالها التقريبيّ اليوم الصواريخ والطائرات ، فيهزمون خصمهم ويظهر أنّ خصمهم يكون على قدرٍ من النفوذ والقوة في العالم السياسي .. ثمّ يحدد النصّ مسيراً آخر لهم اتجاء بلاد المسلمين ، ويشير إلى مناطق بعينها ، لكنّه كغيره من النصوص يؤكّد أنّهم يُبادون عبر مرضٍ وغرقٍ يسلّطه الله عليهم .. وعليه : تكون جبهة يأجوج ومأجوج من أخطر الجبهات الباقية ، وأنّ لها قدراً من البطش والنزال المؤثر ، وأنّ هذه الأمة ليست بطائرة بل لها وجودها التاريخيّ لكن تكون منكفئة على نفسها في بناء مجدها وقوتها التي تعطيها من القوة والبطش ما تؤثر عبره في نواح كبرى من الدنيا ، إلى أن يتمّ القضاء عليها عبر آفةٍ ومرضٍ يسلّطه الله عليها فتهلك ، وذلك في عصرٍ جبهة نفوذ المهديّ (ع) التي تربح معارك كبرى وصراعات جبارة وتحكم بعد ذلك العالم .. جعلنا الله من أنصار مولانا الإمام المهدي بحقّ محمد وآل محمد وشفّعه وآبائه بنا وثبتنا الله على محبتهم وولايتهم وعرف الله بيننا وبينهم يوم القيامة ، بمحمد وآل محمد ..

¹ ابن جرير ، جامع البيان : ج ١٧ ص ٦٩

الآية الإعجازية :

- خروج دابة الأرض ..
- فرز البشر بين مؤمنٍ وكافرٍ ومنافقٍ ..

آية دابة الأرض وخروجها

من الآيات الموعودة قبل قيام الساعة لا بدّ من خروج دابة الأرض حسب النصوص المروية عن النبي وآله عليهم السلام .. ومن يتصفح الأحاديث يجد أنها رويت عند الفريقين من السنة والشيعة لكنّ هناك اختلافاً في أوصافها ، وربّما في وظيفتها .. نعم لا تشكّل دابة الأرض جبهة تعدّد أو قوّة مشاركة في صراع القوى والكيانات عند الظهور .. من هنا فإنّ دورها الحربي إذا صحّ التعبير غير مقصود في تلك الروايات .. وتشير الروايات بوضوح إلى أنّها تخطم الكافر والمنافق وتسم المؤمن بما هو عليه كلّ واحد من إيمان وكفر ونفاق ، أي تضع في وجه كلّ واحد علامة تدلّ على ذلك .. وبكلمة أوضح : الدابة التي تخرج قبل الساعة هي آية من آيات الله تعالى لها وظيفة محدّدة في فرز صفات كل واحد من الناس على ما هو عليه من إيمان أو كفر أو نفاق ..

ولا يفوتني أن أشير إلى أنّ هناك بعض الخلاف بين فريقَي السنة والشيعة في بيان خصوصياتها ، مع التأكيد على أنّ نصوص الإمامية المروية عن أهل البيت جاءت مقتضبة ، قليلة التصوير في ذكر التفاصيل والخصائص بخلاف المروي في نصوص العامة وأكثرها لم يتصل سنده بالنبي محمّد (ص) ..

ويظهر من أحاديث الشيعة الواردة في تفسير قوله تعالى :

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ
دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا
لَا يُوقِنُونَ (٨٢) ^١

أن ذلك يكون بعد المهدي عليه السلام في الرجعة ، أي رجعة النبي
(ص) وعدد من الانبياء والائمة عليه السلام إلى الدنيا ، وحكم عدد منهم فيها
إلى ما شاء الله وفي بعض نصوص الإمامية رُبط بين آية الدابة المعجزة واحتجاجها
وبين الإمام عليّ (ع) وقد يكون ذلك من باب المصداق والإشارة وليس الحصر
مع أن بعضها في وارد الإشارة إلى الحصر ، وبعضها الآخر في وارد الإشارة إلى
المصداق غير المنحصر .. وعليه : فقد أشارت بعض النصوص إلى وجود ارتباط
بين رجعة الإمام علي عليه السلام وبين خروج الدابة ، بل تذكر بعض الروايات
أن الدابة الموعودة في الآية هي علي عليه السلام ، وأنه يخرج بأحسن صورة ،
وبعضها يقول إنه عليه السلام صاحب الدابة وليس الدابة نفسها ، لكن المقابل
هناك مرويات أيضاً تنفي أن يكون علي هو الدابة الموعودة ... وقد روي عن
الإمام علي عليه السلام أنه نفى أن يكون المقصود بقوله تعالى (إذا وقع القول
عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)
وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ١١٧ : أخرج بن أبي حاتم عن النخال بن
سيرة قال : قيل لعلي بن أبي طالب : إن ناساً يزعمون أنك دابة الارض ، فقال :
والله إن لدابة الارض ريشا وزغباً وما لي ريش ولا زغب وإن لها لحافر وما لي

^١ سورة النمل ..

من حافر وإنما لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً وما خرج ثلاثاً .. وعلى كل حال فقد إتفقت نصوص الإمامية والعامّة على أنّ من الآيات خروج الدابة ، وأنّ وظيفتها خطم الكافر والمنافق ووسم المؤمن ، أي تعريب المؤمن عن الكافر والمنافق ، وأنّ ذلك يكون قبل الساعة .. أمّا ماذا عن التفاصيل في خصائص مكوّناتها ... ؟ نصوص العامّة توسّعت في ذلك ، لكنّها ضعيفة السند في غالبها ومنقطعة الصلة بالنبيّ في أكثر نصوصها ، وهناك طائفة من الروايات تشير إلى أنّها ليست من جنس البشر ، وإتّما هي من غيره ، ولها دور محدّد ووظيفة مخصوصة ، مفادها وضع علامة لكلّ من الجنسين : المؤمن والكافر وما يليه من منافق .. بالمقابل هناك روايات أخرى تشير إلى أنّ الدابة مقصودٌ فيها ما هو أعمّ من الإنسان ، أي من يدبّ على الأرض ، وهو وصف ينطبق على الإنسان كما ينطبق على غيره .. نعم جاء في عدّة مرويات أنّها موجهة إلى بعض الناس من أهل الكرامة لخصوصيّة من الله في الإحتجاج والكرامة وشبه ذلك .. أمّا ماذا عن حقيقتها ؟ وظرفها ؟ ومناخ خروجها ؟ وبيئة عملها ؟ فلم تشر الروايات إلى تفصيل كثير في هذا المجال سوى إلى نماذج متفرقة .. وإليك بعضاً ممّا ورد فيها :

- روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : إن الساعة لا تقوم حتى يكون عشر آيات : الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها وثلاث خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونزول عيسى بن مريم ، وفتح يأجوج ومأجوج ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر ..¹

¹ الطيالسي : ص ١٤٣ ، ١٠٦٧

- حذيفة بن أسيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : عشر آيات بين يدي الساعة ، خمس بالشرق وخمس بالمغرب ، فذكر الدابة والدجال وطلوع الشمس من مغربها وعيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وأنه يغلبهم ويغرقهم في البحر .. ولم يذكر تمام الآيات ..^١

- عن عامر بن واثلة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عشر قبل الساعة لا بد منها : السفياي ، والدجال ، والدخان ، والدابة ، وخروج القائم ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخسف بالشرق ، وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر ...

- عن النبي (ص) أنه قال : بادروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، والدخان ، ودابة الارض ، وخويصة أحدكم ، وأمر العامة ..^٢

فقط أحب أن أشير إلى أن بعض النصوص عند العامة وهي بطبيعة الحال ضعيفة جداً وغير متصلة السند ركزت على عيسى بن مريم دون أن تركز على الإمام المهديّ إصراراً منها على طمر ذكر المهديّ كمنحني لما روي في الإسرائيات التي كانت وظيفتها تحريف ما أمكن .. ثم يبقى الخلاف في الروايات

^١ غيبة الطوسي : ص ٢٦٧

^٢ الطيالسي : ص ٢٣٢ > ٢٥٤٩

حول هل خروج الدابة ، يكون قبل خروج الدجال .. ؟ وهل هي قبل آية الشمس أم بعدها .. ؟ هل هي قبل المهدي أم بعده .. ؟

الروايات تشير إلى أكثر من عنوانٍ وناحية ، وهي تختلف بالتفصيل في هذه النواحي بين مرويات العامة والإمامية .. إلا أن الغالب فيها أنها تخرج بعد الدجال .. أمّا عن طبيعتها .. ؟ فلا شك أنها مظهر إعجازي دقيق ، له وظيفة دقيقة في أهمّ مفصل من مسيرة البشر .. يقول الله تعالى :

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) ^١

يظهر من هذه الآية أن الدابة مظهر من المظاهر الإعجازية التي يبعثها الله تعالى ، ولها دور ووظيفة إحتجاجية في غاية الأهمية .. أمّا عن معاني واستعمالات كلمة " دابة " في القرآن ، فقد وردت في القرآن الكريم في ١٤ موضع على الشكل التالي :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ

^١ سورة النمل .

وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ (١٦٤) ^١

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) ^٢

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا
وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦) ^٣

(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ
إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
(٥٦) ^٤

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) ^٥

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا
مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ
أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) ^٦

^١ سورة البقرة .

^٢ سورة الأنعام .

^٣ سورة هود .

^٤ سورة هود .

^٥ سورة النحل .

^٦ سورة النحل .

(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) ^١

(وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠) ^٢

(خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) ^٣

(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ^٤

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) ^٥

^١ سورة النور .

^٢ سورة النكبات .

^٣ سورة لقمان .

^٤ سورة سبأ .

^٥ سورة فاطر .

(وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا
بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ، وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ
(٢٩) ^١

(وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ (٤) ^٢

أقول : من يتصفح هذه الآيات القرآنية في استعمالات كلمة دابة ، يجد
أنها مأخوذة على نحو لغوي استعمالي متصل بالخلق والمن والإحتجاج من الله
وشبه ذلك .. أما الآية الواردة في سورة الشورى حيث يقول الله تعالى :

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ
دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا
لَا يُوقِنُونَ (٨٢) ^٣

يبدو أنها واردة في مقام ووصف محدد ومختلف في عالم الإحتجاج ،
مقصود فيها أن الله سيبعث دابة عليهم ، كواحدة ومظهر من معاني الإعجاز
سواء بمعناه العام أو بخصوص معين ، وهي أوسع من الإشارة إلى إنسان أو غير
إنسان ، وقد ثبت في القرآن إستعمالها فيما هو بشري وغير بشري مما يدب على
الأرض .. وسواء كان المقصود الأول أم الثاني فإن الوظيفة هي احتجاجية
تصنيفية ذات بُعد دقيق يتناسب وآخر الزمان وختام عالم الأرض وبداية مرحلة

^١ سورة الشورى .

^٢ سورة النمل ..

^٣ سورة النمل .

وجودية جديدة خاصة ان النصوص ثابتة في بيان ان النبي بُعث والقيامة كهاتين ،
إشارة إلى قصر الزمن وختام عالم الوجود الأرضي وشبه ذلك .. أمّا ماذا عن
المدد ؟ فهي بطبيعة الحال نسبية متصلة بخطي معرفة هما بيد الله تعالى ، من هنا
عبّرنا بقصر الزمان بالمعنى النسبي .. نعم لا خلاف على أن هذه الدابة لها من
القدرة على الوسم والتصنيف للبشر ما لا يفوقها أحد ، وتكون بمثابة اطمئنان
للمؤمن ، ومدخل خوف وذعر بالنسبة إلى الكافر ، في زمن تكون فيه الأرض
طبعة ، وتنتهي جبهات أهل الباطل كعنوان حاكم وجبروت مسيطر .. ليشهد
العالم بعد تلك المرحلة مجموعة من عناوين تنحطّاهما الأرض إلى أن يأذن الله
للمسيرة الوجودية بالإنفلاق عن مرحلة أكثر تطوراً في عوالم الله تعالى ..

جعلنا الله من أنصار إمامنا ومولانا المهدي القائم محمد بن الحسن عليه السلام
ومن المستشهدين بين يديه وشفّعه وآبائه بنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من
أتى الله بقلب سليم وعرف الله بيننا وبينهم بحق محمد وآل محمد عليهم السلام

أشراط الساعة :

- ساعات ما قبل الظهور .
- صورة متحركة عن آخر الزمن ..
- التطادم الأصعب (انحراف القيم) ..

أشراط الساعة (نموذج آخر الزمان)

أولت النصوص الواردة على لسان النبي والأئمة عليهم السلام أهل آخر الزمان الكثير من الإشارات والبيان المتصل بما هم عليه من تحوّل وتبدّل وتجمّع وقيم ومفاهيم وسلوكيات .. وقد بدت كلُّ النصوص مطبقةً ومتفحةً على أن ذلك العالم يكون على موعدٍ مع أخطر القيم والمفاهيم التي تعاند وتناقض وتخاصم ما عليه شريعةُ الله وبعثة النبي محمد (ص) .. وهذا لا يعني أن العالم يكون وبشكلٍ مستغرقٍ نمائيٍّ على الكفر والنفاق والمعاندة لدين الله بل أثبتت النصوص المعتمدة أن أمةً هناك تبقى على دينها ، متمسكةً به ، قائمة على هديه تزول الجبال ولا تزول ، معتصمة بأمر الله تعالى .. لكنّ الغالب في ذلك العالم يكون على نحوٍ خطيرٍ من الفسق والفجور والحرام والانحراف وشبه ذلك ففي الحديث عن عبد الله بن عباس قال : حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : ألا أخبركم بأشراط الساعة .. ؟ وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رحمه الله عليه ، فقال : بلى يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله :

إن من أشراط القيامة إضاعة الصلوات ،

واتباع الشهوات ،

والميل إلى الالهواء ،
وتعظيم أصحاب المال ،
وبيع الدين بالدنيا ،
فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في
الماء مما يرى من المنكر ،
فلا يستطيع أن يغيره ..
عندها يليهم أمراء جوررة ،
ووزراء فسقة ،
وعرفاء ظلمة وأمناء خونة ..
عندها يكون المنكر معروفا ،
والمعروف منكرا ،
ويؤتمن الخائن ،
ويخون الامين ،
ويصدق الكاذب ،
ويكذب الصادق ...
عندها تكون إمارة النساء ،
ومشاورة الاماء ،
وقعود الصبيان على المنابر ،
ويكون الكذب ظرفا ،
والزكاة مغرما ،
والفقء مغنما ،
ويجفؤ الرجل والديه ويبر صديقه ،

ويطلع الكوكب المذنب ...
عندها تشارك المرأة زوجها في التجارة ،
ويكون المطر قيظا ،
ويغيظ الكرام غيظا ،
ويحتقر الرجل المعسر ،
فعندها تقارب الاسواق ،
إذا قال هذا لم أبع شيئا ،
وقال هذا لم أربح شيئا ،
فلا ترى إذا ذاما لله ...
عندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم ،
وإن سكتوا استباحوا حقهم ،
ليستأثرون أنفسهم بفيئهم ،
وليطؤون حرمتهم ،
وليسفكن دماءهم ،
وليملؤن قلوبكم دغلا ورعبا ،
فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين ...
عندها يؤتى بشئ من المشرق ، وشئ من المغرب يلون
أمي ،
فالويل لضعفاء أمي منهم ، والويل لهم من الله ،
لا يرحمون صغيرا ، ولا يوقرون كبيرا ،
ولا يتجاوزون عن مسيء ،
جثتهم جثة الآدميين ، وقلوبهم قلوب الشياطين ...

عندها يكتفي الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ،
ويغار على الغلمان ، كما يغار على الجارية في بيت
أهلها ،

وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ،
وليركبن ذوات الفروج السروج ، فعليهن من أمي لعنة
الله ...

عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس
وتحلّى المصاحف ، وتطول المنارات ، وتكثر الصفوف
بقلوب متباغضة وألسن مختلفة ...

عندها تحلى ذكور أمي بالذهب ، ويلبسون الحرير
والديباج ، ويتخذون جلود النمر صفاقا ...
عندها يظهر الربا ،

ويتعاملون بالعينة والرشى ،
ويوضع الدين ، وترفع الدنيا ...
عندها يكثر الطلاق ،

فلا يقام لله حد ، ولن يضرروا الله شيئا ...
عندها تظهر القينات والمعازف ،
ويليهم أشرار أمي ..

عندها تحج أغنياء أمي للنزهة ،
وتحج أوساطها للتجارة ،
وتحج فقراؤهم للرياء والسمعة ،

فَعِنْدَهَا يَكُونُ أَقْوَامٌ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَيَتَّخِذُونَهُ
مِزَامِيرَ ،

وَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ ،

وَتَكْثُرُ أَوْلَادُ الزَّانَا ،

وَيَتَغَنُّونَ بِالْقُرْآنِ ، وَيَتَهَافَتُونَ بِالدُّنْيَا ...

ذَٰكَ إِذَا انْتَهَكْتَ الْمَحَارِمَ ، وَاکْتَسَبْتَ الْمَآثِمَ ، وَتَسَلَطَ

الْإِشْرَارُ عَلَى الْإِخْيَارِ ،

وَيَفْشُو الْكُذْبَ وَتُظْهِرُ اللَّجَاجَةَ ،

وَتَفْشُو الْفَاقَةَ ، وَيَتَبَاهُونَ فِي اللَّبَاسِ ،

وَيَمْطُرُونَ فِي غَيْرِ أَوَانِ الْمَطَرِ ،

وَيَسْتَحْسِنُونَ الْكُوبَةَ وَالْمِعَازِفَ ،

وَيُنْكِرُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ،

حَتَّى يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَذْلَ مِنَ الْأُمَّةِ ،

وَيُظْهِرُ قِرَائِهِمْ وَعِبَادَتَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمُ التَّلَاوُمَ ،

فَأَوْلَئِكَ يَدْعُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ الْأَرْجَاسِ

وَالْأَنْجَاسِ ...

عِنْدَهَا لَا يَحْضُرُ الْغَنِيُّ عَلَى الْفَقِيرِ ، حَتَّى أَنْ السَّائِلَ يَسْأَلُ

فِيمَا بَيْنَ الْجَمْعَتَيْنِ لَا يَصِيبُ أَحَدًا يَضَعُ فِي كَفِّهِ شَيْئًا ..

عِنْدَهَا يَتَكَلَّمُ الرَّوْبِيضَةُ — قَالَ سَلْمَانَ : وَمَا الرَّوْبِيضَةُ

يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا أَجَابَ أَبِي وَأُمِّي ؟ فَقَالَ (ص) : يَتَكَلَّمُ فِي

أَمْرِ الْعَامَّةِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ ،

فلم يلبثوا إلا قليلا ، حتى تخور الارض خورة فلا يظن
كل قوم إلا أنها خارت في ناحيتهم ، فيمكثون ما شاء
الله ، ثم ينكتون (كذا) في مكثهم فتلقي لهم الارض
أفلاذ كبدها ذهباً وفضة ، ثم أوماً بيده إلى الاساطين
فقال مثل هذا ، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة ،
فهذا معنى قوله : فقد جاء أشراتها ..¹

أقول : من يقرأ أمثال هذه الطائفة يدرك كم هي الحقيقة جاثمة في
شروطها وعناوينها ، حتى أن بعضاً منها كان في نظر أهل ذلك الزمان يوم
صدور النصّ في خانة الممنوع عملاً أو ذوقاً أو مجتمعياً إلى حدّ الإستحالة لكنّ
النبيّ كان يتلوّه على مسامعهم كإشارة حيّة نهائية إلى العديد من مظاهر ذلك
العالم الخطير في آخر الزمان لبيان نموذج مكثف من أشرار الساعة وخصائص
أهلها .. وعلى نفس المسافة من إشارته إلى مجموعة من معانٍ متّصلة بتطويع
النظام ، تابع النصّ إشارته إلى أمور ربّما لم تخطر على البال ، لكنّها في ذلك
الزمن سيكون لها أمر قيمى في غاية الأهميّة بل تمثّل حلقة من حلقات دعاية
الباطل وقطاعاً مهمّاً من قطاعاته .. أشار إلى التباهى باللباس كعنوان قيمى فاعل
ومصدر ثقافة للتعريّ مرّة وللإحتكار مرّة أخرى ، بل للإستهزاء بقيم الدين من
عفةٍ وسترٍ وإيمان .. ومن أمثلتها التقريبيّة اليوم عروض الأزياء وخطورة دعايتها
التي اجتاحت العالم كلّه من نيويورك وباريس ولندن وعواصم العالم الغربيّ
بشكلٍ أحال المرأة إلى مجرد مخلوق للإشباع الغريزيّ تُباع في الأسواق بشكلٍ
غريبٍ ومذلٍّ ومهينٍ ، فضلاً عن أنّها أداة فاعلة في تسويق ثقافة التعريّ وما

¹ تفسير علي بن إبراهيم : ج ٢ ص : ٣٠٢/٣٠٧

يتصل بها من معانٍ جنسيّةٍ .. وعلى الطرف الآخر من عالمنا هذا ، ها نحن اليوم في قرن القاطرات التي تقودها الرأسماليّة الثقافيّة في بداية القرن الواحد والعشرين حيث نشاهد أكبر عمليّة بيع للنساء في سوق النخاسة وفي مهد أكبر دول الديمقراطيات الغربيّة لأكثر من ٥ ملايين إمراة سنويّاً ، رغماً عنهنّ للعمل في أسواق الدعارة ، التي تجتاح أكثر من ٥٠ مليون إمراة في تلك البقاع وما يتصل بها .. بالمقابل ، ها هو عالمنا الإسلامي اليوم وهو يعيش أسوأ مراحلهِ بعد أن سقط في فخّ التبعية الثقافيّة التي يشنّها الغرب عبر هوليوود والإنترنت والأقمار الصناعيّة والتي دخلت كلّ بيتٍ .. هذه بلادُ الإسلام ، بلاد النبيّ محمّد (ص) الذي سجل أضخم الأرقام القياسية ذات الأثر الأعمى والبشري باعتراف كلّ مجامع الغرب وما عليك إلا أن تقرأ كتاب المائة الأوائل لمايكل هارت الذي حدّد النبيّ النبيّ محمّد الأوّل على رأس المائة الأوائل في كونِ البشرِ ومسيرتهم .. ومع كلّ هذا نجد اليوم جلّ ما في بلادنا الإسلاميّة من فتياتٍ متعرّية ، سافرة ، تمارس أدوار الإغواء بطريقةٍ مجتمعيّة ، تعيش أسيرة الأزياء والإثارة والمزيد من السقوط في خيانة الزنا والفحش والحرام ، دون أن يكون في الأمر مشكلة أو كارثة أو ممنوع ، بل أصبح التعرّي والسفور واحداً من معاني التقدّم والنمذجة النسائيّة المتطوّرة لمجاعة العالم الغربي .. ها هي فتياتنا تمارس الزنا واستثمار الهوى في خانات المراقص والملاهي وتتعاطى الخمرة والمخدرات في الليالي ، وعلى مرأى من رموزنا وعالمنا وقياداتنا في ظلّ مواثيق العلمنة التي أعطت المرأة أن تستثمر جسدها في المقاهي والملاهي والنايت كلوب والبارات وبيوت الدعارة بل لها أن تبني مدناً للدعارة وأحياءً متخصصّة لها وأن تصدر مجلّات صفراء غريزيّة للدعاية وتسويق السفاح والإستثمار الجنسي ..

وعلى الجانب الآخر المظلم رسّخت الدعاية قيمة عالميّة مفادها أنّ حقّ التساوي يعني حقّ المماثلة بين الذكر والأنثى ، وعليه : شنت الدعاية الغربيّة حملة عنيفة واسعة للتحوّل الجنسي ، لتحصد في زمنٍ بسيطٍ ملايين الشبان الذين أجروا عمليّات تحوّل جنسي ليماثلوا الفتاة في دورها ومظهرها وكميائها في أسوأ تعدّ على الفطرة ومواثيق النوع ومنطق الوجود .. بل في العام ٢٠٠٢ شهد العالم أكبر تظاهرة من اللواطيين والسحاقيات الذين اجتاحتها العالم في يومهم السنويّ للتعبير عن قدرتهم الفدّة في تسويق جنس التحوّل والمماثلة بشكلٍ قاهرٍ لكلّ القيم .. ومع أنّ مجتمعاتنا الإسلاميّة تحتضن أعظم رسالة في الأرض ، وفيها كتابُ الله المعجز ، إلا أنّ العالم السياسي فيها محكوم لمواثيق العلمنة ، لمطابع النقل عن مواثيق الغرب الراسماليّة الليبراليّة مرّة ومواثيق الإشتراكيّة مرّة أخرى قبل أن تندحر ، دون أن يحيا فيهم كتابُ الله في الثقافة أو الاجتماع أو السياسة أو الثروة والمال ..

بنظرٍ مثقفينا أنّ التعرّي والخمرة وتعاطي المخدرات والإدمان على سلعة الليل ومجونه عنوان من عناوين الحضارة والعصرنة وثقافة العولمة الكونيّة لقريتنا المختزلة بأدوات العلم الحديث ، بنظرهم أنّ التحوّل الجنسي واحد من مظاهر التحوّل بالمفاهيم ، بنظرهم تعرّي الفتاة وسفورها واستثمار جسدها وبيعها في الأسواق واحد من معاني التقدّم وقبول فكرٍ الآخر ، بنظرهم لبس الأزياء الشتويّة في الصيف الحار أمر ضروري لأنّ الثقافة والتطور يفرضانه دون أن يكون لأيّ منّا سؤال أو جدال ، أمّا حجاب المرأة وسترها وحصر العلاقة الجنسية ضمن مواثيق الزواج ترهّل ورجعيّة وتخلّف لا لشيء إلا لأنّ الغرب لا يتبنّى مثل هذه القيم .. وعليه : شاهدنا مثقفي عالمنا كيف انبهروا حين تبنت أسواق لندن

وباريس ونيويورك مجموعة واسعة وفي أكثر من موسمٍ منذ العام ٢٠٠٠ وحتى الآن مجموعة من أزياء للحجاب ، فما كان من مثقفينا إلا أن فرّقوا بين حجاب لندن وحجاب العالم الإسلامي بأنّ الأوّل له ارتباط بالدور الحضاري المعولم ، والثاني مرتبط بالرجعية والتخلف ... !

إلى هذا الحدّ بلّغنا مراحل السقوط والتبعية والإنغلاق على ذواتنا ، إنغلقتنا حتى على إمكانية مناقشة القيم الوافدة ومعاني القبول والرفض ، مسقطين بذلك حقائق الأمور .. وفي كلّ لحظة ندفعُ أثماناً كبرى من الإهميار والخمول والإندحار بموازين الدنيا والدين .. فتش في كلّ دولة من دولنا الإسلامية فإنّك ستجد رقم العانسات والعانسين من الذكور والإناث قد فاق كلّ تصوّرٍ في ظلّ أزمةٍ خطيرةٍ تحتاج بيوتنا وأحياءنا ومدننا دون أن تحرك زعاماتنا أيّ ساكنٍ .. بل في تاريخ ٥ آب ٢٠٠٢ حدّدت إحصاءات رسميةٍ مصريةٍ عدد المصريين الذين لم يتزوجوا على الرغم من أنّهم بلغوا سنّ الـ ٣٥ عاماً أو تعدّوها بحوالي ٩ ملايين نسمة ، غالبيتهم من الذكور ، في حين تجاوز عدد النساء الأرامل مليوني أرملة . وأوضح التقرير الذي أصدره الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء أنّ عدد المصريين الذين بلغوا سنّ ٣٥ وما فوق ولم يتزوجوا يبلغ ٨ ملايين و ٩٦٢ ألف بينهم ٣ ملايين و ٧٣٨ ألف من الإناث والباقي من الذكور (٥ ملايين و ٢٠٠ ألف ذكر) في حين بلغ عدد المطلّقين والمطلّقات في مصر ٢٦٤ ألف حالة بينهم ٢٠٦ آلاف من الإناث و ٥٨ ألفاً من الرجال ، وهناك مليونين و ٣٧١ ألف من الأرامل بينهم مليونان و ٨٥ ألف من الإناث والباقي من الرجال .. ويبلغ العدد الإجمالي للسكان في مصر حالياً ٦٧,٥٥٢ مليون نسمة أي بزيادةٍ قدرها مليون و ٣٤٦ ألف شخص خلال سنة واحدة ..

يُذكر أن للقيم الموجهة إلينا من عواصم الغرب أكبر الأثر في نتائج كهذه إن مباشرةً عبر القيم التي ترسخ حول الإشباع الجنسي أو عبر تثبيت مفاهيم خطيرة حول الزواج ومصاريفه من مثل النفقات وأثاث البيت والأزياء والإستهلاك وطريقة العيش لتكون مانعاً من الإنخراط في هذا العالم .. وفي كل يوم يقرأ العالم الإسلامي أن ضحايا الإغتصاب في الغرب كل عام يفوقون ٣٠ مليون فتاة ، وأن قتلى الإغتصاب من الفتيات يتجاوز مليون امرأة ، وأن الإضطهاد الجنسي يحصد أكبر الأرقام في الغرب ، وأن المدن الغربية تُعتبر الكابوس الأخطر على المرأة جرّاء العنف الجنسي والإغتصاب والقتل والإضطهاد بأشكال مختلفة .. ومع كل ذلك تصرّ دولنا الإسلامية على العلمنة كشعارٍ وغايةٍ وبنية ، وتصرّ على ضرورة إنخراط شبابها وفتياتها في خانة سلوكٍ وقيم الغرب المنتصر كحقيقةٍ معولةٍ إضافة إلى العلمنة ، وفي كل زاويةٍ من بلداننا الإسلامية نعيش أزمةً متصلةً بتركٍ فقه الله ومواثيق الوجود الربانية .. بل في كل دولنا الإسلامية نعيش أزمةً خطيرةً متعبةً مربكةً مذلةً ، مردّها إلى مطابع العلمنة وتبني مواثيقها وبين أيدينا أعظم وأهم وثيقةٍ بخصوص العلاقات الجنسية والمالية والأدبية والاجتماعية والسياسية ومع ذلك تراها مهجورة بشقي القرآن والسنة ، وهي لا تُتلى إلا في موتٍ أو دفنٍ أو جنازة .. !

في كتابنا (الإسلام) أشرت بشكلٍ دقيقٍ إلى مواثيق الإسلام الكلية في السياسة والاجتماع والتفسير الوجودي ، وفيه دلالة كافية على أن الشريعة الإسلامية كانت الكتاب الحقوقي الأول على الإطلاق الذي يدوّن للأمة البشرية مبادئها الكلية ذات العمق الكوني التي لا تتأثر بعالمي الزمان والمكان والتي تقر للإنسان حاجته بشكلٍ طبيعيٍ منطقيٍ لا اصطناعيٍ وتسبر له أنواع الكمالات

الممكنة في طول مسيرته بخلاف أي منطقٍ منحرفٍ آخر وفي مقدّمته العلمنة بكلّ أشكالها وألوانها وأنواعها ونظريتها الإستراتيجية .. ها هي العلمنة بشقيّ نموذجها الرأسمالي والإشتراعي ، عانت الكثير وشهد أهلها على اهتزاز بُناها ، وعلى ضعف مؤشراتِها ودوافعِها ، وأقرّوا بحاجتهم إلى مادّة الصلة الوجوديّة كعنوانٍ مركزيّ توجيهي في حياة الفرد والجماعة .. ها هم مناهضو العولمة يردّدون شعاراتٍ تتصل بالوجود ومنطق الكون والطبيعة وضرورات الإلتزام الوجودي الأوسع من مادّة الغريزة ومطابع الإستعداد المادّي ونزعاته .. يقولون صراحةً : إنّنا بحاجةٍ إلى تطبيق معالم النوع المغروسة في الأفق ، في عالم الوجود ، في موثيق الأديان .. لقد جرّبنا الليبراليّة والإشترائيّة فلم تزدنا إلا اضمحلالاً .. لقد تهاوت الإشترائيّة وسقطت ، وتبدّلت الرأسماليّة منذ عهد آدم سميت إلى ٢٠ وجه ، في ظل تحوّل هائلٍ في غاياتها وعناوينها من ليبراليّة لها الوظائف الأربع :

- ١ . الأمن .
- ٢ . صكّ النقود .
- ٣ . حلّ الخصام .
- ٤ . حماية الثغور ..

وصولاً إلى نظريّة تدخّلية رعائيّة ، ومع كلّ هذا تهاوت وفشلت ، فلم تعطي الإنسان حاجته الوجوديّة ، وها هي مظاهرات براغ ونيس وكيبك ونيويورك وواشنطن وجينوى وكلّ حيّ ومدينة في العالم الرأسماليّ تندّد بالرأسماليّة وتصفها بالوحش القاتل ، تعتبرها أداة الثريّ الغنيّ الذي لا يتجاوز ١ في المئة من أصل الجماعة البشريّة وتعدادها إذا أخذنا الحساب على أساس من يملكون بمقابل من لا يملكون ، والتي تسيطر على أكثر من ٩٢ في المئة من ثروة الأرض بشكلٍ

إحتكاريّ .. ها هي دولُ العالمِ اليومِ الواحدة تلو الأخرى وعلى لسانِ قادتها
تعترف أن الأزمة بنيويّة وإساسيّة وهيكلية في النظرية الرأسمالية ..

لقد تبنت البرازيل ذات المخزون الجوفي المعدني الهائل نظرية الرأسمالية
كإطار للحكم والإدارة في البلاد كعنوان إستراتيجيّ ، لم يمضِ أكثر من ٣٠ عام
وإذا بالبرازيل التي تعدّ أكثر من ١٦٠ مليون يوجد فيها أكثر من ١٣٠ مليون
فقير تحت خطّ الفقر وبشكلٍ مثيرٍ وغريبٍ ومذهلٍ .. والبرازيل اليوم تعتبر بعرفِ
الدولِ الصناعيّة المعجزة الإقتصاديّة الأهمّ .. لكنّها مملوكة وبشكلٍ احتكاريّ
امتيازيّ وثيق من قبل الشركات الغربيّة التي غزتها من بابها العريض الرأسمالي .. !
ها هي البرازيل اليوم في منتصف العام ٢٠٠٢ وبالضبط حتى تاريخ كتابتي هذه
السطور (١٤ آب ٢٠٠٢) تعيش أسوأ مرحلة افتقارٍ وجوعٍ وإسّى وموتٍ
وجريمةٍ واغتصابٍ وترهّلٍ ومديونيّة .. ومع أن الغرب يحاول كمّ الأصوات فيها
ويمنع أفيار إقتصادها بشكلٍ نهائيّ حفاظاً على المزيد من نهشٍ ما بقي من جوفها
إلا أن كلّ اهتزازٍ قريبٍ منها أو أيّ مُشاهدةٍ لتظاهرةٍ منهارَةٍ بقربها على الفور
يخرج الشعبُ الفقير هناك ليعبر عن أسأه وهزيمته الخطيرة .. الغرابة كلّ الغرابة أن
المعجزة الإقتصاديّة البرازيليّة تمتاز بشكلٍ قاتلٍ تحت وطأة دين بلغ حتى تاريخ ٣
آب ٢٠٠٢ رقم ٢٥٠ مليار دولار أمريكي في ظلّ خدمة دين سنويّة تجاوزت
عتبة ٣٠ مليار دولار أمريكي .. ! وهذا يعني أن البرازيل تجبي الضرائب وتفتك
بمواطنيها كلّ عامٍ من أجل سداد فائدة الدين (الربا) فقط ومع كلّ هذا تظلّ
مكسورة مهزومة .. !

وبسبب أزمة الأرجنتين الشهيرة ذات النموذج الليبراليّ أيضاً والتي انهار
إقتصادها في العام ٢٠٠٢ بشكلٍ مأساويّ قاتلٍ تحت وطأة دين بلغ ١٣٤ مليار

دولار أمريكي بفائدة تفوق رقم ١٣ مليار دولار سنوياً ، وبسبب العدوى هذه خسرت البرازيل المزيد من احتياطي عملاتها بنسبة ٤٠ في المئة ، كما أن قيمة عملتها " الريال " خسرت أمام الدولار أكثر من الربع منذ بداية العام ٢٠٠٢ .. ومع أن البرازيل تعتبر من الدول الصناعية الرئيسية ، إلا أن ثروتها مكتسبة من الشركات المتعددة الجنسية ذات الإنتماء الصناعي الغربي .. وفيها أكثر من (١٣٠ مليون فقير) يعيشون الفقر المدقع وفي سجونها أكبر عدد في العالم ..

وعلى شاكلة سلسلة الإهيار الرأسمالي وفي تاريخ ٣ آب ٢٠٠٢ تجدد الإهيار الليبرالي الذي يسحق الأمم وثروتها بشكلٍ مثيرٍ ، هذه المرة في الأوروغواي التي تعاني من أزمة إقتصاديٍ خطيرٍ بسبب عدوى الإقتصاد الأرجنتيني الذي انهار بشكلٍ مأساويٍّ رغم أنه ثالث إقتصاد لاتيني ، فخسرت المزيد من قيمة عملتها في منتصف عام ٢٠٠٢ وبنسبة تجاوزت ٢٠ في المئة إلى ٤٠ في المئة وما زالت تنهوى كذلك في ظلّ انهيارٍ خطيرٍ يجتاح أمريكا اللاتينية الليبرالية في ظلّ مديونية عالية ، وفقرٍ مستشرٍ في البلاد ، وفي ظلّ نظامٍ رأسماليٍّ ليبراليٍّ مححفٍ باعتراف الحكومة .. وفي شهر حزيران ٢٠٠٢ نزل عشرات الآلاف من المواطنين هناك إلى الشارع متظاهرين ضدّ الحكومة بسبب الأزمة المعيشية وقد كسّروا المحال وأشعلوا النيران بها في ظلّ مواجهةٍ شرسةٍ بينهم وبين الشرطة حوولاً دون المزيد من العصيان .. وبتاريخ ٥ آب ٢٠٠٢ إنتشرت شرطة الأوروغواي في شوارع العاصمة لمنع المزيد من النهب والتحطيم الذي يشنه المواطنون هناك في ظلّ أسوأ أزمة إقتصاديّة تشهدها الأوروغواي ، في ظلّ تجميد جزئيٍّ كبيرٍ لعمليات سحب الودائع من البنوك في بلدٍ كان يعتبر " سويسرا أمريكا اللاتينية " ، نظراً لسلامة وقوة قطاعها المصرفي .. !

وهذا يعني منع سحب الأموال ، بما يعني ذلك من هزيمة كبيرة في مجال الإستقرار المالي النقدي النفسي الإقتصادي الإستثماري وإعلان وفاة هذه الدول التي كانت تعتبر بنك أمريكا اللاتينية وفق معاني الإحتكار الرأسمالي الذي يعطي أقلّ من ٣ في المئة حقّ التراكم المالي والإحتكار دون غيرهم ... وتخاف السلطات هناك من حدوث اضطرابات كبرى في البلاد بعد الإهتزاز الإقتصادي الخطير بل الأعنف وغير المضبوط حيث تمّ سحب ثلث المدّخرات من البنوك ، وتراجعت احتياطات البلاد من النقد الأجنبي بنحو ٨٠ في المئة ، وانهارت القيمة الشرائية للنقد بشكلٍ خطيرٍ ، وتهاوت نسبة الإستثمار والإستهلاك ، في ظلّ إفلاسات متتالية وموجعة ، وانكماش إقتصادي كبير ، وعلى الفور عملت السلطات هناك على فرض قيود ومنع وقائي متوسّع من سحب الدولار لمدة ثلاث سنوات من كبرى بنوك أوروغواي مثل بنانكو هيبوتيكاريو وبانكو دي لا ريبابليكا اورينتال ديل أوروغواي وبانكو كريدتو العامة إضافة إلى بانكو غاليسيا في ظلّ أسوأ نكسة نقدية إحتياطية مالية أطاحت بالبلاد من دون أيّ ضمانة على الإطلاق ..

أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنّها تلعب محاولة حجز المخاطر ليس أكثر لمنع تسلّل العدوى الإقتصادية حتى لا يؤثر على ما تبقى من إقتصاديات أمريكا اللاتينية .. ! وتعاني الأوروغواي من تراجعٍ حاد في الإستهلاك وتراجع الإستثمار وهروب رؤوس الأموال بشكلٍ قويّ واستثنائي ، فضلاً عن تأثير الأزمة الأرجنتينية ، لتطلّ أزمة البرازيل بخطورة أكبر حيث امتنعت عن تسديد ديونها البالغة ٢٥٠ مليار دولار بسبب عجزها الحاد ، ما أدّى إلى تفاقم مستويات الإنهيار الإقتصادي في تلك المنطقة من العالم .. فضلاً عن هذه وتلك

فإن الولايات المتحدة رائدة الليبرالية الاقتصادية تعيش اليوم أسوأ معاني التشكيك بالنظرية الليبرالية ، بل بالمعنى الاجتماعي السياسي للديمقراطية أيضاً .. ها هي اليوم تعيش الولايات المتحدة مرحلة إهتزاز عنيف في ظلّ أسوأ ركود إقتصادي في ظلّ اعتراف أمريكي صريح على لسان الرئيس جورج بوش بأنّ أزمة أخلاقيات رأسمالية تكاد أن تطيح بالنظام الرأسمالي .. ! حتى أنه بتاريخ ٣١ تمّوز ٢٠٠٢ وصف الكاتب الشهير باتريك سيل الأزمة الاقتصادية الأمريكية التي أدت إلى خسائر تجاوزت رقم ٢ تريليون و ٤٠٠ مليار دولار في " وول ستريت " بأنّها ستكون مقدّمة لأزمة إفلاساتٍ كالتّي شهدتها أمريكا عام ١٩٢٩ لأنّ أمريكا تشهد أخطر مساوء أخلاقيات الإقتصاد الرأسمالي .. وقد تعدّدت النتائج والعناوين التي تصيب الأمريكيين جراء نظرية مساوء الأخلاق الرأسمالية الكارثية كما وُصِفَت ، منها :

١. أن هذه الأزمة تصيب الأمريكيين بأغليبيّتهم الساحقة ، إذ أن ٥٠ في المئة من الأمريكيين يحملون أسهماً ويتعاملون في البورصة ..
٢. سوق " وول ستريت " خسرت قيماً بلغت رقم ٢ تريليون و ٤٠٠ مليار دولار . وهذا رقم مذهل بكلّ المقاييس ..
٣. رؤوس الأموال هربت بشكلٍ كبيرٍ من القطاعات الخاسرة إلى غيرها ، وبنسبةٍ أقلّ من داخل أمريكا إلى خارجها ، وبعض رؤوس الأموال الخارجيّة غيرت جهتها إلى غير أمريكا .
٤. صندوق النقد الدولي بشهر تمّوز عام ٢٠٠٢ أي زمن الأزمة الاقتصادية الأخلاقية في البورصة والشركات والمال قال : أمريكا بحاجةٍ إلى دروس في الرأسمالية .. ! إشارة منه إلى أزمة الرأسمالية السوقية ، والفضائح

الإقتصادية المذهلة التي أودت بجزءٍ مهمٍّ من عظمة السوق الأمريكي وبشكلٍ عنيفٍ ، والذي تجلّل بإفلاس عمالقة في السوق مثل أنرون وورلد كوم وغيرهما ..

٥. المستشار الألماني غيرهادر شرودر قال : إنَّ الرأسمالية الأوروبية الإجتماعية هي الأقدر على الحياة ، ساخراً من الرأسمالية الأمريكية ، مصرّاً على أن ترك السوق إلى هذا الحدّ خطر جداً . ومن شأنه أن يهدّد العالم بكارثة .. !

٦. معلق نيويورك تايمز وصف الأزمة السهمية بالأخطر بما في ذلك تزوير الأرباح في سوق الأسهم والبيانات الربحية للمؤسسات والشركات إبان فضيحة أنرون وقبل أن تتكشف الفضائح الجديدة وأضاف : إنَّ الفضيحة يمكن أن تغير كلَّ شيء بما فيه المستقبل السياسي لأمريكا .. كلَّ شيء : السياسة والإقتصاد والأخلاق .. بل تكشف عن امبراطورية للشّرّ عصريّة ، وقادرة على إرهاب الأفراد والحكومات ، وكسر جميع القواعد ، كي تبقى على قمة الهرم مترتبة على ثروات تزداد مساحتها يوماً بعد يومٍ في أربع زوايا الأرض ، والأمريكي أوّل ضحاياها .. ! — إشارة منه إلى أزمة الرأسمالية في عنوانٍ مركزيٍّ — وأضاف : إنَّ الأزمة (أزمة الفضائح الماليّة) بدأت تنعكس في التكوين والتركيب الإجتماعي للمجتمع الأمريكي ذاته ، وفي اتجاهات الرأي .. ! مصرّاً على فشل بنويّ في طبيعة النظرية ..

٧. تتميز الأزمة الإقتصادية الأمريكية هذه بأنّها غير سابقاتها من الأزمات التي أصابت الرأسمالية منذ القرن السادس عشر فالأزمة اليوم تطال الأسهم الأمريكية ذات الملكية الأمريكية للأفراد والمؤسسات ، نعم هي

تطال أيضاً قيم مال غير الأمريكيين إلا أن الغالب فيها هو للأمريكيين ، من هنا فإنّ مثل هذه الأزمات لا يمكن تصديرها .. لقد شكّل الإقتصاد الرأسمالي نفسه في أكثر من حقبة على أكثر من نحو ففي القرن الثامن عشر شكّلت الحروب الدينيّة والبيئيّة المناسبة لإعادة تشكيل الإقتصاد الرأسمالي وفي نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين عُولِجَت الأزمات بافتعال الحروب العالميّة وإعادة تقسيم المستعمرات وهيكله الإقتصاد العالمي ، وفي النصف الثاني من القرن العشرين حلّت مشكلات الرأسماليّة وتجاوزت أزماتها الدوريّة عبر الحرب الباردة والثورات التكنولوجيّة المتتالية والإتصالات والتحوّل بقواعد وعناصر الإقتصاد الرأسمالي من الإقتصاد التقليدي الثقيل إلى إقتصاد المعرفة والمال والعملة واستثمرت سقوط الإشتراكية وما نتج عنها من أسواق جديدة وثروات وقدرات بشريّة علميّة خلاقّة ورخيصة الأجر ، أمّا في القرن الواحد والعشرين وتحديدًا أمام هذه الأزمة الحاليّة أزمة أخلاق السوق والمال وفضائح التزوير المحاسبيّ فتبدو الأمور مسدودة ومخيفة ، فبعد إدخال تطوّرات تقنيّة عالية وزيادة القدرة على الإنتاج ، في ظلّ أقلّيّة مهيمنة على الإقتصاد ، بدت سوق أمريكا وهي تعاني من كذبٍ إقتصاديّ له بُعد مؤثّر جدًّا بقيم السوق ، وفجأةً بدا أنّ الكذب في قيم الأسهم وراء جزء من تضخّم وهمي في جسم وول ستريت العملاق ، وحين افتضح بعض الأمرِ تماوت نسبة مذهلة من قيم الأسهم إلى مستوى خطير وما زالت الأمور تنذرُ بكارثة .. إنّها أزمة أخلاق السوق البنيويّة في النظرية الرأسماليّة التي من شأنها أن تطيح بالإقتصاد العالمي ..

٨. يعترف الأمريكيون اليوم بأن أزمة السوق (كارثة البنية الإقتصادية في الراسمالية) ساعدت بشكلٍ قويٍّ وفذّ على إعادة تركيب إجتماعي خطير ، لأنّ إنتقال السلطة كان لصالح البرجوازية القليلة جداً ، في ظلّ قيم سوقية تمنع على المواطن قدرته التأثيرية والإستفادة من مضامين المواثيق الإجتماعية السياسية المدنية ..

٩. تحاول الولايات المتحدة إعادة تصدير أزمته عبر إشراك أوروبا المتأثرة أصلاً في تحمّل المسؤوليات من أجل تشكيل حزام أمان دقيق يحول دون المزيد من الهزائم ..

١٠. تاريخ ١ آب ٢٠٠٢ قال الرئيس الأرجنتيني أدواردو دوهالدي : إنّ الأزمة في أمريكا اللاتينية تبين أنّ نموذج إقتصاد السوق (الراسمالية الليبرالية) إنهار في المنطقة ، وأقر بأن الوضع في بلاده انتقلت عدواؤه إلى الأورغواي التي تدهور احتياطي عملاتها الأجنبية بنسبة ٧٩ في المئة .. وأضاف : من الواضح أنّه ينبغي علينا أن نتغيّر ، وأنّ النموذج الإقتصادي (إقتصاد السوق) الذي أقمناه قبل سنوات قد انهار ، وأنّ الأزمة الأرجنتينية كان لها الكثير من التأثير على الأورغواي ، والبرازيل أيضاً حيث خسر سعر صرف الريال البرازيلي أكثر من ٣٠ في المئة من قيمته منذ مطلع عام ٢٠٠٢ .. مؤكداً أنّ المؤسسات المالية أساءت قراءة الأزمة الأرجنتينية ولم تتمكن من منع إنتشارها إلى دولٍ أخرى في المنطقة عبر إقامة " حزام عازل " من دون الأخذ بالإعتبار تقلّب الرساميل ، وأعلن أنّ الحواجز الضعيفة والرساميل المتنقلة بسرعة إستثنائية تدخل وتخرج من الدول بصورةٍ عابرةٍ فقط ، ما يعني أنّ

الأزمة الصحيّة لا تعمل ، وذلك لعزل الدول المجاوزة عن أزمة الأرجنتين ..

١١ . منذ أوّل تمّوز ٢٠٠٢ والولايات المتّحدة تعيد النظر بمجموعة بيانات ربحيّة لأكثر من شركة ومؤسسة ماليّة عملاقة بعد الفضائح الربحية الدفترية المزورة عبر الإشتراك الجرمي بين الشركات هذه ومؤسسات المحاسبة الكبرى ، في ظلّ فضائح كبيرة وخطيرة أثّرت على الإقتصاد الأمريكي بشكل كبير (أزمة الأخلاقيات البنيويّة في النظرية الرأسماليّة) بل وصلت إلى حدّ أن وزارة العدل باشرت تحقيقاً في حسابات مجموعة أمريكا " أون لاين " التي تحتلّ المرتبة الأولى عالمياً في مجال خدمات الإنترنت ، وتشكّل فرعاً من أمريكا أو ولاين تايم وزنر ، في ظلّ فضائح عميقة بدفاتر كبريات الشركات والمؤسسات ..

كلّ هذا فضلاً عن الإدانات القاسية التي صدرت عن قادة أوروبيين وأمريكيين وغيرهم من قادة العالم الحرّ التي تصرّ على أن الرأسماليّة تحمل في بذورها أزمة بنيويّة خطيرة لا بدّ من التنبّه لها .. وقد عبّرت عن ذلك جموع مئات آلاف المتظاهرين في سياتل وبراغ ونيس وجينوى وكيبك وبرشلونة وواشنطن ونيويورك وغيرها من مدن ودول الرأسماليّة وهي تكتف بموت الليبراليّة ووحشيتها وتصر على أنّها نظريّة (١ في المئة) من تعداد سكّان الكون الذي يبلغ ٦ مليار نسمة .. تلك المسيرات العنيفة الواسعة أدانت الرأسماليّة بمجموعة من خطابات وشعارات ضخمة ، ومن واجب كل زعيم مسلم أن يقرأها لأنّها تعكس حقيقة ما آلت إليه الرأسماليّة في جوهر نظريّتها وتطبيقها ..

لقد أصيبَ العالمُ بصدمةٍ لاذعةٍ جرّاء تلك المسيراتِ الناقمة التي تجوب الغربَ الرأسماليَ بشكلٍ ناقمٍ ، ومع كلِّ هذا ما زلنا نحن المسلمين نجتريّ الرأسماليّةَ بطريقةٍ عمياء ، وبين أيدينا نظرية وجوديّة تقومُ بناها على ركائزٍ أعمق من المالِ والثروة ، ترفع الفردَ إلى كونهٍ مخلوقاً متسخلفاً متصلاً باللهِ تعالى ، ضمن مجموعةٍ من عناوين منها :

١ . للفرد في أصلِ خلقه قيمة وجوديّة مهمما كان ، ولأيّ ملةٍ إنتمى وفي أيّ بقعةٍ من العالمِ كان .

٢ . الثروة ملكُ النوعِ ، مع إقرار حقِّ الملكية الفرديّة ، ومعنى ذلك أنّ للفردِ الحقَّ في الإستثمار الوجودي لحقِّ الحياة وما يتصل به في الجهة الإجماعيّة العامّة ، بحيث لا تمنع منه الملكية الفرديّة .. مع التركيز على أنّ الملكية في الإسلام جاءت على نحوٍ متعدّدٍ : بحيث أقرت الملكية العامّة وملكيّة الدولة إلى جانب الملكية الفرديّة ضمن حدود ومعانٍ خاصّة ، أي ضمن معنى أفقي لا عامودي ، مع خصائص وشروط تتعلّق بكلِّ منها ..

٣ . للفرد بُعدُه الروحي ، وصلتهُ بالأفقِ ، وهويّتهُ كونيّة ربانيّة قبل أن تكون إجتماعيّة ماديّة ..

٤ . لا يجوز بحالٍ من الأحوال فصل الفرد عن صلته وحاجته الوجودية وقيّمته المعرفيّة بالله .

٥ . البشر عبادُ الله ، والكون خلقُ الله ، وكلّ ما في الخلق مسخرٌ لهم . لا يجوزُ معه التفريط بأيّ روحٍ أو حقٍّ خاصٍ بواحدٍ من أبناء هذا الكون

ضمن شروط ومعاني الشريعة في ذلك التي هي ضمانة الإنسان من بين كل هذه المنظمات في العالم ..

٦. البشر يمثلون وحدةً نوعيةً ، ربُّهم واحد ، ولا يجوز بحال أن يفصل بينهم إعتبار أو قيمة عبثية تمزقهم وتحيلهم أعداءً ، بمعنى آخر : الحدود والكيانات هي ظاهرة مرضية خطيرة ، وعليه : يجب أن تعود للبشرية وحدتها النوعية بشقي حاجتهم المادية والروحية ..

فيا تُرى ، مع كل هذه العناوين يبقى مجال للصراع والانتقام والإقتتال من أجل ثروة تنتهي في آخر المطاف إلى واحد في المئة من أثرياء هذا الكون أو إلى ٢٠ في المئة حسب تقسيم الكيانات والنسبة الإجمالية وذلك على حساب ٨٠ بالمئة من سكّان هذا الكون .. ! لا يمكن لعاقلٍ على الإطلاق إلا أن يقرَّ بما عليه موثيق الإسلام دون أيّ تحفظ .. ومع أن مسيرات جينوى وكيبك وبرشلونه ونيس وحي المال وواشنطن هزّت الدنيا إلا أنّها لم تهرز زعاماتنا الذين ما زالوا يعيشون مرحلةً هي الأسوأ في التبعية للغرب الرأسمالي بكلّ شيء .. أليس فيما أشرت إليه ضرورة لأن نعيد قراءة أنفسنا من جديد ونحن في آخر الزمان .. ! في زمن غيبة المولى المعظم المهديّ عليه السلام .. ! هل يجوز لنا أن نتابع مشوار الرأسمالية التبعية والعلمنة والإهيار تلو الإهيار حيث بلغت ديون العالم النامي والفقير في العام ٢٠٠٢ أكثر من ٣,٥ تريليون دولار وهو رقم كما تراهُ ومذهل ورهيب .. ! هل يجوز أن نبقي هكذا ، وتحت تراب بلداننا الإسلامية يوجد أكثر من ٨٠ في المئة من نطف العالم الذي يحرك الدنيا كلّها .. !

هل تعلم أنّ الإقتصاد العربي كلّهُ لا يساوي إلا ٣ في المئة من اقتصاد العالم ، وتحت ترابه وفي جوفه مادة النفط والغاز ، التي تحرك الكون وتقود الثورة الصناعيّة في كلّ أنحاء الدنيا .. ! هل يجوز لنا مع كلّ ما نراه من خراب الدنيا وانحراف موثيق العالم بين إشتراكيّة ورأسماليّة وغيرها وعلى أكثر من صعيدٍ وواقعٍ وجهةٍ وعنوان أن نترك ما عليه شريعة الإسلام في موثيقها الكبرى الضروريّة لكلّ فردٍ وجماعةٍ وأمةٍ .. ! لقد كان النبيّ محمدٌ صلّى الله عليه وآله يشير مؤكّداً أنّ آخر الزمن سيصل إلى مستوى منحرفٍ وشاذٍ وخطيرٍ ومضادٍّ لما عليه الشريعة الإسلاميّة السمحاء ، حتى تُعزل عن عالم الاجتماع السياسي ، في ظلّ غلبةٍ للفسقِ والفجورِ والباطلِ وثقافة الغريزة والإنعدام والفوضويّة الوجوديّة وقد جاء في الحديث الشريف عن النبيّ (ص) أنّه قال :

إنّ من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ،
ويظهر الجهل ، ويكثر شرب الخمر ، ويظهر
الزنا ، ويقلّ الرجال ويكثر النساء ..^١

ولا أظنّ على الإطلاق أنّ مصاديق هذا الحديث بعيدة عن عالمنا وعصرنا الذي نعيش ... ومع أنّي لا أدعي أنّ النصّ موجه إلى خصوصيّة يومنا هذا كماً وكيفاً ، لكنني أوكدُ أنّنا أيضاً في زمن الغيبة ، أي في آخر الزمان في عهد الإمام الثاني عشر الأخير من أئمة آل محمد .. وهذا يجب أن لا يغادر أذهاننا ، والنصّ وُراد لبيان مجموعة من مواصفات هذا الزمن على طول مسيرته حتى الظهور المبارك للمهديّ عجل الله فرجه الشريف وجعل أرواحنا لمقدمه الفداء ..

^١ الطيبانسي : ص ٢٦٦ - ١٩٨٤

لا بدّ من التطلّع بشكلٍ جليّ نحو الأفقِ ، نحو السماءِ ، نحو المنطقِ الكونيِ ، نحو مسلمّاتِ الوجودِ ، نحو غاياتِ الكونِ النوعيِ ، نحو المدرسةِ الربانيّةِ .. لا يجوز على الإطلاقِ بتر الحقائقِ عن غاياتِها ، لا يجوز لنا أنْ الإصطناعِ لمجموعةٍ من موثيقِ معلّمةٍ لقيادةِ الفردِ والجماعةِ في صلبِ كونِ محكومٍ بناموسٍ موزونٍ في ظلِّ بعثةٍ ربّانيّةٍ لسفراءِ ونبّيينِ ورسُلٍ يحملونِ إلينا ناموسِ الوجوديّةِ ، ومنطقِ الوثامِ الأساسيِ بينِ الهويّةِ الكونيةِ والهويّةِ التشريعيّةِ الاجتماعيّةِ .. إنّ من أخطرِ المواقعِ المنهارةِ في جبهةِ الإنسانِ تلكِ التي تركتِ سربِ الوجودِ ، وأصرّتِ على تبنّيها مدرسةِ اجتماعيّةِ ذاتِ بُعدٍ لا يعترفُ للسماءِ بقيمةِ فاعلةٍ في أصالةِ العناوينِ الكبرى للجماعةِ البشريّةِ ومسيرتها ..

الكلّ اليومِ يدرك أنّنا نعيشُ أسوأَ مواقعِ التحولِ حتى بمقاييسِ الناموسِ الحقوقيِ . بالأمسِ كان العالمُ الغربيّ يقرّ بمرارةٍ أنّ موثيقِ حقوقِ الإنسانِ النوعيّةِ كتلكِ التي صدرتِ عن الأممِ المتّحدةِ (الإعلانِ العالميِ لحقوقِ الإنسانِ بل حتى الموثيقِ الأوروبيّةِ وغيرها) تبدو بحافيةٍ جدّاً لما عليهِ الموثيقِ الأوليّةِ إلى درجةٍ أنّ معانٍ متّصلةٍ بحقِّ الحياةِ وحقِّ الصّحةِ والانتماءِ الثقافيّ والإستثمارِ والإستغلالِ السوقيّ والإقتصاديّ وغيرها اتمّارت تماماً في أكثرِ من منظومةٍ وجهةٍ وموقعٍ رئيسيّ دونِ إستثناءٍ .. وعليه : العالمُ ينحرفُ نحو عبثيةِ غريزيّةِ ، أي نحو مدرسةٍ من دونِ حكمةٍ وقراءةٍ كونيّةٍ ، ينحرفُ نحو عالمٍ فيه قوانينِ مصدرها مؤثراتٌ تحكّمها غاياتُ أهلِ القوى الغريزيّةِ في العالمِ .. تنحرفُ نحو قوانينِ موجهةٍ وفقِ نموذجِ الإعلاناتِ السوقيّةِ ، نحو موثيقِ متّصلةٍ بما عليهِ الرغبَةُ في معانيها الإحتكاريّةِ ، نحو منظومةِ خطيرةٍ شهدت أكثرِ من ولادةِ كتلكِ التي أقرّها البرلمانُ البريطانيّ مدعوماً بتأييدٍ مطلقٍ من حكومةِ طوني بليز في إقرارِ حقِّ الإستنساخِ

وسحب خلايا المنشأ من الأجنة وإبادتهم من أجل غاياتٍ دوائيةٍ ومخبريةٍ ، بل من أجل تحويل تلك الأنسجة إلى عقاقير يلتهمها الجنس البشري من دون أيّ اعتراضٍ حقوقي أو ممانعةٍ شعبيةٍ مع أنّ هذا واحد من نماذج أكّلة لحوم البشر ومخالف بشدة لمواثيق الحقوق المكتوبة بحبرٍ أوروبيٍّ غربيٍّ .. !

لقد كان النبيّ محمّد (ص) يتلو العديد من علاماتٍ وخصائصٍ مشهدهِ آخر الزمان ليدلّ على الكثير من مظاهر الإنحرافِ والباطلِ والمجر لمجموعةٍ ضروريةٍ من حاجة الفرد والجماعة البشرية في التكامل ، من تلك العناوين الإنحرافية : إضاعة الصلوات بما تعنيه من جسر الصلة بالله وطريقة للعبور نحو القراءة الأوسع من هيمنة المادّة والغريزة .. من علامات ذلك الزمن وهي الأخطر ظاهرةً اتباع الشهوات بما تعنيه من ربوبية حاكمية ومؤثرة في عالم المواثيق وقيم السلوك المجتمعية ، والميل إلى الأهواء ، على قاعدة تقريرها مصدراً لمواثيق القيم الإجتماعية في قيادة الفرد والجماعة ، وتعظيم أصحاب المال ، بأكثر من عنوانٍ ونموذجٍ مثل تبني منظومة الرأسمالية عنواناً لتنظيم وجود الفرد والجماعة بحيث يصبح المال الحاكم المهيمن والمؤثر في صياغة القيم والمفاهيم وخصائص الوجود الإجتماعي العام بل هو من يحدّد عبر الدعاية والقيم وغيرها سلوك الفرد النفسي والأخلاقي والإجتماعي على قاعدة المال ربّ كلّ شيء .. هناك في ذلك العالم يُباع الدين بالدنيا على اعتبار أنّ الدنيا مرتع الوجود والنفعة ، وغيرها مجرد وهم ، لا يُرادُ منه إلا التضليل والسراب ، وبالتالي نزع أيّ خوف من صدور البشر من العالم الآخر وتركهم في مرتع عالمهم لما تملي عليهم الغريزة والأهواء وما تصنعه عبارات المال والسلطة السياسية التي بترت عقيدة الله من مواثيق هويتها المنظومية وهذا من أخطر الأمور وأكثرها كارثة .. لا شكّ أنّه في هذا العالم ووفق هذه

القيم يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره ..

لا شك أن هذا العالم بهذه المفاهيم يكون على رأسه أمراء جور وزعماء ضلال ، وشياطين بأجسام بشر ، ووزراء فسقة ، وعرفاء ظلمة ، وأمناء خونة حيث الغريزة تحكم في كلّ شيء ، دون أن يكون للمواثيق النوعية الفطرية أو لقراءة معاني الحكمة الكونية أي معنى على الإطلاق إلا إذا أرادت شارون ستون أو مايكل جاكسون أو بامبلا أندرسون أو مادونا غزو الفضاء إلى القمر سياحياً ببطاقة قيمتها ٢٠ مليون دولار كما في السوق الجديدة لعالم الفضاء ونزهته التي تتأسس اليوم .. بطبيعة الحال ، في عالم كهذا من الانحراف الخطير على مستوى غايات المنطق الكوني وممكنات التأهيل الوجودي سيصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، ويؤمن الخائن على كلّ شيء ، على السلطة والثروة والأرواح والأعراض والثقافة والتشريع وغيره .. وهناك يخون الأمين بكلّ ما تعني الأمانة من شرط نفسي مجتمعي ، لأنّ الدعاية تحتاج كلّ شيء ، وتفتك في كثير من المواقع والصدور ..

ويشير النبيّ (ص) إلى أنّ من مظاهر هذا العالم مجموعة صور من إماراة النساء ، ومشاورة الاماء ، وقعود الصبيان على المنابر ، حيث يكون الكذب ظرفاً ، والزكاة مغرماً ، والفيء مغنماً ، ويجفو الرجل والديه وير صديقه .. وتنهار شروط الأمان الوجودي وتتعارض عناوين الأفق نحو التكامل ، ويصبح الإنسان مجرد " بهيمة غريزية " همه فرجه وبطنه وكرسیه والمال .. في ذلك الزمن يطلع الكوكب المذنب ، وتشارك المرأة زوجها في التجارة كصفة بارزة خارجية يراد منها تسجيل ظاهرة موجودة لها مجموعة من معانٍ متصلة بهذا العنوان حيث

تشكّل صفة المرأة عبر مجموعة خطيرة على شكل خَللٍ وظيفي في هيكله المجتمع لتكون مادةً غريزيةً تجاريةً سوقيةً ، هناك تصبح الحياة الزوجية مجرد مظهر بائس لا معنى له في ظلّ أسوأ دعاية تطال المرأة والرجل في الإنحراف ، إن على مستوى الجنس أو على مستوى القيم والإطار الذي يحكم علاقتهما ..

ويضيف النبيّ (ص) في علاماتِ أهلِ ذلك الزمن : هناك يكون المطر قيطاً ، ويغيظ الكرام غيظاً .. وفي أكثر من نصّ إشارة إلى أنّ العالم آنذاك يشهد مرحلة من الشتاء القاسي على غير عادة ، كما يشهد مرحلة من الجفاف على غير عادة ، دلالةً على اختلالِ التّظُم .. وما أدقّ هذا التعبير في أسوأ مرحلة نعيشها اليوم كما يقول الخبراء ، وهي تندرُ بالمزيد في طولِ أزمتهَا بسبب الخلل العنيف الذي يحتاجُ أصل النواميس التي تحكم الدور المائية في كوكبنا وما هو العالم يعيش منذ أكثر من عقد على أزمة طوفانات مخيفة من جهة وجفاف قاتلٍ من جهةٍ أخرى وبإعترافٍ صريحٍ من قبل الخبراء أنّ الإنسان وراء ما وصل إليه الكوكب من مرضٍ وعجزٍ وترهلٍ ، خاصّة عبر غازات الصناعات الكثيفة التي تضرب بعنفٍ في طبقة الأوزون .. وللمثال فإنّه منذ أوائل شهر آب ٢٠٠٢ كان العالم يعيش على وقع فوضى طبيعية خطيرة تحتاجُ قسماً واسعاً من العالم وقد أدّت الفوضى المناخية تلك كما سمّاها الخبراء الطبيعيّون في كلِّ من آسيا وأوروبا إلى طوفانٍ ضخيمٍ وقاتلٍ بسبب المياه الهاطلة التي جرفت أرقاماً قياسيةً في كلِّ من أوروبا وآسيا .. وقد واصلت الطبيعةُ ثورتها في بقاعٍ مختلفةٍ من العالم إلى حدِّ الفيضانات الجارفة في حين كانت الطبيعة بإمكانٍ آخر من العالم تمارس دوراً خطيراً من الجفافِ وبطريقةٍ تدل على تغيّراتٍ مناخيةٍ قاسيةٍ عكسيةٍ .. لقد أدّت الفيضانات إلى موت المئات فضلاً عن المفقودين في كلِّ من آسيا وأوروبا في حين

أنّ براغ التشيكّيّة بقلب أوروبا غرقت للمرّة الأولى منذ العام ١٩٥٤ ودخل نهر الدانوب إلى المنازل في النمسا بشكلٍ مخيفٍ ومأساويّ ..

ومع أنّ الجيوش في كلّ من أوروبا وآسيا نزلت على الأرض وحاولت إنقاذ الكثير من الناس إلا أنّ القتلى سجّلوا أرقاماً قياسية في ظلّ ثورة فيضاناتٍ كبرى .. وعلى ساحل البحر الأسود في روسيا تجاوز عدد القتلى مائة قتيل في ظلّ رقمٍ كبيرٍ من المفقودين ، وقد أعلنت المنطقة هناك منطقةً كوارث ، وفي العاصمة النيباليّة كتمندو قالت الوكالة أنّ أكثر من ٤٢٢ شخصاً لقوا حتفهم على الأقلّ وفُقدَ العشرات وتشرّد الآلاف بسبب الفيضانات وانهيارات الأراضي بعد أسابيع من الأمطار على البلاد .. وفي طهران قال التلفزيون الإيراني إنّ السيول الناتجة عن الأمطار الغزيرة الجارفة قتلت عشرات الأشخاص في شمال إيران وفاضت الأنهار لتندفق إلى شوارع المدن والقرى وأنّ المزيد من القتلى ما زال ممكناً ، وفي العاصمة الفلبينيّة مانيلا قُتل العشرات بسبب الأمطار الغزيرة التي تسببت في فيضانات وسيول في منطقةٍ واسعةٍ من البلاد ، وإنّ بعض الأحياء في مانيلا غُمّرت بمياه وصل ارتفاعها في بعض الأماكن إلى ٣ أمتار .. أمّا النمسا فقد شهدت أعنف موجة من هطول الأمطار وغزارتها منذ بدء عمليّات التسجيل منذ مائة عام ، وغمرت الفيضانات مركز مدينة ستاير التاريخيّة ، كما غرقت مدينة أيس تحت مياه نهر الدانوب فضلاً عن مشاهد الطوفان والجرف الإستثنائي .. وفي العاصمة الرومانيّة بوخارست قُتل العشرات أيضاً بعاصفةٍ عاتيةٍ بجنوب البلاد .. وفي العاصمة التشيكّيّة براغ شهدت أسوأ فيضانات منذ أكثر من قرنٍ وفاض نهر فلتافا على جانبيه ممّا أدّى إلى مقتل الكثير من الأشخاص في ظلّ عنفٍ جبارٍ من الطبيعة .. وفي فرنسا وألمانيا كان المشهد مخيفاً ، حيث

السيول تجرف كل شيء ، ولم ينفع معها طائرات ولا جيش .. أمّا في الصين فقد كادت إحدى البحيرات أن تبتلع عشرة مليون نسمة .. ! وما هي إلا أيام فقط حتى بدت أوروبا وآسيا وهي تلهثُ من الغرقِ إلى درجة دعت أوروبا إلى إجتماعٍ طارئٍ لقادتها السياسيين من أجل تدارك الأزمة الأخطر في تاريخ أوروبا بسبب مجموعة أكيدة من خللٍ يؤثر بطبيعة المطر والجفاف في كثيرٍ من بقاع العالم .. الخبراء يشيرون إلى أنّ أمراً خطيراً يؤثرُ على كمية الأمطار الهاطلة والتي تنذر بأزمةٍ وخطورةٍ بالغةٍ ، ويصرّون على أنّ للإنسانِ بدأً في كلِّ ذلك ويحدّدون الجهة في مجموعة من أسبابٍ منها الغازات التي تسبّب أثراً سيّئاً في طبقة الأوزون وهي تصدر بكمياتٍ كبيرةٍ وخطيرةٍ في العالم الصناعي وتؤثر بطبيعة الدورة المائية التي يقوم على أساسها ميزانُ عالمنا هذا .. ومن يقرأ أقوال الخبراء الدقيقة في بياناتها ، خاصّة فيما يتصل بجانب التخريب الطبيعي بسبب السلوك الصناعي البشري يدرك أنّ ما عليه الأرض الآن من دفيئةٍ وسخونةٍ مثيرةٍ وخطيرةٍ إنّ بقيت كذلك فإنّها ستؤثر بشكلٍ غريبٍ على موازين الأمان الطبيعي لسكان الأرض ، وها هي البشرية في أكثر من كيانٍ ومنطقةٍ بدأت تشهد إنذارات الطبيعة ، خاصّة أنّ الأمم المتّحدة وعلى رأس زعماء العالم أعلنت كوكب الأرض كوكباً مريضاً أواخر القرن المنصرم .. إلى الكثير من العناوين المتصلة بتخريب الإنسان لمجموعة دقيقة من نُظُمِ التوازنِ الطبيعي وغيره ..

هناك في ذلك العالم من آخر الزمان يحتقر الرجل المعسر وعندها تقارب الاسواق ، إذا قال هذا لم أبع شيئاً ، وقال هذا لم أربح شيئاً ، فلا ترى إذا داماً لله .. تعبير يُرادُ منه بيان حجم التمرد على السماء والهبوط إلى ربوبية الأرض والمادّة ، والتعامل مع الله من بابِ الفرضِ والتشكيك بل نفي سلطنته وعظمته

واستبدال العاجلة بالآجلة وعدم الإكتراث بمنطق الرُّسُلِ والأنبياء .. في مثل هذا الجوّ من الإنحراف والتعامل مع القيم الماديّة والإشباعات الغريزيّة من بابِ مصدرية الإشتراع وبناء القيم يصبح الإعتراض على منطقِ وغاياتِ النزرعةِ الماديّةِ جريمة أو منكرًا لا يصحّ معه الخروج عن مقاماته وعناوينه وقداسته مرجعيته فعندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم ، وإن سكتوا استباحوا حقهم ، ليستأثرون بفيئتهم ، وليطؤون حرمتهم وليسفكون دماءهم ، وليملؤن قلوبهم دغلا ورعبا فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين . ومن يراقب الظلم والحيف والفساد الذي يشنّ صعقاته على العالم يدرك الخطورة الكبرى التي تنتظر الإنسان ، والغريب أنّ التجارة بالموتى والمرضى والجوعى أصبحت من مهام السوق الرأسمالية الرئيسيّة ، بالأمس أصرت الدول الصناعيّة أنّها غير مسؤولة نهائيًّا عن موت ٤٠ مليون إنسان سنويًّا لأسبابٍ تتعلّق بالجوع وسوء التغذية ، مصرّة على أنّها لن تساهم بما يكفل الحؤول دون هذه الفاتورة من الموت السنوي ، وتتشدّد أنّه يحقّ لشركاتها في الدواء والغذاء أن تفرض أسعارها التجارية السوقية لأنّ براءة الإختراع تخوّلها ذلك .. ! كلّ هذا فضلاً عن ١١ مليون هم دون سنة الخامسة يموتون سنويًّا في العالم الفقير والنامي ، بسبب الجوع والمرض وسوء التغذية .. في ظلّ إصرارٍ نهائيٍّ على أنّ نظم التضامن المالي لا يمكن أن تفرض على مستوى عالميٍّ وأنّ لكلّ قطرٍ أن يحدد نفقاته دون أيّ إلزاميّة قانونيّة أو أخلاقيّة في الإنفاق على أشخاص خارج الكيان .. يأتي ذلك في نفس الوقت الذي تُنشرُ فيه النفقات الإجماليّة لكلّ دولة على الحيوانات الأليفة في الغرب والتي تتجاوز مائة مليار دولار في عدّة دولٍ منها فقط ، بل إنّ ألمانيا وحدها قاربت الـ ٣٠ مليار دولار في الإنفاق السنوي على الحيوانات الأليفة .. ! في وقت تعترف فيه منظمّة الصحة العالميّة أنّ رقماً كهذا يمنع الموت في أفريقيا كلّها ..

ويضيف النبي :

عندها يؤتى بشئ من المشرق
وشئ من المغرب يُلُون أمتي ، فالويل
لضعفاء أمتي منهم والويل لهم من الله ،
لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً
ولا يتجاوزون عن مسيء جثتهم جثة
الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين !..

هنا تبدو الصورة على نحو كارثيٍ خطيرٍ حيث كلّ شيءٍ يدلّ على
الإهيار تلو الإهيار ، في ظلّ وحشيّةٍ قاتلة ، في إدارة أمور المال والثروة والسياسة
والإعتبارات والأعراف والغايات المجتمعيّة .. بحيث تبدو الصورة واضحة في
وحشيّة التراكم المالي ، وفي الإشباعات النفسيّة لمشاهد الموت والمدافن ، دون أن
يتحرّك قلب أو ضمير أو إحساس بشري ، دون أيّ تنديد أو فعل أيّ شيءٍ في
ظل أكبر إمبراطوريّة تراكم مالي في حساب شخصٍ أو عدّة أشخاص يرون
الموتى بعشرات الملايين كلّ عام فيضحكون .. إنّ النبيّ يشير إلى نماذج مذهلة
ومختلفة تدلّ على الوحشيّة التي تتلبّس أجساد البشر في آخر الزمن .. وإليك
صورة تقريبيّة عن واحدٍ من نماذج الوحشيّة التي تلبّست قلوب البشر في زمننا
هذا من عصر الغيبة للإمام وذلك عبر الإشارة إلى مجموعة بسيطة من أرقام عالميّة
وأهميّة تسجّل المذهل من مأساة هذه البشريّة في موثقيها وقيميها ونواميسها ..
ففي تاريخ ١٥ شباط ٢٠٠٢ جاء في تقرير لليونيسف وغيره تحت عنوان وضع
الأطفال في العالم الأمور التالية :

١. ما زالت تُسجّل نسبة وفيات أطفال على شكل ٨١ وفاة من كلّ ألف طفل مع تباينٍ صارخٍ بينَ وفيات الأطفال في الدولِ الصناعيّة ودولِ العالم النامي .
٢. في الدولِ الصناعيّة لا تزيد النسبة في أحسن الأحوال عن ٦ وفيات من كلّ ألف ولادة حيّة بينما تصل في بعضِ الدولِ الأفريقيّة إلى أكثر من ١٧١ وفاة لطفلٍ من كلّ ألف ولادة حيّة .. ! وفي جنوب آسيا تصل إلى ١٠١ وفاة لطفلٍ من كلّ ولادة لألف طفل .
٣. مع كلّ محاولات تطوير الوسائل لحماية الأطفال إرتفعت نسبة وفيات الأطفال في ١٤ دولة نامية بينما بقيت على حالها في ١١ دولة أخرى كلّها من الدولِ النامية ..
٤. هناك أكثر من ١٤٩ مليون طفل يعانون من سوء التغذية ، وأنّ الثلثين منهم في آسيا ... ! فيما يولد كلّ عام ١١ مليون طفل في جنوب آسيا و٣,٦ مليون طفل في دول أفريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى بوزنٍ ناقصٍ عن المعدل الطبيعي ، حيث يفتقر ثلث السكّان هناك إلى غذاءٍ كافٍ ..
٥. معدّل وفيات الأمّهات ما زال ثابتاً دون أيّ هبوط ... ! حيث يتوفّى ٥١٥ ألف امرأة سنويّاً نتيجة الحمل والولادة بحيث تموت امرأة واحدة من بين كلّ ١٣ امرأة أثناء الولادة في دول أفريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى وذلك مقابل موت امرأة واحدة من بين ٤,٨٥ مليون امرأة في الدولِ الصناعيّة .. ! ما يدلّ على تفاوتٍ مذهلٍ وهائل دون أيّ رافةٍ إنسانيّة أو أحاسيس وجوديّة .. !

٦. لا يزال مليار ومئة مليون شخص يفتقرون إلى المياه المأمونة صحياً أيضاً في الدول الفقيرة والنامية مقابل مليارين وأربعمئة مليون شخص محرومين من الوسائل الصحية اللازمة لتصريف فضلات الإنسان في العالم الفقير والنامي مع كل ما يتسبب ذلك من أمراض وأوبئة وتلوّث ونصف هؤلاء يعيش في آسيا وكلّ هؤلاء يعيشون في العالم النامي ..
٧. إنّ نصف مجموع المصابين بفيروس نقص المناعة البشريّ (الإيدز) هم من اليافعين من سنّ ١٥ إلى سنّ ٢٤ عاماً . وأنّ هناك ما يقدر بزهاء ١,٤ مليون طفل يحملون الفيروس في شتّى أنحاء العالم وأنّ ٨٠ في المئة منهم في أفريقيا وأنّ ٤,٣ ملايين طفل لاقوا حتفهم بسبب الإيدز منذ إنتشار هذا الوباء وأنّ ١٣ مليون طفل أصبحوا أيتاماً بسبب الإيدز ..
٨. لا يزال هناك أكثر من مئة مليون طفل لا يمكنهم الحصول على مجرد تعليم أساسي ، منهم ٦٠ مليون فتاة وغالبيّتهم من الأطفال العاملين والمتضرّرين من الإعاقات أو الإصابات بنقص المناعة المكتسب أو النزاعات أو من الأطفال الفقراء أو أطفال الأقليات العرقية والريف ونصيب هذه الظاهرة في العالم الفقير والنامي ..
٩. إنّ دول العالم تصرفُ سنوياً أكثر من ٨٠٠ مليار دولار في القطاع العسكري تاركة القليل للصحة والتربية والحاجات الأخرى للأطفال .
١٠. إنّ الأطفال والنساء يشكّلون ما نسبته ٨٠ في المئة من بين ٣٥ مليون لاجئ ومهجّر في العالم . وأنّه ما بين عامي ١٩٩٠ و ٢٠٠٠ قُتل مليوناً و١٢ مليون طفل مشرّدين بسبب النزاعات ..

١١. في بداية القرن كان ٩٠ في المئة من ضحايا الحروب هم من العسكريين
أمّا اليوم فيشكل المدنيون ومعظمهم من الأطفال والأمهات ما بين ٨٠
إلى ٩٠ في المئة ممن يموتون أو يجرحون أثناء النزاعات التي أدت إلى
جعل ما يزيد عن مليون طفل أيتاماً أو إلى تفريقهم عن ذويهم في العقد
الأخير من القرن العشرين ..

١٢. يبقى أنّ ظاهرة بيع الأطفال والدعارة معهم وبيع الأعضاء وشبه ذلك
تعتبر الظاهرة الأخطر في عالم الطفل والأوسع إنتشاراً ..

١٣. المثير أنّ وزيرة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السابقة مادلين
أولبريت وفي محاضرة جامعيّة لها في العام ١٩٩٩ أي زمن تولّيها وزارة
الخارجيّة كانت قد سُئلت عمّا إذا كانت وفاة مليون عراقي كلّ عام من
بينهم نصف مليون طفل ثمناً مقبولاً لإضعاف نظام صدام الحسين
فأجابت الوزيرة : نعم إنّه مقبول .. !

وفي تاريخ ١٣ آذار ٢٠٠٢ حذرت منظمة الأغذية والزراعة التابعة
للأمم المتحدة (الفاو) من تفاقم نقص الأغذية في ٢٩ دولة تمتدّ من شمال أفريقيا
والشرق الأقصى حتى آسيا الوسطى .. ويضمّ الشرق الأدنى بالإضافة إلى ٢٠
دولة عربيّة تمتدّ من موريتانيا على ساحل الأطلسي إلى سوريا كلاً من إيران
وتركيا وقبرص وأفغانستان ومالطا وباكستان وقرغيزستان وطاجيكستان
وتركمانستان .. وقد أشارت الفاو إلى أنّ هناك (٨١٥ مليون نسمة) تعاني من
سوء التغذية بشكلٍ مثيرٍ وحادٍ وقاتل ويصل تعداد السكان في منطقة الشرق
الأدنى إلى نحو ٥٦٠ مليون نسمة وتستورد المنطقة نحو خمس إستيرادات العالم
من الحبوب . وتقول الفاو إنّ عدداً كبيراً من الدول تستورد أكثر من ٥٠ في المئة

من إحتياجاتها من القمح ودقيق القمح .. وحذّر المدير العام للفاو من أنّ الشرق الأدنى يوجد فيه ١,٥ في المئة فقط من مصادر المياه المتجدّدة في الكرة الأرضية وسيواجه أخطر مرحلة من نقصان المياه فضلاً عن سوء التغذية التي تستشري فيه وتضمّ المنطقة دولتين من أكثر دول العالم خطورة من حيث الأمن الغذائي وهما الصومال وأفغانستان ففي الصومال يعاني أكثر من ٧٥ في المئة من السكان من سوء التغذية الحادّ .. وفي أفغانستان يعاني أكثر من ٨٠ في المئة من سوء التغذية وبشكلٍ خطير .. ويشكك مجموعة من الخبراء بالأرقام مؤكّدين أنّ مستوى الذين هم تحت خطّ الفقر زاد عن ٨٥٠ مليون نسمة ، وهو الآن يقارب مليار نسمة بعد النظر عن أولئك الذين يعيشون على أقلّ من دولار واحد ودولارين كلّ يومٍ .. وقد دعموا تقريرهم بمجموعة رقميّة عن تطوّر أزمة الفقر في أمريكا اللاتينية وآسيا فضلاً عن أفريقيا .. ففي البرازيل مثلاً تدلّ الأرقام على وجود ١٣٠ مليون فقير بشكلٍ أكيد ..

وفي تاريخ ٦ نيسان ٢٠٠٢ قالت الفاو إنّ ٢٤ ألف نسمة تموت كلّ يومٍ بسبب الجوع ، وإنّ أكثر من ٨٠٠ مليون نسمة تأوي إلى فراشها كلّ يومٍ جائعاً .. وأنّ حوالي ٩ ملايين نسمة تموت كلّ عامٍ لأسبابٍ تتصل مباشرةً بالجوع .. وأنّ هذا الرقم كلّهُ في البلدان الفقيرة والنامية .. وتشكو الدول الفقيرة من تزايدٍ نسبيّ واضحٍ بأعدادٍ الفقر فيها وبأشكالٍ متعدّدة ، مؤكّدةً أنّ نسب الفقر تصاعديةً .. بخلاف ما تشير إليه المنظمات العالمية من أنّ النسب ما زالت على حدّها أو أقلّ بقليل ممّا كانت عليه .. نعم تلك المؤسسات تعترف بوجود الحالات التالية :

١. ما يقارب ٨٥٠ مليون نسمة يعيشون تحت خطّ الفقر وبشكلٍ مثيرٍ وهم من دول العالم الفقير ..
 ٢. يوجد ما يقارب ٣ مليار نسمة يعيشون يومياً على دولارين وبينهم أكثر من مليار ونصف يعيشون على أقلّ من دولار يومياً ..
 ٣. يزداد البعد والهوة بين الفقراء والأغنياء ، وبينما تزداد الطبقة الفقيرةُ تهميشاً فإنّ قلة لا تتجاوز ٨ في المئة من أثرياء أهل الأرض تسيطر على أكثر من ٩٠ بالمئة من الثروة العالميّة .. هذا على صعيد إحصاء الثروة عبر نسب الأشخاص .. أمّا على مستوى الدول فهناك ٢٠ بالمئة الأكثر غنىً يسيطرون على أكثر من ٨٠ بالمئة من الثروة العالميّة ، وأنّ ٨٠ بالمئة من سكّان الأرض يسيطرون على أقلّ من ٢٠ بالمئة من هذه الثروة ..
- وليت الأمر ظلّ رهين هذه الصورة من سلبيات موقف الدول الغنيّة ووحشيتها ، بل ما زالت تصرّ قاطراتها على ضرورة إستغلال باطن وسطح الدول النامية والفقيرة في العالم وبشكلٍ إحتكاريّ .. وها هي اليوم تحتكر كلّ شيء وتمارس أدواراً قاتلة بشكلٍ مثير ، حتى عبر تجارة الدواء الفاسد ، وفي تاريخ ١٦ نيسان ٢٠٠٢ حذّر العلماء من أنّ (التجارة القاتلة) في الأدوية خرجت نهائياً عن سيطرة السلطات الحكوميّة في مختلف بلدان العالم ، وإنّ هناك تفاوتاً بين الجداول لجهة الفرق الشاسع بين الدول الصناعيّة والدول النامية .. مؤكّدين أنّ هذه " التجارة القاتلة " تقودها مافيات كبرى متقدّمة تعتمد على سوق التزييف في الأدوية مع ما تثيره من أضرارٍ بالغةٍ وخطيرةٍ منها الموت وبشكلٍ متوسّع .. وقد قدّرت منظمة الصحة العالميّة أنّ أكثر من (١٠ في المئة من المواد الصيدلانيّة في السوق العالميّة هي مزيفة .. !) وهذا أخطر تقدير لأنّه يعني أنّ

النسبة هائلة وكبيرة وتحتاج أسواق العالم خاصة الفقير .. ! وأكدت منظمة الصحة أن هذا النوع من التجارة بالأدوية المزيفة له سيطرة كبيرة وشاملة في العالم الثالث ..

وقد قام بول نيوتن لدى جامعة أوكسفورد البريطانية وزملائه بجمع آخر التقارير الحكومية فضلاً عن تقارير المنظمات غير الحكومية عن الأدوية المزيفة بما في ذلك اللقاحات ، ما يعني كارثة حقيقية .. وأفاد العلماء أن كثيراً من دول العالم النامي لا تمتلك قاعدة تقنية وتمويل لازم للكشف والتمييز بين الأدوية الأصلية وتلك المزورة التي تغزو العالم بقوة .. وذلك بخلاف ما عليه الأمر في الدول الغنية حيث تبذل الدولة هناك مزيداً من الجهد للحؤول دون تطور سوق مافيا الدواء المزيف .. المثير أن لهذه المافيا وكلاء محليين في الدول النامية ، لهم قدرات خارقة في أسواق الدواء المحلية وهم قادرون على التأثير في مواقع مختلفة . وبهذا يدفع الفقير مرة أخرى ثمن وجوده لصالح مافيات كبرى تقودها مؤسسات وهمية وأسواق مخيفة في الغرب والشرق في آن واحد ، لكن المادة وإنتاجها يظل غربياً صناعياً ، أما تسويقها فيشترك فيه العالم الغني مع العالم الفقير لتكون الحصة الأكبر من صالح المافيا الغربية الغنية ..

الأمثلة كثيرة والأرقام الدولية أقل من اللازم ربما لأنها لا تريد أن تضع بين يدي البشر مادة مخيفة من شأنها أن تؤثر على طبيعة الرد المسلكي فمن المذهل أن نعلم أن رجلاً واحداً فقط مثل بيل غيتس الأمريكي يملك أكثر بمائة مرة مما يملك ٣ مليار نسمة من البشر .. ! الرقم مذهل ، ويذهلنا أكثر أن نعلم أن بيل غيتس يملك أكثر مما يملك ٤٩ دولة أفريقية .. ! ويذهلنا أكثر أن نعلم أن بيل غيتس يقرر ميزانية سنوية تطمع بها أكثر من ٨٧ دولة في العالم .. !

إنه الإحتكار ، إحتكار الثروة تحت عنوانين من أمثال مرجعية الليبرالية
الرأسمالية وشرعية وجودها وأحقية تراكمها حتى لو مات أكثر من ٦٠ مليون
نسمة في العام الواحد بين طفلٍ وشيخٍ وعجوزٍ ومريضٍ وجائعٍ ..

وفي نفس الوقت الذي نقرأ فيه عدد الجوعى والموتى والمنبوذين الذين
يكافحون الموت والقهر والجوع ويموتون جهرًا تحت ظلال عدسات الكاميرا نقرأ
بالمقابل ثورة التملك والغبني عند نسبة هي أقل من واحد من عدد سكان العالم ،
حتى في الأعوام العجاف نقرأ ذلك في ظل دلالة خطيرة على الفحش والظلم
والإنحراف التشريعي البشري فضلاً عن قيم الإفتراس التي وضعت الأمم وأفرادها
في مواجهة بعضهم البعض .. ففي تاريخ ١٨ حزيران ٢٠٠٢ جاء في التقرير
السنوي الذي أصدرته (مريل لينش وكاب جيميني أرنست يونغ) أن منتدى
الأغنياء أضيف إليه في هذا العام ما يقارب ألك ٢٠٠ ألف شخص رغم تحبّط
الأسواق المالية وانتشار الإنكماش الإقتصادي في عدّة بلدان من العالم بعد
هجمات ١١ أيلول .. !

وقد جاء في التقرير الأمور التالية :

١. إن عدد الأثرياء إرتفع ٣ في المئة بحيث بلغوا نحو ٧,١ ملايين من البشر
على مستوى الكرة الأرضية التي تبلغ أكثر من ٦ مليار نسمة وقد
ازدادت ثرواتهم ما يقارب ٣ في المئة نسبةً إلى موجوداتهم .
٢. بلغت ثروة منتدى الأغنياء ألك ٧ مليون نسمة أكثر من (٢٦,٢
تريليون دولار) أي (٢٩,٤ تريليون يورو) .. ! وهذا النادي يحسب
فقط من تزيد ثرواتهم في العالم عن مليون دولار دون احتساب الأصول

العقارية) وتصدر الإشارة إلى أنه يتمّ التفريق بين نادي كبار الأثرياء وبين نادي الأثرياء ، فنادي كبار الأثرياء يشترط للدخول فيه أن يتملك الواحد على الأقلّ ٣٠ مليون دولار .. وكلّما ارتفع الحدّ المالي المطلوب كلّما قلّ الوافدون ..

٣. يشار إلى أن هذا الإرتفاع في عدد الأغنياء هو الأبطأ .. !

٤. أمّا كبار الأثرياء فقد إرتفعت أيضاً بمقدار ٣ في المئة إلى (٨,٣٧ تريليون دولار وازداد عددهم إلى ٧٥ ألف شخص فقط) .

٥. بضميمة نادي الأثرياء إلى نادي كبار الأثرياء تصبح نسبة موجوداتهم الماليّة (٣٥ تريليون دولار أمريكي) .. ! وهذا رقم كما ترى مذهل وخطير وهائل .. !

٦. أفاد تقرير الثروة العالمية أنّ الأحوال الإقتصادية القاسية التي سادت في العام ٢٠٠١ أدّت إلى تأثيراتٍ سلبيةٍ على خلق الثروة حول الكرة الأرضيّة خاصّة ما حصل في أمريكا التي تعتبر الأوّل في نادي الأثرياء وقد حافظت أوروبا على نموّ فاترٍ وتفيد تقديرات صندوق النقد الدولي أنّ الناتج المحليّ العالمي الحقيقي بلغ بعناء ٢,٥ في المئة أي أكثر من النصف بقليل من الرقم الذي بلغه في العام السابق .. وكانت قد انخفضت القيمة السوقيّة الإجماليّة للأسهم في البورصة العالميّة الرئيسيّة أكثر من ١٣ في المئة .. ورغم ذلك ظلّ الأغنياء في نموّ وتراكم ...

٧. على صعيد العام ٢٠٠٣ قال التقرير المتوقّع هو إنتعاش إقتصادي معقول حيث من المنتظر أن ترفع ثروة الأغنياء عالمياً بمعدّل وسط يقارب ٨ في المئة لتبلغ (٣٨,٥ تريليون دولار) فيما بعد .. !

٨. ارتفعت نسبة الأغنياء خارج بلدان السبعة الكبار بنسبة ٤,٧ مقابل ١,٩ في بلدان السبعة الكبار بعد هجمات ١١ أيلول ..
٩. في أمريكا الشماليّة إرتفع عدد " الأثرياء " إلى نحو ٢,٢٢ مليون شخص في العام ٢٠٠١ وازدادت ثرواتهم المجمّعة ١,٧ إلى ٧,٦ تريليون دولار ويشكّل الأثرياء في أمريكا الشماليّة ٢٩ في المئة من عدد الأغنياء العالميين في العام ٢٠٠١ وقد نمت ثرواتهم بمعدّل ٣١٣ في المئة منذ عام ١٩٨٦ ومن المتوقع أن ترتفع إلى ١١,٢ تريليون دولار في العام ٢٠٠٦ .. !
١٠. في أوروبا الوسطى والغربيّة والشرقيّة عدد الأثرياء بقي ثابتاً برقم ٢,٥٤ مليون شخص .. هذا الرقم لكل أوروبا يدلّ على أنّ أمريكا الشماليّة وبالاحصّ الولايات المتّحدة متمكّنة ومسيطرّة على سوق الأغنياء ..
١١. في آسيا إزداد عدد الأغنياء نحو ٧ في المئة إلى ١,٧ مليون شخص في أواخر العام ٢٠٠١ بقيادة هائلة من اليابان ونمت ثرواتهم الإجماليّة ٧,١ إلى ما يقدر بحوالي ٥,١ تريليون دولار ، يشار إلى أنّ اليابان تشكّل أكثر من نصف ثروة المنطقة الآسيويّة .. وهذا يدلّ على أنّ أمريكا ما زالت بالطليعة القاسية جداً ..
١٢. أمريكا اللاتينيّة فيها ٢٨٠ ألف شخص من الأغنياء يملكون ٣,٥ تريليون دولار ..
١٣. في الشرق الأوسط يوجد حوالي ٢٩٠ ألف غنيّ حتى أواخر العام ٢٠٠١ يملكون ثروة تعادل تريليون دولار دون أيّ زيادة ..
- وعليه : نقرأ أرقاماً مثل ٢٩ تريليون دولار ومنحنى قريب مطلوب هو ٣٨ تريليون دولار .. وهذه أرقام لكلّ من يفهم إقتصاد مذهلة ومذهلة جداً ومع

كلّ هذا هي على حسابِ أمةٍ كبرى متهالكة ، تموت جوعاً ووجعاً وذلاً ومهانةً واحتكاراً .. والمذهل أن نعلم أن هناك في الطرف الآخر من العالم في الدولِ الفقيرةِ والنامية ما يصل إلى ٣ مليار نسمة يعيشون على نفقةٍ يوميةٍ بين أقلّ من ١٠ سنت إلى أقلّ من دولار وأقلّ من دولارين .. !

لا شكّ أن قلوب الشياطين سيطرت على قلوب البشر ، وأحالتهم إلى مجرد أدواتٍ متوحّشة دون أيّ رافةٍ أو رحمةٍ وأحاسيس ..

وحين تسقط هذه العناوين من روح الدفع البشرية يتحوّل الفرد إلى وحشٍ قاتلٍ ، إلى غريزةٍ عمياء ، إلى مادّةٍ صمّاء ، عندها تنهاوى القيم وتتساقط الحدود والقيود ، عندها يكتفي الرجال بالرجال (لواط) والنساء بالنساء (سحاق) ويُغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها (الإستغلال الجنسي للأطفال) عندها يتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال (من أجهى مصاديقه اليوم التحوّل الجنسي وكلّ ما يؤدي إلى المماثلة غير المشروعة) هناك ، يركبن ذوات الفروج السروج ، في ظلّ عمليّة تمرد خطيرة في أكثر من مظهرٍ وموقعٍ وقيمةٍ وعنوان .. ويضيف النبيّ (ص) في ذكرِ علاماتِ آخرِ الزمان : عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس وتحلى المصاحف ، وتطول المنارات ، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة وتحلى ذكور أممي بالذهب ويلبسون الحرير والديباج ، ويتخذون جلود النمر صفاقا ، ويظهر الربا (الفحش الإقتصادي الأخطر) ويتعاملون بالعينه والرشي ، ويوضع الدين ، وترفع الدنيا — إنّها تعابير هائلة ، ومعانيها متجلية ومخيفة من مثل ربوبية الأرض والمادّة والغريزة وبترة الصلة بالسماء ومنطق الوجود الرسالي — عندها يكثر الطلاق ، ولا يقام لله حد ، ولن يضروا الله شيئا ... عندها تظهر القينات

والمعازف ، ويليهم أشرار أمتي — ربوبيّة اللهو والهرج والمرج والمجون والجنون —
عندها يحج الأغنياء للنزهة وتحج أوساطها للتجارة ، وتحج فقراؤهم للرياء
والسمعة ، عندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله ويتخذونه مزامير
(التجارة بكلّ شيء حتى بمواثيق السماء) ويكون أقوام يتفقهون لغير الله وتكثر
أولاد الزنا (مشاعيّة العلاقات الجنسيّة وسوقيّتها من دعارة ومومسات وصدقات
جنسيّة) ويتغنون بالقرآن ، ويتهافتون بالدنيا (إسقاط مواثيق السماء والتباعد
عن شريعة الله واستبدالها بقيم الغريزة والهوى والمال والبطون والفروج والطبل
والمزمار ..) ويكون ذلك إذا انتهكت المحارم واكتسبت المآثم وتسلط الاشرار
على الاخيار ، فيفشو الكذب وتظهر اللجاجة وتفشو الفاقة ، ويتباهون في
اللباس (ثقافة التعرّي والإثارة ، أظهرها اليوم عروض الأزياء التي تحتاج العالم
والتي تحوّلت إلى سوقٍ للدعارة والجنس بأشكالٍ مختلفة) عندها يُمطرون في غير
أوان المطر (الخلل الكوني بالدورة المائيّة) ويستحسنون الكوبة والمعازف (بكلّ
ما فيها من تعارضٍ ومعاندةٍ وفحشٍ وتعرٍّ وباطلٍ يتعارض بشكلٍ صارخٍ مع
منطق الآداب والمحرمات في شريعة الله) بطبيعة الحال عندها ينكرون الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من الأمة ،
ويظهر قراؤهم وعبادهم فيما بينهم التلاوم (الإنحراف في الغايات وتسلب الدنيا
بطرقٍ مختلفة إلى القلوب كمرجعيّة ومصدرٍ للتقييم) فإذا كان ذلك كذلك فإنّ
أولئك يدعون في ملكوت السماوات الارجاس والانجاس ، عندها لا يحض الغني
على الفقير ، حتى أن السائل يسأل فيما بين الجمعيتين لا يصيب أحدا يضع في
كفه شيئا .. عندها يتكلم الروبيضة (يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم)
فلم يلبثوا إلا قليلا ، حتى تحور الارض خورة فلا يظن كل قوم إلا أنها خارت في
ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله ، ثم ينكتون (كذا) في مكثهم فتلقي لهم الارض

أفلاذ كبدها ذهباً وفضة ، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة ، فهذا معنى قوله : فقد جاء أشراتها ..

إنَّ الخطورة كلَّ الخطورةِ في ذلك العالم حيث يُنكر اللهُ وتَغلبُ الدنيا ، هذا كلُّه فضلاً عن الفتن والقتل والجبهات التي تبني سلطاتها السياسي على العنف وإقتحام الكيانات ونهب الموارد والثروات وشبه ذلك ، في ظلِّ ملاحم وحروبٍ تنتقل من مكانٍ إلى مكانٍ ومن جهةٍ إلى جهةٍ .. بحيث يبدو العالم على نحوٍ من شيخوخةٍ وتهرُّمٍ غريبٍ في مفاهيمه وقيمه ومعانيه الضرورية .. فإذا كان ذلك كذلك ضمن الشرط الذي أشار إليه رسولُ اللهِ (ص) أذنَ اللهُ للمهديِّ عليه السلام بالخروج ليملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. اللهم ثبِّتنا على الحقِّ وأمتنا عليه ، واجعلنا على ولايةِ أهلِ الحقِّ ، ومن أنصارِ قائدهِ أهلِ الحقِّ ، وسلطانِ أهلِ الزمان القائم المهديِّ محمد بن الحسن عجل اللهُ فرجه الشريف ..

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أنَّ طائفةً من الرواياتِ تؤكدُ أنَّ أهلَ آخرِ الزمانِ يقتربون أفعالاً في غاية المنكرِ والشذوذ ، فتحيل العالم إلى مظهرٍ مخيفٍ من الإنحرافِ والباطلِ وقد أشرنا فيما مضى إلى بعضها ، من فتنٍ وحروبٍ وملاحمٍ وعنفٍ هائلٍ وشذوذٍ أخلاقيٍّ ومجتمعيٍّ وماليٍّ ومدنيٍّ ، وللأسبابِ تتعلَّقُ بربوبيةِ المالِ والمادَّةِ والفرجِ والبطنِ والإعتباراتِ العبيئيةِ ، والآن نشيرُ إلى قسمٍ آخرٍ منها ففي الحديثِ عن النبيِّ محمدٍ (ص) قال :

إذا فعلت أمتي خمس عشرة نخصلة ، حلَّ بها

البلاء ، فقيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : إذا كان

المغرم دولاً ، والامانة مغنماً ، والزكاة مغرمأ ، وأطاع
الرجل زوجته وعقّ أمه ، وبرّ صديقه وجفا أباه ،
وارتفعت الاصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم
أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ،
ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر
هذه الامة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو
خسفاً ومسحاً) ..^١

وفي طائفةٍ أخرى أشارت إلى أنه عند اقترابِ الساعةِ تنتفخُ الأهلّةُ وتكثر
الصواعقُ ويقع الخسْفُ .. وفي طائفةٍ ثالثةٍ أشارت إلى القذفِ والمسحِ ، من تلك
المرويات الواردة في مثلِ هذهِ المعاني ما روي عن النبيّ (ص) حيث قال :

والذي بعثني بالحق لا تنقضي هذه الدنيا حتى
يقع بهم الخسف والمسخ والقذف ، قالوا : ومي ذاك يا
رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : إذا رأيت النساء
ركبن السروج وكثرت القينات وشهدت الشهادات
الزور ، وشرب المصلين (كذا) بآنية اهل الشرك
الذهب والفضة ، واستغنى الرجال بالرجال والنساء
بالنساء ، فاستنفروا أو استعدوا ، وقال بيده هكذا
فوضعها على جبهته يستر وجهه ..^٢

^١الترمذي : ج ٤ ص ٤٩٤ ، ٣٨ ، ٢٢١٠

^٢ابن أبي الدنيا : على ما في الدر المنثور . * : ابن عدي ، الكامل : ج ٣ ص ١١٢٥

يظهر من هذه الروايات أنّ بعض العقوبات مثل الخسف والقذف تكون
حادّة بعد أن يصل الأمر بالسلوك البشري وقيمه إلى مستوى شاذّ وقاتل قياساً
على كلّ المقاييس المعقولة ..

ملاحظة :

بالنسبة إلى ما روي عن طرق العامّة في بعض مروياتهم من أنّه إذا مات
المهديّ كثر الهرج والمرج وعمّ الفساد إلى أن تأتي نار تسوق الكفار إلى المحشر
وتأتي ريح طيبة على المؤمنين .. فإنّ هذه الروايات فضلاً عن أنّها ضعيفة السند
فإنّها معارضة بمرويات أخرى عن طريق العامّة وبالخصوص من مرويات أهل
البيت (ع) الكثيرة والواضحة بشكل نهائيّ بحكم المهديّ وطول مدّته وأنّه يقيم
الحقّ في الأرض وتبقى كذلك إلى ما شاء الله دون هرج أو مرج .. أمّا
الأحاديث التي سيقّت عن الفساد والجور والانحراف إنّما هي مأخوذة لبيان ما
يكون عليه آخر الزمان ، وكما في التعبير النبويّ ، أنّه بُعثّ والساعة كهاتين ،
إشارة منه إلى أنّهما قاب قوسين ، فتكون تلك النصوص موجّهة إلى آخر الزمان
وليس إلى ما بعد فترة المهديّ (ع) ..

ثمّ إنّ مرويات العامّة تفاوتت كثيراً في مدة حكم الامام المهدي عليه
السلام وما يكون بعده ، والمشهور في مصادر العامّة أن مدة حكم المهديّ قليلة ،
وأنّه يخرج في زمنه أو بعده الدجال فيقتله عيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا
الكلام غير دقيق نهائياً فضلاً عن ضعف السند في تلك المرويات ، والثابت عن
طريق أهل البيت (ع) أنّ المهديّ هو الذي يقيم القسط والعدل في الأرض ،
وتظلّ كذلك على العدل والقسط دون أن يتسلّل إليها فساد إلى نهاية الأرض ..

وتضيف مرويات العامة أنّه بعد ذلك أي بعد موت المهديّ يخرج يأجوج
ومأجوج فينتصر عليهم المسلمون بقيادة النبي عيسى (ع) ثم تظهر دابة الارض
وبقية أشراط الساعة ، ويكون آخرها نار تسوق الناس إلى المحشر وريح طيبة
تقبض أرواح المؤمنين ... إلا أنّ الثابت في مرويات أهل البيت أنّ زمن دولة
الإمام المهديّ يطول إلى أن يشاء الله فضلاً عن روايات الرجعة وما يتصل بها ..
أمّا ما خصّ النبي عيسى فتشير الروايات إلى أنّه ينزل بإذن الله ويكون في جبهة
المهدي ، وأنّه يُبعثُ وزيراً لا أميراً ، وأنّ نزوله يكون في زمن المهدي (ع) وإنه
يبقى مدة غير طويلة ويتوفى (ع) وأن الدجال يخرج في زمن المهدي ، فيقتله
المهديّ (ع) ، ثم تكون بقية الاحداث الواردة ..

ومن خلال الروايات الواردة في آخر الزمن فإنّ النبيّ أشار إلى تغيراتٍ
تطراً على القيم المفاهيم والسلوك يكون من أثرها ما أشارت إليه النصوص من
فسادٍ وظلمٍ وحيفٍ وفتنٍ وباطلٍ وإسقاطٍ للدين فضلاً عن التقاتل على الدنيا
واكتفاء الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى ، أي يُشاعُ مثل هذا الأمر ويكثر ، إلى
غيره من المظاهر التي سقناها فيما سبق وهي تعني أنّ الجور في الثقافة والموازن
والمعايير يصل إلى مستوياتٍ هائلة ..

اللهم أجرنا منها بحقّ محمدٍ وآلٍ محمدٍ ، وثبتنا على الدين والولاية والهدى . اللهم
اجعلنا ممن يثبت على ولاءٍ محمدٍ وآلٍ محمدٍ وعرف بيننا وبينهم واجعلنا من
أنصارهم وأعوانهم والذابين عنهم والمستشهادين بين أيديهم وشفّعهم بنا إنك
المولى إنك على كلّ شيءٍ قدير ..

مع الإمام المهدي سبط رسول الله وولد علي وفاطمة من نسل الحسين

تأجدرُ الإشارةُ له أن كلَّ المسلمين اتفقوا على أنه لا تخلو الأرض من
حجةٍ ، ومن إمامٍ مفروض الطاعة ، بثبوتِ المروياتِ المتصلةِ بالسندِ بالنبيِّ والموثوقةِ
بشكلٍ نهائيٍّ ، بل في سقيفة بني ساعدة لم يمنع الخلاف الذي كاد أن يصل إلى
السيف بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة الجراح كمهاجرين وبين الأنصار إلا بعد
أن إحتجَّ عليهم أبو بكر بقولِ النبيِّ : الأئمة من قريش اثني عشر .. وقد اتفقت
الأمة بعد ثبوتِ المروياتِ على ضرورة وجود الامام في كل عصر ، بل في
الحديثِ عن ابن عمر بن الخطاب عن رسولِ الله قال :

من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية
ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا
حجة له ...^١

^١ الطيالسي : ص ١٢٥٩ - ١٩١٣

وكما ترى فإن الأصل مركز بشكلي نهائي واتفاقي على ضرورة وجود الإمام الحجّة مفروض الطاعة وهذا ما أثبتته النصوص بشكلي نهائي .. وفي طائفة أخرى تأكيد أكثر متكرر على ضرورة البيعة وأن يكون للمسلم في عنقه بيعة لواحد من الأئمة الإثني عشر الذين نصّ عليهم النبي (ص) حتى قال : من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية ..^١ ومن يراجع التاريخ يجد أن كثيراً من المنحرفين حاول تطبيق مثل هذه النصوص على أشخاص بعينهم بهدف إسباغ نوع من الشرعية على حكمهم وسلطانهم في قيادة المجتمع .. إلا أن الإطار الذي حدّده رسول الله كان بيناً واضحاً لا إبهام فيه أبداً ولا غموض وذلك للاحتجاج على الناس وأمام الله تعالى لتكون الحجّة يوم القيامة بالغة .. وفي عملية تأكيد نهائي كرّر النبي قوله كما في الرواية عن الإمام الصادق (ع) : من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية .. ثم قال الامام الصادق عليه السلام : فعليكم بالطاعة ، قد رأيتم أصحاب علي ، وأنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته ، لنا كرائم القرآن ، ونحن أقوام افترض الله طاعتنا .^٢

وفي الكافي عن الفضيل بن يسار قال : ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوماً وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية . فقلت : قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : إي والله قد قال . قلت فكل من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية ؟ قال : نعم ..^٣

^١ ابن سعد : ج ٥ ص ١٤٤

^٢ سليم بن قيس : على ما في سند كمال الدين.

^٣ ج ١ ص ٣٧٦ ج ١

وفيه أيضاً : عن ابن أبي يعفور قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية ، قال قلت ميتة كفر ؟ قال : ميتة ضلال قلت : فمن مات اليوم وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية فقال : نعم .^١ وعن الحارث بن المغيرة قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات لا يعرف إمامه ، مات ميتة جاهلية ؟ قال : نعم قلت : جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه ؟ قال : جاهلية كفر ونفاق وضلال ..^٢ وفي إشارة تفصيلية أكثر عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته فمات
فقد مات ميتة جاهلية ..^٣

وفي النصّ عن جابر بن سمرة قال سمعتُ رسولَ الله يقول :

إن الإسلام لا يزال عزيزاً إلى اثني عشر
خليفة ، ثم قال كلمة لم أفهمها ، فقلت لابي ما قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : كلهم
من قريش) ...^٤

^١ ٢

^٢ ص ٣٧٧

^٣ كمال الدين : ص ٢ ص ٤١٣ ٤١٢ ، ٣٩ ، ١٢

^٤ الطيالسي : ص ١٠٥ و ١٨٠ ص ٧٦٧ و ١٢٧٨

وفي لفظٍ آخر عن أبي برزة قال : قال النبي (ص) : الائمة من قريش ما عملوا بثلاث ..^١

وفي الرواية عن الشعبي عن مسروق قال : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرأنا القرآن فقال له الرجل : يا أبا عبد الرحمن ، هل سألتم رسول الله (ص) كم يملك هذه الامة من خليفة ؟ فقال عبد الله بن مسعود ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال نعم ، ولقد سألتنا رسول الله (ص) فقال : إنا عشر كعدة نقيب بني إسرائيل ..^٢

وذكر في جامع الأصول عن النبي (ص) انه قال : لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش .. وروى هذا المعنى ابن حجر في كتابه الصواعق .. أمّا في التفاصيل فيكفي أن نشير إلى الأحاديث الواردة في إمامة عليّ والحسن والحسين بل بعضها رواه أهل السنة بشكلٍ مفصّلٍ وموثّقٍ في بيان الأئمة الإثني عشر (ع) .. ويأتي على رأس هذه النصوص حديث الثقلين الذي اتفق عليه كلّ علماء المسلمين وأخرجوه صحيحاً دون أيّ شبهة ، مقرّين بصدوره عن النبي بشكلٍ نهائيّ .. فيه يقول النبي (ص) باتفاق أهل السنة والشيعة :

إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن

^١ ص ١٢٥ - ٩٢٦

^٢ أحمد : ج ١ ص ٣٩٨

تضلّوا بعدي أبداً ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ
الحوض ..¹

ورواةُ هذا الحديثِ كُثُرٌ منهم علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو ذرّ وحذيفة بن اليمان وحذيفة بن أسيد وغيرهم كثير وقد قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة إنّ هذا الحديث (حديث الثقلين) رواه ثلاثون صحابياً وإن كثيراً من طرقهِ صحيحٌ وحسن .. إلى الكثير من الأحاديث التي منها حديث اهل الكساء وسفينة نوح وغدير خمّ والمنزلة والطائر والكتاب وغيره .. وقد قال صاحب كتاب الصراط المستقيم قال الفراء صاحب كتاب المصابيح قال النبيّ (ص) : الائمة اثني عشر كلهم من قریش .. وقد أسند البخاري في الجزء الاول بصحيحه عن جابر ابن سمرة وفي موضع آخر عن عينية عن ابن عمر ايضاً واسنده مسلم في صحيحه في مواضع بطرق مختلفة وابو داود في سننه والتعلي في تفسيره والحميدي في مواضع من الجمع بين الصحيحين وفي الجمع بين الصحاح الست في موضعين وفي تفسير السدي امر الله خليله (ع) بالنزول باسماعيل وامه في بيته التهامي وقال ابى ناشر ذريته وجاعل منه نبيا عظيما ومن ذريته اثني عشر عظيماً . وقد صنف محمود ابن عبد الله ابن عباس كتاباً سماه مقتضب الاثر في امامة الاثني عشر .. كلّها تثبت أنّ الإمامة نصّ النبيّ (ص) ووصيتهُ وأنها على طبقِ ما اشارَ إليه في حديثِ الثقلين وأهلِ الكساء وغيرهما ، وقد أورد العلامة الحلبي في كتابه كشف الحق من صحيح مسلم والبخاري في موضعين بطريقتين عن جابر وابن عينية قال رسول الله (ص) لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثني عشر خليفة كلهم من قریش .

¹ مرّ ذكر مصادره ..

وفي الجمع بين الصحاح الست في موضعين قال رسول الله (ص) هذا الامر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثني عشر خليفة كلهم من قريش ، وكذلك في صحيح ابي داود ، وفي الجمع بين الصحيحين ، وذكر عن السدي صاحب التفسير ما قد نقله عنه صاحب الصراط المستقيم ثم قال : وقد دلت هذه الاخبار على امامة اثني عشر إماماً من ذرية محمد (ص) ولا قائل بالحصص إلا الامامية في المعصومين والاعبار في ذلك كثيرة ..

وأورد السيد هاشم في كتابه غاية المرام حديث اثني عشر من ست وستين طريقاً باسانيدها من طرق اهل السنة ، أيضاً من طرق سبعة من كتاب مناقب امير المؤمنين (ع) للفقير ابي الحسن علي ابن محمد الخطيب المعروف بابن المغازلي الشافعي واخرجه من مسند ابن حنبل وعن اخطب خطباء خوارزم ابي المؤيد موفق ابن احمد صدر الائمة عند اهل السنة من اثني عشر طريقاً واخرجه عن ابي نعيم الحافظ وعن الخطيب في تاريخه مسنداً وعن ابراهيم ابن محمد الحموي من ثلاثة وعشرين طريقاً ، ومن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ومن شرح النهج لابن ابي الحديد من طريقين واخرج البقية من مناقب الشيخ الفقيه ابي الحسن محمد ابن احمد ابن علي ابن الحسين عن شاذان من طرق العامة وقال موفق ابن احمد حدثني فخر القضاة نجم الدين ابن ابي منصور محمد ابن الحسين ابن محمد

البغدادي فيما كتب من همدان في سلسلة سند قال :
عن سلامة عن ابي سليمان راعي رسول الله (ص)
قال سمعت رسول الله (ص) يقول :
ليلة اسري بي إلى السماء قال الجليل جل جلاله
آمن الرسول بما انزل إليه من ربه ، فقلت والمؤمنون ،
قال صدقت ، قال من خلقت من أمتك قال خيرها ،
قال علي ابن ابي طالب ، قلت نعم يا رب ، قال يا
محمد اني اطلعت الى الارض اطلاعة فاخترتك منها
فشققت لك اسما من اسمائي فلا اذكر في موضع الا
وذكرت فانا المحمود وانت محمد ، ثم اطلعت الثانية
فاخترت منها علياً وشققت له اسما من اسمائي فانا
الاعلى وهو عليّ ، يا محمد اني خلقتك وخلقنت عليا
وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ولده من نوري ،
وعرضت ولايتكم على اهل السموات والارض ، فمن
قبلها كان عندي من المؤمنين ، ومن جحدها كان
عندي من الكافرين ، يا محمد لو ان عبداً من عبيدي
عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني
جاحدا لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم ، يا
محمد أتحب ان تراهم ، قلت نعم يا رب فقال التفت
عن يمين العرش فالتفتُ فإذا بعلي وفاطمة والحسن
والحسين وعلي ابن الحسين ومحمد ابن علي وجعفر ابن
محمد وموسى ابن جعفر وعلي ابن موسى ومحمد ابن

علي وعلي ابن محمد والحسن ابن علي ومحمد المهدي
في ضحضاح من نور ، قيام يصلون ، والمهدي في
وسطهم كأنه كوكب دري ، وقال يا محمد هؤلاء
الحجج وهذا الثائر عن عترتك ، وعزتي وجلالي انه
الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من اعدائي ... وعن
الشيخ سليمان البلخي في كتابه ينابيع المودة في الباب
السادس والسبعين في احوال الائمة الاثني عشر قال وفي
فرائد السبطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس رضي
الله عنه قال قدم يهودي يقال له نسل فقال يا محمد
أسالك عن اشياء تختلج في صدري منذ حين فان أجبتي
عنها أسلمت على يديك فقال (ص) سل يا ابا عمارة
فقال يا محمد صف لي ربك فقال (ص) لا يوصف الا
بما وصف به نفسه ، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز
العقول ان تدركه والاورهام ان تناله والخطوات ان تحده
والابصار ان تحيط به جل وعلا عما يصفه به الواصفون
ناء في قربه ، قريب في نأيه وهو كيف الكيف وأين
الأيين فلا يقال أين هو ، فهو الاحد الصمد كما وصف
نفسه والواصفون لا يبلغون نعته لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد ، قال صدقت يا محمد فاخبرني عن
قوله انه واحد لا شبيه له أليس الله واحد والانسان
واحد فقال (ص) الله عز وعلا واحد حقيقي ، واحد
المعنى اي لا جزء ولا تركيب له ، والانسان واحد

ثنائي المعنى ، مركب من روح وبدن ، قال صدقت
فاخبرني عن وصيك من هو فما من نبي الا وله وصي
ونبينا موسى ابن عمران اوصى يوشع ابن نون فقال
صلى الله عليه وآله ان وصيي علي ابن ابي طالب عليه
السلام ، وبعده سبطاي الحسين والحسين (ع) تتلوه
تسعة ائمة من صلب الحسين (ع) قال يا محمد :
فسمتهم لي ، فقال (ص) : إذا مضى الحسين فابنه
علي فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا مضى محمد فابنه
جعفر ، وإذا مضى جعفر فابنه موسى ، وإذا مضى
موسى فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا
مضى محمد فابنه علي فإذا مضى علي فابنه الحسن ،
فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي ، فهؤلاء
اثني عشر ، قال اخبرني كيف موت علي والحسن
والحسين قال يقتل علي بضربة على قرنه والحسن يقتل
بالسم والحسين بالذبح ، قال فاين مكاهم قال في الجنة
ودرجتي ، فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك
رسول الله ، وانهم الاوصياء بعدك لقد وجدت في كتب
الانبياء المتقدمة وفيها عهد نبينا موسى ابن عمران انه
إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له احمد ومحمد وهو
خاتم الانبياء لا نبي بعده فيكون اوصيائه بعده اثني عشر
أولهم ابن عمه وختنه والثاني والثالث كانا اخوين من
ولده وتقتل امة النبي الاول بالسيف والثاني بالسم

والثالث مع جماعة من اهل بيته بالسيف وبالعطش في موضع الغربة وهو يصير على القتل لرفع درجاته ودرجات اهل بيته وذريته ولاخراج محبيه واتباعه من النار وتسعة الاوصياء منهم من اولاد الثالث (الحسين) منهم فهؤلاء الاثني عشر عدد الاسباط قال (ص) :
اتعرف الاسباط ؟ قال نعم ، كانوا اثني عشر اولهم لاوى ابن برخيا وهو الذي غاب من بني اسرائيل غيبة ثم عاد فظهر الله شريعته بعد اندراسها ، وقاتل قرسطيا الملك حتى قتل الملك قال (ص) : كائن في امي ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وان الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى ويأتي على امي زمن لا يبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر الله الاسلام به ويجدده طوبى لمن احبهم وتبعهم والويل لمن ابغضهم وخالفهم وطوبى لمن تمسك بهداهم ..

وفي المناقب عن وائلة ابن الأسقع عن جابر ابن عبد الله الانصاري قال دخل جدل ابن جنادة ابن جبير اليهودي على رسول الله (ص) فقال يا محمد اخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله ومما لا يعلمه الله فقال (ص) اما ليس لله ، فليس لله شريك ، واما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد وأما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم عزيز ابن الله ، والله لا يعلم أن له ولداً ، بل يعلم أنه مخلوقه وعبده ، فقال اشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله حقاً وصدقاً ثم قال

اني رأيت البارحة موسى ابن عمران في المنام فقال يا جندل اسلم علي يد محمد خاتم الانبياء واستمسك بأوصيائه من بعده ، فقلت اسلم وله الحمد أسلمت وهداني بك ثم قال اخبرني يا رسول الله عن اوصيائك عن بعدك ؟ لأتمسك بهم ؟ فقال (ص) اوصيائي اثنا عشر . قال جندل هكذا وجدناهم في التوراة ، وقال يا رسول الله سمهم لي فقال (ص) أولهم سيد الاوصياء وابو الائمة علي (ع) ثم إبناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ، ولا يعرّتك جهل الجاهلين ، فإذا ولد علي ابن الحسين يقضي الله عليك ، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه ، فقال جندل وجدنا في التوراة في كتب الانبياء ايليا وشبر وشبير ، فهذا اسم علي والحسن والحسين ، فمن بعد الحسين وما اسمائهم قال (ص) : فإذا انقضت مدة الحسين فالامام ابنه علي ويلقب بزین العابدين فبعده ابنه محمد يلقب بالباقر ، فبعده ابنه جعفر يلقب بالصادق ، فبعده ابنه موسى يدعي بالكاظم ، فبعده ابنه علي ، فبعده ابنه محمد ، فبعده ابنه علي ، وبعده ابنه الحسن يدعي بالعسكري ، وبعده ابنه محمد يدعي بالمهدي والقائم والحجة ، ويغيب ثم يخرج ، فإذا خرج يملأ الله به الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمتقين على محبتهم اولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال (هدى المتقين الذين يؤمنون بالغيب) ثم قال تعالى (اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم الغالبون) فقال جندل الحمد لله الذي وفقني لمعرفةهم ثم عاش الى أن كانت ولادة علي ابن الحسين فخرج الى الطائف ومرض وشرب لبناً وقال اخبرني رسول الله (ص) ان يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن ومات ودفن بالطائف بالموضع المعروف بالكرزارة ...

ثم قال البلخي في ينايعة الباب السابع
والسبعون في تحقيق حديث " بعدي اثنا عشر خليفة
كلهم من قريش " للشيخين والترمذي وابي داود وذكر
يحيى ابن الحسن في كتاب العمدة من عشرين طريقاً هي
أن الخلفاء بعد النبي (ص) اثنا عشر خليفة ، كلهم
من قريش ، والبخاري من ثلاثة طرق ومسلم من تسعة
طرق و ابو داود من ثلاثة طرق وفي الحميدي من ثلاثة
وفي الترمذي واحد وفي المودة العاشرة من كتاب مودة
القربي للسيد علي الهمداني عن عبد الملك ابن عمير
وعن جابر ابن سمرة ، قال كنت مع ابي عند النبي (ص)
فسمعتة يقول بعدي اثنا عشر خليفة ، ثم اخفى صوته
فقلت لابي ما الذي اخفى صوته قال قال : كلهم من
بني هاشم . وعن سماك ابن حرب مثل ذلك وعن عصابة
ابن ربيعي عن جابر قال قال رسول الله (ص) انا سيد
النبين وعلي سيد الوصيين وان اوصيائي بعدي اثنا
عشر اولهم علي وآخراهم القائم المهدي . وقال المحققون
إن الاحاديث الدالة على كون الخلفاء بعد النبي (ص)
اثنا عشر خليفة قد اشتهرت من طرق كثيرة ..

وأورد العلامة السيد حسن صدر الدين في كتابه الدرر الموسوية في شرح
العقائد الجعفرية حديث اثني عشر خليفة من طرق احمد بن حنبل من اربعة
وثلاثين طريقاً وذكر طرق مسلم ورواية الثعلبي ورواية ابي سعيد الخدري وابي

تردة وابن عمر وعبد الرحمن ابن سمرة وجابر وانس وابي هريرة وابن عباس وعمر
ابن عمرو عبد الرحمن ابن سمرة وجابر وانس وابي هريرة وابن عباس وعمر ابن
الخطاب وعائشة ورواية واثلة وابي سليمان الراعي فأما رواية عمر ابن الخطاب
فقد اسند الى عمر قول النبي (ص) الائمة بعدي " الحديث " منها مهدي هذه
الامة من تمسك بهم بعدي فقد تمسك بحبل الله ، واسند الدروسي ابن المثني سأل
عائشة : كم خليفة لرسول الله (ص) فقالت أخبرني أنه يكون بعده اثني عشر
خليفة . فقال قلت : من هم ؟ فقالت اسمائهم مكتوبة عندي بإملاء رسول الله
(ص) فقلت لها ما هي اسمائهم ؟ فأبت ان تُعرفنيها .. ! ثم إن السيد بعد ذكر
طرق الحديث عدّ جملة من كتب اهل السنة التي ذكرت حديث اثني عشر خليفة
منها مناقب احمد ابن حنبل والنسائي وتنزيل القرآن في مناقب اهل البيت لأبي
نعيم الحافظ الاصفهاني وفرائد السمطين في فضائل المرتضى والزهراء والسبطين
لمحمد ابن ابراهيم الحموي الشافعي ومطالب الرسول لمحمد ابن طلحة الشافعي
وكفاية الطالب وكتاب البيان لمحمد ابن يوسف ابن محمد الكنجي الشافعي
ومسند فاطمة لعلي ابن عمر الدارقطني وكتاب فضائل اهل البيت لموفق ابن احمد
اخطب خطباء خوارزم الحنفي والمناقب لابن المغازلي الفقيه الشافعي والفصول
المهمة لعلي ابن احمد المالكي ، المعروف بابن الصباغ ، وجواهر العقدين للعلامة
الشريف السهودي المصري وذخائر العقبي لمحّب الدين احمد ابن عبيد الله الطبري
وكتاب مودة القربى لعلي ابن شهاب الهمداني بل والصواعق المحرقة لابن حجر
الهيثمي والاصابة لابن حجر العسقلاني وجامع الاصول ومسند احمد ابن حنبل
ومسند ابي يعلى الموصلي ومسند ابي بكر البزاز ومعاجم الطبراني وجامع الصغير
للسيوطي وكنز الدقائق المناوي ..

وقد قال القاضي ابن رزوهان في ردّه على العلامة الحلبي : واما حمله أي حديث إثني عشر خليفة كلهم من قريش على الائمة الاثني عشر فإن أُريد بالخلافة ووراثة العلم والمعرفة وايضاح الحجّة والقيام باتمام منصب النبوة فلا مانع من الصحة ، ويجوز هذا الحمل بل يحسن .. وقال صاحب كتاب الغدير العلامة الجليل الشيخ عبد الحسين الاميني في المجلد ٧ ص ١٣١ : الذي نرتقيه في الخلافة . لها امرة إلهية كالنبوة ، وإن كان الرسول حُصّ بالتشريع والوحي الأملعي ، فشأن الخليفة التبليغ والبيان وتفصيل المحمل وتفسير المعضل وتطبيق الكلمات بمصاديقها والقتال دون التأويل كما يقاتل النبي دون التنزيل وبهذا عرّف النبي (ص) مولانا امير المؤمنين (ع) فقال : إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله . قال أبو بكر أنا هو يا رسول الله ؟ قال لا . قال عمر : انا هو يا رسول الله .. ؟ قال : لا . ولكن خاصف النعل ، وكان قد أعطى علياً نعله يخصفها . هذا ما أخرجه جمعٌ من الحفاظ وصحّحه الحاكم في المستدرک والذهبي والهيثمي . الى أن قال العلامة الاميني في النبي وعليّ (أي في النبوة والإمامة) : كلّ منهما داخل في اللطف الالهي ، الواجب عليه ، بمعنى تقريب العباد الى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية ، ولذلك خلقهم واستعبدهم وعلمهم ما لم يعلموا فلم يدع البشر كالبهائم ليأكلوا ويتمتعوا ويلهتهم الأمل ، ولكن خلقهم ليعرفوه وليمكنهم من الحصول على مرضاته وسهل لهم الطريق الى ذلك ببعث الرسل وانزال الكتب وتواصل الوحي في الفينة بعد الفينة ..

أقول : كلّ ما ورد في النصوص وهو كثير جداً ومتواتر يثبت أن الأئمة ستأهم الله ورسوله دون أيّ شبهة على الإطلاق ، وحديث الثقلين وأهل الكساء والغدير والمنزلة ، بل كلّ الأحاديث المتواترة والمستفيضة التي هي في نفس معنى

الثقلين والكساء تثبت أنّ الأئمة من قريش من بني هاشم أولهم عليّ وآخريهم المهديّ ، بل في الروايات الخاصّة بزمن المهديّ كلّ شيء يثبت أنّ الخليفة الأوّل عليّ والثاني عشر هو المهديّ ، وما أشرت إليه من النصوص حول المهديّ في كتب العامّة خير دليل على ذلك ، وكلّ النصوص تثبت أنّه من ولد عليّ وفاطمة فضلاً عن النصوص التي رواها أهل السنّة في الأئمة إماماً إماماً بالإسم والصفة ، حتى لا يكون للناس على الله حجة .. ويكفي أن أشير إلى أن مجموعة من نصوص صاحب الزمان القائم المهديّ ارتبطت بشكل وثيق بالإشارة إلى الأئمة الإثني عشر .. بل في كفاية الأثر روى عن الحسن بن عليّ عليه السلام أنّه قال :
الأئمة عدد نساء بني إسرائيل ، ومنا مهدي هذه الأمة ..^١

من هنا فإنّ أمر الإمامة هو ربّانيّ ، بثبات النصوص وشهادتها ، كما أنّ تسميتهم هي لله نزلت على رسول الله (ص) وفي كثير من النصوص شاهد ثابت على ذلك ، وقد أشرنا إلى بعض منها .. بل إنّ الأنصار شهروا سيوفهم في نزاعهم مع أبي بكر وعمر وأبي عبيد الجراح لولا أن قام أبو بكر فذكّرتهم بحديث رسول الله (ص) حيث قال : الأئمة من قريش إثني عشر . وطالما كرّرت كتب العامّة أنّ الإمام الأوّل هو عليّ بن أبي طالب والثاني عشر هو المهديّ من ولد عليّ وفاطمة ، الذي يخرج في آخر الزمان فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. وفي الحديث عن الإمام عليّ الذي رواه ابن حماد قال :

الفتن أربع : فتنة السراء ، وفتنة الضراء ، وفتنة
كذا - فذكر معدن الذهب - ثم يخرج رجل من عترة

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلح الله على يديه
أمرهم ...^١

ثم إن الأمر من بيان وصف الأئمة وحيثهم لا يحتاج إلى كثير تفصيل
ففي كتب الحديث كفاية على ذلك ومن مصادر الفريقين من العامة والإمامية
شرط أن يحسن الباحث نيته ..

من هنا يكون المهديّ العنوان الأبرز في متابعة المسيرة التي بدأها الله
وكان خاتمها النبيّ محمد (ص) ثم سلسلة من الأوصياء خاتمهم المهديّ (ع) ..
وهذا بطبيعة الحال واحد من مفاتيح الإشارة إلى مفصلٍ رئيسيٍّ في تاريخ الإسلام
من جهة ، وبيان راية أهل الحق والولاية . وقد قال رسول الله (ص) : إني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يردها عليّ الحوض ، ما
إن تمسكتم بما لن تضلّوا بعدي أبداً .. وفي عدّه وبيانه (ص) لأهل بيته
الأوصياء بدأ بالإمام علي الذي يدور الحقّ معه كيفما دار وختم بالمهديّ الذي
يخرج في آخر الزمان ، فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ..

هذا هو المهديّ محمد ابن الحسن عليه السلام ، هو ابن رسول الله من
ولده الحسين عبر ابنته فاطمة الزهراء وعليّ بن أبي طالب ، بسلسلة من الأئمة
المنصوص عليهم من الله والرسول وبشكلٍ ثابتٍ بين الفريقين من أهل السنة
والشيعة ، فتدبر الأمر ..

^١ ص : ١٠/٩

الإيمان في آخر الزمان :

- حرب الباطل .
- حكومة قيم الضلال .
- عناء أهل الإيمان .
- ثبوت أمة على الحق رغم سيطرة أهل الفساد على مقاليد الحكم العالمي ..

الإيمان في آخر الزمان

باختصار ، تشير الرواياتُ إلى أن الإسلام في آخرِ الزمانِ يعيش مرحلةً من التغريبِ والعزلةِ بشكلٍ حادٍ وقاسٍ ، حتى أن الإلتزامَ بالإسلامِ يكونُ سبباً للعناءِ والمشقةِ في جهاتٍ ومضامين كثيرة . وفي بعضها أن التمسكَ بالإسلامِ يكونُ سبباً للمزيدِ من الضيقِ والعنفِ والإضطهادِ والقتالِ والعزلِ والمنعِ ، حتى أن القابضَ على دينهِ يكونُ كالقابضِ على الجمرَةِ أو الشوكِ .. وهكذا في كثيرٍ من المقاماتِ والمواثيقِ والأعرافِ ينقلب العالمُ إلى ضدٍّ كبيرٍ ، لا يترك مجالاً لقبولِ الإسلامِ كوثيقةٍ وجوديّةٍ كبرى ، وقد جاء في غيبةِ الطوسي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال :

(لا يزال الناس ينقصون ، حتى لا يقال " الله ")
— إشارة إلى حالة الإنكارِ والانحرافِ الخطيرِ الذي يطال مواثيقَ وقيمِ الناسِ — وأضاف (ع) : فإذا كان ذلك ضرب .. فبيعت الله قوماً من أطرافها يجيئون قزعاً لأعرفهم وأعرف أسماءهم وقبائلهم واسم أميرهم ، وهم قوم يحملهم الله كيف شاء من القبيلة الرجل والرجلين ،

حتى بلغ تسعة ، فيتوافون من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر ، وهو قول الله (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير) حتى أن الرجل ليحتبي فلا يحل حبوته حتى يبلغه الله ذلك ...^١

يشير النص إلى أن زمن ظهور المهديّ يكون على حالٍ من وصفِ المعاندةِ للدينِ بشكلٍ مثيرٍ وغريبٍ ومذهلٍ ، إلى درجةٍ يُمحي فيها ذكرُ الله عن ألسنِ الناسِ ، إشارةً منه (ع) إلى كثرةِ الفسادِ ، ونكرانِ الله ، ولو من جهةِ الإمتثالِ والتذكّارِ ، والركونِ إلى الدنيا ، والإعتمادِ على الأسبابِ الأرضيّةِ كمرجعيّةٍ هائيّةٍ في صناعةِ القيمِ وإعطاءِ تفاسيرِ ماديةٍ للوجودِ وغاياتِ مسيرةِ البشرِ وشبه ذلك ، وتصل حالةُ العداءِ مع الإيمانِ إلى درجةِ ندرةِ الركونِ إلى الله بل حتى لمجرّد ذكره تعالى ..

وفي كثيرٍ منها يركّز النبيّ والإمامُ على نوعٍ من الإضطهادِ العنيفِ الذي يصيب الإسلام ، إلى درجةِ السخريةِ حتى من الله تعالى ، حيث تعملُ الإمرةُ والسلطنةُ في ذلك الزمنِ على استبدالِ الله بالغريرةِ والدنيا ، بما تعنيه من تعبيرٍ ماديٍّ وغريرةٍ حسيةٍ عاجلةٍ ، فتشيع المحرمات ، وتكثر المنكرات ، وتحكمُ الشهوات وتبدو كميزانٍ توجيهيٍّ وقيمة هائيّةٍ وطريقةٍ للتعبيرِ عن المحفّزاتِ الاجتماعيّةِ والسلوكيةِ .. ولهذا الجهة من خطورةِ ذلك العالمِ على الدينِ والإيمانِ يشيرُ الإمام أبو الحسن الرضا (ع) فيقول :

... تمتلئ الارض ظلماً وجوراً ، حتى يدخل
كل بيتٍ خوفٌ وحرب ، يسألون درهمين وجريبين فلا
يعطونه ... ثم تملأ الارض عدلاً وقسطاً ..¹

بحيث تتساقط القواعد والأصول الضرورية لأنسنة الفرد والجماعة في
طول الكون ومسيرته فيصل ذلك العالم إلى مستوى مخيف من الظلم والفساد
والجور والإضطهاد بكل معانيه في النواحي الميثاقية والسلوكية .. هناك يبدو
العالم غير العالم ، والإنسان مجرد بشريّ تحرّكه قيم متوحّشة ، هناك تدور الحرب
بين كل فرد وفرد على نحوٍ من صراع الإشباعات الغريزية المرتبطة بالحسّ والمادة
فينكرون الله ، ويعبدون المال ، والدنيا ، والبطن ، والشهوة ، والغريزة بكل ما
تدعو إليه .. وفي واحدةٍ من تعابير الإمام علي حول الإنحراف الهائل نحو ربوبية
الدنيا يقول عليه السلام :

والله ليظهرن عليكم هؤلاء باجتماعهم على باطلهم ،
وتخاذلكم عن حقكم ، حتى يستعبدونكم كما يستعبد
الرجل عبداً ،
إذا شهد جزمه ، وإذا غاب سبه ،
حتى يقوم الباكيان ، الباكي لدينه والباكي لندياه ،
وأيم الله لو فرقوكم تحت كل حجر لجمعكم لشر يوم
لهم ، والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، لو لم يبق من
الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم ،

¹ ابن أبي شيبة : ج ١٥ ص ٨٩ - ١٩١٩٣

حتى يملك الارض ، رجل منى يملئ الارض عدلا
وقسطا ، كما ملئت جورا وظلما ،
فإذا كان ذلك لم تطعنوا فيه برمح ، ولم تضربوا فيه
بسيف ، ولم ترموا فيه بسهم ، ولم ترموا فيه بحجر ،
فاحمدوا الله ،
فإذا كان ذلك ، ورأيتم الرجل من بني أمية غرق في
البحر فطأوه على رأسه ،
فوالذي خلق الحبة وبرأ السممة ، لو لم يبق منهم إلا
رجل واحد لبغى لدين الله عز وجل شراً ..^١

يشير هذا النصّ وغيره إلى الأمور التالية :

١. إن آخر الزمان يكون على نحوٍ من الفسادِ المستشري والشاذِّ في جهاتٍ مختلفة من موثيق وأعراف وطباع وغيرها ..
٢. يبدو على نحوٍ خطيرٍ من الإضطهاد لمعالم الكون ونواميس الوجود وغاياته ..
٣. يبدو على نحوٍ من انحرافٍ في وجهة الأشياء وصلاتها الضرورية فضلاً عن لازم الصلة الوجودية مع الله ، ربّ الأرباب ومسبّب الأسباب وخالق كلّ شيء ..
٤. يبدو على نحوٍ من ركونٍ إلى المادّة ، إلى الغريزة ، إلى الحسن كمعيارٍ نهائيّ ، إلى الشهوة واللذة والمتعة كعنوانٍ داعمٍ ومؤسّسٍ للطباع والقيم والمفاهيم ..

^١ أمالي الشجري : ج ٢ ص ٨٤

٥. القوم هناك ينقسمون إلى فريقين : فريق يبكي لدينه ، وفريق يبكي لدنياه وتكون الكثرة في الطائفة التي تبكي لدنياها التي تحتكر كل شيء وبشكل متوحش دون أي قيد أو مانع ..
٦. في ذلك الزمن تكون الغلبة للباطل بالوجه العام وبشكل خطير يحتاج العالم .
٧. في ذلك الزمن يكون الدين أبغض شيء للناس ، بل هو مجرد سلعة لا مشتر لها أو طالب ، يكون ذكرُ الله ميتاً ، تكون الدنيا رباً ، تكون الآخرة مجرد فكرة وخيال يضحك منها السامعون ، ويكون أسوأ شيء في نواديبهم ذكر الموت والتمسك بالإيمان ...
٨. في ذلك الزمن يسخر المبطلون من الذين آمنوا ، يهزؤون منهم ، يتهمونهم بالعقدة والإنحطاط ..
٩. في ذلك الزمن يكثر المزيّفون الذين يصرون على تفسير الدين وفق شهواتهم وضرورات فسقهم ، فيأخذون منه ما يقرّبهم إلى الدنيا ، في زمن أهل اللهو والطرب ، وعصر الغانية والشهوة ، حيث يموت الدين وتزهو الدنيا ، ويكثر الفساد ، ويُضطهدُ العباد ..
١٠. فإذا خرج المهديّ طهر الأرض من الفساد ، في طول جبهة كبرى تحتاج العالم في عصر تتجمّع فيه القوى من أجل إجهاض ثورة الإمام المهديّ العظمى .. ويشاء الله فينتصر المهديّ ويستبدل الفسق والإنحراف والإضطهاد والباطل بالهدى والعدل الذي يعمّ العالم ..
١١. وفي هذا النصّ إشارة إلى فسادٍ يقوم به صنف أو شخص من بني أمية فيخرجُ برايةً تدعو إلى الباطل ..

في لفظٍ آخر مرسلٍ عن الإمام عليّ (ع) قال :

وينادي منادي الجرحى على القتلى ودفن
الرجال ، وغلبة الهند على السند ، وغلبة القفص على
السعير ، وغلبة القبط على أطراف مصر ، وغلبة أندلس
على أطراف أفريقية وغلبة الحبشة على اليمن ، وغلبة
الترك على خراسان ، وغلبة الروم على الشام ، وغلبة
أهل أرمينية ، وصرخ الصارخ بالعراق : هتك الحجاب
وافتضت العذراء ، وظهر علم اللعين الدجال .. ثم ذكر
خروج القائم عليه السلام ...^١

إشارة إلى الحروب والرايات والباطل وأهل الإثم والعدوان واختلال
الموازن التي تحكم الدول ، وصولاً إلى نشوب الحرب على مستوى الكيانات
فببتلع بعضهم بعضاً ، وتتوسع الحروب وتكثر ، ويعمّ الإضطهاد ويطير في البلاد
وتزحف الجيوش ويختل الأمن العالمي ، وتكون الرايات متباغضة ، والجبهات
مجنّدة ، والأمم على نحوٍ من تصادمٍ وعنفيٍّ وعداء .. بين راياتٍ غربيّةٍ وراياتٍ
شرقيّة ، فيها من الروم والترك والكثير الكثير من القوى وأهل البلاد التي تحتاج
الكثير من بقاع الأرض ، في زمنٍ مضطربٍ ، تنهاوى فيه الكيانات ..

وأما بخصوص غلبة الترك لجبهة خراسان فالمقصودُ فيه غلبة الترك على
جزء من بلاد خراسان وذلك حين يكون الجيش الخراساني في أهمّ مفصل من
فتح إيلياء وهي القدس ، وحين ينتصر يهاجمه الترك ، وكنت قد اشرت فيما

^١ مناقب ابن شهر آشوب : ج ٢ ص ٢٧٤ مرسل عن علي عليه السلام

مضى إلى أن كلمة ترك إنما هي تعبير تاريخي يُرادُ منه الإشارة إلى أمةٍ بعينها ،
ومن باب التقريب فإنَّ في جمهوريات الإتحاد السوفياتي السابق أمماً قائمة بعينها
من الترك فضلاً عن غيرها والله أعلم من أيّ كيانٍ تنحدرُ تلك الراية ..

إن هذا النصّ وغيره ممّا ورد في معناه ، يشيرُ إلى الحروب والحروب
المضادة ، إلى العنف والعنف المضادّ ، الذي تتهاوى على أثره كيانات وتُحذفُ
دول من أصلٍ وجودها ، فتتغيّر خريطة العالم بشكلٍ بارزٍ وحادّ .. حتى أنَّ
الجيش الخراساني وبعد حربِ ضروسٍ يحتلّ إيلياء (القدس) فتتحرك ألوية من
الغرب (الروم وهي كيان مسيحي سياسي نافذ) والشرق (الترك وهي كيان
سياسي نافذ أيضاً ومن أبرز كيانات هذا العرق شعوب دولة روسيا المعاصرة
وغیرها ممّا ينتمي إلى هذا العرق ، نعم بعضهم أشار إلى أن هذا الوصف ينطبق
على الشعب الصيني .. وعلى كلّ حال علينا أن نشير إلى النصّ وكليّاته ، أما
عملية الإنطباقِ فلن تكون خافية في عالم الغيبة والظهور في ظلّ فرز دقيقٍ لفريقيّ
الحق والباطل ..) وتكون حركة هذين القطبين من أجل منع سقوط القدس
بأيدي الجيش الخراساني ، وحين تسقط القدس يتحرك الترك فيحتلّون قسماً من
خراسان ويقومون بعملية إبادة وعنف وقتل هائل هناك .. ثمّ تنحدر راية أهل
الترك إلى أكثر من منطقةٍ وكيانٍ في ظلّ زحفٍ يُراد منه إعادة ترتيب مراكز
القوى في المنطقة .. لكنّ الجيش الخراساني يعيد قسماً وفيراً من قوّاته إلى خراسان
فيحرّر ما احتلّ منها .. ويظهر أنَّ الترك في عصر الظهور يكون لهم باع قادر
ونافذ حتى أنّهم يجتاحون العراق وغيرها .. تقول الرواية :

(... خروج الشروسيّ من بلادِ أرمينية إلى أذربيجان ، تسمّى تبريز
الريّ ، الجبل الأحمر المتلاحم مع الجبل الأسود ، لزيق الطالقان ، فتكون بين

الشروسي وبين المروزي وقعة صلمانية ، يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ، فتوقّعوا خروجَهُ على الزوراء ، وهي بغداد ، وهي أرض مشؤومة ، وهي أرض ملعونة ، ويبعث جيشه على الزوراء مائة وثلاثين ألفاً ، يُقتل على جسرها إلى مدّة ثلاثة أيام سبعون ألف نفس ، ويفتضُّ اثني عشر ألف بكر ، وترى ماء دجلة محمراً من الدم ، ومن تن الأجساد ..)^١

وفي رواية سدير الصيرفي عن الإمام الصادق عليه السلام قال : ويلٌ لأهل الرّي من الترك (إشارة إلى إجتياح الترك للأراضي الخراسانية) ، وويل لأهل العراق من أهل الرّي (إشارة إلى الحرب العنيفة بين الخراسانيين ودولة بني العباس في عصر المهدي) ، ثمّ ويلٌ لهم من الشطّ .. قال سدير : يا مولاي من الشطّ .. ! قال : قوم آذائهم كآذان الفأر ، صفر ، لباسهم الحديد ، كلامهم ككلام الشياطين أولئك يفتح الله على أيديهم الدين ، ويكونون سبباً لأمرنا ..^٢ (إشارة إلى عدّة وعتاد ، وأدوات حربية متقدّمة ، وأساليب إتصال مشفرة وغير ذلك) إنّه تعبير دقيق عن عصرٍ مختلفٍ وزمنٍ مختلفٍ وأداةٍ طيّعةٍ ومختلفةٍ جداً ..

في ذلك العالم يبدو الواقع مذهلاً مخيفاً ، وعلى نحوٍ من عنفٍ وقتالٍ وإبادةٍ متوسّعة .. في ذلك العالم تتكوّن رايات وتزول أخرى ، تقوم دول وتزول أخرى ، تتهاوى أحلاف وتظهر أخرى .. ويكون المناخ الدولي على نحوٍ مضطربٍ ، متزعزعٍ ، مُتعبٍ وإفتراسي ... حتى أنّ الدولة العباسية تقوم برائتين (وهي إشارة تاريخيّة إلى جبهةٍ عباسيّة تكون في عصرٍ الظهورِ ، وعلى نحوٍ متّصلٍ

^١ مجمع النورين ٢٩٧

^٢ بارة الإسلام ١٧٣ عن أمالي الطوسي ..

بالعباسيين شعاراً أو نسبةً أو غير ذلك ..) وفي الحديث الذي رواه ثوبان قال :
إنّ لبني العباس رايتين ، أعلاهما كفر ومركزها ضلالة ..^١

وفي لفظ آخر رواه عبد الله الليثي قال : تخرج لبني العباس رايتان
إحداهما أولاهما وآخرها وزر ، لا تنصرونها لا نصرها الله ، والأخرى أولاهما وزرٌ
وآخرها نصرٌ لا تنصروها لا نصرها الله ..^٢

وفي الحديث عن علي بن حمزة عن الإمام موسى الكاظم (ع) قال :
ملك بني العباس مكر وخدع ، يذهب حتى لم يبق منه شيء ، ثم يتجدد حتى
يقال ما مرّ منه شيء ..^٣

وفي رواية ابن مسعود عن النبي (ص) أنّه قال لعمة العباس : لن تذهب
الدنيا حتى يملك من ولدك في آخر الزمان عند انقطاع دولتهم وهو الثامن عشر ،
يكون معه فتنة عمياء صمّاء ، يقتل من كل عشرة آلاف تسعة آلاف وتسعمائة ،
لا ينجو منها إلا اليسير .. (إشارة إلى عنفه وقتله وجبروته ..) يكون قتالهم
بموضع في العراق .. قال فبكى العباس ، فقال رسول الله (ص) : ولا يهتمون
للآخرة ..^٤

وفي الرواية عن الحلبي عن الإمام الصادق (ع) قال : إختلاف بين العباس
من المحتوم ، والنداء من المحتوم ، وخروج القائم من المحتوم .. ° . وفي لفظ أبي

^١ مجمع الزوائد ٣٤٤/٥ . كنز العمال ١٦٠/١١

^٢ الفتن / ١٢٠

^٣ الغيبة للنعماني ٣٠٢

^٤ مجمع الزوائد ١٨٨/٥

^٥ روضة الكافي / ٣١ البحار ٣٠٥/٥٢

حمزة الثمالي عن الإمام أبي عبد الله الصادق روى نفس هذا الحديث وأضاف :
وقتل النفس الزكية من المحتوم ..^١

وهذا يعني أن العالم يكون على موعدٍ مع تكونٍ متعدّدٍ للجبهاتِ
السياسية والعسكرية وأنّ بعضاً منها يكون على صلةٍ بجبهاتٍ ذات عمقٍ تاريخيٍّ
مضى ... وهذا بطبيعة الحال يدل على كثرة الحروبِ والإنقلاباتِ والفتنِ وكثرة
نفوذ من لهم القدرة في التأثير على الوضع العسكري بالكيانات الأخرى .. وعلى
نحوٍ من مشهدِ الولادةِ والهزيمة ، تقوم رايات وتزول رايات ، فتحتاجُ الفتن
مساحةً كبرى من العالم وتنخرطُ الجيوش في حروبٍ واسعةٍ .. وعلى سبيل المثال
تشير الرواية إلى أنّ حركةً دينيةً موالية لأهل البيت تظهر في مصر ، وفي الخبر :
يخرج قبل السفياي مصريٍّ ويماني ..^٢ إلا أنّ رموزاً متعدّدة يرون في ذلك خطراً
على هامش الأمن السياسي في المنقطة وبالأخصّ الروم .. وعليه : يدعمون
السفياي بشكلٍ عسكريٍّ فيستولي على جزءٍ مركزيٍّ هو الأهم في المنطقة .. وفي
أولى معالم هذا الحدث تشير الروايات إلى العناوين التالية : يسيطر على الحكم
هناك (أي في مصر) رجل يبدأ أولى الملاحم .. وفي الرواية :

سيكون في مصر رجل من قريش (تعبير تاريخي يُرادُ
منه الإشارة إلى رجلٍ قرشيٍّ النسب) أحنس يلي سلطاناً ، ثمّ
يغلب عليه أو ينتزع منه ، فيفرّ إلى الروم ، فيأتي الإسكندرية
فيقاتل أهل الإسلام وذلك أول الملاحم ..^٣

^١ كما الدين ٦٥٢

^٢ بحار الأنوار ٥٢/٢١٠

^٣ فيض القدير للمناوي ١٣١/٤

وبلفظٍ تفصيليٍّ جاء في الرواية عن حذيفة اليماني :

إذا دخل السفياي أرض مصر أقام فيها أربعة أشهر ،
يقتل ويسبي أهلها ، فيومئذ تقوم النائحات ، باكية تبكي على
استحلال فرجها وباكية تبكي على قتل أولادها وباكية تبكي
على ذلّها بعد عزّها ، وباكية تبكي شوقاً إلى قبورها ..^١

إشارة إلى حربٍ وعنفٍ وقتلٍ وإبادةٍ عنيفة ، وهذا نموذج عن صورة
قمعيةٍ مخيفةٍ ناتجة عن إحتلالٍ جديد .. وفي الحديث عن محمد بن الحنفية قال :
إذا ظهر السفياي على الأبقع ودخل مصر فعند ذلك خراب مصر ..^٢

وفي لفظٍ أكثر شمولاً في الإشارة إلى الجهاتِ والمواقعِ وطبيعة الأحداثِ
تقول الرواية :

إذا ملك رجل أهل الشام ، وآخر مصر فاقتتل الشامي
والمصري ، وسبى أهل الشام قبائل من مصر ، واقتل رجل من
المشرق براياتٍ سود صغارٍ ، قبل صاحب الشام ، فهو الذي
يؤدّي الطاعة للمهدي ..^٣

والجدير بالإهتمام هنا هو أنّ هذه الرواية تشير إلى أنّ الحرب تكون على
نحوٍ شاملٍ في أكثر من منطقةٍ وبلد ، ويُراد من ذلك بيان صورةٍ مختلفةٍ من إعادة
تكوينٍ سياسيٍ كبيرٍ للمنطقة ... من هنا يستنجد السفياي بالروم من أجل

^١ الملاحم والفتن لابن طاووس ٥٠

^٢ الفتن لابن حماد ١٧٤ وكذلك ١٨٤

^٣ الحاوي للفتاوي ٦٨/٢ . الفتاوي الحديثة ٤٣

تكريس وضع جديد في المنطقة ، ويعمل كوكيل سياسي تابع إلا أنه بعد أن تستتب له الأمور فتقوى دولته بشكلٍ مكينٍ ينقلب على الروم وفي بعض الأزمان يقاتلهم .. لكن طبيعة الحرب في مصر لا تمرّ على نحوٍ هادئ ، لأنّ ظاهر الروايات تشيرُ إلى أنّ هناك في العمق الجغرافي الأمني أكثر من مطلب استراتيجي لا بدّ من تحقيقه ، وهذا يؤثّر في عمقه على طبيعة تحرك الجبهات ، ويكفي أن نشير إلى أنّ السفياي وبدعمٍ هائلٍ من الروم يبني كيانه السياسي العسكري في المنطقة ، بالمقابل أشار إلى تحرك خراساني كبير يجتاز من خراسان إلى الكوفة إلى دمشق إلى إيلياء بل إلى قنطرة مصر .. حيث تبدأ الراية الخراسانية مرحلة طويلة من حربٍ يُراد منها تحرير إيلياء (القدس) وتنجح في ذلك ..

والأخطر في ذلك الزمن أنّ السفياي وبحشدٍ هائلٍ وبدعمٍ واسعٍ من أكثر من كيانٍ وجبهةٍ وهو المدعوم أصلاً من الروم يستطيع أن يخرج الجيش الخراساني من فلسطين فيما بعد .. وفي الرواية : يبايع السفياي أهل الشام ، فيقاتل أهل المشرق ، فيهزمهم من فلسطين ..^١ وفي روايةٍ ثانيةٍ جاء فيها : ثم يرجع — أي السفياي — فيقاتل أهل المشرق حتى يردّهم إلى العراق ..^٢

وذلك يكون بعد حربٍ طاحنةٍ وقاتلٍ مريرٍ وتغيّرٍ كبيرٍ في خريطة دول المشرق هناك في حين يكون قسم من أراضي خراسان قد وقع تحت وطأة الترك الذين يجتاحون أكثر من إقليم ومنطقة .. وتقع بينهم وبين أهل خراسان حرب عنيفة وقاسية .. بعد ذلك يستطيع أهل خراسان إستعادة مناطقهم ، بعد ان يزحف قسم من الجيش الخراساني من فلسطين إليها ، فما يكون من السفياي إلا

^١ الفتن لعيم بن حماد / ١٧٦-١٧٧

^٢ عقد الدرر / ٥٢

أن يشن حرباً عنيفة على الجيش الخراساني في فلسطين مدعوماً من أكثر من جبهةٍ خاصةً الروم ومن مناخٍ دوليٍّ مؤيدٍ فيطرد الجيش الخراساني من بيت المقدس .. وبذلك تبدأ مرحلة جديدة من الشرق أوسطية مدعومة بنظامٍ دوليٍّ فيه مجموعة نافذة من الدول والكيانات مثل الروم والترك ..

في ذلك الوقت ، يتمنى الناس المهدي (أتباع وأنصار آل محمد) ويطلبونه .. في ظلّ تدهور خطير يجتاح المنطقة بأكملها ، من مصر إلى العراق إلى الشام إلى فلسطين إلى قرقيسيا إلى خراسان إلى جبهة الروم والترك وغيرها .. ويكون لأتباع أهل البيت عليهم السلام النصيب الأوفر من العذابات والتنكيل الذي يصابون به .. بل في الرواية عن الإمام الصادق (ع) قال :

كأني بالسفياي قد طرح رحله في رحبتكم في الكوفة ، فنادى مناديه : من جاء برأس من شيعة عليّ فله ألف درهم فيثب الجار على جاره ، ويقول : هذا منهم فيضرب عنقه ، ويأخذ ألف درهم ، أما إن إمارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا .. وكأني أنظر إلى صاحب البرقع . قلت : من صاحب البرقع ؟ قال : رجل منكم ، يقول بقولكم ، يلبس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ولا تعرفونه ، فيغمز بكم رجلاً رجلاً .. أما أنه لا يكون إلا ابن بغي ..¹

¹ بحار الأنوار ٢١٥/٥٢

وتظلّ جبهة السفينانيّ على نحوٍ من قوّةٍ وتوسّعٍ وسيطرةٍ في مدّةٍ قليلةٍ من الزمن ، إلى أن يملك " الكور الخمس " فإذا ملكها لم يزدد عليها .. وهذا يشير إلى حقيقةٍ ضروريّةٍ مفادها أنّ رموزاً كباراً في المراكز العالميّة يكون لهم تأثير خطير في صناعة النظام والشكل السياسي لما وراء البحار بل تكون لهم القدرة على تغيير طاقم الحكم في أكثر من منطقةٍ بالعالم .. ومن أمثلة هذه الصيغة السفيناني الذي يأتي من الروم متنصراً .. ! وهو الذي يسيطر على نحوٍ واسعٍ من الجغرافيا السياسيّة الأمنيّة ويحتكر مجموعة بارزة من رموز المال والمادّة وقنوات القوّة . كلّ ذلك في مدّة لا تتعدى ١٥ شهراً .. ففي الرواية عن الإمام الصادق (ع) قال : السفيناني من المحتوم ، وخروجه من أوله إلى آخره خمسة عشر شهراً ، ستّة أشهر يقاتل فيها فإذا ملك الكور الخمس ، ملك تسعة أشهر ولم يزدد عليها يوماً ..^١

وهذا يعني أنّ الصراع والعنف الحادّ يكون على نحوٍ خطيرٍ وهائلٍ ، إلى درجة تسقط فيه جبهات وتولد جبهات في غضون أشهرٍ أو سنةٍ أو ما هو قريب منها .. ومع كلّ ذلك التحوّل في الجبهات والمراكز ، ورغم ما يجري على جبهة الخراسانيين ، فإنّها تظلّ على نحوٍ من وجودٍ بارزٍ وقوّةٍ لا يُستهانُ بها رغم ما يصيبها في حربها مع الترك في قسمٍ من خراسان ومع السفيناني في فلسطين .. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الروايات نهائيّة في أنّ الراية الخراسانيّة تظلّ قائمةً بأمرها ، ثابتةً بحقّها ، منصورّة ، لديها وجهٌ بارزٌ من الممانعة ، تبقى حتى خروج الحجّة المهديّ (ع) فتسلّمه الراية مع كلّ ما يتّصل بعنائها وتعبها كما في أكثر من رواية .. حتى أنّ الجيش الخراساني يستطع إستعادة ما خسر من أرضه الخراسانيّة مع الترك .. وتركز النصوص على أنّ هذه الراية تظلّ قائمةً متماسكةً

^١ بحار الأنوار ٥٢/٢٤٨

رغم ما يصيبها من عناءٍ وتعبٍ بل ومن خللٍ في الداخلِ .. وتؤكد روايات آخر
الزمان أن العالم يكون على نحوٍ من قتالٍ وفتنٍ وظلمٍ وحيفٍ وفسادٍ .. وهذا
وجه آخر من معاني الإنحراف والمصادمة مع شريعة الله وموathيق رسول الله (ص)
وفي ظل هذا العالم يكون الخطرُ هائلاً على المؤمن ، على المتمسكِ بدينه ، حرب
ثقافية ، حرب إنتماء ، حرب ذات أبعاد أمنية وسياسية وجيوإقتصادية ، هي
الأخطر والأكثر حدّة في عالمٍ تشيرُ فيه الروايات إلى عناوين كبرى من اختصار
الزمان والمكان وتطويع المادة وشبه ذلك ، أي حسب مصطلحاتنا اليوم ، عبارة
عن عوامة الأداة وقدرتها في التأثير بأيّ ناحية من العالم في ظل عقيدة مفترسة ،
واضطهاد ثقافي وسوقي ومنفعي بترّ من مبادئه ومفاهيمه أيّ صلة بمعالم الوجود
الكوني فضلاً عن تنكّره لله تعالى .. من هنا سيكون موقع المؤمن والمتمسكِ بدينه
على نحوٍ من الخطورة والتعب والعناء وغيره .. وفي لفظٍ للأمير (ع) قال :

ألا بأبي وأمي هم ، من عدة أسماءهم في
السماء معروفة وفي الأرض مجهولة ، ألا فتوقعوا ما
يكون من إدبار أموركم ، وانقطاع وصلكم ،
واستعمال صغاركم ، ذاك حيث تكون ضربة السيف
على المؤمن أهون من الدرهم من حلّه ، ذاك حيث
يكون المعطي أعظم أجراً من المعطي ، ذاك حيث
تسكرون من غير شراب ، بل من النعمة والنعيم ،
وتحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير إحراج ،

ذاك إذا عضكم البلاء ، كما يعض القتب غارب البعير
ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء ...^١

يشير الإمام علي (ع) بشكلٍ جليٍّ إلى هيمنة الفساد الذي يصبح سمةً من سمات المجتمع ، وصيغة من صيغ التعامل فيه ، إلى درجة الجبر الإجتماعي ، يشير إلى أن ضربة السيف أهون على المؤمن من تحصيل درهم حلال .. ! إشارة بالغة إلى مستوى الجبر الإجتماعي ، إلى مستوى الفساد المتصل بمواثيق الصلة التعاملية بمعنى أن عامل التطبع الإجتماعي على الباطل يصبح سمة سلوكية واسعة الانتشار فيتنافس الناس على الدنيا ويهجرون الدين ويتناسون أمر الآخرة ويتكبرون له .. وبكلمة أخرى : العالم وقتئذ يكون على نحو من مواثيق وقيم ومفاهيم خطيرة على الدين ، معاندة له ، شاذة عن الأصول الأولية الضرورية ، شديدة التضاد لما عليه شريعة الإسلام ونواميس النوع .. كثيرة هي الروايات التي تسجل هذا الواقع المنحرف بخطورته الكبرى ، وفي الرواية عن سلمان الفارسي قال : خطبنا أمير المؤمنين بالمدينة ، وقد ذكر الفتنة وقرّبها ثم ذكر قيام القائم من ولده ، وأنه يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، قال سلمان فأتيته خالياً فقلت : يا أمير المؤمنين متى يظهر القائم من ولدك ؟ فتنفس الصعداء وقال :

لا يظهر القائم حتى يكون أمور الصبيان ،
وتضييع حقوق الرحمان ،
ويتغنى بالقرآن بالتطريب والالخان ،
فإذا قتلت ملوك بني العباس أولي الغمار والالتباس ،

^١ فتح البلاغة ، صالح : ص ٢٧٧ خطبة ١٨٧ - عبده : ج ٢ ص ١٢٦ . * : ابن ميثم البحراني : ج ٤ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

أصحاب الرمي عن الأقواس بوجوه كالتراس ،
وخربت البصرة ، وظهرت العشرة ،
قال سلمان قلت وما العشرة يا أمير المؤمنين ؟
قال منها :
خروج الزنج ،
وظهور الفتنة ،
ووقايح بالعراق ،
وفتن الآفاق ،
والزلازل العظيمة ، مقعدة مقيمة ،
ويظهر الحندر والديلم بالعقيق والصيلم ،
وولاية القصاح بعقب الفم الجناح ،
وظهور آيات مفتريات في النواحي والجنابات ،
وعمران الفسطاط بعين القرب والاقباط ،
ويخرج الحائك الطويل بأرض مصر والنيل ،
قال سلمان فقلت : وما الحائك الطويل ؟
قال : رجل صعلوك ليس من أبناء الملوك ،
تظهر له معادن الذهب ،
ويساعده العجم والعرب ،
ويأتي له من كل شيء ،
حتى يلي الحسن ،
ويكون في زمانه العظام والعجائب ،
وإذا سار بالعرب إلى الشام ،

وداس بالبرذون أرحام السيل بين جيشه ،
ووصل جبل القاعوس في جيشه ،
فيجري به بعض الامور ،
فيسرع الاسلاف ، ولا يهنيه طعام ولا شراب ،
حتى يعاود بأيلون مصر وكثرة الآراء والظنون ،
ولا تعجز العجوز ،
وشيد القصور ،
وعمر جبل الملعون ،
وبرقت برقة فردت ،
واتصل الاشرار بين عين الشمس وحلوان ،
وسمع من الاشرار الاذان ،
فصعقت صاعقة برقة وأخرى بيلخ والبرقة ،
وقاتل الاعراب البوادي ،
وجرت السفياي خيله وجند الجنود وبند البنود ،
هناك يأتيه أمر الله بغتة ،
لغلبة الاوياش وتعيش المعاش ،
وتنتقص الاطراف ويكثر الاختلاف ،
وتخالفه طبيعة بعين طرطوس وبقاصية أفريقية ،
هناك تقبل رايات مغربية أو مشرقية ،
فأعلنوا الفتنة في البرية ،
يا لها من وقعات طاحنات ،
من النبل والاكمام ،

وقعات ذات رسون ومنابت اللون ،
بعمران بني حام ،
بالقمار الادغام ، وتأويل العين بالفسطاط ،
من التربت من غير العرب والاقباط بأديجة الديباج ،
ونطحة النطاح ،
بأحراث المقابر ، ودروس المعابر ،
وتأديب المسكوب على السن المنصوب ،
باقصاح رأس العلم ،
والعمل في الحرب بغلبة بني الاصفر على الانعار وقع المقدار فما
يعني الحذر ،
هناك تضطرب الشام ،
وتنتصب الاعلام ،
وتنتقص التمام ،
وسد غصن الشجرة الملعونة الطاغية ،
فهناك ذل شامل وعقل ذاهل وختل قابل ونبل ناصل ،
حتى تغلب الظلمة على النور ،
وتبقى الامور من أكثر الشرور ،
هناك يقوم المهدي من ولد الحسين لا ابن مثله لا ابن ،
فيزيل الردى ، ويميت الفتن ،

وتتدارس الركبتين (كذا) هناك يقضي لأهل الدين بالدين .
قال سلمان ثم انضجع ووضع يده تحت رأسه يقول : شعار
الرهبانية القناعة) ..^١

أقول : في هذا النص مجموعة من معانٍ واضحةٍ ، ثبتت في رواياتٍ مرّت
وسقناها عليك وهي موثوقة ، لكنّ فيه كثير من العبارات غير الواضحة أو
معروفة المراد ، بل في بعضه اضطراب من الراوي أو من الناسخ ، وهذا فوّت
علينا فهم معاني عديدة ومقاصد كثيرة وردت فيه .. وكما ترى فإنّ النصّ ناظر
إلى حروبٍ وفتنٍ وملاحمٍ مخيفة ، يكون على أثرها فسادٌ كبير وظلمٌ فادح .. ثمّ
في هذا النصّ إشارات إلى عناوين وأماكن ومظاهر محدّدة تجري في أرضِ
المسلمين وما يتصل بها ، إلى ما هنالك من حروبٍ وفتنٍ وهرجٍ وسفكٍ وموتٍ
وحيف حتى خروج المهديّ الذي يقيم الأرض قسطاً وعدلاً .. كما أنّه يتضمّن
علاماتٍ مسلكيةٍ وصفاتٍ خارجيّة . والأبرز في ذلك الزمان أن هيكل المجتمع
العالمي يكون على نحوٍ من باطلٍ مجتمعي ، يدفع إليه بضرورة القطاعات المتعدّدة
القائمة على هذا النحو من ثقافةٍ ووظيفةٍ وإنتماءٍ مجتمعيٍّ ومسلكيٍّ وصفاتيٍّ
وحضاريٍّ وعرفيٍّ هو ضروريٌّ للإنتماءِ إليه في هذه الجهات وغيرها ، وهذا من
أخطر الأمور وأسوأها على الإطلاق ..

وفي لفظٍ آخر للإمام عليّ (ع) بخصوصِ الفتنِ والحروبِ وتوسّعِ الملاحمِ
والفهار أسسِ الأمانِ العالميِّ على مستوى الجبهاتِ قال : لا يطهر الله الأرض من
الظالمين حتى يسفك الدم الحرام - ثم ذكر أمر بني أمية وبني العباس في حديث

^١ دلائل الإمامة : ص ٢٥٣ - ٢٥٤ -

طويل - ثم قال : إذا قام القائم بخراسان (لا يقصد بذلك الإمام المهديّ والدليل على ذلك ما سيأتي في هذا النصّ من الإشارة إلى المهديّ (ع) وقد يكون قصد بذلك الخراسانيّ) وغلب على أرض كوفان وملتان ، وجاز جزيرة بني كاوان ، وقام منا قائم بجيلان وأجابته الأبر والديلمان ، وظهرت لولدي رايات الترك متفرقات في الاقطار والجنبات ، وكانوا بين هنات وهنات ، إذا خربت البصرة ، وقام أمير الامرة بمصر ... ثم قال (ع) : إذا جهزت الالوف ، وصفت الصفوف وقتل الكبش الخروف ، هناك يقوم الآخر ، ويثور الثائر ، ويهلك الكافر ، ثم يقوم القائم المأمول ، والامام المجهول ، له الشرف والفضل ، وهو من ولدك يا حسين ، لا ابن مثله يظهر بين الركنين ، في دريسين باليين يظهر على الثقلين ، ولا يترك في الارض دميين ، طوبى لمن أدرك زمانه ولحق أوانه وشهد أيامه ..¹

يشير الإمام (ع) هنا إلى معانٍ خاصّة من علاماتٍ وظواهرٍ في آخر الزمان ، منها ما يتصل بذبح الكبش ، وحسب النصوص فهو إشارة إلى النفس الزكيّة ، التي تذبح في بيت الله الحرام ظلماً وعدواناً ويكون لها شأن كبير عند الله تعالى ، إلى أن يشير إلى خروج المهديّ عجل الله فرجه الشريف .. كلّ ذلك في زمنٍ يكثر فيه التناكر والتحاسد والتباغض والقطيعة ، زمنٌ يكون فيه كتابُ الله رسماً ، والإسلامُ إسماً ، يتحاسدُ الناس في الدنيا ويتقاتلون عليها ، ويهجرون الدين ، ويعبدون البطنَ والفرجَ من دون الله .. ومما سبق فإنّ كلّ الروايات تشير إلى غلبةٍ واضحةٍ لقيم الباطل التي تعاند موثيق السماء ، وتمثّل بُنية رئيسيّة للإضطهاد العالمي ، بل تكونُ سمةً مجتمعيّة ضروريّة في ذلك الزمن ، ورغم كلّ ذلك تظلّ راية الخراسانيين متماسكةً قويّةً ، مع أنّ محاولة إسقاطها من الداخل

¹ النعمانيّ : ص ٢٧٤ - ٢٧٦ ، ١٤ ، ص ٥٥

تقوم وتثور لكنّها تفشل ، ومن ميزات هذه الراية الخراسانية أنّها تظلّ متمسكةً بإسلامها وولايتها لأهل البيت عليهم السلام كما ورد في النصوص وبطبيعة الحال تكون نادرةً في ذلك العالم الذي يجوبه الفساد ، عالم محكوم بنظام مجتمعي سياسي قيمى مفاهيمي فاسد ، يرى الغريزة والمادة عنصرين أساسيين في إنتاج الثقافات والصفات .. أمام هذا الواقع لن تكون الدنيا جنةً أهل الأرض رغم ما يصل إليه بنوها من تطويع واستغلالٍ وِنفع ، بل ستكون جحيماً بحق الإنسان وموثيق الكون ، ستكون عبارة عن مجتمعٍ معولم بقيم الانحراف والإضطهاد في أكثر من سمةٍ وجهةٍ وعنوان وفي الرواية عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) قال :

إذا كان زعيم القوم فاسقهم ، وأكرم الرجل اتقاء شره ، وعظم أرباب الدنيا ، واستخفّ بحملة كتاب الله ، وكانت تجارهم الربا ، ومأكلهم أموال اليتامى ، وعظمت المساجد ، وأكرم الرجل صديقه وعقّ أباه ، وتواصلوا على الباطل وعطلوا الأرحام ، واتخذوا كتاب الله مزامير ، وتفقهوا لغير الدين ، وأكل الرجل أمانته ، واؤتمن الخائن ، وخون الأمانة ، واستعملت كلمة السفهاء ، وزخرفت المساجد ، وزخرفت الكنائس ، ورفعت الأصوات في المساجد ، واتخذت طاعة الله بضاعة ، وكثرت القراء وقلّ الفقهاء ، واشتد سبُّ الاتقياء ، فعند ذلك توقعوا ريحاً حمراء ، وخسفاً ومسحاً وقذفاً وزلازل وأموراً عظيماً .. وقال (كان علي بن الحسين (ع) إذا ذكر هذا الحديث بكى

بكاءً شديداً ثم يقول قد رأيت أسباب ذلك والله
المستعان ..^١

إشارة إلى التنكّر لله وموathيق النبيين ، إشارة إلى الباطل في القيم الفردية
والأسريّة ، بل في نظرية الأخلاق والإجتماع والسياسة والإقتصاد .. إشارة إلى
حكومة أهل الأهواء والفسق ، إشارة إلى إمارة أهل الغريزة والمادّة الذين يشنون
أعنف حرب على موathيق الوجود الربانيّة .. وهذه كل الروايات تشير إلى أنّ
انحرافاً خطيراً يقع على مستوى الرسالة والإلتزام الديني وهي لا تنحصر في
المسلمين بل تتعدّاهم إلى غيرهم ، ففي الإشارة إلى المسجد والكنيسة تعبير عن أنّ
الإنحراف يقع في أكثر من أمة وجهة وكيان وبقعة بل حسب الروايات يصل
الإنحراف إلى مستوى يشكّل سمة العالم وفق مظهرٍ شاذّ كلّ الشذوذ .. وفوق
كلّ هذا يشير النص إلى أنّ الولاية والسلطنة في قيادة الكيانات التي تكون وجه
العالم السياسي آنذاك تكون للسفهاء وأهل الجور والفساد ، الذين يختلفون
بشكلٍ كبيرٍ وهائلٍ مع رجال الرسالة السماويّة وأهل الدين .. ثمّ إنّ تعبير
" السفهاء " ورد في أكثر من رواية وحديثٍ وموقعٍ وإشارةٍ هامّة ، وهو يُرادُ منه
أنّ السلطنة تصل إلى مستوى تُقادُ فيه ليس ضمن ضرورات الحاجة بمستواها
الوجودي ، بل وفق غاياتٍ تدلّ على سفاهةٍ من يحكمون ، ولو على مستوى
إدارة ملفّ العلاقة البشريّة وقيم الوجود وهوية التكوين وشبه ذلك .. يقول
الإمام علي (ع) :

يأتي على الناس زمان ،
لا يُعزُّ فيه إلا الماحل ،

^١ أمالي الشجري : ٢٠ ص ٢٦٠

ولا يستظرف إلا الفاجر ،
ولا يضعف إلا المنصف ،
يتخذون الفيء مغنما ،
والصدقة مغرما ،
والعبادة استطالة على الناس ،
وصلة الرحم منأ والعلم متجراً ،
فعند ذلك يكون سلطان النساء ،
ومشورة الاماء ،
وإمارة الصبيان) ..^١

إشارة إلى أن قيادة المجتمع في ذلك الزمن تكونُ على نحوٍ خطيرٍ من الشذوذ حيث يحتلّ الماحلُ موقع السلطنة بما يعنيه ذلك من حيفٍ وفسادٍ وقلةٍ نظرٍ ووهمٍ وسرابٍ وترهّلٍ في حقيقة المآل فيما خصّ ضرورات المواثيق البشرية اللازمة ، وتكون القيمُ آنذاك مطبوعةً على مستوىٍ تتقبّلُ فيه قيمَ الفاجرِ كشكلٍ حاكمٍ ، بكلّ ما تعني هذه العبارة من معنى في شقّ الأخلاقِ والآدابِ والاجتماعِ والمال .. وبطبيعة الحال تتهاوى الأهدافُ المقصودةُ في عالمِ المواثيق والإعلانات العالمية .. فيُستضعف الناس ويُذم الضعيف ويُقرَّب الفاسق وتصبح العبادة استطالةً على الناس وتصبح الزكاة بنظرهم خسارةً للمال وتضييعاً له .. ثمّ يشير الإمام إلى عنوان بارزٍ وسمة ظاهرة من ذلك العالم (العالم الأغرِب في طول سلسلة التجربة البشرية الإنحرافية) حيث يكون السلطانُ للنساء والمشورة للإماء

^١الكامل للمبرد : ج ١ ص ١٧٧ - على ما في معجم ألفاظ مخج البلاغة ، محاضرات الادباء ، الراغب الاصفهاني : ج ١ ص ٨٩ - على ما في معجم ألفاظ مخج البلاغة.

والإمارة للصبيان ، وهو تعبير يُرادُّ منه التركيز على ميزة ذلك العالم بكلِّ ما يتصلُّ بأشخاصِهِ لا بما هم أشخاص بل بما هم عليه من قيم ، وبما عليه سوق الاجتماع من مفاهيم خطيرة ، ونتائج غريزية ، وباطلٍ محكومٍ بسقفٍ حسيٍّ معاندٍ لأفقِ الكونِ ومنطقِ الوجود .. وفي لفظٍ آخر مروى عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق قال قال أميرُ المؤمنين : (ليأتين على الناس زمان يظرف فيه الفاجر ، ويقرب فيه الماجن ، ويضعف فيه المنصف ، فقبل له : متى ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إذا اتخذت الأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، والعبادة استطالة ، والصلة منّا ، فقبل : متى ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إذا تسلطن النساء ، وسلطن الاماء ، وأمر الصبيان)^١

وفي إشارةٍ تدلُّ على حيفِ ذلك الزمانِ وشوكةِ أهلِ الجورِ والفسادِ وتوسُّعِ الفتنِ وكثرةِ الفسقِ وحكومةِ أهله قال الإمام علي (ع) :

أين تذهب بكم المذاهب ؟ وتتيه بكم الغياهب ؟
وتخدعكم الكواذب ؟ ومن أين تؤتون ؟ وأنى تؤفكون ؟ فلكل
أجلٍ كتاب ، ولكلِّ غيبةٍ إياب ، فاستمعوا من ربانيكم
وأحضروه قلوبكم ، واستيقظوا إن هُتِفَ بكم ، وليصدق رائد
أهله ، وليجمع شمله ، وليحضر ذهنه ، فلقد فلق لكم الامر ،
فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة ، فعند ذلك أخذ الباطل ماأخذه
وركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية ، وقلت الداعية ،
وصال الدهر صيال السبع العقور ، وهدر فنيق الباطل بعد

الكافي : ج ١ ص ٦٩ - ٢٥ كما ورد في فتح البلاغ بلفظٍ آخر ..

كظوم ، وتواخي الناس على الفجور ، وتهاجروا على الدين ،
وتحابوا على الكذب ، وتباغضوا على الصدق . فإذا كان ذلك
كان الولد غيظاً ، والمطر قيظاً ، وتفيض اللثام فيضاً ، وتفيض
الكرام غيضاً ، وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً ، وسلاطينه سباعاً
وأوساطه أكالاً ، وفقراؤه أمواتاً ، وغار الصدق ، وفاض
الكذب واستعملت المودة باللسان ، وتشاجر الناس بالقلوب ،
وصار الفسوق نسباً ، والعفاف عجباً ، ولبس الاسلام لبس
الفرو مقلوباً ..)^١

يشيرُ الإمام علي إلى أن العالم آنذاك الذي يسقطُ في أتونِ ربوبيةِ المالِ
والغريزةِ والبطنِ ، الذي يقاتلُ على الدنيا ، ويتنكرُ للدين ، الذي يرى الأمر في
الله مجردَ عبثٍ ، ويظلُّ معانداً للأفقِ ، لا بدَّ أنه سيصل إلى مستوى مخيف في
العلاقة مع الفرد الآخر ، في أصل تعريفِ هويتهِ ، في طبيعة المحرّكات الثقافية
والاجتماعية والمدنيّة ، هناك يصبحُ أهلُ ذلك الزمان ذئاباً ، بكل ما تعني هذه
العبارة من بيانِ وصلة بطباعِ الصراعِ والفتكِ والنهشِ والتوحّشِ في جهاتِ المالِ
والغريزةِ والبطنِ والفرجِ والسلطةِ وغيرها هناك يصبح السلاطين سباعاً ، غرائزهم
تتسع لنهشِ الثروةِ والبشر عبر الحروبِ والفساد السياسي والمالي والاقتصادي
وغيره ، فلا يكون بين يديهم إلا وحش يجرّ لهم منفعةً ومصالحةً ومتاعاً ..
وتكون الطبقةُ القريبةُ منهم مجرد أكلةٍ يفتشون في كلِّ شيءٍ عن الثروةِ والمالِ
والنفعِ حتى ولو كان ذلك عبر بيعِ الأعضاء البشريةِ والتجارة بالنساء جبراً وإقامة

^١ مجمع البلاغة ، صالح : ص ١٥٧ خطبة ١٠٨ - عنده : ج ١ ص ٢٠٨ خطبة ١٠٤ . ابن ميثم البحراني : ج ٣ ص ٤١ - عن مجمع
البلاغة .

نوادي ومدن كبرى للدعارة ، حتى لو كان ذلك بممارسة إحتكار ضخمة على مستوى العالم عبر القاطرات المائيّة التي تفتك بأكثر من ٦٠ مليون نسمة كلّ عام حتى لو كان ذلك عبر تجارة خلايا المنشأ التي تدمّر الأجنّة وغيرها .. لذلك سيكون الفقير في ذلك العالم الذي يحركه المال والبطن والفرج والسلطة مجرد كائن ميّت ، لا بدّ من التخلص منه عبر زجّه بالحروب أو ممارسة الإحتكار الغذائيّ الدوائي في حقّه وغير ذلك .. هناك تكون الوجوه وجوه بشر لكنّ القلوب قلوب سباع ووحوش ، هناك تستعملُ المودة باللسان لكنها تتشاجر بالقلوب ، هناك يصبحُ الفسوق والانحراف والتزيّن بالفجور والانتساب إلى قيم الباطل بزيّ أو مظهر أو منطق أو مسلك أو صفة سبباً للإنتماء والإعتراف به وظيفياً أو مجتمعياً أو شبه ذلك شرط أن يملك المال وإلا فهو من ذوي الحظّ المحكوم عليه بالموت والقهر والجوع والوجع .. ! هناك يصبحُ العفاف عجباً .. ! هناك يصبحُ لبس الاسلام مقلوباً .. وهذا أخطر ما يمكن أن يصل إليه العالم في ظلّ توحش قاتل ..

إنّ كلّ هذه المعاني تشير إلى ما ذكرنا من أمثلة الحيف والإنقطاع عن الله إلى الدنيا والإلتحاق بمعالم أهل الجور والفجور ، فيظهر الكذب والجور ويكثر الزنا وينتشر الباطل وسفك الدماء وتُمنع الحقوق الإلهية ، إلى درجة يشير فيها النصّ إلى أنّ الإسلام يبدو مقلوباً ، جراء تبني إسلام ثقافي أو أدبي أو أخلاقي أو سوقي أو تجاري أو سياسي بعيد كلّ البعد عن إسلام رسول الله محمد ومواثيق شريعة الله تعالى .. ويؤكد النصّ أنّ ما يتعلّق بالمحفّزات أو محرّكات الأحاسيس والمشاعر تتغيّر وتتبدّل بمعنى أنّها تعيش على قيم مفترسة ، من هنا حسّنت الإشارة إلى أنّ سلاطينه يبدون سباعاً وأوساطه أكالاً وبطبيعة الحال إذا كان أمر

مَنْ يملك النفوذ وأدوات السلطنة والقهر كذلك فإن الرعيّة هناك ستكون بحكم الميّنة المقهورة على أمرها ، الدليّة في موقعها ، الضعيفة في معادلة الحكم ، هناك يكونُ الفسوقُ نسبياً ، والباطلُ سبباً ، والإنحرافُ صفةً ، والحيفُ منزلةً ورتبةً ، وعندها يموت الحقّ ويحكم الباطل ، ويكثر الجورُ والفسادُ في البلاد .. عندها يأخذُ الباطلُ مأخذه ، ويركب الجهلُ مراكبه ، ويعظمُ أمرُ الطاغية ، وتقلُّ الداعية ، ويصوّلُ الدهر ، ويهدرُ فنيق الباطل بعد كظوم ، ويتواخى الناس على الفجور ، ويتهاجرون على الدين .. ويظهر من الروايات أنّ الموت في ذلك العالم يكثر ، ويبدو بحلّةٍ غريبةٍ فيحتاج البلاد ، وفي بعضها إشارة إلى انتشار الأمراض والفتن والقتل والزلازل وغيرها .. من تلك الروايات قوله (ع) (بين يدي القائم موت أحمر ، وموت أبيض ، وجراد في حينه ، وجراد في غير حينه ، أحمر كالدم فأما الموت الأحمر فبالسيف ، وأما الموت الأبيض فالطاعون .¹ وفي رواية ابن حماد عن كيسان الرواشي القصار قال (ع) : لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث ، ويموت ثلث ، ويبقى ثلث) ..²

وعلى كلّ حال ، لا تشير النصوص إلى منظومة زمنيّة وخريطة إنتشار لهذه العلامات بشكلٍ يمكننا من خلاله أن نترقّب مواقع العالم على أساسه ، نعم في بعضها إشارة إلى بعض الجبهات والجهات ، أمّا باقي التفاصيل فعلمها عند الله تعالى لكنّ النبي والإمام كان في وارد الإشارة إلى مجموعة من ظواهر مسبّبة للقتل مرّة وللّموت مرّةً أخرى ، فضلاً عن المهرج والمرج والجور والحيف وسلطنة الباطل وما يتّصل به .. وفي الرواية عنه (ع) قال :

¹ غيبة الطوسي

ابن حماد : ص ٩١

إذا أراد الله أن يظهر آل محمد ، بدأ الحرب من صفر إلى صفر ، وذلك
أوان خروج المهدي عليه السلام . قال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، ما أقرب
الحوادث الدالة على ظهوره ؟ فدمعت عيناه وقال : إذا فتق بثق في الفرات ، فبلغ
أزقة الكوفة ، فليتهياً شيعتنا للقاء القائم^١

وهذه الرواية يمكن جمعها مع غيرها من تلك الطوائف المتصلة بظرف ما
قبل الظهور وما يتعلق بحدث ظهوره الأعظم عجل الله فرجه الشريف وهو على
كل حال في مقام الإشارة إلى علامة ما ، وكنا قد تحدثنا عن هذا العنوان في أكثر
من مقام وجهة .. ولا بد من التأكيد على أن بعض الروايات كانت في وارد
الإشارة إلى البيان الظرفي للعالم آنذاك والمقام الوصفي لبيئة ما قبل الظهور وما هو
متصل بعالم الظهور أيضاً ، ولو من باب بيان مراتب علامات الزمن وما يجري
فيها .. من تلك الروايات ما رواه الاصبع بن نباتة قال : سمعت علياً عليه السلام
يقول : (إن بين يدي القائم سنين خداعة ، يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها
الكاذب ، ويقرب فيها الماحل - وفي حديث : وينطق فيها الروبيضة - فقلت :
وما الروبيضة وما الماحل ؟ قال : أوما تقرؤون القرآن قوله (وهو شديد المحال)
قال : يريد المكر ، فقلت : وما الماحل قال : يريد المكار)^٢

وفي لفظ آخر عن الحسن بن رباب عن أبي عبد الله عن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب قال : (.. ثم يقع التدابر والاختلاف بين أمراء العرب والعجم
فلا يزالون يختلفون إلى أن يصير الأمر إلى رجل من ولد أبي سفيان - إلى أن قال
عليه السلام - ثم يظهر أمير الإمرة وقاتل الكفرة السلطان المأمول ، الذي تحير في

^١ الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٢٥٨ ، ١١ ، ١١٦ - عن كتاب عبد الله بن بشار رضيع الحسين عليه السلام

^٢ النعماني : ص ٢٧٨ ، ١٤ ، ٦٢

غيبته العقول ، وهو التاسع من ولدك يا حسين ، يظهر بين الركنين ، يظهر على الثقلين ، ولا يترك في الأرض الأدين ، طوبى للمؤمنين الذين أدركوا زمانه ولحقوا أوانه ، وشهدوا أيامه ، ولاقوا أقوامه^١

والذي لا شك فيه أن النصوص في مقام بيان صفة الزمان ورجال الحكم فيه والقيم التي تسيطر عليه بالغالب وتكون بيئته في السوق والآداب والاجتماع والسياسة والمال وغير ذلك .. في ظل إشارة إلى مواقع يظهر من النصوص أن لها وظيفة موقعية فاصلة في التاريخ ، أو أنها واحدة من العلامات العامة لمجريات التحول في ذلك الزمن ، من مثل إنتصار ثورة لها أثر على منحى الصراع الجبهوي قبل أو بعد الظهور ، من هنا فقد كثرت الإشارة إلى رجل من ولد أبي سفيان والدجال وبني الأصفر وغيرهم ، وهي بطبيعة الحال تتمحور حول بيان مجموعة من عناوين كبيرة لها أهمية إما في تشكيل محور جهوي أو أثر فاعل في عالم ذلك اليوم الذي يكون فيه المهدي على وشك الخروج أو قريباً من ذلك ..

ومهما قلنا فإن الروايات ناظرة إلى أكثر من عنوان وشق وجهة ، منها ما يشير إلى علامة بعيدة ، ومنها ما يشير إلى علامة قريبة ، ومنها ما يشير إلى وصف جهوي ، وآخر يشير إلى ظاهرة الثقافات والقيم ، ورابعة تشير إلى مكان وقاتل وحرب ودمار وفتن ، وخامسة تشير إلى مدن وأسماء بعينها ، ومع أن بعض الروايات في بعض سندها خلل وفق المعنى المأخوذ في التوثيق الروائي لصحة النسبة والوثوق بالصدور عن المعصوم لكن فيما ثبت غنى لجهة إشارته إلى أمور أساسية ثابتة منها :

^١ كتاب الغيبة ، الفضل بن شاذان : على ما في كشف النوري . * : كشف النوري : ص ٢٢١ - ٢٢٢ -

١. كثرة الجور والفساد ، وهو تعبير يُرادُ منه حسب صيغة العالم اليوم الإشارة إلى أن النظام العالمي يكون مأخوذاً على نحوٍ من قيم قيادة وتنظيم وجود سياسي إقتصادي إجتماعي مناقض لما عليه شريعةُ الله ، بل لمبادئ الموائيق النوعية الكلية التي تحكم فطرة الموجود البشري ..

٢. ظهور الرايات الباطلة ، وتعدّد الجبهات ، وصيرورة الأمر بين حقّ وباطلٍ ، في ظلّ غلبةٍ واضحة لمعالم الباطلِ ما قبل الظهور .. ومن بين تلك الرايات الباطلة الضالّة راية الدجال والسفياي والروم ويأجوج ومأجوج .. وعلى رأس الرايات المصلحة راية أهل الحقّ الموالية للمهديّ راية الخراسانيّ المشرقية (الرايات السود) ..

٣. إجتياح الفتن وتوسّعها وكثرة الهرج والمرج والحيف والقتل ، وبحسب تعبير اليوم " العنف العسكري الذي يتوسّع في العالم " ..

٤. عودة الدين غريباً كما بدأ ، في ظلّ نفوذٍ هائلٍ للباطلِ وأهله كسمة مجتمعية وسياسية ووظيفية ومالية وغير ذلك في طولٍ مساحة الإجتماع السياسي بشكلٍ إجماليّ ..

وحسب التعبير الروائي فإنّ العالم يصل إلى مستوى يميت ما أحيا الله ويحيي ما أمات الله ، أي يتبنّى في موائيقه وبرامجه محفّزاته السلوكية ومنظوماته الإجتماعية السياسية الإقتصادية والعرفية ما هو منكر في موائيق الله ، وفي نفس الوقت ينكر ما هو معروف في دين الله تعالى ، فيبطل الحقّ ويحقّ الباطل .. بل في كثير من الروايات دلالة ضمنية مرّة وصریحة مرّة أخرى في الإشارة إلى القيم الباطلة التي تحكم السلوك والقيادات وقوى المجتمع وهيكله عبر شبكة الإعلانات والمنظومات وغيرها كعنوانٍ ضخمٍ بارز .. بل في الرواية عن علقمة بن قيس قال

خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة خطبة اللؤلؤة فقال فيما قال في آخرها :

ألا وإني ظاعن عن قريب ، ومنطلق إلى المغيب ، فارتقبوا الفتنة الاموية والمملكة الكسروية ، وإماتة ما أحياه الله ، وإحياء ما أماته الله ، واتخذوا صوامعكم بيوتكم ، وعضوا على مثل جمر الغضا ، فاذكروا الله ذكرا كثيرا ، فذكره أكبر لو كنتم تعلمون . ثم قال : وتبني مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجلة والفرات ، فلو رأيتموها مشيدة بالحص والآجر ، مزخرفة بالذهب والفضة .. وتوالت عليها ملوك بني الشيبان ، أربعة وعشرون ملكا على عدد سني الملك الكديد ، فيهم السفاح ، والمقلاص ، والجموع ، والخدوع ، والمظفر والمؤنث ، والنظار ، والكبش ، والمهتور ، والعشار ، والمصطلم ، والمستصعب ، والعلام ، والرهباني ، والخليع ، والسيار ، والمسرف ، والكديد والاكذب ، والمترف ، والاكلب ، والوشيم ، والظلام ، والعيوق ، وتعمل القبة الغبراء ذات القلاة الحمراء ، في عقبها قائم الحق يسفر عن وجهه بين الاقاليم كالقمر المضيئ بين الكواكب الدرية .

وأضاف عليه السلام : ألا وإن لخروجه علامات عشراً ، أولها طلوع الكوكب ذي الذنب ، وتقارب من الحاوي ويقع فيه هرج ومرج وشغب وتلك علامات الخصب ، ومن العلامة إلى العلامة عجب ، فإذا انقضت العلامات العشر إذ ذاك يظهر بنا القمر الأزهر ، وتمت كلمة الاخلاص لله على التوحيد .. نعم إنه لعهد عهده إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ، أن الامر يملكه اثنا عشر إماما ، تسعة من صلب الحسين ، ولقد قال النبي صلى الله عليه وآله : لما عرج بي إلى السماء نظرت إلى ساق العرش فإذا مكتوب عليه : لا اله إلا الله محمد رسول

الله ، أيده بعليّ ، ونصرته بعلي ، ورأيت اثني عشر نوراً ، فقلت : يا رب أنوار من هذه .. ؟ فنوديت : يا محمد ، هذه أنوار الائمة من ذريتك ، قلت : يا رسول الله أفلا تسميهم لي ؟ قال : نعم أنت الامام والخليفة بعدي ، تقضي ديني وتنجز عدّتي ، وبعذك ابنك الحسن والحسين ، وبعده الحسين ابنه علي زين العابدين ، وبعده علي ابنه محمد يدعى الباقر ، وبعده محمد ابنه جعفر يدعى بالصادق ، وبعده جعفر موسى يدعى بالكاظم ، وبعده موسى ابنه علي يدعى بالرضا ، وبعده علي ابنه محمد يدعى بالزكي ، وبعده محمد ابنه علي يدعى بالنقي وبعده ابنه الحسن يدعى بالامين ، والقائم من ولد الحسن سمّي وأشبهه الناس بي ، يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ..)¹

أقول : ما ورد في مضمون هذه الرواية بخصوص الفساد وحكومة أهل الباطل الواسعة قبل الظهور مؤيد بنصوص كثيرة صحيحة .. ثمّ الذي بخصوص مدينة الزوراء فهو واضح الإشارة إلى مكان وإسم محدّد ، لكن من جهة بيان الغاية فهو إشارة إلى علامة يُراد منها أن عصر الظهور مأخوذ فيه نحو من مراحل عنيفة من ظلم مختلف وحيث متنوّع ، في ظلّ قيادةٍ سياسيّة ودولةٍ موجودة وأهل حكم نافذين .. بمعنى أن الخروج عن أمر الله واتباع خطوات الشيطان أمر متّصل بعقيدة دولة ونظام حكم وبيئة وعرف وبرنامج وموائق وقيم وشبه ذلك ، وهذا أخطر ما في الأمر .. إلى المزيد من النصوص التي تشير إلى عالم الظهور بيئةً وظرفاً وعلامة ، والتي منها ما يتعلّق بأثر مدمرٍ أو جارفٍ وشبه ذلك ، ففي الرواية عن الإمام علي قال : إذا وقعت النار في حجازكم ، وجرى الماء بنجفكم فتوقعوا

¹ كفاية الاثر : ص ٢١٣ - ٢١٩ -

ظهور قائمكم ..^١ وعلى كل ، فقد أشرت إلى عدّة طوائف تتعلّق بعصر ما قبل
 الظهور وصولاً إلى يوم الظهور المبارك وذلك من جهة القيم والجبهات
 والعلامات التي تنقسم إلى أقسام : منها ما له صلة بالبشر كالفتن والحروب
 والقتل وغيره ، ومنها ما له صلة بالطبيعة كالزلازل والهزات والأمراض وآخر له
 صلة بعناوين كبرى مثل النداء من السماء وشبه ذلك .. ثم أنّ هناك روايةً كان
 قد رواها رجب البرسيّ في كتابه مشارق أنوار اليقين مرسلة وهي غير تامّة السند
 تذكر خروج شعيب بن صالح من جبال الطالقان الواقعة غربي طهران بمقابل
 روايات وردت وهي تشير إلى أنّه يكون قائد قوات الخراساني الذي يظهر سنة
 ظهور المهدي عليه السلام ويمهد له ثم يكون شعيب هذا قائد قوات الامام
 المهدي عليه السلام .. وقد اختلف العلماء في كتاب رجب البرسيّ فلم يوثق
 قسم منهم ما ورد في هذا الكتاب إلا ما ثبت له مؤيد من غيره ممن هو صحيح
 ومقبول ، فضلاً عن أنّه مرسل وردّوا كلّ متنٍ وروايةٍ من شأنها أن تتناقض مع
 ما هو ثابت وصحيح .. نعم الثابت في ذلك الزمن أنّ الفتن تجتاح البلاد ويعمّ
 الفساد ويكثر القتل وتكون فوضى فضلاً عن الخلاف على ملكٍ وحكمٍ ، بل في
 رواية ابن عباس عن الإمام علي (ع) قال :

يا ابن عباس .. أول فتنة من المائتين إمارة الصبيان ، وتجارات
 كثيرة ، وريح قليل ، ثم موت العلماء والصالحين ، ثم قحط شديد ، ثم
 الجور وقتل أهل بيتي بالزوراء ، ثم الشقاق ونفاق الملوك وملك العجم ،
 فإذا ملكتكم الترك فعليكم بأطراف البلاد وسواحل البحار ، والحرب
 الحرب ، ثم تكون في سنة خمسين ومائتين وخمس وثلاث فتن البلاد ، فتنة

^١ الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٢٥٨ ، ١١١ ، ١١٢ - عن عجائب البلدان

بمصر ، ألويلُ لمصر ، والثانية بالكوفة ، والثالثة بالبصرة ، وهلاك البصرة
من رجل ينتدب لها ، لا أصل له ولا فرع ، فيصير الناس فرقتين ، فرقة
معه وفرقة عليه ، فيمكث فيدوم عليهم سنين ، ثم يولّي عليكم خليفة
فظّ غليظ ، يسمى في السماء القتال ، وفي الارض الجبار ، فيسفك
الدماء ، ثم يمزج الدماء بالماء ، فلا يقدر على شربه ، ويهجم عليهم
الاعراب ، وعند هجوم الاعراب يقتل الخليفة ، فيفشو الجور والفجور
بين الناس ، وتجيئكم رايات متتابعات ، كأنهن نظام منظومات انقطعن
فتتابعن ، فإذا قُتِلَ الخليفةُ الذي عليكم فتوقعوا خروج آل أبي سفيان ،
وإمارته عند هلال مصر ، وعند هلال مصر خسف بالبصرة ، خسف
بكلاهما وبأرجاها ، وخسفان آخران بسوقها ومسجدها معها ، ثم بعد
ذلك طوفان الماء ، فمن نجا من السيف لم ينجُ من الماء ، إلا من سكن
ضواحيها وترك باطنها ، وبمصر ثلاثة خسوف ، وست زلازل ، وقذف
من السماء ، ثم بعد ذلك الكوفة ، ويكون السفياي بالشام ، فإذا صار
جيشه بالكوفة ، توقع لخبر آل محمد صلى الله عليه وآله تحت الكعبة ،
فيتمنى الاحياء عند ذلك أن أمواتهم في الحياة فيملأها عدلاً كما ملئت
جورا) ..^١

وعلى شاكلة ما سبق ، فإن هذه الرواية ناظرة إلى جهة ما من جهة
الصراع ، إلى فتن تصير ، إلى قيادات قتالة ، إلى ظروف ناقمة ، إلى عالم
مضطرب ، إلى مواصفات متصلة بعالم الغيبة وما يتصل به من عالم الظهور
الشريف .. وقد اتفق كل العلماء أن ظهور المهديّ يكون على أثر فتن كبرى

^١ ملاحم ابن طاووس : ص ١٢٤ ، ٣٩ - عن فتن السليبي

ونخلافٍ وقتلٍ وفسادٍ كبير .. كما اتفقت النصوص على أنّ الفتن تقع وتتوسّع ويكثر الجور ، ويحيا الباطل ويموت الحقّ ، إلى أن تشير إلى علامة متأخرة جداً في مسلسل الأحداث ، أي إلى مقتل " النفس الزكية " فإذا قُتلت النفس الزكية خرج المهديّ (ع) ..

ماذا عن الشيعة في عصر الغيبة

طائفة النصوص تحت هذا العنوان تشير إلى جهتين :

١. جهة الفساد العالمي وقادته الظالمة والإضطهاد والفتن التي تصيب الشيعة جرّاء ذلك ..

٢. جهة أهل الحقّ التي تصمد وتظلّ ثابتة على ولاء أهل البيت عليهم السلام فتسلم الراية إلى المهديّ في ظلّ بيئة ومناخ وخريطة عالمية مختلفة جداً عن موثيق الله وفقه الإشتراع الإسلامي ..

وقد أشرنا بشكلٍ تفصيليّ إلى راية أهل خراسان المشرقيّة (الرايات السود) لذلك فإننا هنا سنختصر بالإشارة إلى الشيعة من الصنف الأول .. وقد وردت في الإشارة إلى ذلك مرويات عديدة منها :

- عن مالك بن زمرة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : (يا مالك بن زمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا - وشبك أصابعه وأدخل بعضها في بعض - فقلت : يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير ، قال : الخير كله عند ذلك ، يا مالك عند ذلك يقوم قائمنا فيقدم سبعين رجلاً

يكذبون على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله ، فيقتلهم ، ثم يجمعهم الله على أمر واحد) ..^١

- وعنه (ع) قال : كونوا كالنحل في الطير ، ليس شئ من الطير إلا وهو يستضعفها ، ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك خالطوا الناس بألسنتكم وأبدانكم ، وزايلوهم (انفصلوا عنهم وتميزوا) بقلوبكم وأعمالكم ، فوالذي نفسي بيده ما ترون ما تحبون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض وحتى يسمي بعضكم بعضا كذايين وحتى لا يبقى منكم - أو قال من شيعتي - إلا كالكحل في العين ، والملح في الطعام ، وسأضرب لكم مثلاً وهو مثل رجل كان له طعام فنقاه وطيبه ، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس ، فأخرجه ونقاه وطيبه ، ثم أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس فأخرجه ونقاه وطيبه وأعاده ، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الاندر لا يضره السوس شيئاً ، وكذلك أنتم تميزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً) ...^٢

- وفي الرواية عن عباية بن ربعي الاسدي قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ، ولا علم يرى ، يبرأ بعضكم من بعض) ..^٣

^١ النعماني : ص ٢٠٦ ، ١٢ ، ١١

^٢ النعماني : ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، ١٢ ، ١٧

^٣ غيبة الطوسي : ص ٢٠٧

- وفي الرواية عن عبد الله الشاعر قال سمعتُ علياً عليه السلام يقول :
كأني بكم تجولون جولان الابل تبتغون مرعى ولا تجدونها يا معشر
الشيعة) ..^١

- وقال (ع) : للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولان
النعيم في غيبته ، يطلبون المرعى فلا يجدونه ، ألا فمن ثبت منهم على
دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه ، فهو معي في درجتي يوم
القيامة .. ثم قال عليه السلام : (إن القائم منا إذا قام لم يكن لاحد في
عنقه بيعة ، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه) ...^٢

- وقال (ع) : لا تنفك هذه الشيعة حتى تكون بمنزلة المعز لا يدري
الخابس على أيها يضع يده ، فليس لهم شرف يشرفونه ، ولا سناد
يستندون إليه في أمورهم ...^٣

تشيرُ هذه النصوص وغيرها كثيرٌ إلى أن الشيعة يُمحّصون ويغربلون ،
ويعيشون مرحلةً من معاني الإلتواء الصعب الذي يتعارض مع فقه الله ومواثيق
الشريعة ، وتُشنّ أعتى الحملات على المهدي وظهوره . من هنا فإنّ نوع البلاء
هذا يكون من سنن الإجتماع القاسي والحاد .. وبالإضافة إلى المرويات التي
تحدّثت عن راية أهل خراسان الموالية للمهديّ ، يكون المعنى العام أنّه تمرّ أزمان
على الشيعة صعبة وعسيرة ، منها اختلافُهم وتشتتُهم فضلاً عن صعوبة الإلتواء

^١ النعماني : ص ١٩٢ ، ١٠٠ - ٣

^٢ كمال الدين : ص ١٠٢ - ٣٠٣ ، ٢٦ - ١٢

^٣ النعماني : ص ١٩١ ، ١٠٠ - ١

المجتمعي بل الدولي إلى الأمم الباطلة .. ويظلّ الأمر كذلك إلى أن يتمّ الله أمر
من صلح منهم تحت راية الخراسانيّ ، فيخرجون في طلب المهديّ (ع) ..

النداء باسم المهديّ

عديدة هي النصوص التي تشير إلى النداء باسم المهديّ ، وقد مرّ قسم
رئيسيّ منها ، وفي هذه الفقرة أشير إلى الخلاصة فيها ، من تلك الروايات :

- قال الإمام عليّ (ع) : إذا نادى مناد من السماء إن الحق في آل محمد
فعند ذلك يظهر المهديّ على أفواه الناس ، ويشربون حبه ، ولا يكون
لهم ذكر غيره ..¹

- وعنه (ع) : (إذا التقى السفياي والمهدي للقتال ، يومئذ يسمع صوت
من السماء : ألا إن أولياء الله أصحاب فلان يعني المهدي) ..²

- وعنه (ع) : بعد الخسف ينادي مناد من السماء إن الحق في آل محمد في
أول النهار ، ثم ينادي مناد في آخر النهار إن الحق في ولد عيسى ،
وذلك نحوه من الشيطان ...³

في إشارة من النصّ إلى النصارى الذين هم على غير الإسلام (ولد
عيسى أي الذين يحسبون أنفسهم عليه وقد أشركوا بالله) أي أنّهم يدخلون على

¹ ابن حماد : ص ٩٢

² ابن حماد : ص ٩٣

³ ابن حماد : ص ٩٣

الخطّ للتشويه وإبطال الحجّة وإيهام الناس ، من هنا اشار في ذيل النصّ إلى أنّ هذه نحوه من الشيطان .. وتتفق النصوص في أنّ النداء له أهميّة كبيرة يسمعه أهل الأرض كلّهم ويكون إشارة مركزية ومفصلاً رئيسياً في بعض عناوينه ، فيكثر اسم المهديّ على الألسن ، ويتشتر ذكره ، ومن تلك اللحظات تبدأ مرحلة جديدة .. حيث يتجلّى المهديّ للعالم وتبدأ أولى رحلاته في آخر الزمان على نحو يطوّع به الأرض بأنسها على شرع الله وقسطه وعدله ..

جعلنا الله من أنصار سلطان العصر ووليّ الزمان مولانا المهديّ محمّد بن الحسن
عجل الله فرجه الشريف ..

المهديّ من ولد الإمام الحسين

لقد نطقت الروايات وبشكلٍ حاسمٍ ونهائيّ في كتب الطرفين أنّ المهديّ هو حفيد الرسول من ولد علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ، عبر الإمام الحسين عليهم السلام جميعاً .. من تلك النصوص :

- قال أمير المؤمنين علي (ع) : (إن ابني هذا (الحسين) سيد ، كما سماه رسول الله (ص) وسيخرج الله من صلبه رجلاً باسم نبيكم ، يشبهه في الخلق والخلق يخرج علي حين غفلة من الناس ، وإماتة للحق وإظهار للجور ، والله لو لم يخرج لضربت عنقه ، يفرح بخروجه أهل السماوات وسكانها .. يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)¹

¹ ابن حماد : ص ١٠٣

نعم روى بعضُ أهلِ السنّةِ هذا الحديثَ بخصوصِ الحسنِ بنِ عليٍّ وليس
بخصوصِ الحسينِ .. من هنا ولبعضِ الرواياتِ القليلةِ مع أنّها ضعيفةٌ قال قسمٌ
منهم أنّ المهديّ من نسلِ الحسنِ بنِ عليٍّ ، من ولدِ فاطمةٍ وعليٍّ ، ولا شكّ أنّ
هذا الكلامَ مردودٌ بشكلٍ نهائيٍّ لما ثبت بشكلٍ واسعٍ وصحيحٍ في كتبِ الفريقين
أنّ المهديّ من ولدِ الحسينِ (ع) وقد طُفحت كتبُ السنّةِ والشيعةِ في ذلك ..

- عن أمير المؤمنين (ع) قال : يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض
اللون ، مشرب بالحمرة .. عظيم مشاش المنكبين ، بظهره شامتان ،
شامة على لون جلده ، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله ،
له إسمان : إسم يخفى وإسم يعلن ، فأما الذي يخفى فأحمد وأما الذي
يعلن فمحمد ، إذا هزّ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب ، ووضع
يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد
وأعطاه الله تعالى قوة أربعين رجلاً ، ولا يبقى ميت إلا دخلت عليه تلك
الفرحة (في قلبه) وهو في قبره ، وهم يتزاورون في قبورهم ويتباشرون
بقيام القائم صلوات الله عليه)^١

- عن ابن أبي جحيفة السوائي ، والحرث بن عبد الله الحارثي الهمداني ،
والحرث بن شرب ، كلٌّ روى أنّهم كانوا عند علي بن أبي طالب عليه
السلام فكان إذا أقبل ابنه الحسن عليه السلام يقول : مرحباً يا بن رسول
الله ، وإذا أقبل الحسين يقول : بأبي أنت وأمي يا أبا ابن خيرة الاماء ،
فقليل له : يا أمير المؤمنين ما بالك تقول هذا للحسن ، وتقول هذا

^١ كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٣ ، ٥٧ ، ١٧

للحسين ؟ ومن ابن خيرة الاماء ؟ فقال : ذاك الفقيد الطريد الشريد
محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد
بن علي بن الحسين هذا ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام ..^١

- عن الأصبغ بن نباتة قال قال أمير المؤمنين (ع) : الحادي عشر من ولدي
يملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما ...^٢

وما تجدرُ الإشارةُ لهُ هو أنَّ الروايات كثيرة جداً في نصّها على المهديّ
وتعيينها لهُ أنّه من ولدِ عليّ وفاطمة عبر الحسين (ع) فلا يحتاج إلى كثيرٍ نقاش ..

أمّا ما ورد في بعض الروايات من التخفي في ذكر إسم المهديّ فهو لا
يقاوم ما ثبت من إعلان إسمه ونسبه ، وهي مرويات كثيرة ثابتة في بيان إسمه
ونسبه وصفاته على لسان المعصوم عليه السلام .. ومن تلك الروايات التي تشير
إلى التكتّم في ذكر إسم المهديّ (ع) أنّه في الحديث المرسل عن الإمام محمد الباقر
(ع) أنّه سأل عمر أمير المؤمنين عليه السلام عن المهدي فقال : يا ابن أبي طالب
أخبرني عن المهدي ما اسمه .. ؟ قال : أما إسمه فلا ، إنّ حبيبي وخليلي عهد إلي
أن لا أحدث بإسمه حتى يبعثه الله عزّ وجلّ ، وهو مما استودع الله عزّ وجل
رسوله في علمه) ..^٣

وعلى كلّ حال ، فإنّ الحديث موجّه إلى نحوٍ من الحفاظ على شخص
المهديّ ومحيط غيبته في ظلّ مولده الميمون إبان العصر العباسي ودولته التي كانت

^١كمال الدين : ج ١ ص ٣٠٣ ، ٢٦ ، ١٣

^٢العدد القوية : ص ٧٠ ، ١٠٧

^٣عقد الدور : ص ٤١ ، ٣

تصرّ على القبض عليه وقتله .. وقد تواترت النصوص التي يذكر فيها المعصومُ
 إسمَ المهديّ محمّد بن الحسن بشكلٍ كاملٍ فتذكر إسمه وإسم أبيه وصولاً إلى
 الإمام الحسين عليه السلام .. ما يدلّ على أنّ التحفظَ كان لناحية حفظه ومأمنه
 ليس أكثر .. نعم فهم بعض العلماء من أمثال الرواية الواردة أعلاه حرمة تسمية
 المهدي عليه السلام باسمه ، مع أنّ طبيعة الأمور مأخوذة على نحو تبادريٍّ
 ومفهومٍ وظيفيٍّ موجّه لتلك النصوصِ على فرض تمامها وعدم معارضتها
 وصحتها ، لحیطة الإمام المهديّ في زمنٍ خطرٍ إبان غيبته الأولى بما طرأ عليها من
 حركةٍ عباسيّةٍ ناقمة تصرّ على ضرورة إلقاء القبض على المهديّ واغتياله ، حتى
 أنهم كانوا يعتقدون كل من كان يظن أو يحتمل أنه المهديّ (ع) والذي لا شكّ
 فيه أنّ المهديّ محمّد بن الحسن (ع) موصوفٌ مذكورٌ بالإسم وبشكلٍ متسلسلٍ
 كاملٍ بلسانِ رسولِ الله وبالنصوصِ الثابتة عند الفريقين من السنة والشيعه بل
 على لسانِ كلِّ إمامٍ من آباءهم عليهم السلام ، وبشكلٍ موثّقٍ ودقيقٍ وواسعٍ ،
 تعرّضَ للإسم والنسب والوالد بل ولللسلسله الكاملة في أسماء آباءه ، وبشكلٍ
 ثابتٍ وصحيحٍ لا تقوى أيّ طائفةٍ من الرواياتِ على معارضته بل كان رسولُ الله
 (ص) كلّما رأى الحسين (ع) يؤكّد ذلك ويشيرُ إليه أمام الملأ ، ويقول : من
 صلب هذا يخرج محمّد المهديّ ، إسمه إسمي وكنيته كنيتي ، فيملاً الأرض قسطاً
 وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وفي غيره كان يذكرُ إسمه وإسم آباءه وصولاً
 إلى فاطمة وعليّ عليهم السلام .. وعلى كلّ حال ، فلقد منّ الله تعالى على أمة
 النبيّ محمّدٍ بالمهديّ (ع) لما يتوقّف عليه من صلاح العالم وتطهير الأرض وإحياء
 الملة والشريعة ، وقيادة الدنيا بنحوٍ مقدّسٍ من العدالة والقسط والسير بالإنسان
 كلّ الإنسان في كلّ بقاع الأرض نحو ضرورة التكامل مع الأفق ومعالم الوجود
 وقد قال الإمام علي (ع) :

(ألا أخبركم بأفضل نخلق الله عند الله يوم يجمع الرسل ؟ قلنا : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : أفضل الرسل محمد ، وإن أفضل الخلق بعدهم الاوصياء ، وأفضل الاوصياء أنا ، وأفضل الناس بعد الرسل والاصياء الاسباط ، وإن خير الاسباط سبطا نبيكم ، يعني الحسن والحسين ، وإن أفضل الخلق بعد الاسباط الشهداء وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب — قال ذلك النبي — وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين مخضبان بكرامة خصّ الله عز وجل بها نبيكم ، والمهدي منّا في آخر الزمان لم يكن في أمة من الامم مهدي ينتظر غيره)¹

(نموذج البيعة والقيصر وضرورة ولاية الفقيه في عصر الغيبة)

لقد اتفقت النصوص على أنّ خروج المهديّ (ع) يكون في ظرفٍ ماحلٍ وفتنٍ ، وشرّ موتٍ وقتالٍ وجورٍ وفسادٍ ، فيمنّ الله على الناس بالمهديّ الذي يقيم حكم الأرض على القسطِ والعدل .. ففي الرواية عن الاصبع بن نباتة قال : خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس .. ألا ولا بدّ من رحا ، تطحن على ضلالة وتدور ، فإذا قامت على قطبها طحنت بعدها ، ألا وإن لطحنها روقا ، وروقها حدتما ، وفلها على الله عز وجل ، ألا وإني وأبرار عترتي وأهل بيتي أعلم الناس صغارا وأحلم الناس كبارا ، معنا راية الحق من تقدمها مرق ، ومن تأخر عنها محق ، ومن لزمها لحق ، وإنا أهل بيت الرحمة ، وبنا فتحت أبواب الحكمة ، وبحكم

¹ دلائل الامامة : ص ٢٥٦

الله حكمننا ، وبعلم الله علمنا ، ومن صادق سمعنا ، فإن
تتبعونا تنجوا ، وإن تتولوا يعذبكم الله بأيدينا ، بنا فك
الله ربك الذل من أعناقكم وبنا يختم لا بكم ، بنا يلحق
التالي ، وإلينا يفئ الغالي ،

ولولا أن تستعجلوا وتستأخروا القدر لا امر قد
سبق في البشر لحدثكم بشباب من الموالي وأبناء العرب
ونبذ من الشيوخ كالملاح في الزاد وأقل الزاد الملاح ،
فيينا معتبر ولشيعتنا منتظر ،

وإنا وشيعتنا نمضي إلى الله عز وجل بالبطن
والحمى والسيف ، وإن عدونا يهلك بالداء والديلة وبما
شاء الله من البلية والنقمة ، وأيم الله أن لو حدثكم
بكل ما أعلم لقاتل طائفة ما أكذب وأرجم ، ولو
انتقيت منكم مائة قلوبهم كالذهب ثم انتقيت من المائة
عشرة ثم حدثتهم فينا أهل البيت حديثاً لينا لا أقول فيه
إلا حقاً ، ولا أعتمد فيه إلا صدقاً ، لخرجوا وهم
يقولون عليّ من أكذب الناس ، ولو اخترت من غيرهم
عشرة فحدثتهم في عدونا وأهل البغي علينا أحاديث
كثيرة لخرجوا وهم يقولون عليّ من أصدق الناس !

هلكَ نحاطبُ الخطب ،

وحاصَ صاحبَ العصب ،

وبقيت القلوب تقلب ،

منها مشغب ، ومنها مجذب ،

ومنها مخصب ، ومنها مشنت ،

يا بني ليبر صغاركم كباركم ، وليروؤف
كباركم بصغاركم ، ولا تكونوا كالغواة الجفافة ، الذين
لم يتفقهوا في الدين ، ولم يعطوا في الله عز وجل محض
اليقين ، كبيض في أداحي ، ويح الفراخ فراخ آل محمد
من خليفة جبار ، عتريف مترف ، مستخف بخلفي
وخلف الخلف ،

وبالله لقد علمت تأويل الرسالات وإنجاز العداة
وتمام الكلمات وليكونن من أهل بيتي رجل ، يأمر بأمر
الله ، قوي ، يحكم بحكم الله ، وذلك بعد زمان مكلح
مفضح ، يشتد فيه البلاء وينقطع فيه الرجاء ، ويقبل فيه
الرشاء ، فعند ذلك يبعث الله عز وجل رجلاً من
شاطئ دجلة لامر حزبه ، يحمله الحقد على سفك
الدماء ، قد كان في ستر وغطاء ، فيقتل قوماً هو عليهم
غضبان شديد الحقد حران .. يسومهم خسفاً ويسقيهم
كأساً مصيرة سوط عذاب وسيف دمار ، ثم يكون
بعده هنات وأمور مشتبهات ،

ألا إن من شط الفرات إلى النجفات باباً إلى
القطقطانيات ، في آيات وآفات متواليات ، يُحدثن
شكاً بعد يقين يقوم بعد حين ، تبني المدائن وتفتح
الخزائن وتجمع الامم ، ينفذها شخص البصر وطمح

النظر ، وعنت الوجوه ، وكشف البال ، حين يرى
مقبلا مديرا فيالهفاه على ما أعلم ،
رجب شهر ذكر ،
رمضان تمام السنين ،
شوال يشال فيه من القوم ،
ذو القعدة يقتعدون فيه ،
ذو الحجة الفتح من أول العشر ،
ألا إنَّ العجب كلَّ العجب بعد جمادى في رجب ،
جمع أشتات وبعث أموات ،
وحديثات هونات هونات بينهن موتات ،
رافعة ذيلها ،
داعية عولها ،
معلنة قولها ،
بدجلة أو حولها ،
ألا إنَّ منّا قائماً عفيفة أحسابه ،
سادة أصحابه ، تنادوا عند اصطلام أعداء الله باسمه
واسم أبيه في شهر رمضان ثلاثا ،
بعد هرج وقتال ، وضنك ونحبال ،
وقيام من البلاء على ساق ،
وإني لأعلم إلى من تخرج الارض ودابيعها ، وتسلم إليه
خزائنها ،

ولو شئت أن أضرب برجلي فأقول أخرجوا من هيهنا
بيضاً ودروعاً ،

كيف أنتم يا بني هنات إذا كانت سيوفكم بأيمانكم
مصلتات ، ثم رملتم رملات ليلة البيات ،
ليستخلفن الله خليفة يثبت على الهدى ،
ولا يأخذ على حكمه الرشا ،
إذا دعا دعوات بعيادات المدى ،
دامغات المنافقين ، فارجات عن المؤمنين ،
ألا إن ذلك كائن على رغم الراغمين ،
والحمد لله رب العالمين ..¹

كل من يعيد قراءة هذه المعاني يقف على حدّ مذهلي من الإشارة إلى زمن
الإمام الموعود عليه السلام ، في دهر كنود ، وتمرد كبير ، وقادة بطّاشين وأمّ
تصر على التقاتل والتباغض في سبيل بناء عزّها الدنيوي ، هناك تكون الوهنات
وتعلو الصيحات فتبكي واحدة على دنياها وأخرى على حجاريتها وثالثة على
غريزتها ورابعة على زخرفها فلا ترى إلا ذاماً لله وناكراً لفضله ، في عسكر
جرار ، يعبد الكرسى دون الله ، وقادة تحركهم قيم المال والمنافع وعناوين لا تمت
بصلة إلى ضرورات الوجود الكوني سوى من رغبة في بطن أو فرج أو كرسى أو
اعتبار عبثي متهاو .. ويكون ذلك في زمان مكلح فاضح حيث يشتد البلاء
وينقطع الرجاء ويحكمه الربا والرشاء ، ويطير به الحقد في سفك الدماء ، وتكون
هناك هنات وهنات ، وأمور مشتبهات ، في قتل وعنف وجور وفساد وتعرّ وقبح

¹ ملاحم ابن المنادي : ص ٦٤ - ٦٥ -

ولواطٍ وسحاقٍ وتشبّهٍ من الرجال بالنساء ، ومن النساء بالرجال ، وسخريةٍ من الدين ، وعبثٍ بأمرِ الآخرة ، وصولاً إلى فتنِ النجفات ، متوالية في قتلٍ وسفكٍ وذعرٍ وبكاءٍ .. فيزول اليقين ، ويحكم الشك ، ويقود الجماعة من لا رأي له ، ويتسلطن الكرسيُّ أهلُ الغواية والغريزة ، ومن لا رأي لهم في الله ، هناك يحدث الشك ، ويكفرُ بالله ، ويزول اليقين .. هناك تقع الواقعةُ في أكثرِ من كيانٍ وبلدٍ ويكون رمضان تمام السنين ، وفي شوال يشال فيه من القوم ، وذو القعدة يقتعدون فيه ، وذو الحجة الفتح من أول العشر ، ثم يكون العجب بين جمادي ورجب ، جمع أشتات وبعث أموات ، وحديثات هونات هونات ، بينهن موتات رافعة ذيلها ، داعية عولها ، معلنة قولها في عالمٍ مضطربٍ وأممٍ متقاتلة ، وباطلٍ حاكمٍ ، وإثمٍ معمولٍ به ، وفسادٍ واسعٍ مستشرٍ في كلِّ شيءٍ بعد طولٍ هرج وقاتلٍ وضنكٍ وخبالٍ ، وقيامِ البلاء على ساقٍ ، إلى أن تتمّ العلامات فيأمر الله المهديّ بالخروج في عالمٍ متعطّشٍ إلى العدلِ فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، فتخرج الأرض ودايعها وتسلم إليه خزائنها ..

ولا شك في أنّ محطة الإمام المهديّ مثلت في نصوصِ النبيّ وأهل البيت مفصلاً رئيسياً حتى أنّك تجد في بعضها الشوقَ إلى المهديّ ، وكيف لا وهو محمد بن الحسن مقيم عدل الله في كلّ أرجاء العالم نحو أفقٍ قريب من الختام في مسيرة البشر على كوكب الأرض ، حيث تتجلى رحمةُ الله تعالى على الكون والعباد ، بخروج خيرته من خلقه وآيته الكبرى في آخر الزمان في ظلّ عالمٍ يتخبّط بالفساد والباطل .. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام :

إذا درج الدارجون ، وقلّ المؤمنون وذهب المجلبون ،
فهناك هناك ، فقال : يا أمير المؤمنين ممن الرجل ؟ فقال : من

بني هاشم من ذروة طود العرب ، وبحر مغيضها إذا وردت ،
ومخفر أهلها إذا أُتيت ، ومعدن صفوفها إذا اكتدرت ، لا يجبن
إذا المنايا هكعت ، ولا يخور إذا المنون اكتنعت ، ولا ينكل إذا
الكمامة اضطرعت ، مشمر مغلوب ظفر ضرغامه حصد مخدش
ذكر ، سيف من سيوف الله ، رأس ، قثم ، نشو رأسه في باذخ
السؤدد وغارز مجده في أكرم المختد ، فلا يصرفنك عن بيعته
صارف ، ثم رجع إلى صفة المهدي (ع) فقال : أوسعكم كهفاً
وأكثركم علماً ، وأوصلكم رحماً ، اللهم فاجعل بعثه خروجاً
من الغمة ، وأجمع به شمل الأمة ، فإن نحر الله لك فاعزم ولا
تنثن عنه إن وفقت له ، ولا تجوزن عنه إن هديت إليه ، هاه -
وأوماً بيده إلى صدره - شوقاً إلى رؤيته)^١

حتى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مشتاقاً إليه بحنينٍ مستديم ،
إنَّ في هذا الحديث عظمةً ليس بعدها عظمة بلسان أمير المؤمنين (ع) حيث
المهدي غاية الأنفس وباطن الصدور ، وهو المؤمل لقطع دابر الجور وإقامة حكم
الله تعالى ، يخرج في زمن قاحلٍ ، وفتنٍ وقتالٍ وسفكٍ وظلمٍ وجورٍ ، في زمنٍ قلَّ
القائلون به ، في زمنٍ ينكره كثيرون ، في دهرٍ يغلب فيه الجورُ على الحقِّ ، مات
فيه الدين ، وردَّ غريباً كما بدأ ، المؤمن المتدين يقبضُ على دينه كما يقبضُ على
الجمرة والشوك ، ولا يخرج من هذا الواقع الذي يسيطر على صورة العالم آنذاك
إلا بظهور المهدي الذي يقيم القسط والعدل ويقر الباطل والجور بإذن الله تعالى
جعلنا الله فداه ..

^١العماني : ص ٢١٢ - ٢١٤ ، ١٣ ، ١ -

في ذلك الزمن ، يصل الأمر فيه إلى حدّ أن أقوماً يذيعون في الناس أن المهديّ هلك أو مات ، ولا وجود له ، في أسوأ دعاية باطلة تُشنّ على المهديّ وأتباعه .. وقد قال الإمام عليّ (ع) :

صاحب هذا الامر من ولدي هو الذي يقال
مات أو هلك ؟ لا ، بل في أي واد سلك ؟ ..¹

إنه مستوى صعب من البلاء والامتحان يضمحلّ فيه صبرُ الكثيرين ، ويتهاوى فيه إيمان الكثيرين ، في ظلّ عالمٍ متخبّطٍ ، يسير تتابعاً نحو ربوبية المادّة ومصدرية الغريزة كعنوانٍ مشرّعٍ لفقهِ الجماعة في مجتمع ذلك الزمن .. كلّ النصوصِ تؤكدُ أنّ المهديّ ضمانه الوجود بإذن الله تعالى (ولو الحجّة لساخت الأرض بأهلها) ثمّ إنّ نورهم عليهم السلام مضمون الصلة بولاية من هم على دين آباءه وأجداده من أولي الأمر من الحجج وعلماء آل محمّد ، الذين يفقهون حديثهم ويفتون به ، وإنّ أجزء العالم في هذا الزمن وما بعده من أعظم الثواب حيث هو جسر الصلة بفقهِهم وتعاليمهم ومواثيقهم عليهم السلام .. هنا يمكن لنا أن نقف على قول الرسول حيث قال : علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل .. في هذا الزمن العالم والفقهاء والعارف هو رمز آل محمّد وكفاه بهذا فخراً ..

ثمّ إنّ ولاية الفقيه في هذا الزمن وزمن الغيبة كلّها هي ركن أساسي لازم في فقه غيبة الإمام (ع) حيث هي ضمانه الكشف عن النصّ والأحكام وتوصيف الحوادث ، وهي ضرورة الضرورة في أيّ نظام وانتظام وحكم يُراد منه قيام دولة ومجتمع الإسلام .. أمّ تُرانا نريد أن نؤمنُ برسول الله (ص) وشريعة الله الكبرى

¹ غيبة الطوسي

لكن ضمن حدود الأحوال الشخصية ، وترك الكتاب المدني والمالي والتجاري والسياسي والإقتصادي والبيئي والثقافي والجزائي بل وما يتصل بنظم أمر الجماعة والمجتمع ليكون بيد من لا يؤمن للإسلام بقيام ولا للرسول ببعثة ، ويعمل على تطوير معالم وجودنا على نحو من التعرّي والباطل والإسفاف والإنحراف .. ! ويقاتل من أجل بتر الدين وقيته أمر الظالمين .. !

وبصورة مختصرة إن ولاية الفقيه تعني أن الفقيه في عصر الغيبة هو ولي الأمر لبيان الحكم الشرعي التكليفي والولائي ، وهو ضرورة هائية لمعرفة الأحكام الشرعية وتطبيقها في شقيها الفردي والجماعي وفي كل معاني السلوك البشري الممكن من صفة مدنية وتجارية وسياسية وإقتصادية وغيرها مما يتصل بحكم المجتمع .. إن الشريعة الإسلامية هي شريعة الله تعالى ، وفرضها لازم وواجب ، ولا بدّ فيها من قيام حكومة ومجتمع إسلامي وفق قوانين وقواعد الشريعة الإسلامية ، بل لا بدّ من السعي الحثيث لإقامة حكم الله ، وأن الواجب هو الحفاظ على الحكم الإسلامي والإحتكام إلى الشريعة في كل شيء مثل تنظيم الأموال والسلوك والثروة والسلطة ، وردّ كل ما يتعلّق بالسلوك والأموال والصيغ والقيم إلى الشريعة على اعتبار أنّها المرجع الأعلى النهائي . كما أن اللجوء إلى شريعة غير شريعة الإسلام أمر محرّم وباطل وإثم كبير يؤدي بصاحبه إلى النار من حيث الأصل الأوّلي ، وأنّ تحصيل الحقوق إستناداً إلى شرعة وضعيّة غير شرعة الإسلام لا يجوز من حيث الأصل حتى وإن كان الحق لمن حصله ، إلى درجة دلّت النصوص على أنّ أصل اللجوء إلى شرعة غير الله تعالى ممنوع ومحظور بل هي لا تُثبت حقوقاً ولا توثق أموراً ولا تشرّع موجبات ، وفق مفاد الأصل الأوّلي ..

إن من يقرأ القرآن يجده كله دليل ولاية الفقيه .. يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (٥٨) ^١

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (٥٩) ^٢

(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (٥٤) ^٣

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (٣٣) ^٤

(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (٣٢) ^٥

^١ النساء

^٢ النساء

^٣ النور

^٤ محمد

^٥ آل عمران

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ
وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ
أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) ^١

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ
ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) ^٢

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
(٦٥) ^٣

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا
أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) ^٤

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ
هُزُورًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) ^٥

^١ النساء

^٢ النساء

^٣ النساء

^٤ النساء

^٥ المائدة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ^١

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ
الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا
فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا
أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ^٢

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ^٣

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا
(١٤٤) ^٤

(وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا

^١ التوبة

^٢ الممتحنة

^٣ المائدة

^٤ النساء

فَاحْذَرُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا
تَصِيرُوا (٨٩) ^١

(وَأَلْضَلُّنَّهُمْ وَأَمْنَيْنَهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَتَّكِنَنَّ إِذَانَ الْأَنْعَامِ
وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) ^٢

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً
وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) ^٣

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ^٤

كلُّ هذه الآيات وغيرها الكثير الكثير صريحة جداً في وجوب قيام أمر
الجماعة والإجماع على أساس منظومة الله وشريعته . وأنه لا بد من ذلك ، وقد

^١ النساء

^٢ النساء

^٣ آل عمران

^٤ المائدة

فرقت هذه الآيات بين الشرعية والطاغوت ، وأقرت أن الدين (الشريعة) عند الله هو الإسلام ، وأن غيره من شرع وأديان ومنظومات لا تُقبل في حق المسلم وأن أهله يصنفون يوم القيامة في الأحسرين . وأن طاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر فرض لازم في كل الشريعة وموازينها .. وأن الرد في حقيقة الإمتثال لا يكون إلا إلى الله والرسول ، وذلك عبر الرد إلى شريعة الله ورسوله (ص) .. وهذا شرط الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهو الطريق القويم والسبيل الذي يطاع به أمر الله وما دونه سبيل تفرق عن سبيله تعالى .. وأن من يزعم أنه آمن بالله واليوم الآخر لا يكون كذلك إن تحاكم إلى الطاغوت (شريعة غير شريعة الله ودينه وأحكامه وموآثيقه) وأنه بموجب الكتاب قد أمرنا أن لا نلتزم بغير شريعة الله في غير ضرورة أو اضطرار .. وأن الله ما أرسل رسولا إلا ليطاع ، وأن الخروج عن طاعة شرع الله ورسوله معصية وإثم كبير طريقه إلى النار وهو يحتاج إلى توبة وإستغفار .. وأنه لا يؤمنون " وربك " حتى يحكموك (محمداً بشريعة الله) بينهم ثم لا يجدوا حرجاً من ذلك في أنفسهم مما قضيت بل عليهم أن يسلموا تسليماً .. وأن المؤمن لا يتخذ الكافر ولياً من دون المؤمنين شرعةً أو ولايةً ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء .. وأن من يفعل ذلك يجعل لله عليه سلطاناً مبيناً . ويحتم : " يحذركم الله نفسه وإلى الله المصير " ... وأن الكتاب إنما أنزل كشرعة ليهيمن على الشرع كلها ، ليكون له سلطان الميثاق والحكم بينكم ، وأن من لا يحكم بما أنزل الله فهو الفاسق الظالم الكافر وأنه ممنوع " يا محمد " إلا أن تحكم بما أنزل الله ، ممنوع أن تتبع أهوائهم وموآثيقهم (شرعتهم) واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك .. وأنه محذور أن تتولوا شرعةً أو ولايةً أو قوماً يقيمون نظمهم وشرعتهم على أسس لا ترضي الله وقد غضب الله عليهم وئسوا منه كما ئس الكفار من اصحاب القبور ... وأن الله أرسل البينات

والآيات والمواثيق (الشريعة والرسل والكتاب والميزان) ليقوم الناس بالقسط ..
وعليه يكون الحديد واحداً من عناوين الوسائل والأدوات التي توجه نحو خدمة
هذه الأهداف السامية التي شرعها الله لقيام حكم الإسلام فأنزل الحديد فيه بأساً
شديد ومنافع للناس من أجل تثبيت مجموعة من شروط وضوابط حفظ المصالح
التي تؤسس للمجتمع الإسلامي وتحقق أهدافه ... من هنا ضرب الله تعالى مثلاً
" هزيمة داود لجالوت " وأنه قتله بإذن الله ، وقد آتاه الله الحكمة والمملكة ، وعلمه
تأماً يشاء (الشريعة وموازن الحكم) مشيراً بشكلٍ صريحٍ جداً إلى أدوات الملك
والحكم لبسط نظام الشريعة وفرض إحترامها ، لذا كان لا بدّ من تشريع نظام
السلطة ، وإلا لفسدت الأرض وضاعت الحقوق ، وظلم القوي الضعيف ، وعمّ
الظلم والفساد (... لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن
الله ذو فضلٍ على العالمين ..) ..

كثيرة هي الآيات الواردة في هذا المضمون التي تدلّ على نفاذ أمر الله
علينا ، وأنا مطالبون بإقامة حكم الله تعالى وذلك على يد النبي إن وجد وإلا
فالإمام المعصوم ، وإلا فالفقيه العالم بأحكام الله ، والقادر على إدارة الحكم ، من
هنا فرقنا بين الفقيه القادر على الاستنباط من جهة والفقيه القادر على الاستنباط
وإدارة أمور الجماعة من خلال معرفته بأمور الزمان وقيمه وقواعده لأن أمر
الجماعة يتوقف على معرفة إثنين : الحكم الشرعي من جهة وتطبيقاته من جهة
أخرى (الحكم التكليفي والحكم الولائي) .. وبهذا تتم الصورة الجوهرية الأولية
التي تحدّد فرض قيام الحكم الإسلامي بنحوٍ من منظومة شمولية بينتها مجموعة
القوانين التي قننت سلوك الناس وفق صورةٍ تفصيليةٍ فيما يتعلق بالأموال
والسلوكيات وتنظيم الجماعات فضلاً عن مواثيق العلاقة الضرورية مع الله خالق

كلّ شيءٍ .. ومن البديهيّ أنّ الشريعة الإسلاميّة أقرّت منظومة حقوقية ذات شمول وكانت على الإطلاق أوّل منظومة حقوقية تقيم موثيقها وموجباتها على نسقٍ بين متينٍ من موثيق الدولة التدخلية ... سلطنة تقوم على أصولٍ من صلاحيّات تتعلّق بالتشريع والتنفيذ والقضاء وإذا كانت الأصول التشريعية قد تكفل بها القرآن والسنة فإنّ هناك كمّاً هائلاً من المواضيع بحاجة إلى تقنين عبر التصنيف والتوصيف الشرعيين وما زالت الحياة تسير وفق وتيرة سريعة تتوالد خلالها كمية هائلة من الموضوعات والصيغ التي هي بحاجة إلى توصيف شرعيّ من هنا تكون الحاجة إلى " الفقيه ضرورة " لا يمكن الإستغناء عنها مطلقاً من جهتين :

١. من جهة إستنباط الأحكام الشرعية في شتى ميادين التجارة والأموال والذمم والماليّات والعلاقات المدنية والسياسية والعسكرية بل كلّ ما يتّصل بعالم السلوك في مواضيع الأشخاص والأموال والسلطة ...

٢. من جهة تصنيف وتوصيف الموضوعات والحوادث والصيغ الحادثة أو تلك التي وُلدت بآثار الزمان والمكان وبسبب المتغيرات وذلك لإعطاء كلّ واحدة منها حكماً شرعيّاً عبر رده إلى أصلٍ شرعيّ يحكمه مثل مراقبة وتوصيف المعاملات المصرفية الحديثة والنقدية والمالية وأصول التعامل ومجموع الضوابط التي تنشأ في الحياة التجارية والمدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وهذا بطبيعة الحال لا يكون إلا بقيام الفقيه الجامع للشرائط القادر على ذلك .

يُضاف إلى ذلك التنفيذ ، وبديهيّ أنّ التنفيذ والتنظيم واسع جداً ، منه التنظيم الإداري والهيكلية الإداريّة والوظيفيّة ومذاهب الكلفِ وهذا الباب أكبر من أن يُحصى .. وهو بحاجةٍ إلى إدارات ومصالح ووزارات ومؤسسات عامّة وجيش من الموظّفين .. وببديهية الحال يحتاجُ إلى أن يكون ضمن الضوابط العامّة وهذا يتوقّف على مجموعة أسس فقهيّة مستنبطة ، فضلاً عن حاجته إلى أهل التخصص في مثل هذه الأبواب من إداريّة وماليّة ونقدية وتجاريّة وغيرها ... كما أنّ القضاء يحتاجُ إلى الفقيه وبشكلٍ مركزيّ ، فلا قضاء وحلّ منازعات وفصل في الخصومات وفق الموازين الشرعيّة إن لم نجد الفقيه الجامع للشرائط العالم بالأحكام .. من هنا تكون الحاجةُ إلى الفقيه في ظلّ غياب الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف ضرورةً الحكم لقيام النظام و" توصيف الأفعال " وكافة معاني الحوادث والقيم لإتباع أحكام الله تعالى ، في كلّ شيءٍ من سلوكٍ وموضوع .. وهذا أمر لازم لا يقبل الإنفكاك . فلا تكون صلاحية الفقيه في الحسبة من وقفٍ وحفاظٍ على أموال اليتيم وشبه ذلك فحسب .. بل هي واسعة بإتساع الشريعة وحدود " بيان الأحكام وتنفيذها " والتقاضى على أساسها وإظهار حكم الله تعالى .. (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ..) .

يقول رسولُ الله (ص) :

- اللهم إرحم خلفائي — قالها ثلاث مرّات — قيل يا رسولَ الله : ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون بعدي ، ويرون حديثي وسنتي ، فيعلّموا بها الناس من بعدي .¹

¹ وسائل الشيعة كتاب القضاء صفات القاضي .

- الفقهاء أمناء الرُّسُلِ ما لم يدخلوا في الدنيا . قيل يا رسولَ الله ، وما دخولهم في الدنيا ؟ قال (ص) : إتباع السلطانِ . فإن فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم .¹

- وقال الإمام الرضا (ع) : (إنَّ الخلقَ لما وقفوا على حدٍّ ولا يقومُ إلا أن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدي والدخولِ في ما حضر عليهم .. فجعل عليهم قيماً يمنعهم من الفساد ويقيمُ فيهم الحدود ..)

إنَّ هذه الولاية عنوان بارز من عناوين آلِ محمدٍ وجسر مكين إليهم ، وهؤلاء العلماء الذين حملوا علمَ آلِ محمدٍ لهم من الأجرِ ما لا يحصيه إلا اللهُ تعالى من هنا فإنَّهم هم الذين يكونون على رايةِ آلِ محمدٍ في شقي الغيبةِ وعالم الظهور جعلنا اللهُ من أنصارِ مولانا ومهتدانا القائمِ المهديِّ الحجةِ ابنِ الحسنِ (ع) ..

إنَّ العالمَ في مثل هذه الأزمانِ ضرورةً ومطلبٍ أساسي ، هو غايةُ آلِ محمدٍ عليهم السلام في دهرٍ دبَّ فيه الفساد ، وانجرف القوم نحو غريزةِ عمياء تُهلكُ أهلها .. إنَّ عصرنا هذا بحاجةٍ إلى جماعةٍ يحملون فقهَ آلِ محمدٍ ومواثيقهم ليكونوا الحجةَ على الناس في زمنٍ ندرَ فيه المؤمنون ، حيث الباطلُ يحتاجُ المرافق والقيم ومفاصل الهوية الإجتماعية ومعالم النظام الدولي .. وهو سيظلُّ كذلك وعلى نحوٍ من التصاعدِ والإستمرار في الهيمنة والإنجراف على طولِ غيبةِ الإمام وصولاً إلى ظهوره الأعظم .. في آخر الزمن سيكون الإمتحان عسيراً ، والتدبيرُ صعباً ، في ظلِّ غيبةِ القائمِ المهديِّ (ع) .. زمن يصل فيه الأمر إلى حدِّ شنِّ دعاية

¹ أصول الكافي والمستدرک أيضاً .

واسعة تقول بهلاكه أو موته أو عبثية فكرته وعقيدته .. في الرواية أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال يوماً لحذيفة بن اليمان :

حتى إذا غاب المتغيب من ولدي عن عيون الناس ، وماج الناس بفقده أو بقتله أو بموته ، اطلعت الفتنة ، ونزلت البلية ، والتحمت العصبية ، وغلا الناس في دينهم ، وأجمعوا على أن الحجّة ذاهبة والامامة باطلة ويحج حجيج الناس في تلك السنة من شيعة علي ونواصبه للتحسس والتجسس عن خلف الخلف ، فلا يرى له أثر ، ولا يعرف له خير ولا خلف ، فعند ذلك سُبّت شيعة علي سبّها أعداؤها ، وظهرت عليها الاشرار والفساق باحتجاجها ، حتى إذا بقيت الامة حيارى ، وتدهت وأكثرت في قولها إن الحجّة هالكة والامامة باطلة ، فورب علي إن حجتها عليها قائمة ماشية في طرقها ، داخلة في دورها وقصورها ، جوّالة في شرق هذه الارض وغربها ، تسمع الكلام وتسلم على الجماعة ، ترى ولا تُرى إلى الوقت والوعد ونداء المنادي من السماء ألا ذلك يوم فيه سرور ولد علي وشيعته) ..^١

بطبيعة الحال سيكون هذا الزمنُ الأخطرُ في طولِ سلسلة البلاء ، حيث كلُّ دعايةٍ منصّبةٍ على إبطالِ الإمامةِ وترويجِ العبثيةِ في فصلِ الوجود ، ويظهر من

^١ النعمان : ص ١٤٢ ؛ ١ > ٣ - أيضاً مروى عن انبحار : > ٢٨ ص ٧٠ ؛ ٢ > ٣١ - عن غيبة الطوسي بتفاوت يسير ...

هذا النصّ وغيره أنّ المؤمن الموالي يكون على مستوى من تحدّد قاسٍ ، في ظلّ
جبهاتٍ تتشكّل محاورها ، لإبطال الإلتزام الديني ، ولمنع إقامة حكم الإسلام ..
في هذا الزمن سيكون المنتظرون على منزلةٍ رفيعةٍ من الثواب والأجر لأنّهم
يصبرون في أمرٍ عصر .. وفي الحديث عن أبي عبد الله الصادق عن آبائه عن أمير
المؤمنين (ع) قال :

إنّظروا الفرج ، ولا تيأسوا من روح الله ، فإن
أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج ، مادام
عليه العبد المؤمن ، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في
سبيل الله ..¹

ومما لا شكّ فيه أنّ من أعظم الرايات التي تكون في زمن الغيبة هي الراية
الخراسانية ، راية أهل المشرق ، التي تظلّ على ولاء آل محمد ، ترفع هويّة
الإسلام بإسم المهديّ وآبائه ، تقا تلّ على هديهم وشرعهم حتى تطلب المهديّ
فتنزل تحت لوائه وأمره ، ففي الحديث عن الإمام عليّ (ع) :

إذا خرجت خيل السفياي إلى الكوفة ، بعث
في طلب أهل خراسان ، ويخرج أهل خراسان في طلب
المهدي ، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود ، على
مقدمته شعيب بن صالح ، فيلتقي هو وأصحاب
السفياي بباب إصطخر فتكون بينهم ملحمة عظيمة ،

¹ الخصال : ج ٢ ص ٦١٠ - ٦١٦ و ٦٢٥ ، ٤٠٠ ، ١٠٠ -

فتظهر الرايات السود ، وتغرب خيل السفياي ، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه ..^١

كل الروايات متفقة على أنها الراية الأبرز في التوطئة للمهدي ، التي تتخذ من المهدي العنوان الأكبر في جهادها ضمن عالم منحرف ، متهور منحرف نحو ثقافة السوق الغريزية .. في ظل فتن وحروب ورايات باطل ، وانقلابات ، وهمج رعاع ينعمون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح ، وأئمة فاسدين لا يهتمهم إلا السيطرة على المفاصل ومناطق النفوذ .. في تلك اللحظات الإستثنائية سيشهد أهل العالم نوعاً مثيراً من الصراعات والعنف والقتل وسفك الدماء والجور الذي تقل عنده الخيلة .. من هنا تبدو أهمية الراية الخراسانية لما تعانیه في ذلك الزمن العسير .. كل الروايات تشير إلى ثبات والتزام هذه الراية التي تصبر رغم كل المحاور التي تتعارض معها في العالم ومن يتصفح الروايات تلك يدرك مدى الشدة التي تطال هذه الراية ، ومع كل هذا تظل في كل وقت وموقعة ومشهد على موعد مع قائم آل محمد ، ففي الرواية عن الإمام علي (ع) قال :

(يظهر السفياي على الشام ، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسيا حتى تشبع طير السماء وسباع الارض من جيفهم ، ثم يفتق عليهم فتق من خلفهم فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان ، وتقبل خيل السفياي في طلب أهل خراسان ، فيقتلون شيعة آل

محمد بالكوفة ، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي
عليه السلام)^١

على الأقل يظهر من الروايات الكثيرة أنّ هذه الراية تتحمّل الكثير من
أجلٍ ولأجلها وعقيدتها في المهديّ (ع) ، من هنا ورغم كلّ الوقعات العسكريّة
التي تتصادم بها تصرّ على طلب المهديّ ، بل في بعضها أنّها تُقاتل فتنتصر ، وأنّها
تظلّ على ما هي عليه حتى تسلّم الراية إلى صاحبكم (المهديّ) عليه السلام ..
بمعنى أنّ العالم يكون على نحوٍ خطيرٍ من الصراع التصادمي الجبهوي في ظلّ
ركيزةٍ عنيفةٍ ونافذةٍ لأهل الباطل ، حيث تبلور رأيهم بأكثر من كيانٍ وشخصيّةٍ
وجهةٍ وإسم وفي أزمانٍ مختلفةٍ ، نعم من الأسماء البارزة في ذلك الزمن السفياي
الذي يضع في أولى حساباته القضاء على جبهة الحق وأهلها وقد قال أمير المؤمنين
عليه السلام : (الحمد لله الاول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر ، وبأوليته
وجب أن لا أول له ، وبآخريته وجب أن لا آخر له . وأشهد أن لا إله إلا الله
شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان . أيها الناس : لا يجرمنكم شقاقى
ولا يستهوينكم عصباني ، ولا تتراموا بالابصار عندما تسمعونه مني ، فوالذي
فلق الحبة وبرأ النسمة إنّ الذي أنبئكم به عن النبي الأمي صلى الله عليه وآله ما
كذب المبلغ ولا جهل السامع لكأني أنظر إلى ضليل (السفياي) قد نعق بالشام
وفحص براياته في ضواحي كوفان ، فإذا فغرت فاغرته ، واشتدت شكيمته
وثقلت في الارض وطأته عضت الفتنة أبناءها بأنبيائها وماجت الحرب بأمواجها
وبدا من الايام كلوحها ، ومن الليالي كدوحها ، فإذا أينع زرعه ، وقام على ينعه
وهدرت شقاشقه ، وبرقت بوارقه ، عقدت رايات الفتن المعضلة ، وأقبلن كالليل

^١ ابن حماد : ص ٨٢ -

المظلم ، والبحر الملتطم . هذا ، وكم يحرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف ! وعن قليل تلتف القرون بالقرون ، ويحصد القائم ، ويحطم المحصود^١

إشارة إلى أن راية السفياي وجبهته تكون شديدة الوطأة على أتباع أهل البيت ومحبيهم ، همها قتلهم والفتك بهم واستئصالهم من الأرض ، والعمل على نسف أي شرط ممكن لقيام أي دولة أو نظام تابع لآل محمد .. بل يصل الأمر إلى حد إعلان الحرب على أي بقعة تكون على الولاء لآل محمد .. ومن مضامين الروايات الكثيرة يظهر أن راية السفياي تكون موجهة بشكل مركزي ضد راية أهل البيت في أي بقعة كانت أو حلت .. ويظل الأمر كذلك من إعلان العداء وبمجموعة متعددة ضد آل محمد إلى أن تضعف راية السفياي ، ويظهر من الروايات أنها تتعرض لأكثر من انتكاسة ، منها رجفة في الشام ، وخسف في غيرها ، وقتل وشبه ذلك ، ولا يكون الفرج بمعناه الأوسع لأتباع أهل البيت إلا بخروج المهدي (ع) .. وفي الرواية عن الإمام الباقر عن أمير المؤمنين قال :

إذا اختلف الرمحان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله ، قيل : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : رجفة تكون بالشام ، يهلك فيها أكثر من مائة ألف ، يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين ، فإذا كان ذلك ، فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة ، والرايات الصفر ، تقبل من المغرب حتى تحل بالشام ، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر ، فإذا كان ذلك ، فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا ، فإذا كان ذلك ، خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي

^١ نهج البلاغة : ص ١٤٦ - ١٤٧ خطبة ١٠١ - وشرح ابن أبي الحديد : ج ٧ ص ٩٦ - ١٠٠ . : ابن ميثم البحراني : ج ٣ ص ٩ - كما في نهج البلاغة

اليابس ، حتى يستوي على منبر دمشق ، فإذا كان ذلك ، فانتظروا
خروج المهدي (ع) ..^١

السفياني هو المقصود بذلك ، وليس معاوية ابن أبي سفيان ، لأنّ ذيل
النصر يشير إلى صفة ذلك الخارج في زمن المهديّ فيكون هذا الذيل صارفاً للمعنى
إلى رجلٍ من عقب أبي سفيان وآكلة الأكباد .. وعلى كلّ حال فإنّ هذه
إشارات متكرّرة عمّا يصل إليه العالم في واحدةٍ من الوقعات القاسية ، إنّ عليّ
صعيد الحرب والفتن واختلاف الرايات والإقتتال ، أو من خلال الإشارة إلى
الخسف كعنصر كوني له دخل في التأثير على مجرى الجبهات الباطلة .. إلا أنّ
ذلك يكون بعد طولٍ بلاءٍ وعناءٍ ينصب عليّ أهل البيت كما ينصبّ عليّ
مجموعةٍ كبرى من أهل ذلك الزمان مباشرةً أو بصورةٍ غير مباشرة .. يقول الإمام
علي (ع) :

إذا ظهر أمر السفياني ، لم ينج من
ذلك البلاء إلا من صبر على الحصار^٢

وفي روايةٍ أخرى عن الإمام علي (ع) فيها إرسال يقول :

يبعث السفياني عليّ جيش العراق رجلاً من بني حارثة له
غديرتان يقال له نمر (أو قمر) بن عباد رجلاً جسيماً ، عليّ مقدمته
رجل من قومه فيقاتله من بالشام من أهل المشرق ، وفي موضع يقال له
البنية (الثنية) وأهل حمص في حرب المشرق وأنصارهم ، وبها يومئذ

^١ النعمان : ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، ١٨ ، ١٦ -

^٢ ابن حماد : ص ٦٥ -

منهم جند عظيم تقاتلهم فيما يلي دمشق كل ذلك يهزمهم ، ثم ينحاز من دمشق وحمص مع السفياي ويلتقون وأهل المشرق في موضع يقال له المدين مما يلي شرق حمص ، فيقتل بها نيف وسبعون ألفا ، ثلاثة أرباعهم من أهل المشرق ثم تكون الدبرة عليهم ، ويسير الجيش الذي بعث إلى المشرق حتى ينزلوا الكوفة ، فكم من دم مهراق ، وبطن مبقور ووليد مقتول ، ومال منهوب ، ودم مُسْتَحَلّ . ثم يكتب إليه السفياي أن يسير إلى الحجاز ، بعد أن يعركها عرك الاديم)^١

ولقد تضمّنت طائفة من الروايات أن السفياي يوجّه جيشه نحو الكوفة والمدينة وأهل خراسان ، وتكون له وقعات كبرى من القتال والعنف وسفك الدماء .. وأينما وجّه جنده من تلك المقاصد يكون ناظراً إلى أتباع أهل البيت وهادفاً لحصدِهِم ..

في الرواية المرسلة عن أمير المؤمنين (ع) قال : تختلف ثلاث رايات ، راية بالمغرب ، ويليّ لمصر وما يحلّ بها منهم ، وراية بالجزيرة ، وراية بالشام ، تدوم الفتنة بينهم سنة ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام ، حتى تكون منهم مسيرة ليلتين ، فيقول أهل المغرب : قد جاءكم قوم حفاة أصحاب أهواء مختلفة ، فتضطرب الشام وفلسطين ، فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين ، فيقولون اطلبوا ملك الاول : فيطلبونه فيوافونه بغوطة دمشق ، بموضع يقال لها حريستا ، فإذا أحسنّ بهم هرب إلى أنحاء كلب وذلك دهاء منه ، ويكون بالوادي اليابس عدة عديدة فيقولون له يا هذا ، ما يحلّ لك أن تضيع الاسلام أما ترى ما الناس فيه

^١ ابن حماد : ٨١ و ٨٢ -

من الهوان والفتن ؟ فاتق الله واخرج أما تنصر دينك ؟ فيقول لست بصاحبكم فيقولون : ألسنت من قريش ، من أهل بيت الملك القديم ، أما تغضب لأهل بيتك وما نزل بهم من الذل والهوان ؟ ويخرج راغباً في الاموال والعيش الرغدة ، فيقول اذهبوا إلى حلفائكم الذين كنتم تدينون لهم هذه المدة ، ثم يجيئهم فيخرج في يوم الجمعة فيصعد منبر دمشق وهو أول منبر يصعده ، فيخطب ويأمرهم بالجهاد ويبايعهم على أنهم لا يخالفون له أمراً ، رضوه أم كرهوه . فقام رجل فقال : ما اسمه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هو حرب بن عنبسة بن مرة بن كلب بن سلمة بن يزيد بن عثمان بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، ملعون في السماء ، ملعون في الارض ، أشر خلق الله عز وجل أباً وألعن خلق الله جدّاً ، وأكثر خلق الله ظلماً . قال : ثم يخرج إلى الغوطة فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه ، وتتلاحق به أهل الضغائن فيكون في خمسين ألفاً ثم يبعث إلى كلب فيأتيه منهم مثل السيل ، ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس ، فيفاجئهم السفياي في عصائب أهل الشام فتختلف الثلاث رايات رجال ولد العباس هم الترك والعجم وراياتهم سوداء وراية البربر صفراء وراية السفياي حمراء فيقتتلون ببطن الاردن قتالا شديداً ، فيقتل فيما بينهم ستون ألفاً ، فيغلب السفياي ، وإنه ليعدل فيهم حتى يقول القائل : والله ما كان يقال فيه إلا كذب والله إنهم لكاذبون لو يعلمون ما تلقى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم منه ما قالوا ذلك فلا يزال يعدل حتى يسير ويعبر الفرات ، وينزع الله من قلبه الرحمة ، ثم يسير إلى الموضع المعروف بقرقيسيا ، فيكون له بها وقعة عظيمة ، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره ، فيداخلهم من ذلك الجزع . ثم يرجع إلى دمشق ، وقد دان له الخلق ، فيجيش جيشين ، جيش إلى المدينة وجيش إلى المشرق فأما جيش المشرق - فيقتلون بالزوراء سبعين

ألفاً ، ويقرون بطون ثلاثمائة امرأة ، ويخرج الجيش إلى الكوفة ، فيقتل بها خلقاً .
وأما جيش المدينة إذا توسطوا البيداء صاح بهم صائح ، وهو جبريل عليه السلام
فلا يبقى منهم أحد إلا خسف الله به ، ويكون في أثر الجيش رجالان يقال لهما
بشير ونذير ، فإذا أتيا الجيش لم يَرَيَا إلا رؤوساً خارجة على الأرض .. ويمضي
أحدهما إلى المدينة وهو بشير ، فيبشرهم بما سلمهم الله عز وجل منه ، والآخر
نذير ، فيرجع إلى السفياي ، فيخبره بما نال الجيش عند ذلك . قال : وعند جهينة
الخبر اليقين ، لأنهما من جهينة . ثم يهرب قوم من ولد رسول الله (ص) إلى بلد
الروم فيبعث السفياي إلى ملك الروم : ردّ إلي عبيدي ، فيردهم إليه ، فيضرب
أعناقهم على الدرج شرقي مسجد دمشق فلا ينكر ذلك عليه . ثم يسير في
سبعين ألفاً نحو العراق والكوفة والبصرة . ثم يدور الامصار والاقطار ، ويحل
عري الاسلام عروة بعد عروة ، ويقتل أهل العلم ويحرق المصاحف ويخرب
المساجد ويستبيح الحرام ، ويأمر بضرب الملاحي والمزاهر في الاسواق ، والشرب
على قوارع الطرق ، ويحلل لهم الفواحش ، ويحرم عليهم كل ما افترضه الله عز
وجل عليهم من الفرائض ، ولا يرتدع عن الظلم والفجور بل يزداد تمرداً وعتوا
وطغيانا ، ويقتل من كان اسمه محمداً وأحمد وعلياً وجعفرأً وحمزة وحسناً وحسيناً
وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وخديجة وعاتكة ، حنقاً وبغضاً لبيت آل رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يبعث فيجمع الاطفال ، ويغلي الزيت لهم ،
فيقولون إن كان آباؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا ؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسناً
وحسيناً فيصلبهما ثم يسير إلى الكوفة ، فيفعل بهم كما فعله بالاطفال ويصلب
على باب مسجدتها طفلين أسماؤهما حسن وحسين ، فتغلي دماؤهما كما غلى دم
يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فإذا رأى ذلك أيقن بالهلاك والبلاء ، فيخرج
هارباً منها ، متوجهاً إلى الشام فلا يرى في طريقه أحداً يخالفه ، فإذا دخل دمشق

اعتكف على شرب الخمر والمعاصي ، ويأمر أصحابه بذلك .. وفي روايةٍ متممة لها قال (ع) : ويخرج السفياي ويبيده حرمة فيأخذ امرأة حاملا فيدفعها إلى بعض أصحابه ويقول : افجر بها في وسط الطريق فيفعل ذلك ، ويبقر بطنها فيسقط الجنين من بطن أمه ، فلا يقدر أحد أن يغير ذلك فتضطرب الملائكة في السماء ، فيأمر الله عز وجل جبريل عليه السلام فيصيح على سور مسجد دمشق : ألا قد جاءكم الغوث يا أمة محمد ، قد جاءكم الغوث يا أمة محمد ، قد جاءكم الفرّج وهو المهدي عليه السلام خارج من مكة فأجيبوه . ثم قال عليه السلام : ألا أصفه لكم ألا وإنّ الدهر فينا قسمت حدوده ، ولنا أخذت عهوده ، وإلينا تردّ شهوده ، ألا وإنّ أهل حرم الله عز وجل سيطلبون لنا بالفضل ، من عرف عودتنا فهو مشاهدنا ، ألا فهو أشبه خلق الله عز وجل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسمه على اسمه .. من ولد فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من وُلد الحسين . ألا فمن توالى غيره لعنه الله . ثم قال عليه السلام : فيجمع الله عز وجل أصحابه على عدد أهل بدر ، وعلى عدد أصحاب طالوت ، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، كأنهم ليوث خرجوا من غابة ، قلوبهم مثل زبر الحديد ، لو هموا بإزالة الجبال لأزالوها عن موضعها ، الزي واحد واللباس واحد ، كأنما آباؤهم أب واحد . ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : وإني لأعرفهم وأعرف أسماءهم . ثم سماهم وقال : ثم يجمعهم الله عز وجل من مطلع الشمس إلى مغربها في أقل من نصف ليلة ، فيأتون مكة فيشرف عليهم أهل مكة فلا يعرفونهم فيقولون كبسنا أصحاب السفياي . فإذا تجلّى لهم الصبح يرونهم طائعين مصلين فينكروهم ، فعند ذلك يقبض الله لهم من يعرفهم المهدي عليه السلام وهو مختفٍ فيجتمعون إليه فيقولون له أنت المهدي ؟ فيقول أنا أنصاري والله ما كذب ، وذلك أنه ناصر الدين ، ويتغيّب عنهم ، فيخبرونهم أنه قد لحق بقبر جده عليهما

السلام ، فيلحقونه بالمدينة ، فإذا أحس بهم رجع إلى مكة (فلا يزالون به إلى أن يجيبهم) فيقول لهم : إني لست قاطعاً أمراً حتى تباعوني على ثلاثين خصلة تلزمكم لا تغيرون منها شيئاً ، ولكم علي ثمان خصال ، قالوا قد فعلنا ذلك ، فاذا ما أنت ذاكر يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فيخرجون معه إلى الصفا فيقول : أنا معكم على أن لا تولّوا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا محرماً ، ولا تأتوا فاحشة ، ولا تضربوا أحداً إلا بحقه ، ولا تكنزوا ذهباً ولا فضة ولا تبراً ولا شعيراً ، ولا تأكلوا مال اليتيم ، ولا تشهدوا بغير ما تعلمون ، ولا تخربوا مسجداً ، ولا تقبّحوا مسلماً ، ولا تلعنوا مؤجرأ إلا بحقه ، ولا تشربوا مسكراً ، ولا تلبسوا الذهب ولا الحرير ولا الديباج ، ولا تبيعوها رباً ولا تسفكوا دماً حراماً ، ولا تغدروا بمسئم ولا تبقوا على كافر ولا منافق ، وتلبسون الخشن من الثياب وتتوسدون التراب على الخدود وتجاهدون في الله حق جهاده ، ولا تشتمون ، وتكرهون النجاسة ، وتأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر . فإذا فعلتم ذلك فعليّ أن لا أتخذ حاجباً ولا ألبس إلا كما تلبسون ولا أركب إلا كما تركبون ، وأرضى بالقليل ، وأملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وأعبد الله عزّ وجل حق عبادته ، وأفي لكم وتفوا لي . قالوا : رضينا واتبعناك على هذا . فيصافحهم رجلاً رجلاً . ويفتح الله عزّ وجل له خراسان ، وتطيعه أهل اليمن ، وتقبل الجيوش أمامه ، ويكون همدان وزراءه ، وخولان جيوشه ، وحمير أعوانه ، ومضر قواده ، ويكثر الله عزّ وجل جمعه بتميم ، ويشد ظهره بقيس ، ويسير ورايته أمامه ، وعلى مقدمته عقيل ، وعلى ساقته الحارث ، وتحالفه ثقيف وعداف ، وتسير الجيوش حتى تصير بوادي القرى في هدوء ورفق ويلحقه هناك ابن عمه الحسيني ، في اثني عشر ألف فارس فيقول : يا ابن عم أنا أحق بهذا الجيش منك ، أنا ابن الحسن وأنا المهدي . فيقول المهدي عليه السلام :

بل أنا المهدي . فيقول الحسيني : هل لك من آية فنبايعك ؟ فيومئ المهدي عليه السلام إلى الطير فتسقط على يده ويغرس قضيباً في بقعة من الأرض فيحضر ويورق ، فيقول له الحسيني : يا ابن عم هي لك ويسلم إليه جيشه ويكون على مقدمته ، واسمه على اسمه ، وتقع الضجة بالشام ألا إن أعراب الحجاز قد خرجوا إليكم ، فيجتمعون إلى السفيناني بدمشق فيقولون : أعراب الحجاز قد جمعوا علينا فيقول السفيناني لأصحابه : ما تقولون في هؤلاء القوم ؟ فيقولون : هم أصحاب نبل وإبل ، ونحن أصحاب العدة والسلاح أخرج بنا إليهم ، فيرونه قد جبن ، وهو عالم بما يراد منه ، فلا يزالون به حتى يخرجوه ، فيخرج بخيله ورجاله وجيشه ، في مائتي ألف وستين ألفاً ، حتى ينزلوا ببخيرة طبرية ، فيسير المهدي عليه السلام بمن معه لا يحدث في بلد حادثة إلا الأمن والأمان والبشرى وعن يمينه جبريل ، وعن شماله ميكائيل عليهما السلام والناس يلحقونه من الآفاق ، حتى يلحقوا السفيناني على بحيرة طبرية . ويغضب الله عز وجل على السفيناني وجيشه ويغضب سائر خلقه عليهم ، حتى الطير في السماء فترميهم بأجنحتها ، وإن الجبال لترميهم بصخورها ، فتكون وقعة يهلك الله فيها جيش السفيناني .. ثم يسير (المهدي) في عساكره فينزل دمشق وقد كان أصحاب الاندلس أحرقوا مسجدها وأحربوه ، فيقيم في دمشق مدةً ويأمر بعمارة جامعها ..^١

وما تجدرُ الإشارةُ له هو أنه لم نجد أصلاً لهذا الحديث الطويل في مصادر الفريقين إلا مرسله عقد الدرر ولكن جملة من مضامينه وقراته وردت في روايات مسندة معتبرة ، أمّا ما ورد في تفضيل الشام في عصر المهدي عليه السلام على المدينة المنورة لا أصل له في الروايات ، بل الرواياتُ على خلافه وهذا يمنع من

^١ عقد الدرر : ص ٩٠ - ٩٩ ، ٢٤٤ - مرسل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ..

الإلتزام بخصوص هذا المضمون وهذه الجهة بالإضافة إلى الفقرات الواردة في أكثر من معنى وهي مخالفة للثابت وقد حذفها من متن النصّ ..

وعلى كل فالنصّ يشير إلى مضامين تتعلّق بنوع من القيم مرةً وجبهات الصراع مرةً أخرى ، وهو يحمل في طياته نوعاً موحّداً من الإشارة إلى طغيان أهل الباطل ومحاولة جادة منهم للقضاء على أيّ قيمة وجودية لها أصالة في فقه التكوين ، ومن ثمّ يشير إلى واقع مرير من عالم الإقتتال والعنف على يد السفياي وغيره ومحاولة نسف جبهة المهدي والعمل على ضمّ الكيانات المتعدّدة والنواحي المتصلة إذا صحّ التعبير بأمن استراتيجي واسع في بلاد الشرق كقاعدة مواجهة واسعة ضدّ جبهة الحقّ وقائدها الإمام المهدي عليه السلام .. إلا أنّ مجريات الصراع تكون على نحوٍ مختلف ، أما جبهة المهديّ فإنّ الله يصلحها بشكلٍ سريعٍ ومتمكّن ، فتفتح على يديها جبهات العالم بعد كفاحٍ ونضالٍ واسع .. ومنذ تلك اللحظة تبدأ أولى مظاهر العالم الجديد في ظلّ حكومة وليّ الله المعظم جعلنا الله فداه بمحمّد وآله الطاهرين ..

وكنتيحة كلبية يُقال :

في ذلك الزمن تبدو الجبهات متعدّدة متعاندة ، والأمم على نحوٍ مختلفٍ ومتصادم في شرّ فتنٍ وحروبٍ وملاحم تجوب البلدان والبقاع ، والبيئة على نحوٍ غريبٍ من الفساد الموائقي العرفي المفاهيمي .. هناك يكون المؤمن أكثر عذاباً وغربةً إلا من أمة مؤمنة مجاهدة قال في حقّها النبيّ (ص) أنّها من أهل خراسان ، مشرقية ، راياتها سوداء ، تظلّ على ولاءها للمهديّ وآبائه ، لا تزول حتى يوم الظهور .. جعلنا الله من محبّي أهل البيت ومعهم وعرف الله بيننا وبينهم بحقّ محمّد وآله الطاهرين ..

جبهة الإمام المهدي :

- الحدث التاريخي الأهم .
- صناعة العالم من جديد .
- عناء الأمر من مفسدِ أهل الجور ..

جبهة الإمام المهديّ عليه السلام (الوظيفة التاريخية)

الثابتُ في النصوصِ المتّصلة بأحداثِ آخرِ الزمانِ أنّ جبهةَ المهديّ (ع) تكون على قدرةٍ ونفوذٍ وتطويعٍ واسعٍ يتناسب وفتح العالم رغم كياناته العسكريّة المتعدّدة .. وفي الروايةِ عن الحارث الأعور الهمداني قال أمير المؤمنين (ع) : بأبي ابن خيرة الاماء (يعني القائم المهدي) يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأسٍ مصيرة ، ولا يعطيهم إلا السيف هرجاً فعند ذلك تمنى فجرة قريش لو أن لها مفاداة من الدنيا وما فيها ليغفر لها لا نكف عنهم حتى يرضى الله ..¹ بمعنى أنّ المهديّ يكون على نحوٍ واسعٍ من خياراتِ الفتحِ إلى أن يتمّ الله وعده لقيام حكومة الإسلام العالميّة ..

وتشيرُ النصوصُ إلى أنّ في جيش المهديّ قوماً من العجمِ ينتصرُ بهم على أعدائه ، وهذا يطابقُ ويوافق ما ورد في حقّ أهل المشرق ورايتهم التي تخرجُ في

¹ النعمان : ص ٢٢٩ ، ١٣ - ١١ -

طلب المهديّ وهي على دينه وولائه وتنتصر له .. وفي الرواية عن الاصبغ بن نباتة ، قال : خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف في السوق ، يوفي الكيل والميزان .. حتى انتهى إلى باب قصر الامارة بالكوفة .. فقال : أما والله ، لقد علمت ما ها هنا ، أما والله لو قد قام قائمنا (المهديّ) لأخرج من هذا الموضع اثني عشر ألف درع واثني عشر ألف بيضة لها وجهان ، ثم ألبسها اثني عشر رجلاً من ولد العجم ، ثم ليتأمر بهم ليقتلن كل من كان على خلاف ما هم عليه ، وإني أعلم ذلك وأراه كما أعلم هذا اليوم)¹

وهل في بيانه من استخراج السلاح هناك إشارة إلى مادة السلاح أو هيئته ؟ قيل : الأنسب أنه إشارة إلى المادة ، لأن ذلك مما يوافق ما عليه الأداة في عصر المهديّ (ع) لا عصر صدور النصّ ، لأن الخطاب موجّه في فعليته وأثره ونفوذه إلى عصر المهديّ .. وقد يكون إشارة إلى شكل محدّد مدفون هناك أو سيوجد وله أثر متصل بأزمان المهديّ عليه السلام .. والثابت أن المهديّ هو الذي يدخل القدس فاتحاً ، أمّا الروايات التي تشير إلى النبيّ عيسى بن مريم إنّما هي من باب الإشارة إلى جبهة المهديّ (ع) لجهة أن عيسى بن مريم يكون في جبهة المهديّ وليس العكس ، وعلى حدّ قول النبيّ عيسى (ع) : إنّما أنا وزير ولستُ أميراً ..

إحياء الشريعة

وإذا خرج المهديّ ، تُودي بخروج إمام أهل الحقّ للأرض كلّها ، وأذن بأولى معالم التاريخ الجديد ، تاريخ تكون سمته معالم الإسلام بكلّ ما تعنيه في

¹ الهداية للحضيني : ص ٣١ -

الفقه والشريعة والإعتقاد ، وبما تتصل به من منظومة ذات بُعدٍ فرديٍّ جماعيٍّ عالميٍّ كونيٍّ .. ويظهر من الروايات أن زمن ظهور المهديّ يكون ضمن فترةٍ حرجةٍ بالعالم ، فلا استقرارٌ آمنيٌّ ، ولا وجودٌ للعدالة في ظلّ أسى متزايد ، ووحشيّةٍ قاتلةٍ ، وتغيّراتٍ جارفةٍ ، واضطرابٍ عظيمٍ ، وفتنٍ جوّالةٍ ، وجبهاتٍ متصادمةٍ فإذا خرج المهديّ صوّبَ جهوده نحو الباطلِ ليبطله ، فيهزم دُوكَ الفسادِ بشكلٍ نهائيٍّ .. وفي الروايةِ عن الإمامِ عليّ (ع) قال :

إذا خرج المهديّ لا يترك بدعة إلا أزالها ، ولا سنة إلا أقامها ، ويفتح قسطنطينية ، والصين ، وجبال الديلم ، فيمكث على ذلك سبع سنين ، مقدار كل سنة عشر سنين من سنيكم هذه ، ثم يفعل الله ما شاء) ..^١

وفي بعضها إشارة واضحة إلى تجديد المهديّ (ع) للإسلام والقرآن ففي الحديث عن الإمام عليّ (ع) قال : كأني أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة ، قد ضربوا الفساطيط ، يعلمون الناس القرآن كما أنزل ، أما إن قائمنا إذا قام كسره وسوى قبلته ..^٢ إشارة إلى أن المهديّ يقيم القرآن على حدوده ، فيبطل ما أبطل الله ويقيم ما أقام وبالتالي تنتهي قصة تفسير الإسلام على شكل يتوافق مع تطّعات السوق الروميّة الرأسماليّة أو الإشتراكيّة الشيوعيّة ، أو وفق أهواء أهل الباطل والإنبساطيين ، والمزيّفين ، والمدلّسين ، أصحاب التزوير بلغات ومعانٍ شتى ، الذين تعاملوا مع الإسلام كتلاوةٍ موتى ، أو من باب ضرورة أهل الجنائز والمدافن .. وما أكثر مظاهر التشويه العنيفة التي تصيب الإسلام على يد جماعاتٍ

^١ عقد الدرر : ص ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٣ - وفي ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ١١ - مرسلًا . * إثبات الهداة : ج ٣ ص ٦٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢٦٦ ، ٢١٠ -

^٢ النعماني : ص ٣١٧ - ٣١٨ ، ٢١ ، ٣ -

تصرّ على عصرنة الإسلام وفق قيم الغرب بل وفق قيم كلّ منتصر يصرّ على بتر الصلة مع الله وضرورة الوجود ، وذلك بسبب خيبة الأمل ، واهتزاز الثقة ، وانحيار الغايات .. وعلى القاعدة : في كلّ زمان ، هناك الكثير من وعّاظ السلاطين الذين يبيعون آيات الله بثمانٍ بخس ، طمعاً في حطام الدنيا ومودّة العروش .. لقد وصلنا إلى زمن الدعاية الجامحة التي تضرب بعنف وبعثيّة قاتلة ، فلا تجد في بلادنا إلا متعريّة أو سكير أو حليق أو زانٍ أو قائم على باطلٍ أو مناصر لحرام ، أو متشبه برمزٍ من رموز أهل الضلالة والفساد ودعاية هل الجور ، بحيث يُتخذ قيمة حضاريّة ضرورية في التعبير والانتماء والشكل ، وهناك قرب عينيه وأذنيه كتابُ الله وسنة رسول الله تموت في كلّ يومٍ ألف ميتة ، وتُطعن كلّ يومٍ ألف طعنة ، في ظلّ فتوى ثقافيّة عاصفة تطعن الإسلام ، وتسخر من قيمه ، وتصرّ على أنّ القرآن ما هو إلا مجرد شاهد وجداني ليس أكثر ، مجرد تلاوة للموتى والأحزان .. أمّا في مجال الآداب والأخلاق والعلاقات الأسريّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة وغيرها فلا دخل لله ولا لرسوله فيها ، القرآن والمواثيق ممنوعة من الحكم والسلطنة ، وذلك لصالح مركزٍ دعائي لعروض الأزياء أو لنوادي الليل أو لشركة عابرة للقارات أو لحفلٍ صارخٍ لملكات الجمال بتعرّ سفير ، أو لشهرة مومسٍ وفنانةٍ تتخذ من الدعارة قناةً استثماريّةً واسعة أو لسكّير ومدنٍ على المخدرات .. لقد وصل الأمر إلى حدّ شنّ دعاية إسقاط عنيقة في حقّ الإسلام والنبيّ والأئمة عليهم السلام ، في نفس الوقت الذي هتّز فيه أمام مجموعة من شهيري الفنّ العاري وقتلة الحسنّ الوجودي في أنفسنا ومواثيق وبرامج رحلتنا الكونيّة .. ! بحيث أصبح للسكّير والمومس قيمة نافذة ومؤثّرة أهم بكثير من تلك التي هي لرسول الله وأمير المؤمنين والعظام العظام من آل بيت محمد عليهم السلام .. ! أيّ تقاربٍ هذا .. ؟ أيّ حسٍ فينا .. كيف

سنقف بين يدي رسولِ اللهِ يومِ القيامةِ .. ؟ لقد أصبح الزنا والتعري والباطل وسوء الأخلاق والانحراف الأدبي والاجتماعي والسياسي واحداً من العناوين المتأصلة في عالمنا فضلاً عن عالم أهل الباطل والآثام ، وهذه محرّمات كبرى تدخل صاحبها إلى النار ، وتحتزّ لها السماء ، وهي سبب كبير لغضب الجبار تعالى .. ومع كلّ هذا يصرّ من لهم الباع في التأثير السياسي العام في دولنا على أنّ الإسلام ما هو إلا مجرد إشارة روحية فقط ، أما الباقي فهو من حصّة " العلمنة وثقافتها " التي تفتك بنانا الأساسية ، ويكفي فيها أنّها النظرية الأبعد على الإطلاق عن فقه الوجود الضروري المأخوذ على نحو عاكس للوجود الكوني في الوثيقة والهوية الاجتماعية ..

من هنا فإنّ من أهمّ وظائف الإمام المهدي (ع) بعد خروجه هو أنه يقيم القرآن وسنة النبي كما هي ، فيميت ما أمات القرآن ويحيي ما أحيا .. ويحطّم أصنام ما أسس فينا كلّ زعيم أو إمبراطورية من أيّ جهة كانت ولأيّ ملة انتمت ، سواء كان ذلك في شقّ المواثيق أو القيم أو المفاهيم أو المعتقدات أو الأعراف أو المحرّكات العامة ومحفّزاتها .. وفي كلمة مختصرة للإمام عليّ في بيان وظيفة المهديّ (ع) يقول :

يعطف الهوى على الهدى ، إذا عطفوا الهدى على الهوى ، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي ... حتى تقوم الحرب بكم على ساق بادياً نواجذها ، مملوءة أخلافها ، حلّو رضاعها ، علقماً عاقبتها ، ألا وفي غد - وسيأتي غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوئ أعمالها ،

وتخرج له الارض أقاليد كبتها ، وتلقي إليه سلماً
مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ، ويجيي ميّت
الكتاب والسنة ..^١

وفي كلمة ثانية للإمام عليّ بحق المهديّ (ع) قال :

قد لبس للحكمة جنتها وأخذها بجميع أدبها ،
من الإقبال عليها ، والمعرفة بها ، والتفرغ لها ، فهي عند
نفسه ضالته التي يطلبها ، وحاجته التي يسأل عنها ،
فهو مغترب إذا اغترب الاسلام ، وضرب بعسيب ذنبه
وألصق الارض بجرانه ، بقية من بقايا حجته ، خليفة
من خلائف أنبيائه ..^٢

ومنذ الزمن الأول كان النبيُّ وأهلُ بيته عليهم السلام يشيرون إلى أنّ
دولة الحقّ تكون في آخر الزمانِ على يدي المهديّ ، الذي تكون له الولاية على
الأشخاص والأموال وكلّ ما يتّصل بإقامة حكم الله وعدله في العالم .. وفي
الحديث عن الإمام الصادق عن آباءه عن أمير المؤمنين (ع) قال : من أحيا أرضاً
من المؤمنين فهي له ، وعليه طسقتها يؤديه إلى الامام في حال الهدنة ، فإذا ظهر
القائم (المهديّ) عليه السلام فليوطن نفسه على أن تؤخذ منه) ..^٣

^١ نهج البلاغة - صالح : ص ١٩٥ - ١٩٦ خطبة ١٣٨ - عبده : ج ٢ ص ٢١ . * : ابن أبي الحديد : ج ٩ ص ٤٠ - ٤١

^٢ نهج البلاغة - صالح : ص ٢٦٣ خطبة ١٨٢ . * : ابن أبي الحديد : ج ١٠ ص ٩٥ - ٩٦ - عن نهج البلاغة

^٣ التهذيب : ج ٤ ص ١٤٥ ، ٣٩ ، ٢٦

علامات زمن المهدي

في كلِّ موقعٍ وإشارةٍ إلى الظلمِ والفسادِ والجورِ الذي يحيطُ بالأرضِ في آخرِ الزمانِ كان المعصومُ يشيرُ إلى محطةِ المهديِّ كضرورةٍ نهائيةٍ في أمرِ اللهِ تعالى بل في كثيرٍ من الرواياتِ التي تعرّضَ لها أميرُ المؤمنين لبيانِ صورةٍ مختصرةٍ عن الدجالِ أو السفيايِ أو الرومِ أو الظلمِ والجورِ في آخرِ الزمانِ كان يشيرُ إلى المهديِّ الموعودِ من آلِ محمّدٍ ، المسمّى محمّد بن الحسن الذي يقيم في الأرضِ القسطَ والعدلَ ، بل في الروايةِ أنّ أميرَ المؤمنين وقفَ خطيباً فحمد الله عزَّ وجل وأثنى عليه وصلى على محمد وآله ، ثم قال : سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني - ثلاثاً - فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال : يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال ؟ فقال له علي عليه السلام :

... إنّ لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضاً ، كحذو النعل بالنعل ، وإن شئت أنبأتك بها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السلام : احفظ فإن علامة ذلك ، إذا أمت الناس الصلاة ، وأضاعوا الامانة ، واستحلوا الكذب ، وأكلوا الربا ، وأخذوا الرشا ، وشيدوا البنيان ، وباعوا الدين بالدنيا ، واستعملوا السفهاء ، وشاوروا النساء وقطعوا الأرحام واتبعوا الأهواء ، واستخفوا بالدماء وكان الحلم ضعفاً والظلم فخراً ، وكانت الأمراء فجرة ، والوزراء ظلماً والعرفاء خونة والقراء فسقة ، وظهرت شهادة الزور واستعلن الفجور ، وقولُ البهتان ، والإثم والطغيان ،

وحلّيت المصاحف ، وزخرفت المساجد ، وطولت
المنارات ، وأكرمت الاشرار ، وازدحمت الصفوف ،
واختلفت القلوب ونقضت العهود ، واقترب الموعد
وشارك النساء أزواجهن في التجارة حرصاً على الدنيا
وعلت أصوات الفساق واستمع منهم ، وكان زعيم
القوم أردلهم ، وأتقى الفاجر مخافة شره ، وصدق
الكاذب ، وائتمن الخائن . واتخذت القيان والمعازف ،
ولعن آخر هذه الامة أولها ، وركب ذوات الفروج
السروج ، وتشبه النساء بالرجال ، والرجال بالنساء ،
وشهد الشاهد من غير أن يستشهد ، وشهد الآخر
قضاءً لذمامٍ بغير حق عرفه ، وتفقه لغير الدين ، وآثروا
عمل الدنيا على الآخرة ، ولبسوا جلود الضأن على
قلوب الذئاب ، وقلوبهم أتن من الجيف وأمر من الصبر
فعند ذلك الوحا الوحا ، ثم العجل العجل ، خير
المساكن يومئذ بيت المقدس ، وليأتين على الناس زمان
يتمنى أحدهم أنه من سكانه . فقام إليه الاصبغ بن نباتة
فقال : يا أمير المؤمنين من الدجال ؟ فقال : ألا إن
الدجال صائد بن الصيد فالشقي من صدقه ، والسعيد
من كذبه ، يخرج من بلدة يقال لها أصفهان من قرية
تعرف باليهودية ، عينه اليمنى ممسوحة ، والعين
الاخرى في جبهته تضئ كأنها كوكب الصبح فيها علقة
كأنها ممزوجة بالدم ، بين عينيه مكتوب كافر ، يقرؤه

كل كاتب وأمّي ، يخوض البحار وتسير معه الشمس ،
بين يديه جبل من دخان ، وخلفه جبل أبيض يري
الناس أنه طعام ، يخرج حين يخرج في قحط شديد تحته
حمار أقمر ، خطوة حماره ميل ، تطوى له الأرض منهلاً
منهلاً ، لا يمر بماء إلا غارَ إلى يوم القيامة ، ينادي
بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والانس
والشياطين يقول : إلي أوليائي (أنا الذي خلق فسوى
وقدر فهدى ، أنا ربكم الاعلى) وكذبَ عدو الله ،
إنه أعور يطعم الطعام ويمشي في الاسواق ، وإن ربكم
عزَّ وجل ليس بأعور ، ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول ،
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ألا وإن أكثر أتباعه
يومئذ أولاد الزنا ، وأصحاب الطيالة الخضر ، يقتله
الله عزَّ وجل بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث
ساعات مضت من يوم الجمعة ، على يد من يصلي
المسيح عيسى بن مريم عليه السلام خلفه (أي على
يدي المهدي) ألا إن بعد ذلك الطامة الكبرى . قلنا :
وما ذلك يا أمير المؤمنين .. ؟ قال : خروج دابة من
الارض من عند الصفا معها خاتم سليمان بن داود
وعصى موسى عليهم السلام ، يضع الخاتم على وجه
كل مؤمن فينطبع فيه : هذا مؤمن حقاً ، ويضعه على
وجه كل كافر فينكتب هذا كافر حقاً حتى أن المؤمن
لينادي : الويل لك يا كافر ، وأن الكافر ينادي طوبى

لك يا مؤمن ، وددت أنني اليوم كنت مثلك فأفوز فوزاً عظيماً . ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جل جلاله ، وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها ، فعند ذلك ترفع التوبة ، فلا توبة تقبل ، ولا عمل يرفع (ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) ثم قال عليه السلام : لا تسألوني عما يكون بعد هذا ، فإنه عهد عهده إليّ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا أخبر به غير عترتي .. قال النزال بن سبرة : فقلت لصعصعة بن صوحان : يا صعصعة ما عني أمير المؤمنين عليه السلام بهذا ؟ فقال صعصعة : يا ابن سبرة إن الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام هو الثاني عشر من العترة ، التاسع من ولد الحسين بن علي عليه السلام ، وهو الشمس الطالعة من مغربها ، يظهر عند الركن والمقام فيطهر الأرض ، ويضع ميزان العدل ، فلا يظلم أحداً أحداً ..^١

أقول : في هذا النص إشارة دقيقة إلى ظرف بيئة العالم آنذاك الذي يخرج فيه المهدي لإقامة أمر الله ودولة العدل في أرضه تعالى .. فقد أشار إلى مجموعة من صفات أهل ذلك الزمان أفراداً وكيانات وبصورة غالبة وواسعة وقد حدّد لذلك علامات بارزة منها : إماتة الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر

^١كمال الدين : ٢ ص ٥٢٥ - ٥٢٨ ، ٤٧ ص ١

وإضاعة الأمانة بكل ما تعنيه في شقها المعنوي ، وأهم تلك الأمانات الإستخلاف الرباني للبشر على الأرض ، واستحلال الكذب وأكل الربا ، وهو أسوأ كارثة مالية تؤثر اليوم على أكثر من ٤ مليار نسمة من أصل ٦ مليار نسمة وبرقم ربوي سنوي وصل إلى ٣,٥ تريليون دولار في ظلّ عالم يعيش على الرشوة والإبتزاز والإستغلال الوظيفي والمقامرة بكلّ شيء ، وأن من صفات ذلك العالم أن أهله يبيعون الدين بالدنيا ، ويقرون بربوبية العاجلة وينكرون الآخرة ، فيحكم المجتمعات تلك قوم سفهاء ، يرذون موارد الهلاك ، ويعبدون صنم الغريزة بكل ما تشعب له من موقع وجهة ، فيسيرون بالأمم إلى حيث التوحش والعداء ، ونكران الآخر ، والتقاتل على المادّة والإشباع الغريزيّة بكلّ أداة ، يقودهم بذلك إنتقام هائل ، هناك في ذلك الزمن تُقطع الأرحام ، ويتبع الناس الأهواء ، ويستخفون بالدماء ، ويصبح الحلم والعضو ضعفاً ، لأنّ التوحش يصبح أساس المفاضلة والانتماء إلى ذلك الدهر ، وبذلك يصبح الظلم فضيلةً وفخراً ومكرمةً ، في ظلّ أمراء فجرة ووزراء ظلمة وحاشية كفر ، في عالم تكثُر فيه شهادة الزور ويُستعلنُ الفجور ، في مواقع العمل والوظيفة والسياسة والإقتصاد والمال والبورصة والإجتماع وغير ذلك ، فلا ترى إلا ذئاباً يتربصون ببعضهم الإشباع الغريزيّ ولو عبر احتلال البلدان وتدمير المدن وقتل الأمم .. هناك في ذلك الزمن يشيع قولُ البهتان ويحكمُ الإثم والطغيان ، وتعلو " أصواتُ الفساق " في مواقع القرار السياسي والإقتصادي والمالي والدعائي والإجتماعي فيصبحون أرباباً من دون الله ، هناك يكون زعيم القوم أرذلهم ، ويلعنُ آخر هذه الأمة أولها ، وتركبُ ذاتُ الفروج السروج ، وتشبهُ النساء بالرجال ، والرجال بالنساء .. في ظلّ طغيانٍ وحقدٍ وفجورٍ هائلٍ في كلّ شيء فلا ترى إلا ذاماً لله ومنكراً له ، وساخرًا من أمر الآخرة ومواثيق السماء .. في ذلك الزمن تصبح مشورة المرأة

مسموعةً في التعرّي ولبس الثياب الرقاق وتعاطي الفجور والهمس بالحرام وبأكثر من عنوانٍ وجهةٍ ، من نوادي الليل وأغنية الباطل ومصاحبة الرجال والتشبه بهم ودخول محافل الإثم والعدوان إلى الكثير الكثير من تلك المظاهر ، حتى يصبح التعرّي والزنا ومصادقة الرجال والإتجار بالدعارة والحرام ، سوقاً للمرأة تنافسُ فيه الرجال .. ! أي أن العالم يصل إلى مستوى كبير من الباطل المتحكّم مجتمعياً بتلك الأمم ، فلا يجد المؤمن نفسه في ذلك الزمن إلا غريباً منبوذاً كأنه يقبضُ على الشوك والجمر .. وفي روايةٍ ناظرة إلى مشهدٍ محدّد من ذلك الزمن فيها بيانات وعلامات قال أمير المؤمنين (ع) :

.. كأني أنظر إلى قربتكم هذه وقد طبقتها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر ، فقام إليه الاحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ومتى يكون ذلك ؟ فقال : يا أبا بحر إنك لن تدرك ذلك الزمان ، وإن بينك وبينه لقروناً ، ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً وآجامها قصوراً ، فالهرب الهرب ، فإنه لا بصيرة لكم يومئذ ، ثم التفت عن يمينه فقال : كم بينكم وبين الابلّة . فقال له المنذر بن الجارود : فذاك أبي وأمي أربعة فراسخ . قال له صدقت فوالذي بعث محمداً وأكرمه بالنبوة ، وخصه بالرسالة ، وعجّل بروحه إلى الجنة ، لقد سمعت منه كما تسمعون مني أن قال : يا عليّ ، هل علمت أن

بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الابله أربعة فراسخ
وقد يكون في التي تسمى الابله موضع أصحاب العشور
يقتل في ذلك الموضع من أمي سبعون ألفاً ، شهيدهم
يومئذ بمنزلة شهداء بدر ، فقال له المنذر : يا أمير
المؤمنين ومن يقتلهم فذاك أبي وأمي .. ؟ قال : يقتلهم
إخوان الجنّ وهم أجيال كأنهم الشياطين ، سوّد ألوانهم
منتنة أرواحهم شديداً ككَلْبُهُمْ ، قليل سلبهم ، طوبى لمن
قتلهم وطوبى لمن قتلوه ، ينفر لجهادهم في ذلك الزمان
قوم هم أذلة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان ،
مجهولون في الارض ، معروفون في السماء ، تبكي
السماء عليهم وسكانها ، والارض وسكانها ، ثم هملت
عيناه بالبكاء ثم قال : ويحك يا بصرة ، ويلك يا بصرة
من جيش لا رهج له ولا حس . قال له المنذر يا أمير
المؤمنين : وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت ،
وما الويح ، وما الويل ؟ فقال : هما بابان فالويح باب
الرحمة ، والويل باب العذاب ، يا ابن الجارود نعم
ثارات عظيمة منها عصابة يقتل بعضها بعضاً ، ومنها
فتنة تكون بها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك
أموال وقتل رجال وسبي نساء ، يذبحن ذبحاً يا ويل
أمرهن ، حديثٌ عجب ، منها أن يستحل بها الدجال
الأكبر الأعور المسوح العين اليمنى والاخرى كأنها
ممزوجة بالدم ، لكأنها في الحمرة علقه تأتي الحدقة كهيئة

حبة العنب الطافية على الماء ، فيتبعه من أهلها عدة من
قتل بالابلة من الشهداء ، أناجيلهم في صدورهم ، يقتل
من يقتل ، ويهرب من يهرب ، ثم رجف ثم قذف ثم
خسف ثم مسخ ، ثم الجوع الأغبر ثم الموت الأحمر وهو
الفرق . يا منذر إنَّ للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في
الزبر الأول ، لا يعلمها إلا العلماء ، منها الخريبة ومنها
تدمر ، ومنها المؤتفكة ، يا منذر ، والذي فلق الحبة
وبرئ النسمة ، لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات ،
عرصة عرصة ، ومتى تخرب ، ومتى تعمر بعد خرابها إلى
يوم القيامة ، وإنَّ عندي من ذلك علماً جماً ، وإن
تسألوني تجدوني به عالماً لا أخطئ منه علماً ولا وافياً ،
ولقد استودعت علم القرون الأولى وما كائن إلى يوم
القيامة .. فقام إليه رجل وقال : يا أمير المؤمنين ،
أخبرني من أهل الجماعة ، ومن أهل الفرقة ومن أهل
السنة ومن أهل البدعة ؟ فقال : ويحك إذا سألتني فافهم
عني ولا عليك أن لا تسأل أحداً بعدي : أما أهل
الجماعة فأنا ومن اتبعني وإن قلوا ، وذلك الحق عن أمر
الله وأمر رسوله ، وأما أهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن
اتبعني وإن كثروا ، وأما أهل السنة فالمتمسكون بما سنه
الله ورسوله لا العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا^١

^١ شرح فتح البلاغة - ابن ميثم البحراني : ج ١ ، ص ٢٨٩ و ٢٩٠ - مرسل عن علي عليه السلام من خطبة خطبها عليه السلام
بالبصرة بعد ما فتحها روي أنه لما فرغ من حرب أهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة أن الصلاة الجامعة لثلاثة أيام من غد إن

كان الإمام عليّ في مقام الإشارة إلى ذلك الزمن بشكلٍ لافتٍ ودقيقٍ ، حيث يعمّ الجور ويكثر الفساد ويلجأ المتبارون في ذلك الزمن إلى القتال من أجل مصالح لا تعدو كونها إفتراسيّة في طول ذلك العالم .. ومن ضمن الذين يُلاقون العذابَ الأشدَّ أتباعُ آلِ محمّد (ع) في زمنٍ يكثر فيه الخراب والقتل والهرج والمرج ويحمل السفياييّ تحت رايته جنداً كثيفاً من أجل محاربة أهل الحقّ المواليين لآل رسول الله ، سواء في العراق أو خراسان أو الشام وبرّها بل يبعثُ بجندِهِ نحو المدينة حين يعلم بخروج المهديّ في ظلّ توجّهه نهائيّ في جبهته للقضاء على راية آل رسول الله (ص) .. وفضلاً عن كلّ هذا فإنّ جبهة الدجال تمارس أعنف احتكارٍ سوقيّ غذائيّ مائيّ (حروب الماء والغذاء) .. بل في بعض المتون المنقولة نقرأ بالضمن والملازمة شتّى بعض الحروب من أجل إحتكار مائيّ غذائيّ ، كما هي الحال في أكثر من وقعةٍ يقوم بها الدجال والسفياييّ والروم وبأجوج ومأجوج والترك بهدف الإنقضااض على مقوّمات وضرورات الوجود والحاجة في الجبهة الأخرى .. ويلاقي أتباع آل محمّد من هذه الجبهات الكثير الكثير من العذاب والتنكيل والقتل والسبي والعداء الهائل ، فيقتل منهم من يقتل ويهرب من يهرب حتى أنّ السفياييّ يتبعهم إلى مدينة رسول الله (ص) بجيش جرّار كبير من أهل الباطل .. في ذلك العالم يكون كلّ شيءٍ على نحوٍ من توحّشٍ فيقع الرجف ، ثم القذف ، ثم الخسف ، ثم الجوع الأغبر ، ثم الموت الأحمر ، وهو الفرق .. وتكون فتنٌ كبرى ، منها فتنةٌ يكون على أثرها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك

شاء الله ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة فلا يجعلوا على أنفسهم سيلاً فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج صلى في الناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلي فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم خطبها إلى جرحٍ طير في لجة بحر . وتمنّها في ٣ ، ص ١٥ و ١٦ .

أموال وقتل رجال وسبي نساء يذبحن ذبحاً في ظلّ مأساة وحالاتٍ عجاب ، إلى الكثير من العناوين الدموية المتصلة بذلك الزمن .. لقد أكدّ الإمام عليّ أنّ الأرض لا بدّ لها من المهديّ وضرورة ظهوره وأنّ الله تعالى أعدّ المهديّ لإقامة العدل في الأرض ، وأنّ ذلك مقرون بالمهديّ من باب ما أشار الله إليه في المحتوم فإذا جاء أجل المهديّ أذن الله للأرض بالزوال ، ضمن حدود ومفهوم ما أشار إليه النبيّ (ص) من دولة المهديّ وما يتّصل بها من رجعة وغير ذلك .. بل في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال :

الاسلام والسلطان العادل أخوان ، لا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه ، الاسلام أسّ ، والسلطان العادل حارس ، وما لا أسّ له فمنهدم ، وما لا حارس له فضايح ، فلذلك إذا رحل قائمنا ، لم يبق أثر من الاسلام ، وإذا لم يبق أثر من الإسلام لم يبق أثر من الدنيا ..¹

وما تجدر الإشارة له هنا هو أنّ الأخبار استفاضت بالرجعة من طرق أهل البيت (ع) وذلك في عصر المهدي (ع) وبعده أما دابة الأرض المذكورة في الآية الشريفة والنصوص فيظهر أنّها تكون بعد الرجعة وقرب القيامة .. وتشير الروايات إلى أنّ المهديّ حين خروجه لإقامة أمر الله بالقسط والعدل يخرج شاباً ، مؤيداً من الله تعالى ، لا بيعة في عنقه أبداً ، وفي حديث الإمام الحسن بن عليّ قال :

¹ أربعون الخاتون آبادي : ص ٢٠٣ > ٣٥ -

ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالوا : بلى . قال : أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما حرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنه ما منّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه ؟ فإن الله عز وجل يخفي ولادته ، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الاماء ، يطيل الله عمره في غيبته ، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ، وذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير ..^١

وتؤكد النصوص أن زمن المهديّ يكون زمن رخاءٍ وزرقٍ ووفرةٍ وعدالةٍ كبرى في الكشف عن الثروات والأموال وإعادة توزيعها ، إلى درجة ينتفي معها الفقر ، ويمشي دافع الصدقة من جهة إلى جهة في العالم ليفتح عن مستحق لها فلا يجده ، ويطمئن الناس ويستتب الأمن حتى أن المرأة تسير البلدان دون أن يُعتدى عليها ، وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى بسط الأمن وقوته ، وفي ذلك تقوم المودة وينتشر السلام ، وتتفّس الصدور الخير والنعمة إلى أن يشاء الله تعالى ففي الحديث عن الإمام الحسين بن عليّ (ع) قال :

^١ كمال الدين : ج ١ ص ٣١٥ ، ٢٩ ، ٢٠

(يا بشر بن غالب من أحبنا لا يحبنا إلا الله ، جئنا نحن
وهو كهاتين (وقدر بين سبائتيه) ومن أحبنا لا يحبنا إلا للدنيا
فإنه إذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر)^١

إشارة إلى أن زمن المهديّ يكون زمن رخاءٍ ووفرةٍ ونفعٍ وشبه ذلك ..
وفي الحديث عن الإمام الحسن بن عليّ قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام قال لي
ذات يوم وقد رأني فرحاً :

يا حسن أتفرح ؟ كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً ؟
كيف بك إذا ولي هذا الامر بنو أمية وأميرها الرحب البلعوم ،
الواسع الاعفجاج يأكل ولا يشبع ، يموت وليس له في السماء
ناصر ولا في الارض عاذر ، ثم يستولي على غربها وشرقها ،
يدين له العباد ويطول ملكه ، يستن بسنن أهل البدع والضلال
ويميت الحق وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقسم المال
في أهل ولايته ويمنعه من هو أحق به ، ويذل في ملكه المؤمن ،
ويقوى في سلطانه الفاسق ، ويجعل المال بين أنصاره دواً ،
ويتخذ عباد الله حولاً ، يدرس في سلطانه الحق ويظهر الباطل ،
ويقتل من ناواه على الحق ويدين من والاه على الباطل ،
فكذلك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكلب من الدهر ،
وجهل من الناس ، يؤيده الله بملائكته ، ويعصم أنصاره وينصره
بآياته ويظهره على أهل الارض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً ، يملئ

^١ المحاسن : ص ٦١ ، ٨٠ ، ١٠٤

الارض قسطا وعدلا ونورا وبرهانا يدين له عرض البلاد وطولها
لا يبقى كافر إلا آمن به ولا صالح إلا صلح ، وتصطليح في ملكه
السباع ، وتخرج الارض نبتها وتنزل السماء بركتها وتظهر له
الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاما فطوبى لمن أدرك
أيامه وسمع كلامه ..^١

عند ذلك يظهر الإسلام على جميع أديان أهل الدنيا ويكون القائم على
رأس الحكم وتوجيه البشرية آنذاك ..

وتجري في المهدي (ع) سنن من الانبياء (ع) فيقيم أمر الله تعالى .. وفي
الرواية عن سعيد بن جبیر قال سمعت سيد العابدين علي بن الحسين (ع) يقول :

في القائم منا سنن من الانبياء ، سنة من أبينا آدم عليه
السلام ، وسنة من نوح ، وسنة من إبراهيم ، وسنة من موسى
وسنة من عيسى ، وسنة من أيوب ، وسنة من محمد صلوات الله
عليهم . فأما من آدم ونوح فطول العمر ، وأما من إبراهيم
فخفاء الولادة واعتزال الناس ، وأما من موسى فالخوف والغيبة
وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه ، وأما من أيوب فالفرج
بعد البلوى ، وأما من محمد صلى الله عليه وآله فالخروج
بالسيف ..^٢

^١ الاحتجاج : ج ٢ ص ٢٩٠

^٢ كمال الدين : ج ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، ٣١٠ ، ٣٠٠

يُرادُ من هذا التعبير الإشارة إلى أنَّ وظيفة المهديّ التاريخيّة دقيقة ، وهي في منتهى الحاجة والضرورة بالنسبة إلى أهل الأرض ، وقد أعدَّ اللهُ لها المهديّ (ع) ختاماً وجودياً يتوافق مع الوجوديّة الأولى على وجه الأرض ، حيث كانت الأرضُ المحطّة الأولى لآدم ، وشاء اللهُ أن يكون ختامُ الأرض وفق نموذجٍ متصلٍ بعملية النبيين الإصلاحية الجبارة من أمثالِ آدم ونوح وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .. ومن يتصفّح حياة هذا الإمام العظيم يدرك حجم العملية الإصلاحية المرتبطة به ويدرك عظمة الإحاطة التي أولاهُ اللهُ بها وفي الحديث عن سعيد بن جبير قال قال علي بن الحسين سيد العابدين (ع) :

(القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد ، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة ..)^١

ولادة المهديّ والمهمّة الكبرى ضمن سلسلة الأئمة الاثني عشر

لا شك أنّ ولادة المهديّ وظروفها وبيئتها تدلّ على حجم العظمة والتكليف الإلهي به ، لقد وُلِدَ في ظلّ أسوأ بيئة عباسيّة تصرّ على قتله ، وهي على موعدٍ حقيقيّ بالإمام الثاني عشر من آلِ محمد عليهم السلام .. إنّ من يقرأ زمن وأحداث ما جرى على الإمام العسكري بسبب ترقّب ولادة المهديّ يُذهله عظيم الإحاطة الربانية لمولد المهديّ (ع) فقد احتجزَ العباسيون الإمام العسكري في معسكرٍ للجند ، وراقبوا نساءهُ عبر النساء إلى أمدٍ ، لمعرفة أيّ حمل ممكن ، إلى أن يأسوا وقالوا إنّ ابن الهادي عقيم ، لا يلد ، فكانت قصّة حمل نرجس بالمهديّ كقصّة أم موسى مع فرعون ، ولقد ذُهِلَ العباسيون ساعة الصلاة على

^١كمال الدين : ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، ٣١ ، ٦

الإمام العسكريّ من قبل الغلام في حين كانوا قد هيئوا لمنصب الإمامة جعفر الكذاب وهو أخ الإمام العسكري وقد كان متعاوناً معهم ، وإذا بصيّ يبلغ من العمر ٥ سنوات ، نحى عمّه عن الصلاة أمام كلّ الحشود ، وقال : يا عمّ تنحى فأنا أولى منك بالصلاة على أبي ثمّ صلّى على أبيه (ع) ..

كل ذلك في طول سلسلة الأئمة المحدّدين من الله تعالى وبكتب كلّ الأئمة بل في كُتب من سبق كما أشرنا في أوّل الكتاب .. وفي الرواية عن أبي خالد الكابلي قال : دخلت على سيدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فقلت : يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودّتهم وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال :

يا كابليّ إنّ أولى الأمر الذين جعلهم الله عزّ وجلّ أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثمّ الحسن عمّي ، ثمّ الحسين أبي ، ثمّ انتهى الأمر إلينا . ثمّ سكت . فقلت له : يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى على عباده ، فمن الحجة والامام بعدك ؟ قال : إبي محمد واسمه في صحف الأولين باقر ، يقر العلم بقرّاً هو الحجة والامام بعدي ، ومن بعد محمد إبنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق قلت : يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق ، فإنّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر

(جعفر ابن الإمام الهادي) يدّعي الإمامة إجتراءً على الله
وكذباً عليه فهو عند الله (جعفر الكذاب) المفترى على الله
تعالى ، والمدّعي لما ليس له بأهل ، المخالف لأبيه ، والحاسد
لأخيه ، وذلك الذي يروم كشف ستر الله عزّ وجل عند غيبة
ولي الله (المهديّ) ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام بكاءً
شديداً ثم قال : كأني بجعفر الكذاب ، وقد حمل طاغية زمانه
على تفتيش أمر ولي الله ، والمغيب في حفظ الله والتوكيل بحرم
أبيه جهلاً منه برتبته ، وحرصاً منه على قتله إن ظفر به وطمعاً
في ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حق . فقال أبو خالد فقلت : يا
ابن رسول الله وإن ذلك لكائن ، فقال : إي وربي ، إن ذلك
مكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . فقال أبو خالد فقلت : يا
ابن رسول الله ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني
عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة بعده ،
يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين
لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان ، فإن الله تبارك وتعالى
أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم
بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف أولئك المخلصون

حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله عز وجل سرّاً وجهرّاً .
وقال عليه السلام : انتظار الفرج من أعظم الفرج ..^١

في هذا النصّ دلالة فهاثية على المهديّ محمد بن الحسن ذي الصلة الكبرى بمواثيق السماء .. كل النصوص تعطي المهديّ رتبةً من عظمة إستثنائية لما هو عليه من أمرٍ ووظيفةٍ وطُهرٍ وتعيينٍ من الله تعالى ، خاصةً أنّه الشرط الإلهي لعالمٍ جديدٍ ، وزمنٍ مختلفٍ ، وبسطٍ كاملٍ للرسالة ومواثيق الهدى وهو المعدّ لإقامة وتنفيذ وبسط حكم العدالة الإلهية على طول الأرض ، في ظلّ الختام الأهمّ لعالم الإنسان الممتحن في عالم الوجود الأرضي .. وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى ميزة في القائد ، إلى ميزة في مَنْ يقود هذه المهمة الأصب والأكبر ، فكيف هي الحال إذا كان مَنْ يقود هذا الأمر بتنصيبٍ من الله تعالى إصطفاهُ لذلك ؟ أعني بذلك المهديّ حفيد رسول الله من ولد عليّ وفاطمة عبر الحسين الشهيد ، وهو الثاني عشر من الأئمة الذين قال بحقهم رسول الله وباعتراف علماء الإسلام من سنةٍ وشيعةٍ : الأئمة من قريش اثنا عشر ، كلّهم من بني هاشم ..

وعلى القاعدة ، سيكون مؤمناً هذا الزمان ، مؤمناً من طراز عالٍ ، وسيكون المنتظر للغيبة على موعدٍ مع استحقاق كبرويٍّ وأجرٍ عظيمٍ ، وقد قال الإمام زين العابدين :

(من ثبت على مولاتنا في غيبة قائمنا ، أعطاه
الله عز وجل أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد)^٢

^١ مختصر إثبات الرجعة : > ٨ -

^٢ كمال الدين : > ١ ص ٣٢٣ ، ٣١ > ٧

إشارة إلى عظيم الأمر والبلاء والإمتحان ، في ظلّ دعايةٍ دوليّةٍ وثقافةٍ كبرى تحاول أن تدحض حقّ المهديّ بل تنكّر أصل وجوده ، وتعمل جاهدةً لإقامة منظومة بشرية ثقافيةٍ على نحوٍ من مادّة الأرضِ وغريزةٍ أهلها ، وبقطعٍ واضحٍ للصلةِ بعالمِ اللهِ وأفقِ الوجود ..

فإذا حان زمنُ الخروجِ أذن اللهُ له بذلك ، في ظلّ وضعٍ أمنيّ مضطربٍ جدّاً ، بمعنى أنّ الكون السياسي يكون على نحوٍ من حكومة الكبار الذين يتقاسمون النفوذ في العالم ، لكن ما يهّمنا هنا هو الإشارة إلى الوضع الأمني الخطير الذي يكون في مكّة والمدينة حين خروج المهدي (ع) حيث يظهر في بعض الروايات الواردة في ظهوره عليه السلام أنّه بعد أن يخرج يختفي بعد خروج السفيناني ، أي يغيب عن الأنظار ، ثم يخرج للعلن مجدداً ، وهذه إشارة واضحة إلى واقعٍ أمنيّ صعب ..

وفي بعض النصوص إشارة إلى أسماء محدّدة تكون قبل خروج المهديّ كعلامة من العلامات أنقلها كلسان تاريخيٍّ شاهد ، وقد يراد من الأسماء كناية ما وفي ذيلها إشارة أيضاً إلى اختفاء المهديّ عن الأنظار عند خروج السفيناني إلى أن يظهر مجدداً ، وهذا يدلّ على ما أشرتُ إليه من صعوبة البيئة السياسيّة الأمنيّة آنذاك ، فقد روى حدلم بن بشير فقال قلت لعلي بن الحسين صف لي خروج المهدي وعرفني دلائله وعلاماته فقال (ع) :

(يكون قبل خروجه خروجُ رجلٍ يُقالُ له : عوف السلمي بأرض الجزيرة ويكون مأواه بكريت ، وقتله بمسجد دمشق ، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند ، ثم يخرج السفيناني الملعون من

الوادي اليابس ، وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان ، فإذا ظهر السفياي
اختفى المهدي ثم يخرج بعد ذلك) ..^١

نعم في كثيرٍ من النصوصِ أنَّ اللهَ يصلحُ أمرَ المهديِّ بليلاً ، إشارةً إلى
تهيئةِ أسبابِ نصرِهِ بسرعةٍ كبيرةٍ واستثنائيةٍ ، وهذا ما يحصلُ معَ المهديِّ الذي
يخرجُ والسفياي كفرسيَّ رهانٍ ، كلٌّ ينتصرُ على جبهتهِ ، إلى أن يصل الأمرُ إلى
الصراعِ المباشرِ بين جيشِ السفياي وجيشِ المهديِّ ، والذي يقتلُ على أثرِهِ
المهديُّ السفياي ويهزمُ جيشَهُ .. ومنذ تلك اللحظةِ تكشفُ جبهةُ المهديِّ
جبهاتِ العالمِ بنحوٍ غيرِ مسبوقٍ ، فيفتحُ البلادَ ويقصدُ النجفَ (العراق) لما لها
من معنىٍ في حركتهِ من جهةٍ ولما فيها من أثرٍ لآبائِهِ الطاهرينِ ، فيزورُ قبورَ آبائِهِ
(ع) هناك في طولِ جبهةِ العراق ، وتستوقفهُ محطاتٌ مما جرى عليهم .. وفي
بعضِها أنَّ المهديَّ يدخلُ النجفَ برايةِ النبي صلى الله عليه وآله (إشارةً إلى طبيعةِ
الصلةِ بين المهديِّ والرسولِ وجمدهِ الإمامِ عليٍّ عليهم السلام ..) وذلك في طولِ
محنةٍ كبرى تكونُ كقطعِ الليلِ المظلمِ ، لا ينجو فيها إلا من أخذ الله ميثاقه ..
وفي الحديثِ عن الإمامِ زين العابدينِ : كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهرِ
كوفانٍ ، في ثلاثمائةٍ وبضعةِ عشرِ رجلاً ، جبرئيلُ عن يمينه وميكائيلُ عن شماله
وإسرافيلُ أمامه ، معه رايةُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله قد نشرها ، لا يهوي
بها إلى قومٍ إلا أهلَكهم الله عز وجل) ..^٢

^١ غيبة الطوسي : ص ٢٧٠

^٢ أمالي المفيد : ص ٤٥ المجلس ٦ ح ٥

صعوبة آخر الزمن

يظهر من الروايات الكثيرة أن زمن الظهور يكون الأخطر من حيث الإضطراب والعنف والجور والفساد وسيل الدماء ، بل في الحديث عن الإمام الباقر (ع) قال : (يا جابر لا يظهر القائم حتى يشمل الناس بالشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه ويكون قتل بين الكوفة والحيرة ، قتلاهم على سواء ، وينادي مناد من السماء) ..^١

وفي لفظ آخر للإمام الباقر أيضاً قال (ع) : إنا نرجو ما يرجو الناس ، وإنا نرجو لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد سيطول ذلك اليوم حتى يكون ما نرجو هذه الامة ، وقبل ذلك فتنة شرّ فتنة ، يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً ، فمن أدرك ذلك منكم فليثق الله وليحرز دينه ، وليكن من أحلاس بيته) ..^٢

وفي نص إضافي قال الباقر (ع) : يقوم القائم عليه السلام في وتر من السنين : تسع ، واحدة ، ثلاث ، خمس . وقال : إذا اختلفت بنو أمية وذهب ملكهم ، ثم يملك بنو العباس ، فلا يزالون في عنفوان من الملك وغضارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم ، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم ، واختلف أهل المشرق وأهل المغرب ، نعم وأهل القبلة . ويلقى الناس جهد شديد مما يمر بهم من الخوف ، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي مناد من السماء ، فإذا نادى فالنفير

^١ النعماني : ص ٢٧٩ ، ١٤ - ٦٥

^٢ الداني : ص ١٦١ - ١٦٢

النفير (فالنفر النفر) فوالله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبائع الناس بأمر جديد ، وكتاب جديد ، وسلطان جديد من السماء ، أما إنه لا يرد له راية أبداً حتى يموت) ..^١

وكما ترى فإن كل هذه الروايات ناظرة إلى المهديّ كعنوانٍ محرّكٍ للتاريخ ، في ظلّ مسيرة من العناء والإنحراف الذي يمارسه البشر بشكلٍ خطيرٍ قبل الظهور .. كلّ الروايات تشير إلى أنّ ذلك الزمن من الغيبة إلى الظهور يكون فيه الكثير من التمحيص والبلاء والذبذبة والإضطراب ، حتى أنّ المنادي ينادي قد هلك المهديّ أو مات ، وينكر آخرون ، وتهمز أمة ، ويبتلى الشيعةُ بلاءً كبيراً ، حتى قال أبو جعفر الباقر (ع) : هيهات هيهات ، لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا ، يقولها ثلاثاً حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقي الصفو) ..^٢ ويقول أيضاً (ع) : والله لتميزن ، والله لتمحصن ، والله لتغربلن كما يغربل الزوان من القمح) ..^٣

وفي ثالثةٍ يقول (ع) : في أي شيء أنتم ؟ هيهات هيهات ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا ، لا والله ما يكون ما تمدون إليه أعينكم إلا بعد إياس ، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد) ..^٤

^١ النعماني : ص ٢٦٢ ، ١٤ ، ٢٢

^٢ غيبة الطوسي : ص ٢٠٦

^٣ النعماني : ص ٢٠٥ ، ١٢ ، ٨

^٤ الفضل بن شاذان : على ما في سند غيبة الطوسي . * : الكافي : ج ١ ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، ١٤١ ، ٦ -

كلّ النصوص تشير إلى دقة الموقف ، إلى البيئة بخطورتها ، إلى نفوذ الدعاية الباطلة ، إلى الهجمة الصاعقة على فكرة وجود المهديّ في ظلّ عالم يتخذ من الدنيا بما تعنيه من غريزة واستعدادٍ ودفترٍ مادّي مصدرًا للثقافة والقيم لقيادة أمر الجماعة وتنظيم الاجتماع على هذا النحو من المفاهيم بحيث تصبح هوية الوجود منهارة ، رثّة ، مهتزة ، منحرفة ، بالية ، لا يمكن معها التفكير بعالم الفضائل .. وفي لسان مجموعة من الروايات إشارة مشبّعة مكرّرة في الردّ على هذا الواقع ، واقع الأمر الخفيّ ، الذي يتجلّى بدعاية إنكار المهديّ وخروجه بهدف تضليل صدور الناس .. ففي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : إنّما سمي المهدي مهدياً لانه يهدي لأمر خفي ، يهدي ما في صدور الناس ..¹

من هنا ، فإنّ الأمر صعبٌ وعسير في عالم يقوم على نحو إنكارٍ لأي صلة بعالم السماء ، حتى يكون الاحتجاج بقول الله وَوَحْيِهِ وما جاء به النبيّون مدعاةً للإنكار والإستهزاء والسخرية ، وتكون العلمنة أساس الحكم النافذ في الكون السياسي بما تعنيه من " إعلان حرب " على الله ورُسُلِهِ وموآثيقِهِ لصالح تثبيت هوية مادّية غريزيّة حسية قاصرة في عالم الاجتماع ، يكون من نتائجها اللازمة التقاتل والعنف والتوحّش في طول العالم وعرضِهِ ، وهو الذي شاهده من كان قبلنا ويشاهده من يأتي بعدنا حتى ظهور المهديّ (ع) ..

في ذلك الزمن يقلّ علماء الله ، وينحرفُ القراء ، وتُباعُ الأصوات ، وتموت فرائض الله في الأموال ، وتظهر المنكرات ، ويجعلُ الناسُ الدنيا فوق رؤوسِهِمْ ، علامةً منهم على أنّها مرجعُ القرار ومصدر الإلهام الفكري والثقافي

¹دلائل الامامة : ص ٢٤٩

بما تعنيه من مؤشّر غرائزي لا يريد أن يعترف بأي قيد مأخوذ على نحو الأفق المرتبط بعالم التشريع السماوي ، فلا يكون من جرّاء ذلك إلا اللعنة ، اللعنة في المواثيق ، اللعنة في القيم ، اللعنة في المفاهيم ، اللعنة في إدارة الكيانات ، اللعنة في التعدّد الدولي للكيانات السياسيّة وإدارة الأمور بينها على نحو مفترس وتصادمي (وهذا ما عبّرنا عنه في كتابنا أمركة الأمم وصدّام الحضارات بتصادم الحضارات السياسيّة القائمة بطبيعة الحال على نحو كبيرٍ ولازمٍ على تعارض المصالح إلى حدّ التصادم بأكثر من مظهرٍ ووسيلةٍ ، منها الحرب العسكريّة والإقتال) فيبدو العالم وهو يحوض غمار العنف من حربٍ إلى حربٍ ، ومن فتنةٍ إلى فتنةٍ ..

في ذلك الزمن يصبح الدين مجردَ لفظٍ على الألسن بل مصيدةً للدعاية والسوق والإشباع الغريزي حيث تتسلطن قيمُ الشهوات لتكون مفصلاً أساسياً في كتابة فلسفة الوجود وغايات المسيرة البشريّة ، ويصبحُ الحرام مغنماً والزكاة مغرماً ويقلّ الحياء وتكثر مواثيقُ الهوى ويقوم حكمُ الجور ويتعامل الشركاء بالخيانة ويقلّ الوفاء ، ويشيعُ الزنا ، ويتشبهُ الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ويُسلبُ من المرأة قناعُ الحياء ، فتتعري كلُّ تعرّ ، وتبني مدنَ الدعارة ، وتعمل في الهوى والفاحشة ، وتعلنُ في سفورها الحربَ على الله والرسول وكلّ مواثيقِ أئمة الهدى ، وهي مع ذلك تصر على أنّها الأكثر ثقةً وإيماناً وقرباً من الناموس .. ! ويدبّ الكبر في القلوب ، بكلّ ما يعنيه الكبر في السوق والثقافة والإجتماع والمال ، ويقلُّ المعروف ، ويظهر التقاطع والنكراء ، وتنمو الجرائم بشراهةٍ مخيفة ، ويكثرُ طلبُ المدح بالمال ، وتُنفق الأموالُ للغناء والتعرّي والإستثمار الجنسي والدعارة وعروض الأزياء وملكات الجمال وضرب الدفّ والطنبور في باطلٍ وفساد ، ويشتغل الناسُ بالدنيا عن الآخرة ، ويقلّ الورع ، الورع في كلّ شيء ،

في العفة ، في الستر ، في الإمتناع عن الحرام ، في الخوف من الله ، في مراقبة الله ، في النظر إلى الأفق ، في الخشية من الله ، ويكثر الطمع في كل شيء ، الطمع بالمال ، في إشباع الغريزة ، في الإنتقام لها ، في الإنتصار لصنميتها ، وذلك على حساب الإنسان وموآثيقه ، إلى درجة الإتجار ببيع النساء وأعضاء البشر والإحتكار المالي وهو الأسوأ في حين نرى وتحت نظر البشر موت أكثر من ٦٠ مليون نسمة كل عام لأسباب تتعلق بالجوع والوجع والإعتبارات العبيية ، ويعم الهرج والمرج وتقوم أركان الفساد ، هناك يصبح المؤمن ذليلاً والمنافق عزيزاً وتكون المساجد معمورة بالأذان لكن القلوب تكون خالية من الإيمان .. عند ذلك ترى وجوه البشر بوجوه آدمية لكن قلوبهم قلوب شياطين ، ترى كلامهم أحلى من العسل ، لكن قلوبهم أمر من الخنظل فهم ذئاب وعليهم ثياب .. فواعجبا لقوم آهتتهم أموالهم وبطونهم وفروجهم وكرسيهم ، يقوم بهم الأمل فيهبوي بهم في حفرة سحيقة وشرّ مقام قادم ، تطول آمالهم وتقصر آجالهم ، وهم مع ذلك يصرون أنهم الأقرب صلة بناموس الله ، تجارة بتجارة وحرباً بحرب ، وهم عبّاد غريزة ، وشياطين الأرض ورمز أهل الفساد .. !

في ذلك الزمن سيكون المؤمن أكثر أجراً لشدة الصبر والبلاء ، حيث معالم الكون السياسي ستكون على نحو من باطل وجور وإثم وعدوان .. موآثيق وضعية تعادي موآثيق الله وقيم تنكّر لمعالم الرسالات والنبوات ومفاهيم تقوم على نوع من افتراس وعنف وسفك واحتكار واستئثار وتجارة بكل شيء دون أيّ قداسة .. لا شك أن زمن الغيبة هو من أصعب الأمور وأكثرها بلاءً ، في ظلّ عالم كهذا .. من هنا تكون النعمة الربانية على الصابرين بالأجر والتأييد والثواب وفي الحديث عن الإمام الباقر (ع) قال :

(يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم ، فيا طوي للثابتين
على أمرنا في ذلك الزمان ، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم
الباري جل جلاله فيقول : عبادي وإمائي آمنتم بسري وصدقتم بغيبي
فأبشروا بحسن الثواب مني ، فأنتم عبادي وإمائي حقاً . منكم أتقبل ،
وعنكم أعفو ولكم أغفر ، وبكم أسقي عبادي الغيث ، وأدفع عنهم
البلاء ، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي ...)^١

في ذلك الزمن من غيبة الإمام (ع) تصل الأمور إلى حدّ محاربة أمر
المهديّ وفكرته بمستوى عنيفٍ وعنيدٍ وذلك من قبل نافذي الدعاية بمستوياتها
الثقافية والإعلامية والإعدادية للقيم والرأي العالمي ، بل وفق تلك العناوين المتصلة
بصيغة الإنتماء الحضاري إلى مفاتيح الجماعة السياسية ومفاصلها في ظلّ نظامٍ
دوليّ قائمٍ على الجور والفساد آنذاك .. لقد وصف الإمام الباقر تلك الصورة
بكلمةٍ مختصرةٍ فقال (ع) :

(يا أبا الجارود ، إذا دار الفلك ، وقالوا مات
أو هلك (أي الإمام القائم المهدي) وبأي واد سلك
وقال الطالب له أتى يكون ذلك ، وقد بليت عظامه ،
فعند ذلك فارتجوه . وإذا سمعتم به فأتوه ولو حبوا على
الثلج) ..^٢

^١ كمال الدين : ج ١ ص ٣٣٠ ، ٣٢٢ ، ١٥

^٢ النعماني : ص ١٥٤ ، ١٠ ، ١٢

ولقد ثبت أن للمهديّ من آلِ محمد (ع) غيبتين : صغرى وكبرى . وقد مضت الغيبةُ الصغرى ، وها نحن الآن في زمنِ الغيبةِ الكبرى لمولانا المهديّ القائم من آلِ محمد ، وهي تنتهي بإذنِ الله وأمرِهِ بحلولِ موعدِ الخروج ، جعلنا الله من أنصارِهِ وأعوانِهِ والذابينِ عَنْهُ والمستشهِدينِ بين يديه ..

أما عن البلاءِ والمحنةِ والفتنِ ودواعيها وما يتّصلُ بها ، فبطبيعةِ الحالِ كلُّ غيبةٍ فيها محنةٌ وبلاءٌ ، لكنّ الغيبةِ الكبرى هي المحنةُ العظمى ، ويظهر من النصوصِ أنّ الأصنافِ الصعبةِ من البلاءِ والأسى التي تصيبُ العالمَ موجهةٌ إلى الغيبةِ الكبرى ، خاصّةً الزمنِ المتّصلِ بالظهورِ الشريفِ له (ع) .. ففي تلكِ الغيبةِ وما يتّصلُ منها بعالمِ الظهورِ يتبدّى العالمُ على شكلٍ مخيفٍ ومذهلٍ من الجورِ والفسادِ ، سواءً في شقِّ الفسادِ السياسيِّ والثقافيِّ والإقتصاديِّ وما يتّصلُ بجورِ القيمِ ومفاهيمِ الوجودِ وهي الأسوأ .. إليك فقط نموذجٌ بسيطٌ جداً من منظارٍ تقريبيٍّ لبعضِ من مفاسدِ العالمِ التي اجتاحت كونَ الفردِ السياسيِّ الإقتصاديِّ في عصرنا الحاضر من يومِ الغيبةِ الكبرى ، فقد وصلت ديونُ العالمِ الفقيرِ الربويّةِ إلى رقمِ (٣,٥ تريليون دولار أمريكي) في حين يشكّلُ العالمُ الفقيرُ النامي ٨٠ بالمئة من سكّانِ العالمِ لصالحِ قلةٍ ثريّةٍ لا تتجاوز عددَ الأصابعِ وهي تتمركزُ في الناديِ الغنيّ الذي يقوده أقلُّ من ١ في المئة من طبقةِ البرجوازيينِ وأصحابِ الرساميلِ الكبرى والقاطراتِ التي تغزو ثرواتِ العالمِ وتحتكرها .. في حين نعلمُ أنّ الإقتصادَ العالميّ في ناتجِهِ المحليّ العامِ يساوي اليوم ٣٥ تريليون دولار أمريكي ، وسيصل بعد أقلِّ من خمسين عاماً إلى ١٤٠ تريليون دولار أمريكي ، ليس للعالمِ الفقيرِ النامي من هذهِ الحصّةِ إلا أقلُّ من ٧ في المئة .. ! وهو يمثّلُ في تعدادها البشريّ أكثر من ٨٠ في المئة من سكّانِ العالمِ وأكثر من ٩٠ في المئة من الجغرافيا

واليابسة التي تكوّنهُ وأكثر من ٩٢ في المئة من موارد وثروات الأرض .. !
الكارثة أن نعلم أنّ هذه الأمة الكبرى من الفقراء التي تشكّل أكثر من ٨٠ في
المئة من تعداد السكّان عليها ديون بأكثر من ٣,٥ تريليون دولار أمريكي في ظلّ
عجزٍ قاتلٍ بالموازنة السنويّة فوق ٥٠ في المئة إلى ٩٠ بالمئة في العام ، وتحت وطأة
خدمة دين (ربا سنوي) يصل إلى أكثر من ثلث الناتج المحليّ فيها .. ! بل
وصلت نسبة الدين فيها قياساً على الناتج المحليّ إلى حدّ ١٥٠ في المئة و ٢٠٠ في
المئة و ٣٠٠ في المئة .. ! ما يعني كارثة كبرى .. وفي حين نعلم أنّ الغرب
الرأسمالي ينفق على الرفاهية غير الضروريّة ما يصل إلى ٨٠٠ مليار دولار نعلم
بالمقابل أنّ ما يصل إلى ٦٠ مليون نسمة بشريّة تموت كلّ عامٍ بسبب سوء
التغذية والجوع والفقر وأمراض يمكن علاجها .. !

لا شكّ أنّ الأمر كارثة بكلّ المعايير .. إنّ هذا واحد من الأمثلة العمليّة
من معاني الفساد الإقتصادي البنيوي في أصل نظريّة الإجتماع البشري الكياني ..
بالأمس لم يكن يخطرُ على بالٍ أيّ فردٍ من أفراد الكون البشري أن تقدم دولة
مثل بريطانيا على تشريع الإستنساخ لدواعٍ دوائيّة ومخبريّة ، يكون ثمنها الأوّل
قتل أجنّة بشريّة لأنّها ستدمّر الأجنّة عبر أخذ خلايا المنشأ منها ، أو بمعنى آخر :
سيلتهمهم البشر كعقاقير للعلاج يكون مكوّناتها الرئيسي خلايا أجنّة .. ^١ وكما
ترى ، فإنّ هذا الأمر ووفق كلّ المواثيق الطبيعيّة والسماويّة كارثة حقيقيّة ، لم
يستطع معها رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير ولا البرلمان البريطاني التعليل سوى
بالقول : الأمر متروك للتطوّرات ولكلّ فردٍ من الحكومة والبرلمان لأنّ فيه تصادمًا
مع الأخلاقيّات .. ! في ظلّ اعترافٍ بريطانيّ أنّ ذلك حرق عنيف جدًّا لمواثيق

^١ وللوقوف بالتفصيل على الإطار الحقوقي الوضعي والدين السماوي والطبي عليك مراجعة كتابنا (الإستنساخ جدل العصر) ..

حقّ الجنين في الحياة واحترام وجود الآخر ، مهما كان عمره ومدة حياته ،
ومهما كانت صورته وهيئته .. وعلى نفس النموذج من أسى الدنيا نقرأ اليوم أنّ
أكثر من ٥ مليون امرأة تُباع في الأسواق بيعاً من أجل الإستثمار الجنسي في
أسواق الدعارة السريّة ، بل في أوروبا وحدها يجري إستيراد وإدخال أكثر من
مليون امرأة تُباع بيعاً ، في ظلّ إقرارِ أوروبيّ أنّ الرقم هذا غير دقيق ، إنّما هو
فقط الرقم المكشوف .. لقد وصل الأمر إلى حدّ كارثة ، وامتهان خطير ،
وهوان مذلّ بحقّ الإنسان ، إنّ من أسوأ معاني استعباد الإنسان وبشكلٍ فاجعٍ
وغريب الأطوار ، في زمن تردّد فيه أوروبا والولايات المتّحدة وكندا وأستراليا
أنّهم يمثّلون مرجعيّة الحقوق وإعلاناتها في العالم .. وفي تاريخ ٢٢ آب ٢٠٠٢
كلّفت المفوضيّة الأوروبيّة لجنة أمنيّة خاصّة للبحث في وسائل مكافحة تجارة
الرقيق الأبيض لسدّ منافذه ما أمكن ، بعد أن وصلت الأرقام إلى حدّ قياسيّ في
التأثير على أمنِ الواقع الأوروبيّ من جهة وانتشار الأمراض والتي أخطرها الإيدز
من جهةٍ أخرى حيث عمّدت المافيا إلى تهريب ونقل النساء من دول أوروبا
الشرقيّة وأفريقيا وآسيا إلى دول أوروبا الغربيّة بشكلٍ سنويّ منتظمٍ ومتصاعدٍ ..
وقد جاء في تقريرٍ مشتركٍ صادرٍ عن منظّمة الأمن والتعاون في أوروبا وعن
المنظّمة الدوليّة لمساعدة الطفولة (اليونسيف) وعن المفوضيّة الدوليّة لحقوق
الإنسان : إنّ تجارة الرقيق ازدهرت في الآونة الأخيرة عبر نشاط المافيا لنقل النساء
والفتيات من دول أوروبا الشرقيّة إلى غربها ، وأنّ معظم الضحايا من النساء
والفتيات يتحدّرن من : روسيا وأوكرانيا ومولدافيا ورومانيا وبلغاريا .. وقد
أشار التقرير إلى الأمور التالية :

١ . تباع النساء والفتيات بأسعارٍ وسطيةٍ بخمسة آلاف يورو للمرأة الواحدة
وبثمانية آلاف يورو للفتاة الصغير العذراء ..

٢. التزايد كبير وقياسي ، لا حدّ نهائي للرقم من الضحايا والفتيات اللواتي يُعبرن عبر المافيا ، لكن المكشوف حتى الآن ٧٠٠ ألف امرأة سنويًا من الفتيات والنساء البيضاوات من دول شرق أوروبا ، أمّا الفتيات اللواتي يجري تهريبهنّ وبيعهنّ في أسواق أوروبا الغربيّة من آسيا وأفريقيا (الرقيق الأصفر والأسود) يزيد عن ٣٠٠ ألف فتاة وإمرأة سنويًا ، وهذه الفئات يقلّ سعرها عن سعر الرقيق الأبيض .. ما يعني أنّ سوق أوروبا الغربيّة وحدها تستوعب كلّ عام أكثر من مليون امرأة تُباع للعمل في بيوت الدعارة السريّة .. هذا فضلًا عن اللواتي يعملن بصورة شرعيّة تحت نظر القانون ..

٣. يعترف التقرير بأنّ ٣٥ في المئة من عمليّات التهريب يجري تفشيها ، وأنّ ٦٥ في المئة تجري بنجاح ، وهذا يعني أنّ رقم المليون امرأة التي تُباع للدعارة السريّة في أسواق أوروبا الغربيّة غير دقيق ، وأنّ الرقم أزيد من هذا بشكلٍ كبير ..

٤. يشير التقرير إلى قسم من الطرق السريّة المعقّدة التي تسلكها المافيا في إستيراد الفتيات والنساء للعمل في قطاع الدعارة السريّة في أوروبا الغربيّة ويعترف بصعوبة محاربتها بشكلٍ نهائيّ ..

٥. تشكو دول كبيرة وأساسيّة مثل فرنسا وألمانيا والدول الأسكندنافية من الإغراق المخيف للفتيات اللواتي يعملن في الدعارة ويؤثرن بشكلٍ كبيرٍ على طبيعة العلاقة الأسريّة فضلًا عن نسبة الإصابة بفيروس نقص المناعة (الإيدز) ومجموعة من أزماتٍ اجتماعيّة متفشّية ، وعلى سبيل المثال هناك أكثر من ٥٠ ألف فتاة تعمل بطريقةٍ غير شرعيّة في العاصمة باريس إضافة إلى اللواتي يعملن بطريقةٍ شرعيّة وقد وصل الأمر إلى حدّ العمل

على جنبِ الطرقاتِ وبين الأماكِنِ والأزقةِ وفي الشققِ الفخمةِ في ظلِّ نفوذٍ كبيرٍ ومتصاعدٍ لوجودهنَّ وحضورهنَّ ، عبر توجيه كبير وبارز من المافيا هناك ..

٦. تعمل المافيا بطريقةٍ ذكيّةٍ جديدةٍ فهي تعتمد إلى تسجيل أوراق الزواج لفتياتٍ من أوروبا الشرقية أو من آسيا وأفريقيا على أسماء أشخاص ذكور من أوروبا الغربية لقاء أرقامٍ ماليّةٍ ، ومن ثمّ تحوّل الفتيات إلى العمل في مجال الدعارة غير الشرعيّة ..

٧. يقرّ التقرير أنّ ظروف عمل هؤلاء الفتيات صعب للغاية ، فهنّ لا يخضعن إلى نظام الفحص الطّبي ، ولا يتسلّحن بنظام حماية قانونيّة اتّجاه المافيا ولا اتّجاه الزبائن وتجري في حقهنّ أسوأ أساليب الإستغلال الجنسي ولا يُتركن إلا بعد الإصابة بأمراضٍ خطيرة معدية ، مثل الإيدز وشبه ذلك ..

٨. يعترف التقرير بأنّ هذه التجارة (الدعارة السريّة) لها وفرة ماليّة كبيرة وهي تجارة تنافس الكثير من القطاعات ، وبأرقامٍ ماليّةٍ عالية ، ومنذ أكثر من عقد تزدهر بشكلٍ عالٍ جدّاً في ظلّ طلبٍ كبيرٍ متنامٍ ..

٩. تعمل الفتيات في ملاهي ليليّة وفي أماكِنٍ للدعارة وفي المراقص وفي قطاعات ترفيه ، وفي قطاع بيع المخدرات والإستهلاك لها ، وترويج الدعارة ، وتوسيع عمل المطاعم والمراقص والملاهي وغيرها من النادي الليليّة النهاريّة ..

١٠. يذكر أنّ رقم الفتيات اللواتي يُيعن كلّ عام ، تجاوز ٥ مليون امرأة .. في حين أنّ سوق أوروبا الغربيّة والولايات المتّحدة وكندا وأستراليا وباقي الدول الصناعيّة تستوعب هذا الرقم الضخم كلّ عام ..

وكما ترى ، فإن الأمثلة المخزية في هذا العالم كثيرة ، وهي تدلّ على المستوى المهين الذي وصل إليه بنو هذا الإنسان من تيه وإسفاف وهوان واستهتارٍ وتضعُضٍ وتهاوي .. من أسخف تلك الأمثلة أن نعلم أن بيل غيتس يتذرع بأنه حصل على ١١٠ مليار دولار أمريكي وأنه كلّ يوم يحصل على ١٣٥ مليون دولار جرّاء قيمة الملكية الفردية واستغلال الملكية الفكرية وما يتصل بها من قيم حقّ الاختراع والإبتكارٍ وشبه ذلك وأنه غير ملزم بتقديم مساعداتٍ ماليةٍ للعالم الفقير الذي يموت فيه سنويّاً أكثر من ٦٠ مليون نسمة جرّاء الجوع والوجع والفقر المطلق لأنّ الملكية الفردية لا تلزمه بذلك ، كما أن منطق القوانين هو كياني ضمن وحداتٍ سياسية منفصلة ، في حين يعترف بأنه يحتكر أسواق العالم ويرى أنّ الأمر مجرد حظّ تقنيٍ سوقي فاعل .. ! وكأنّ الملكية الفردية لا تفقد جزءاً من قيمتها إذا تعلّق الأمرُ بإنقاذ الموتى والجوعى وذوي الحاجات الضرورية .. في حين نعلم أنّ مساعدة من ١٠٠ مليون دولار وليس من مليار دولار تكفي لسدّ رمق أطفال ٤٨ دولة أفريقيةٍ لمدة ٦ أشهر على الأقلّ .. !

الخطورة الكبرى أن نعلم أنّ أباطرة مال لا يتجاوزون عدد الأصابع من كندا والولايات المتحدة وأستراليا وأوروبا الغربية ينفقون على الميسر والقمار كلّ عام ما يصل إلى ٨ مليار دولار في نفس الوقت الذي نعلم فيه أنّ ٤ من أصل ٥ لا يستفيدون من الطاقة الكهربائية في ريف وضواحي بل وبعض مدن العالم الفقير النامي ، وأنّ هناك ١,٦ مليار شخص و ٢,٤ مليار شخص يستخدمون أشكالاً بدائية للطبخ والتدفئة في ظلّ أسىٍ مذهل .. كلّ العالم شاهد ذلك عبر التقارير التي تعرض على شاشات التلفزة العالمية .. وفي تاريخ ٢٢ آب ٢٠٠٢ حذرت الوكالة الدولية للطاقة من أنّ ١,٤ مليار شخص في العالم لن يتمكنوا من

الإستفادَة من الطاقَة الكهربائيّة في العام ٢٠٣٠ في حين أنّ ٩٠ في المئة من هذا الرقم محروم فعلاً الآن من ذلك .. وقال المدير التنفيذي للوكالة روبرت بريدل : إنّ الوضع خرج عن السيطرة والمشكلة الأساسيّة هي في إيجاد الإستثمارات اللازمة خصوصاً الخاصّة منها .. وأعلن عبر دراسة تحت عنوان (طاقة وفقر) قبيل إنعقاد قمة الأرض في جوهانسبورغ أنّ هناك ١,٦ مليار شخص و ٢,٤ مليار شخص يستخدمون أشكالاً بدائيّة للطبخ والتدفئة ، وأنّه في العام ٢٠٣٠ سيتدبّر ٢,٦ مليار نسمة أمورهم بشكلٍ بدائيّ .. وحسب الدراسة فإنّ ٤ من أصل ٥ لا يستفيدون من الكهرباء ويعيشون في مناطق ريفيّة في البلدان النامية .. وهذا أثر من آثار الفقر الخطير .. وتحتاج الدول النامية إلى ٢٦٠٠ مليار دولار من الإستثمارات في مشاريع كهربائيّة خلال ألس ٣٠ سنة الآتية لضمان حصولها على الطاقَة بشكلٍ كافٍ .. في حين نعلم أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحدها أنفقت في القرن العشرين فقط على التسلّح ما يقرب من (٤٠ تريليون دولار أمريكي) أي أكثر من الناتج العالمي لكل الدول على الإطلاق ، بل أكثر من كلّ الخدمات الماليّة التبادليّة في عامٍ واحدٍ لكلّ دول العالم !

مع الإشارة إلى أنّ العالم النامي في هذا المجال لا يحتاج إلى مساعداتٍ ماديّة ، بل إلى استثمار الأموال في هذه النواحي ، إي إلى إقامة منشآت طاقة للبيع ، لكنّ المستثمرين حسب تقرير ٢٠٠١ يصرون على أنّ الإستثمار في أيّ قطاعٍ سياحيّ يظلّ أمراً مفضلاً بالنسبة لهم ، لأنّه يدرّ أموالاً وفيرة بشكلٍ مضمونٍ ومربحٍ بنسبٍ أكبر .. ! لأنّ الإستثمار السياحي يعتمد على الترفيه والجنس (المومسات ، الدعارة) ومجموعة واسعة من أنواع غريزيّة .. وهذا يعني أنّ واحداً من معاني التضامن المالي البشري وفي عنوانٍ محدّدٍ واستثماري مربح غير

مفضّل لدى البرجوازية العالميّة ، لأنّها تصرّ على قيمة التجارة والاستثمار الجنسي في النابت كلوب ونوادي الليل وبيوت الدعارة السرية والتجارة بسوق النخاسة الجديدة في الرقيق الأبيض والأصفر والأسود وفتح أسواق صفراء من كتب ومجلات وإعلانات دعارة وأفلام إباحيّة ، تحصّل سنويّاً كقطاعٍ ترفيهيّ أكثر من ٢٠ مليار دولار ربح مقطوع ، من دون أيّ قراءةٍ حقيقيّةٍ لمواثيق النوع ومهمات الوجود وغايات الأشياء ، سوى المزيد من الإهتبار أمام عبوديّة صنم الغريزة أكثر فأكثر ..

وعلى العادة : نقرأ أنّ هناك ما يصل إلى مليار فقير يعيشون في فقرٍ مطلقٍ ، في حين تصرّ الفاو على أنّ الرقم نزل إلى ٧٧٧ مليون فقير فقراً مطلقاً وهو رقم كل أهل الدنيا يعرفون أنّه غير صحيح .. وأنّ هناك ما يصل إلى ٣ مليارات نسمة يعيشون يومياً على أقلّ من دولارٍ وأقلّ من دولارين من أصل ٦ مليار نسمة .. بل في الولايات المتّحدة الأمريكيّة صاحبة أكبر احتكار عالمي للإقتصاد يوجد ٣٢ مليون نسمة يعيشون على أقلّ من ٩ دولار يومياً ، أي أقلّ من ٣٠٠ دولار أمريكي هي لا تكفي لإستئجار منزل .. ! في ظلّ كلف سلعيّة كبيرة ، وتضخّم سلعي واضح يحتاج على الأقلّ هناك إلى مضاعفة هذا الرقم ٣ إلى ٤ مرات لإمكانيّة العيش والانتماء إلى قيم السوق المعيشيّة وبحدّ عادي .. نعم الدول الفقيرة النامية في هذا العالم هي التي تعيش الفقر حيث يوجد فيها ما يصل إلى ٣ مليار نسمة يصنفون فقراء بشكلٍ واضحٍ وعلني ، وهذا يعني أنّ الفقر سيظلّ السمة الرئيسيّة للعالم هذا .. كلّ ذلك في نفس الوقت الذي نقرأ فيه أنّ سوق الولايات المتّحدة تحتوي على قيمة ماليّة للشركات المدرجة في البورصة تصل إلى ٢٠ تريليون دولار أمريكي في ظلّ ارباحٍ تعتبر البنية الرئيسيّة

لقيادة الإقتصاد العالمي ، ومع ذلك يصرّ جورج بوش الابن خلفاً عن سلف أن الولايات المتحدة لا يمكنها الدخول في نادي مساعدات للدول الفقيرة لأنّ عليها واجبات عالميّة في حفظ الأمن العالمي وقيادته .. ! بهذا النحو وبغيره من العناوين خاصّة تلك التي تتعلّق بنظرية الوجود والأخلاق والإشباع الغريزي يبدو زمن الغيبة للمهديّ (ع) صعباً وعسيراً على أتباعه وغيرهم ، لأنّ العالم يمارس أنواعاً من الإنتحار الخطير في القيم والمفاهيم وفي ميادين كبرى مع الطبيعة والوجود وقيادة الإجتماع والنظر إلى البشر وغايات الخلق وموازن تماسكه .. فقط يمكن للإنسان الإطلاع على واحدٍ من العناوين الخطيرة جرّاء السلوك البشري اتّجاه الكوكب الأرضي وما صارَ عليه من مرضٍ وقرمٍ وشيخوخةٍ بسبب الإستغلال البشري الخاطيء لمجموعة من عناوين إقتصاديّة ومناحيّة تفتيشاً عن الثروة دون معايير آمنة ليرى الفساد المخيف في سلوك البشر .. ها هم العلماء اليوم في العام ٢٠٠٢ يصرّون على أنّ تغيّرات المناخ تعتبر من المسائل الملحة والضروريّة جدّاً وذلك بعد موجة الفيضانات الكبرى والمذهلة في شهر آب ٢٠٠٢ والتي اجتاحت دول أوروبا وآسيا وهدّدت الصين بكارثةٍ كبرى ... لقد نزلت جيوش أوروبا على الأرض وبشكلٍ مأساويٍّ بسبب الفيضانات الكبرى التي كادت أن تغرق أجزاءً واسعة من أوروبا تحت المياه .. وتشير الأرقام إلى أنّ معدّل ثاني أكسيد الكربون إرتفع في الجوّ من ٢٨٠ إلى ٣٦٠ جزءاً في المليون في غضون ١٥ سنة ويتوقّع أن يبلغ ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ جزءاً في المليون عام ٢١٠٠ ما سيؤدّي إلى ارتفاع في معدّل الحرارة يتراوح بين ١,٥ و ٥,٨ درجات .. وهذا يعني كارثة حقيقيّة في أكثر من اتجاه وعنوان بيئي ومناخي وبشري .. إنّ هذا واحد من أمثلة جحود الإنسان للنعمة الإلهيّة ، واحد من معاني الجور والفساد الإقتصادي ، البيئي ، السياسي ، لأنّ طبيعة الحكم سياسيّة ومن منظارٍ معلّمٍ ..

ثم من معاني الجور والفساد المتوحش أن نعلم أن هناك طائفة كبيرة من البشر لديها مشكلة كبرى وقاتلة في الحصول على المياه حيث يُحرم حوالي ١,١ مليار نسمة من مياه الشرب ، ويفتقر ٤,٢ مليار نسمة لشبكات صرف صحي مناسبة ، وينخفض مستوى حقول المياه الجوفية في الهند والصين وآسيا الغربية والشرق الأوسط والإتحاد السوفياتي سابقاً بشكلٍ مخيف ، كما أن نصف أهر العالم تعاني من التلوث بسبب نشاطات بشرية ملوثة .. من معاني الفساد البشري الموثقي القيمي أن نعلم أن كوكب الأرض يعاني من كارثة حقيقية بسبب السلوك البشري الصناعي التلويثي خاصة أن طبقة الأوزون المثقوبة ووفقاً لما أعلنت منظمة الصحة العالمية ما زالت تتآكل سنوياً وبشكلٍ متزايدٍ وهي التي تحمي الأرض من الإشعاع الشمسي الخطير ، وأن هذا الثقب الذي بدأ في القطب الجنوبي ما زال يتسع في ظلّ خطورة واضحة ومثيرة ، فقد تراجعت طبقة الأوزون التي تغلف الأرض وتحميها من الإشعاعات ما فوق البنفسجية المنبعثة من الشمس وذلك بفعل مواد " الكلوروفلوروكربون " المستخدمة في بعض المنتجات الصناعية وقد بلغ الثقب في طبقة الأوزون مساحة قياسية حيث تبلغ مساحته ٣٠ مليون كيلومتر مربع فوق القطب الجنوبي في تشرين الأول من العام ٢٠٠١ وما زال يتسع في ظلّ إصرار أمريكيّ على الإمتناع من الدخول في معاهدة كيوتو للحدّ من الانبعاثات الضارة بطبقة الأوزون ، وتعتبر الدول الصناعية المسؤول الرئيسيّ عمّا حلّ بطبقة الأوزون بسبب الغازات المنبعثة من صناعتها ، ويصرّ الرئيس جورج بوش الابن على أنه لا يمكنه أن يحدّ من طاقة الإنتاج الصناعي الأمريكيّ عبر مقاييس بيئية ، وأنه يفضلّ الإبقاء على إقتصاد أمريكيّ قويّ وعالميّ دون أيّ كلفٍ زائدة ، ودون معايير بيئية تلزمه بها معاهدة كيوتو .. في حين أعلن كوكب الأرض مريضاً أوائل التسعينات من القرن العشرين ..

من مآسي القيم الوجودية في دنيا البشر التي تُقاد تحت نظر ومفاهيم
وضعية في ظل ذهنية إفتراس أممي وكيانات متصارعة متصادمة أن نعلم أنه قبيل
قمة الأرض في جوهانسبورغ الأفريقية التي انعقدت برعاية الأمم المتحدة أعلنت
أرقام لمؤسسات ومنظمات دولية وعالمية تشير إلى أنه من بين ٨٠٠ مليون فقير
فقراً مطلقاً يوجد بينهم أكثر من ١٥٠ مليون طفل في حالة خطيرة جداً وكلهم
في الدول النامية والفقيرة .. وتجدد الإشارة إلى أن عدد سكان العالم اليوم هو
٦,١ مليار نسمة في حين أن أقل من ٣ في المئة من عدد سكانهم هم من دول
العالم الصناعي ومن طبقتهم المالكة يسيطرون على أكثر من ٦٨ في المئة من ثروات
العالم وبضميمة باقي رجال الأعمال الأقل ثروة في الغرب الصناعي تصل النسبة
إلى أكثر من ٨٥ في المئة من السيطرة على ثروات العالم .. في حين نعلم أن العالم
مقبل على زيادة واضحة في التوالد الطبيعي تصل إلى ٩,٣ مليار نسمة في العام
٢٠٥٠ وهو موعد قريب جداً كما ترى ، وهذا يعني أن غالب العالم بدوله
وسكانه سيكونون أسرى مجموعة من أثرياء العالم الصناعي تعدد على الأصابع ..

من البلاء الخطير في هذا الزمن وما يأتي بعده أن نعلم بالنسبة إلى
التفاوت الاجتماعي والفقير والإستغلال المسرف لثروات الأرض أن هناك ١٥ في
المئة فقط من سكان الدول الأكثر ثراءً في العالم يملكون ما يصل إلى ٨٥ في المئة
من الثروات العالمية وبشكل تراكمي واحتكاري دون ضابطة عالمية ، والأخطر
من ذلك أن نعلم أن استغلال الثروات الطبيعية يتعدى معدل ٢٠ في المئة كل عام
قدرة الأرض على تجديدها ..

لا شك أنه الظلم العالمي المنفلش في اتجاهات عديدة ، وضمن حدود
ومعايير تعيش على الإستنزاف والعنف والتوحش ، وعلى حدّ تعبير هوبز في

وصف الوحشيّة التنافسيّة بين البشر قال : (حرب الجميع ضدّ الجميع ..) دون أيّ عناوين كبرى ذات ترشيد بشري أو طبيعي أو كوني أو فقه وجودي أو ثقافة أنسنة .. من هنا ، فإنّ نموذج الدجال هو إحدى الصور الإحتكاريّة للسوق والماء والغذاء وشبه ذلك ، فضلاً عن السفياي وجبهة الروم والترك وغيرهم من ذوي الألوية التي تعتمد روح الغريزة النمطيّة كما في عالمنا اليوم كأساس بنيوي لا يعترف بوثيقة السماء دفتراً وجودياً لقيادة الإجتماع البشري العالمي ..

كثيرة هي الروايات التي تمتدح الصابرين في عصر غيبة المهديّ ، غير المنخرطين في الباطل ، غير الموالين للظلم وقادته ، المواظبين على قراءة الوجود من أفق الله وموائق السماء ، لأنّ في زمن الغيبة الكثير من أنواع البلاء ، بل في الرواية عن الإمام الباقر (ع) قال :

إن للقائم غيبة ، ويجحده أهله ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه) ..^١

يظهر من هذا النصّ أنّ محاربة فكرة المهديّ الحقّة في عصر الغيبة تصل إلى مستوى يُمنع فيها أتباع المهديّ ومحبّوه حتى من حظوظ الدنيا بحلالها في أكثر من وجهٍ وعنوان منه الحصول على الغذاء والمال الحلال ... وهذا يعني أنّ أمر البلاء العظيم .. وفي نصّ آخر قال (ع) : إن للقائم غيبتين يقال له في إحداهما هلك ولا يدري في أي واد سلك) ..^٢ (كإعلان عنيف مهمته إسقاط أيّ صلة بعالم السماء ، لترك الغريزة كي تتوحّش بشكلٍ كامل ..) .

^١العمان : ص ١٧٦ ، ١٠ - ١٨

^٢العمان : ص ١٧٣ ، ١٠ - ٨

كلّ ذلك يتمّ في ظلّ " عالمٍ سياسيّ " وألويةٍ وضعيّةٍ معلّمةٍ ، تصرّ على ضرورة بتر أيّ مدلولٍ للسماءِ في كتابة وثيقة أهل الأرض ، مقابل إصرارها على وضعيّة الثقافة الكيانيّة المتصارعة على كلّ شيءٍ .. الروايات تشير إلى كارثةٍ حقيقيّةٍ على مستوى أمن الوجود ، الوجود في وثيقته الاجتماعيّة ، ووجهه الكوني ، في معايير النظر إلى الإنسان نفسه ، في طبيعة العالم المنظوم بدقّة وموازن استنطاق الأشياء .. النبيّ (ص) يشير إلى حروبٍ وقتلٍ وسفكٍ واحتكارٍ سوقيّ وهوانٍ بشريّ مثير ، كلّ ذلك يحصل في عصر الغيبة .. بل في الرواية عن الإمام الباقر (ع) قال :

لقائم آل محمد غيبتان ، إحداهما أطول من الأخرى ؟
فقال : نعم ، ولا يكون ذلك حتى يختلف سيف بني فلان ،
وتضيق الحلقة ، ويظهر السفياي ، ويشتد البلاء ، ويشمل الناس
موت وقتل يلجئون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه
وآله) ..^١

وفي لفظٍ تفصيليّ آخر قال الإمام الباقر (ع) :

يا محمد بن مسلم ، إنّ في القائم من آل محمد صلى الله
عليه وآله ، شبهاً من خمسة من الرسل : يونس بن متى ويوسف
بن يعقوب وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم . فأما
شبهه من يونس بن متى ، فرجوعه من غيبته وهو شاب بعد

^١ كتاب المشيخة : الحسن بن محبوب : - على ما في إعلام الوري ، ومختصر بصائر الدرجات . * : النعماني : ص ١٧٢ - ١٧٣ ،

كبر السن . وأما شبهه من يوسف بن يعقوب عليهما السلام فالغيبة عن خاصته وعامته ، واختفاؤه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته . وأما شبهه من موسى عليه السلام فداوم خوفه وطول غيبته ، وخفاء ولادته وتعب شيعة من بعده مما لقوا من الأذى والهوان ، إلى أن أذن الله عز وجل في ظهوره ونصره وأيده على عدوه . وأما شبهه من عيسى عليه السلام فاختلف من اختلف فيه ، حتى قالت طائفة منهم ما ولد ، وقالت طائفة مات وقالت طائفة قتل وصلب . وأما شبهه من جده المصطفى صلى الله عليه وآله ، فخروجه بالسيف وقتله أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله ، والجبارين والطواغيت ، وأنه يُنصر بالسيف والرعب ، وأنه لا تُردُّ له راية . وإنَّ من علامات خروجه : خروج السفيناني من الشام ، وخروج اليماني وصيحة من السماء في شهر رمضان ، ومنادياً ينادي من السماء باسمه واسم أبيه ..)

يُورِّخُ النصَّ مجموعةً من عناوين متصلة بالمهديّ ، منها الظلم والحيف العالمي الذي يطال الإنسان في كونٍ تسيطرُ فيه أولوية وكيانات تتصادم بشكلٍ عنيفٍ حتى مع أدنى معالم وقيم الإنسان وغاياته الوجودية .. وتشير طائفة أخرى من الروايات إلى أن المهديّ يخرجُ ، ومعه مواريثُ رسولِ الله ، وكنتُ قد أشرتُ فيما سبق إلى أن المهديّ إنما يخرجُ ليقمَّ حكمَ الله وموآثيقَ الكتاب ، الذي جاء

به رسولُ اللهِ ، فميت ما أمات اللهُ ، ويُحيي ما أحيا اللهُ تعالى فلا يدع باطلاً يتسلل إلى مواطنِ الحكمِ وموائقِ الاجتماعِ .. وفي غيرها من الروايات يشيرُ الإمامُ الباقر (ع) إلى أنَّ مع المهديِّ عهداً من رسولِ اللهِ (ص) .. وفيه :

(إذا خسف بجيش السفياي ، والقائم يومئذ بمكة عند الكعبة مستجيراً بها يقول : أنا ولي الله ، فيبايعونه بين الركن والمقام .. ومعه عهد من رسول الله (ص) ، قد تواترت عليه الآباء ، فإن أشكل عليهم من ذلك الشيء فإن الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه) ..^١

ثمَّ هناك روايات تشير إلى معانٍ أخرى ، من رموزِ لها أثر وتاريخ وظيفي ووجه متصل بعالم البعثة النبويَّة المستمرَّة منذ يومِ آدم إلى فجرِ النورِ الخاتمِ لمحمد (ص) .. منها ما روي عن الإمامِ الباقرِ (ع) أن مع المهديِّ عليه السلام عصا موسى (ع) ، وإنها لتنطق إذا استنطقت ، أُعدت لقائنا ليصنع كما كان موسى يصنع بها ، وإنها لتروع وتلقف .. لا شكَّ أنَّ هذه الإشارةَ وظيفيَّة ، لها اتصال دقيق بما عليه معالمُ الإرادة والتأييد الربَّاني بالنصرِ وهيئة الأسباب للمهديِّ ، سواء بنحوٍ من وظيفة عصا موسى أو إشارة إلى ما يشبهها من تطويع الناموس .. ومن أمثلة تلك النصوص ما روي عن الإمامِ الباقرِ (ع) أن مع المهديِّ حجر موسى بن عمران (ع) بقوله :

(إذا قام القائم بمكة وأراد أن يتوجه إلى الكوفة نادى مناديه ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شراباً ،

^١ البحار . * : البحار : ٥٢ ص ٣٠٥ ، ٢٦ ، ٧٨

ويحمل حجر موسى بن عمران وهو وفر بعير ، ولا
ينزل منزلاً إلا انبعث عين منه ، فمن كان جائعاً
شبع ، ومن كان ظمآنًا روى ، فهو زادهم حتى
ينزلوا النجف من ظهر الكوفة) ..^١

الأمر يدور هنا بين الإشارة إلى واحدة من الإثنين :

١. إما إلى الإعجاز ودور الولاية التكوينية وسلطنة المهديّ على النواميس الكونية ، وهذا ما نستفيدُهُ من ظاهر النصّ ..
٢. أو إلى الإشارة الرمزية بحجر موسى إلى أنّ المهديّ (ع) يكون على قدرٍ عاليةٍ من تأمين الموارد الضرورية لجهته من الماء والغذاء وما يتّصل بمجموع هذه الحاجة .. وهذا يعني أنّه يكون على موقعٍ مهمٍّ من السيطرة على سوق هذه المواد ...

ومع كلّ هذا يجب أن لا يغيب عن ذهننا أنّ للمهديّ (ع) كما لباقي بعثة الله من نبيين أو أئمة سلطةً تكوينيةً على النواميس ، تتصل بدوره ووظيفته الوجودية التاريخية ، ذات البعد المرتكز على نشر دين الله وبسطه على كامل المعمورة وإقامة حكم العدالة الإلهية ، كختام وجوديٍّ لمرحلة البشر فوق أفق هذه المعمورة الدنيوية ، التي طالما ظلم الإنسان فيها واضطهد بني جنسه لما رب بعيدة كلّ البعد عن موثيق الوجود و نواميس الأشياء ومسيرته الكبرى ..

وتشير طائفة من النصوص إلى معلّمٍ آخر من معاني الخطاب الأكثر دقّة في عالم الله تعالى كوثيقة إستيفاء وفق النموذج التكويني والإقرار الوجودي وما

^١ بصائر الدرجات : ص ١٨٨ ، ٤٠ - ٥٤

يَتَّصِلُ بِهِ فِي قَرَارَةٍ كُلِّ ذَاتٍ .. فِي الْحَدِيثِ عَنْ حَمْرَانَ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ مَعَانِي الْإِقْرَارِ الْوُجُودِيِّ بِاللَّهِ وَسُلْسَلَةِ الْمَبْعُوثِينَ إِلَى الْأَرْضِ
أَشَارَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ فِي عَالَمِ الذَّرِّ قَالَ (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى
شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) .. إِلَى أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ
لِلْمَهْدِيِّ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : وَأَنَّ الْمَهْدِيَّ أَنْتَصَرَ بِهِ لِدِينِي ، وَأَظْهَرَ بِهِ دَوْلَتِي ، وَأَنْتَقَمَ
بِهِ مِنْ أَعْدَائِي ، وَأَعْبَدَ بِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا ؟ قَالُوا : أَقْرَرْنَا وَشَهِدْنَا يَا رَبِّ .. ١ .
النَّصُّ طَوِيلٌ ، وَفِيهِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمِيثَاقَ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ عَلَى قَسْمَيْنِ : مِيثَاقَ مِنَ
النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَمَا يَتَّصِلُ بِأَوْلِيَائِهِ وَأَوْصِيَاءِهِ وَالَّذِينَ
يَكُونُ خَاتَمَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ (ع) وَالْمِيثَاقَ الثَّانِي هُوَ لِلْبَشَرِ مُطْلَقًا حَيْثُ يَقْرَءُونَ
وَبشَكْلِ مُطْلَقٍ بِاللَّهِ وَرَبُّوِيَّتِهِ .. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّ الْمَوْلُودَ يُولَدُ عَلَى
الْفِطْرَةِ ..

الآيات والعلامات قبل الظهور الشريف

تَتَّفَقُ النُّصُوصُ أَنَّهُ إِذَا تَمَّ أَمْرُ الْغَيْبَةِ كُلُّهُ حَلَّ مَحَلُّهُ مَوْعِدُ الظُّهُورِ ،
وَالظُّهُورِ عِلَامَاتٌ وَآيَاتٌ طَبِيعِيَّةٌ وَغَيْرُ طَبِيعِيَّةٍ لَهَا مَدَلُولٌ وَوُضُفِيَّةٌ تُشِيرُ إِلَى حُلُولِ
مَوْعِدِ الْمَهْمَةِ الْكُبْرَى .. مِنْهَا ، أَنَّهُ يَحْصُلُ خَسُوفٌ لِلْقَمَرِ وَكُسُوفٌ لِلشَّمْسِ
بشَكْلِ إِسْتِثْنَائِيٍّ كَعِلَامَةٍ مِنْ عِلَامَاتِ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ (ع) بِمَعْنَى أَنَّهُ يَخْتَلِفُ
وَحِسَابُ أَهْلِ النُّجُومِ ، فَلَا يَكُونُ عَلَى نَحْوِ الْمَعْتَادِ ، بَلْ يَكُونُ لَوْضِعِ إِسْتِثْنَائِيٍّ ،
وَلَا شَكَّ أَنَّ ظُهُورَ الْمَهْدِيِّ (ع) هُوَ فِي رَتْبَةٍ أَعْلَى الْمَعَالِمِ الْإِسْتِثْنَائِيَّةِ الْكُبْرَى بِالنَّظَرِ
إِلَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْعَالَمُ قَبْلَ الظُّهُورِ مِنْ فِسَادٍ وَبَاطِلٍ وَانْحِرَافٍ هَائِلٍ ، حَيْثُ

١ بصائر الدرجات : ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢

سيغير مجرى التاريخ ويقيم حكومة الله بأهلي موثيقها .. وفي الرواية عن أبي جعفر (ع) في خصوص علامات ظهوره عليه السلام قال : إن بين يدي هذا الامر انكساف القمر لخمس تبقى ، والشمس لخمس عشرة ، وذلك في شهر رمضان ، وعنده يسقط حساب المنجمين ..^١

وللدلالة على الوضع الإستثنائي قال الإمام الباقر (ع) : آيتان تكونان قبل قيام القائم عليه السلام ، لم تكونا منذ هبط آدم إلى الارض : تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان ، والقمر في آخره . فقال رجل : يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف .. ! فقال أبو جعفر عليه السلام : إني أعلم ما تقول ، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام ..^٢

ومن العلامات غير العادية أيضاً ، ما يتصل بمظاهر لها صلة بالسلوك البشري ، منها على سبيل المثال ما رواه أبو بصير عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي (ع) أنه قال :

إذا رأيتم ناراً من قبل المشرق شبه الهردي العظيم ، تطلع ثلاثة أيام أو سبعة ، فتوقعوا فرج آل محمد عليهم السلام إن شاء الله عز وجل ، إن الله عزيز حكيم .. ثم قال : الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان ، لأن شهر رمضان شهر الله (الصيحة فيه)

^١ النعماني : ص ٢٧١ ، ١٤ ، ٤٦

^٢ غيبة الطوسي

هي صيحة جبرئيل عليه السلام إلى هذا الخلق .. ثم قال عليه السلام : ينادي منادٍ من السماء باسم القائم عليه السلام فيسمع من بالشرق ومن بالمغرب ، لا يبقى راقداً إلا استيقظ ، ولا قائماً إلا قعد ، ولا قاعداً إلا قام على رجله فزعاً من ذلك الصوت ، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب ، فإنَّ الصوتَ الأول هو صوت جبرئيل الروح الامين عليه السلام . ثم قال (ع) : يكون الصوت في شهر رمضان في ليلة الجمعة ليلة ثلاث وعشرين ، فلا تشكُّوا في ذلك ، واسمعوا وأطيعوا ، وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس ، ينادي ألا إنَّ فلاناً قُتِلَ مظلوماً ، ليشكك الناس ويفتنهم ، فكم في ذلك اليوم من شاكٍّ متحير قد هوى في النار ، فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكوا فيه ، إنه صوت جبرئيل ، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه حتى تسمعه العذراء في حدرها ، فتحرّض أباهما وأخاهما على الخروج . وقال : لا بد من هذين الصوتين قبل خروج القائم عليه السلام : صوت من السماء وهو صوت جبرئيل (باسم صاحب هذا الامر واسم أبيه) والصوت الثاني من الارض ، وهو صوت إبليس اللعين ينادي باسم فلان أنه قتل مظلوماً ، يريد بذلك الفتنة ، فاتبعوا الصوت الأول ، وإياكم والأخير أن تفتنوا به . وقال عليه السلام : لا يقوم القائم عليه السلام إلا على

خوفٍ شديدٍ من الناس ، وزلازل وفتنة وبلاء يصيب
الناس ، وطاعون قبل ذلك ، وسيف قاطع بين العرب ،
واختلاف شديد في الناس وتشتت في دينهم ، وتغير من
حالهم حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً من عظم
ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضاً ، فخروجه
إذا خرج عند اليأس والقنوط من أن يروا فرجاً ، فيا
طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره ، والويل كلّ الويل
لمن ناواه وخالفه ، وخالف أمره ، وكان من أعدائه .
وقال عليه السلام : إذا خرجَ يقوم بأمرٍ جديدٍ ،
وكتابٍ جديدٍ ، وسنة جديدة ، وقضاء جديد على
العرب شديد . وليس شأنه إلا القتل ، لا يستبقي أحداً
ولا تأخذه في الله لومة لائم . ثم قال عليه السلام : إذا
اختلف بنو فلان فيما بينهم ، فعند ذلك فانتظروا الفرج
وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان ، فإذا اختلفوا
فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم عليه
السلام ، إنَّ الله يفعل ما يشاء ، ولن يخرج القائم ولا
تروا ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم ، فإذا
كان ذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة ، وخرج
السفياي . وقال : لا بد لبني فلان من أن يملكوا ، فإذا
ملكوا ، ثم اختلفوا ، تفرق ملكهم وتشتت أمرهم ،
حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياي ، هذا من المشرق
وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان ،

هذا من هنا وهذا من هنا حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما ، أما إنهم لا ييقون منهم أحداً . ثم قال عليه السلام : خروج السفياي واليماني والخراساني في سنة واحدة ، في شهر واحد ، في يوم واحد نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً ، فيكون البأس من كل وجه ويل لمن ناوهم ، وليس في الرايات راية أهدي من راية اليماني ، هي راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم ، وإذا خرج اليماني فانهض إليه فإن رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم . ثم قال لي : إن ذهاب ملك بني فلان كقصع الفخار ، وكرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساه عنها فانكسرت فقال حين سقطت : هاه شبه الفرع . فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابه . وقال أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة : إن الله عز وجل ذكره قدر فيما قدر وقضى وحتم بأنه كائن لا بد منه أنه يأخذ بني أمية بالسيف جهرة ، وأنه يأخذ بني فلان بغتة . وقال عليه السلام : لا بد من رحي تطحن ، فإذا قامت على قطبها ، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبداً عنيفاً خاملاً أصله ، يكون النصر معه ، أصحابه الطويلة

شعورهم ، أصحاب السبال ، سود ثيابهم ، أصحاب
رايات سود ، ويل لمن ناواهم ، يقتلونهم هرجاً ، والله
لكأني أنظر إليهم وإلى أفعالهم وما يلقي الفجار منهم
والاعراب الجفأة ، يسلطهم الله عليهم بلا رحمة ،
فيقتلونهم هرجاً على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية
والبحرية جزاء بما عملوا وما ربك بظلام للعبيد^١

إنّ هذا النصّ يشير إلى الأمور التالية :

- لا بدّ من ظهور " نار عظيمة " من قبل المشرق ، تطلع ثلاثة أيام أو
سبعة .. أمّا ماذا عن سببها ؟ حرب أم قتال أم عنف واسع ؟ إنقلاب أم
هجوم خارجي .. ؟ النصّ لا يشير إلى ذلك .. ويظهر من النصّ أنّ هذه
النار تكون على نحو تدلّ بنفسها على نفسها ، فإذا كان ذلك كذلك
توقعوا فرج آل محمد ..

- لا بدّ من الصيحة ، وهي لا تكون إلا في شهر رمضان .. وهي صيحة
جبرائيل عليه السلام إلى هذا الخلق ينادي من السماء باسم القائم (ع)
فيسمعه أهل المشرق وأهل المغرب ، ويكون على مستوى من التنبيه
أشار إليه النصّ بتعبير دقيق مفاده أنّ القائم يقعد لهوله والقاعد يقوم وهو
إشارة ذكيّة ودقيقة جداً لبيان أثر النداء آنذاك .. ويظهر أنّ من آثار
ذلك الصوت يتولّد فرح عند الناس ، وبطبيعة الحال سيكون الصوت
إستثنائياً جداً .. لأنّه يقرّر بدء مرحلة إستثنائية وتاريخية كبرى ، ألا

^١ الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : العمان : ص ٢٥٣ ، ١٤ ، ١٣

وهي مرحلة ظهور المولى الأعظم المهديّ محمد بن الحسن عجل الله فرجه الشريف ..

- يؤكّد النصّ أنّ صوتين سيصدران : الأوّل هو صوت جبرائيل عليه السلام وأنّه يكون في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ٢٣ منه .. أمّا الصوت الثاني فهو أرضيّ يصدرُ في آخر النهار ، وهو صوت الملعون إبليس ، ينادي ألا إنّ فلاناً قُتِلَ مظلوماً ، ليشكك الناس ويفتنهم ... علامة الصوت الأول أي صوت جبرائيل أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرض أباهما وأخاها على الخروج ويصرّ النصّ كما غيره من النصوص أنّه لا بدّ من هذين الصوتين قبل خروج القائم عليه السلام

- يسبق ظهور القائم المهديّ عليه السلام أمور منها :

١. خوف شديد من الناس .
٢. زلازل .
٣. فتن .
٤. بلاء يصيب الناس ..
٥. طاعون قبل ذلك (إشارة وكناية عن انتشار الأمراض ..) .
٦. سيف قاطع بين العرب (إشارة إلى الإختلاف والحروب بينهم) .
٧. إختلاف شديد في الناس (إشارة إلى الحروب والفتن بين الجبهات والأمم في العالم) ..
٨. تشتت في دين الناس ..
٩. تغيير من سوء إلى أسوأ في أحوال الناس .. حيثُ يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً من عظيم ما يرى من كلب الناس ، وأكل بعضهم

بعضاً .. (إشارة إلى الظلم بأنواعٍ شتى ، منه العنف المسلح والإعتداء ، فضلاً عن التوحّش الإقتصادي والإحتكار وغيره ..) .
١٠ . ثمّ يكون خروجه الشريف (ع) حين يخرج عند اليأس والقنوط الذي يسيطر على الناس من أن يروا فرجاً ..

- قال عليه السلام : إذا خرج (المهديّ) يقوم بأمر جديد ، وكتاب جديد ، وسنة جديدة ، وقضاء جديد على العرب شديد (إشارة منه إلى أحياء الكتاب والسنة ، وإماتة الباطل والجور في كلّ شيء .. بحيث يقيم دين الله وشرعهُ كما جاء به رسول الله من عند الله تعالى ، لا كما علّمته وحوّره وأبطله من فعل أو زيف أو حرّف ، من السلاطين أو وعاظهم ..) .

- يطلبُ المهديّ (ع) الحقّ ، ويصرّ على إقامة حكم العدالة الإلهية في كلّ الأرض ، على مستوى أمة بشرية واحدة ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .
فيتّم له الأمر ..

- يشير النصّ إلى أنّ خلافاً يقع بين بني فلان فيما بينهم ، أي في ولدٍ شخصٍ محدّدٍ ، ويظهر من الروايات أنّ الخلاف يقع على وراثة كرسى الحكم .. لذا قال (ع) : عند ذلك فانتظروا الفرج ، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان ، فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم عليه السلام .. ثم يكرّر (ع) : ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم ، فإذا كان ذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة ، وخرج السفياي .

- وقال (ع) : لا بدّ لبني فلان من أن يملكوا (إشارة إلى عائلة ما وموضوع الإشارة هو في جهة الاختلاف مرّة والحكم مرّة أخرى) فإذا

ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم ، وتشنت أمرهم ، حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياي ..

- يؤكد النص أن الخراساني يخرج من المشرق ، والسفياي يخرج من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان ، هذا من هنا وهذا من هنا ، حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما ، أما إنهم لا يبقون منهم أحدا .. وفي غيره من النصوص إشارة إلى الإمام المهدي والسفياي وليس إلى الخراساني ... وما يلفت انتباهي أن رواية عنه (ع) يقول فيها (يقبل السفياي من بلاد الروم متنصراً وفي عنقه صليب وهو صاحب القوم ..) وفي ذلك إشارة دقيقة إلى أنه يكون حليفاً للنصارى ، أي للجهة المسيحية السياسية الغربية ، أو هو بمثابة وكيل سياسي تابع بشكل عضوي للغرب من هذه الجهة . بل في بعض ألفاظها ما قد يشير إلى أكثر من ذلك ، إلى الاعتقاد بالمسيحية ربّما أو الانتصار لها أو أنه بمثابة ترميز ومجاز وكناية ، يُرادُ منه الإنخراط في مشروع الغرب كعنوان استراتيجي تابع في المنطقة ..

- وفيه أيضاً : إن خروج السفياي واليماني والخراساني في سنة واحدة ، في شهر واحد ، في يوم واحد ، نظام كنظام الخرز ، يتبع بعضه بعضا فيكون البأس من كل وجه ، ويل لمن ناوهم ، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية هدى لانه يدعو إلى صاحبكم ، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم (وقد اشارت الروايات إلى أن اليماني يكون قائد وحامل الراية للخراساني .. رضوان الله عليهما) ..

- نعم إذا خرج اليماني ، لا بدّ من النهوض للنصرة ، فإنّ رايته راية هدى ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه ، كما في لسان النصّ عنه (ع) .. فمن التوى عليه فهو على أهل الهدى وضدّهم ، لأنّ اليمانيّ يدعو إلى الحق والصراط المستقيم .

- ثمّ أضاف : إنّ ذهاب ملك بني فلان كقصع الفخار ، وكرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساهٍ عنها فانكسرت فقال حين سقطت : هاه شبه الفرع ، فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابه (إشارة إلى أنّ ملكاً ما ، يذهب بشكلٍ غير اعتيادي كالخطف مثلاً وربما يكون عن طريق انقلاب أو غيره .. والنصّ يشير إلى أنّ هذا الملك السياسي يتهاوى بشكلٍ غير اعتيادي وبطريقة مثيرة لا يظنّ أحد معها أنّ هذا الملك يزول بهذا الوقت وبهذه الظروف بمعنى أنّ زوال الملك وفق المجرى العادي المنظور غير ممكن وغير متوقّع) ..

- وقال عليه السلام : لا بد من رحي تطحن ، فإذا قامت على قطبها ، وثبتت على ساقها ، بعث الله عليها عبداً عنيفاً ، يكون النصر معه ، أصحابه الطويلة شعورهم ، أصحاب السبال ، سود ثيابهم ، أصحاب رايات سود ، ويل لمن ناواهم ، يقتلوهم هرجاً ، والله لكأني أنظر إليهم وإلى أفعالهم وما يلقي الفجار منهم والاعراب الجفاة يسلطهم الله عليهم بلا رحمة ، فيقتلوهم هرجاً على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا ، وما ربك بظلام للعبيد ..

وعلى كلّ حال ، فخروج المهديّ (ع) يكون بعد وطيسٍ وفتنٍ وفسادٍ كبيرٍ ، في بعضها تكون الحربُ على المعدنِ وباطنِ الأرض ، وفي بعضها الآخر

تكون وفق حسابات ذات بُعد جيواستراتيجي متصل بمفاهيم النظام الدولي آنذاك كما هي الحرب على مادة الغذاء والأهوار وما يتصل بذلك من مأكلي ومشرب ومادة ضرورية فضلاً عن المناطق الإستراتيجية من منظار سياسي إقتصادي ويكون لقيم التصادم بين الكيانات العنوان الأبرز في ظلّ جبهات لا تتوقف عند حواجز ذات أصول وأسس إنسانية ومعاني ذات رُشدٍ حقوقيّ .. وما يلفتُ الإنتباه أنّ النصوص كثيراً ما عمدت في استعمالها اللغوية إلى ألفاظ لها مدلول تاريخي أو أممي بارز جداً ، وذلك للإشارة إلى واحدةٍ من معالم الزمن القادم ، بكلّ ما يحمل في أحشائه من وقائع وجبهات ودواعي فتن وعنف وخروج عن موثيق أهل الهدى .. من تلك الروايات ما أشار إليه الإمام أبو جعفر (ع) حيث قال :

إذا بلغ العباسي خراسان (إشارة إلى جبهةٍ وعرقٍ وشعارٍ وأمةٍ محدّدة بالعنوان) طلّع بالمشرق القرن ذو الشفا وكان أول ما طلع بهلاك قوم نوح حين غرقهم الله ، وطلع في زمان إبراهيم عليه السلام حيث ألقوه في النار ، وحين أهلك الله فرعون ومن معه ، وحين قتل يحيى بن زكريا ، فإذا رأيتم ذلك فاستعيذوا بالله من شر الفتن ، ويكون طلوعه بعد انكساف الشمس والقمر ، ثم لا يلبثون حتى يظهر الأبقع بمصر) ..¹

وما أحبُّ أن أشيرَ إليه هو أنّ وقائع العذاب المتصلة بما ذُكرَ واحدة من معاني الإستعارة للدلالة على عصرٍ مختلفٍ وزمنٍ آخر ، هو زمنُ المهديّ (ع) بكلّ ما يحصل به من مفاجئةٍ ، من هنا قال الإمام (ع) : فإذا رأيتم ذلك

¹ ابن حماد : ص ٥٩

فاستعينوا بالله من شرّ الفتن ، ويكون طلوعه بعد انكساف الشمس والقمر ، ثم لا يلبثون حتى يظهر الأبقع بمصر .. ويظهرُ من النصّ أنّ الفتن لها دواعٍ بشرية ، وهي بطبيعة الحال على صلةٍ دقيقةٍ بالكيانات والجبهات ، والتي منها راية الأبقع في مصر .. وتشير بعضها إلى أنّ من ضمن علامات ساعة الفرج ما رواه يحيى بن سالم عن الإمام أبي جعفر حيث قال : (صاحب هذا الامر أصغرنا سنّاً ، وأحملنا شخصاً ، قلت : متى يكون ذلك ؟ قال : إذا سارت الركبان ببيعة الغلام ، فعند ذلك يرفع كل ذي صيصية لواء ، فانتظروا الفرج) ..^١

وعليه : يبدو العالم في ذلك الزمن على نحوٍ مختلفٍ وخطير ، في عناوين متعدّدة وخصائص كبرى ، بحيث تبدو مجموعة من ظواهره على غير نحوها المعتاد في حين تكون ظواهر أخرى وفق المعنى المعتاد للحركة الجبهوية الموافقة لأسس النظام الدولي القائم على نحوٍ من التوحّش المصلحي والتناقض المتزايد بين الكيانات ، وهي مع ذلك تكون على صلةٍ سببيةٍ واسعةٍ بالبيئة العامّة للمتغيّرات المنحرفة ، بما في ذلك قيم التحوّل في فهم الوجودية ومعالم المسيرة البشرية .. وبين هذه وتلك ، يبدو الإنسان في تيهٍ كبير ، في ظلّ موثيق تتعامل مع الإنسان من جانب المادّة التي لا تعترف للسماءِ بأيّ دورٍ وجوديٍّ أو ترشيدٍ إجتماعي .. كلّ ما في الأمر ، تحاولُ الأمم المنحرفةُ إستغلال الأديان في كثيرٍ من المواقع والمواقف حين تجد في ذلك صلةً مع مآرب دنيوية .. هذا ما أشارت إليه نصوصٌ كثيرةٌ صادرةٌ عن النبيّ (ص) .. وبكلمةٍ : تضمّنت النصوص معلوماتٍ واسعةٍ عن زمن الغيبة الكبرى ، الذي يكون فيه الإمتحان عظيمًا — هذا يبعد النظر عن زمن خروجه (ع) — حيث تكون حكومة الباطل في عزٍّ وجودها ونفوذها ،

^١العماني : ص ١٨٤ ، ١٠٢ - ٣٥

مسيطرة بشكلٍ رئيسيٍّ على مقاليد الحكم والنظام العالمي في مجالاتٍ شتى ،
وجهاً عدّة ، بحيث يكون لها الباع الأكبر في تحريك العالم .. نعم قبل ظهور
المهديّ (ع) يكون لرأية أهل الحقّ وجود لكن ليس على نحوٍ صانع للقرار الدولي
من رتبةٍ أولى إلا أنّ الرأية تلك تثبت بشدّة ، ويكون لها قدرة عالية من الممانعة
بل قدرة متزايدة على توطئة الأمر للمهديّ (ع) ، ففي الحديث الشهير للنبيّ
(ص) قال : يخرج قوم من المشرق يوطئون للمهديّ سلطانه ..^١

ومعنى الحديث واضح في قدرة هذه الرأية المشرقيّة الخراسانيّة رغم كلّ ما
تلقّاه من عداوةٍ وانتقامٍ وقطيعةٍ في الساحة الدوليّة ، ففي الحديث عن الإمام
الصادق (ع) قال : إذا ظهرت رأية الحقّ ، لعنّها أهل المشرق والمغرب ..^٢

إشارة إلى أنّ العالم في ذلك الزمن يحارب القيمة الفكرية والأيدولوجيا
التي تحملها هذه الرأية .. من هنا فإنّها تلقى نوعاً قاسياً من القطيعة والصراع
الموجّه إليها في أكثر من نموذج ، وبطبيعة الحال يكون ذلك وفق مناخ العالم
الدولي وحدودٍ ومعاني الكيانات وتعددية الحكم السياسي في العالم .. فإذا خرج
المهديّ تبدلت الظروف بشكلٍ بارزٍ جداً ، بحيث تنصدّر جبهة المهديّ العالم
بشكلٍ كبيرٍ ومنذ تلك اللحظة تبدأ أولى معالم الهوية التاريخيّة بالظهور ، بمعنى أنّ
تاريخاً جديداً سيكتبه المهديّ (ع) وعلى نحوٍ مختلفٍ وبشكلٍ جذريٍّ ، ستقوده
رسالة السماء ، في ظلّ حكومةٍ إسلاميّةٍ تتخذ من العالم بكلّ بقاعه موضوعاً
للحكم في ظلّ مركزيّةٍ سياسيّةٍ يكون على رأسها صاحبُ العصر والزمان ..

^١ مجمع الزوائد ٣١٨/٧ ، سنن ابن ماجه ٢ / حديث ٤٠٨٨

^٢ الغيبة للنعمان / ٢٩٩

ويعنى آخر : النصوص تشير إلى أن العالم بتاريخه الجديد مقبل بقيادة المهدي وبشكل نهائي على أمور هي التالية :

١. وحدة عالمية ذات منظور سياسي تقودها الشريعة الإسلامية بكل ما تتصل به من مفاهيم في الإجتماع العام بما في ذلك الثروة والمال ، والأهم من ذلك إعلان المسيرة الوجودية وفق معاني الإسلام كعنوان استراتيجي للبشر ..

٢. بطلان ظاهرة التعددية السياسية ، وما يتصل بها من صراع لازم بين الكيانات على مستوى الوجود الدولي ..

٣. الدخول بعالم جديد ، لا باطل فيه ولا إثم على مستوى نظرية الحكم ، وصولاً إلى مستوى راق جداً من عملية التطبيق للحكم الإسلامي وفق نتيجة مفادها نشر العدالة والقسط في العالم ..

٤. إعلان المواثيق الإسلامية كهوية وجود وحكم عالمي دون أي مشاركة على الإطلاق من أي ملة أخرى أو مفاهيم وضعية أو أي ثقافة مادية وغيرها ..

٥. وفق هذا المفاد تكون الأرض بين عنواني الإستخلاف عبر آدم والختام عبر الوصي المهدي وفق طاعة نهائية ، ليس على مستوى المشروع النظري بل على مستوى التطبيق العملي للقيم والمواثيق ..

عرّف الله بيننا وبين آل محمد وجعلنا من أنصارهم وأعوانهم والذابين عنهم والمستشهادين بين يديهم بحق محمد وآله الطاهرين ..

ظهور الإمام المهدي (ع) :

- التحوّلات الكبرى .
- صراع الجبهات .
- تكتّل أهل الباطل .
- مواجهة رايات الضلال .
- النداء من السماء .
- بداية يوم الخلاص الأممي .
- نشر العدل في العالم .
- إعلان البشر أمة واحدة تحت ظلّ قيادة حكومة الإمام المهدي (ع) التي تبسط سيطرتها على العالم بالعدل الإلهي ..

ظهور الإمام المهدي والإشراقة الكبرى

(نموذج الجبهات قبيل وبعد الظهور وما يتصل بهذه

الأحداث والمهمّات العظام والمفصل الأهمّ في آخر الزمن)

مما تجدر الإشارة له أولاً أن النصوص الصادرة عن النبي والأئمة عليهم السلام تحذّر من توقيت وتحديد زمن خروج المهدي (ع) ، لأن الأمر بيد الله تعالى وضمن مشيئته وإرادته ، وقد وقت له وقتاً واحداً له حدّاً .. الروايات كثيرة في هذا المجال ، وفي واحدة منها عن الفضل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت : لهذا الأمر وقت .. ؟ فقال : كذب الوقيتون ، كذب الوقيتون ، كذب الوقيتون . إن موسى (ع) لما خرج وافداً إلى ربه واعدتهم ثلاثين يوماً ، فلما زاده الله على الثلاثين عشرًا قال قومه : قد أخلفنا موسى ، فصنعوا ما صنعوا ، فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم به فقولوا : صدق الله ، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا : صدق الله ، تؤجروا مرتين ..¹ (إشارة من الإمام (ع) إلى أن حديثهم لا يعدو الصدق ، فكلّ حديثهم صادق ، ولا يمكن أن يقعوا في خطأ أبداً ..) ..

¹ الفضل بن شاذان : على ما في سند غيبة الطوسي . * : الكافي : ج 1 ص 368 ح 5

وفي كثيرٍ منها ينهى النبيّ والإمام عليهم السلام عن توقيت الخروج ،
ويؤكدون أنّ تحديد خروجه (ع) إنّما هو بيد الله وهو أعلم به .. نعم بين لنا
أهل البيت (ع) مجموعة من علامات الظهور ، فما انطبق منها فهو كذلك ، وما
شككنا به لا يجوز على الإطلاق أن ندعي أنّه هو المصداق الحصري للعلامة
الموعودة على لسان المعصوم (ع) .. ولقد أوصى النبيّ والأئمة كلّهم بالمهديّ منذ
الزمن الأوّل ، بل شغل اسم المهديّ الأوائل من صحابة النبيّ وأهل البيت (ع)
وفي كثيرٍ من النصوص كان الإمام يشير إلى المهديّ الثاني عشر من الأئمة الذي
يخرج في آخر الزمن من دون تحديد زمن أو توقيت .. ففي الرواية عن أبي مریم
عبد الغفار بن القاسم قال : دخلت على مولاي الباقر عليه السلام وعنده أناس
من أصحابه ذكروا الاسلام فقلت : يا سيدي فأى الاسلام أفضل ؟ قال :

(من سلم المؤمنون من لسانه ويده . قلت : فما أفضل
الاخلاق ؟ قال : الصبر والسماحة . قلت : فأى المؤمنين أكمل
إيماناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً . قلت : فأى الجهاد أفضل ؟ قال :
من عقر جواده وأهريق دمه . قلت : فأى الصلاة أفضل .. ؟
قال : طول القنوت . قلت : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : أن
تمجر ما حرم الله عزّ وجلّ عليك . قلت : يا سيدي فما تقول
في الدخول على السلطان ؟ قال : لا أرى لك ذلك . قلت :
فإني ربما سافرت إلى الشام فأدخل على إبراهيم بن الوليد . قال
يا عبد الغفار إن دخولك على السلطان يدعو إلى ثلاثة أشياء :
محبة الدنيا ، ونسيان الموت ، وقلة الرضا بما قسم الله . قلت :
يا ابن رسول الله فإني ذو عليّة وأبجر إلى ذلك المكان لجرّ المنفعة

فما ترى في ذلك ؟ قال : يا عبد الله إني لست أمرك بترك الدنيا بل أمرك بترك الذنوب . فترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة ، وأنت إلى إقامة الفريضة أحوج منك إلى اكتساب الفضيلة . قال : فقبلت يده ورجله وقلت : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله فما نجد العلم الصحيح إلا عندكم ، وإني قد كبرت سني ، ودق عظمي ولا أرى فيكم ما أسره ، أراكم مقتلين مشردين خائفين ، وإني أقمت على قائمكم منذ حين أقول يخرج اليوم أو غدا . قال : يا عبد الغفار إن قائمنا عليه السلام هو السابع من ولدي ، وليس هو أوان ظهوره ، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه قال : قال رسول الله (ص) : إن الأئمة بعدي اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل ، تسعة من صلب الحسين ، والتاسع قائمهم ، يخرج في آخر الزمان فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . قلت : فإن كان هذا كائن يا ابن رسول الله فإلى من بعدك ؟ قال : إلى جعفر وهو سيد أولادي وأبو الأئمة ، صادق في قوله وفعله ، ولقد سألت عظيمًا يا عبد الغفار ، وإنك لأهل الإجابة ، ثم قال عليه السلام : ألا إن مفاتيح العلم السؤال وأنشأ يقول : شفاء العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل ...^١

ومن يقرأ النصوص يدرك كثرة السؤال عن يوم المهدي لما يتصل به من ضرورة النصر والعدل وإقامة حكم الله وفق منطق الشريعة وحدودها .. إلا أن

^١ كفاية الآخر : ص ٢٥٠

يوم المهديّ يكون بعد كثرة فتنٍ وباطلٍ وفسادٍ كبير ، وهناك قسم خاص من مظاهر الفتن يكون مع الخروج أو قريب منه أو بمحاذاته كما هي الحالُ الشيباني والسفياني وغيرهم ، ففي الرواية عن جابر الجعفي قال : سألت أبا جعفر الباقر (ع) عن السفياني ؟ فقال : (وأتى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيباني ، يخرج من أرض كوفان ، ينبع كما ينبع الماء فيقتل وفدكم ، فتوقعوا بعد ذلك السفياني ، وخروج القائم عليه السلام) ..^١

إنّ تعبير " ينبع كما ينبع الماء " الواردة في النصّ إشارة إلى قدرته على النفوذ والتسلّل والمباغته والتأثير ، وهو من تعابير الإستعارة التي يُراد منها لفت النظر إلى القدرة على التحكّم والمباغته .. ثمّ يكون خروج غيره من أهل الرايات الباطلة ، في ظلّ مجتمعٍ دوليّ محكوم عبر موثيق أهل الفساد في دعامة الرئسيّة إلى أن يحين زمنُ أهل المشرق وهم الذين يخرجون قبل ظهوره (ع) فيوطؤون له وينادون بإسمه ويلتزمون موثيقه وموآثيق آباءه عليهم السلام .. ففي الرواية عن أبي خالد الكابلي ، عن الإمام أبي جعفر (ع) قال : (كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه ، ثم يطلبونه فلا يعطونه ، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا ، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم . قتلاهم شهداء . أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الامر) ..^٢ وفي الرواية عن جابر عن الإمام أبي جعفر (ع) قال : (تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان الكوفة ، فإذا ظهر المهدي بمكة بعث إليه بالبيعة) ..^٣

^١ النعماني : ص ٣٠٢ ، ١٨ > ٨

^٢ النعماني : ص ٢٧٣ ، ١٤ > ٥٠

^٣ ابن حماد : ص ٨٥

وفي لفظٍ آخر له (ع) قال : (يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمنى
نحال ، من خراسان ، برايات سود ، بين يديه شعيب بن صالح ، يقاتل أصحاب
السفياني فيهمهم) ..^١ (تعبير نحال يعني في يده علامة مميزة وإشارة محددة
مختلفة عن الوضع العادي ..) .

ويظهر من بعض الروايات أن خروج السفياني يكون قبل خروج المهديّ
لكن ليس على نحو بعيد بل هو بنفس الزمن من ناحية القرب العرفي ، ويظهر من
بعضها الآخر أن خروجهما يكون بنفس السنة ونفس الشهر ونفس اليوم وأن
خروج المهديّ والسفياني يكون كفرسيّ رهان ، في زمن واحد ..؟ أقول : في
لسان طائفةٍ منهما الإشارة إلى زمن الخروج والفتح وغير ذلك ، فلا يكون ناظراً
إلى لحظة الإعلان عن الظهور وشبه ذلك فلا حاجة إذاً إلى التناقض أو التعارض
بين الطائفتين ففي الحديث الناظر إلى الخروج يقول : (لا يكون ما ترجون حتى
يخطب السفياني على أعوادها ، فإذا كان ذلك انحدر عليكم قائم آل محمد من
قبل الحجاز ..) وما تجدر الإشارة له هو أن بعض النصوص تشير إلى أن حكم
السفياني للكور الخمس قصير لا يتعدى تسعة أشهر ، وأنه يخوض حرباً لا تتصل
بأتباع أهل البيت في أول خروجه ..

لكن طبيعة الصراع وحركة الجبهات مع هؤلاء تظلّ مختلفة في أكثر من
ناحية ومقام ، إلا أنها في بعضها وبعض أسماءها واضحة ، وعلى كلّ حال ففي
الرواية عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول :

^١ ابن حماد : ص ٨٤

إتقوا الله واستعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد
في طاعة الله ، فإن أشد ما يكون أحدكم اغتباطاً بما هو فيه من
الدين لو قد صار في حد الآخرة وانقطعت الدنيا عنه ، فإذا صار
في ذلك الحد عرف أنه قد استقبل النعيم والكرامة من الله
والبشرى بالجنة ، وأمن مما كان يخاف ، وأيقن أن الذي كان
عليه هو الحق ، وأن من خالف دينه على باطل وأنه هالك ،
فأبشروا ثم أبشروا بالذي تريدون ، أستم ترون أعداءكم
يقتتلون في معاصي الله ويقتل بعضهم بعضاً على الدنيا دونكم ،
وأنتم في بيوتكم آمنون في عزلة عنهم ، وكفى بالسفيايى نعمة
لكم من عدوكم ، وهو من العلامات لكم ، مع أن الفاسق لو
قد خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بعد خروجه ، لم يكن عليكم
بأس حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم ، فقال له بعض أصحابه :
فكيف نضنع بالعيال إذا كان ذلك ؟ قال : يتغيب الرجال منكم
عنه ، فإن حنقه وشرهه إنما هي على شيعتنا وأما النساء فليس
عليهن بأس إن شاء الله تعالى ، قيل : فإلى أين يخرج الرجال
ويهربون منه ؟ فقال : من أراد منهم أن يخرج ، يخرج إلى المدينة
أو إلى مكة ، أو إلى بعض البلدان ، ثم قال : ما تصنعون بالمدينة
وإنما يقصد جيش الفاسق إليها ، ولكن عليكم بمكة ، فإنها
بجمعكم ، وإنما فتنته حمل امرأة : تسعة أشهر ، ولا يجوزها إن
شاء الله) ..^١

^١ النعمان : ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، ١٨ ، ٣

ولأن موضوع الرايات في غاية الأهمية فإتني سأشير إلى ذلك بنحوٍ من التقسيم والبيان .. والذي لا شك فيه أن الرايات تكون على قسمين :

١ . رايات أهل الباطل .

٢ . رايات أهل الحق ..

من أهم رايات أهل الباطل في ذلك الزمن :

١ . راية السفياي .

٢ . راية الروم .

٣ . راية الدجال .

٤ . راية الترك ..

٥ . الراية العباسية

٦ . الراية المغربية .

ففي خصوص راية الدجال الذي قد ورد في بعض الروايات وبشكلٍ صريح أنه يهودي يقود جبهة اليهود ، وقد أشرتُ إلى ذلك بشيءٍ من التفصيل فيما سبق ، لذلك فإتني سأشيرُ إلى نحوٍ مختلفٍ في تحليل المعلومات هنا حول اليهود ودولتهم ، فقد ورد في خصوص دولة اليهود بالقرآن مجموعة من آياتٍ مهمةٍ منها :

(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ

وَعَدًّا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا
(٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ
فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ،
وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ
لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) ١

في هذه الآيات يشيرُ اللهُ تعالى إلى آتة لبني إسرائيل — ككيان ودولة لها نفوذ — مرحلتين أو محطتين بارزتين كبيرين حيث يفسد بنو إسرائيل في الأرض مرتين ويعلمون علوًّا كبيراً .. في الأولى يبعثُ اللهُ عليهم رجالاً أولي بأسٍ شديدٍ يجوسون خلالَ الديار (أي بين الديار) لكنَّ اليهود يعودون من جديد في إعداد قواهم ويؤسسون دولتهم ولو عبر حلفاء أو قوى وكيانات أخرى ، وفي التعبير القرآني يقول : (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) إشارة إلى نفوذ يهودي كياني متصل بالأموال والثروة وشبه ذلك فضلاً عن النفوذ المرتبط بالعسكر وأدوات الحرب من خلال الإشارة بتعبيره تعالى (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ ..) .. ويظنون كذلك إلى أن يأتي وعدُ المحطَّة الثانية ، فإذا جاء وعدُ الآخرة (أي الثانية) أعاد اللهُ الكُرَّةَ للذين آمنوا على اليهود ليسوؤوا وجوههم (أي يظهر الذلَّ على وجوه اليهود والإنكسار جراء الهزيمة النكراء التي تلحق بهم) .. وليتَّبِعُوا ما علَّمُوا تتبِعُوا ، أي يهلكوا ويدمروا ..

١ سورة الإسراء ..

وهذه إشارة إلى حربٍ وقاتلٍ عنيفٍ بل هائلٍ يكون النصرُ فيهٍ لصالحِ المؤمنين الذين يدخلون المسجد الأقصى بعزٍّ وقدرَةٍ وممانعةٍ ونفوذٍ كبيرٍ .. وقد قال اللهُ تعالى :

(وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا
الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا
(١٠٤) ^١

تعبير " لفيفاً " يعني جميعاً مختلطين .. وهو عنوان متمم لما أشرتُ إليه من الذلّ والإنكسارِ والهزيمة التي تقع في اليهود بالمرّة الثانية .. أمّا في التأويل ؟ هل وقع العلوّ الأول ، وهل بعثَ اللهُ رجلاً أُولي بأسٍ شديدٍ ؟ اختلف شراح الحديث في ذلك ، منهم من قال إنّ ذلك وقع وتمّ ، ومنهم من قال إنّ ذلك لم يقع بعد ، وتبنّى البعض حسب الروايات الواردة في أهلِ المشرقِ أنّ أصحاب الرايات الخراسانية هم الذين يجوسون خلالَ الديارِ ، ثم تكون حروب عسيرة على أهلِ المشرقِ يخرجون على أثرها من بيت المقدسِ ، إلى أن يحين وقت الثانية فتكون للمهديّ عليه السلام الذي يذيقهم الهزيمة النكراء وبها تنتهي دولتهم المشؤومة ..

أمّا الرايةُ الثانيةُ فهي راية الترك .. وهذه الراية كُرِّرَ ذكرُها في العديدٍ من الرايات ، وهي بطبيعة الحال تسمية تاريخيّة من المؤكّد أنّها مصطلحة للدلالة على كيانٍ وجبهةٍ محدّدة في عصرِ الغيبة والظهور .. أي أنّ النبيّ حين استعمل تعبیر الروم ، إنّما كان يقصد بذلك المسيحيّة السياسيّة التي تتمركز في الغرب ، فماذا

^١ سورة الإسراء .

يعني تعبير الترك هنا .. هل يعني مجموعة من جمهوريات تركية كان يتشكل منها الإتحاد السوفياتي السابق بما في ذلك شعوب روسيا المعاصرة أم تعني تركيا الحالية أم الإثنين معاً ، أو الإشارة إلى هذا العرق .. ؟ هل تعني غيرها .. ؟ هل تعني الصين كما قرب ذلك بعضهم لجهة بعض الموصفات في بعض الروايات .. ؟ هل تعني دولة تركية حالية ، أم تعني جبهة سيكون لها نفوذها وستشكل فيما بعد .. ؟

أقول : الأمر متروك لما عليه النص من دون إشارة إلى واحدة من هذه الجهات أو تلك العناوين ، والمهم في ذلك أن هذه الجبهة يكون لها في غيبة المهدي وما يتصل بعصر الظهور أثر كبير ، بل في الرواية عن سدير الصيرفي عن الإمام الصادق (ع) مخاطباً جماعة من أهل العراق قال :

(حجّوا قبل أن لا تحجّوا .. فويل لكم يا أهل العراق إذا جاءكم الرايات من خراسان ، وويل لأهل الري من الترك ، وويل لأهل العراق من أهل الري ، ثم ويل لهم من الشطّ — قال سدير الصيرفي — فقلت : يا مولاي من الشطّ .. ؟ قال (ع) : قوم آذانهم كأذان الفأر صغر ، لباسهم الحديد ، كلامهم ككلام الشياطين ، صغار الحدق ، مرد جرد ، استعيذوا بالله من شرهم ، أولئك يفتح الله على أيديهم الدين ويكونون سبباً لأمرنا ..)^١

واضح من النص الإشارة إلى أن هؤلاء يهاجمون من جهة الشطّ ، وتعبير لباسهم حديد ، يشير إلى أنهم على نحو من مناعة في أدوات الحرب ، من هنا لا بدّ من التعامل مع باقي التعابير من باب الاعتماد على الاستعارة اللغوية في البيان

^١ أمالي الطوسي ص : ٦٣

للإشارة إلى جهةٍ محدّدة ، إمّا في وصف الأدوات ، أو في وصف الأشخاص أنفسهم ..

ويظهر من الروايات أنّ جبهة الأتراك تحارب في أكثر من وقعةٍ وجبهةٍ منها حرب في قرقيسيا حول منجم ذهب (تعبير يُرادُ منه الإشارة إلى ثروة باطنيةٍ مهمّة) يكون له أثر بالغ ، ما يؤدّي إلى صراعٍ بين أكثر من دولةٍ (راية) عليه في منطقة قرقيسيا التي تقع في مثلث الحدود التركيّة العراقيّة السوريّة .. ومن تلك الجولات العسكريّة التي يشنّها الترك توجيه قوّة عسكريّة اتجاه الأراضي الخراسانيّة واحتلال قسم منها وذلك حين تكون الراية الخراسانية في حربٍ ضروسٍ رابحة ضدّ اليهود في القدس ، فبمجرّد أن يحتلّ الجيش الخراساني بيت المقدس يدخل الجيش التركي إلى قسمٍ من أراضي خراسان ، إلا أنّ الراية الخراسانيّة تبعث بقسمٍ من جيشها لتعيد ما احتلّ منها ، ويكون لها ذلك ..

وتشير الروايات أيضاً إلى أنّ الترك يشنون حرباً على جبهة الدولة العباسيّة ويظهر منها أنّ الدولة العباسيّة تحكم على العراق في عصر الظهور .. والسؤال : من هي الدولة العباسيّة ؟ هل هي مجرد إشارة عبر لفظ تاريخيٍّ إلى امتدادٍ للحكم العباسي الذي مضى ولو بنحوٍ ما ؟ أم أنّه مصطلح يُرادُ منه تحديد فعلي لدولة ما تكون أو ستكون بهذا الإسم وموافقة له زمن الظهور ؟ أم أنّها مجرد جبهة لها صلة إمّا بالشكل التاريخي أو بالشعار العباسي .. كلّ الإحتمالات ممكنة ، ولا بدّ من وجود راية عباسيّة (دولة) ، تضر الحقد على آلٍ محمّدٍ وأتباعهم وتعمل للفتك بهم ..

وعن معارك الترك مع للموطئين للمهديّ (راية أهل المشرق) فيمكن الإشارة إلى أنّ ذلك يتزامن مع زحف الموطئين نحو فلسطين التي أشارت إليها الروايات بتعبير (إيلياء) فما يكون من أكثر من جبهة نافذة في العالم إلا محاولة عرقلة زحف الموطئين نحو القدس وفي الرواية عن عمّار بن ياسر قال : (يتخالف الترك والروم ويكثر الحرب في الأرض .. وينزل الترك الحيرة ، وينزل الروم فلسطين ..)^١

وفي قول النبيّ (ص) : تخرجُ من خراسان راياتٌ سود فلا يردها شيء ، حتى تنصب بإيلياء ..^٢ وفي لفظٍ آخر قال (ص) : فلا يلقاهم أحد إلا هزموه ، وغلبوا على ما في أيديهم ، حتى تقرب راياتهم بيت المقدس .. وفي لفظٍ آخر قال (ص) في وصف قائد ثورة الموطئين للمهديّ : لو قاتل الجبال لهدّها حتى ينزل بإيلياء ..^٣ وفي روايةٍ أخرى قال الإمام الباقر (ع) : يجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح ..^٤ (إشارة إلى فتح القدس واحتلال فلسطين ..) .

وتؤكدُ بعضُ الروايات احتلال جزء من خراسان عبر قائد دولة الأتراك الشروسي وذلك في الزمن الذي يكون فيه أهل خراسان في حربٍ وزحفٍ نحو بيت المقدس .. وفي الرواية : .. ويل لأهل الريّ من الترك .. وفي غيرها : خروج الشروسي من بلاد أرومينية إلى أذربيجان تسمى تبريز الريّ ، الجبل

^١ بحار الأنوار ٢٠٧/٥

^٢ صحيح الترمذي ٤/حديث ٢٢٦٩

^٣ الخاوي الفناوي ٢٨/٢

^٤ الغيبة للنعماني ص : ٢٧٩

الأحمر المتلاحم بالجبل الأسود ، لزيق جبال الطالقان ، فتكون بين الشروسي وبين المروزي ، وقعة صيلمانيّة ، يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ..^١

وفي روايةٍ ثالثةٍ : ثم ينفق عليهم فتقّ من خلفهم ، فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان ..^٢ ويظهر من الروايات أن ثورة الموطّئين الخراسانيّة للمهديّ تكون على قدرٍ كبيرٍ من القوّة والنفوذ ، مما يعطيها قدرةً إضافيّةً على إعادة رسم محاور الصراع ، بل كسب المزيد من الفتوحات بل إعادة ما احتلّ الشروسيّ إبان زحفها نحو بيت المقدس ..

أمّا راية أهل الروم .. فهي كما أشرت تعبير وإسم تاريخي يُرادُ من خلاله الإشارة إلى الجبهة السياسيّة المسيحيّة الغربيّة أو كيانٍ مسيحيّ غربي ، ويكون لهذه الجبهة حضور بارز بل في الحديث عن الرسول : تقوم الساعةُ والرومُ أكثرُ الناس ..^٣ وفي لفظٍ آخر له (ص) : أشدّ الناسِ عليكم الروم ، وإنّما هلكتهم مع الساعة ..^٤

وفي حديثٍ آخر للرسول (ص) قال : إذا رأيت الفتنة في بلاد الشام ، فالموت الموت ، حين يتحرّك بنو الأصفر ، فيسيرون إلى بلاد العرب ، فتكون بينهم الوقائع .. فأولُ أرضٍ تحرب بالشام ، يختلفون عند ذلك على ثلاث

^١ مجمع التورين ص : ٩٩

^٢ الحاوي للفتاوي ٦٧/٢

^٣ صحيح مسلم ٢٢٢٢/٤

^٤ مجمع الزوائد ٢١٢/٦

^٥ الفتن لابن طاووس ص : ١٠٧

رايات ، راية الأصهب ، وراية الأبقع ، وراية السفياي ، ويلتقي السفياي بالأبقع فيقتلون ، فيقتله السفياي ومن تبعه ، ويقتل الأصهب ..^١

ويظهر من هذه الروايات أن الروم تكون على قدرة نافذة ، وعلى موقع من شأنه التأثير في الطرف الآخر من العالم ، بل تظل الروم تغزو وبشكلٍ عنيف بلاد الإسلام وتقود الحروب فيها .. خاصةً إذا أضفنا إلى ذلك قوله (ص) : يقبل السفياي من بلاد الروم متنصراً ، في عنقه صليب ، وهو صاحب القوم ..^٢ وهذا يعني أن جبهة الروم تكون على نحوٍ نافذٍ وقادرٍ ومحتلٍّ في بلاد الإسلام ، وسواء كانت التعبيرُ هذا على نحوٍ من الإستعارة والإشارة إلى نظام الوكلاء السياسيين أم أنه على نحوٍ من دعاية الترويج بنموذج عسكريٍّ للنصرانية ، فإنه يدلُّ بعمقٍ وبقوةٍ على البطش الذي تكونُ عليه جبهة الروم .. وفي بعضها إشارة إلى أن الروم تنظر بعين الإحتكار إلى معادن الأرض كما في الصراع في منطقة قرقيسيا على الحدود التركية العراقية السورية ، حيث تختلفُ الرايات على ثروة باطنية .. وفي كثيرٍ من الروايات بيان لنفوذ الروم مباشر مرةً ، وغير مباشر مرةً أخرى عبر الوكلاء وشبه ذلك كما هي الحالُ مع السفياي ، الذي يكون بمثابة راية من رايات الروم بالمعنى السياسي ، أي مشروع من ضمن مشاريع الجبهة المسيحية السياسية الغربية ، مع التنبيه إلى أن النصوص تشير إلى أن السفياي يعود وينقلب على الروم حين يبدأ الصراع على ثروة باطنية من معدن الأرض في منطقة قرقيسيا .. ووفق النحو الأول من قوة الروم ونظام الوكلاء السياسيين لديها في الشرق والذين يكون السفياي منهم تشير الروايات إلى أنهم يحققون مجموعة من

^١ بحار الأنوار ٢١٢/٥٢

^٢ بحار الأنوار ٢١٧/٥٢

إنتصارات كاسحة ، بل في الحديث عن سدير الصيرفي عن الإمام الصادق (ع) قال : ثلاثُ رايات ، رايةٌ حسنيّة ، ورايةٌ أمويّة ، ورايةٌ قيسيّة ، فبينما هم كذلك إذ يخرجُ السفّيّانيّ فيحصدُهم حصد الزرع ما يأتي مثله قطّ ..^١

وعلى كلّ حال تشير الروايات إلى أنّ للسفّيّانيّ قدرة على الإحتلالِ والبطش ، إلى درجة يحتلّ معها مجموعة من دولِ الشّامِ مثل سوريا بما فيها حلب وحمص والأردن وفلسطين وغيرها من التابع لها من برّ الشّام ، أي يحتلّ بلاد الشّام حسب التعبير القديم (الكور الخمس) ، وفي الرواية عن محمّد بن مسلم عن الإمام الصادق (ع) قال : إنّ السفّيّانيّ يملك بعد ظهوره على الكورِ الخمس حمل امرأة .. وفي هذا النصّ إشارة إلى نقطتين هامّتين :

الأولى : أنّ السفّيّانيّ تكون له نهضة عسكريّة بارزة ، يحتلّ على إثرها مجموعة من دول ..

الثانية : أنّ ملكه يكون قصيراً ، وفي تعبير الإمام مدّة حمل امرأة .. إشارة إلى أقلّ من سنة ..

ثمّ إنّ السفّيّانيّ يقاتل أهل المشرق فيهزمهم من فلسطين ، ويردّهم إلى العراق .. ففي الرواية : يبائع السفّيّانيّ أهل الشّام ، فيقاتل أهل المشرق فيهزمهم من فلسطين ..^٢ ويقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق ..^٣

^١ بحار الأنوار ٥٢/٢٧٠

^٢ الفتن لابن حماد ١٧٦

^٣ عقد الدرر ص : ٥٣

نعم تتغير مجموعة من نتائج ميدانية على الأرض بالنسبة إلى الجبهات حين ينقلب السفياي على الروم ، وذلك في زمن يتم فيه الكشف عن كنز له أهمية كبرى ، إلى حدّ تتصارع عليه عدّة جبهات دولية ، وذلك في منطقة قرقيسيا ، في المثلث السوري العراقي التركي فيكون من بين أهمّ تلك الجبهات التي تتصارع على ذلك الكنز الذي عبّرت عنه النصوص بجبل الذهب جبهة الروم والترك والسفياي .. يخوضون صراعاً مريراً ضدّ بعضهم البعض ، وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق .. أمّا عن هزيمة الروم فتؤكد الروايات أنّ هزيمة الروم تكون على يد الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف .. وفي الرواية : المهديّ (ع) يبعثُ بقتال الروم ، يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ..^١ وفي رواية أخرى ، يخرج المهديّ إلى الروم إلى أن ينتصر عليهم ..

وعلى الجبهة الأخرى من تعدد الرايات تكون الراية المغربية (الدولة المغربية) وفي الرواية : يخرج أهل المغرب فينحدرون إلى مصر ، فإذا دخلوا فتلك إمارة السفياي ، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد ..^٢

وفي نصّ آخر : إذا أقبلت الرايات السود من المشرق ، والرايات الصفراء من المغرب حتى يلتقوا في سرّة الشام — يعني دمشق — فهناك البلاء ، هناك البلاء ..^٣ . (وإنّ صاحب المغرب وبني مروان ، وقضاة تجتمع على الرايات السود في بطن الشام ..)^٤

^١ الخاوي للفتاوي ٧٥/٢

^٢ عقد الدرر / ٤٦

^٣ كثر العمال / ١١ / حديث ٣١٤٢٢

^٤ الفتن لابن حماد ١٥٨

وفي روايةٍ أخرى : إذا أقبلت فتنة من المشرق ، وفتنة من المغرب ،
فالتقوا ببطن الشام ، فبطن الأرض يومئذٍ خيرٌ من ظهرها ..^١

وصاحب المغرب في هذا الحديث هو صاحب الرايات الصفر المغربية ،
أما تعبير " بنو مروان " فهو إشارة إلى حكام يكونون في سوريا قبل السفياي ،
أما قضاة فهي إشارة إلى إسم تاريخي مراد منه الإشارة إلى فروع تتصل بها ،
ومنها : جهينة و كلب وهما من القبائل المناصرة للسفياي .. ويستفاد من هذه
النصوص أن هذه الرايات تجتمع في وجه راية أهل المشرق التي تزحف بقوة
واسعة ونافذة نحو القدس .. وفي الرواية عن الإمام علي (ع) قال : فانظروا إلى
أصحاب البراذين الشهب المخذوفة ، والرايات الصفر تقبل من المغرب ، حتى تحل
بالشام ، وعند ذلك الجزع الأكبر والموت الأحمر .. فإذا كان ذلك فانظروا
خروج المهدي ..^٢

وتكون الراية المغربية الأخطر والأكثر شراسة والأكبر تأثيراً ، إلا أن
النصوص تشير بشكل واضح إلى أن الراية الخراسانية تنتصر هناك في ظل أعنف
معارك وخطرها ، فتحتاج تلك البقاع بعد حرب ضروس ، وقاتل ضار ، فيه
الكثير من الجزع الأكبر والموت الأحمر .. إشارة إلى عنف ليس بعده عنف ، وإلى
حرب فيها من الأهوال ما فيها .. حتى يقول القائل ها هنا كانت مدينة تُدعى
دمشق .. ثم بعد كل تلك الأهوال يخرج الجيش الخراساني منتصراً ، ويتابع زحفه
نحو إيلياء (القدس) وهذا يدل على عزم وصلابة وقوة وبصيرة مذهلة في قائد
ذلك العسكر الخراساني وفي جنده .. وهم الذين يخرجون طالبين المهدي

^١ الفتن لابن حماد ١٦٢

^٢ عقد الدرر ٥٣

وحاملين لواءه وهم الذين يدعون له .. بل في الرواية التي تصف معاركهم تلك والتي منها ما يجري في الشام تقول : فلا يلقاهم أحد إلا هزموه ، وغلبوا على ما في أيديهم ، حتى تقرب رايأئهم بيت المقدس .. ولا يردّها شيء حتى تنصب بإيلياء . ثم تصف الرواية القائد الخراساني فتقول : لو قاتل الجبال لهذها واتخذ منها طرقاً حتى ينزل بإيلياء ..

إلا أنّ طبيعة هذه الإنتصارات تتعرض لمجموعة من الإنتكاسات ، خاصّة أنّ مسار الصراع يبدو بعد احتلال القدس مختلفاً في أكثر من ناحية ، حيث تتحرّك الروم ، والترك ، في ظلّ تنابعيّ في جيوش عربيّة تصرّ على متابعة القتال ضدّ الجيش الخراساني ، حتى تصل بعض تلك الحروب إلى قنطرة مصر ، وهذا يدلّ على أنّ معالم الصراع هناك تكون أشمل وأوسع وأكثر نفوذاً وهولاً والمثير أنّ الروايات تشير إلى أنّ بعض الرايات العربيّة تقاتل الرايات الخراسانيّة في فلسطين لمدّة سبعة أشهر ، وتنتهي بانكسار خراساني لكنّ جيشهم لا ينسحب نهائياً من تلك الأرض ، ثمّ يقع إختلاف بين الرايات العربيّة وجيوشها وعلى هذا الأثر من الصراع البارز يظهر السفياي ويعلن ثورته وسيطر على الكور الخمس ويوجّه ألوته اتجاه الجيش الخراساني ..

وفي الرواية : إذا اختلف أصحاب الرايات السود فيما بينهم ، أتاهم أصحاب الرايات الصفر ، فيجتمعون في قنطرة أهل مصر (قناة السويس) فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعاً ، ثمّ تكون الديرة على أهل المشرق ، حتى ينزلوا الرملة فيقع بين أهل الشام وأهل المغرب شيء (إختلاف) فيغضب أهل المغرب فيقولون إنّنا جئنا لننصركم ، ثمّ تفعلون ما تفعلون بنا ، والله لنخلينّ

بينكم وبين أهل المشرق فينهبونكم — لقلّة أهل الشام يومئذٍ — ثم يخرج السفياي
ويتبعه أهل الشام فيقاتل أهل المشرق ..^١

وعلى كلّ حال تبدو معالم الصراع هناك وهي على صلة بمجريات
واسعة في العالمين : الغربي والشرقي ، وضمن عنوان بارزٍ وكبيرٍ ، في التجمّع ضدّ
راية أهل خراسان ، التي يبدو عليها أنّها تتابع حربها بشكلٍ متواصلٍ يدفعها
هدف مركزي هو تحرير القدس ، ويظهر من ورقة الحرب والأحداث تلك أنّ
القدس غاية استراتيجية لزحف أهل المشرق الخراسانيين ..

إنّ هذا المنطق في فهمنا وقراءتنا للتاريخ يقوم على نحوٍ دقيقٍ وإشارةٍ
عالية من أنّ للباطل دولة ، وللحقّ دولة ، وأنّ للباطل دولة تحكم قروناً وقروناً
فتأخذ من دولة الحقّ شيئاً فشيئاً إلى أن يعمّ الباطل ، فيصبح الباطل سمة العالم
وقيمة النظام الدولي ، ثم تكون للحقّ دولة ، فتبدو في أولى معالمها شيئاً فشيئاً
فكلما زال من الباطل شيءٌ حلّ محله من الحقّ بمقداره إلى أن يعمّ الحقّ بشكلٍ
نهائيٍّ وكاملٍ ، ويكون ختام ذلك على يد القائم المهديّ عليه السلام .. وفي بيانٍ
إعجازيٍّ مذهلٍ للرسول محمد (ص) في سير تاريخ الحركة البشريّة في المفصل
الأهمّ لذلك العالم الجديد ضمن نطاقي العدل والجور قال :

(لا يلبث الجور بعدي إلا قليلاً حتى يطلع ،
فكلّما طلع من الجور شيءٌ يذهب من العدل بمثله ،
حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره ، ثم يأتي الله

^١ الفتن لابن حماد ١٧٢

بالعدل ، فكلما جاء من العدلِ شيء ، ذهب من الجورِ
مثله ، حتى يولد في العدلِ من لا يعرف غيره ..^١

إشارة إلى ما يصلُ إليه العالمُ من ظلمٍ وجورٍ وفسادٍ واضطهادٍ وباطلٍ
وحكوماتٍ تقومُ على أسسٍ خطيرةٍ من القيمِ المعاندة لمواثيق السماء .. إلا أن
ذلك العالم الخطير لا يخلو من حجةٍ لله على أهل الأرض ، بل في ذلك الزمنِ
الأصعب ، تكون هناك راية تنتصر للمهدي وأهل بيته ، وتصرخ في أعماق أهل
الأرض بضرورة العودة إلى الله ومواثيق الوجود الرباني .. وفي الحديث عن الإمام
علي (ع) قال : وليكوننَّ من يخلفني من أهل بيتي ، رجلٌ يأمرُ بأمرِ الله ، قويٌّ
يحكم بحكمِ الله ، وذلك بعد زمانٍ مكلحٍ مفضحٍ ، يشتد فيه البلاء وينقطع فيه
الرجاء ، ويُقبل فيه الرشاء ، فعند ذلك يبعثُ الله رجلاً من شاطئ دجلة لأمرِ
حزبه بحمله الحقدُ على سفكِ الدماء ، قد كان في سترٍ وغطاء ..^٢

بمعنى أن عصر العالم الآخر من معالم العدلِ وقيامه عبر انهيار صرح الجورِ
لا بد منه ، ولا بد من البدء بمفصلٍ أهم وهو بسط كاملٍ للشريعة في كل بقاع
العالم ، ويكون ذلك على يد المهدي المخول ذلك ، بل وظيفته ذلك ، نعم يكون
لأهل الحق ذلك وضمن حدود التوطئة ، فتكون الراية الخراسانية رمزاً عالياً
ووجهاً مركزياً في ذلك العالم ضمن ظرف وخصائص محددة .. وكما ترى ،
كل شيءٍ متصلٍ بالمهدي على اعتبارِ أنه الحدث الأهم في تاريخ ذلك العالم ، بل
هو من يصنع العالم الجديد بشكلٍ جديدٍ وقيم ومفاهيم ومواثيق وقيادة جديدة ..
وتؤكد الروايات أنه قبل خروج المهدي تكون الحجة كبرى ، وتكون الدعوة إلى

^١ كثر العمال ١١ حديث ٣١١١٧١

^٢ كثر العمال ١٤/٣٩٦٨٠

آل محمد مركزة ، بمعنى أن هناك أمة وجبهة ، تعمل على تركيز لواء آل محمد ،
تقيم بُنيّتها الوجودية على ذلك ، فتؤسس وتوطئ للمهديّ ، وتحشد كل طاقاتها
من اجل الإعلان عن موعد الحدث الأهم في صناعة العالم الجديد ..

وهذا بطبيعة الحال يعني قيام رجال هم على ولاء آل محمد ، فينشرون
الدعوة ، ويؤسسون مجتمع ثورة وحرب وقوة وممانعة ، ويكون لهم من القوة
والجأش ما يقفون به أمام العالم بالرغم من مناخه الدولي ، ولا جدال بأن رمز
تلك الراية ووجهها هم أهل المشرق الخراسانيين .. في هذا المجال تحدّث الروايات
ومنها :

- قال الإمام علي (ع) : يخرج رجل قبل المهديّ من أهل بيته بالمشرق ،
يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر ، يقتل ويمثل به ، ويتوجّه إلى بيت
المقدس ، فلا يبلغه حتى يموت ..^١

- يخرج رجل من قم يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قوم ، قلوبهم كزبر
الحديد ، لا تزلهم الرياح العواصف ، لا يملّون من الحرب ، ولا يجبنون ،
وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين ..^٢

- تجيء الرايات السود من قبل المشرق ، كأن قلوبهم زبر الحديد ، فمن
سمع بهم فليأتهم ولو حبواً على الثلج ..^٣

- تخرج الرايات السود تقاتل السفياي ، فيهم شاب من بني هاشم في كتفه
اليسرى خال ، على مقدّمته رجل من تميم يدعى شعيب بن صالح فيهزم
أصحابه ..^٤

^١ كتر العتال ١٤ حديث ٣٩٦٦٩

^٢ بحار الأنوار ٢١٦/٦٠

^٣ عقد الدرر ١٢٩ . الحاوي للفتاوي ٦٤/٢

- تقبل الرايات السود من خراسان ، على جمع الناس ، شاب من بني هاشم ، بكفه اليمنى حال ، يسهل الله له أمره وطريقه ..^٢ (إشارة إلى علامة غير عادية في يديه اليمنى) ..

- يخرج رجلٌ من ولدِ الحسينِ من قبل المشرقِ ، لو استقبلته الجبالُ الرواسي لهدّمتها ، واتخذ فيها طرقاً ..^٣

كلُّ هذه الروايات تؤكد ضرورة وجود راية أهلِ الحقِّ ، راية يكون لها شطر أساسي من النفوذ ، ويظهر أنّ نفوذها يكبر شيئاً فشيئاً كلما قرب عصرُ ظهورِ المهديِّ ، فتصل إلى مستوى إعادة ترتيب أوراق المنطقة في أكثر من ناحيةٍ وعنوان .. وتشير النصوص إلى أنّ هذه الراية تكون على نحوٍ أساسيٍّ في المنطقة وكما حاولت راية من أهلِ الباطلِ مقارعتها لم تنجح في ذلك ، نعم لا يخلو الأمر من مرارةٍ وتعَبٍ وجهدٍ يتناسب وواقع تلك الجبهة وما عليه العالم ، ومن مصاديق هذا الأمر أنّ راية أهلِ خراسان تكون في حربٍ طاحنةٍ لإحتلال بيت المقدس ، فما يكون من راية أهلِ الترك إلا أن تهاجم شطراً مهماً من أرض خراسان فتحته ثم يعود الجيش الخراساني فيهزم الترك هناك .. والنموذج العام لهذه الراية هو الممانعة ، الإنتصار ، القدرة ، جماعة لا يجبنون ، رجالٌ لا تأخذهم باللهِ لومة لائم ، تظلّ رايتهم منتصرة حتى خروج المهديِّ فيسلمونه الراية ..

وبخصوص السيّد الحسيني من طالقان ، فقد أكدت الروايات أنّه من أبرز أصحاب الإمام المهديِّ (ع) وهو من مناصري السيّد الخراساني الذي يقود في

^١ عقد الدرر ١٢٨ / الحاوي للفتاوي ٦٢

^٢ الحاوي للفتاوي ٦٩/٢

^٣ الحاوي للفتاوي ٦٢/٢ . عقد الدرر ١٢٧/

خراسان ثورة تصحيحية على أثر فتن داخلية وانقلاب عسكري دموي طارئ يحدث في طالقان وقم وبعض المدن الخراسانية ، يقوم به جماعة من أهل الباطل بهدف الإطاحة بقيادة ونظام الخراساني الموطن للمهدي عليه السلام ، وبفضل الله ونصرة الحسيني يفشل الانقلاب .. تقول الروايات في حق الحسيني بتلك الفترة الحرجة جداً :

- قال الإمام الصادق (ع) : .. ثم يخرج الحسيني ، الفتى الصبيح ، الذي من نحو الديلم ، فيصيح بصوت فصيح : يا آل محمد أجيئوا الملهوف ، والمنادي حول الضريح ، فتجيبه كنوز الله بالطالقان ، كنوز لا من ذهب ولا من فضة ، بل رجال كزبر الحديد ، يتعاونون شوقاً إلى الحرب كما تتعاون الذئب ، أميرهم رجل من تميم يقال له شعيب بن صالح ، فيقبل الحسيني فيهم ووجهه كدائرة القمر ، فيأتي على الظلمة فيقتلهم ، حتى يرد الكوفة ..¹

- عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق (ع) قال : ثم يخرج الحسيني الفتى الصبيح ، الذي نحو الديلم ، يصيح بصوت فصيح ، يا آل محمد أجيئوا الملهوف ، والمنادي من حول الضريح ، فتجيبه كنوز وأي كنوز ، ليست من فضة ولا من ذهب ، بلا هي رجال كزبر الحديد ، على البراذين الشهب ، بأيديهم الحراب ، ولم يزل يقتل الظلمة ، حتى يرد الكوفة .. فيتصل به وبأصحابه خبر المهدي (ع) ويقولون : يا ابن رسول الله ما هذا الذي قد نزل بساحتنا فيقول : اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد ؟ وهو والله يعلم أنه المهدي وأنه ليعرفه ولم يرد

¹ الأنوار النعمانية ٨٧/٢

- بذلك الأمر إلا ليعرّف أصحابه من هو .. فيخرج الحسيني فيقول : إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدك رسول الله ونخاته وبردته ودرعه وعمامته السحاب ... ومصحف أمير المؤمنين .. ؟ فيخرج له ذلك .. ولم يُرد ذلك إلا ليري أصحابه فضل المهدي حتى يباعوه .. فيقول الحسيني : الله أكبر ، مدّ يدك يا ابن رسول الله حتى نبايعك فيمدّ يده فيبائعونه ، ويباعه سائر العسكر الذي مع الحسيني .. ^١
- عن الإمام الباقر (ع) : يدخل المهدي الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت بينها ، فتصفو له ، فيدخل حتى يأتي المنبر فيخطب ، ولا يدري الناس ما يقول من البكاء ، وهو قول رسول الله (ص) كأني بالحسيني والحسيني وقد قاداها فيسلماها إلى الحسيني فيبائعونه .. ^٢
- وقال (ع) لا تزال طائفة من أمتي ... يقاتلون على أبواب الطالقان ، لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم ، حتى يخرج الله كنزهم من الطالقان فيحيي بهم دينه كما أميت من قبل .. ^٣
- في الحديث عن الإمام علي عليه السلام قال : تقبل رايات من شرقي الأرض .. يسوقها رجل من آل محمد ، تظهر بالشرق وتوجد ريحها بالمغرب .. حتى تنزل الكوفة طالبين بدماء آباءهم .. وكأني بالحسيني والحسيني قاداها فيسلماها إلى الحسيني فيبائعونه (المهدي) .. وهذا بطبيعة الحال يعني أنّ هؤلاء إثنان ، واحد حسيني والثاني حسيني إلى أن يسلموا الراية إلى المهدي (ع) ..

^١ بحار الأنوار ١٥/٥٣

^٢ الغيبة للطوسي ٢٨٠

^٣ كثر العمال ١٢ / حديث ٣٥٠٥٥

- إن لآل محمد بالطالقان كنزاً ، سيظهره الله إذا شاء ، دعاء حق يقومون بإذن الله فيدعون إلى دين الله ..^١

إلى العديد من الروايات التي تشير إلى راية ثانية من أهل الحق ، وتؤكد النصوص أن هاتين الرايتين يكون بينهما تكامل ، فهما اللتان تدخلان الكوفة وتسلمان الراية إلى المهدي (ع) .. نعم راية أهل خراسان لها النصيب الأكبر من النصوص والروايات التي تشير إلى وظيفتها ودورها الكبير خارج كيانها فضلاً عن مناعتها رغم تلك الأحداث ..

وعبر نجدة طالقان ورجالها العظام تعود المناعة إلى أرض خراسان وحكمها الموالي لآل محمد .. ومن خلال الإشارة إلى قم ومحاولة قيادة الانقلاب منها ومن غيرها فإن هذا يعني أن تلك الفتنة تحاول القضاء على مركز قم الأهم الذي يعتبر العاصمة الدينية للحكم السياسي الإسلامي في خراسان وذلك في زمن حرج جداً .. وحين نقول بلدة قم ، فإننا نعني بذلك الرحم الذي ينتج القيادة التي تحكم وتقود مجتمع الراية الخراسانية ، وأي خلل في قم يعني كارثة حقيقية ، من هنا تحاول الحركة الانقلابية تدبير إهتزاز عنيف في قم من أجل التأثير بشكل هائل على طبيعة الموازين في عمق النظام الشرعي للراية الخراسانية ، إلا أن نعمة الله وفضله تحول دون ذلك ، وتعود قم إلى مناعتها الكبرى ودورها الريادي .. وفي هذا المجال أحب أن أشير إلى أن مجموعة من روايات أهل البيت (ع) تعرضت لبلدة قم وأهلها في عصر الغيبة والظهور وهي متكاملة مضموناً ومؤيدة بطائفة واسعة من روايات أهل خراسان وغيرها وإليك بعضاً منها :

^١ شرح نهج البلاغة ٤٨/٧

١. قال الإمام الكاظم (ع) : يخرجُ رجلٌ من قم ، يدعو النَّاسَ إلى الحقِّ يجتمع مع قومٍ قلوبهم كزبر الحديد ، لا تزلهم الرياح العواصف ، لا يملّون من الحرب ولا يجبنون وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين ..^١
٢. قال الإمام الصادق (ع) : إنّما سُمِّيَ " قم " لأنَّ أهلَهُ يجتمعون مع قائم آلِ محمّد ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه ..^٢
٣. عن صفوان بن يحيى قال : كنتُ يوماً عند أبي الحسن (ع) فجرى ذكر أهل قم وميلهم إلى المهديّ فترحم عليهم وقال : رضي الله عنهم .. إنّ للجنة ثمانية أبواب ، واحدة منها لأهل قم ، وهم خيار شيعتنا ، من بين سائر البلاد ، خمر الله تعالى ولايتنا في طينتهم ..^٣
٤. قال الإمام الصادق في مدح أهل قم : أما أنّهم أنصار قائمنا ، ودعاة حقنا ، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم اعصمهم من كلّ فتنة ، ونجهم من كلّ هلكة ..^٤
٥. عن الإمام الصادق في قول الله تعالى (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عبداً لنا ، أولي بأسٍ شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً) قال (ع) : هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم ..^٥
٦. قال الإمام الرضا (ع) : ستخلو كوفة من المؤمنين ، ويأرز عنها العلم كما تأرز الحية في حجرها ، ثمّ يظهر العلم ببلدة يُقال لها قم ، وتصير معدناً للعلم والفضل ، حتى لا يبقى في الأرضٍ مستضعف في الدين حتى

^١ بحار الأنوار ٢١٦/٦٠

^٢ بحار الأنوار ٢١٦/٦٠

^٣ بحار الأنوار ٢١٦/٢٠

^٤ بحار الأنوار ٢١٨/٦٠

^٥ بحار الأنوار ٢١٦/٦٠

المخدرات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا ، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجّة ، ولولا ذلك لساحت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجّة ، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد من المشرق والمغرب فتتم حجّة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد لم يبلغ إليه الدين والعلم ، ثم يظهر القائم (ع) ويصير سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد ، لأن الله لا ينتقم من العباد إلا بعد انكارهم الحجّة ..^١

٧. قال الإمام الصادق (ع) : سيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجّة على الخلائق ، وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره .. وما قصده جبار بسوء إلا قصمه الله قاصم الجبارين وشغله عنه بدهية ومصيبة أو عدو وينسى الله الجبارين في دولته ذكر قم وأهله كما نسوا الله ..^٢

ومن يدقق في متن هذه الروايات فإنه يجد مضامينها متفقة بعنوان عام مع الروايات الكثيرة الواردة في حق أهل خراسان ، من أن الله يحتج بهم على الخلق ، ويكون بينهم من ينصر آل محمد ، وأن الحق ودولة الإسلام تكون فيهم في زمن يكثُر فيه الظلم والحيف والفساد في العالم .. وهذه الطائفة تضعنا بطبيعة الحال أمام واقع آخر ، مفاده تفصيلي أكثر ، وهذا ما كنت قد اشرت إليه في أكثر من مقام وجهة ، من أن دولة أهل الحق في آخر الزمان ، إنما هي دولة أتباع أهل البيت ، ولاءً وقيمةً ومذهباً .. وكل ما في نصوص الفريقين من أهل السنة والشيعة يؤيد هذه النتيجة بشكل نهائي وبلسان النبي (ص) من دون أدنى شك ..

^١ بحار الأنوار ٢١٦/٦٠

^٢ بحار الأنوار ٢١٣/٦٠

ثم إنَّ الراية الثانية من أهلِ الحقِّ هي راية اليماني ، وقد تضاربت الروايات في تحديد اسمِهِ ، وقد ذكرته رواية واحدة جاء فيها : يخرج ملك من صنعاء اسمه حسين أو حسن فيذهب بخروجه غمر الفتن ، يظهر مباركاً زاكياً فيكشف بنوره الظلماء ويظهر به الحق بعد الخفاء ..^١

وفي بعضها أشارت الرواية إلى أنَّ اسمه نصر وفي بعضها الآخر منصور ومنتصر ، إمّا على نحوٍ من إسمٍ حقيقيٍّ أو على نحوٍ من إشارةٍ وكناية .. ففي الرواية عن أبي جعفر الباقر (ع) قال : إذا ظهر السفياي على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم فيظهر عليهم السفياي ..^٢ ويُستفاد من الروايات أنَّ هناك توافقاً بين راية أهل خراسان وراية اليماني ، وفي الرواية أنَّ الله عزَّ وجلَّ يفتح للمهدي خراسان وتطيعه أهل اليمن ..

وفي الرواية أيضاً : خروج السفياي واليماني والخراساني في سنةٍ واحدةٍ في شهرٍ واحدٍ ، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً ..

وعلى كلِّ حال ، يظهر أنَّ لأهلِ الحقِّ عدَّة وجوه ، لكنَّ الراية الأكثر تأثيراً في عالم الجبهات حسب النصوص هي راية أهل خراسان (راية أهل المشرق وأصحاب الرايات السود) الذين يشكلون كياناً في غاية الأهميَّة ، فيوطنون للمهدي خروجه ، بل في هذه الراية يكون شعيب بن صالح القائد العسكري الذي يزيل الجبال ، ويقصد إيلياء ، ويحتل فلسطين ، وينصره اللهُ تعالى .. وفي الرواية : عليكم بالفتى التميمي ، فإنه يقبل من قبل المشرق ، وهو صاحب راية

^١ بحار الأنوار ١٦٢/٥٢

^٢ كثر العمال ١١ حديث ٣١٥٠٩

المهديّ ..^١ وفي لفظٍ آخرٍ بوصفِ شعيب بن صالح جاء فيه : حديث السنن ،
خفيف اللحية ، أصفر .. يخرج في الري ربعة أسمر يقال له شعيب بن صالح لا
يلقاه أحد إلا قتله ، ولو قاتل الجبال لهدّها حتى ينزل بإيلياء (أي القدس) ..^٢

كلّ ذلك يحدثُ في زمنٍ خطيرٍ للغاية ، زمن ظلمةٍ في أبعادها المختلفة
من قيم ومواثيق وشبه ذلك ..

ومع أنّ الروايات تشيرُ إلى أنّ السفيناني يكون مويّداً ومدعوماً من قبل
الروم ، لكنّه يعود فينقلب عليها ، فيعمل على توطئة حكمه بشكلٍ يتوافق مع
تطلّعاته في الحكم والنفوذ وإعادة رسم المنطقة .. بل في بعضها إشارة إلى إنتصاره
في إحدى الوقعات على الروم .. وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال : (إذا
ظهر السفيناني على الأبقع والمنصور اليماني ، خرج الترك والروم فظهر عليهم
السفيناني ..)^٣

وإذا تمت له الإنتصارات في أكثر من وقعةٍ وجهةٍ فإنّه يقصد العراق
لإحتلالها أيضاً .. يقول جابر عن الإمام الباقر (ع) :

(إذا ظهر السفيناني على الأبقع ، وعلى المنصور ، والكندي ، والترك
والروم ، خرج وصار إلى العراق ، ثم يطلع القرن ذو الشفا ، فعند ذلك هلاك
عبد الله . ويخلع المخلوع ، ويتسبب أقوام في مدينة الزوراء على جهل فيظهر

^١ مجمع الزوائد ٣١٧/١

^٢ البرهان للمفتي الهندي ٢١٧ _ الفتاوى الحديثة ٤١ . عقد الدرر ٣٠

^٣ ابن حماد : ص ٥٩

الأخوص على مدينة عنوة فيقتل بها مقتلة عظيمة ، وتقتل ستة أكبش من آل العباس ، ويدبح فيها ذبحا صبراً ثم يخرج إلى الكوفة) ...^١

وفي لفظٍ آخر للإمامِ الباقرِ (ع) قال :

(إذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام فتكون بينهم ملحمة عظيمة ، ثم يظهر الأخوص السفياي الملعون فيقاتلها جميعاً فيظهر عليهما جميعاً ، ثم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده وله فورة شديدة يستقل الناس قبل الجاهلية ، فيلتقي هو والأخوص وراياتهم صفر وثيابهم ملونة ، فيكون بينهما قتال شديد ، ثم يظهر الأخوص السفياي عليه ، ثم يظهر الروم ، وخروج إلى الشام ، ثم يظهر الأخوص ، ثم يظهر الكندي في شارة حسنة ، فإذا بلغ تل سما فأقبل ، ثم يسير إلى العراق . وترفع قبل ذلك اثنتا عشرة راية بالكوفة معروفة منسوبة . ويقتل بالكوفة رجل من ولد الحسن أو الحسين يدعو إلى أبيه ، ويظهر رجل من الموالي فإذا استبان أمره وأسرف في القتل قتله السفياي) ..^٢

وفي روايةٍ ثانيةٍ عن جابر عن الإمامِ أبي جعفرِ الباقرِ (ع) قال :

(إذا اختلفت كلمتهم ، وطلع القرن ذو الشفا لم يلبثوا إلا يسيراً حتى يظهر الأبقع بمصر يقتلون الناس حتى يبلغوا إرم ، ثم يثور المشوّه عليه فتكون بينهما ملحمة عظيمة ، ثم يظهر السفياي الملعون فيظهر بهما جميعاً . وترفع قبل ذلك اثنتا عشرة راية بالكوفة معروفة ، ويقتل رجل من ولد الحسين يدعو إلى أبيه . ثم ييث السفياي جيوشه)^٣ .. والظاهر من النصوص أن السفياي تكون له

^١ ابن حماد : ص ٨٢

^٢ ابن حماد : ص ٧٨

^٣ م . س .

انفلاشة واسعة ، من أجل إعادة رسم العالم السياسي في المنطقة وربما يكون ذلك بعد إنتصاره في إحدى الوقعات على الروم ، وعليه يحاول أن يجهض أيّ ثورة في مهدها ، ويعمل على ضمّ بقعة واسعة من العالم الإسلامي إلى حكمه .. من هنا فإنه بعد أن يعلم أنّ المهديّ خرج في مكّة ، مباشرةً يبعث جيشاً ساحقاً إلى المدينة من أجل احتلالها ، ويكون الجيش موجّهاً بشكلٍ مباشرٍ من أجل القضاء على آل محمّد (ع) .. وحسب النصوص فإنّ هذا يكون بعد أن تظهر كلمة آل محمّد أو على الأقلّ بعد أن يتمّ الإعلان عن ظهور المهديّ (ع) .. ففي الحديث عن أبي جعفر (ع) قال : (فيبلغ أهل المدينة مخرج الجيش إليهم ، فيهرب منها من كان من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى مكة يحمل الشديد الضعيف ، والكبير الصغير ، فيدركون نفساً من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيذبحونه عند أحجار الزيت) ..¹

وعلى كلّ حال فإنّ من المحتوم خروج راية السفياي والدجال ، كما هي حتمية النداء من السماء ، بل في الرواية أنّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول : إن خروج السفياي من المحتوم ، واختلاف ولد العباس من المحتوم ، وقتل النفس الزكية من المحتوم ، وخروج القائم (عليه السلام) من المحتوم . فقلت له : كيف يكون (ذلك) النداء ؟ قال : ينادي مناد من السماء أول النهار : ألا إنّ الحق في علي وشيعته ، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار : ألا إنّ الحق في السفياي وشيعته ، فيرتاب عند ذلك المبطلون) ..²

¹ ابن حماد : ص ٨٩

² الفضل بن شاذان : على ما في الارشاد ، وغيبة الطوسي .

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ النداءَ من السماءِ بالمهديِّ (ع) يكون تامَّ الحجَّةِ وأوضح من أيِّ شيءٍ آخر ، فلا حاجةَ إلى شكٍّ أو شبهةٍ على الإطلاق .. وفي الروايةِ عن أبي جعفرٍ (ع) قال : إن أمرنا قد كان أبين من هذه الشمس .. ثم قال : ينادى منادٍ من السماءِ فلان بن فلان هو الامام باسمه وينادي إبليس لعنه الله من الارض كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة ^١

وفي لفظٍ آخر قال (ع) : إن المنادي ينادي إنَّ المهدي (من آل محمد) فلان بن فلان باسمه واسم أبيه ، فينادي الشيطان : إن فلانا وشيعته على الحق ، يعني رجلاً من بني أمية) .. ^٢ وفي الروايات أنَّ هذا النداء يسمعه كلُّ النَّاس ، من أهل المشرقِ وأهل المغربِ ويفهمونه ، حتى تسمعه الفتاةُ في خدرها كما في لفظِ الإمام الباقرِ (ع) ..

وعليه : يبدو العالم السياسي آنذاك أكثر حدةً وانقساماً ، فيه تعددٌ جهات بل فيه انقلاب وانقلاب مضاد حتى بين الوكلاء السياسيين وجهاتهم الداعمة لهم .. تحاولُ فيه كلُّ جبهةٍ الإنتصار لمفهومها الداخلي في نهبِ ثروات الخارج والسيطرة ما أمكن على مفاصل العالم في الميدان الدولي .. وفي كلِّ محاولةٍ يعملُ النافذون على إعادة رسم الهيكل السياسي للعالم على نحوٍ من إبادةٍ عنيفةٍ لمواثيق النوع ذات الإتفاق مع مضمون العالم الرسالي والمفهوم الوجودي بحيث تتعرَّى القيمُ والمواثيق من صلتها بمنطقِ الله وبشكلٍ كبيرٍ ومذهلي ، فيبدو الظلم والإضطهاد والانحراف سيّد العالم آنذاك .. ويكون ظهورُ المهديِّ مفصلاً أساسياً في إعادة رسم العالم وتكوين خريطته من جديد رغم ما يلاقيه من تكوين

^١ كمال الدين : ج ٢ ص ٦٥٠ / ٥٧ ص ٤

: النعماني : ص ٢٦٤ ، ١٤ ص ٢٧

جبهاتٍ مختلفةٍ لقتاله (ع) .. ويظهر من الروايات أن المهديّ (ع) يمكثُ مدّةً في مكة مع أصحابه ، وأنّ الله يصلحُ أمره في ليلةٍ وفي بعضها أنّ الله ينصره بملائكةٍ بدر .. وكلّها إشارة إلى أنّ الله تعالى يعطيه النصر والعزّة والسلطنة في العالم .. ففي الرواية عن الإمام الباقر (ع) قال :

(يبايع القائم " المهديّ " بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف ، عدة أهل بدر . فيهم النجباء من أهل مصر ، والابدال من أهل الشام ، والاخيار من أهل العراق . فيقيم ما شاء الله أن يقيم) ..¹

وفي حديثٍ آخر للإمام الباقر (ع) قال : (يمسي من أخوف الناس ، ويصبح من آمن الناس ، يوحى إليه هذا الامر ليله ونهاره . قال قلت : يوحى إليه يا أبا جعفر ؟ يا أبا جارود إنه ليس وحي نبوة ، ولكنه يوحى إليه كوحيه إلى مريم بنت عمران ، وإلى أم موسى وإلى النحل . يا أبا الجارود : إن قائم آل محمد لأكرم عند الله من مريم بنت عمران وأم موسى والنحل) ..²

ويظهر من بعض الروايات أنّ خروج المهديّ (ع) يكون بعد قتل النفس الزكيّة بـ (١٥ ليلة) ففي الحديث عن الإمام الباقر (ع) قال : (ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة) ..³ وفي بعضها أنّ المهديّ (ع) يظهر يوم عاشوراء ويكون يوم السبت يوم مقتل الإمام الحسين (ع) على ما في أكثر من رواية ، منها رواية الإمام الباقر عليه السلام الواردة في غيبة الطوسي .. وفي النصوص أنّ الإمام المهديّ (ع) يحتجّ على أهل مكة قبل خروجه

¹ الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : ص ٢٨٤

² كتاب الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار .

³ الفضل بن شاذان : - على ما في غيبة الطوسي .

إليهم فما يكون من قادة الحكم هناك إلا أن يذبحوا من أرسل (ع) وهو النفس الزكية ..

وفيها : أن القائم المهدي (ع) يقول لأصحابه : يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني ، ولكني مُرسل إليهم ، لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم . فیدعو رجلاً من أصحابه فيقول له : امض إلى أهل مكة فقل : يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم : إنا أهل بيت الرحمة ، ومعدن الرسالة والخلافة ، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين ، وإنا قد ظلمنا واضطهدنا ، وقهرنا وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا ، فنحن نستنصركم فانصرونا . فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام ، وهي النفس الزكية ، فإذا بلغ ذلك الامام قال لأصحابه : ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا ، فلا يدعونني حتى يخرج فيهبط من عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، عدة أهل بدر ، حتى يأتي المسجد الحرام ، فيصلي فيه عند مقام إبراهيم أربع ركعات ، ويسند ظهره إلى الحجر الاسود ، ثم يحمد الله ويثني عليه ، ويذكر النبي صلى الله عليه وآله ويصلي عليه ، ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس ، فيكون أول من يضرب على يده ويبايعه جبرئيل وميكائيل (إشارة إلى التأييد والنصر الرباني لأولى معالم دولة المهدي (ع) إلى أن يتم الله تعالى أمره هناك) .. ثم يخرج من مكة ، حتى يكون في مثل الحلقة ، قلت : وما الحلقة ؟ قال : عشرة آلاف رجل ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، ثم يهز الراية الجليلة وينشرها وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله (السحاب) ودرع رسول الله صلى الله عليه وآله السابغة ، ويتقلد بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله

ذي الفقار) .. ' كل هذه النصوص تشير إلى أن الله يصلح أمر المهدي في ليلة واحدة وقد استفاض ذلك عند الفريقين من السنة والشيعة ولا خلاف في ذلك بمعنى أن الله تعالى يهيئ أمر المهدي ويقيم أمره بوقت قصير جداً .. وفي بعضها عن أبي حمزة عن الإمام الباقر (ع) قال : إن المهدي (ع) يظهر بمكة عند العشاء ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقميصه وسيفه ، وعلامات ، ونور ، وبيان (إشارة إلى الوراثة الحقة) فإذا صلى العشاء نادى بأعلا صوته يقول :

أذكركم الله أيها الناس ، ومقامكم بين يدي ربكم ، فقد اتخذ الحجة ، وبعث الانبياء ، وأنزل الكتاب ، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً ، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله ، وأن تحبوا ما أحيا القرآن ، وتميتوا ما أمات ، وتكونوا أعواناً على الهدى ووزراً على التقوى ، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها وآذنت بالوداع ، فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله ، والعمل بكتابه ، وإمارة الباطل ، وإحياء سنته ... فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر ، على غير ميعاد ، قزعا كقزع الخريف ، رهبان بالليل أسد بالنهار فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز ، ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم وتنزل الرايات السود الكوفة ، فتبعث بالبيعة إلى المهدي ، فيبعث المهدي جنوده في الآفاق ، ويميت الجور وأهله وتستقيم له

¹ السيد علي بن عبد الحميد : - على ما في البحار .

البلدان ، ويفتح الله على يديه (ع) القسطنطينية ..^١
— إشارة إلى انتصاره على جبهة المسيحية الغربية —

ومع خروجه (ع) يلاقي من الناس ما لاقى جدُّه رسولُ الله (ص) من
عداوةٍ وإنكارٍ وإجحافٍ وجبهاتٍ وحربٍ وعداوةٍ ومعاندةٍ .. بل في الحديثِ
عن الإمامِ الباقرِ (ع) : (إن صاحب هذا الامر لو قد ظهر لقي من الناس مثل ما
لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وأكثر) ..^٢

ويظهر أن حركة المهدي (ع) تكون في عالم مضطربٍ بحيث لا تهدأ
الفتنُ حتى أن بعضَ المناطقِ التي تصبح تحت رايته وحكمه تشهد محاولاتٍ عدّة
للإطاحة بحكمه (ع) ففي الرواية عن الباقرِ (ع) قال :

يباع القائم (المهدي) بمكة على كتاب الله وسنة رسوله ، ويستعمل
على مكة ، ثم يسير نحو المدينة ، فيبلغه أن عامله قتل ، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة
ولا يزيد على ذلك ، ثم ينطلق فيدعو الناس بين المسجدين إلى كتاب الله وسنة
رسوله والولاية لعلي بن أبي طالب والبراءة من عدوه حتى يبلغ البيداء فيخرج إليه
جيش السفياي فيخسف الله بهم .. وفي خبر آخر : يخرج إلى المدينة فيقيم بها ما
شاء ، ثم يخرج إلى الكوفة ، ويستعمل عليها رجلاً من أصحابه ، فإذا نزل
الشفرة جاءهم كتاب السفياي : إن لم تقتلوه لأقتلن مقاتليكم ولأسبين ذراريكم
فيقبلون على عامله فيقتلونه ، فيأتيه الخبر فيرجع إليهم فيقتلهم ، ويقتل قريشاً
حتى لا يبقى منهم إلا أكلة كبش ثم يخرج إلى الكوفة ، ويستعمل رجلاً من

^١ ابن حماد : ص ٩٥

^٢ النعماني : ص ٢٩٧ ، ١٧ > ٢

أصحابه فيقبل وينزل النجف^١ .. ويكون للمهديّ (ع) جولات كبرى وصراع واسع في ظلّ جبهاتٍ متناحرةٍ وكياناتٍ مختلفةٍ تصرّ على بترِ أيّ صلةٍ للنظامِ السياسيّ بالمهديّ ، إلا أنّ الله يؤيّدهُ بنصرِهِ ، وفي بعضِ الروايات إشارة صريحة ومكرّرة إلى أنّ الله ينصرُ المهديّ بملائكتهِ فما يكون من المهديّ إلا أن يفرّق الجند ويحطم الجبهات وينشر العدل في العالم .. وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

(كَأني بِالقائِمِ على نَجفِ الكوفةِ قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة ، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله والمؤمنون بين يديه ، وهو يفرّق الجنود في البلاد) ..^٢

وتكون الكوفة واحدة من محطات المهديّ ، بل فيها تجري واحدة من مراسم تقديم الولاء له (ع) بعد أن يدخلها الحسينيّ والحسينيّ ويباعنه ويكون اللقاء التاريخيّ الأهمّ في تلك المرحلة بين إثنين من قوادر راية أهل الحقّ وبين المهديّ (ع) بما يعني ذلك من محطةٍ عاطفيّةٍ كبرى .. ففي الحديث عن الإمام الباقر (ع) قال :

يدخل المهديّ (ع) الكوفة وبها ثلاثُ راياتٍ قد اضطربت بينها ، فتصفو له فيدخل حتى يأتي المنبر فيخطب ، ولا يدري الناس ما يقول من البكاء ، وهو قول رسول الله (ص)

^١ البحار : ٥٢ ص ٣٠٨ ، ٢٦ ص ٨٢

^٢ الارشاد : ص ٢٦٢

كأني بالحسيني والحسيني وقد قاداها ، فيسلمها
إلى الحسيني (المهدي) فيبايعونه ..^١

هناك — في الكوفة — يبدو عالم أهل البيت (ع) مختلفاً حيث كلّ معالم
تلك الديار فيها من أثر عليّ والحسن والحسين وزينب الكبرى عليهم السلام ..
تشير النصوص إلى أنّ الناس حين يشاهدون المهديّ يضحّون بالبكاء والنحيب
شوقاً إليه ، حتى أنّه يخطب فلا يُسمعُ صوته من كثرة البكاء والأنين .. وفي غيبة
الطوسي عن الإمام الباقر (ع) في حديث طويل قال : يدخل المهدي الكوفة ..
وقد اضطربت بينها ... فيدخل .. ويخطب ولا يدري الناس ... وهو قول
رسول الله صلى الله عليه وآله : (كأني بالحسيني والحسيني وقد قاداها) فيسلمها
إلى الحسيني فيبايعونه ، فإذا كانت الجمعة الثانية قال الناس : يا ابن رسول الله
الصلاة خلفك تضاهي الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمسجد لا
يسعنا ، فيقول : أنا مرتاد لكم فيخرج إلى الغري فيخط مسجداً له ألف باب ،
يسع الناس ، عليه أصيص ، ويبعث فيحفر من خلف قبر الحسين عليه السلام لهم
مُمرّاً يجري إلى الغرين حتى ينبذ في النحف ويعمل على فوهته قناطر وأرحاء في
السبيل وكأني بالعجوز وعلى رأسها مكمل فيه بر حتى تطحنه بكربلاء) ..^٢
ويظهر من عدّة مرويات أنّ المهديّ يعمل على تطوير بُنى النفع والخدمة في
الكوفة وجوارها ، ويتخذُ فيها بيتاً ..

أمّا عن سيرته (ع) فتشيرُ بعضُ الروايات إلى أنّه لا يقاتلُ إلا من قاتله ،
وفي بعضها الآخر تشير إلى أنّه يُعملُ في مقاتليه السيف ، أي يقاتلهم ولا

^١ الغيبة للطوسي ٢٨٠

^٢ ص : ٢٨٠

يستتبيهم .. أي أن واقع الحال يكون على نحوٍ من حروبٍ وفتنٍ وصراعٍ
وانقلاباتٍ هائلةٍ وحروبٍ سريعةٍ لا تفسح المجال في العديد من الأحيان إلى حوار
الكلمة .. ففي الرواية عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام سُئل هل يسير
المهديّ بسيرة جدّه (ص) في من قاتله فقال : (.. هيهات هيهات يا زرارة ما
يسير بسيرته ، قلت : جعلت فداك لم ؟ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله
سار في أمته بالمن ، كان يتألف الناس ، والقائم يسير بالقتل ، بذاك أمر في
الكتاب الذي معه أن يسير بالقتل ولا يستتیب أحدا ، ويل لمن ناواه) ..^١
إشارة إلى أن المهديّ يقاتل من قاتله في ظلّ عالمٍ محمومٍ وصراعٍ متّصلٍ وجبهاتٍ
مستنفرةٍ في كلِّ أنحاء الأرض .. وفي الرواية عن بشير النبال قال : قدمت المدينة
وقلت لأبي جعفر عليه السلام : إنهم يقولون إنّ المهدي لو قام لاستقامت له
الامور عفواً ولا يهريق محجمة دم فقال : كلا والذي نفسي بيده لو استقامت
لاحد عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله ، حين أدميت رباعيته
وشجّ في وجهه . كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق ، ثم
مسح جبهته) .. ويخوض المهديّ في سبيلٍ منع واستئصال الجور والفساد والظلم
حرباً كبرى إلى أن ينصره الله على الجبهات المتعدّدة ، من جبهات الشرق إلى
جبهات الغرب في حين يكون السفياي من أطفئ رايات المنطقة في زمنٍ ما وهو
الذي يبعث بجيشه إلى النواحي من أجل القتل والسفك والعنف المستمرّ إلى أن
يقاتله أهل خراسان والمهديّ (ع) .. ففي الرواية عن الإمام أبي جعفر الباقر (ع)
قال : (بيث السفياي جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد فيبلغه فرعة من
وراء النهر من أهل خراسان فيقتل أهل المشرق عليهم قتلاً ويذهب جهم ، فإذا

^١ النعمان : ص ٢٣١ ، ١٣ ، ١٤

بلغه ذلك بعث جيشاً عظيماً إلى إصطخر ، عليهم رجل من بني أمية فتكون لهم
وقعة بقومش ، ووقعة بدولات الري ، ووقعة بتخوم زرع ، فعند ذلك يأمر
السفياني بقتل أهل الكوفة وأهل المدينة ، وعند ذلك تقبل الرايات السود من
خراسان على جميع الناس ، شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال ، يسهل الله
أمره وطريقه ، ثم تكون له وقعة بتخوم خراسان ، ويسير الهاشمي في طريق الري
فيسرح رجلاً من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى إصطخر إلى
الأموي ، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء اصطخر ، فتكون بينهما ملحمة
عظيمة ، حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرصاعها ثم تأتيه جنود من سجستان عظيمة ،
عليهم رجل من بني عدي ، فيظهر الله أنصاره وجنوده ، ثم تكون وقعة بالمدائن ،
بعد وقعة الري ، وفي عاقر قوفا وقعة صيلمية يخبر عنها كل ناج ، ثم يكون
بعدها ذبح عظيم بياكل ، ووقعة ، في أرض من أرض نصيبين ، ثم يخرج على
الآخوص قوم من سوادهم ، وهم العصب ، عامتهم من الكوفة والبصرة حتى
يستنقذوا ما في يديه من سبي كوفان ..^١

نعم هناك رواية غير تامة السند تشير إلى أن السفياني بعد دخول المهدي
إلى الكوفة ، يبايعه على أنه تاب ، ثم يقاتله من جديد ، فينتصر المهدي عليه ..
وفيها أن المهدي (ع) بعد أن يفتح الكوفة ويمكث فيها ما شاء الله يعقد بها ثلاث
رايات : لواء إلى القسطنطينية يفتح الله له ، ولواء إلى الصين يفتح له ، ولواء إلى
جبال الديلم يفتح له^٢

^١ ابن حماد : ص ٨٦

^٢ البحار : ص ٥٢ ، ٢٨٨ ، ٢٧ ، ٢٠٦ - عن كتاب الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد ، وقال (وبإسناده رفعه إلى جابر بن يزيد
، عن أبي جعفر (ع) ..

وتضيفُ بعضُ الروايات أنَّ المهديَّ (ع) إذا قام حكم مدّة أهل الكهف
وفيها أنّه يملك ثلاث مائة سنة ، ويزداد تسعاً ، كما لبث أهل الكهف في
كهفهم ، يملئ الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، فيفتح الله له
شرق الأرض وغربها ... حتى لا يبقى إلا دين محمد (ص)^١

فيقيم أمر الله كما جاء به رسول الله ، لا كما زورهُ السلاطين ووعاظهم
عبر الحذف والتدليس والإماتة والإبطال والاستبدال بالعملنة والضلال .. وفي
الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (إن قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد ،
كما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله .. وإن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود
غريباً ، كما بدأ فطوبى للغرباء) ..^٢ وتشير طائفة أخرى إلى أن هذا الإسلام بعد
الغربة يصبح دين العالم كلّهُ حتى لا يبقى في الأرض إلا الدين الذي جاء به
رسول الله (ص) .. وفي روايةٍ أخرى عنه (ع) قال : يهدم ما قبله كما صنع
رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويستأنف الإسلام جديداً)^٣

وفي لفظٍ آخر عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر عليه السلام
عن القائم عجل الله فرجه إذا قام بأي سيرة يسير في الناس ؟ فقال (ع) : بسيرة
ما سار به رسول الله ، صلى الله عليه وآله حتى يظهر الإسلام ، قلت : وما
كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : أبطل ما كان في الجاهلية ،
واستقبل الناس بالعدل ، وكذلك القائم عليه السلام إذا قام يبطل ما كان في

^١ البحار : ٥٢ ص ٣٩٠ ، ٢٧ ص ٢١٢

^٢ النعمان : ص ٣٢٠ ، ٢٢ ص ١

^٣ النعمان : ص ٢٣٢ ، ١٣ ص ١٧

الهدنة مما كان في أيدي الناس ، ويستقبل بهم العدل) ..^١ فلا يُبقي للمنكرِ دوراً ولا منطقةً ألا وأغلقها ، وعمل على تطبيق القرآن وفق نموذج الرسالة الربانية وبعثة رسول الله (ص) لا تأخذهُ بذلك لومةً لائمٍ أبداً .. وفي الحديث عن الإمام الباقر (ع) قال : (... لا ندخل أحداً في ضلالة ، ولا نخرجه من هدى . إن الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله عز وجل رجلاً منّا أهل البيت ، يعمل بكتاب الله لا يرى فيكم منكرًا إلا أنكره) .

وفي تلك المرحلة الكبرى ، ذات المفصل الأهم بتاريخ البشرية تشير بعض النصوص إلى مَنْ من الله وبركة مفادها نوع من الكمال يعطيه الله في عصر المهدي (ع) وقد قال الإمام الباقر (ع) : (إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد ، فجمع بها عقولهم ، وكملت به أحلامهم) ..^٢ إشارة إلى نوع من المنّ والكمال في عصر الرحمة الإلهية الكبرى ..

لا شكّ إنّه الفرج الأعظم ، والرحمة الكبرى ، والميثاق الذي لا بدّ من تحقّقه .. وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) قال : (أما والله ليغيبنّ عنكم مهديكم حتى يقول الجاهل منكم : ما لله في آل محمد حاجة ، ثم يقبل كالشهاب الثاقب فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)^٣

وفي لفظٍ آخر قال (ع) : إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الائمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الارض وصاحب الزمان ،

^١ التهذيب : ج ٦ ص ١٥٤ ، ٧٠ ، ٢٧٠

^٢ الكافي : ج ١ ص ٢٥ ، ٢١

^٣ كمال الدين : ج ٢ ص ٢٤١ ، ٣٣ ، ٢٢

والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملاً
الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ..^١

وكثيراً ما أشار أهل البيت إلى روح ذلك الزمن زمن المهدي في شقي :
غيبته وظهوره المشرف (ع) حيث عطية الله تتم ، وشمس الوجود تضيئ وبها يتم
ميثاق الله في عباده ..

وها نحن الآن في زمن الغيبة الكبرى ، زمن الإشراق الأخرى ، زمن
العالم المطلق على الوجود الآخر من عالم الله تعالى ، حيث المهدي هو الثاني عشر
من سلسلة الأطهار الأوصياء من آل محمد ، وبهم يتم الله ختام الأوصياء عليهم
السلام .. فإذا استحكمت اليأس ، أشرقت شمس المهدي (ع) بنعمة الله الكبرى ،
وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) قال : .. إن لصاحب هذا الامر غيبتين ،
إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم يقول قتل وبعضهم يقول ذهب
فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير ، لا يطلع على موضعه أحد من ولي
ولا غيره ، إلا المولى الذي يلي أمره ..^٢

إنه الإمتحان الأصعب في زمن لا يؤمن إلا بالاستعدادات الغريزية
والمقامع المادية .. إنه الزمن الأخطر ، حيث الإنكار يطال الله تعالى ، فكيف هي
الحال مع المهدي .. بل في الحديث عن الصادق (ع) : إن القائم إذا قام يقول
الناس : آتى ذلك ؟ وقد بليت عظامه ..^٣

^١ كمال الدين : ج ١ ص ٣٣

^٢ غيبة الطوسي ..

^٣ غيبة الطوسي ..

وبطبيعة الحال ، تبقى موثيقُ الله وما جاء به النبي (ص) عنوانَ الإلزامِ والإلتزامِ إلى أن يخرج المهدي ولا يجوزُ على الإطلاق تعطيل أيّ حكم من أحكامِ الشريعة ، بل تبقى حيّة إلى يومِ القيامة ، لازمةً في حقّ النَّاسِ ، كما كانت في عهدِ النبي والإمامِ المعصومِ عليهم السلام .. وفي الحديثِ عن زرارة عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) قال : يأتي على الناس زمان ، يغيب عنهم إمامهم ، فقلت له : ما يصنع الناس في ذلك الزمان ؟ قال : يتمسكون بالامر الذي هم عليه حتى يتبين لهم) ..^١

وقد ثبت عن أهل البيت (ع) تحريم توقيت خروجِهِ (ع) في حين أن ظهورَ المهديّ هو من الأمورِ المحتومةِ بإذنِ الله تعالى .. وفي قولِ الصادقِ (ع) : يا محمد من أخبرك عنا توقيتاً فلا تهابنَّ أن تكذبه فإننا لا نوقت لأحد وقتاً) .. وفي لفظٍ آخر : قال (ع) : كذب الوقتون ، إنا أهل البيت لا نوقت^٢ وفي نصٍّ ثالثٍ — كما في غيبة الطوسي — قال (ع) : كذب الوقتون ، وهلك المستعجلون ، ونجا المسلمون) .

وإنَّ انتظارَ الفرَجِ من أعظمِ الأمورِ المفترضةِ ، بما قال النبي وعليّ والأئمة من ولدهِ عليهم السلام .. بل في الحديثِ عن الصادقِ (ع) قال : ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزَّ وجل من العباد عملاً إلا به ؟ فقلت : بلى ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده (ورسوله) والاقرار بما أمر الله ، والولاية لنا والبراءة من أعدائنا - يعني الأئمة خاصة - والتسليم لهم ، والورع والاجتهاد والطمأنينة ، والانتظار للقائم عليه السلام ، ثم قال : إن لنا دولة يجيء الله بها إذا

^١ كمال الدين : ٢ > ص ٣٥٠ ، ٣٣ > ٤٤

^٢ الكافي : ١ > ص ٣٦٨ > ٣

شاء ، ثم قال : من سرّهُ أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الاخلاق وهو منتظر ، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الاجر مثل اجر من أدركه ، فجدوا وانتظروا ، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة ..^١

وبطبيعة الحال ، سيكون الإمتحان صعباً على أن يكون الأجرُ على قدره حيث قيم الوجودِ آنذاك تكونُ على نحوٍ من شكٍّ وهزليةٍ واختلافٍ واستهزاءٍ وشبه ذلك .. وزيادةً على كلِّ هذا ، تجتاحُ الفتنُ البلادَ حتى قال الصادقُ (ع) : كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم يرى ، يتبرأ بعضكم من بعض ، فعند ذلك تميزون وتمحصون وتغربلون ، وعند ذلك اختلاف السيفين ، وإمارة من أول النهار ، وقتل وخلع من آخر النهار)^٢

زمنٌ يقولُ فيه ثلّةٌ من الشيعةٍ للمهديّ (ع) إذا خرج : ارجع يا بن رسولِ الله لا حاجة بنا إليك .. وتكثر الكذّابة ، والمدّعون ، وأصحاب الدنيا ويتبرأ القوم من بعضهم البعض .. فإذا تمَّ أمرُ الله بظهورِ المهديّ برزت إلى الوجودِ معالمُ دولةِ الله ، في ظلِّ حُكمٍ ومَنٍّ من الله ، وبركةٍ تظهرها السماءُ والأرض ، يقول الإمامُ الصادقُ عليه السلام : لكل أناس دولة يرقبونها ، ودولتنا في آخر الدهر تظهر)^٣

ثم أنه قبل ظهور المهديّ يدّعي أكثرُ أتهم المهديّ ، بل في بعضها كما في غيبة الطوسي أنّه لا يخرج القائم حتى يخرج قبله اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه .. وعليه : في ذلك الزمن السابق على الظهورِ يكثر المدّعون

^١ ات النعماني : ص ٢٠٠ ، ١١ ، ١٦

^٢ كمال الدين : ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٢٣ ، ٢٦

^٣ ات أمالي الصدوق : ص ٣٩٦ المجلس ٦٤ ، ٢

ويحكم الصبيان ويموت الدين وتحيا غريزة الدنيا ويحملها كلُّ على رأسه وتكون مقصده وغايته ، ويتنازعون في البطن والفرج والمال . ويختلف سيف بني فلان ، وتضيق الحلقة ، ويظهر السفياي ، ويشتد البلاء ، ويشمل الناس موت وقتل ، يلجئون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله بحيث تكون معالم العالم متصلة بنوعٍ حادٍّ من الإنحرافِ عن غايات الرسالة الإلهية .. ويصل الأمر في الشيعة إلى خلافٍ واختلافٍ متعدّدٍ متنوعٍ ففي الحديث عن الإمام الصادق (ع) قال : كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين ، فيأرز العلم كما تأرز الحية في جحرها ، واختلفت الشيعة وسمي بعضهم بعضاً كذابين ، وتفل بعضهم في وجوه بعض .. ؟ قلت : جعلت فداك ، ما عند ذلك من خير ، فقال لي : الخير كله عند ذلك - قالها ثلاثاً^١

بمعنى أن خروج المهدي (ع) يكون على وشك قريب من تحقّق العلامات تلك ، وهي متعددة ، بعضها قريب ، وبعضها بعيد ، ففي النص كما في غيبة الطوسي قال الإمام الصادق (ع) : من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم (ع) ثم قال : إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد ، ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله ، ويذهب ملك السنين ، ويصير ملك الشهور والايام ، فقلت يطول ذلك ؟ قال : كلا . وفي لفظٍ آخر عن محمد بن الصامت عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال قلت له : ما علامة بين يدي هذا الأمر .. ؟ فقال (ع) : بلى ، قلت : وما هي ؟ قال : هلاك العباسي ، وخروج السفياي ، وقتل النفس الزكية ، والخسف بالبيداء ، والصوت من السماء . فقلت : جعلت فداك أخاف أن يطول هذا الأمر ، فقال : لا إنما هو كنظام الخرز يتبع بعضه

^١ الكافي : ١ ص ٣٤٠ - ١٧

بعضاً^١ وفي إشارة إضافية إلى تلك العلامات التي تكون قبل الظهور قال (ع) :
النداء من المحتوم ، والسفياني من المحتوم ، واليماني من المحتوم ، وقتل النفس
الزكية من المحتوم ، وكفّ يطلع من السماء من المحتوم ، قال وفزعة في شهر
رمضان توقظ النائم ، وتفزع اليقظان ، وتخرج الفتاة من حدرها^٢ .. ويظهر
من الروايات أنّ بعض العلامات تكون أقرب من الأخرى في الإشارة إلى موعد
الظهور ، فقتل النفس الزكية كما في الرواية يكون قبل ١٥ ليلة من ظهور
المهديّ عجل الله فرجه الشريف ..

وبالنسبة إلى الأحداث الأخرى ، كعلامة أو مؤشر أو ظرف ، تشير
الروايات في بعضها إلى اختلاف سيفين ، وهلاك عبد الله ، والعباسي .. من تلك
الروايات ما قاله الإمام الصادق (ع) : أمسك بيدك هلاك الفلاني (اسم رجل
من بني العباس) وخروج السفياني وقتل النفس ، وجيش الخسف ، والصوت ،
قلت : وما الصوت أهو المنادي ؟ فقال : نعم ، وبه يعرف صاحب هذا الامر ،
ثم قال : الفرج كله هلاك الفلاني (من بني العباس)^٣

وقد أشرت إلى أنّ تعبير " العباسي " إنّما وارد هنا في عصر الظهور
للمهديّ (ع) ومعطوف عليه ، من هنا فلا مورد لهذه الروايات فيما خصّ دولة
بني العباس التي أقيمت بعد دولة بني أمية تاريخياً .. وقد تكرّرت هذه الإشارة في
أحاديث أهل البيت ، وهي مروية بغير لسانهم في كتب العامة أيضاً .. وعلى
كلّ حال ، قبل ظهور المهديّ (ع) لا بدّ من وجود جبهة ذات إنتماء عباسي أو

^١ التعماني : ص ٢٦٢ ، ١٤ ، ٢١

^٢ التعماني : ص ٢٥٢ ، ١٤ ، ١١

^٣ التعماني : ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ١٤ ، ١٦

إسم عبّاسي أو إرث عبّاسي أو شكل أو صلة ما ، لها نوع من اختصاص في الإستعارة التاريخية أو الزمنية لهذا الإسم ، ويكون ذلك في بلاد المسلمين ، وليس في بلاد الروم ، فإذا تمّ الأمر كذلك كان علامةً مشدّدةً وقرينة من عصرٍ ظهور الإمام المهديّ (ع) ..

ثمّ هناك بعضُ العلاماتِ الأبرز من غيرها كما في أكثر من نصّ ، منها ما رواه أبو بصير عن الإمام الصادقِ (ع) قال : قلت له جعلت فداك ، متى خروج القائم عليه السلام ؟ فقال : يا أبا محمد ، إنا أهل بيت لا نوقت ، وقد قال محمد صلى الله عليه وآله كذب الوقاتون . يا أبا محمد إنّ قدام هذا الامر خمس علامات : أولاهن النداء في شهر رمضان ، وخروج السفياي ، وخروج الخراساني ، وقتل النفس الزكية ، وخسف بالبيداء ، ثم قال : يا أبا محمد : إنه لا بدّ أن يكون قدام ذلك الطاعونان : الطاعون الابيض والطاعون الاحمر ، قلت : جعلت فداك وأي شيء هما ؟ فقال : أما الطاعون الابيض فاللوت الجارف ، وأما الطاعون الاحمر فالسيف ، ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين (في شهر رمضان) ليلة جمعة قلت : بم يُنادى ؟ قال : باسمه واسم أبيه : ألا إنّ فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه ، فلا يبقى شيء خلق الله فيه الروح إلا يسمع الصيحة ، فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره ، وتخرج العذراء من خدرها ، ويخرج القائم مما يسمع ، وهي صيحة جبرئيل عليه السلام) ...¹

¹ النعماني : ص ٢٨٩ ، ١٦ ، ٦

ويكون كل ذلك في زمنٍ تتمُّ فيه الحجَّة ، وتكون فيه البيِّناتُ على دينِ الله تعالى بارزةً ، بحيث لا تخفى الحجَّة ، نعم يكون العالم على نحوٍ من التشكيك والتقصير والإسراف في النكير ، ويكون لأهل البيتِ مدرستُهُم ، وموقعُ علمِهِم ، وإعلان دعوتِهِم ، حتى لا يكون للناس على الله حجَّة .. بل في الروايةِ عن الإمام الصادقِ (ع) قال : ستخلو الكوفة من المؤمنين ، ويأرز عنها العلم كما تأرز الحية في جحرها ، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم ، وتصير معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الارض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا ، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجَّة ، ولولا ذلك لساخت الارض بأهلها ولم يبق في الارض حجة ، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب ، فتم حجَّة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الارض لم يبلغ إليه الدين والعلم ، ثم يظهر القائم (عليه السلام) ويصير سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد ، لان الله لا ينتقم من العباد إلا بعد إنكارهم الحجَّة) ..¹

وفي لفظٍ آخر للصادقِ (ع) قال : إن الله احتج بالكوفة على سائر البلاد (إشارة إلى ما يكون فيها من العالم وبثِّ معالمِ الله وسننِ رسوله والمعصومين) وبالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد ، واحتج ببلدة قم على سائر البلاد (إشارة إلى ما سيؤول إليه أمر " قم " من مرجعية العلم وبثها علم الله في العالم) وبأهلها على جميع أهل المشرق والمغرب من الجن والانس ، ولم يدع الله قم وأهله مستضعفاً ، بل وفقهم وأيدهم ، ثم قال : إن الدين وأهله بقم ذليل ، ولولا ذلك لأسرع الناس إليه فخرَّب قم وبطل أهلها فلم يكن حجَّة على سائر

¹ بحار الأنوار وقد أوردت الرواية ورقم صفتها ومصدرها ورقم الصفحة فيما مضى ..

البلاد ، وإذا كان كذلك لم تستقر السماء والارض ولم ينظروا طرفة عين ، وإن البلايا مدفوعة عن قم وأهله . وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجة على الخلائق ، وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره ، ولولا ذلك لساخت الارض بأهلها ، وإن الملائكة لتدفع البلايا عن قم وأهله ، وما قصده جبار بسوء إلا قصمه قاصم الجبارين وشغله عنهم بداهية أو مصيبة أو عدو وينسي الله الجبارين في دولتهم ذكر قم وأهله كما نسوا ذكر الله^١

في ذلك الوقت الأكثر خطورة من زمن حكومة أهل الجور والفساد التي تسوق قيم الإنحراف على مستوى العالم حتى في موثيق الجماعة والاجتماع ، لا تخلو أرض الله من حجة كتاب وعالم فقيه ، وقائد يدعو إلى الله تعالى ورسالته .. وفي الرواية عن هشام قال قال الصادق (ع) :

(الله أجل وأكرم وأعظم من أن يترك الارض بلا إمام عادل . قال قلت له : جعلت فداك فأخبرني بما أستريح إليه ، قال : يا أبا محمد ليس يرى أمة محمد صلى الله عليه وآله فرجاً أبدا ما دام لولد بني فلان ملك حتى ينقرض ملكهم ، فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأمة محمد رجلا من أهل البيت يشير بالتقى ويعمل بالهدى ، ولا يأخذ في حكمه الرشى ، والله إني لأعرفه باسمه واسم أبيه ، ثم يأتينا الغليظ القصرة ، ذو الخال والشامتين القائم العادل الحافظ لما استودع يملؤها قسطا وعدلا كما ملأها الفجار جوراً وظلماً) ..^٢

^١ أيضا بحار الأنوار ..

^٢ الملاحم ، للبطائني : - على ما في إقبال الاعمال ، والبحار . * : إقبال الاعمال : ص ٥٩٩ - ٦٠٠

ولقد ثبت في الروايات عند المسلمين أنه لا بدّ من حجّة لله تعالى إمّا على نحو ظاهرٍ أو على نحو مغمورٍ ، على أن تكون الحجّة تامّة وكاملة في حقّ من يُحتجُّ بها عليهم .. من هنا فإنّ الله يحنّج بالمهديّ على كافّة الخلائق مسلمهم وغيره .. بل إنّ الصوت الذي ينادي به جبرائيل واحد من مصاديق الاحتجاج هذا ، على أن يتبعه صوت آخر لإبليس ، إشارة إلى ما في هذا الوجود البشري من قطبين : حقّ وباطل .. على أن يكون الإنسان مختاراً في جانبه المسلكي غير مجبور في ظلّ مسؤوليّة كبرى كتابها لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها ..

ثمّ إنّ معالم زمن المهديّ تبرزُ إلى العلنِ بأكثر من صورةٍ وعنوان ، ومن ضمن العلامات انحرافِ القادة العالميين ورموز الحكم في هرم النظام الدولي ، والخروج عن أمرِ الفطرة ، ومسلمات النوع ، في عالم المواثيق الكونيّة ومنطق الأشياء .. ثمّ قبيل ظهور المهديّ (ع) تقع أحداث كلّها تشيرُ إلى الانحرافِ الخطيرِ في مسيرة الإنسان من جهة ، وإلى إنذارٍ ربّانيّ من جهةٍ أخرى .. وفي كلّ قراءةٍ لحدث ما قبل ظهور المهديّ إشارة إلى ذلك .. من تلك الروايات قال الإمام الصادقُ (ع) : (يزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام عن معاصيهم بنار تظهر في السماء ، وحمرة تجلّل السماء ، وخسف ببغداد ، وخسف ببلدة البصرة ، ودماء تسفك بها ، وخراب دورها ، وفناء يقع في أهلها ، وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار ..)¹

ومع كلّ هذا تظلّ مسيرة البشرِ على نحوٍ خطيرٍ من الانحرافِ والانحطاطِ وعدم الاعتراف ولو بالحدّ الأدنى من أدبيّات الاجتماع الإنساني المتناغم مع

¹ الارشاد : ص ٣٦١

منطقِ الوجودِ ومعالمِ الأشياءِ .. ومن أمثال وحشيّة البشر وانحرافهم في التعاملِ مع القيم ما يقدمُ عليه السفياي من شرٍّ وبلاءٍ وفسادٍ كبيرٍ ، فضلاً عن الجبهاتِ الأخرى .. ففي الحديثِ عن الصادقِ (ع) : كأني بالسفياي - أو بصاحب السفياي - قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فنادى مناديه : من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم ، فيثب الجار على جاره ويقول هذا منهم فيضرب عنقه ، ويأخذ ألف درهم . أما إن إمارتكم يومئذ لا تكون إلا لاولاد البغايا ، وكأني أنظر إلى صاحب البرقع ، قلت : ومن صاحب البرقع ؟ فقال : رجل منكم يقول بقولكم ، يلبس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ، ولا تعرفونه ، فيغمز بكم رجلاً رجلاً ، أما إنه لا يكون إلا ابن بغي ..

وفي كلّ شيءٍ من ذلك العالم دليل على أنّ البشر وصلوا إلى مستوى من الإنحطاطِ الخطيرِ جداً .. والكلّ يقرّ بأنّ في نفس البشرِ وعقولهم نوعاً من برميّة فطريّة لنوعٍ أوّلي من الإقرارِ بالوجوديّة الأوسع من المادّيّة المتّصلة بأفقِ الوجودِ ، لكنّ حبّ الدنيا وشهوة الغريزة والإسفاف نحو المادّة يحملهم على عبادة الباطلِ وأهله .. حتى أنّ الموت والقتل وبنوعٍ من الإضطهاد الغريب يعتبر حاجة ماسّة في دفترِ مجموعةٍ واسعةٍ من جبهاتِ عصرِ الظهورِ ، إلى أن يمنّ الله على البشريّة بالمهديّ عليه السلام .. واحد من تلك الأمثلة ما أشار إليه الصادقُ عمّا يجري في الكوفة حيث قال : لا يذهب ملك هؤلاء حتى يستعرضوا الناس بالكوفة في يوم الجمعة ، لكأني أنظر إلى رؤوس تندر ، فيما بين باب الفيل وأصحاب الصابون .

وقال (ع) في لفظٍ آخر : يا لها من طامة ، إذا حكمت في الدولة الخصيان والنسوان والسودان ، وأحدث الامارة الشبان والصبيان ، ونحرب جامع

الكوفة من العمران ، وانعقد الجسران ، فذلك الوقت زوال ملك بني العباس
وظهور قائمنا أهل البيت (ع)^١

وتصل الأمور إلى مستوى يكون فيها الحجّ مجرد تعبير عن نزعة متصلة
بعالم الدنيا أكثر منه اتصالاً بعالم الآخرة ، ومع هذه النزعة يكون الدين مجرد
هوية ذات صلة بمراتب الوجود الغرائزي أكثر منه وقفة مع الله ومشهد الوجود
وأفق المسؤولية ومعاني المسيرة المرتبطة بمواثيق النبيين .. من أمثلة ذلك أنه بمجرد
علم طائفتين من الناس بموت خليفة ما في ذلك الزمان ، يطير بالناس المهرج
والمرج والخلاف والتقاتل على السلطان ، وهم ما زالوا وقوفاً بعرفات وصولاً إلى
منى وما بعدها .. يقول الإمام الصادق (ع) : بينا الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم
راكب على ناقة ذعلبة يخبرهم بموت خليفة يكون عند موته فرج آل محمد صلى
الله عليه وآله ، وفرج الناس جميعاً . وقال عليه السلام : إذا رأيت علامة في
السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي ، فعندها فرج الناس وهي قدام
القائم عليه السلام بقليل)^٢ ثم أضاف النصوص المتصلة بهذا الحدث أن الناس
تتقاتل في منى ، في ظلّ عنيفٍ ومجازر رهيبية ، كلّ ينتصر لحزبه ، ويصرّ على
ملكه .. ! والزمن ما زال زمن الله في الحجّ ... !

ومع أنّ الله تعالى ومثلاً منه يقدم للبشر في ذلك الزمن أكثر من آية
ونموذج استثنائي إلا أنّ الجبهات الضالّة تظلّ على غيها وبشكل عميق ومتجذّر
إلا من كان من أهل الحقّ وهم قلة .. وللدلالة على واحدة من تلك الآيات قال
الصادق (ع) : العام الذي فيه الصيحة ، قبله الآية في رجب ، قلت : وما هي ؟

^١ : * ملاحم ابن طاووس : ص ١٩٨ -

^٢ النعماني : ص ٢٦٧ ، ١٤ ، ٢٧

قال : وجه يطلع في القمر ويد بارزة) .. ^١ أما ماذا عن حقيقتها وجوهرها ؟
الأمر يظل مرهوناً إلى يومها ، لكن يظهر أنها آية من آيات الله ، وعلامة من
علاماته للجبهات الضالّة ، كي تعود عن غيها ، إلا أن التشبّث بالباطل يظلّ
سيد الموقف ، ورمز الغايات الطامحة ، في مراكز القرار العالمية آنذاك .. بمعنى أن
العالم يكون على نحوٍ من الإهيار المتجدّد ، من مدرسته التربويّة إلى قيمه
الإجتماعيّة ، إلى دواعيه المحرّكة ، إلى غاياته الباعثة ، إلى مفاصل الهوية المتّصلة
بالفرد والجماعة البشريّة .. ومن الأمثلة التقرّيبية في زمن الغيبة التي نعيشها أنه
بتاريخ ٢٦ آب ٢٠٠٢ كان موعد إفتتاح قمة الأرض في جوهانسيورغ الأفريقيّة
التي ترعاها الأمم المتّحدة حيث كان كلّ زعماء العالم هناك ، في حين كان في
الخارج طوفان من المدّ البشري بمئات الآلاف من مناهضي العولمة والليبراليّة
وغالبهم المطلق من أوروبا الغربيّة وأمريكا الشماليّة وهم يردّدون :

- يا زعماء العالم : كلّ عام يموت ٦٠ مليون نسمة بسبب الجوع
والأمراض ..

- كلّ سنة يموت ١١ مليون طفل بسبب الأمراض التي يمكن علاجها ..
- مقابل نفقات ما يصل إلى أكثر من تريليون دولار على التسلّح كلّ عام
تستعمل في حروب إبادة ونفوذ فإنّ هناك ما يصل إلى مليار نسمة
يحتاجون فقط إلى ١٠ مليار دولار لإنقاذ حياتهم من الجوع والوجع
والفقر والإهيار للبدء بمرحلة جديدة مضمونة بحدّ أدنى ..

^١ النعماني : ص ٢٥٢ ، ١٤ ، ١٠

- مقابل ٣ مليار نسمة من أصل ٦ مليار نسمة ، يوجد ٣٠٠ شخص فقط ، ينفقون سنوياً على أنفسهم وطاقمهم أكثر من ٤٠ مليار دولار مقابل رفاهية بعيدة المنال وأسطورية ..
- يا زعماء العالم هناك أكثر من ٣ مليار نسمة ، تنادي كل يوم : نريد أن نعيش ، أليس لنا الحق في الحياة .. في ظلّ استغلال قاتلٍ واحتكارٍ إقتصاديٍّ رأسماليٍّ غير مسبوق على الإطلاق ..
- يوجد ما يصل إلى ٥٠ مقامر ، يلعبون الميسر ، ينفقون كلّ عام ما يصل إلى ١٠ مليار دولار .. في حين هذا الرقم ينقذ أفريقيا كلها من الموت والجوع ..
- هناك أقلّ من ٢ في المئة من العالم غالبهم المطلق من الدول الرأسمالية ، يسيطرون على أصول مائة تتجاوز نسبة ٩٢ في المئة من أصول المال ، وهم أكثر حكمة للأموال ، دون أيّ برنامج تضامني مالي ولو بنسبة أدنى لمساعدة الجوعى الذين يُباعون في الأسواق كما تُباع أيّ سلعة على الإطلاق ، في ظلّ رقمٍ وصل إلى حدود ربع مليون طفل يُباع بيعاً كلّ عام ، من الدول الفقيرة والنامية لصالح الدول الثرية الرأسمالية ..
- هناك ٣ شركات عالمية تحتكر الأنسولين وبأرقام تجارية عالية ، في حين يحتاج هذه المادة وبشكلٍ ضروريٍّ أكثر من ١٢ مليون فقير في العالم الفقير النامي ، وهم على نحوٍ من انهيارٍ ماليٍّ وماديٍّ ، غير قادرين على شراءها ، فلا يعطونها ولو بأسعارٍ تساوي القيمة الفعلية وأزيد بقليل ..
- في كلّ عام تُباع بيعاً أكثر من ٥ مليون امرأة كلهم من دول العالم النامي والفقير ، وذلك للإستثمار الجنسي في نوادي الدعارة السرية ، وبشكلٍ مأساويٍّ ، ووضعٍ لا يمكنهنّ اللجوء فيه إلى أيّ محكمة سوى

إلى المافيا .. ! ولا تُترك الفتاة إلا بعد أن تصاب بمرضٍ معدٍ قاتلٍ مثل الإيدز .. الغريب أن مافيا هذه التجارة غربيّة ، من النادي الغربي ، وحجم التجارة فيها تجاوز رقم ٢٠ مليار دولار سنويّاً .. !

إلى الكثير من الأمثلة والأرقام التي ظلت تصدر عن النوادي الحقوقية والدولية والمؤسسات المتخصصة قبيل وبعد افتتاح قمة الأرض الثانية ، من دون أن يعلن زعيم من دول العالم الغني عن ضرورة البدء بانتفاضة حقوقية تتصل بروح المبادئ الأولية في خصوص إعادة توزيع الثروة ، وتفعيل جدوى القيم ذات البعد التضامني بين البشر في شقيها المالي والأدبي الإجتماعي ، وفق معنى أساسي من أنسنة صيغة العلاقات والقيم والأموال والنوادي والكيانات ..

لا شك إنه عالم منحرف في مجموعة عميقة من بُناه وغاياته الكبرى ، حيث لا هوية وجودية للإنسان سوى أنه مجرد نزعة مادية مبرمج على نوع من استعدادات الغريزة فقط .. من العار جداً أن يصل الإنسان إلى هذا المستوى المنهار ، مستوى يكون فيه الإنسان مجرد آلة لإشباع الرغبات ، دون أيّ حكمة أخرى .. إننا اليوم بأمس الحاجة إلى الإجابة عن حكمة الخلق ، عن دوافع الوجود ، عن منطق الأشياء ، عن صلة الفرد بالكون ، والكون بغايات الحكمة الوجودية .. هل يرضى فردٌ من أفراد البشر أن يبني بناءً كبيراً ، ثم يقوم بهدمه للتعبير عن مزاجه العبثي في الهدم .. ؟ اليوم تلجأ شركات الإستثمارات الكبرى في العالم إلى هدم بعض بنائها بهدف إعادة تصميم بناء أهمّ يخدم الغايات التي أنشأ من أجلها البناء الأول .. إنه الهدف المعقول وليس العبثي .. من هنا عبّر علماء الاجتماع والفلاسفة عن أن الإنسان بطبعه يميل إلى تعليل المواقف

والسلوك والأفعال .. بمعنى أن كل فعل هو بحاجة إلى تعليل معقول .. إذاً ماذا
عن كل هذا الوجود الرائع .. ؟ ماذا عن أفق الخلق .. ؟ ماذا عن عمارة الكون
واسراره المذهلة .. ؟ ماذا عن دواعي وجوده .. ؟ عن غايات بناءه .. ؟ عن
موازينه المذهلة .. ؟ عن دقة إعجازه .. ؟

أي تركيب قام عليه الكون والإنسان .. ؟ هل في بطن هذا الكون
إجابة عن حكمة من خلق أم على العبثية .. ؟ ألم يقرّ علماء النجوم والطبيعة
والطبّ بالمذهل المذهل مما اكتشفوا ، في حين يعترفون بأن نسبة الإكتشاف ما
زالت أقل من متدنية أمام المشاهد والنواميس المعجزة .. !

أين نحن من الله ، من حكمة الخالق ، من الإبداع المذهل ، من الوجود
الناطق في كل لحظة وآن .. ؟

هل يجوز إلى هذا الحدّ الإنحدار والانحراف والإصرار على بتر النظر في
أفق الكون وغايات الوجود والتنكر بشكلٍ عنيدٍ لله ومعالم الرسالات وبعثة
النبين .. ! هل في الله شكّ فاطر السموات والأرض .. !

من هنا تكون الحاجة ماسّة وضروريّة ونهائيّة لإشراقة المهديّ عجل الله
فرجه الشريف ، وجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهادين بين يديه .. حيث
السقوط مريع ، والإنهيار في المواثيق على أشده ، والباطل يمثل أعلى رتبة التصدير
الثقافي .. وقد قال الإمام الصادق (ع) :

إذا كثرت الغواية وقلت الهداية ، وكثر الجور
والفساد ، وقلّ الصلاح والسداد ، واكتفى الرجال

بالرجال ، والنساء بالنساء ، ومالَ الفقهاء إلى الدنيا ،
وأكثر الناس إلى الأشعار والشعراء ، ومسوخ قوم من
أهل البدع حتى يصيروا قرده وخنازير ، وقتل السفياي
ثم خَرَجَ الدجالُ وبَالَغَ في الإغواء والإضلال ، فعند
ذلك ينادى باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاث
وعشرين من شهر رمضان ، ويقوم في يوم عاشوراء ،
فكأنني أنظر إليه قائماً بين الركن والمقام وينادي جبرئيل
بين يديه : البيعة لله ، فتقبل إليه شيعته) ..¹

وكما هي وقفة النبيّ (ص) حين بعثه الله للعالم ، فإن المهديّ يعيد إلى
الأذهان واحدةً من محطات الوجود الكبرى .. يخاطبُ أهلَ الدنيا ، بمواثيق
الوجود ، بأفقِ المسيرة ، بالنحوِ الأعلى من معالم ما سيصلُ إليه أمرُ العالم ..

ويظهر من الروايات أن المهديّ يُحاربُ من قِبَلِ هؤلاء حرباً قاسية ، في
ظلِّ قيم متوحّشة تقوّدُهُم ، قيم تريد أن تبتزّ العالمَ على نحوِ قاتلٍ ومنحرفٍ
وبطّاش .. بل في الروايةِ عن الإمامِ الصادقِ (ع) : إذا أذن الله تعالى للقائم
(المهديّ) في الخروجِ صعد المنبر فدعى الناس إلى نفسه وناشدهم بالله ودعاهم
إلى حقه وأن يسير فيهم بسنة رسول الله (ص) ويعمل فيهم بعمله .. فما يكون
من الجبهاتِ الباطلة إلا إعلان الحربِ عليه ، بل إن السفياي يوجّهُ جيشاً جرّاراً
للقضاءِ على مهدِ ثورتهِ الكبرى ..

¹ كتاب إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة.

وقد ثبت عندنا في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام أن المهدي مؤيد من الله ، منصورٌ بنصره ، موكولٌ إليه إقامة حكم القسط والعدل الإلهي في الأرض وأنه من يهزم الجبابرة ، ويهدد أعمدة الباطل والفساد .. وفي قول الإمام الصادق (ع) :

إن القائم (ع) منا ، منصور بالرعب ، مؤيد بالنصر ، تُطوى له الأرض ، وتظهر له الكنوز كلها ، ويظهر الله تعالى به دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ، ولا يبقى في الأرض خراب إلا عمر ، وينزل روح الله عيسى بن مريم (عليه السلام) فيصلي خلفه .. قال ابن حمران : قيل له يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم ؟ قال : إذا تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، واكتفى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء وركبت ذوات الفروج السروج ، وقبلت شهادة الزور ، وردت شهادة العدل ، واستخف الناس بالدماء ، وارتكاب الزنا ، وأكل الربا والرشا ، واستيلاء الأشرار على الأبرار ، وخروج السفلياني من الشام ، واليماني من اليمن ، وخسف بالبيداء ، وقتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن ولقبه النفس الزكية ، وجاءت صيحة من السماء بأن الحق مع علي وشيعته فعند ذلك خروج

قائماً (عليه السلام) ، فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة ، واجتمع عنده ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وأول ما ينطق به هذه الآية : (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) ثم يقول : أنا بقية الله ، وحجته ، وخليفته عليكم ، فلا يسلم عليه مسلم إلا قال : السلام عليك يا بقية الله في أرضه ، فإذا اجتمع له العقد ، وهو أربعة آلاف رجل ، خرج من مكة ، فلا يبقى في الأرض معبود دون الله عز وجل ، من صنم وغيره ، إلا وقعت فيه نار فاحترق ، وذلك بعد غيبة طويلة ..¹

كلّ النصوص الواردة عن لسان أهل البيت (ع) تشير إلى إثم البشر وباطلهم ، إلى إفساد هائل للفطرة ، إلى الانحراف الشرس عن هدي النوع وغايات الخلق ، إلى إعلان الحرب على موثيق الله وبعثة النبيين .. إلى نوعٍ مثيرٍ من الإستهزاء بوعد الله ووعيده .. إلى التنكّر لأحكام الله ، إلى التشبّه بالباطل ، إلى إعلان الدين مجرد طقوس قلبية عبثية في حين تكون الجوارح منغمسة في الحرام والإثم والعدوان من سفورٍ وزنا وحرامٍ وخمرة وغيبةٍ وفتنةٍ وامتناعٍ عن أمرٍ الله وتعرُّ وعروض أزياء وملكات جمال ودعارة وإدمان مخدرات وخمور ، وهذا ما كتمت له السموات .. تشير الروايات إلى أنّ الذين فسقوا يجادلون الذين آمنوا ويسخرون منهم ويصرون على أنّهم مؤمنو القلب ، وهم يعلنون الحرب على الله في كلّ ملبسٍ ومنكرٍ وفسادٍ وباطلٍ وسفورٍ وزنا وإثمٍ وباطلٍ وإنكارٍ لموآثيق

¹ ات الغيبة ، الفضل بن شاذان - على ما في مستدرک الوسائل ، وكشف النوري . : إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان - على ما في إثبات الهداة .

الشريعة بشكلٍ عمليٍّ ومسلكيٍّ .. ! كلُّ القرآنِ ورواياتِ أهلِ البيتِ عليهم السلام تتشدد في أنّ الدينَ كلُّه لا يتجزأ ، الدينَ إيماناً في القلب ، وعمل بالأركانِ — من فعلِ الواجبِ كلِّ الواجبِ وتركِ الحرامِ كلِّ الحرامِ — وقولُ باللسانِ فيما يتصلُ بذلك من واجبٍ .. وإلا فهو إيمانٌ ببعضٍ وفسقٌ أو كفرٌ ببعضِ الآخر ، وهو بمثابة إعلانِ الحربِ على اللهِ ورسوله في أكثر من موقعٍ وصورة .. المشكلة أنّ الإنسانَ يعيش جزءاً خطيراً من الأملِ الوهميِّ على حساب اليقينِ القادمِ إليه .. وهذا سرٌّ ندامةٍ الكثير من الذين يقعون فريسة الموتِ فجأةً أو وفق المجرى العادي للموت .. هناك في متنِ نهجِ البلاغة للإمامِ الأعظم علي بن أبي طالب الكثير من أطرِ الوجود ، من فقهِ المعالم ، من مدرسة الغايات ، من الحججِ النهائية ، من اليقينِ الذي لا بدُّ منه .. وفي واحدةٍ من خطبه يشير علينا بكثيرٍ من معانيهِ المذهلة فيقول :

هم من عدة ، أسماؤهم في السماء معروفة ،
وفي الأرض مجهولة ، ألا فتوقعوا ما يكون من إدار
أموركم وانقطاع وصلكم ، واستعمال صغاركم ، ذاك
حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من
الدرهم من حله ، ذاك حيث يكون المعطي أعظم أجراً
من المعطي ، حيث تسكرون من غير شراب ، بل من
النعمة والنعيم وتحلفون من غير اضطرار ، وتكذبون من
غير إحراج ، ذلك إذا عضكم البلاء كما يعض القتب
غارب البعير ، ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء ..

وطالما أوصى أمير المؤمنين علي (ع) بالتقوى ، على أساس أنها العمادُ
الأساسي في الصلة مع الوجود وخالقه .. التقوى تعني تأكيد جوهر العبودية في
ساحة الله تعالى ، وقد قال (ع) :

أوصيكم أيها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم ، ونعمائه
عليكم ، وبلائه لديكم ، فكم خصّكم بنعمة ، وتدارككم برحمة : أعورتم له
فستركم وتعرضتم لأخذه فأمهلكم . وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه .
وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم وطمعكم فيمن ليس يمهلكم ، فكفى واعظاً
بموتى عاينتموهم ، حملوا إلى قبورهم غير راكبين ، وأنزلوا فيها غير نازلين ،
فكأنهم لم يكونوا للدنيا عمارة ، وكأن الآخرة لم تزل لهم داراً ، أوحشوا ما
كانوا يوطنون ، وأوطنوا ما كانوا يوحشون ، واشتغلوا بما فارقوا ، وأضاعوا ما
إليه انتقلوا ، لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً ، ولا في حسن يستطيعون ازدياداً ،
أنسوا بالدنيا ففرغتم ، ووثقوا بما فصرعتهم ، فسابقوا - رحمكم الله - إلى
منازلكم التي أمرتم أن تعمروها ، والتي رغبتم فيها ودعيتم إليها ، واستتموا نعم
الله عليكم بالصبر على طاعته ، والمجانبة لمعصيته فإن غداً من اليوم قريب ، ما
أسرع الساعات في اليوم ، وأسرع الايام في الشهر ، وأسرع الشهور في السنة ،
وأسرع السنين في العمر ..¹

الإمام علي عليه السلام يشير إلى نوع خاص من التعامل مع الوجود
واستثماره ، على نحو يؤكد واقعية التوجه وغاية الحكمة بالمقاصد ، في ظل
الإعجاز المذهل الذي يلف الخلق كله .. لكن ما نحن فيه من ظلم واضطهاد

¹ الخطبة الأولى والثانية من فتح البلاغة الجزء الثاني ..

وتشويه مميته لهوية الوجود غريب كل الغرابة ، غرابة أن يموت كل عام ما يصل إلى ٦٠ مليون نسمة لا يعوزهم سوى ٥ مليار دولار فقط ، في حين تنفق ٥ دول إلى ٨ دول ما يصل إلى ١٠٠ مليار دولار على الحيوانات الأليفة خاصة في ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة .. ويقامر أقل من خمسين مقامر دولي بمليارات الدولارات سنويًا ، في حين لا يعني الموت هذا في حق أكثر من ٦٥ مليون نسمة جراء احتكار السوق وحيث الأثرياء واضطهادهم سوى المزيد من عبثية الإنسان وانحرافه ..

وعلى كل حال ، فإن النبي (ص) أكد أن زمن الغيبة وما يتصل به حتى ظهور المهدي يكون على نحو خطير في انحراف أهله ، في المسلك والقيم ، في الإطار والتوجيه .. من تحوّل جنسي ، إلى لواط وسحاق ، إلى بيع البشر ، إلى التجارة بالأرواح ، إلى التعامل مع الدين كسلعة ، لا يأخذ الناس منه إلا ما يقرّبهم إلى الدنيا ، ويقلّ المؤمنون ويعود الدين غريباً كما بدأ .. ويكثر الأشرار ، ويندر الأبرار ، ويشيع الفساد والزنا ، ويحكم الباطل والإثم والعدوان ، وتبرّج النساء عاريات وشبه عاريات ، يُغضب الله ويُرضين الشيطان ، يأمرهم الله بالستر والعفة والإيمان ، فيقابلنه بالسفور والتبرّج وكشف الرؤوس والزنا والعصيان . يأمرهم الله بالتحصن والزواج فيمارسن الزنا والاتجار الجنسي وبينين مدن الدعارة والتعري وممارسة الغواية الجنسية ، إلى الكثير من مظاهر الحرام والجور والفساد والاضطهاد بالقيم والمفاهيم ومظاهر الأشياء ..

لقد لفت نظري مجموعة من الروايات التي تشير إلى أن المهدي (ع) يلقي من الناس ما يلقي ، حتى أنهم يتأولون القرآن عليه .. ! وهو ولي الله ووصيه وحيته على خلقه ، والمؤمل لإقامة حكم العدل الإلهي على الأرض .. حتى أن

بعضهم يقول له يا بن رسول الله ارجع لا حاجة لنا بك .. ! وعن الفضيل بن يسار ، قال : سمعت الإمام الصادق (ع) يقول : إنَّ قائمنا إذا قام ، استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهال الجاهلية . قلت : وكيف ذلك ؟ قال إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة ، وإنَّ قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله يحتج عليه به ، ثم قال : أما والله ليدخلنَّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر) ..^١ إلى هذا المستوى من الإنكار والعداء له (ع) .. ! ليس فقط أنهم يتأولون عليه الكتاب بل ويريدون أن يردوا عليه حديثه ويجادلونه ويحتجون بتأويلهم عليه .. !

وفي نصٍّ آخر له (ع) قال : إذا خرج القائم (ع) خرج من هذا الامر من كان يرى أنه من أهله ، ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر) ..^٢

معنى ذلك أن قوماً يصرون على ما هم عليه من تأويلٍ وجدالٍ ويخالفون المهديَّ (ع) ويخرجون عن هداية إلى غيره ويقفون في الصفِّ الآخر من معاداته ، في حين يلتحق به قوم لا عهد لهم بالتدين ، فقط يؤمنون بالآيات والحجج الدالة عليه ، فيزحفون إليه طلباً للقبول والنصرة والإنخراط في صفه وجنده .. وفي إشارةٍ وكنايةٍ إلى الموقف الدقيق يشير النصُّ إلى أن قوماً من عبدة غير الله يبايعون المهديَّ ويؤمنون به ويطيعونه ويعتقدون دينه في حين تجد قوماً كانوا على الإيمان فينحرفون في جدالٍ وباطلٍ وردٍّ عنيفٍ على الإمام وهو الولي المعصوم ثم يخرجون عليه .. !

^١ النعماني : ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ١٧ - ١

^٢ النعماني : ص ٣١٧ ، ٢١ - ١

وفي مقابل هؤلاء هناك قوم من أهل الإيمان واليقين والولاية والمعرفة ،
يعثون للمهدي بالبيعة ، مع كل ما يكونون عليه من نصر وقوة وظهور ، كما
هي الحال مع أهل خراسان .. فعن الامام الباقر (ع) قال تنزل الرايات السود
التي تخرج من خراسان إلى الكوفة ، فإذا ظهر المهدي بعثت إليه بالبيعة ..^١ وفي
رواية ابن حماد في مخطوطته^٢ : تنزل الرايات السود التي تقبل من خراسان
الكوفة فإذا ظهر المهدي بمكة بعثت بالبيعة إلى المهدي ..

ويظهر من الروايات أن للمهدي نوعين من القوى : قوى طبيعية ، أي
من خلال تطويع الناموس من قبل الله تعالى للمهدي ، وهذا تعبير أنه منصور
بالرعب وملائكة بدر والزلازل وغير ذلك .. وقوى كسبية تدل على صناعة
متقدمة في الأدوات العسكرية القتالية .. من تلك العناوين الروايات التي تذكر أن
الامام المهدي عليه السلام يدخل العراق في سبع قباب من نور ، لا يُدرى المهدي
في أي منها .. وكأنها إشارة إلى وضع أمي محدد .. في حين تدل دلالة كبرى
على مستوى متقدم من أدوات الحرب ، فقباب من نور إشارة إلى جسم يستعمل
في السماء ، وحسب الإصطلاح اليوم هي طائرة .. أمّا ماذا عن نوعها وقدراتها
الأمر موكول إلى ذلك الزمن .. فعن الامام الباقر عليه السلام في تفسير قوله
تعالى (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات
والارض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان) قال : ينزل القائم يوم الرجفة
بسبع قباب من نور ، لا يعلم في أيها هو حتى ينزل الكوفة ..^٣

^١ البحار ج ٥٢ ص ٢١٧

^٢ ص ٨٨

^٣ يوم الخلاص ص ٢٦٧

وعليه : إذا خرج المهديّ انقسم العالمُ قسمين ، في ظلّ تعدّد كياني ،
وتعدّد جهات ، وتشير الروايات إلى أنّ ظهور المهديّ يكون له وقعٌ مختلف ،
بحيث تُحشدُ الجيوش من أجلِ القضاء على جبهته ، ليس من قبلِ السفياي
فحسب ، بل من عدّة جهات ، نعم تختلف الأوقات والأزمان في شنّ الحروب ،
لكن يظهر من النصوص أنّ مجموعة من معارك تتجمّع فيها أكثر من راية ضدّ
المهديّ (ع) للقضاء على جبهته بشكلٍ عنيف .. ويكون للمهديّ مجموعة
أصحاب ، هم عبارة عن قادةٍ خلّص ، أعدّهم الله له (ع) يكونون معه منذ ساعة
خروجه ، يقصدونه إلى مكة ، ويدخلون بيت الله الحرام ، ثمّ يبايعونه بيعةً لا
رجعة فيها .. وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) قال : بينا شباب الشيعة (أي
أصحابه الخواص وهم ٣١٣ رجل) على ظهور سطوحهم نيام ، إذ توافوا إلى
صاحبهم ، في ليلة واحدة ، على غير ميعاد ، فيصبحون بمكة ..^١ وفي بعض
الروايات إشارة إلى أنّ الناس ينكرونها في المشهد الأول ، في ظلّ خلافٍ ونزاعٍ
بين معسكرين على الخلافة فيسأل بعضهم عن أحوال هؤلاء الناس الذين في
الأزقة .. شكاً بهم وسط ظرفٍ أمّنيّ مريبٍ ، فيشير آخرون إلى أنّهم لم يقترفوا
جريمةً ولم يخرجوا على حدّ .. وعنه (ع) قال : يجمعهم الله من مشرقها إلى
مغربها في أقلّ ممّا يتمّ الرجلُ عينيه ، عند بيت الله الحرام ، فبينما أهل مكة كذلك
يقولون : كبسنا السفياي ، ثمّ يُشرفون فينظرون إلى قومٍ حول بيت الله الحرام ،
وقد انجلي عنهم الظلام ، ولاح لهم الصبح ، وصاح بعضهم ببعض : النجاة !
وأشرف الناس ينظرون وأمراؤهم يفكّرون ..^٢ وفي بعضها قال (ع) : أصحابُ

^١ النعماني : ص ٣١٦ ، ٢١ - ١١

^٢ الملاحم والفتن ص : ١٢١

القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر .. بعضهم يُحمَلُ في السحابِ نهاراً ، وبعضُهُم نائمٌ على فراشِهِ ، فيوافيه في مكّة على غيرِ ميعاد ..^١

إشارة دقيقة إلى أنّ وسيلة النقلِ سريعة جداً ومريحة ، وفي بعضها الآخر بعضهم تطوى به الأرض ، تعبير دقيق على نحوين : قوم يحملون بأداة في الجوّ وقوم يحملون في أداة أرضية ، وكلاهما لها من السرعة المطلوبة ما يطوي الزمن على نحوٍ يوافق ما عليه ذلك الزمان .. وقد أشرتُ فيما مضى إلى أنّ نصوص أهل البيت بيّنت بشكلٍ دقيق أنّ عصر الظهور يكون على نحوٍ من تطوّر الأداة مثل مطيّة الأرض ومطيّة السماء (الطائرة مثلاً) وكذا أيضاً النصوص العديدة التي أشارت إلى أنّ (المؤمن في زمان القائم وهو بالشرق ليرى أحاه الذي في المغرب وكذا الذي في المغرب يرى أحاه الذي في المشرق) ..^٢ تعبير يُرادُ منه الإشارة إلى تطوّر الأداة البصريّة السمعيّة ففي حين يشير النصّ السابق إلى تطوّر أداة طوي الزمان والمكان (المواصلات السريعة) يشير النصّ الثاني بشكلٍ واضح إلى تطوّر أداة الإتصالات (السمعيّة البصريّة) .. وفي أكثر من تعبير صريح إشارة إلى أنّ المؤمن في زمان القائم يرى وهو في المشرق من في المغرب ، وكذا الذي في المغرب يرى الذي في المشرق .. بل في غيره من النصوص قال الصادق عليه السلام : إنَّ قائمنا إذا قام مدّ الله عزّ وجلّ لشيئتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد ، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه ..^٣ وفي بعض الروايات إشارة إلى مجموعة من عناوين وميّزات تشكّل

^١ الغيبة للنعمان ص : ١٧٠

^٢ الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار - * : إثبات الهداة : ٣ ص ٥٨٤ ، ٣٢ و ٥٩ - ٧٨٩ - عن البحار .

البحار : ٥٢ ص ٣٩١ ، ٢٧ - ٢١٣

^٣ الكافي : ٨ ص ٢٤٠ - ٢٤١ - ٣٢٩

تطوراً كبيراً جداً في السيطرة على مجموعة من النواميس لتطويعها ، من مثل التحكم بمجموعة متصلة بالطبّ والطاقة والمادّة وغير ذلك .. وإنّ قارئ مثل هذه المرويّات كان يقف أمامها بنوعٍ من التشويش والإضطراب فيما لو كان قبل هذا العصر ، أمّا وقد رأينا ما رأينا في هذا الزمن من مجموعة ثورات في الطبّ (الهندسة الوراثيّة والإستنساخ والجنين والبروتين) والعلم والنواميس وغير ذلك فإننا نتعامل مع هذه المرويّات بشكلٍ خاشعٍ أمام منطقيّتها المذهل ..

أمّا بخصوص أصحاب المهديّ فهم موزعون على أكثر من بلد وجهة ، وفي بعض الروايات أنّ أصحاب المهديّ من أولاد العجم ، أي أنّ قسماً منهم من العجم ، ولن يكون ذلك على نحو الإستغراق جمعاً بينها وبين الروايات الأخرى التي تدلّ على أنّ للمهديّ أصحاباً من غير العجم .. وعلى كلّ حال فزمن الغيبة وزمن الظهور سيشهد أضخم الأحداث وعلى نحو متوالي في ظلّ عنفٍ وعنّفٍ مضاد ، تقوده فتنّ عمياء ، وموجة كبرى من أهل الباطل .. بحيث تدور أحداث التاريخ على نحو عالميٍّ خطير ، وأهميّة تلك الخطورة تبرز في أكثر من ناحيةٍ وعنوان ، وتتساقط أهميّة الأنسنة كعنوانٍ ضروريٍّ في موثيق الوجود المأخوذ على نحو متّصلٍ بنظّم الكون وأفقهِ ، وتقوم السوق في قيادة قيم العالم من دون أن يكون للعقلانيّة دور مركزيٍّ في توجيه موثيق الجماعة البشريّة .. وأيّ قيم تلك التي تكون في زمنٍ تنهاوى فيه ضرورات فقه الوجود في زمن اللواطٍ والسحاقٍ وبيع البشر ، وتفضيل مجموعة كلاب على ملايين البشر .. الأمثلة في ذلك الزمن كثيرة ، ومن باب التقريب أشير إلى أنّ ١٣ مليون كلب يملكون ثروة تفوق ثروة ٤٨ دولة أفريقيّة هي الأفقر في العالم ، ومن أشهر تلك الثروات الحيوانيّة ثروة الكلب غونتر الرابع التي بلغت أكثر من ربع مليار دولار ، في حين يموت كلّ

عام ما يصل إلى ٦٠ مليون نسمة لأسباب تتعلق بالجوع والجوع المستشري ، في حين تفوق مجموعة من دولٍ غربيّةٍ هي أقلّ من ١٠ دول ما يصل إلى أكثر من ١٠٠ مليار دولار على الحيوانات الأليفة كلّ عام .. بحيث يبدو العالم وهو على نحوٍ من إنتحارٍ وجُرفٍ هارٍ ، والمخطاطِ مخيفٍ ، لا قيمة للإنسانِ كإنسان فيه ، إنّما القيمة لما يملك من مالٍ أو لما هو عليه من إنتماءٍ بجنسيّته السياسيّة وفق التعدّد الدولي وضمن شروطٍ محدّدة وقاسية .. إنّ من يقرأ مسيرة التاريخ منذ ٥٠٠ سنة وحتى يومنا هذا يدرك مدى الإنحراف الهائل الذي أصاب مقتل الفقه الكوني في متابعة مسيرة الفرد كجزءٍ كونيٍّ من سلسلة الوجود الطبيعي ... كلّ الثورات التي نهضت في أزمانٍ مختلفةٍ تحت عناوينٍ وشعاراتٍ كبرويّةٍ مثل إعلانات الحقوق التي قدّمتها بريطانيا وفرنسا والولايات المتّحدة ومن قبلها مجموعة من شعارات أسبانيّة وبرتغاليّة كخطوة نحو أنسنة المواطيّة باءت بفشلٍ قاتلٍ ، وها هو عالمنا اليوم ينوء من أزمة صدماتٍ عسكريّة ، ثقافيّة ، كلّ يدعو إلى تحرير الإنسان من أيّ عقلٍ كونيٍّ موجّهٍ أو مؤشّرٍ ، كلّ يصرّ على ضرورة بتر أيّ قيمية كونيّة من صفحاتِ فقه الإشتراع الإجتماعي ، ها نحن اليوم نسجّل كلّ عام بيع ملايين البشر إمّا للتشريح والإكسسوار وإما للإستثمار الجنسي والدعارة بكلّ ما تعنيه هذه الظاهرة من أسوأ كارثة ، إلا أنّ العالم المنتصر يرى فيها سوقاً نفعيّة وقيمةً ماليّة كبرى .. ها هو التاريخُ اليوم ، يحتضن مجموعة واسعة من إمبراطوريات شريرة بكلّ ما تعنيه الكلمة من بيانٍ ومفادٍ ، تشنّ الحروب في كلّ بقعة ، تسفك الدماء ، يُتاجرُ بالأرواح ، من دون أيّ مؤشّرٍ إيجابيٍّ في ضمانة كونيّة أو أنسنة وجوديّة أو فقه عالمي ..

بالأمس كان التاريخ يسجّل مجموعة من حروبٍ هائلة ، مدفوعة بأسبابٍ تتعلّق بعظمة الكيان وضرورات تفوّقه الدولية ، تتعلّق بالتفتيش عن الثروة والمال والمعدن والذهب والفضّة وشبه ذلك ، وعلى نفس المسار ، تخوض أمم العالم الكبرى اليوم مجموعة ضخمة من الحروب الأعدف لأهدافٍ تتعلّق بالثروة ، من نفضٍ وثروة معدنيّة واسعة ، وتحتاج اليابسة السياسيّة إلى الأوسع من ذلك ، بهدف إحتكار قيم المال في السطح في ظلّ سوقٍ هي الأخطر ، بل هي في موقع الربّ من كلّ شيء ، بعد أن استأصلت الذهنيّة الحاكمة من العالم إمكانيّة النظر إلى الأفق ومعالم السماء ، وأصرّت على ضرورة مواصلة الوجود على نحوٍ من غريزة السوق والشهوة والمنافع الماديّة على أن يكون الحسّ المادي مرجع الإعتبار ومصدر الإشارة ، والقلم الأهمّ في كتابة الموثيق ..

اليوم ، دخل العالم مرحلة خطيرة من ربويّة المال ، ومن تشبّه النساء بالرجال ، ومن تشبّه الرجال بالنساء ، إلى حدّ قاتلٍ ، إلى حدّ التحوّل الجنسي عبر عمليّات جراحيّة .. ها هي " وول ستريت " تفقد عالم المال على نحوٍ من ربويّة لا يجوز معها أيّ نقاش ، وفي تلك السوق ، لكلّ شيءٍ قيمة ، كلّ شيءٍ يمكن الإتجار به ، من بيع النساء إلى بيع الأطفال ، إلى الإكسسوار البشري إلى تسويق الفقر كأداة ضروريّة من أجل سحق الأمم والكيانات الأخرى ، وعلى الجانب الآخر تشنّ هوليود ثقافة الإبادة ، ثقافة المخدرات والدعارة والإنحراف بكلّ ما تعنيه من تمزيق لأيّ شرطٍ ضروريّ لطابع الأنسنة .. لا شيءٍ من الأمل موجود في أوراق الكيانات النافذة سوى المزيد من نسف بُنى الإنتماء إلى الكون العاقل ، كلّ العالم يقرّ أنّ هناك أصابع سحريّة غير عاقلة تجرّ العالم نحو مذبحه هائلة ، في ظلّ عمالقة يرون الأمر مجرد أسلوب ترفيه وإطاراً للغواية النشطة ..

وكلعبة شيطان ، العالم ينهار حجراً حجراً ، والكون البشري دخل نفقاً مظلماً ، يسوده الجور والفساد والظلم والإهيار في قيمة التفسير الوجودي التي تقود البشر وهذا أخطر ما في الأمر ..

الإنسان اليوم مجرد مادة سوقية وإلا فهو معدوم ، الإنسان اليوم مجرد جندي في إمبراطوريات تشن الحروب في كل بقاع الجغرافيا والأقاليم وإلا فهو معدوم .. إن من يراقب التاريخ البشري بهذا الإنحطاط منذ قرون عدة يدرك أن الشيخوخة في الذهنية البشرية وصلت إلى حد مخيف ، ودخلت مرحلة من الإفتراس العنيف ، واليوم تسيطر ذهنية العدوان على كل كيان ، دون أن يكون للكون والوجود والحكمة أي معنى في موثيق الهوية الحاكمة ، ما عليك إلا أن تقرأ منظومة الدول حتى ترى ما فيها من تدهور و كارثة وعقم ..

ومع كل هذا ، يجب أن ندرك أننا في زمن النبي وولده المهدي ، زمن النبوة الخاتمة والإمامة الخاتمة ، زمن شيخوخة النظرة البشرية إلى الإنسان والكون ومعامل الوجود ، زمن شن الحرب الأعنف على الأديان والصلة بمعالم السماء ، زمن الإفتخار بسكّير أو متعرّية أو مُدمن مخدرات في عالم بدء الدخول في زمن الإستنساخ بعقلية تجارية وغايات سوقية وغريزة متوحّشة .. في عالم يقوده أمثال مايكل جاكسون وبامبلا أندرسون وجورج بوش الابن وهواة الباليه والمومسات ورموز الصحف الصفراء .. بلا شكّ هو تاريخ مؤلم وعالم منحرف ، يسير نحو كارثة أشدّ ..

إن أمثلة الظلم والجور والحيف في العالم بشقّ السياسة والاقتصاد وقيادة زمام العالم وصولاً إلى الحرب والحرب الهائلة التي تجول في العالم من كيان إلى

آخر ، من آسيا إلى أوروبا ، ومنها إلى أمريكا اللاتينية وأفريقيا ، كلها تدلّ على
الميزة التي تحدّث عنها النبيّ منذ الزمنِ الأوّل ..

يجب أن ندرك أنّنا نعيش زمن المهديّ ، زمن الغيبة الكبرى ، ونسير
حثيثاً نحو زمنِ الظهورِ ، نحو الزمنِ الأهمّ والحدث الأكثر تأثيراً في كتابة وجه
التاريخِ القادم ، في ظلّ عالمٍ جديدٍ وأفقٍ آخر سينظّمه المهديّ على نحوٍ من مشهدٍ
وجوديّ هائلٍ الأثر ..

سيكون العالم هناك مختلفاً ، ستكون طبيعة العلاقات مختلفة ، سيجد
الإنسان نفسه هناك ، سيخرجُ من النفقِ الهائلِ المميت ، ستقوم أولى دعائم الأملِ
وعلى نحوٍ متوسّعٍ .. هي دعوة ضروريّة ، تحتضنها قراءة بسيطة في تاريخ البشر ،
إنّنا نسير نحو زمنِ المهديّ الموعود ، دعوة إلى كلّ سياسي العالم وعقلاءه ، إلى
كلّ ناشطٍ من أجلِ فهمِ الوجوديّة أن زمن المهديّ قد خطّ في الوجودِ أملاً هائلاً
ولا بدّ لكلّ قارئٍ أن يقرأ .. ومن الحرّيّ جدّاً بسياسي العالم وقادته أن يقرءوا
أفق الوجودِ الناطقِ بذلك ، لكلّ من يقرأ استراتيجيّة الوجود ، لكلّ من يهّمه أن
يدرك عمقَ الذاتِ في ميدانِ العالم ، هو زمنُ المهديّ ، زمن الأمل ، زمن الغيبة
الكبرى ، والسير حثيثاً نحو الظهورِ الأعظم ، الذي لا يحدّده إلا الله وفق شروطٍ
وصفاتٍ في طولِ سلسلة الزمنِ والأحداث ..

إنّه اليقين القادم ، والشرط الضروريّ لقيام العالم وختامه ، هو الغايةُ
الوجوديّة في زمنِ البعثِ والأوصياء ، ولو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله
ذلك اليوم أو تلك الليلة حتى يخرج المهديّ فيقيم القسط والعدل في العالم ، كلّ
نصوص النبيّ وأهل بيته تؤكّد على حقيقة أن المهديّ سيخرجُ في آخرِ الزمانِ

حين يكون العالمُ في مهدٍ منحرفٍ وخطيرٍ في انحرافه ، بكلِّ ما تعنيه هذه العبارة من معنى مؤثّرٍ في الموائيق والسلوك والقيم والأهداف والصفات .. فإذا خرج المهديّ أشرقت الأرض بنور ربّها ، وكانت الساعة الأهمّ في تحولات الفقه الوجودي ، ومسار التاريخ ، بحيث تتجسّد الأحداث الكبرى آنذاك ، من الجبهات إلى الخطوط إلى الإعلانات لتعلن للعالم أنّ المهديّ هو رمز التاريخ وكاتبه ، والمحرّك العام في زمنٍ خرجٍ وقيامٍ جبهته الربانيّة ، إلى أن يملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .. وعلى حدّ ما جاء في سفر الرؤيا في سلسلة نعم الله تعالى وتهيئة الكون السياسي العام لختمٍ وجوديّ هو الأشرف في تلك اللحظات ، والتي تضمّنتها مجموعة من وصايا النبيين والمرسلين ، وذلك بحقّ الأئمة الإثني عشر وأمّهم فاطمة الزهراء وما يكون عليه موعد الأرض مع المهديّ حيث قالت الفقرة :

(.. امرأة متسرّبة بالشمس
والقمر ، تحت رجليها ، وعلى رأسها
إكليل من إثني عشر كوكباً .. ولدت
إبناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم
بعضاً من حديد ..)^١

هو تقرير مكتوب في الصحف الأولى ، بأحرفٍ من نور ، في صحفٍ موسى وعيسى .. بل في قرآن الرسول محمد قال الله تعالى :

^١ سفر الرؤيا ١٢/٥، الكتاب المقدس ط ٨٣

(وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (٥) ^١

هو واحد من أهمّ المفاصل المؤثرة في العالم الأخير ، وفي سلسلة المسيرة البشرية التي تهورت إلى حدّ التصادم بمجموعة من ضرورات الأنسنة وفقرات الحكمة الكونية ، فمحت آثارها من صحف موثيقها ، وأصرّت على متابعة شوط الغريزة السوقية ، مدعومة بثقافة التعرّي والنزوة والشهوة والانحراف ، ودعّمت موقعها بالتنكّر للصلة الضرورية بين منطق الكون وأهل الأرض ... وسعت على طول خطاها من أجل التفتيش عن سوق للغريزة بين بطن الأرض وفي أحشاء مادّتها دون أن تعير النظر إلى أفق السماء أيّ معنى ، مصرّة على العبيّة في علاقتها مع كون الله ، مؤكّدة على بتر أيّ علاقة معه تعالى ، مستبدلة بشرعة الله موثيق قاصرة سمّتها العلمانيّة ، تريد عبرها منع أيّ تسلّل لحكمة السماء إلى موثيق عالم الاجتماع ، فما كان من تجربة البشر إلا أن شهدت المزيد من التناحر والتقاتل وسفك الدماء واحتلال المدن وإحراقها وتدمير بناها ، وسبي نساءها ، وتوسيع دائرة حربها إلى منظومة عنيفة شاملة ، حرب يشنّها الجميع على الجميع ، كلٌّ يرى أنّ روح الإفتراس يجب أن تبدأ بالآخر كضرورة سوقية وتعبير عن الإنتماء إلى حسنّ المادة والغريزة ..

وفي أكثر من تعبير جاء : يأتي على الناس زمان يقومون ساعة لا يجدون إماماً يصلي بهم .. ! كناية عن الحرب الغريزية التي يشنّها الإنسان في مواجهة

^١ سورة القصص .

أفق الكون ومنطق الوجود ومعالم الأشياء الخاشعة في محراب الله ، إصراراً من الإنسان الطاغى على أن الغريزة ربُّ كلِّ شئٍ وكفى .. فيصل العالم بفساده إلى منعطفٍ مخيف ، فلا يجد في موثيقه وقيمه وأعرافه إلا قطعاً كأنها قطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً فيمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً . يبيع أقوام فيها خلاقهم بعرضٍ من الدنيا قليل .. عالم ويلٌ فيه للإنسان كلُّ الإنسان من شرٍّ وانحرافٍ هائل ، وكما في النصِّ عن النبيّ : يكون المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر .. أو على الشوك كما في لفظٍ آخر .

إنه علم تتغير فيه المعالم ، وتتهاوى فيه مؤشرات الحكمة ، وتنحدر فيه أنسنة الوجود إلى خيانة الغريزة البهيمية ، فيأتي على الناس زمان تكون فيه بطونهم أهنتهم ، ونسأؤهم قبلتهم ، ودنانيرهم دينهم ، وشرفهم متاعهم ، لا يبقى من الإيمان إلا اسمه ، ومن الإسلام إلا رسمه ، ولا من القرآن إلا درسه ، مساجدهم معمورة ، وقلوبهم خراب من الهدى ، علمائهم أشر خلق الله على وجه الأرض حينئذ يتليهم الله بأربع خصال : جور من السلطان ، وقحط من الزمان ، وظلم من الولاة والحكام .. يعبدون الاصنام ، كل درهم عندهم صنم ..

فإذا كان ذلك كذلك ، كان القادة وأتباعهم في آخر الزمان أشرَّ من البهائم وأسوأ .. أقوام وجوههم وجوه الأدميين وقلوبهم قلوب الشياطين أمثال الذئاب الضواري ، ليس في قلوبهم شئ من الرحمة ، سفاكون للدماء ، لا يرعون عن قبيح ، إن بايعتهم واربوك ، وإن تواريت عنهم اغتابوك ، وإن حدثوك كذبوك ، وإن ائتمنتهم خانوك ، صبيهم عارم ، وشابهم شاطر ، وشيوخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر . الاعتزاز بهم ذلٌ ، وطلب ما في أيديهم فقر . الحلِيم فيهم غاوٍ ، والأمر فيهم بالمعروف مُتَّهم ، والمؤمن فيهم

مستضعف ، والفاسق فيهم مشرف ، السنة فيه بدعة والبدعة فيهم سنة ، فعند ذلك يسلط الله عليهم شرارهم ، فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم ..

هنا تكون هويّة التاريخ الإنساني محترقة ، ومعالمه مشوّهة ، وغاياته متهاوية ، فإذا آمن المؤمن آمن في شرّ زمانٍ وأسوأ عالمٍ وإنتماء ، فيكون أجره عظيماً عظيمةً جُهدِه وصبرِه ، وفي حديثِ النبيّ (ص) : أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً ، قوم يكونون في آخر الزمان ، لم يلحقوا النبي ، وحجبتهم الحجة ، فأمنوا بسواد على بياض ..

تلك هي صفة قومٍ من عقلاءِ زمنٍ مخيفٍ ، يكونون أمةً المهديّ ، ويحرّرون الأنفس من شهواتها ، وينظرون إلى لبّ الأشياء إذا نظر الناس إلى ظاهرها ، يصرون على الآجلة إذا أصرّ الناس على العاجلة ، يرون الله في كلّ شيء ، لا يقبلون للهوى سلطنة ، بل يعرضون كلّ شيءٍ على الكتاب ، يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة ، لا يباليون بمن خالفهم ، مع كلّ ما يصيبهم من جهدٍ وبلاء ..

في ذلك العالم ، يعود الإسلام غريباً كما بدأ يتناكره الناس ، ينجحون منه ، حتى أنّ المرأة تصرّ على التبرّج خشيةً من وصفها بصلّةٍ أو نسبةٍ بالإسلام وقيمه ، وهي بذلك تعلن الحرب على قيم الله والرسول ، وتشنّ أعنف الدعايات لصالح الباطل وأهله .. في ذلك العالم تأكل الدنيا من الناس دينهم وينهزم المسلمون ، ويصبحون مجردة ثروة في بطن وحوش ذلك العالم ، لشدة ما أصابهم من هوانٍ وباطلٍ وآثامٍ ، حيث فضلوا حبّ الدنيا على الآخرة ، واستبدلوا العاجلة بالآجلة .. وفي حديث النبيّ (ص) :

يوشك أن تداعى عليكم الامم من كل أفق ،
كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قال قلنا : يا رسول
الله ، أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال : أنتم يومئذ كثير ،
ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من
قلوب عدوكم ، ويجعل في قلوبكم الوهن . قال قلنا :
وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت ..

لأحظ السبب ..! هو حب الدنيا وكراهية الموت ، هو الوهن والردّة
الفكرية الميثاقية ، هو الإنهزام والانحطاط ، هو نسيان الله والسقوط في مرتع
الشیطان .. في ظلّ ملاحم كبرى وباطلٍ مستشرٍ واقتتالٍ متنقلٍ وهوانٍ مخيف ،
في عالمٍ تجتاحه الفتنُ ، فتنة الاحلاس التي يكون فيها حرب وهرب ، ثم بعدها
فتن أشد منها ، ثم تكون فتنة كبرى ، كلما قيل انقطعت تمادت وتعاضمت ،
حتى لا يبقى بيت إلا دخلته ، ولا مسلم إلا صكته .. فإذا كان ذلك كذلك أذن
الله للمهديّ عليه السلام بالخروج ..

ومنذ تلك الساعة تتغير معالم العالم وتبدأ أولى ساعات الرحلة الوجودية
التي نتعطشُ إليها .. كم هو الشوق الذي يشدني إلى رؤية وجه المولى القائم
المهديّ محمد بن الحسن عليه السلام ، كم هي الغاية التي تشدني إلى الحقيقة التي
تزيل عنا وهم ما نحن فيه من دهرٍ فاسدٍ وظلمٍ عنيد .. لا شك أنّها الساعة الأهمّ
والمفصل التاريخي الأعظم في جادة ذلك العالم الجديد .. وبالظهور المبارك تبدأ
أولى معالم التاريخ الجديد ، لعالمٍ جديدٍ ، مختلفٍ كلّ الاختلاف عمّا مضى ،
فيبسط المهديّ (ع) حكم الشريعة في كلّ أنحاء العالم ، في ظلّ فقهٍ مختلفٍ ،
وغاياتٍ وجوديةٍ متصلة بأفق الكونٍ وحقائق الأشياء ، ويكون الله تعالى المصدر

الرئيسي للشرعية العامة في كلّ شيء ... هناك تبدأ أولى معالم حكومة القرآن المقرون بآل الرسول ، إتماماً للوصية الإلهية والنبوية في مجال الإستخلاف الرباني والإصطفاء الضروري لنخبة الأطهار في عالم السفارة الربانية .. ومن هناك يسير ركبُ أولى معالم الوجود الآخر ، الوجود الذي تشرف فيه البشرية على مسافة قريبة من عالم الله ، لتبدأ مرحلة الشرف المتصل بموقف القيامة وعظمة الإنتساب إلى عالم المعاد بكلّ ما يعنيه ذلك الشرف من خلدٍ واستكمالٍ للنعمة والإشباع الإلهية للبشر ..

اللهم نُشهدك أنّا على دينه ودين آباءه وجدّه المصطفى (ص) ، نأخذ بكتاب الله وبه نؤمن ، لا نستبدلُ به شيئاً ، إنّنا على ذلك حتى نلقاك ، لا نفرّق بين الثقلين ، كتاب الله وأهل البيت ، ونشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ الأئمة من بعده إنا عشر ، أولهم عليّ ، وآخرهم المهديّ عليهم السلام .. اللهم اجعلني وأهلي وأرحامي وأسبائي والمؤمنين والمؤمنات من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمستشهدين بين يديه ، فإن لم نوفق لنصرته ، ندعوك اللهم أن تعرّف بيننا وبينه عند الموت والسؤال والبعث والمحشر والميزان والصراط ، يوم الدين ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، بمحمد وآله الطاهرين ...

جعفر حسن عتريسي ١٠ ايلول ٢٠٠٢

مصادر الكتاب

- القرآن الكريم .
- فنج البلاغة .
- الغيبة للطوسي .
- روضة الكافي للكليني .
- صحيح البخاري .
- صحيح مسلم .
- موطأ مالك .
- كنز العمال للمتقي الهندي .
- مجمع الزوائد للهيتمي .
- عقد الدرر ليوسف الشافعي .
- دلائل النبوة للبيهقي .
- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني .
- مستدرک الصحيحين للحاكم النيسابوري .
- الفتن للحافظ نعيم بن حماد .
- تفسير الدر المنثور للعلامة السيوطي .
- أمالي الطوسي .

- الإرشاد للشيخ المفيد .
- دلائل الإمام للطبري .
- تاريخ يعقوبي .
- تاريخ الطبري .
- عصر الظهور للشيخ على كوراني .
- الطبراني الكبير .
- الطبراني الصغير .
- فيض القدير للمناوي .
- الملاحم والفتن لابن طاووس الحلبي .
- البدء والتاريخ للبخلي المقدسي .
- معالم المدرستين للعسكري .
- بشارة الإسلام للشيخ الكاظمي .
- صحيح الترمذي . للحافظ الترمذي .
- سنن ابن ماجة للحافظ القزويني .
- الحاوي للفتاوي للعلامة السيوطي .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
- بحار الأنوار .

إلى العشرات من المصادر المذكورة في حاشية هذا الكتاب وهي كثيرة جداً .. من مصادر العامة والإمامية ..

الفهرس

- إهداء ٣
- نصيحة ٥
- مقدمة ٧
- تمهيد عام :
- تعريف بالإمام المهدي ١٥
- ولادة الإمام المهدي (حركة التاريخ) ٥٧
- معالم آخر الزمان :
- (صورة أولية تمهيدية) ٩٥
- ما قبل الظهور :
- (نموذج الإنحراف البشري) ١٠٨
- النظام العالمي :
- نموذج التصادم مع الشريعة الإسلامية في آخر الزمان ١٥٣

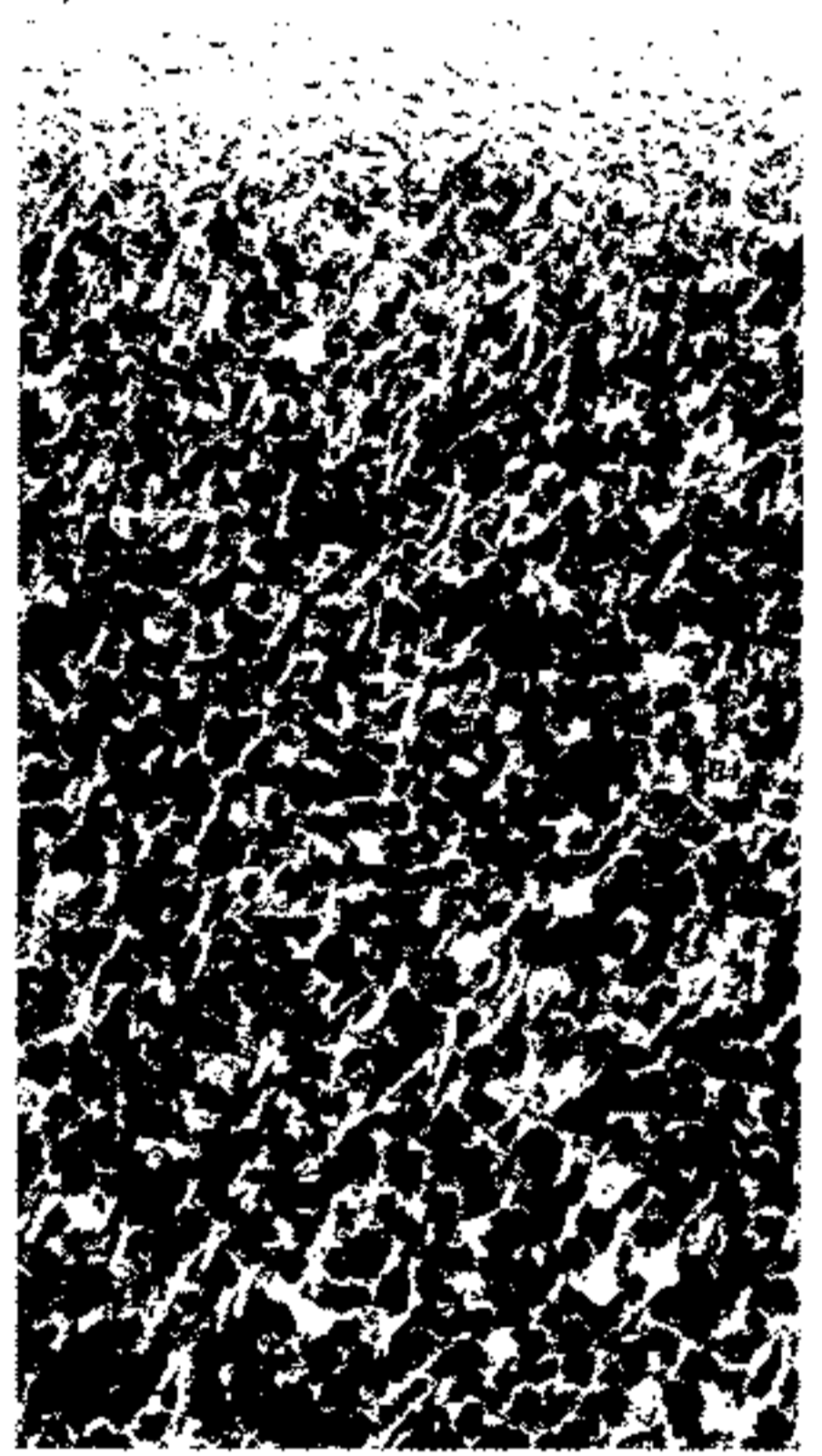
- الظلم الذي يصيب المسلمين جرّاء الإنحراف العالمي ١٦٥
- فتن ما قبل الظهور ...
- نموذج الصراع الغريزي والتصادم مع غايات الوجود ٢٣٧
- أهل المشرق الخراسانيين والرايات السود ..
- نموذج الأمة الموالية لآل محمد حتى الظهور ٢٥٩
- الإمام المهدي والبيئة العالميّة :
- (نموذج الدجال) ٣١١
- اليهود ٣٤٠
- ظرف الإمام المهدي وعلامته :
- (نموذج النتائج القيميّة للعالم) ٣٦٧
- الملاحم والفتن في العالم :
- (دوافعها والنتائج) ٤٠١
- وقائع من زمن الغيبة والظهور :
- (حركة العالم والصراع وتصادم القيم) ٤٥٣
- فتنة بلاد الشام والسفياي :
- (كلّ ما يتّصل بها من فتنٍ وحروب) ٤٦٧
- أصحاب الإمام المهدي :
- (نموذج الأصحاب وتعقيدات الجبهات) ٤٩٩

- خروج يأجوج ومأجوج :
- (نموذج الحركة الدموية نحو كيانات العالم) ٥٤٩
- آية دابة الأرض وخروجها ٥٧١
- أشرط الساعة :
- (نموذج آخر الزمان) ٥٨٣
- مع الإمام المهدي :
- (نموذج صلة المهديّ بأهل البيت عليهم السلام ٦٢٨
- الإيمان في آخر الزمان :
- (نموذج غربة الدين كما بدأ) ٦٤٧
- ماذا عن الشيعة في عصر الغيبة ٦٨٢
- النداء بإسم المهدي :
- (نموذج العلامة الكبرى للظهور المبارك) ٦٨٥
- المهدي من ولد الحسين (ع) لا من ولد الحسن (ع) ٦٨٦
- البيئة والقيم في آخر الزمان :
- (ضرورة ولاية الفقيه في عصر الغيبة) ٦٩٠
- جبهة الإمام المهديّ :
- (الوظيفة التاريخية) ٧٢٣
- علامات زمن المهدي :

- (نموذج الظلم والفساد في الأرض) ٧٢٩
- صعوبة آخر الزمن ٧٤٨
- الآيات قبل الظهور الشريف :
- (المحطة النهائية قبل الظهور) ٧٧٠
- ظهور الإمام المهدي والإشراقة الكبرى :
- نموذج الجبهات قبيل وبعد الظهور وما يتصل بذلك من أحداثٍ كبرى
والمفصل التاريخي الأهم في العالم الجديد ٧٨٧
- مصادر الكتاب ٨٦٥
- الفهرس ٨٦٧

المحرم الحرام
١٤٢٩

في ذكرى مولانا



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٢٨٧١٧٩ / ٠٣ - تليفاكس: ٥٥٢٨٤٧ / ٠١

E-mail: almahajja@terra.net.lb

الطبعة والنشر والتوزيع
بيروت لبنان